

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا: عرض ودراسة
رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد

الطالب: رفيع أديسا بلو

إشراف

فضيلة الشيخ الدكتور علي بن محمد آل دخيل الله السويلم
الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الجامعي ١٤٢٨/١٤٢٩ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن لتوحيد الألوهية أهمية بالغة في حياة المسلم؛ فإنه أساس الدين، وأول واجب على المكلف، وبه يتحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم.

ولما يسر الله لي مواصلة الدراسات العليا في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين، رأيت من الأنسب أن يكون موضوع بحثي في هذه المرحلة مما له علاقة بمجتمعي؛ إسهاما مني في إصلاح أوضاع المسلمين وتطهيرها مما يخالف الشرع المطهر، فعقدت العزم على الكتابة في موضوع (توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا: عرض ودراسة). وقد حرصت على اختيار هذا الموضوع لأسباب عديدة من أهمها:

١- أنه موضوع يسعى إلى إصلاح فئة من الأمة الإسلامية بتحقيق الغاية التي خلقوا من أجلها وهي إخلاص العبادة لله خالية من شوائب الشرك.

٢- أنه لم يعهد- حسب علمي- أن أحدا طرق الموضوع بالتوسع والاستيفاء لكل ما يتعلق به، واصفا صور الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية كما تحدث تماما في المجتمع النيجيري ثم عرضها على الكتاب والسنة لبيان حكم كل صورة.

٣- ما يحدث بين مسلمي نيجيريا من الخلط بين العادات الجاهلية وبين الدين الصحيح الذي أرسل به نبي الهدى- صلوات الله وسلامه عليه، فلا بد من بحث يكون عوننا على التفريق بين الحق والباطل، ورد تلك الضلالات التي أفرزتها أهواء العادات والأعراف.

٤- كشف ما يلبس به أهل الأهواء وتفنيد شبه المموهين الذين أغرقوا أمة القرآن والسنة في بحور من البدع حتى تأصلت في نفوس أهل الجهل وأصبحت جزءا من عقيدتهم، كما انحرفت به الأغلبية الساحقة من عوام المسلمين عن طريق الحق وسنن الرشاد.

٥- ليكون من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر به جل وعلا في كتابه العزيز بقوله: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وعملا بقول الرسول الكريم- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)^(١). فيكون من أداء واجب البيان، ورغبة في وضع حد لتلك الانحرافات التي تنتشر وتزداد يوما بعد يوم وتضيف إلى محنة الإسلام. ولا شك أن تناول هذا الموضوع بالدراسة سيعود بالنفع على ذلك الجمهور العريض.

وإن مما يجب ذكره هنا أنني لم آت بشيء جديد لم يذكره المتقدمون عند تقرير منهج أهل السنة والجماعة في كل مسألة، وإنما قمت بتوضيح ما يستشكل على كثير من أفراد القوم لتقريبه إلى فهم من يريد الحق، والحق- والله الحمد- ناصع بيّن لمن صلحت نيته وحسن منهاجه.

وأن عملي هذا بحث ميداني يتناول وصف مظاهر الانحراف في مسائل توحيد الألوهية لدى بعض مسلمي نيجيريا، يقتبس مادته من بطون مؤلفات بعض العلماء النيجيريين، وخبرات العاملين في ساحة الدعوة، والمشاهدة والمعاشية، ونتائج الاستبانة التي وضعتها لهذا الغرض.

خطة البحث:

لقد سار البحث- بعد هذه المقدمة التي أنا بصدددها- بموجب المخطط الآتي:

- التمهيد، وفيه:

أولا: شرح مفردات البحث.

ثانيا: لمحة تاريخية عن نيجيريا قبل دخول الإسلام وبعده.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...- ص٦٨٩ برقم (٤٩) عن أبي سعيد الخدري.

أ- قبل دخول الإسلام.

ب- بعد دخول الإسلام.

- الباب الأول: جهود العلماء النيجيريين في تقرير توحيد الألوهية. ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الشيخ عثمان بن فودي. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياته الشخصية والعلمية.

المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الألوهية.

الفصل الثاني: الشيخ أبو بكر محمود غومي. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياته الشخصية والعلمية.

المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الألوهية.

الفصل الثالث: الشيخ آدم عبد الله الألوري. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياته الشخصية والعلمية.

المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الألوهية.

- الباب الثاني: العبادات القولية في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا. ويحتوي على تمهيد وخمسة فصول:

تمهيد: في تعريف البدعة وتقسيمها إلى حقيقية وإضافية.

الفصل الأول: الدعاء. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى الدعاء ومنزله من توحيد العبادة.

المبحث الثاني: دعاء غير الله حكمه وصوره.

الفصل الثاني: التوسل. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التوسل وصلته بتوحيد الألوهية.

المبحث الثاني: أنواع التوسل المشروع.

المبحث الثالث: التوسل البدعي حكمه وصوره.

الفصل الثالث: الحلف. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الحلف لغة واصطلاحاً وصلته بتوحيد الألوهية.

المبحث الثاني: الحلف بغير الله حكمه وصوره.

الفصل الرابع: بقية العبادات القولية. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قراءة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الذكر.

المبحث الثالث: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الخامس: أقوال شركية منتشرة. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الألفاظ التي تقدح في التوحيد.

المبحث الثاني: بعض الأمثلة للألفاظ التي تقدح في التوحيد وحكمها.

- الباب الثالث: العبادات العملية في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا.

ويحتوي على ثمانية فصول:

الفصل الأول: الركوع والسجود والقيام. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وجوب إفراد الله بالركوع والسجود والقيام.

المبحث الثاني: الركوع والسجود والقيام لغير الله حكمها وصورها.

الفصل الثاني: النذر والذبح. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وجوب إفراد الله بالذبح والنذر.

المبحث الثاني: الذبح والنذر لغير الله حكمهما وصورهما.

الفصل الثالث: التبرك. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: بيان التبرك المشروع وأنواعه.

المبحث الثاني: التبرك الممنوع حكمه وصوره.

الفصل الرابع: رقية المريض وعلاجه. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الهدى النبوي في الرقى وعلاج المريض بالأدوية المباحة.

المبحث الثاني: الانحراف في الرقى وعلاج المرضى حكمه وصوره.

المبحث الثالث: العلاج بالسحر والشعوذة.

الفصل الخامس: الأعياد. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأعياد المشروعة وأدلتها.

- المبحث الثاني: الأعياد غير المشروعة حكمها وصورها.
- الفصل السادس: أحكام الميت والقبور. وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: المهدي النبوي في أحكام الميت والقبور.
- المبحث الثاني: الانحراف في أحكام الميت والقبور حكمه وصوره.
- الفصل السابع: موالاتة المؤمنين ومعاداة الكافرين. وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: تعريف الولاء والبراء ومنزلتهما من الشرع.
- المبحث الثاني: الانحراف في باب الولاء والبراء حكمه وصوره.
- الفصل الثامن: العبادات القلبية. وفيه تمهيد ومبحثان:
- تمهيد: في معنى العبادة والمقصود بالعبادات القلبية.
- المبحث الأول: معاني العبادات القلبية ووجوب إفراد الله تعالى بها.
- المبحث الثاني: الانحراف في العبادات القلبية حكمه وصوره.
- الباب الرابع: أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا وعلاجه. ويحتوي على فصلين:
- الفصل الأول: أسباب الانحراف في توحيد الألوهية. وفيه سبعة مباحث:
- المبحث الأول: الجهل.
- المبحث الثاني: الغلو.
- المبحث الثالث: التشبه بالكفار.
- المبحث الرابع: التأثير بالوثنية والجاهلية.
- المبحث الخامس: اتباع الهوى.
- المبحث السادس: تلبس أهل الأهواء.
- المبحث السابع: الاستعمار السياسي.
- الفصل الثاني: وسائل علاج الانحراف في توحيد الألوهية وأساليبه. وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: الوسائل.
- المبحث الثاني: الأساليب.
- الخاتمة: وتتضمن استخلاص أهم نتائج البحث والمقترحات.

- الفهارس: وتشتمل على فهارس للآيات، والأحاديث، والآثار، وتراجم الأعلام، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

منهجي في البحث:

بدأت موضوع البحث - بعد هذه المقدمة - بتمهيد يعد في نظري مدخلا مهما للبحث.

خصصت الباب الأول لإبراز جهود بعض العلماء النيجيريين في تقرير توحيد الألوهية وذلك من خلال مؤلفاتهم، مع التنبيه على ما يؤخذ على بعضهم من الأخطاء. ثم ضمنت الباب الثاني العبادات القولية في توحيد الألوهية، والباب الثالث العبادات العملية في توحيد الألوهية.

بينما جعلت الباب الرابع خاصا بشرح أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا ووسائل وأساليب علاج مظاهر ذلك الانحراف. وقد سلكت في إعداد هذا البحث وكتابته المنهج الآتي:

١- اجتهدت في تقرير منهج أهل السنة والجماعة في كل مسألة من مسائل توحيد الألوهية معتمدا في ذلك على الاستدلال بالنصوص من الكتاب والسنة، والتزام منهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

٢- قمت بعرض صور الانحراف التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا في كل مسألة مع ذكر الأمثلة التي تشهد لوجودها ثم بيان حكم كل صورة، علما بأنني قد جمعت تلك الصور من خلال اللقاءات مع الدعاة من شمال نيجيريا وجنوبها، ومن خلال الاستبانة التي وضعتها لهذا الغرض، ومن كتب بعض المؤلفين النيجيريين، ولم أكتف بالمعايشة.

٣- حاولت عقب كل مسألة إيراد أبرز شبه المخالفين النقلية والعقلية، ثم الرد عليها بالحجج الدامغة.

٤- حرصت على الإفادة من المصادر والمراجع القديمة إلا عند تعذر الحصول على المطلوب فيها فأرجع إلى المصادر الحديثة. ومن المصادر الحديثة التي استفدت منها كتب أئمة الدعوة السلفية وفتاوى هيئة كبار العلماء في السعودية وفتاوى بعض العلماء المعاصرين؛ وذلك لوجود بعض صور الانحراف كما تحدث عند أهل نيجيريا وبيان أحكامها في تلك الكتب.

٥- خرجت الأحاديث والآثار الواردة في البحث من مراجعها، وإذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بهما أو أحدهما، وإن كان في غيرهما خرجته من كتب الأحاديث المعتمدة الأخرى مع نقل حكم العلماء عليه إن وجد.

٦- ترجمت للأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في البحث، ترجمة موجزة، عند أول ورود للعلم، وكذلك تعاملت مع المرجع بذكر بيانات كاملة عنه عند أول ذكره.

٧- شرحت الألفاظ الغامضة، وعلقت في الهامش على ما يتطلب ذلك مع تجنب الإطالة.

هذا ملخص منهجي في البحث، وقد بذلت قصارى جهدي في جمع المواد العلمية بالسفر إلى بعض مدن المناطق النيجيرية وخاصة الشمال والجنوب لعقد اللقاءات مع الدعاة، كما اجتهدت في توزيع الاستبانة على طلبة المدارس العربية والإسلامية في نيجيريا وطلبة العلوم الشرعية في جامعات المملكة العربية السعودية، كل ذلك لمعرفة مظاهر تلك الانحرافات كما تحدث في محيط كل واحد.

وختاماً أحمد الله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وفي مقدمتها نعمة الإيمان والإسلام، وشرف الانتساب إلى طلب العلم الشرعي على منهج أهل السنة والجماعة.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير البالغ لشيخني وأستاذي/ فضيلة الأستاذ علي بن محمد آل دخيل الله الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، وضحي بكثير من وقته الغالي في المتابعة وإبداء التوجيهات حتى كتب الله لي الإنجاز وإخراج الرسالة في الشكل الذي هي عليه. أسأل الله أن يبارك في جهوده ويجزل له المثوبة.

وأشكر جامعة الإمام التي هيأت لي ولزملائي فرص تحصيل العلم في رحابها، والشكر موصول لكلية أصول الدين وخاصة قسم العقيدة فيها.

ثم إني لا أنسى كل من أسهم معي في هذا البحث أو قدم لي عوناً أياً كان حتى ظهر هذا الجهد وخاصة الدعاة النيجيريين الذين لم ييخلوا عليّ بشيء من المعلومات التي أحتاجها منهم أثناء جمع المواد العلمية، وكذلك الزملاء الذين تكرموا بالإجابة عن أسئلة الاستبانة رغم كثرة صفحاتها. أسأل المولى القدير أن يجزي الجميع عني خير الجزاء.

كما أسأل الله جل وعلا أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع بهذا الجهد المتواضع الإسلام والمسلمين. والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب. وصلى الله وسلم على نبي الهدى وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

وفيه:

أولاً: شرح مفردات البحث

ثانياً: لمحة تاريخية عن نيجيريا قبل دخول الإسلام وبعده

أ- قبل دخول الإسلام

ب- بعد دخول الإسلام

أولاً: شرح مفردات البحث

توحيد الألوهية:

التوحيد: مصدر وَّحَد، يوَحِّد، توحيداً. يقال: وَّحَد الشيء أي جعله واحداً^(١). ووَحَّد الله سبحانه أي أقرَّ وآمن بأنه واحد^(٢). وفي لسان العرب: التوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحدُ الأَحَدُ ذو الوجدانية^(٣).

فالتوحيد هو إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. والألوهية: من الإله، يقال: إله فلان: إلهة، وألوهة، وألوهية أي: عبد عبادة^(٤). وقال الزجاجي^(٥) في بيان أصل اشتقاق اسم الجلالة "الله"، قال: أصله من الإله... فإنه (فعال) بمعنى (مفعول) كأنه مألوه أي معبود مستحق للعبادة، يعبده الخلق ويؤلهونه، والتأله: التعبّد^(٦). فتوحيد الألوهية معناه: إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة وإخلاصها له وحده لا شريك له ظاهراً وباطناً^(٧).

-
- (١) انظر: القاموس المحيط تأليف محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ٤١٤/١ مادة (وحد)، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- (٢) انظر: المعجم الوسيط ١٠١٦/٢ مادة (وحد)، إخراج مجموعة من المؤلفين ط/الثانية ١٣٩٢هـ، دار الدعوة - استنبول.
- (٣) لسان العرب تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ٤٤٦/٣، ط/الأولى، دار صادر - بيروت.
- (٤) انظر: مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ٢٠/١ مادة (أله)، تحقيق محمود خاطر، طبعة جديدة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، وتاج العروس من جواهر القاموس تأليف محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ٨٢٠٥/١، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- (٥) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي نسبة إلى الزجاج، صاحب التصانيف، أخذ عن أبي إسحاق الزجاج وابن دريد وعلي بن سليمان الأخفش، وقد انتفع بكتابه الجمل خلق لا يحصون، قال بعض المغاربة: لكتابه عندنا مائة وعشرون شرحاً، اشتغل ببغداد ثم حلب ثم بدمشق، ومات بطبرية في رمضان سنة ٣٤٠هـ.
- انظر: سير أعلام النبلاء ٤٧٥/١٥، شذرات الذهب ٣٥٧/٢.
- (٦) اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ص ٢٣-٢٤، تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك ط/الثانية ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة - بيروت.
- (٧) حماية الرسول حمى التوحيد تأليف الدكتور محمد بن عبد الله زريان الغامدي ص ٢٣٤، ط/الأولى ١٤٢٣هـ، عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

هذا التوحيد هو أعظم أنواع التوحيد وأهمها، والمتضمن لها جميعا، ولا يصير العبد مؤمنا إلا بتحقيقه، وهو الذي لأجله خلق الله عباده، وأنزل كتبه، وبعث أنبياءه ورسله - عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً ﴾ (البينة: ٥).

ولتوحيد الألوهية مسميات أخرى هي:

- ١- توحيد العبادة.
- ٢- توحيد الإرادة، أو التوحيد الإرادي.
- ٣- توحيد القصد، أو التوحيد القصدي.
- ٤- توحيد العمل، أو التوحيد العملي.
- ٥- توحيد الطلب، أو التوحيد الطلبي.

نيجيريا:

دولة من دول غرب إفريقيا، تحدها شمالا جمهورية نيجر ودولة تشاد، وجنوبا المحيط الأطلسي، وشرقا الكاميرون، وغربا جمهورية بنين. تبلغ مساحة نيجيريا كلها نحو ٩٢٤٠٠٠ كيلومتر مربع، كما يبلغ طول سواحلها حوالي ٦٠٠ ميل. ويقدر عدد سكانها حسب نتيجة التعداد في عام ١٩٩١م بمائة وخمسة وثلاثون مليون نسمة (١٣٥،٠٠٠،٠٠٠)، يشكل المسلمون منه نسبة ما بين ٦٥% و ٧٠%، وعاصمتها حاليا (أبوجا) والقديمة (لاغوس).

وتعتبر نيجيريا أكبر الدول الإفريقية من حيث عدد السكان، وهي دولة غنية بثرواتها المختلفة المعدنية منها والطبيعية والزراعية، ومن ثرواتها:

١- النفط: وهو الذي يعتمد عليه اقتصاد الدولة بعد الله سبحانه وتعالى، وتحتل نيجيريا المركز الخامس بين الدول المصدرة للنفط في العالم^(١)، كما أنها من أعضاء منظمة أوبك (OPEC).

٢- الأخشاب: وتحتل المركز الأول من الدول الإفريقية المصدرة للأخشاب.

(١) . Encacarta Encyclopedia Deluxe 2004 (CD).

٣- الكاكو: يستخدم في صناعة مشروبات معينة والشوكولاته، وتعتبر نيجيريا ثاني دولة في إفريقيا بعد دولة "غانا" في إنتاج الكاكو في العالم.

٤- القصدير: وتستخدم مع النحاس في تكوين البرونز كما تستخدم في صناعة الصفيح.

٥- الكولمبات: وهي صالحة لصناعة محركات الطائرات النفاثة، وتنتج نيجيريا منها ما يعادل ٩٠% من الإنتاج العالمي.

كما توجد فيها أنواع أخرى من المعادن مثل الذهب والفحم. ومن المنتجات الزراعية الأخرى غير التي ذكرت:

٦- المطاط: ويعادل إنتاج نيجيريا ٧٢% من الإنتاج العالمي، كما يوجد زيت النخيل، والبقول السوداني والقطن.

ومن نعم الله على أهل نيجيريا أن البلد يتمتع بفصول السنة الأربع التي هي الصيف، والشتاء، والخريف، والربيع، وفي فصل الربيع ينزل المطر بغزارة، الأمر الذي جعل أهل نيجيريا يزرعون بدون أية كلفة، هذا بالإضافة إلى الغابات الكثيفة التي تبلغ مساحتها ٣١٩ ألف كيلو مترا مربعا والتي اتخذت منها محميات تعيش فيها الحيوانات.

مسلمو نيجيريا:

المراد بمسلمي نيجيريا هو كل من سوى النصارى والوثنيين من ذلك العدد الهائل من الشعب النيجيري، وهم منتشرون في القبائل النيجيرية المتعددة، تتراوح نسبتهم من إجمالي سكان البلد ما بين ٦٥% و ٧٠%، ويمكن تقسيمهم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: المسلمون الموحدون السالكون ذلك المنهج القويم - منهج أهل السنة والجماعة - من الدعاة المصلحين، والعلماء الصالحين العاملين، والذين يقتدون بهم من تلامذتهم، كلهم يعملون على نشر الهداية والحق.

القسم الثاني: "مسلمون يقرون بالتوحيد ويصلون ويصومون ويذكرون، ولكنهم جهلاء يأتون بالعبادات على غير استكمال شروطها، ثم يخلطون عباداتهم بالبدع والعبادات الكفرية، والرواسب الجاهلية التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم أو أحدثوها من أنفسهم"^(١)، ويضم إلى هذا القسم بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام وأجمعت الأمة على كفرها مثل القاديانية.

القسم الثالث: العلماء الضالون المضلون الذين ركنوا إلى الدنيا واستمالوا لزخارفها، وتهادنوا مع الملوك والرؤساء الظالمين، وسكتوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا سعي لهم في العمل الإسلامي إلا ما يحقق لهم رغبتهم الشهوانية^(٢).

القسم الرابع: المسلمون بالأسماء الذين ليس لهم نصيب من الدين الحنيف إلا فضل الانتساب إليه فقط، لا يخللون حلاله ولا يجرمون حرامه ولا يعظمون شعائره، يكثر هؤلاء في أوساط المثقفين الثقافة الغربية والعوام.

وهذه الفئات من الشعب النيجيري هي المقصودة بالدراسة.

ثانيا: لمحة تاريخية عن نيجيريا قبل دخول الإسلام وبعده

(١) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ١٠٣، ط/الثالثة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دون بيانات أخرى.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٠٣.

توطئة:

إنه من الأنسب إطلاع القارئ لهذا البحث المتواضع على طبائع القبائل النيجيرية ونفسياتهم وتقاليدهم القديمة؛ إذ سيكون ذلك مساعدا له ليوافق معي - فيما بعد - على أسباب ذلك الخلط العجيب الذي حصل بين التقاليد الموروثة والدين الجديد لدى هؤلاء القوم؛ ولذا سأورد في هذا الصدد صورا من المعتقدات والديانات السائدة بين القبائل النيجيرية قبل الإسلام.

أ- نيجيريا قبل دخول الإسلام:

إن جميع البلاد الواقعة فيما وراء الصحراء الكبرى جنوبا وغربا حتى المحيط إلى حدود (الكنغو) كانت تسمى في التاريخ القديم بالسودان الغربي أو بلاد التكرور، وكان سكان هذه المنطقة يعيشون جنبا إلى جنب كقبيلة وأمة واحدة يمر بهم نفوذ الممالك، فتارة تعيش تحت مملكة "غانة"، ومرة تحت مملكة "مالي"، وحقبة تحت مملكة "صنغي"^(١).

وهكذا كانت المنطقة إلى أن جاءت مصائب وأنياب رجال الاستعمار فشتت وفرقت بين الأحياء، وأورثت البغض والضغائن في نفوس أبناء تلك المنطقة كل يعمل على شاكلته، ومن ثم جاءت تقسيمات استعمارية حاملة معها بطاقات الأسماء الجديدة^(٢). إذن فالمنطقة التي أطلق عليها اسم (نيجيريا) فيما بعد هي جزء من المناطق المسماة بالسودان الغربي أو بلاد التكرور في التاريخ القديم.

أصل التسمية:

نيجيريا: معناها ما حول النيجر، وهو اسم مستمد من الكلمة اللاتينية (نيغرو) وهي تعني الزنجي الأسود، ثم أطلقوه على النهر المنسوب إلى الزنج فسموه نهر نيغرو أي نيل الزنج أو نيل السودان، فأخذت البلاد اسمها من ذلك، وأول من أطلق اسم نيجيريا على هذه البلاد هم الأسبان وتبعهم سائر الإفرنج^(٣).

(١) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ١٤.

(٢) حركات التنصير في نيجيريا ورد الفعل الإسلامي إعداد الطالب إسماعيل أكنمو محمد الأول ص ١٩، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية والدعوة بالمعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، للعام الجامعي ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

(٣) موجز تاريخ نيجيريا للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ٢١، ط/الأولى ١٩٦٥ م دار مكتبة الحياة - بيروت.

قبائل نيجيريا وأصولها:

ترجع أصول قبائل غرب إفريقيا عموماً إلى خمسة جراثيم^(١) وهي: إما بربرية أو فينيقية أو نوبية أو رومية أو عربية، وقد امتزج بعضها ببعض عن طريق المصاهرة حتى تكونت منها القبائل الحاضرة^(٢).

فقبائل نيجيريا إذن ترجع إلى تلك الأصول الخمسة المذكورة، وهي متعددة، يبلغ عددها مائتي قبيلة، لكل واحدة منها لغتها أو لهجتها الخاصة تجهلها جارتها ولا تفهمها إلا بالتعلم، كما تختلف فيما بينها في الهياكل والعادات والتقاليد.

وعلى الرغم من تعدد هذه القبائل فإن هناك أربع قبائل رئيسية مشهورة وهي:

(١) قبائل هوسا. (٢) قبائل فلانه أو فلاته.

(٣) قبائل يوربا. (٤) قبائل إيبو.

وبالإضافة إلى اللغة الرسمية التي هي الإنجليزية فإن حكومة نيجيريا تعترف بلغات ثلاث قبائل من تلك الأربع المذكورة، وتدرّس هذه اللغات في المدارس الحكومية والجامعات النيجيرية وهي: لغة الهوسا، ولغة اليوربا، ولغة إيبو.

أما عن أصل قبائل هوسا فإنه يرجع إلى رجل عربي مسلم يعرف بـ (أبو زيد) نزح من بغداد في أواخر القرن الثامن الميلادي، وهام على وجهه في الأرض حتى وصل إلى (دوره)، ثم أصبح أحفاده ملوك هوسا السبع في (دوره)، و(كانو)، و(كاشنه)، و(زكرك)، و(زمفره)، و(رنو)، و(برم)^(٣).

وموطن قبائل هوسا الأصلي في نيجيريا هو الإقليم الشمالي، ويتوزعون في سائر الأقاليم، وهم أرقى القبائل الباقية حضارة وأعظمها ثقافة، ولغتهم أشهر لغات غرب إفريقيا تداولاً؛ لأنها أخف على اللسان وأضبط في الأذهان، ولقبائل هوسا تاريخ مجيد وذكريات خالدة في السياسة والصناعة والتجارة والحماسة.

(٢) الجرثومة: الأصل، وجرثومة كل شيء أصله ومجتمعها، وجمعه جراثيم. انظر: لسان العرب ٩٥/١٢.

(٣) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ١٤ - ١٥.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٣١.

أما فلانه أو فلاته فللمؤرخين في أصلها أقوال ليس هنا مقام سردها، والقول التي أيدته الأدلة ونقله العلماء الثقات أن الجد الأعلى للفلان عربي هو عقبة بن نافع^(١) الصحابي، وأن الأم العليا لهم رومية تدعى (بج مع) وهي بنت ملك لإحدى قبائل الروم، تزوجها عقبة وأنجبت أربعة أولاد صاروا فيما بعد آباء القبائل الفلانية بأسرها في بلاد (ونغارة)، و(غانة)، و(مالي)، و(تكور)، و(صنغي)، وبلاد هوسا، و(برنو)^(٢).

قلت: ومن سبقت له مقابلة مجموعة من الفلانيين يؤمن بصحة هذه النسبة؛ إذ هم كالعرب تماما في أشكالهم وأشعارهم وهيئاتهم وطريقتهم في اللباس. وهم أيضا من سكان الإقليم الشمالي مثل الهوسا، فمنهم الحضرة الذين نزلوا المدن واختلطوا بأهلها وذابت جنسيتهم في القبائل المجاورة لهم إلا في التاريخ، ومنهم البدو وهم رعاة البقر الذين ينتقلون من مكان إلى مكان بغية المراعي الطيبة الخصبة لأبقارهم، ومع ذلك هم يحتفظون بدمائهم وتقاليدهم ولا يتركحون إلا من بنات أعمامهم حرصا على أنسابهم ألا تضيع^(٣).

أما قبائل يوربا فموطنهم الإقليم الغربي جنوب نهر النيجر، ويمتد من حدود هذا النهر شمالا وشرقا إلى المحيط الأطلسي جنوبا وحدود الداومي (جمهورية بنين الحالية) غربا. ويرجع أصل قبائل يوربا إلى بني يعرب بن قحطان الذين نزحوا من اليمن وأنحدروا من موجات هجرة العرب الثانية (العرب العاربة) بقيادة أفريقش الحميري واستفاضوا في أواسط إفريقيا والشمال الشرقي منها والتقوا بإخوانهم العرب البائدة الذين سبقوهم في الهجرة الأولى ونزلوا مصر وحكموها مدة ثم طوردوا منها إلى ما حول مصر والحبشة فعرفوا بالنوبة^(٤).

(١) هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط القرشي الفهري، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصح له صحبة، كان ابن خالة عمرو بن العاص، وقد ولاه عمرو بن العاص إفريقيا لما كان على مصر، افتتح عامة بلاد البربر وبنى مدينة القيروان في زمن معاوية، يقال أنه كان محاب الدعوة، قتل سنة ٦٣ هـ.

انظر: الإصابة ٥٢٧/٤، أسد الغابة ٧٧٧/١-٧٧٨، الاستيعاب ١٠٧٥/٣.

(٢) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ٩٢.

(٣) انظر: موجز تاريخ نيجيريا ص ١٢٧.

(٤) انظر: أصل قبائل يوربا والقبائل المجاورة للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ١١٧، ط/الثانية مطابع الزهراء للإعلام العربي - القاهرة.

ومما يقرر هذا الأصل لقبائل يوريا أن بني يعرب بن قحطان بعد نزوحهم من اليمن التقوا بإخوانهم النوبة أو الحبشة (العرب البائدة في الأصل) وجاوروهم في مصر، ولا شك أن الجيران يتأثر بعضهم ببعض وخاصة إذا طالت المجاورة، فقبائل يوريا يشبهون قبائل النوبة في كثير من عاداتهم وتقاليدهم، ذكر ذلك من رحل إلى تلك البلاد من المؤرخين أمثال الشيخ آدم عبد الله الألوري في قوله:

"وأنا الكاتب لهذه السطور لاحظت الشبه العجيب بين قبائل يوريا وقبائل النوبة في جهات دنغلا بأعالي النيل عند سفري إلى مصر عن طريق وادي حلفا وأسوان والشلال"^(١).
فالتشابه واضح جدا في كلمات قبائل النوبة مع كلمات قبائل يوريا، وفي رسوم حدودهم ووجوههم وخصوصا في قبائل (البجة) وقبائل (هدندوة)، الأمر الذي جعل المؤرخ السالف الذكر يكاد يقرر بأن انتساب قبائل يوريا إلى ذرية رجل اسمه (أوددوا) ليس إلا جهل بالاسم الصحيح لمن ينتسبون إليه أو على الأقل نسيان له، وإنما من ذرية (هَدْنَدَوَه)، نزحوا من تلك القبيلة في تلك الجهات إلى مكانهم الحالي في غرب إفريقيا. ف (هدندوه) اسم قبيلة من النوبة والبجة والبربر في أعالي مصر لها أخبارها مفصلة في تاريخ السودان العربي وبلاد النوبة^(٢).

فخلاصة القول أن قبائل يوريا من الأصل العربي، وكلمة (يوريا) محرفة من (يعرب) نتيجة التحريفات التي تدخل الكلمات العربية عند اختلاطها بلغة العجم في ديار الغربية، وخير دليل على صحة هذا القول وجود عدد كبير من كلمات عربية في الألفاظ اليورباوية التي لا تزال تستخدم إلى الآن، ذكر منها الشيخ آدم عبد الله الألوري مائة وخمسين كلمة على سبيل المثال لا الحصر في كتابه: أصل قبائل يوريا والقبائل المجاورة.

أما قبائل إيبو فتاريخهم القديم غامض للغاية ولم يعرف منه شيء إلا بعد نزول الإنجليز؛ إذ لم تكن بينها وبين قبائل نيجيريا الباقية أية صلة تذكر، وليس للإسلام فيها خبر يؤثر، ولما دخل الإنجليز إليها وجدوا بها أرضا خصبة لغرس النصرانية الكاثوليكية، هذا ما قاله الشيخ آدم عبد الله الألوري عنهم أثناء كلامه عن أصول القبائل النيجيرية المشهورة^(٣).

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢.

(٣) انظر: أصل قبائل يوريا والقبائل المجاورة للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ١٢٢، ١٥٣.

(١) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ١٣٩.

وموطن قبائل إيبو هو الإقليم الشرقي على حدود نهر (بينوي) الغربية وحدود مَصَب نهر النيجر الشرقية.

عادات أهل نيجيريا وتقاليدهم:

من المسلم أنه ما من قوم في هذه الدنيا إلا ولهم عاداتهم وتقاليدهم تستحسن عندهم في الغالب وقد تستقبح عند غيرهم.

وفي هذا الصدد سأعرض لذكر بعض العادات القديمة التي لها علاقة مباشرة بالانحرافات التي تحصل في توحيد الألوهية لدى أهل نيجيريا بعد إسلامهم؛ ذلك لأؤكد أن ظهور هذه الانحرافات كانت نتيجة العادات الجاهلية التي تأصلت في هؤلاء الناس من قديم الزمان ونقلوها إلى الإسلام دون غرلة حتى أصبحت تُتوارث خلفاً عن سلف، ومن هذه العادات:

١- طريقتهم في التحية واحترام الكبار، ولهذه عدة صور:

الصورة الأولى: الركوع والسجود عند التحية، يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري: "لا تزال في نيجيريا وما حولها من رواسب الجاهلية ما يسمونه بالتواضع، منها: خلع النعال، والانبطاح، والسجود للتحية، ونحوها من عادات ممقوتة في دين الله، بالية مهجورة في دنيا الناس"^(١).

الصورة الثانية: خلع النعال قبل التحية:

"من الجاهلية التي عمت بها البلوى عندنا من غير استثناء عاقل من جاهل، ولا عابد من معاند، ولا صالح من طالح عادة خلع النعال قبل السلام على الأمير أو الكبير حتى في الشارع، وذلك لأن النعال والمظلات والقلائس وسائر الملابس الفاخرة كانت تعتبر من سيما الامتياز الاجتماعي في القرون الوسطى، تمتاز بها الطبقات الراقية من الملوك والأمراء والكبراء والأغنياء"^(٢).

الصورة الثالثة: الانبطاح والجثو على الركب:

(٢) الإسلام وتقاليد الجاهلية للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ١٥٣، مطبعة المدني - القاهرة.

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١٥٨.

"لقد كانت عادة الانبطاح والتمرغ في التراب للملوك والعظماء شائعة في غرب إفريقيا وفي نيجيريا بصفة خاصة، ويكون ذلك أحيانا بكل ما على الشخص من الملابس، ويكون أحيانا بعد تجرده من الملابس، وهذه جاهلية نكراء"^(١).

٢- دفن الأموات في البيوت وإقامة الحفلات لهم بعد الدفن:

من العادات الموروثة عند أهل نيجيريا دفن الميت في ناحية من البيت وإقامة الحفلة له بعد ذلك، وقد وصف الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله هذه العادة الشنيعة أتم وصف حيث قال: "كان موتى ملوك يوريا القدماء يشيعون إلى مقابرهم في مواكب وحفلات، كما يقام لهم ذلك في حياتهم ومراسم توليتهم مثل ما في تقاليد الفراعنة المصريين، وإذا مات ملك من الملوك هياً خلفه أو ابنه له عددا من ضحايا الأبقار والأغنام لتكون له زادا إلى العالم الثاني ... وكانت ضحايا الأبقار والأغنام التي تقدم اليوم في بلاد يوريا للموتى والملوك، كانت في الماضي السحيق ذبائح بشرية اعتقادا منهم أن يكونوا له خدما في العالم الآخر، وذلك لاعتقادهم أن من كان ملكا في هذا العالم لا بد وأن يكون كذلك في العالم الآخر، فيجب أن يبذل كل غال ونفيس لإقامة الحفلات له إلى أقصى حد؛ لأن ذلك هو التشريف النهائي له. وكانت هذه الحفلات أولا مقتصرًا على الملوك والأثرياء والعظماء، ثم امتدت إلى أفراد الناس في كل قبيلة وأسرة لكسب السمعة والشرف لها"^(٢).

والأصل أن هذه العادة نشأت عند قبائل يوريا إلا أن شر ما في البدعة أنها تنتشر بسرعة، فقد أخذت فيما بعد تجتاز حدود بلاد يوريا إلى بلاد هوسا، حيث ذكر الدكتور علي أبو بكر في كتابه "الثقافة العربية في نيجيريا" أنه جرت مناظرات ومناقشات وردود بين علماء مدينة (كانو) إحدى مدن شمال نيجيريا حول الموضوع^(٣).

فهذه العادات والتقاليد بيد أنها كانت في نفسها انحرافات في مسائل توحيد الألوهية فإنها صارت فيما بعد أسبابا مؤثرة في ظهور كثير من انحرافات أخرى مثل التوسل، والحلف،

(٢) المرجع السابق ص ١٦١.

(٣) المرجع السابق ص ٧٠-٧١.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٧٢، والثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠م إلى ١٩٦٠م عام الاستقلال د. علي أبو بكر

ص ٣١٤، ط/الأولى ١٩٧٢م.

ودعاء غير الله، التي كانت وليدة الغلو في تعظيم الكبار والأولياء والصالحين كما سنبين في الباب الرابع- إن شاء الله تعالى.

معتقدات أهل نيجيريا ودياناتهم:

إن التدين فطرة فطر الله عليها النفس البشرية، لا يستطيع الإنسان التخلص منها، ومهما يكن فلا بد أن يدين المرء بشيء لما يعتقد أنه إلهه سواء كان هذا الدين سماويا أو وضعيا، ولذا فإن الديانة الوحيدة التي يتدين بها أهل نيجيريا قبل الإسلام هي الوثنية، وتتنوع هذه الوثنية حسب معبودات كل نوع، نذكر منها:

١- عبادة الأنصاب والتمائيل المنحوتة من الحجارة أو الطين أو الشجر ونحوها،

وكان عباد هذه الأوثان يعظمونها تعظيما ويقدمون لها الذبائح والقربان، كما يسألونها قضاء حوائجهم.

وأصل هذه الأوثان- كما ورد في الأساطير- أنها صور أناس كانوا عظماء في حياتهم ولهم آثار ملموسة في مواجهة المواقف الصعبة مثل الانتصار في الحروب وغير ذلك، وبسبب تلك العظمة والاحترام الذي كان لهم في نفوس أتباعهم جعلوهم أوثانا تعبد بعد مماتهم، ومن أمثلة هذه الأوثان^(١):

- (أوغن): إله الحديد والحرب والصيد، يقال: إنه كان صيادا في حياته.

- (أوباتالا): هو رجل وهب من الشجاعة الشيء الكثير؛ ولذا نحت تمثال على صورته واتخذ لها يعبد من دون الله.

- (إيفا): الإله الذي يخبر عن الغيب.

- (Arochukwa أروشوكوا) إله في غاية الاحترام عند قبائل (إيبو).

٢- عبادة الرعد والبرق: يوجد من النيجيريين أناس يعبدون الرعد البرق، وهم من

قبائل يوربا، وكانوا يقدسون الرعد والبرق ويقدمون لهما القربان، وعندهم اعتقاد جازم في قوة معبوداتهم هذه إلى الدرجة أنه إذا ظلم واحد منهم أو طعن في عرضه فإنه يتوسط بأكبر

(١) انظر: أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا للشيخ مصطفى زغلول السنوسي ص ٦٥-٦٧، ط/الأولى ١٤٠٧ هـ شركة تكنو برس الحديثة- بيروت، و (Top Secret) للكاتب بنيامين ألابي ص ١٤-١٧، ط/الثانية ٢٠٠٢م، مطابع البيان الإسلامية- لاغوس، نيجيريا.

مسؤول في ديانتهم لينتقم له معبودهم من الظالم وقد يؤدي ذلك إلى قتله كما يزعمون، ويسمى إله الرعد ب(سانغو)^(١)، يقال إنه كان ملكا في حياته.

٣- عبادة النار: يقال إن عبدة النار من أهل نيجيريا من الفولانيين، يطوفون حولها ويرقصون عليها فلا تضرهم.

٤- عبادة الأنهار والأشجار والجبال: كان عباد هذه الأشياء يعظمونها ويتضرعون إليها عند طلب حوائجهم كما يقدمون لها القرابين، ويكاد يوجد هذا النوع من الوثنية عند جميع القبائل النيجيرية، ويجدر القول بأن هناك يوما خصص في كل السنة للاحتفال بهذا المعبود الباطل يشارك فيه أناس من خارج نيجيريا من الأفارقة والأوربيين. ومن أمثلة هذه المعبودات:

- (أويا) أو (بيماجا): صنم الأنهار والبحار عند قبيلة (يوربا).
- (أوكي إبادن): جبل يعبد في مدينة (إبادن)، إحدى مدن جنوب نيجيريا، يقام له عيد كل سنة قيل إنه بمناسبة إنشاء مدينة إبادن^(٢).

٥- عبادة أرواح الأسلاف: هناك قوم من النيجيريين يعبدون بعض النباتات والحيوانات أمثال التماسيح والثعابين والأفيال، وقد نشأ ذلك عن اعتقادهم بأن أجدادهم الأولين منحدرين من هذه الأشياء.

وهناك نوع آخر لوثنية عبادة أرواح الأسلاف وهو ما يسمى بعيد الغول، وهو عيد كبير يقيمه الوثنيون في البلاد، وطريقتهم في ذلك أنهم يتنكرون فيه بالملابس المبرقشة أو جلود السباع يحيون به ذكرى أسلافهم وعظمائهم^(٣).

"يتقمص أحدهم رقاعا مبرقشة تغطي سائر بدنه من أعلى رأسه إلى منتهى قدميه، وربما حمل فوق رأسه أشياء رهيبية كجماجم الموتى أو مواد سامة تضر من يدنو إليها من غير حاملها الذي كان قد اصطبغ بترياق تلك السموم، يريدون بذلك ليثبتوا وجود الغول ويخوفون بها النسوان والولدان، منها الغول الطويل للنوفاويين والقصير لليورباويين، كما أن لهم طقوسا كثيرة

(١) انظر: Top Secret ص ١٥.

(٢) انظر: قصة سفر في نيجيريا للشيخ محمد بن ناصر العبودي ص ١٥٣، ط/الأولى ١٤١٥هـ، مطابع الفرزدق التجارية- الرياض.

(٣) انظر: موجز تاريخ نيجيريا ص ١١٥.

لا تشهدها النساء العاديات، ومنها ما يقومون به في جناح الظلام أو في الغابات"^(١)، ومن الأمثلة على هذا النوع من الوثنية:

- (أولولو): عند قبيلة (يوريا)، وفي مدينة إبادن خاصة، وهو غول خطير جدا لا تشاهده النساء، تحدث عنه الشيخ محمد محمود الصواف في كتابه "رحلاتي إلى الديار الإسلامية"^(٢).

- (إغونو): عند قبيلة نوبي في ولاية نيجر، شمال نيجيريا.

- (أييو): عند قبيلة (يوريا) في مدينة لاغوس، وهو غول يتبعها الشباب أيام عيدهم. فالوثنية بسائر أنواعها هي الديانة الأولى لأهل هذه البلاد كما ذكرنا، ورؤساء الوثنية هم الكهنة الذين يرشدون إلى تأدية الطقوس ويقودون الناس - عبدة الأوثان - إلى خدمة ألهتهم، كما يخطون خطوطا في الرمل أو يرمون الخرز ويستنطقونه عن الإخبار بالمستقبل.

الوثنية والجمعيات السرية:

ولكل نوع من أنواع الوثنية المذكورة جمعيتها، [وأعظم الجمعيات الوثنية شوكة هي الجمعيات السرية التي يتألف أعضاؤها من الكهنة والأقيال^(٣) والملوك الذين يجتمعون فيما بينهم للتآمر على الاغتيالات وسلب الحقوق من أصحابها. وقد قويت شوكة هذه الجمعية بعد ما أضافوا إليها الماسونية اليهودية وذلك عندما زار فلسطين الأسقف أكيني من أساقفة لاغوس ورجع بهذه الماسونية سنة ١٩٧٣م فانتسب إليها بعض أفراد المجتمع، ولقد تآمر أعضاؤها على اغتيال واعظ مسلم سنة ١٩٥٣م فوحد المسلمون صفوفهم وأقاموا عليهم الدعوى فكسبوها فضعت من ذلك الحين"^(٤)]^(٥).

(١) موجز تاريخ نيجيريا ص ١١٥-١١٦، والإسلام والتقاليد الجاهلية ص ١١٧-١١٨.

(٢) انظر: رحلاتي إلى الديار الإسلامية محمد محمود الصواف ص ٢٩٧-٢٩٨، ط/الأولى ١٣٩٥هـ دار القرآن الكريم.

(٣) الأقيال: الملوك، قال الجوهري: أصل قيل قِيلَ بالتشديد مثل سيّد من ساد يسود، كأنه الذي له قول أي ينفذ قوله، والجمع أقوال وأقيال. وقال أبو عبيدة: الأقيال: ملوك باليمن دون الملك الأعظم، واحدهم قيل، يكون ملكا على قومه ومخلافه ومخجّره. ومراد الشيخ هنا الملوك الذين بمثابة رؤساء القبائل مثل ما قال أبو عبيدة.

انظر: لسان العرب ٥٧٢/١١.

(١) موجز تاريخ نيجيريا ص ١٠٦.

(٢) يمكن القول بأن هذه الجمعيات الوثنية السرية ضعفت في ذلك الحين لكن سرعان ما نهضت بعد ذلك، فقويت وانتشرت بين طلبة الجامعات النيجيرية حتى أصبح كل والد يخاف على ولده إذا التحق بالجامعة، وأكثر من ينضم

يطلق اسم الجمعيات السرية على هذه الجمعيات لأن أسرارها وأسرار معابدها لا يعرفها إلا أعضاؤها الأصليون، والأمور المشتركة بين هذه الجمعيات كلها هي:

- أن أصولها وثنية.
 - أن على كل عضو من أعضائها أن يتعهد أمام معبودهم ألا يفشي أسرار الجمعية.
 - أنها تقوم بتقديم الإنسان قربانا لآلهتهم.
- والظاهر أن هذه الجمعيات السرية الوثنية منتشرة بين كثير من القبائل النيجيرية، فهي تسمى (Gori غوري) عند قبائل (هوسا) في شمال نيجيريا، كما تسمى (Ozo أوزو) عند قبائل (إيبو) في شرق نيجيريا، وكذلك تسمى (Ogboni أوبوني) عند قبائل (يوربا) في جنوب البلاد^(١)، وأمثلتها في جميع المناطق النيجيرية كالتالي^(٢):
- (Ekpo أغبو) و (Ekpe أيغي) عند قبيلة (Ibibio إيبيو) في نيجيريا.
 - (Gboya بويا) و (Ndako نداكو) و (Igunuko إغونوكو) عند قبيلة (Nupe نوبي) في ولاية نيجر، شمال نيجيريا.

- (Ndiche نيديشي) عند قبيلة (إيبو) في مدينة (أونيتشا) شرق نيجيريا.
- (Awo egungun أوو- أيغنغن) و (Oso أوسو) و (Aje أجي) و (Ogboni أوبوني) عند قبيلة يوربا، جنوب نيجيريا.
- (Yambori يمبوري) و (Yandaba يندابا) و (Yan-aniini يان- أنيني) و (Bori بوري) و (Yan-asiiri يان- أسيري) في ولاية (كانو) و(صوكوتو) و(غونغولا) وغيرها من ولايات شمال نيجيريا.

هذا [ويعتمد دين النيجيريين على الرغبة فيما عند المعبود من الخير العاجل أو الرهبة مما ينزل منه من الشر العاجل على أنهم ينسبون كل خير وكل شر إلى قوة هذا المعبود وسلطانه؛

إلى هذه الفئة اللادينيون والنصارى وكذلك المنتسبون إلى الإسلام بالأسماء فقط من أبناء الوجهاء والأثرياء وأصحاب المناصب العالية في الدولة.

(٣) انظر: (Top Secret) ص ٤٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٤٤-٤٥.

لهذا يخضعون له وينقادون لمشيئته ويستعينون به على شؤون حياتهم. ونراهم يعتقدون أن المتدين يجب أن يكون سعيدا في حياته قبل مماته، ومن لم يكن في الدنيا سعيدا فلا يكون في الآخرة سعيدا؛ ولهذا يطمئنون إلى دينهم إذا سعدوا بسعة العيش والرزق وشفاء العلل والأمراض، وتعتورهم الريبة والشكوك كلما تكلح الدنيا على وجوههم أو تصيبهم جائحة في أموالهم وأنفسهم؛ لأن ذلك في نظرهم مناف لحكمة التدين.

هكذا كانت أحوالهم قبل الإسلام، وقد هذب الإسلام هذه النظرية في عقليتهم فتهذبت نفوس المسلمين الشماليين، أما نفوس الجنوبيين فلا يزال أكثرها فيمن يعبدون الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين" ^(١) [٢].

ب- نيجيريا بعد دخول الإسلام:

متى دخل الإسلام في نيجيريا؟

إن أول منطقة دخلها الإسلام في نيجيريا هي بلاد هوسا شمال نيجيريا، وكان ذلك قديما، يرجع تاريخه إلى أول دخول الإسلام في إفريقيا على يد الصحابي الجليل عقبة ابن نافع؛ إذ كانت الصلة بين شمال إفريقيا وغربها موجودة قبل ظهور الإسلام بالسنين، فيعلم بذلك أن غرب إفريقيا قد عرف الإسلام منذ القرن الأول الهجري غير أن ذبوعه وانتشاره في المنطقة لم يكن إلا بالتدرج.

فقد قرر المؤرخون أن أسبق بلاد هوسا إلى ميدان الحضارة وال عمران هي مدينة (كاشنه) التي تقع على طريق القوافل المارة من (تمبكتو) إلى (برنو) ومصر، وقد قامت بها سوق عظيمة يحضرها البرابرة والوناغرة والعرب أواسط القرن الثاني عشر الميلادي ^(٣).

(١) موجز تاريخ نيجيريا ص ١١٥.

(٢) قول الشيخ بأن الإسلام قد هذب نفوس المسلمين الشماليين، هذا ناتج عن سبقهم للقبائل النيجيرية الباقية إلى الإسلام، والناظر إلى أحوال الجنوبيين بعد مضي عقود على دخولهم في الإسلام يرى بأن هذه النظرية قد هذبت في عقليتهم كذلك.

(١) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ٣١.

أما بلاد يوربا فأولى مدنها دخل فيها الإسلام هي مدينة (أيولي)، وقد عرف أهلها الإسلام في عهد المنسا موسى سلطان مالي في القرن السابع الهجري الموافق الثالث عشر الميلادي. ولكون المالون هم الذين حملوا الدعوة الإسلامية إلى بلاد يوربا نسب هذا الدين إليهم فأصبح يطلق على كل من اعتنق الإسلام منذ ذلك الوقت (صاحب دين مالي) إلى بداية النصف الأخير من القرن العشرين الميلادي عندما جاء الرفض والتوضيح لهذه النسبة من الشبان المسلمين في تلك المنطقة فأوضحوا للناس أن الدين دين الإسلام وأن كل من اعتنق الإسلام فإليه ينسب^(١).

وأما بلاد إيبو فليس للإسلام فيها خبر يؤثر أثناء دخوله في بلاد هوسا وبلاد يوربا، بل لم يسجل التاريخ أن أهلها شتموا رائحة الدين الحنيف إلى وقت مجيء الاستعمار؛ ولذلك وجد المستعمرون الأنجليز هذه البلاد أرضا خصبة لغرس نصرانيتهم وتنفيذ مخططاتهم التبشيرية. والذي يظهر أن أهل بلاد إيبو عرفوا الإسلام في وقت متأخر جدا وبالتحديد بعد مجيء الاستعمار وجمع القبائل النيجيرية تحت حكومة استعمارية واحدة وحينئذ بدأت التجارة بين أهل بلاد إيبو وقبائل هوسا الذين يشكلون جاليات صغيرة في مدن إيبو الكبار مثل "أونشا" و"إينوغو" وغيرهما، فعرفوا الإسلام عن قبائل هوسا^(٢).

وضع البلاد بعد دخول الإسلام:

هكذا دخل الإسلام في نيجيريا وانتشر في أرجائها ابتداء من الإقليم الشمالي ثم الجنوبي، وقد حارب الإسلام حين دخوله تلك الأديان الوثنية بألوانها والمعتقدات البدائية بأصنافها والتقاليد الجاهلية بأشكالها، ففضى على عبادة الأصنام وحوّلها إلى عبادة الله الواحد القهار، كما منع تقديم ما يسمى بالقرابين وجعل الإنسان يتصل بخالقه جل وعلا دون وسيط أو قربان.

فقد حاول الإسلام القضاء على كل ما يتعلق بالوثنية إلى حد كبير بين القبائل النيجيرية التي دخلت فيه حيث جاء إلى هذه البلاد بشرائعه وآدابه وأنظمتها السامية إلا أنه لم

(٢) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ٣٣، وأصل قبائل يوربا والقبائل المجاورة، ص ١٠٤.

(٣) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ١٣٩.

يقض القضاء التام على تلك العادات والتقاليد والطبائع الوثنية الشنيعة، وإنما استطاع أن يحول بعض الوثنيين إلى مسلمين يعرفون أن الله واحد لا شريك له.

ويمكن إرجاع بقاء هذه العادات والتقاليد الجاهلية في كثير من أهل نيجيريا بعد إسلامهم إلى أسباب منها:

١- دخول الأغلبية الساحقة من هؤلاء الناس في الإسلام على جهل، وما أحسن قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول: "تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية"^(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في تعليقه على الأثر: "وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما دعا به القرآن وذمه وقع فيه وأقره ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه؛ فتنقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً"^(٢).

٢- عدم وجود دعاة يرشدون هؤلاء المسلمين الجدد ويوجهونهم ويعلمونهم الدين الصحيح عندما دخلوا في الإسلام؛ إذ قد تأصلت فيهم تلك العادات واستمرؤها، فكانت الحاجة ملحة إلى من يث روح التضحية ومجاهدة النفس في هؤلاء الناس لكي يقلعوا عن تلك التقاليد الممقوتة كما ألقع عنها الذين اعتنقوا هذا الدين في العهد النبوي فهدبتهم المدرسة النبوية فكأنهم لم يشموا رائحة الشرك وما عاشوا حياة الجاهلية والوثنية قط.

فلما عدم من يعالج هذه الأمراض نتج من ذلك وجود مسلمين جدد لا يزالون متمسكين ببعض العادات والتقاليد الوثنية.

(١) انظر: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس ٥٩٠/٤، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مؤسسة قرطبة، درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤/٣، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض ١٣٩١هـ، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٠١ (باب الخوف من الشرك)، ص ٢٢٠ (باب الشفاعة)، اعتنى به أبو بكر عبد الكريم حامد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٠١.

وقد علمنا مما سبق "أن الإسلام لم يكتسح القبائل والشعوب الإفريقية اكتساحا ولا أدرجها إدراجا في أول دخوله، ولكنه تسلل فيها تسللا قد يتسرب إلى ناحية دون أخرى، وتكون بجوار قبيلة مسلمة قبيلة أخرى كافرة، أو تكون في قبيلة واحدة مدينة مسلمة وبجانبها مدينة وثنية، وقد ترى من بعض أفراد عائلة واحدة من هو مسلم وإلى جانبه من أعضاء العائلة نفسها من لا يزال يزرع تحت أغلال الكفر والوثنية، كما ترى الملوك والسلاطين الكفار يشهدون الأعياد الإسلامية إلى جانب المسلمين ويتقدمون بالهبات والصدقات إلى الأئمة والعلماء في هذه المناسبات اشتراكا مع المسلمين في أعيادهم وهم لا يزالون في جهالة الكفر والوثنية، وقد فتح هذا التسامح وعدم الإكراه قلوب كثير من الوثنيين وشرح صدورهم حتى اعتنقوا الإسلام عن طواعية واختيار"^(١).

هذه هي أوضاع الديار النيجيرية بعد دخول الإسلام وانتشاره فيها، والمعلوم أنه كلما بعد الناس عن زمن النبوة ولم يوجد من يجدد للأمة أمور دينها، كلما يقع المسلمون في أدران الشرك ويرجعون إلى تلك الجاهلية الأولى، فكيف إذا اجتمع لقوم ما، بُعد المكان وطول الزمان، وغياب المجدد.

لذلك نرى هذه البلاد في تلك الفترة تتأرجح بين ظلمة الكفر ونور الإسلام، وكان الإسلام فيها يتقلب بين كفتي النقصان والرجحان، ويتراوح بين الانتشار والانحسار، هكذا يتقلب حتى العصر الذي ولد فيه ابن فودي.

وقد بلغ الفساد غايته، وكادت آثار الإسلام تنمحي، وقد ارتد بعض المسلمين بأفعالهم وإن كانوا يدينون بالإسلام بلسانهم.

وعبد آخرون الأحجار والأشجار والأنهار، وصاروا يرجونها لدفع الشر وجلب الخير، وتعالى الملوك والسلاطين في الجور والطغيان، وركن بعض العلماء إلى الراحة والدعة، وتهادنوا مع الطغاة الجبابرة، والناس في تلك الفترة على خمسة أقسام:

القسم الأول: كفار بالأصالة يعبدون الأشجار والأنهار والجنان والشياطين، ولم يرتضوا بشيء غير الكفر بديلا.

(٢) موجز تاريخ نيجيريا ص ٣٥.

القسم الثاني: مرتدون عن الإسلام من جراء اختلاطهم بالكفار، ويسمون "ماغنداوى" بلغة الهوسا.

القسم الثالث: مسلمون يقرون بالتوحيد ويصلون ويصومون ويذكرون، ولكنهم جهلاء، يأتون بالعبادات على غير استكمال شروطها، ثم يخلطون عباداتهم بالبدع والعبادات الكفرية والرواسب الجاهلية التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم أو أحدثوها من أنفسهم.

القسم الرابع: العلماء الذين ركنوا إلى الدنيا واستمالوا لخرافاتها، وتهادنوا مع الملوك الظالمين، وسكتوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... .

القسم الخامس: العلماء الصالحون العاملون، والذين يقتدون بهم من تلامذتهم من الذين يعملون على نشر الهداية والحق، ومن هؤلاء كان مشايخ ابن فودي الذين ربوه وعلموه حتى أنجبوه هو وأصحابه الذين نصره في دعوته^(١).

هذا هو الوضع في المجتمع النيجيري بعد دخول الإسلام وانتشاره، والمتأمل في أحوال الناس في ذلك المجتمع يرى أن تلك الأقسام الخمسة المذكورة في وصف الشيخ آدم عبد الله الألوري لتلك الفترة هي نفس الأقسام الموجودة فيه إلى الوقت الحاضر رغم جهود الشيخ عثمان بن فودي.

ولنضع الآن أمثلة تؤكد القول بأن الدين الإسلامي حينما دخل في أوساط القبائل النيجيرية لم يقض قضاء تاما على العادات والتقاليد الجاهلية لدى هؤلاء المسلمين، يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري:

"وكل ما تبقى اليوم من خلع النعال، والجثو على الركب، والسجود أمام الأكابر والملوك والعظماء وإنما هي من رواسب تلك الجاهلية الشنيعة التي لم ينزلها الله على أحد من البشر، بل هي من نزوات الشياطين وشهوات السلاطين. وهذه التقاليد متوغلة بوجه خاص في الأوساط الإسلامية"^(٢).

ويقول في موضع آخر مظهر ارتضاء العلماء لبقاء هذه العادات والتقاليد وتأبيدهم لها:

(١) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ١٠٢-١٠٤.

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص ١٨.

[ولقد أجدني غارقاً في بحر من الذهول والدهشة عندما أرى حملة كتاب الله عز وجل، وحفظة سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مقدمة من يستحسنون هذه التقاليد البغيضة عن جهالة وعماية، ومن يستحسنونها عن بصيرة ودراية، ويعتبر الخروج عليها وقاحة وشراسة ممالأة لما يكرم به الدهماء العلماء والأمراء على السواء، فيلجأ العلماء إلى اختلاق حديثهم المشهور: "عادة أهل البلد كالسنة"^(١) [٢].

الباب الأول

جهود العلماء النيجيريين في تقرير توحيد الألوهية

(٢) لم أعثر على هذا الأثر في كتب علماء الحديث ولا غيرها من الكتب مع البحث والتنقيب.

(٣) الإسلام والتقاليد الجاهلية ص ٥.

ويحتوي على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول : الشيخ عثمان بن فودي.
- الفصل الثاني : الشيخ أبو بكر محمود غومي.
- الفصل الثالث : الشيخ آدم عبد الله الألوري.

الفصل الأول

الشيخ عثمان بن فودي - رحمه الله

المبحث الأول

حياته الشخصية والعلمية

أ - حياته الشخصية

نسبه ومولده:

هو عثمان بن محمد فودي بن صالح بن هارون بن محمد غورطو بن جبو بن محمد ثنبو بن أيوب بن ماسران بن أيوب بن بابا بن موسى جكولو^(١).

(١) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ٩٣، وسيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته، للأستاذ عبد اللطيف سعيد، ضمن سلسلة بحوث

ولد بقرية (طلق) بأرض غوبر(ولاية سوكتو في شمال نيجيريا حاليا)، وذلك يوم الأحد آخر يوم من شهر صفر عام ١١٦٨هـ الموافق ١٥ ديسمبر عام ١٧٥٤م^(١).

موطنه ونشأته:

هاجر أجداد الشيخ عثمان الذين هم من القبيلة الفلاتية من شمال إفريقيا إلى أقاليم فوتاتور وفوتاجالون- في موقع السنغال وغينيا الحاليين- منذ زمن طويل، واستقروا بهذين الإقليمين لفترة من الزمن، ثم هاجروا إلى بلاد الهوسا مواطن القبائل الهوسوية واختلطوا بأهلها واستوطنوها وهناك ولد الشيخ عثمان بن فودي^(٢).

وقد نشأ ابن فودي في حجر والديه الصالحين وكان لهما فضل توجيهه إلى الدين والعلم والعبادة، ويلاحظ أن البيت الذي خرج منه الشيخ عثمان بن فودي بيت علم لدرجة أن النساء فيه يؤخذ عنهن العلم.

ففي بداية أمره أخذ مبادئ العلم من والده محمد فودي، ومن والدته حواء، وجدته رقية، وكانت نشأته في مثل هذا الجو من العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته^(٣).

أولاده:

للشيخ عثمان بن فودي من الأبناء: محمد سعد، وعلي، ومحمد ثنب، ومحمد بلو، وأبو بكر، وعمر، ومحمد البخاري، ومحمد حاج، والحسن، وغيرهم. وله من البنات: خديجة، وعائشة، وفاطمة، وحفصة، وعائشة أخرى، وسودة وأسماء، وحنة، وغيرهن. وكان من أنجب أولاده: محمد سعد، ومحمد ثنب، ومحمد بلو، والبقية أيضا فيهم البركة وصلاح الحال^(٤).

الندوة العالمية التي عقدتها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة احتفاءً بذكرى الشيخ عثمان بن فودي ص ٣٣، الخرطوم ٢٦-٢٨ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ (١٩-٢١ نوفمبر ١٩٩٥م)، إصدار جامعة إفريقيا العالمية ومنظمة الإيسيسكو ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

(٢) المرجعان السابقان الأول ص ٩٤، والثاني ص ٣٣.

(٣) انظر: موجز تاريخ نيجيريا ص ١٦٠، والإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي ص ٩٣.

(١) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني ص ٩٤، وسيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته ص ٣٤.

(٢) إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور تأليف محمد بلو بن عثمان بن فودي ص ٢١٠-٢١١، ١٣٨٣هـ دار ومطابع الشعب- القاهرة.

وفاته:

وبعد كفاح طويل في سبيل الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهود الناجحة المكلفة بقيام الدولة الإسلامية القائمة على مفهوم دار الإسلام والأمة، بعد ذلك كله توفي المجاهد الكبير الشيخ عثمان بن فودي عام ١٨١٧م في مدينة سوكوتو بنيجيريا الحالية، وقد استمرت الدولة بعد وفاته قرابة مائة عام (١٨١٧-١٩٠٣) قبل أن يقوم بإسقاطها وتخريبها الاستعمار الإنجليزي الخبيث^(١).

ب- حياته العلمية

طلبه للعلم:

لم تذكر المصادر التاريخية المختلفة بأن الشيخ عثمان بن فودي قد تجول كثيرا في البلاد في سبيل تلقي العلم كعادة الطلاب في ذلك الزمن، وأهم فترة قضاها خارج موطنه (غوبر) هي فترة ذهابه مع أخيه وساعده الأيمن الوزير الأكبر عبد الله بن فودي إلى مدينة (أغدس) في جمهورية النيجر حاليا للاستزادة من الرصيد العلمي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجاهدة أهل الباطل من شيخه جبريل بن عمر الأغدسي، الذي كان في تلك الفترة واحدا من أهم منارات العلم والفكر الإسلامي في منطقة السودان الأوسط والغربي^(٢).

شيوخه:

أما مشايخ الشيخ عثمان بن فودي فهم على النحو التالي:
أخذ مبادئ العلم عن والده محمد فودي، وعن والدته حواء، وجدته رقية، ثم أخذ عن الشيخ عثمان بندور الكبرى^(٣).

(٣) سيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته ص ٤٧، ومكانة الشيخ عثمان فودي بين رجال الفكر والدعوة والدولة في الإسلام للدكتور حسن مكي محمد أحمد (ضمن بحوث الندوة ص ٢٠٠-٢٠١).

(١) حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي: الاستراتيجية- المنهجية- الأهداف للبروفيسر أحمد محمد كاني ص ١٧، ضمن سلسلة بحوث الندوة العالمية التي عقدتها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الخرطوم ٢٦-٢٨ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ / ١٩-٢١ نوفمبر ١٩٩٥م.
(٢) لم أجد له ترجمة.

أخذ الإعراب عن الشيخ عبد الرحمن بن حمدا^(١)، وسمع الفقه من محمد ثنبو بن عبد الله^(٢) والتفسير من الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن هاشم الزنفري^(٣)، كما أخذ الصحاح الست عن الحاج محمد بن راجي^{(٤)(٥)}.

ويبدو أن أكثر أساتذته تأثيرا في حياته هو الشيخ جبريل بن عمر^(٦)، إذ قد لازمه عاما كاملا وأخذ عنه العلم واقتدى بسلوكه، فالفترة التي قضاها الشيخ وأخوه الأصغر عبد الله بن فودي مع الشيخ جبريل بن عمر كانت من أهم الفترات في حياتهما الفكرية والروحية والسياسية^(٧).

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) هو محمد ثنب بن عبد الله بن محمد بن سعد، من علماء الفولاني المشهورين، كان حافظا لغالب ما قرأ من علوم، خرج إلى الحج وأقام هناك بضع عشرة سنة ثم رجع، توفي في (أغاديس) سنة ١٢٠٧هـ ودفن فيها. انظر: المجاهد الكبير في غرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فودي ص ٢٢، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة إعداد محمد بن علي بن محمد السكاكر ص ١٦٥، طبع بمناسبة الاحتفال بممرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) هو محمد بن راجي بن مودب بن حم بن عال، من علماء الفولاني، ومن أئمة علم الحديث فيهم، رحل إلى الحج، وأقام في المدينة المنورة طويلا يطلب علم الحديث، حتى نقل عن أئمة هناك (الصحاح الستة)، ولما رجع إلى بلاده عمل بالتدريس. انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٧) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني ص ٩٤، وسيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته ص ٣٤.

(١) هو جبريل بن عمر الأغدسي، شيخ شيوخ زمانه، كان قادري الطريقة، حج بيت الله الحرام مرتين، وقد أكسبته رحلته إلى الحج الغيرة على أحوال مجتمعه، فعاد من الحج وهو مفعم بالغيرة على مواصلة الجهاد في بلاد الهوسا، ولما رأى الشيخ عثمان قد بدأ دعوته في هذه البلاد بارك له في ذلك وحثه على بذل الجهد لتنقية المجتمع من برائن الشرك، توفي خلال العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

انظر: إنفاق الميسور ص ٥٤-٥٦، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة ص ١٦٥، المجاهد الكبير في غرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فودي ص ٢٣.

(٢) انظر: حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي: الاستراتيجية - المنهجية - الأهداف ص ١٧، وسيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته ص ٣٤.

ويؤكد الشيخ عثمان في مناسبات شتى أنه ما كان ليصل إلى ما وصل إليه لولا شيخه جبريل، فهو يقول إن الفضل يرجع لجبريل في تنبيهه إلى محاربة المنكر في بلاد السودان، ويظن أن الله قد أنعم على أهل هذا البلد عندما أرسل لهم جبريل الذي نور لهم طريق الصلاح^(١). وهكذا أخذ من مختلف الشيوخ وكلهم علماء بلاده من الفلانيين والهوساويين والبرناويين وليس من بينهم عربي واحد^(٢).

تلاميذه:

وأما تلاميذ الشيخ عثمان فلنذكر المشهورين منهم، وهم^(٣):

- ١- أخوه عبد الله بن فودي، العالم العلامة النظار الفهامة المجاهد الكبير صاحب التصانيف المفيدة، كان عبقرياً ومتبحراً في كل الفنون، وكان يلقب بـ (تونغا بلارين هاوسا) (عربي بلاد الهوسا)، كما لقب أيضاً بـ (علامة السودان) لعبقريته، له من المؤلفات ما ينيف على مائتين.
- ٢- ولده الأكبر محمد سعد. ٣- ولده محمد بلو.
- ٤- ولده محمد ثبو. ٥- الشيخ عبد السلام بن إبراهيم.
- ٦- ابنته أسماء. ٧- الشيخ محمد بن محمد بن أبي بكر الونكري التمبكتي.

أعماله ومكانته العلمية:

إن الأعمال التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي كثيرة وكبيرة في نفس الوقت، فكيف لا وهو الزعيم المجدد الذي كانت دعوته الإسلامية أنقى الدعوات التي ظهرت جنوب الصحراء، وأقربها إلى العقيدة السلفية الصحيحة.

ويمكننا اختصار أعمال هذا العالم الجليل والمجاهد الكبير في النقاط التالية^(٤):

- ١- أسس الشيخ عثمان دان فودي حركة فكرية، قامت على تحرير العقلية الإسلامية من سلطة اللادينية، مما أدى إلى بعث قيم الدين في الشخصية الإفريقية وإشاعة المعارف

(٣) مكونات الفكر السياسي عند الشيخ عثمان بن فودي للدكتور بهيجة الشاذلي (ضمن بحوث الندوة ص ٨٢).

(٤) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني ص ٩٤.

(٥) المجاهد الكبير في غرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فودي مع تحقيق كتابه نصيحة أهل الزمان تأليف الشيخ أمين الدين أبي بكر ص ٢٤-٢٥، مطابع المختار الإسلامي.

(١) مكانة الشيخ عثمان بن فودي بين رجال الفكر والدعوة والدولة في الإسلام للدكتور حسن مكي محمد أحمد (ضمن بحوث الندوة ص ٢٠٠-٢٠١).

الإسلامية وسط الذكور والإناث مما أدى إلى محو أمية الكثيرين وإلى تعليم النساء في فترة زمنية ساد فيها الجهل والخرافة والشعوذة في مناطق مختلفة في غرب إفريقيا.

٢- نهض الشيخ عثمان دان فودي بواجب الجهاد، أحيا هذه الفريضة بعد أن وضع لها منهجا برز في كتبه وأحاديثه، وللشيخ عثمان دان فودي قرابة مائة كتاب، من أشهرها "بيان وجوب الهجرة على العباد".

٣- اعتمد اللغة العربية التي كان يجيدها كتابة وتحدثا مع أنه لم يزر العالم العربي، ولم يحج، اعتمدها لغة رسمية ونشر آدابها، وأصبحت لغة العبادة والجهاد والتجارة والمعاملات والثقافة والفكر.

٤- نظر إلى مملكته بوصفها ثغرة من ثغور الإسلام يحيط به محيط من الملل الأخرى وكان يسعى لوضع النواة الأولى لمرتكزات انطلاق تهيئ غرب إفريقيا للالتقاء بالمد الإسلامي المتوقع في مراكز العالم الإسلامي مثل الحجاز والشام والسودان.

٥- أسس دولة إسلامية استمرت بعد وفاته قرابة مائة عام (١٨١٧ - ١٩٠٣ م) حينما قام بإسقاطها وتخريبها الاستعمار الإنجليزي، ومع ذلك لا تزال آثار جهوده باقية إلى الوقت الحاضر، يلاحظ ذلك في وجود التمكين لكل ما هو إسلامي في شمال نيجيريا.

٦- بذل الشيخ عثمان كل ما لديه من قوة في البلاغة والحجة وجودة في الأسلوب، ومعرفة بالأحكام، في سبيل القضاء على البدع المنتشرة في مجتمعه، وقد جاهد بقلمه، ولسانه، وأخيرا بيده، في سبيل محاربة البدع، فألف كثيرا من الكتب مثل: "اتباع السنة" و"بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية" و"نور الأبواب" و"إحياء السنة وإخماد البدعة" وغيرها كثير، كما خصص بعض مجالسه للدرس والوعظ لمحاربة البدع، وكذلك في تنقلاته وتجوّاله بين المدن وقرى بلاد الهوسا في غرب إفريقيا^(١).

٧- استخدم الشيخ جميع الوسائل الفكرية والعلمية لإصلاح مجتمعه، فقد قام بالوعظ والإرشاد، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما سلك طريق الاتصال بالملوك وهاجر من بلده (طلق) إلى (قد) في أطراف بلاد غوبر، وأخيرا حمل السلاح في وجوه الأعداء^(٢).

(١) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة لمحمد بن علي بن محمد السكاكر ص ١٩٢-١٩٣، ١٤٢١ هـ مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٧.

٨- ألف الشيخ عثمان بن فودي في فنون مختلفة باللغتين: العربية والفلاتية إلا أن أكثر مؤلفاته كانت بالعربية، وقد بلغت مؤلفاته هذه نيفا ومائة وأربعين، منها المطبوع والمخطوط، نذكر منها^(١):

- بيان الهجرة على العباد وبيان نصب الإمامة وإقامة الجهاد.
- بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية (مطبوع).
- نجم الإخوان.
- إحياء السنة وإخماد البدعة (مطبوع).
- وثيقة الإخوان لتبيين دلائل الكتاب والسنة (مطبوع).
- هداية الطلاب إلى طريق الصواب (مطبوع).
- نور الألباب.
- إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان.
- أصول الدين.
- أصول العدل لولاية الأمور وأهل الفضل.
- إعداد الداعي إلى الدين.
- الأمر بموالاتة المؤمنين والنهي عن موالاتة الكافرين.
- تحذير أهل الإيمان من التشبه بأهل الكفر والعصيان.
- تمييز أهل السنة وأنصار الرحمن.
- سوق الأمة إلى اتباع السنة.
- سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان.
- تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان.
- السلاسل الذهبية للسادات الصوفية.
- السلاسل القادرية.

(٣) انظر: إنفاق الميسور ص ٢٠٩-٢١٠، ومخطوطات الفوديين: بيبليوجرافية وصفية مختارة للأستاذ عبد القيوم عبد الحلیم الحسن، (ضمن بحوث الندوة العالمية ص ٣٩٦-٤٠٤).

وللشيخ عثمان بن فودي مكانة علمية مرموقة، ولقد شارك العلماء والفقهاء في إفادة قومهم بأقلامهم، وأخرج لهم عدة كتب في مختلف الفنون الدينية والسياسية والثقافية، ونجى على يديه أكثر من مائة عالم فقيه، ممن بلغوا رتبة الاجتهاد المذهبي في الفقه المالكي^(١).
وجملة القول أن ابن فودي عالم، وفقهه، وواعظ، ومرب، ومصلح، وزعيم، وقائد، وأمير، وحاكم، وإمام، بل هو أمة وحده^(٢).

المبحث الثاني

جهوده في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه

أ- أبرز الوسائل والأساليب التي استخدمها في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه:
لما كانت العقيدة هي أساس الدين، فقد أعطاهما الشيخ عثمان الأُولوية في دعوته كلها وخاصة بعد إدراكه بأن مجتمعه مليء بالبدع التي هي بريد الكفر والشرك، كما أن الأغلبية الساحقة من قومه كانوا جهالا، لا يعرفون التعاليم الإسلامية الصحيحة.
لذا استخدم الشيخ عثمان أساليب متعددة لتقرير التوحيد بأنواعه الثلاثة وتوحيد الألوهية خاصة لأهميته، ومن تلك الأساليب:

١- التدريس والوعظ والإرشاد:

كان للشيخ عثمان بن فودي مجلسان أحدهما للتدريس والآخر للوعظ والإرشاد، أما تدريسه فكان يخرج بعد صلاة العصر والعشاء للتدريس، يفسر القرآن، ويدرس الحديث، والفقه، وسائر العلوم الأخرى.

(١) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ٩٥.

(٢) المرجع السابق ص ٩٥.

أما وعظه فكان يخرج ليلة كل جمعة، ويعظ الناس فيها، وكان يحضر مجلس وعظه خلق كثير رجالا ونساء، وكان يخرج إلى الآفاق القريبة والبلدان المجاورة للإفادة والوعظ أيما ثم يرجع إلى بلده^(١).

٢- التأليف والتصنيف:

للشيخ عثمان بن فودي مؤلفات عدة في فنون مختلفة كما سبق أن ذكرت، والذي يعيننا في هذا الصدد بعض كتبه التي تناول فيها موضوعات تتعلق بتوحيد الألوهية وتقريره، ومحاربة الانحراف فيه.

ومن أمثلة ذلك كتابه "سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان"، وقد خصص الفصل الثالث فيه بيان حكم جهاد أقوام ينطقون بكلمتي الشهادة ولا يعلمون شيئا

عن أعمال الإسلام، كما أفرد الفصل الرابع فيه بيان حكم جهاد أقوام ينطقون بكلمتي الشهادة ويعملون أعمال الإسلام لكنهم يخلطونها بأعمال الكفر^(٢).
ومن الكتب التي تطرق الشيخ فيها إلى مسائل توحيد الألوهية كتاب بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية، وكتاب نور الأبواب، وكتاب إخماد البدعة وإحياء السنة.

٣- المناظرات والمناقشات:

لقد فضّل الشيخ عثمان بن فودي- في بداية دعوته- الدخول مع بعض علماء بلاد الهوسا في مجادلات ومحاورات علمية بهدف تركيز القواعد الإيمانية في أوساط العامة، وعدم خلق بلبلة عقدية في أذهان الناس وإلهائهم بالقضايا الكلامية، وفي نفس الوقت الذي يؤكد فيه الشيخ عثمان بن فودي وأتباعه من الطلبة على ضرورة قبول عقيدة العوام والتسليم بظاهر الشرع في مسائل التوحيد، فرض الشيخ على نفسه وعلى طلابه وجوب رفع الجهل عن العامة

(١) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ١٠٤.

(٢) أبرز مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي والقضايا التي تناولتها للدكتور زين العابدين عبد الحميد السراج، (ضمن بحوث الندوة العالمية ص ٣٦٩).

وتعليمهم المبادئ الإسلامية، والخروج بهم من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام، وتربيتهم خلقيا وروحيا بهدف تكوين المجتمع الإسلامي السليم.

ولم تنحصر هذه المناظرات والمناقشات في محيط الشيخ ومخالفيه من العلماء فقط بل تعدته وشملت الحوار بين الشيخ وطلابه؛ وذلك لمعالجة بعض المفاهيم الخاطئة التي علقت بأذهان الكثير من الطلبة وخاصة تلك التي تتعلق بمسائل التوحيد وماهية الدين^(١).

٤- إنشاء الجمعية أو الجماعة:

إن الجماعة أداة تنفيذية في الإسلام؛ لذا اهتم بتكوينها الشيخ عثمان بن فودي في بداية دعوته حينما صار له صيت عظيم في الآفاق بوعظه ودروسه، وصار يقصده الأقربون، ويكاتبه الأبعدون، فتكونت من المستمعين لوعظه هيئة منتظمة سماهم الجماعة، وهؤلاء هم الذين صاروا له أنصارا في دعوته الإصلاحية^(٢).

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري: "أول جماعة إسلامية في بلاد هوسا هي جماعة السنة التي أنشأها الشيخ عثمان بن فودي من تلاميذه في التعليم والإرشاد ومن مريديه في الطريقة الصوفية عام ١٨٠٢م"^(٣).

وقد ظهرت جماعة الشيخ كجماعة ذات أهداف اجتماعية وسياسية تهدف إلى إصلاح المجتمع في بلاد الهوسا وما حولها، وكانت المواضيع الأساسية التي تركزت عليها الدعوة في فترة تكوين الجماعة هي معالجة قضايا الإيمان والكفر ومحاربة البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية، كما يدل على ذلك أحد عناوين كتبه العديدة التي تناقش هذه القضايا المهمة أو ما أسماه هو شخصيا بعلم السنة والبدعة^(٤).

ب- أهم مسائل توحيد الألوهية التي قررها ودافع عنها:

(٢) حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي: الاستراتيجية- المنهجية- الأهداف، (ضمن بحوث الندوة العالمية ص ٢٠-٢١).

(٣) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ١٠٥.

(١) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص ٧٧.

(٢) انظر: حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي: الاستراتيجية- المنهجية- الأهداف،

سلك الشيخ عثمان طريق التوضيح والتبيين للأمور التي قد تُرجع المسلم إلى الشرك والكفر من الأعمال التي يتعاطاها الناس في مجتمعه باسم العادات والتقاليد؛ ولذلك قد لا نجد في كثير من كتبه ذكر أنواع العبادة وتعريفها، وإنما نجده يصرح بحكم كل من العادات الجاهلية والتقاليد البدائية الممقوتة المنتشرة في مجتمعه مع إيراد الأدلة من الكتاب والسنة وكلام السلف على تحريمها. وهذا هو الأسلوب الذي اتبعه في كتابه إخماد البدعة وإحياء السنة، وكتاب بيان البدعة الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية وغيرها من كتبه.

ومن المسائل التي تطرق لها الشيخ عثمان بن فودي:

١ - التبرك:

قال في بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في باب الجنائز والمقابر: "ومن ذلك اتخاذ المسجد عند القبر للتبرك بالصلاة فيه وهو بدعة مكروهة وقيل جائزة والصواب الأول"^(١).

قلت: بادئ ذي بدء لا بد لنا من تحقيق القول في إطلاق الكراهية على بعض البدع؛ لأن هذا كثير في كلام الشيخ عثمان بن فودي. يقول الإمام الشاطبي: "فإن إثبات قسم الكراهة في البدع على الحقيقة مما ينظر فيه، فلا يغتر المغتر بإطلاق المتقدمين من الفقهاء لفظ المكروه على بعض البدع، وإنما حقيقة المسألة أن البدع ليست على رتبة واحدة في الذم، وأما تعيين الكراهة التي معناها نفي إثم فاعلها وارتفاع الحرج البتة، فهذا مما لا يكاد يوجد عليه دليل من الشرع ولا من كلام الأئمة على الخصوص"^(٢)، وهذا هو الظاهر في طريقة الشيخ عثمان في الحكم على بعض البدع، فكثيرا ما يطلق الكراهة على بدع تكاد تصل إلى حد الشرك، وربما هذا تساهل منه أو الاغترار بإطلاق المتقدمين من الفقهاء كما قال الإمام الشاطبي.

والحقيقة أن العلماء إذا أطلقوا الكراهية في الأمور المنهي عنها لا يعنون بها كراهة التنزيه فقط، فإنه إذا دل الدليل في جميع البدع على أنها ضلالة فمن أين يعد فيها ما هو مكروه كراهية التنزيه؟ والحاصل أن النسبة بين المكروه من الأعمال وبين أدنى البدع بعيد الملتمس"^(٣).

(٣) بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية ص ١٧ مطابع أحباب - كادونا نيجيريا، وإخماد البدعة وإحياء السنة ص ١٢٦ مطبعة الزاوية التيجانية - القاهرة ١٣٧٧هـ.

(١) الاعتصام للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي ص ٣٤٤، علق عليه محمود طعمه حلبي ط الثانية ١٤٢٠هـ دار المعرفة - بيروت.

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٨.

وعلى هذا فلا يقول أحد بجواز اتخاذ المساجد عند القبور إلا المبتدع، فاتخاذ القبور مساجد بدعة ومن وسائل الشرك، وإذا أضاف إلى ذلك قصد التبرك بالصلاة في تلك البقعة فقد وقع في محذورين وذنبه إذن أغلظ، فالقضية حماية جناب التوحيد، وسد ذرائع الشرك، فلا تساهل فيها^(١).

وقال في موضع آخر في بيان ما أحدث من البدع عند قبر النبي - صلى الله عليه وسلم أثناء زيارة المسجد النبوي: "وكذلك مسحهم أيضا بالبناء، ويلقون إليه مناديلهم وثيابهم، وذلك كله من البدع المكروهة؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له - عليه السلام، وما كانت عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب"^(٢).

٢- الذبح:

قال في مسألة الذبح: "ومما أحدثوه في باب الذبح تخصيص بعض سور القرآن بأنه يذبح له لكن على سبيل الشكر لا على سبيل الشرك، وهو بدعة مكروهة"^(٣).

قلت: تقول اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية في الإجابة عن سؤال وجه لها، ونص السؤال: "هل تجوز الوليمة بمناسبة ختم القرآن؟"، والإجابة: "... أما الوليمة أو الاحتفال بمناسبة ختم القرآن فلم يعرف عنه - صلى الله عليه وسلم - ولا عن أحد من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ولو فعلوه لنقل إلينا كسائر أحكام الشريعة، فكانت الوليمة أو الاحتفال من أجل ختم القرآن الكريم بدعة محدثة، وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٤)، وقال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٥)^(٦).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١/٤٠٤ - ٤٠٥، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، ط/الثالثة ١٤١٩هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض.

(١) بيان البدع ص ٢٣، وإخماد البدعة ص ١٤٨، ونور الألباب ص ١٦ مطابع أحباب - كادونا نيجيريا.

(٢) بيان البدع ص ٢٣، وإخماد البدعة ص ١٥٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الصلح - باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود - ص ٢١٤ برقم (٢٦٩٧) عن عائشة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الأقضية - باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور - ص ٩٨٢ برقم (١٧١٨) عن عائشة.

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/٤٨٨ من الفتوى رقم (٤٠٢٩).

فإذا كان لم يشرع الاحتفال أو الوليمة عند ختم القرآن الكريم بكامله فكيف يشرع الذبح لأجل قراءة بعض سور منه، فالواجب الوقوف عند حد الشرع، والخير كل الخير فيما أمر به محمد - صلى الله عليه وسلم.

وفي موضع آخر قال: "فمن أولئك المخلطين من يزعم أنه مسلم يعمل أعمال الإسلام وهو مع ذلك يعظم بعض الأشجار والأحجار بالذبح عندها والصدقة أو بصب العجين عليها، فهذا كافر لا تجري عليه أحكام الإسلام"^(١).

٣- النذر:

قال الشيخ في كلامه عن سماهم المخلطين الذين يعتبرون أنفسهم مسلمين ومع ذلك تظهر منهم أعمال تناقض الإسلام: "ومنهم من يزعم أنه مسلم يعمل أعمال الإسلام وهو مع ذلك يضع ثوبا أو طعاما أو غير ذلك على قبر الولي أو العالم أو العابد على طريق النذر، ويظن لجهله أنه يوفي نذره، وهذا أيضا كافر لا تجري عليه أحكام الإسلام"^(٢).

٤- الحلف:

قال في بيان ما أحدث من البدع في باب الأيمان: "ومما أحدثوه في باب الأيمان الحلف بالنبي والكعبة والولي ونحو ذلك، وهو بدعة محرمة وهو المشهور أو مكروهة"^(٣).

قلت: إن سر هذه المسألة أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وهذا هو الأصل، فإذا حلف شخص بغير الله فإن قام بقلبه تعظيم لمن حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله فهو شرك أكبر، وأما إذا حلف بغير الله بلسانه ولم يعتقد بقلبه تعظيم من حلف به أو ما حلف به فهو شرك أصغر، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من حلف بغير الله فقد أشرك)^(٤).

(٦) نور الألباب ص ٢-٣.

(١) نور الألباب ص ٤.

(٢) بيان البدع ص ٢٧، وإخماد البدعة ص ١٦٢.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأيمان والنذور - باب كراهية الحلف بالآباء - ص ١٤٦٧ برقم (٣٢٥١)، والترمذي في سننه - كتاب النذور والأيمان - باب ما جاء في أن من حلف بغير الله فقد أشرك - ص ١٨٠٩ برقم (١٥٣٥)، والحاكم في المستدرک ١/٦٥ عن ابن عمر، قال الترمذي: حديث حسن، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني في غاية المرام برقم (٢٥٩)، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/الثالثة ١٤٠٥ هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

فَنَهَى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الحلف بغير الله أياً كان ذلك المخلوق، والأصل في النهي التحريم، بل ثبت عنه أنه سماه شركاً كما سبق في الحديث، وحمله العلماء على الشرك الأصغر، وكونه شركاً أصغر في هذه الحالة لا يعني أن المسلم يتساهل في ذلك، فإن الشرك الأصغر أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، قال ابن مسعود رضي الله عنه:

"لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً"^(١)، وبذلك يتبين أن الحلف بالنبي والولي والكعبة وغيرها من المخلوقات محرم، وليس في المسألة سوى هذا القول عند أهل السنة والجماعة^(٢).

٥- البناء على القبور:

قال الشيخ عثمان في كلامه حول بدع الجنائز والقبور: "ومن ذلك البناء على القبر، هو بدعة مكروهة إن لم يقصد به الفخر، وإلا فهو بدعة محرمة إجماعاً"^(٣).

قلت: البناء على القبور محرم البتة؛ لأنه باب واسع يوصل إلى عبادة الأموات بالاستغاثة بهم ودعائهم وخوفهم ورجائهم، وسواء كان البناء على القبر يقصد به الفخر أو غير الفخر فإنه محرم سداً لذرائع الشرك وحمايةً لجناب التوحيد^(٤).

٦- الرقى والتمايم:

وفي ذلك قال: "ومما أحدثوه في باب التعالج والرقى التداوي بالنجاسة كالميتة ونحوها، وهو بدعة محرمة على الإجماع إن كان في بطن الجسم وعلى المشهور إن كان في ظاهره، ومن

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨٣/٩ برقم (٨٩٠٢)، المعجم الكبير تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط/ الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، مكتبة العلوم والحكم - الموصل. وابن أبي شيبه في المصنف ٧٩/٣، المصنف في الأحاديث والآثار تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط/ الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد - الرياض عن عبد الله بن مسعود، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٩٥٣)، صحيح الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الدين الألباني، ط/ الخامسة، مكتبة المعارف - الرياض.

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ١/٣٤٠ - ٣٤٢، فتوى رقم (٨٩٠٢).

(٣) إجماع البدعة ص ١٢٥.

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ١/٣٩٨ - ٤٠٠، فتوى رقم (١٦٤٤).

ذلك التداوي بكلام أعجمي لا يعرف وهو بدعة محرمة على مذهب مالك، ومن ذلك التداوي بالعقد وهو بدعة مكروهة"^(١).

قلت: مما يحرم على المرء المسلم الانتفاع به الأشياء النجسة كالميتة، فلا يصح التداوي بمحرم؛ لأنه لا يوجد في المحرم شفاء لحديث: (إن الله خلق الداء والدواء فتداؤوا ولا تتداؤوا بحرام)^(٢)، ولقول ابن مسعود: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)^(٣)، وعلى هذا، فالتداوي بالنجاسة حرام سواء استعمل الدواء في داخل الجسم أو على ظاهره^(٤). وكذلك التداوي والرقية بكلام أعجمي لا يفهم معناه فإنه محرم خشية أن يكون شركاً، لما ثبت من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم: (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)^{(٥)(٦)}. أما التداوي بالعقد وهو خيط ينظم فيه الخرز ونحوه يحيط بالعنق أو يربط بأي عضو من أعضاء الشخص، فإن كان من غير القرآن فهو محرم إجماعاً، بل شرك؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم: (من علق تيممة فقد أشرك)^(٧)، وإن كان ما علقه من آيات القرآن فالصحيح أنه ممنوع أيضاً^(٨).

٧- التطير:

يقول الشيخ في بيان حكم بعض العادات التي تعد من التطير: "فإن قلت: ما حكم ما يفعله بعض النساء من جعل السكين التي قطعت بها سرّة المولود عند رأسه ما دامت أمه

(٥) بيان البدع الشيطانية ص ٤٣.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٥٤/٢٤ برقم (٦٤٩) عن أم الدرداء، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً- كتاب الأشربة- باب شراب الحلواء والعسل- ص ٤٨١.

(٣) انظر: الفتاوى المتعلقة بالطب وأحكام المرضى ١/١٩٨، إشراف الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ط/ الأولى ١٤٢٤ هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب السلام- باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك- ص ١٠٦٨، برقم (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي.

(٥) انظر: الفتاوى المتعلقة بالطب وأحكام المرضى ١/٤٠١.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/١٩٣ عن عقبه بن عامر، مسند الإمام أحمد بن حنبل رقمه محمد عبد السلام عبد الشافي ط/ الأولى ١٤١٣ هـ دار الكتب العلمية- بيروت. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٢)،

السلسلة الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف- الرياض.

(٧) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ١/٢٤٤-٢٤٥.

جالسة عند رأسه، فإذا قامت حملته معها، تفعل هذا مدة أربعين يوما، وتفعل ذلك لثلا يصيبه شيء من الجن؛ قلت: إنه بدعة مكروهة"^(١).

قلت: هذه الفعلة من التطير، وهو محرم، ولا خلاف في ذلك بين علماء أهل السنة والجماعة، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله معلقا على هذا الباب: "ولما كانت الطيرة بابا من الشرك منافيا للتوحيد أو لكماله؛ لأنها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته ذكره المصنف في كتاب التوحيد تحذيرا منها وإرشادا إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله، وأعلم أن من كان معتنيا بها قابلا بما كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوسواس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، فالواجب على العبد التوكل على الله ومتابعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن يمضي لشأنه لا يردده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك"^(٢).

٨- الخضوع:

قال في بيان بعض العادات المخالفة للشريعة الإسلامية في باب التحية والسلام: "ومن ذلك في السلام: الانحناء عند ذلك، وهو بدعة محرمة إجماعا، إذا صدق عليه أنه ركوع شرعا، وإلا فهو بدعة مكروهة"، ثم قال: "وفي المدخل"^(٣)، قد روى الترمذي عن أنس قال: سمعت رجلا يقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له؟ فقال: (لا) الحديث"^(٤)"^(٥).

(٨) بيان البدع الشيطانية ص ٢٤.

(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٣١٧.

(٢) أي المدخل لابن الحاج.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه - أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله - باب ما جاء في المصافحة - ص ١٩٢٦ برقم

(٢٧٢٨)، وأحمد في مسنده ١٩٨/٣ عن أنس بن مالك، وقال الترمذي: حديث حسن، والحديث بكامله: عن

أنس بن مالك قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: (لا)، قال:

أفيلتزمه ويقبله؟ قال: (لا)، قال: أفأخذ بيده ويصافحه؟ قال: (نعم).

(٤) إخماد البدعة وإحياء السنة ص ٢١٨.

قلت: الانحناء عند التحية محرم سواء وصل إلى الحد الذي يطلق عليه الركوع شرعا أم لم يصل إليه، تقول اللجنة الدائمة في إجابتها لسؤال وجه إليها: "لا يجوز الانحناء تحية للمسلم ولا للكافر لا بالجزء الأعلى من البدن ولا بالرأس؛ لأن الانحناء تحية عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده"^(١).

ما يؤخذ على الشيخ عثمان بن فودي:

(أ) كان ابن فودي أشعري العقيدة، قادري الطريقة^(٢).

وفي كونه أشعري العقيدة فقد قال عنه ابنه محمد بلو^(٣) في ذكر ما يحدث الناس به في فن أصول الدين: "العالم حادث وصانعه الله تعالى واجب الوجود، قدس لا أول له، مخالف للحوادث، ما هو بجرم ولا صفة للجرم، ولا جهة له ولا مكان، بل هو كما كان في الأزل قبل العالم، غني عن المحل والمخصص واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، قادر بقدرته، مرید بإرادته، عالم بعلم، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مختار في فعله وتركه، والكمال الإلهي كله واجب له، والنقص الذي هو ضد هذا الكمال الإلهي مستحيل عليه"^(٤).

أما كونه قادري الطريقة فقد كتب عن نفسه في رسالة سماها "ولما بلغت ستا وثلاثين"، أودع فيها بيان الجذب الإلهي الذي حصل له، وبيان تلقيه الورد الخاص به.

يقول عن نفسه: "لما بلغت ستا وثلاثين سنة كشف الله الغطاء عن بصري، والوقر عن سمعي، والصحاء عن ذوقي، والطبي عن يدي، والثبات عن رجلي، والثقل عن بدني، وكنت أنظر للبعيد كالقريب... فوجدت في خامس أضلعي من جنب الأيمن مكتوبا فيها الحمد لله رب العالمين عشر مرات، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم عشر مرات، أستغفر الله العظيم عشر مرات، بقلم القدرة، وكنت أتعجب من ذلك... ثم أتاني

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/٢٣٣ - ٢٣٤ فتوى رقم (٥٣١٣).

(٢) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ١٠١.

(٣) هو محمد بلو بن عثمان بن محمد بن فودي، ولد سنة ١١٩٥هـ، وتربى في بيت العلم بين والده الشيخ عثمان وعمه عبد الله بن فودي، تولى خلافة الدولة الصكتية بعد وفاة والده وكانت مدة خلافته ٢١ سنة، له عدة مؤلفات منها: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، الإنصاف في ذكر مسائل الخلاف، تنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة، توفي في مدينة (برنو) سنة ١٢٥٣هـ وعمره ٥٨ سنة. انظر: إنفاق الميسور ص ٢١، محمد بلو الشاعر (ضمن سلسلة بحوث الندوة ص ٣٥٥).

(٤) إنفاق الميسور ص ٧٤.

غوث الثقلين سيدي عبد القادر الجيلاني بثوب أخضر مطرز بلا إله إلا الله محمد رسول الله -
صلى الله عليه وسلم" (١).

(ب) يعتقد الشيخ عثمان بن فودي في التوسل بالنبي - صلى الله عليه وسلم والولي،
وقد اتضح ذلك جليا في دعائه الذي يتكرر بعد ذكر كل بدعة من البدع المنتشرة في مجتمعه
وإرشاد الأمة إلى السنة في ذلك، في كتابه "إخماد البدعة وإحياء السنة" حيث يقول: "اللهم
وقفنا لاتباع سنة نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - بجاهه عندك" (٢).

كما له في قصائده توسلات كثيرة جدا بالنبي - صلى الله عليه وسلم، والصحابة،
والأولياء، وقد عرب أخوه عبد الله قصيدة أعجمية نظمها في التوسل بالشيخ عبد القادر، وهي
في أربعين بيتا جاء فيها (٣):

يا رب عالم باطن كالظاهر	أحب الذي يدعو بعبد القادر
بركات أحمد في بلاد الله قد	عمت وجمت عند عبد القادر
يا رب يا متفضلا لعباده	صلي بفضلك عند عبد القادر
إن المسيء لدى الأكارب يلتحي	فلجأت عند الشيخ عبد القادر
ما كنت أهلا إن أجاب أحب لكو	ن وسيلتي درجات عبد القادر
عربت ما لأخي وشيخي عجمة	متوسلين معا بعبد القادر

(د) فسر الشيخ عثمان مقام الإحسان المذكور في بعض الآيات القرآنية وفي حديث
جبريل حينما سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن معنى الإحسان فأجابه، فسره بالتصوف.
يقول تحت عنوان (السنة في التصوف):

"أما طريق السنة المحمدية في باب الإحسان الذي هو باب التصوف، فهو أن يقتدي
كل واحد بما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعل فيه، ومن طريق سنته - صلى الله عليه
وسلم - عدم غفلة العبد في كل عبادته حتى كأنه يرى مولاه، لقوله - كما في صحيح البخاري
في جواب ما الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

(١) رسالة بعنوان: (ولما بلغت) للشيخ عثمان بن فودي ص ١ (مخطوط).

(٢) انظر مثلا: إخماد البدعة ص ٣٦، وثيقة الإخوان ص ٧.

(٣) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ١٠١.

ومن طريق سنته - صلى الله عليه وسلم: مراقبة الله بفعل الفرائض والنوافل... ومن طريق سنته - صلى الله عليه وسلم: مراقبة الله بترك المحرمات، كبيرها وصغيرها، وترك المكروهات...^(١).

التعليق:

قلت: ومع احترامي وتقديري لجهود الشيخ عثمان في سبيل الدعوة إلى الله ومحاربة البدع فإن هذه النقاط المذكورة تعتبر من المآخذ عليه؛ إذ قد اشتبه عليه الحق في تلك المسائل؛ لذا أحببت أن أوضح منهج السلف الصالح في المسائل راجياً أن يكون فيها خير الإسلام والمسلمين فأقول مستعيناً بالله:

أولاً: إن جميع ما ورد في رسالة "لما بلغت ستاً وثلاثين" خرافات وخزعבלات لا يمكن صدورها إلا من أصحاب العقائد الباطنية الهدامة.

فقد ادعى الشيخ أنه أخذ أوراده عن طريق الجذب، ومعنى الجذب عند الصوفية: حال من أحوال النفس يغيب فيها القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق، ويتصل فيها بالعالم العلوي، وهو ما يسميه بعضهم بالوجد^(٢).

فاجتماع أحد كائنا من كان مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام ونبي الله يوسف وعبد القادر الجيلاني^(٣) بعد وفاتهم، وإلباسهم إياه الثوب والعمامة وتلقيه أورادا خاصة به يتعبد الله بها وينشرها بين الناس، فحصول هذه الأمور لا يشك مؤمن في بطلانه؛ لأنها من باب الزيادة في الدين، وقد اكتمل هذا الدين الحنيف قبل موت الرسول - صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

(١) إخماد البدعة ص ٢٣٠.

(٢) انظر: المعجم الوسيط ١/١١٢، ودراسات في التصوف تأليف إحسان إلهي ظهير ص ١٦٧، ط/الأولى ١٤٠٩هـ، إدارة ترجمان السنة-لاهور باكستان.

(٣) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسيني أبو محمد محي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي، مؤسس الطريقة القادرية، ولد في جيلان وراء طبرستان سنة ٤٧١هـ، ثم انتقل إلى بغداد سنة ٤٨٨هـ، من أهم مصنفاة: (الغنية لطالب طريق الحق)، و(الفتح الرباني)، و(فتوح الغيب)، و(الفيوضات الربانية)، توفي ببغداد سنة ٥٦١هـ. انظر: الأعلام ٤/٤٧.

وليس من باب الكرامة؛ لأن الكرامة أمر خارق للعادة لا يخالف النصوص الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة.

والحاصل أن الشيطان يتمثل لعباد الله الصالحين ويحاول إضلالهم لكن ذلك يرد بالعلم الشرعي والبصيرة في الدين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله: "والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه إما النبي - صلى الله عليه وسلم - وإما غيره من الأنبياء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم، ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي وعانقه هو وصاحبه، ومنهم من يخيل إليه أنه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة أيام وإلى مكان بعيد، وهذا وأمثاله أعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عددا كثيرا، وقد حدثني بما وقع له في ذلك وبما أخبر به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضوع بذكرهم، وهذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى والمشركين، لكن كثيرا من الناس يكذب بهذا، وكثير منهم إذا صدق به يظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصاحبه ودينه ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضلله الشيطان، ومن كان أقل علما قال له ما يعلم أنه مخالف للشرعية خلافا ظاهرا، ومن عنده علم منها لا يقول له ما يعلم أنه مخالف للشرعية ولا مفيدا فائدة في دينه، بل يضلّه عن بعض ما كان يعرفه، فإن هذا فعل الشياطين، وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئا فالذي خسره من دينه أكثر"^(١).

ثم وصف الشيخ عبد القادر الجيلاني بـ(غوث الثقلين) شرك في الألوهية والربوبية معا؛ لما في ذلك من اعتقاد بأن هناك من يستغاث به غير الله سبحانه وتعالى، مع أن الاستغاثة نوع من أنواع العبادة التي لا ينبغي صرفها إلا لله؛ فإنها من حقوقه الخاصة، لا يستحقها غيره سبحانه وتعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) رحمه الله: "فأما لفظ الغوث والغيث فلا يستحقه

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٣٩١/٢٧ - ٣٩٢.

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الإمام العلامة الحافظ الحجة فريد العصر بحر العلوم تقي الدين أبو العباس الحراني ثم الدمشقي، ولد بجران سنة ٦٦١ هـ وقدم دمشق مع والده، كان إماما

إلا الله فهو غياث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره تعالى، لا بملك مقرب ولا بنبي مرسل" (١).

ثانياً: أما مسألة التوسل، فالتوسل بالنبي أو الولي يحتمل أنواعاً من التوسل الممنوع، ويختلف الحكم باختلاف هذه الأنواع، وبيان ذلك كالتالي:

النوع الأول: أن يتوسل الإنسان إلى الله في دعائه بجاه نبي أو حرمة أو بركته أو بجاه غيره من الصالحين أو حرمة أو بركته، فيقول مثلاً: (اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو حرمة أو بركته أن تعطيني مالا وولداً)، فحكم هذا النوع أنه بدعة من جهة؛ لأن التوسل بالجاه والحرمة ونحوهما في الدعاء لم ينقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم، والعبادة توقيفية، ولم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - ولا عن الصحابة ما يدل على هذا النوع من التوسل، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (٢)(٣).

ومن جهة أخرى فإن هذا النوع من التوسل حكمه شرك أصغر ووسيلة من الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر؛ وذلك لما فيه من اعتقاد الداعي بأن الله تعالى جعل التوسل بجاه المخلوق سبباً لنيل المطلوب أو دفع المرهوب، مع أن الله لم يجعله سبباً؛ فكل من أثبت سبباً لم يجعله الله سبباً شرعياً ولا قدرياً فقد جعل نفسه شريكاً مع الله (٤).

متبحراً في علوم الديانة صحيح الذهن سريع الإدراك كثير المحاسن موصوفاً بفرط الشجاعة والكرم، فارغاً عن شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة له في غير نشر العلم وتدريبه والعمل بمقتضاه، صنف التصانيف البديعة، توفي معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ وشيعه أمة لا يحصون عدداً رحمه الله وغفر له.

انظر: تذكرة الحفاظ ٤/١٤٩٦، شذرات الذهب ٦/٨٠، معجم الذهبي ١/٢٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/٤٣٧.

(٣) سبق تخرجه ص ٤٣.

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش ١/٥٠٥ - ٥٠٦، الفتوى رقم (٢٩٦١).

(١) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد باب من الشرك لبس الحلقة (ضمن مجموعة من رسائل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٢٤-٢٥)، القول المفيد على كتاب التوحيد ١/١٦٤ - ١٦٥.

النوع الثاني: أن يتوسل الداعي بذات نبي من أنبياء الله أو أحد الصالحين، يقصد به الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ وذلك بجعل واسطة بينه وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، فحكم هذا النوع أنه شرك أكبر؛ وذلك لما يأتي:

١- أن الداعي جعل ما ليس بسبب سببا مع اعتقاد أن هذا السبب يستقل بالتأثير بدون مشيئة الله تعالى، كحال المشركين الأوثال الذين بعث فيهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وعباد الأصنام الذين يعتقدون أنها تنفع وتضر استقلالا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما إذا لم نتوسل إليه سبحانه بدعائهم - أي الأنبياء والصالحين - ولا بأعمالنا، ولكن توسلنا بنفس ذواتهم، لم يكن نفس ذواتهم سببا يقتضي إجابة دعائنا، فكنا متوسلين بغير وسيلة؛ ولهذا لم يكن هذا منقولا عن النبي - صلى الله عليه وسلم- نقلا صحيحا، ولا مشهورا عن السلف"^(١).

٢- أن الله جل وعلا أنزل كتبه وأرسل رسله لإبطال هذا التوسل والتحذير منه، قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۗ ﴾ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحذُورًا ﴿٥٧﴾ (الإسراء: ٥٦، ٥٧).

٣- ما في هذا النوع من التوسل من الدعاء الصريح لغير الله، ودعاء غير الله شرك أكبر، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٧)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴾ (الأحقاف: ٥).

(٢) مجموع الفتاوى ١/٣٣٧.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "... لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور... الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سببا إلا أن تكون مشروعة؛ فإن العبادات مبناها على التوقيف، فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره، وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه"^(١).

النوع الثالث: أن يتوسل العبد إلى الله ويسأل حاجته مقسما على الله بنبي أو ولي أو بحق نبي أو ولي، ويقول مثلا: اللهم إني أقسمت عليك بفلان أو بحق فلان أن تقضي حاجتي. فالإقسام بالمخلوق على الله محرم؛ وذلك لما يأتي:

١- ما ورد من الأدلة الدالة على أن الحلف بالمخلوق شرك، فيكون الإقسام بالمخلوق على الله جل وعلا على سبيل التوسل أشد تحريما؛ لما فيه من التقرب إلى الله تعالى بالشرك به^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكل ما كان واجبا أو مستحبا في العبادات والأدعية فلا بد أن يشرعه النبي - صلى الله عليه وسلم - لأمته، فإذا لم يشرع هذا لأمته لم يكن واجبا ولا مستحبا، ولا يكون قرينة وطاعة، ولا سببا لإجابة الدعاء"^(٣).

٢- أنه لا حق لمخلوق على الخالق بمجرد طاعته له سبحانه وتعالى حتى يقسم به على الله أو يتوسل به^(٤).

ثالثا: أما تفسير كلمة الإحسان بأن المقصود بها التصوف فلم يفسرها أحد من علماء السلف - فيما أعلم - بهذا المعنى، وإنما فسروه بإتقان العبادة بإخلاصها لله تعالى والخشوع فيها.

(١) مجموع الفتاوى ١/١٣٧.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٢٩، ط/الرابعة ١٣٩١هـ، المكتب الإسلامي - بيروت، التجانية ص ١٦٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١/٢٨٧.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١/٥٠٠، الفتوى رقم (١٣٢٨).

قال الشوكاني^(١) رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (لقمان: ٢٢)، قال: " وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ في أعماله، لأن العبادة من غير إحسان لها ولا معرفة بما يحتاج إليه فيها لا تقع بالموقع الذي تقع به عبادة المحسنين"^(٢).

وقال الإمام ابن كثير^(٣) رحمه الله في تفسير الآية السابقة: " وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي في عمله باتباع ما به أمر، وترك ما عنه نهي"^(٤).

ويقول الحافظ ابن حجر^(٥) رحمه الله في شرحه لحديث جبريل الذي سأل فيه النبي - صلى الله عليه وسلم عن الإحسان^(٦):

"قوله: الإحسان هو مصدر، تقول: أَحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسَانًا، ويتعدى بنفسه وبغيره، تقول: أَحْسَنْتُ كَذَا إِذَا أَتَقَنَنْتَهُ، وَأَحْسَنْتُ إِلَى فُلَانٍ إِذَا أَوْصَلْتَ إِلَيْهِ النِّفْعَ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَادُ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ إِتْقَانَ الْعِبَادَةِ، وَقَدْ يَلْحِظُ الثَّانِي بِأَنَّ الْمَخْلُصَ مِثْلًا مُحْسِنًا بِإِخْلَاصِهِ إِلَى نَفْسِهِ،

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني الحافظ العلامة الشهير بالشوكاني، له مؤلفات كثيرة جدا منها فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ.
انظر: كشف الظنون ٦/٣٦٥، معجم المؤلفين ١١/٥٣.

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٤/٣٠١، تصحيح أحمد عبد السلام دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) هو الإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي أبو الغداء، حافظ مؤرخ فقيه مفسر، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة ٧٠١هـ وتوفي في دمشق سنة ٧٧٤هـ.
انظر: الأعلام ١/٣٢٠، طبقات الحفاظ ١/٥٣٤، ذيل تذكرة الحفاظ ١/٥٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٣/٢٢٠٢، ط الخامسة ١٤٢١هـ مكتبة دار السلام - الرياض.

(٦) هو الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الأصل، ثم المصري الشافعي، كان إماما في الحديث وعلومه، وله فيه مصنفات باهرة زادت على مائة وخمسين ومعظمها في الحديث والتاريخ والأدب والفقه، توفي سنة ٨٥٢هـ.
انظر: الأعلام ١/١٧٨، معجم المؤلفين ٢/٢٠.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلم الساعة - ص ٦ برقم (٥٠)، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله... - ص ٦٨١ برقم (٩) عن أبي هريرة.

وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود، وأشار في الجواب إلى حالتين أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله: كأنك تراه أي وهو يراك، والثانية أن يستحضر أن الحق مُطَّلِع عليه، يرى كل ما يعمل، وهو قوله: فإنه يراك. وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته، وقد عبر في رواية عمارة بن القعقاع بقوله: أن تحشى الله كأنك تراه، وكذا في حديث أنس. وقال النووي: معناه إنك إنما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك، فأحسن عبادته وإن لم تره، فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك"^(١).

وقال الإمام النووي^(٢) رحمه الله في شرحه لمعنى الإحسان: "فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من

النقائص احتراماً لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سره وعلانيته"^(٣).

بل الذي تقرر في تفسير كلمة الإحسان في الآيات القرآنية وفي حديث جبريل المذكور يعارض ما ذهب إليه بعض المتصوفة بزعمهم، قال ابن حجر:
"وأقدم بعض غلاة الصوفية على تأويل الحديث بغير علم فقال: فيه إشارة إلى مقام المحو والفناء، وتقديره فإن لم تكن أي: فإن لم تصر شيئاً وفنيت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فإنك حينئذ تراه. وغفل قائل هذا- للجهل بالعربية- عن أنه لو كان المراد ما زعم

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ١/١٢٠، دار المعرفة- بيروت ١٣٧٩هـ.

(٣) هو الإمام محي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي، فقيه محدث حافظ، صاحب التصانيف النافعة، ولد في سنة ٦٣١هـ، كان أوحده زمانه في العلم والورع والعبادة، وكان لا يخاف لومة لائم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي سنة ٦٧٧هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧٠، العبر في خبر من غير ٥/٣١٢، ومعجم المؤلفين ١٣/٢٠٢.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم للإمام أبي زكرياء يحيى بن شرف بن مري النووي ١/١٥٨، ط الثانية ١٣٩٢هـ دار إحياء التراث العربي- بيروت.

لكان قوله تراه محذوف الألف؛ لأنه يصير مجزوما لكونه على زعمه جواب الشرط، ولم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف، ومن ادعى أن إثباتها في الفعل المجزوم على خلاف القياس فلا يصار إليه؛ إذ لا ضرورة هنا. وأيضا فلو كان ما ادعاه صحيحا لكان قوله: فإنه يراك ضائعا؛ لأنه لا ارتباط له بما قبله، ومما يفسد تأويله رواية كهمس فإن لفظها: فإنك إن لا تراه فإنه يراك، وكذلك في رواية سليمان التيمي فسلط النفي على الرؤية لا على الكون الذي حمل على ارتكاب التأويل المذكور، وفي رواية أبي فروة: فإن لم تره فإنه يراك، ونحوه في حديث أنس وابن عباس، وكل هذا يبطل التأويل المتقدم، والله أعلم^(١).

وختاما، إني وجدت نفسي متحيرا أمام طريقة التوفيق بين هذه الجهود التي لا تنكر في سبيل الدعوة إلى الله وجهاد أعدائه ومحاربة البدع والخرافات، وبين تلك الأقوال التي توقع قائلها في البدع والخرافات في نفس الوقت، فالمخرج الوحيد الذي أراه للشيخ حسب اطلاعي على بعض كتبه وحسب معرفتي لما بقي من آثار جهاده هو أن يعتذر له كما يعتذر كثير من العلماء والعباد، بل والأمراء فيما أحدثوه لنوع اجتهاد، فإن كثيرا "من مجتهد السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأى رأوه، وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وفي الصحيح أن الله قال: (قد فعلت)^(٢)^(٣).

وقد اعتذر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لبعض أهل الفضل والصلاح مع ما حصل منهم من الأخطاء فقال: "لكن شيوخ أهل العلم الذين لهم لسان صدق، وإن وقع في كلام بعضهم ما هو خطأ منكر، فأصل الإيمان بالله ورسوله إذا كان ثابتا، غفر لأحدهم خطأه الذي أخطأه بعد اجتهاده"^(٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١/١٢٠.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر... - ص ٦٩٩ برقم (١٢٦) عن ابن عباس.

(٢) مجموع الفتاوى ١٩١/١٩ - ١٩٢.

(٣) الصنفية تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس ١/٢٦٥، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ.

وقال معللاً عدم تأييم المجتهد إذا أخطأ في مسائل أصولية أو فرعية: "ليس كل من اجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق، ولا يستحق الوعيد إلا من ترك مأموراً أو فعل محظوراً، وهذا هو قول الفقهاء والأئمة، وهو القول المعروف عن سلف الأمة، وقول جمهور المسلمين"^(١).

ومما يُقوّي أحقية الاعتذار للشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في المسائل التي جانب الصواب فيها ما يأتي:

أ- البيئة التي نشأ فيها الشيخ، والمشايخ الذين تلقى عنهم العلم، حيث إن جميع هؤلاء المشايخ من علماء بلاده الفلانيين والهوساويين والبرناويين، وأكثرهم من مشايخ الصوفية^(٢).
ب- أنه اعتبر التصوف من باب الزيادة في التقرب إلى الله تعالى^(٣)، وقد أتى كما أتى غيره من قبل الخلل في مصادر التلقي، فأخطأ في اجتهاده.

ج- عدم وجود علماء أهل السنة الخالص الذين يمكن أن تكون بينهم وبين الشيخ مناقشات حول القضايا الاعتقادية التي أخطأ فيها حتى تقوم الحجة، ولا يحكم على من وقع في بدعة أنه من أهل الأهواء إلا إذا دافع عن ما ابتدعه، ووالى عليه وعادى عليه، وجعله قولاً يفارق به جماعة المسلمين.

يقول شيخ الإسلام: "ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يفارقون به جماعة المسلمين، يوالون عليه ويعادون، كان من نوع الخطأ، والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك، ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها، لهم مقالات قالوها باجتهاد، وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة، بخلاف من والى موافقه، وعادى مخالفه، وفرق بين جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات"^(٤).

(٤) مجموع الفتاوى ٢١٣/١٩، منهاج السنة النبوية ٩٨/٥.

(٥) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ٩٤.

(٦) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري ص ٦٦، الطبعة الأولى ١٢٩٩هـ- ١٩٧٩م، مطبعة الأمانة- القاهرة.

(١) مجموع الفتاوى ٣٤٩/٣.

د- ولو فرضنا أن الشيخ عثمان بن فودي قد جانب الصواب في أكثر مسائل الدين التي تناولها، وارتكب بدعا منكرا، لكان من الإنصاف ذكر ما له من محامد وإظهار ما عليه من مدام، وقبول ما عنده من حق، ورد ما عنده من باطل؛ إذ ذاك سبيل الأمة الوسط، وكيف فقد كثرت حسناته حيث حارب كثيرا من البدع والشركيات المنتشرة في مجتمعه في زمنه، وحاول- قدر استطاعته- إعادة المسلمين إلى التمسك بالدين الصحيح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وهو أن المؤمن يستحق وعد الله وفضله والثواب على حسناته، ويستحق العقاب على سيئاته، وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه، وما يحمد عليه وما يذم عليه، وما يحب منه وما يبغض منه"^(١).

ويقول رحمه الله في موضع آخر مؤكدا على أن هذا هو المنهج الصواب: "والصواب أن يحمد من حال كل قوم ما حمده الله ورسوله، كما جاء به الكتاب والسنة، ويذم من حال كل قوم ما ذمه الله ورسوله، كما جاء به الكتاب والسنة"^(٢).

ونحن إذ نعتذر للشيخ عثمان بن فودي فإننا لم نقل بإقراره على ما ظهر منه من البدع، ولا إباحة اتباعه على ذلك، وإنما نقول بأنه يجب الإنكار عليه فيما يسوغ إنكاره مع مراعاة الأدب في ذلك، فكل ما يؤخذ على الشيخ من أقواله في بعض المسائل التي تناولها يجب رده إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ومنهج السلف للوقوف على الصواب فيه. والله ولي التوفيق.

(٢) المرجع السابق ١١/١٦.

(٣) الاستقامة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ١/٢٢١، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة النبوية.

الفصل الثاني

الشيخ أبو بكر محمود غومي - رحمه الله

المبحث الأول

حياته الشخصية والعلمية

أ- حياته الشخصية

نسبه ومولده:

هو أبو بكر بن محمود غومي بن أحمد بن الشيخ علي بارو البدوي.
ولد في قرية (غومي) في إمارة سوكونو (ولاية سوكونو النيجيرية حاليا) في آخر جمعة من شهر
رمضان عام ١٣٤٤هـ الموافق ٧ من نوفمبر عام ١٩٢٤م^(١).

(١) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري ص ٨٤، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م،

موطنه ونشأته:

كان جده من العرب البدو الذين كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر بحثاً عن العشب لأبقارهم، وقد هاجر إلى مدينة (سوكوتو) لمواصلة عمله الذي كان يمارسه من قبل وهو تعليم الناس أمور دينهم.

نشأ الشيخ أبو بكر في كنف والده الشيخ محمود الذي كان أعلم وأشهر علماء زمانه في مدينة (سوكوتو) وما حولها؛ ولذلك غلب لقب (ملام) بمعنى معلم على اسمه الأول ولا يكاد يعرفه الناس باسمه محمود، حتى صار لا يناديه الناس من خارج بلده (غومي) إلا بـ (ملام نا غومي) أي معلم من غومي^(١).

أولاده^(٢):

تزوج الشيخ أبو بكر محمود غومي أربع زوجات، وأثمر الزواج المبارك بإنجاب تسعة وعشرين ولداً له، ذكورا وإناثاً.

فمن أولاده الذكور: حمزة، عبد القادر، عبد العزيز، حسن، يوسف، عباس، أحمد، إبراهيم، عثمان، علي، عبد الرحمن، أبو بكر. ومن الإناث: خديجة، أم الخير، عائشة، حفصة، حواء، بركة، مريم، زبيدة، أسماء، سعدية.

وقد وفق الله الشيخ أبا بكر في تربية أولاده، فلا يكاد يوجد فيهم من ليس له إلمام بالعلوم الإسلامية بالإضافة إلى تخصصاتهم في ميادين العلوم المختلفة، فمنهم أطباء، ومهندسون، ومحامون، ومحاضرون في الجامعات، وموظفون في الدوائر الحكومية، كما له أولاد في الجيش النيجيري. ففي ذلك يقول عن نفسه: "لا تكاد توجد مهنة من المهن إلا وفيها ممثل من أفراد أسرتي"^(٣).

مطابع المختار الإسلامي، وانظر: WHERE I STAND حوار مع الشيخ أبو بكر محمود غومي في سيرته أجراه

الكاتب إسماعيل تسيغا مطابع SPECTRUM - (كادونا)، نيجيريا ١٩٩٢م.

(٢) انظر: WHERE I STAND للكاتب إسماعيل تسيغا ص ٢.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٢٠٢.

(١) انظر: WHERE I STAND للكاتب إسماعيل تسيغا ص ٢٠٢.

ومن أكبر أولاده الدكتور حمزة أبو بكر غومي وهو طبيب يعمل حالياً مع وزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية، وأحمد أبو بكر غومي كان في الجيش النيجيري سابقاً، وهو الآن يحضر دكتوراه في جامعة أم القرى بمكة المكرمة وهو خليفة الشيخ بعد وفاته.

وفاته:

بعد سنوات عدة في سبيل الدعوة إلى الله عبر وسائل مختلفة، وبعد جهاد طويل في ميدان القضاء لتقرير العدل، وبعد الدخول في حرب ضروس مع أهل البدع رغبة في إخراج الناس من حلقة الظلام إلى نور القرآن توفي الشيخ أبو بكر محمود غومي في ١١ من شهر سبتمبر عام ١٩٩٢م رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

ب- حياته العلمية

طلبه للعلم:

تلقى الشيخ أبو بكر غومي تعليمه الابتدائي من والده الذي كان قاضياً في تلك القرية، وفي عام ١٩٣٣م التحق بالمدرسة الوسطى في سوكوتو حيث أخذ مبادئ الإنجليزية والعربية، وبعد تخرجه من هناك التحق بمدرسة الشريعة بمدينة كانو، مكث فيها أربع سنوات يتدرب ليتخرج قاضياً ثم رجع إلى مدينته سوكوتو عام ١٩٤٧م، وكان من الطليعة الأولى التي أنجبتها المدرسة ومن الذين أكملوا تعليمهم في معهد التربية بمدينة (بخت الرضا) بالسودان العربي الشرقي^(١).

شيوخه:

لم تكن طريقة الشيخ أبي بكر محمود غومي مثل طريقة غيره في تلقي العلم ولعل ذلك مما ميزه عن بقية المشايخ الذين أبرزت جهودهم في محاربة الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية في المجتمع النيجيري، فلم أعثر عليه قط - حسب اطلاعي - أنه تلقى العلم على يد بعض المشايخ الصوفية، بل كان أكثر دراسته نظامية.

فقد تلقى التعليم الابتدائي من والده الذي يعد من علماء البلاد والذي تولى القضاء فيما بعد في بلدته (غومي)، وعلى يديه حفظ القرآن وأخذ مبادئ اللغة العربية، ثم التحق بالمدرسة الوسطى حيث درس الإنجليزية والعربية معاً، ثم التحق بمدرسة الشريعة بمدينة (كانو)،

(١) الإسلام اليوم وغانا في نيجيريا ص ٨٤.

وحين جاء نظام الابتعاث كان ممن اختيروا للدراسة في السودان فحصل على الدبلوم من هناك^(١).

تلاميذه:

للشيخ أبي بكر محمود غومي تلاميذ كثيرون نذكر منهم: ملام إبراهيم طاهر من (كاشنه)، ملام ريان، ملام محمد دنبرني، ملام محمد إدريس من (زاريا)، العقيد عثمان جبرين، الحاج محمد علي كايثا^(٢).

أعماله ومكانته العلمية:

عمل الشيخ أبو بكر محمود غومي في مجال التعليم برهمة من الزمن ثم انتقل إلى ميدان القضاء وشغل منصب نائب قاضي قضاة الشرعيين ثم قاضي قضاة المنطقة الشمالية كلها ولقب بالقاضي الكبير.

مكث في هذا المنصب منذ عهد الاستقلال سنة ١٩٦٠م إلى عهد جنرال مرتضى محمد^(٣) سنة ١٩٧٦م حينما أحيل إلى المعاش وصار متفرغا لعمل الدعوة تحت إطار جماعة نصر الإسلام التي أنشأها السيد أحمد بللو^(٤) عام ١٩٦٤م وكانت أول جمعية دينية في شمال نيجيريا.

(٢) المرجع السابق ص ٨٤، وانظر: جريدة عكاظ العدد (٩٣٤٩) ٢٣ من شعبان ١٤١٢هـ ص ١٠، تحت عنوان "الشيخ (جومي) عالم نيجيريا: التعليم الصناعي ضرورة لتقدمنا"، أجرى الحوار: محمد عبده عداوي.

(٣) انظر: WHERE I STAND للكاتب إسماعيل تسيغا ص ١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٥٣.

(١) هو العميد مرتضى رحمة محمد الرئيس العسكري لجمهورية نيجيريا الاتحادية من شهر يوليو عام ١٩٧٥م إلى شهر فبراير عام ١٩٧٦م، قام ببرامج إصلاحية مختلفة في عهده لإصلاح الوضع الاقتصادي والأمني وتوزيع الثروات فعم الرخاء أرجاء البلاد، وضع الخطة لنقل عاصمة نيجيريا من مدينة (لاغوس) الساحلية إلى مدينة (أبوجا) في وسط البلاد، اغتيل في انقلاب عسكري في عام ١٩٧٦م رحمه الله، وكان من أفضل رؤساء نيجيريا. انظر: Encarta Encyclopedia Deluxe 2004

(٢) هو السيد الحاج أحمد بللو، من أحفاد الشيخ عثمان بن فودي، أول رئيس وزراء شمال نيجيريا، كان عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ورئيس جمعية نصر الإسلام في شمال نيجيريا، نذر نفسه لنشر الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية مضحيا بكل غال وثمين في سبيل إرضاء الله، قتل شهيدا على يد ضابط في الجيش النيجيري في ٢٤ من شهر رمضان عام ١٣٨٥هـ الموافق ١٥ من يناير عام ١٩٦٦م - رحمه الله. انظر: مجلة الأزهر العدد ١ محرم ١٤٠٨هـ / سبتمبر ١٩٨٧م، ص ٤٩ - ٥٣ بحث (سياسي موفق وداعية ناجح) الأستاذ عبد الحكم عبد القوي

وللشيخ أبي بكر غومي مؤلفات في فنون مختلفة من العلوم الإسلامية باللغتين: العربية والهوساوية، وأشهر مؤلفاته كتاب "العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة"، الذي أثار ضجة كبيرة في صفوف المشايخ المتصوفة في نيجيريا كلها، وسبب ذلك أن الشيخ غومي استهدفهم بالكتاب حيث تناول فيه بالتفصيل المسائل العقديّة التي أخطأ فيها هؤلاء الناس مثل: مفهوم الولاية والإيمان، والاعتقاد بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - ينفع ويضر بعد موته فيجوز الاستغاثة به، وأنواع البدع الأخرى التي أحدثوها في باب الذكر مثل الأوراد المحدثّة والرقص الشديد أثناء الذكر وغير ذلك.

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري في وصفه للجو المتكدر الذي أحدثه كتاب العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة بين مؤلفه الشيخ أبي بكر غومي ومشايخ الصوفية: "كان الجو كله بينه وبين العلماء هادئاً وسلاماً إلى أن أخرج كتابه المسمى العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، هجم فيه على مشايخ الطريقة القادرية والتجانية المعاصرين له في نيجيريا وانتقد ما في كتاب الفيوضات الربانية من كتب القادرية وما في جواهر المعاني من كتب التجانية واعترض على الشطحات الصوفية وكفرهم بها، فقام أولئك برد الفعل العنيف"^(١).

وفي الحقيقة كانت ردود الأفعال من قبل هؤلاء عنيفة جداً، حيث ظهر في الرد على الشيخ غومي كتاب "النصيحة الصريحة في الرد على العقيدة الصحيحة" للشيخ محمد الناصر الكبرى القادري، وكتاب "المنح الحميدة في الرد على فاسد العقيدة" للشيخ محمد الثاني ابن الحسن الكافغي، وغير ذلك من الكتب التي ألفت نتيجة غضب المشايخ المتصوفة.

ومن مؤلفات الشيخ أبي بكر غومي باللغة العربية^(٢):

- الاقتصاد في الإسلام.
- الاقتصاد العصري: المعاملة مع البنك.
- نور الإسلام.
- حل النزاع في مسألة نزول عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام.
- تفسير القرآن الكريم تحت عنوان: رد الأذهان إلى معاني القرآن.

حسن.

(١) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص ٨٥.

(٢) POLEMICAL LITERATURE FOR AND AGAINST SUFISM P:552-554

- الورد العظيم.

هذا، بالإضافة إلى قصائد عديدة باللغة العربية في موضوعات شتى، كما له ترجمة لمعاني القرآن الكريم وكتب أخرى بلغة الهوسا.

ومما فاق الشيخ أبو بكر غومي أقرانه ومعاصريه من العلماء فيه أنه أجاد وأتقن اللغة الإنجليزية التي هي اللغة الرسمية في نيجيريا إضافة إلى لغة أمه الهوساوية، وبذلك استطاع أن يوصل دعوته إلى أشرف القوم من أصحاب الثقافة الغربية، فكان له برنامج إذاعي في إذاعة (كادونا) يلقي فيه المحاضرات، كما له دروس ومحاضرات أخرى مسجلة على الأشرطة في موضوعات تمس إليها حاجة المجتمع.

يقول الباحث محمد الثاني عمر موسى^(١): "الشيخ أبو بكر محمود جومي رحمه الله، رائد الدعوة السلفية في بلاد الهوسا وما جاورها، فقد كان لدروسه في ترجمة (صحيح البخاري) إلى لغة الهوسا، التي كانت تبث في كبرى إذاعة في شمال نيجيريا، وهي إذاعة (كادونا) الفيدرالية، قد كان لها أكبر أثر في إحياء السنة المحمدية، ومحاربة بدع الصوفية التي عمت ربوع بلاد الهوسا قبل بزوغ دعوة هذا الشيخ"^(٢).

ومن أعماله الذي لا ينبغي التغافل عنه رئاسته لـ "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة"، التي تعتبر إلى الآن أكثر الجمعيات الإسلامية انتشارا ومن أشدها تمسكا بمنهج أهل السنة والجماعة إلا أن أغلب أعضائها من قبيلة الهوسا والفلاته، وهي لا تزال تعمل إلى الآن في ساحة الدعوة وتضم إلى كنفه أناسا من طبقات المجتمع المختلفة من المدنيين، والعسكريين، والعلماء، ورجال الأعمال، وأصحاب المراكز العليا في الدولة.

أما مكانته العلمية فقد بلغ درجة القاضي الكبير حينما عمل في القضاء، وكان مستشارا دينيا للسيد أحمد بللو في حياته، وكان محترما عند جميع علماء بلاد هوسا أيام أحمد،

(٣) هو محمد الثاني عمر موسى، باحث نيجيري من مدينة "كانو"، درس في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، أخذ الدكتوراه في الحديث وعلومه في الجامعة، تخرج سنة ١٤٢٦ هـ، وهو الآن في العقد الخامس من عمره.

انظر: قراءات إفريقية مجلة ثقافية متخصصة في شؤون القارة الإفريقية، العدد الأول رمضان ١٤٢٥ هـ، ص ٣٢.

(١) انظر: قضايا السنة النبوية والاهتمام بها في لغة الهوسا، بحث قدمه محمد الثاني عمر في ندوة عقدت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص ١٦.

ولما أنشئ مجلس الشورى للشؤون الدينية في شمال نيجيريا شغل الشيخ أبو بكر غومي منصب المدير العام للمجلس^(١).

وفي عام ١٩٧٦م عين مفتي البلاد الأكبر، وشارك السيد أحمد بللو في إنشاء منظمة جماعة نصر الإسلام، كما كان عضواً في المجلس الأعلى العالمي لشؤون المساجد، وعضواً في المجمع الفقهي في مكة، وعضواً في مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة، وعضواً في المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة ثلاث مرات، وعضواً مؤسساً لجامعة أحمد بللو بنيجيريا، وعضواً في مجلس كبار العلماء في نيجيريا، وعضواً مؤسساً لرابطة العالم الإسلامي، ورئيس مجلس مركز التعليم التربوي^(٢).

وبسبب قلمه الذي يجاهد به في التأليف والتصنيف على منهج أهل السنة والجماعة فقد فاز الشيخ أبو بكر غومي بجائزة الملك فيصل في خدمة الإسلام، فتشرف بالسفر إلى المملكة لتسلم الجائزة وذلك عام ١٤٠٧هـ^(٣). كما يجدر بالذكر أن السيد أحمد بللو منحه وساماً ذهبياً أمام الجماهير تكريماً له، ثم أعطته حكومة نيجيريا الفيدرالية وسام الشرف الأعلى، كل ذلك بفضل الله تعالى ثم بجهوده الجبارة في نصر السنة المحمدية ونشر العقيدة السلفية الصحيحة بكل صدق وإخلاص.

(٢) انظر: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص ٨٤-٨٥.

(٣) انظر: جريدة المسائية، عدد ٣٩٦٥ رمضان ١٤١٥هـ ص ٢، تحت عنوان (لنجاح كلمة).

(١) انظر: جريدة عكاظ، عدد ٧٥٥٩ رجب ١٤٠٧هـ ص ١٠، تحت عنوان: (جائزة الملك فيصل العالمية).

المبحث الثاني

جهوده في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه

أ- أبرز الوسائل والأساليب التي استخدمها في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه:

من بين العلماء النيجيريين الذين أبرزت جهودهم في هذا البحث يعتبر الشيخ أبو بكر محمود غومي أشدهم تمسكا بمنهج أهل السنة والجماعة في دحض البدع وتبيين ضلال المبتدعين، وقد لوحظ ذلك في كتاباته وأثناء عرضه لمسائل عقدية عبر وسائل مختلفة كالبرامج الإذاعية والمحاضرات العامة، ومما يشهد لهذا القول التهم التي ألحقت به من قبل بعض العلماء المعارضين له أنه يحدث التفرقة بين المسلمين ويتخذ منهجا سلبيا في دعوته.

وتتلخص الأساليب التي استخدمها الشيخ أبو بكر غومي في تقرير توحيد

الألوهية ومحاربة الانحراف فيه في النقاط التالية:

١- التأليف والتصنيف:

لم تكن مؤلفات الشيخ غومي كثيرة بل يمكن تعدادها بالأصابع مع أن أغلبها عبارة عن رسائل إما باللغة العربية أو الهوساوية، فكان أشهر كتبه العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة وهو أهم كتاب تناول فيه المسائل العقدية مثل: مفهوم الإيمان، ومعنى النبوة والرسالة والولاية، كما ذكر بعض البدع التي أحدثت في باب الذكر عند مشايخ الصوفية ومريديهم مثل: رفع الصوت بالذكر، والرقص الشديد عند ذلك، وشطحات أخرى يتعبد الله بها المتصوفة.

ومن أهم كتبه أيضا ترجمة القرآن الكريم إلى اللغتين: العربية والهوساوية سماها (رد الأذهان إلى معاني القرآن)، وقصده في القيام بهذه الترجمة محاولة تقريب معاني الكتاب الحكيم إلى أفهام العامة المتحدثين بلغة الهوسا، الذين يقدرون بالملايين ليس في نيجيريا وحدها بل حتى في البلدان المجاورة لها، كما يستهدف بها التحذير مما يقع فيه علماء بلده من مخالفة منهج السلف الصالح في الترجمة.

٢- التدريس وإلقاء المحاضرات:

لما أدرك الشيخ أبو بكر غومي أهمية التدريس وإلقاء المحاضرات في نشر العقيدة السلفية الصحيحة اهتم بهما كثيرا، فأخذ على نفسه العهد أن يربي الأجيال القادمة حتى ترسخ في قلوبهم العقيدة السلفية؛ ليكون ذلك سبيلا من سبل القضاء على البدع المتعددة الناتجة من خلط العادات والتقاليد الموروثة بالدين الصحيح في مجتمعه.

فقد استهدف الشيخ بالدروس شباب قومه على وجه الخصوص كما استهدف عامة الناس بالمحاضرات التي تكون في مسجده أحيانا وتُبث في إذاعة (كادونا) أحيانا أخرى. ومما أعان الشيخ على إلقاء المحاضرات في الإذاعة إجادته للغة الإنجليزية، فيستمع إلى برامج الإذاعية الطبقة المثقفة بالثقافة الغربية من المجتمع، مما أدى إلى تسجيل كثير من محاضراته في الأشرطة تباع هنا وهناك في المحلات، وهذا هو العامل الرئيسي المساعد للشيخ غومي على انضمام الكثير من جميع أصناف المجتمع النيجيري إلى الجمعية التي كان رئيسا ومرشدا لها وهي: "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة".

ومن أهم ما يذكر من دروس الشيخ غومي درسه في صحيح البخاري، يقول الباحث محمد الثاني عمر:

[وقد بدأ الشيخ أبو بكر جومي رحمه الله بإلقاء الدروس العليمية في جامع السلطان بللو الذي في ولاية (كادونا) عام ١٣٨١هـ الموافق ١٩٦١م في عهد أحمد بللو أول رئيس وزراء شمال نيجيريا رحمه الله تعالى، وكانت الدروس تُقام في عهده في أيام شهر رمضان المبارك. وفي عام ١٩٧١م زاد الشيخ على دروسه بهذا الجامع دروساً في مساء كل يوم الجمعة ويوم الأحد، ثم تحولت فيما بعد إلى يومي السبت والأحد مساءً، ومن ضمن هذه الدروس درسه في صحيح البخاري في لغة الهوسا الذي يُقام في سبت كل أسبوع من الساعة ٤،٣٠ إلى الساعة ٦،٠٠ مساءً، ويث بعد ذلك في إذاعة (كادونا).

وكان لهذا الدرس أثرٌ كبير في معالجة قضايا دينية كثيرة، فقد كان الشيخ رحمه الله يسعى جاهداً في محاولة تقريب نصوص هذا الكتاب إلى أفهام العامة، مع ربطها بواقعهم الديني واستنباط أحكام شرعية وآداب مرعية من خلال أحاديثه، والتحذير مما يقع فيه كثير من المسلمين ومنهم علماءهم من مخالفة هدي رسول الله ﷺ. وقد جذبت هذه الدروس شريحة عريضة من المجتمع، واستطاع الشيخ بفضل الله أن يخرق الحواجز التي وضعها علماء الصوفية لإقصاء أتباعهم عن سماع الحق ودعوة السنة؛ إذ أصبح هذا الدرس يدخل بيوتهم من خلال تلك الإذاعة الشهيرة الواسعة الانتشار، فكان ذلك بفضل الله تعالى عاملاً كبيراً في نجاح دعوة الشيخ رحمه الله وتحقيق انتصارات كبيرة في حربه ضد بدع الصوفية والتقاليد المخالفة لشرع الله تعالى. وما زالت هذه الدروس تُبث في تلك الإذاعة رغم رحيل الشيخ عن هذه الحياة بأكثر من إحدى عشر سنة، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (الرعد: ١٧)، وقد صدق أحد زعماء الصوفية وأكبر مُناوئي دعوة الشيخ حيث قال: " ذهب الشيخ إلى ربه، لكن شبحه ما زال يُطارِدنا " في الإشارة إلى دروسه التي استمر بثها في إذاعة كادونا الفيدرالية^(١).

(١) قضايا السنة النبوية والاهتمام بها في لغة الهوسا للباحث النيجيري محمد الثاني عمر ص ١٦-١٧.

٣- رئاسة الجمعية بالتوجيه والإرشاد:

مساندة لجهوده في نشر العقيدة السلفية الصحيحة والدعوة إليها ومحاربة البدع من جهة، ومن أجل تقوية جماعة المسلمين وحماية بيضة الإسلام من جهة أخرى وافق الشيخ أبو بكر غومي أن يكون رئيسا ومرشدا لجمعية إسلامية دعوية لما رأى أنها ستعينه هو وأنصاره على تحقيق هذه الأهداف النبيلة وذلك بعد الطلب إليه من قبل بعض الشباب الغيورين على دينهم وعلى رأسهم ملام بلا سراج، ولام إسماعيل إدريس، فأطلق الشيخ أبو بكر غومي على الجماعة: "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة"، وفي الحقيقة ليس هو صاحب فكرة إنشاء تلك الجماعة وإنما دعي لتولي رئاستها للإرشاد والتوجيه؛ إذ لا يوجد من هو أنسب منه لتولي هذا المنصب من بين علماء المنطقة الشمالية في ذلك الوقت^(١).

وقد عرف أعضاء هذه الجماعة بشدة تمسكهم بمنهج السلف الصالح في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة ومحاربة البدع والتقاليد الممقوتة، هذا بالإضافة إلى ما منحهم الله من القدرة على ضم فئات مختلفة من المجتمع في حوزة الجماعة، ويرجع ذلك إلى فضل من الله أولا ثم جهود رئيسها الجبارة في إيصال دعوته إلى من يسمون بالطبقة المثقفة في المجتمع.

٤- المناظرات والمناقشات:

من الطرق التي سلكها الشيخ أبو بكر غومي في محاربة الانحرافات وبيان المنهج الصحيح لبني قومه طريقة المناظرات والمناقشات، وقد أخذ على نفسه العهد ليبين الحق للناس لما رأى ما عليه المشايخ المتصوفة من ادعاء تلقي أدعية وأوراد خاصة بهم من النبي - صلى الله عليه وسلم - يلزمون بها مريديهم، وتعبدهم إلى الله بالرقص أثناء الذكر، وغير ذلك مما قد عرف به القوم من الخرافات والبدع.

فعزم الشيخ أبو بكر على أن يبين الحق لرؤساء الصوفية لعلمهم يدركون الصواب فيرجعون، وقد التقى بهم على طاولة المناظرة أكثر من مرة، وكان يحتج على باطلهم بحجج من كتبهم ويبين لهم الصواب بأدلة من الكتاب والسنة، لكنهم في كل هذه الملتقيات حاولوا اغتيال الشيخ والقضاء عليه عن طريق مريديهم الذين يكونون احتراماً بالغاً لمشايخهم ومستعدون للتضحية حتى بأنفسهم دفاعاً عن هؤلاء المشايخ، فقد حاولوا اغتياله أكثر من أربع مرات حتى

(١) انظر: WHERE I STAND ص ١٥٥.

تابعوه إلى مكة المكرمة في أحد أسفاره لحضور جلسة رابطة العالم الإسلامي لكن الله حفظ الشيخ أبا بكر غومي من كيد الأعداء فما استطاعوا أن يقضوا عليه، وقد أرسلت الحكومة- في فترة من الفترات- أفراد الجيش للحفاظ على الأمن في بيته واستقروا هناك لمدة ثلاثة أشهر. وكان كتابه المشهور (العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة) نتاج تلك المناظرات التي قد جرت بين الشيخ أبي بكر غومي وبعض أفراد علماء المنطقة من المتصوفة وغيرهم^(١).

٥- الكتابة في المجلة:

في أواخر عام ١٩٧٠م بدأ الشيخ أبو بكر غومي الكتابة في مجلة أسبوعية تصدر كل يوم الاثنين اسمها (*Gaskiya ta fi kwabo*) بمعنى (الصدق أثن من الدينار والدرهم)، وهي المجلة الوحيدة التي تصدر بلغة الهوسا، وهي منتشرة ولها القبول لدى الناطقين بهذه اللغة؛ ولذلك قرر الشيخ أبو بكر غومي تخصيص زاوية للكتابة في المجلة بشكل مستمر تحت عنوان (النصيحة).

وقد كان الهدف الأساسي للشيخ أبي بكر في هذا الأمر تنبيه الناس على أشياء يعملونها في حياتهم اليومية دون أن يلقوا لها بالا مع أنها مخالفة تماما لتعاليم الإسلام، وكان أكثرها مما تعود عليه الناس قبل الإسلام مثل تقديس أرواح الأسلاف، وإجلال أشياء طبيعية أخرى مثل الأنهار والأشجار والجبال؛ لاعتقاد أن لها تأثيرات في حياة الأفراد^(٢).

ب- أهم مسائل توحيد الألوهية التي قررها ودافع عنها:

وعلى الرغم من كون الشيخ أبي بكر محمود غومي أشد تمسكا بمنهج أهل السنة والجماعة من بين العلماء النيجيريين الثلاثة الذين أبرزت جهودهم في هذا البحث إلا أن مسائل توحيد الألوهية التي قررها في كتبه قليلة جدا، وذلك ناتج عن قلة مؤلفاته؛ إذ كان أشهر مؤلفاته كتاب العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، وهو الكتاب الوحيد الذي يمكن الرجوع له عند إبراز الجهود التي بذلها في تقرير توحيد الألوهية.

ولم يعن هذا القول أن الشيخ أبا بكر غومي لم يقرر التوحيد بأنواعه الثلاثة وغيره من المسائل العقديّة، بل قرر مسائل عقديّة متعددة ودافع عنها لكنه فعل ذلك عبر وسائل أخرى

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٣٨-١٤١، ١٥٢-١٥٣.

(١) انظر: WHERE I STAND ص ١٣٧.

مثل إلقاء الدروس والمحاضرات في الإذاعة والمساجد، والمناظرات والمناقشات، وغير ذلك إلا أن أكثرها لم تطبع كمراجع.

ويمكنني ذكر مسائل توحيد الألوهية التي قررها الشيخ أبو بكر غومي في النقاط التالية:

١- معنى الشهادتين وأنها أساس الدين:

قال الشيخ أبو بكر في هذا الشأن: "إنما معرفة الدين تعتمد على معرفة معنى كلمتي الشهادة وهما لا إله إلا الله محمد رسول الله. فمعنى لا إله إلا الله هو: - والله أعلم- لا معبود بحق إلا الله، ومعنى محمد رسول الله أي تلك العبادة التي لا يستحقها إلا الله لا تكون برأي وكما يجبها العابد بل هي كما يجبها المعبود؛ ولذلك أرسل رسوله محمدا ليعلمنا كيف نعبد. فكل من يريد أن يكون عابدا لله حقا فلا يسعه إلا أن يتعلم رسالة محمد- صلى الله عليه وسلم- يعمل بها في عبادة ربه الله، الإله، الواحد. وكل من عبد الله بغير ما جاء به محمد فلم يعبد الله حقيقة. قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥)، ومعلوم أنه لا يكون إسلاما إلا ما جاء به محمد- صلى الله عليه وسلم- في حال حياته الشريفة"^(١).

٢- فضائل كلمة التوحيد:

يقول الشيخ أبو بكر غومي في بيان فضائل لا إله إلا الله إذا عظم نورها في قلب المؤمن: [وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته، بحيث أنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنبا إلا أحرقه، وهذه حال الصادق في توحيدده، فسماء إيمانه قد حرس بالرجوم من الشيطان السارق، ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي- صلى الله عليه وسلم: "إن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله

(١) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة للشيخ أبي بكر محمود غومي ص ٦-٧، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع-

يتبغي بذلك وجه الله^(١)، وقوله: "لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله"^(٢)، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب^(٣).

٣- الدعاء:

من المسائل التي قررها الشيخ أبو بكر مسألة الدعاء، والطريقة التي سلكها في ذلك هي أن يذكر الانحرافات التي يقع فيها الناس مما يتعلق بالدعاء ويقرر أن هذه الأمور من البدع المذمومة وليست مما جاء به الإسلام في شيء، ثم يحلل المسألة المذكورة محتجا بأدلة نقلية وعقلية، وكثيرا ما يورد شبهات المبتدعين ويحجب عنها. مثال ذلك قوله: "ومن البدع المذمومة اتباع شيخ في باطل مع التعصب وذلك كالاتمرار على قراءة الدعاء الذي يسمونه جوهرة الكمال، بعد ما تبين أنها تخالف الشريعة عقلا ونقلا... فإن هذا الدعاء فيه غموض في المعنى وتعقيد، فلا يشابهه كلام النبوة"^(٤).

كما تحدث عما يفعله بعض المنتسبين للعلم الشرعي عند الدعاء وسؤال الحاجة حيث ينادي بأسماء الجن أو الملائكة أو يدعو بأدعية لا يعرف معناها، وقرر أن هذا كله من البدع المذمومة. يقول رحمه الله: [... وقراءة أوراد غير مفهومة المعنى وغير ذلك، فكلها من البدع المذمومة وداخله في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٢١)، ثم إن تلاوة الأسماء بدون معرفة معناها لا ينفع شيئا وهي كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٥)،... وربما تجد من يتلو أسماء لا يعرف معناها يضر نفسه بدل

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأطعمة- باب الخزيرة- ص ٤٦٦ برقم (٥٤٠١)، ومسلم في صحيحه- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر- ص ٧٨٠ برقم (١٤٩٦) كلاهما عن عتبان بن مالك.

(٣) لم يرد الحديث بهذا اللفظ وإنما الوارد اللفظ السابق.

(٤) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص ١٣، وأصله من كلام الإمام ابن القيم الجوزية في مدارج السالكين ١/٣٣٠-

(١) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص ٤٩-٥٠.

أن ينفعها، قال الله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِاللَّشْرِ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (الإسراء: ١١)، وقال مالك رحمه الله لرجل رآه يدعو بأسماء لا يعرف معناها: "وما يدريك لعلها كفر؟" ^(١) [٢].

٤- الذكر والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم:

ففي هذه المسألة قرر الشيخ أن العبادة ما أمر الله به عباده ليتبعوه به عن طريق رسوله الأمين، وأنه لا يمكن إطلاقاً أن نتبع الله بشيء أتى به أحد كائناً من كان بعد موت الرسول - صلى الله عليه وسلم - ناهيك أن يكون هذا الشيء الذي أتى به أفضل وأثقل في الميزان عند الله مما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حياته.

ثم ذكر صلاة الفاتح لما أغلق التي يفضلها المتصوفة على الصيغة المشروعة، وقرر أنها من البدع المذمومة المنتشرة في المجتمع النيجيري، يقول: [وفي الحديث لم يذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يمكن أن يأتي أحد بشيء زيادة بعده، بل نهي عن اتباع كل بدعة تحدث بعده وحذر بأنها ضلالة. فعن العرياض بن سارية قال: وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... فذكر الحديث وفيه (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) ^(٣)، ... هذا ولم يرو عن أحد من أئمة الحديث لفظ صلاة الفاتح، ولم يسنده أحد إلى النبي في حياته، ولا إلى أحد من الصحابة والتابعين وتابع التابعين. وعمل لم يؤخذ عن هؤلاء فبدعة، وكل بدعة دعت إلى ترك ما روي عن النبي في حال حياته فهي تبديل في الدين وتغيير فيه، وكل من بدل شيئاً في الدين وغيره فلا يشرب من ماء الكوثر...] ^(٤).

(٢) كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني تأليف أبي الحسن المالكي ٦٤٣/٢، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر - بيروت ١٤١٢ هـ.

(٣) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص ٥٥-٥٦.

(١) أخرجه أبو داود في سننه - أول كتاب السنة - باب في لزوم السنة ص ١٥٦١ برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في سننه -

أبواب العلم - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ص ١٩٢١ برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في سننه -

كتاب السنة - باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ص ٢٤٧٩ برقم (٤٢) عن العرياض بن سارية، وقال

الترمذي: حديث صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٧٣٥).

(٢) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص ٢١-٢٢.

الفصل الثالث

الشيخ آدم عبد الله الألوري - رحمه الله

المبحث الأول

حياته الشخصية والعلمية

أ- حياته الشخصية

نسبه ومولده:

هو آدم بن عبد الباقي بن حبيب الله بن عبد الله الأويوي الألوري النيجيري. كان عبد الباقي بن حبيب الله والد الشيخ آدم كثير الانتقال وعشيق الترحال، وقد خرج من موطنه الأصلي إلى بلدة (واسا) في جمهورية بنين، فتولى بها إمامة البلد، ولمكانة العلماء عند أهل بنين زُوج عبد الباقي بنت رئيس البلد رغبة في إسلامها، فأسلمت وحسن إسلامها وهي السيدة عائشة بنت رئيس بلدة (واسا) من قبيلة بريرة في أرض جمهورية بنين وأم الشيخ آدم عبد الله الألوري، ففي جمهورية بنين كان مولد الشيخ آدم عبد الله الألوري في عام ١٩١٧م^(١).

موطنه ونشأته:

(١) الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته تأليف الشيخ مشهود رمضان جبريل الأميري الكيتوي ص ١٣-١٥، ط/الأولى ١٤٢٥هـ، مكتبة الله نور- لاغوس نيجيريا.

كان موطن الشيخ آدم الأصلي مدينة (إلورن) في جمهورية نيجيريا الاتحادية، ذلك أن جده حبيب الله نزل من مدينة (أويو) إلى هذه المدينة حتى ولد أبوه هناك، ولما كبر أبوه رحل إلى بلدة (واسا) في جمهورية بنين مدة من الزمن ثم رجع إلى مدينة (إلورن)^(١).

نشأ الشيخ آدم تحت كنف والده في جمهورية بنين حتى ناهز ثلاثة عشر سنة من عمره قبل أن قدر الله لهم الرجوع والعودة إلى مدينة (إلورن) سيرا على الأقدام كالعادة آنذاك، ودائما يكون الشيخ آدم مع والده الذي يحب السفر ويهوى الترحال، يقول عن نفسه: "ولما استقر مقامه في (إلورن) اتحد لنفسه أستاذين يتعلم منهما: أحدهما يتعلم منه الأشعار الوعظية والمدائح النبوية وهو الشيخ مالك الأهوسا، وثانيهما يتعلم منه التفسير وكتب الحديث وهو الشيخ أحمد الهاشمي أريكيهويو، ولم يزل كذلك حتى عاقه كسب الرزق لأهله عن حضور مجالس الدرس واستأنف التجوال في البلاد اليرباوية من (إلورن)، و(أوشوبو)، و(أويو)، و(إبادن)، و(إجبو)، وكان يأخذني معه في حله وترحاله منذ نعومة أظفاري يهتم بتربيتي على أسلوب القاسي الشديد ويعلمني مما علمه الله من العلوم اللغوية والدينية إلى أن وصلنا مدينة (إبادن) عام ١٩٣٤م، وهناك أطلق سراحني لكي أذهب إلى الشيخ صالح سبط أستاذه مالك الأهوسا، وبهذا انفتح أمامي منهج جديد في الحياة غير الذي سرت عليه عند والدي رحمه الله"^(٢).

أولاده:

رزق الشيخ آدم بأولاد كثيرين ذكورا وإناثا، نذكر الكبار منهم، فمن الذكور:

- ١- رضوان الله.
- ٢- حبيب الله، مدير مركز تعليم العربي الإسلامي حاليا.
- ٣- جمال الدين، مؤسس جمعية الروضة الجمالية الإسلامية.
- ٤- محمد ثوبان، مدير مركز العلوم أوتوبو أغيني لاغوس، وخطيب مسجده الجامع.
- ٥- عبد الله المحامي.

(٢) المرجع السابق ص ١٥.

(١) رسالة بعنوان: (من هنا نشأت وهكذا تعلمت حتى تخرجت) للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ٣، لمناسبة عيد الأربعين عاما من تأسيس المركز العربي الإسلامي أغيني نيجيريا مطبعة الثقافة الإسلامية- لاغوس ١٤١١هـ.

ومن الإناث: مريم وحليمة، وغير هؤلاء كثير ذكورا وإناثا^(١).

وفاته:

ففي فجر يوم الأحد الخامس من شهر إبريل من العام ١٩٩٢م لبي الشيخ الألوري نداء ربه أثناء علاجه بأحد مستشفيات العاصمة البريطانية لندن؛ لينهي بذلك رحلة نضال استمرت قرابة خمسين عاما بعد حياة حافلة بالعطاء والكفاح والإنجازات، تغمده الله بواسع رحمته^(٢).

ب- حياته العلمية

طلبه للعلم:

قام الشيخ آدم عبد الله الألوري برحلات علمية عديدة داخل وطنه وخارجه، فكان أول من تلقى العلم على يديه والده الشيخ عبد الباقي بن حبيب الله، وهو الذي أخذ عنه الشيخ آدم مبادئ العلوم اللغوية والدينية من فجر حياته، ثم انتقل إلى مدينة (إبادن) ودرس عند الشيخ صالح بن محمد الأول الذي قد أنشأ معهدا منزليا هناك، أخذ عنه العلوم الإسلامية واستفاد من طريقتة في الوعظ والإرشاد.

وفي عام ١٩٣٥م زار الألوري لأول مرة مدينة (لاغوس) لقصص التمرين على الوعظ والإرشاد فالتقى بالشيخ عمر أحمد الإمام الأجي، وكان يراجع في كل ما يتصدى أمامه من المسائل الدينية التي لا يعرفها فبذلك صار الشيخ عمر أستاذا له يتردد إليه عندما يتواجد في مدينة (لاغوس) حتى تعلم منه الكثير من العلوم العربية والإسلامية.

ومما تجدر الإشارة أن للشيخ أستاذا من أهل شمال نيجيريا من قبيلة الهوسا وهو الشيخ آدم نمعجي الكنوي^(٣) الذي أخذ منه علوم البلاغة والعروض وغير ذلك^(٤).

وأما أساتذته من العرب، يقول عنهم: "أما أساتذتي من العرب الأقحاح فلا أستطيع إحصاءهم عددا، ومنهم من استفدت منه موضوعا كاملا من مواضيع العلوم والبحوث، ومنهم

(٢) انظر: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته ص ١٨-١٩.

(٣) مجلة "الكوثر" العدد ٦١ رمضان - شوال ١٤٢٥هـ (نوفمبر ٢٠٠٤م) ص ٥٢-٥٤، تحت عنوان: (آدم الألوري:

مناضل إفريقي من أجل التعريب).

(١) ستأتي ترجمته ص ٧٩.

(٢) انظر: رسالة (من هنا نشأت) ص ١١.

من راجعته لحل مشكلة من فصول وأبواب في كتاب أو كتب، ولما سافرت إلى مصر لازمت الشيخ محمود أبا العيون الذي كان شيخ علماء الاسكندرية ثم تولى السكرتير العام للمعاهد الأزهرية، ومنهم الشيخ شلبي يحيى، والشيخ عثمان مريزيق، ومنهم الشيخ محمود شلتوت قبل أن يتولى المشيخة وبعد توليه، ومنهم الإمام حسن البنا المرشد العام للإخوان^(١).

شيوخه:

للشيخ آدم أساتذة كثيرون من العرب ومن غير العرب نذكر منهم^(٢):

- والده الشيخ عبد الباقي بن حبيب الله^(٣). - الشيخ صالح بن محمد الأول^(٤).
- الشيخ عمر أحمد الإمام الأبي^(٥). - الشيخ آدم نمعجي الكنوي^(٦).

(٣) المرجع السابق ص ١٥.

(١) رسالة (من هنا نشأت) ص ١٥-٢.

(٢) هو عبد الباقي حبيب الله بن عبد الله، والد الشيخ آدم، من مدينة (إلورن) نيجيريا، كان كثير الترحال، وقد مكث في بلدة (واسا) - الواقعة في جمهورية بنين حاليا - مدة من الزمن، وزوجه سلطان البلدة ابنته التي صارت والدة الشيخ آدم فيما بعد، أخذ منه الشيخ آدم مبادئ العلوم الدينية واللغوية، توفي في أغيني بمدينة لاغوس عند ابنه آدم وذلك عام ١٣٧٥هـ رحمه الله. انظر: رسالة (من هنا نشأت) ص ٢-٣.

(٣) هو الشيخ صالح بن محمد الأول من حارة أيجي بمدينة إلورن، تعلم على يد جده من جهة الأم الشيخ مالك، ثم انتقل بأمر من الشيخ مالك إلى مدينة (إبادن) وأنشأ معهدا منزليا هناك، استفاد منه عدد لا يستهان به، كان الشيخ آدم يحضر دروس علمه ومجلس وعظه ومنه أخذ طريقته في الوعظ والإرشاد، توفي عام ١٩٨٥م - رحمه الله. انظر: رسالة (من هنا نشأت) ص ٥-٧.

(٤) هو عمر بن أحمد الإمام الأبي ولد في بيت علم ودين وكان والده عالما نجيبا لكنه مات وابنه عمر ما زال صغيرا، فترى على يد إخوانه وأعمامه، لما زار الشيخ آدم مدينة لاغوس أول مرة للتمرين على الوعظ والإرشاد كان يراجعه في كل ما يتصدى له من المسائل الدينية التي لا يعرفها فبذلك صار شيخا له، وكان يباهي به المشايخ أن يأتوا بمثله من تلامذتهم، حج الشيخ عمر عام ١٩٦٠م، وتولى منصب جده الإمام الأبي عام ١٩٧١م، وبقي في الإمامة حتى توفي عام ١٩٧٤م - رحمه الله. انظر: رسالة (من هنا نشأت) ص ٨-٩.

(٥) هو آدم بن محمد العربي بن آدم الكنوي الفندقكي العطار، كان أجداده من العرب المغاربة، سكنوا مدينة (كانو) حتى ولد الشيخ آدم بها، تلقى علومه من عدة مشايخ كنويين كما تلقى من عدة مشايخ عرب مغاربة، له مؤلفات يزيد على ستين كتابا من منشور ومنظوم في مختلف الفنون، وكان قادري الطريقة، توفي في مدينة (ميدغوري) عام

وله من العرب أساتذة، فيهم من استفاد منه موضوعا كاملا من مواضيع العلوم والبحوث، ومنهم من راجعه لحل مشكلة من فصول وأبواب في كتاب أو كتب، وأكثرهم مصريون؛ إذ كانت جمهورية مصر العربية أكثر دولة عربية قام الشيخ بزيارتها.

تلاميذه:

تجول الشيخ الألوري كثيرا داخل وطنه كما تغرب عنه مدة من الزمن رغبة في طلب العلم، ولما أوقف سفره وألقى عصا الترحال باشر عملية التدريس والدعوة إلى الله، فتتلمذ على يديه ألوف من الناس داخل وطنه نيجيريا وخارجه.

ومن أشهر طلبة الألوري^(١) في نيجيريا:

- الشيخ محمد راجي سليمان الإمام. - الشيخ أحمد المحلي بخاري (بابا إوو).
- الأستاذ عبد الغني صلاح الدين. - الشيخ يحيى مرتضى.
- الشيخ مصطفى زغلول السنوسي (مدير دار الدعوة والإرشاد).

وفي جمهورية بنين:

- الأستاذ أحمد الفاتح شئت ثاني الخليفة. - الشيخ ذو الكفل يوسف جبريل.
- الشيخ محمود إبراهيم أيندي بلبل المركز. - الشيخ محمد مشكور يوسف.
- الشيخ مسعود مصطفى أبو بكر المغربي.

وفي جمهورية ساحل العاج:

- الأستاذ محمد مرتضى ناصر. - الأستاذ محمد مرتضى مصطفى.
- الشيخ عبد السلام مصطفى (الشيخ المقرئ).

وفي جمهورية غانا:

- الشيخ عيسى بللو. - الأستاذ حامد إبراهيم.

١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) وهو في طريقه إلى الحج وزيارة البلدان العربية. انظر: رسالة (من هنا نشأت) ص ١١-١٣.

(١) الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته ص ٧١-٧٤.

- الشيخ إبراهيم حمدي كوفوردي.

أعماله ومكانته العلمية:

يمكننا تلخيص أهم أعمال الشيخ الألوري في النقاط التالية:

١- السعي الجاد لتوحيد صفوف مسلمي نيجيريا:

نُضت همة الشيخ الألوري فقام للعمل بنية خالصة لتوحيد صفوف العلماء علما منه أن الإصلاح للأمة يتم بوحدة العلماء وإيجاد الوئام فيما بينهم، وعمل بكل ما أعطي من الطاقة لإزالة التمييز العنصري بين مسلمي شمال نيجيريا وجنوبها.

قال في كلامه عن بعض الخطوات التي خطاها في ربط الجنوب مع الشمال: "لقد عملت أعمالا بعد أن نشرت أقوالا في تحقيق الوحدة بين الجهتين.

الخطوة الأولى: بعد اتصالي بأئمة بلاد يوربا وبعلماء وأمرء بلاد هوسا (١٩٤٩م) وقابلوا عملي بالكسل وشجاعي بالجن رجعت إلى إنشاء هذا المركز (١٩٥٢م).

الخطوة الثانية: في عام ١٩٥٨م تعاونت مع الهوساويين في إنشاء جمعية شباب الإسلام برئاسة الحاج صالح غربا؛ فكان من آثارها صحوة هوسا بإنشاء المدارس في (أغيغي) (وشاغامو) وغيرها.

الخطوة الثالثة: في عام ١٩٦٢م جمعت عشرين إماما من بلاد يوربا إلى مدينة (إلورن) باعتبارها مدخلا للشمال والجنوب، وهناك أنشأنا رابطة الأئمة والعلماء، ولما ضرب قومي بهذه الجهود عرض الحائط رجعت بها إلى (إبادن) وبنينا لها هناك مقرا

الخطوة السادسة: تعاونت مع الزعيم إسحاق رابح الكنوي في ربط الشمال بالجنوب على جامعة الشعوب عام ١٩٨٢م، كان من آثارها دعوة شيخ الأزهر والأمير فيصل السعودي إلى نيجيريا عام ١٩٨٣م^(١).

٢- إنشاء المركز:

أنشأ الشيخ آدم عبد الله الألوري مركز التعليم العربي الإسلامي عام ١٩٥٢م، فبدأ العمل فيه وقتئذ في منزل صغير مستأجر بمساعدة جماعة أنصار الدين في مدينة (أبيوكوتا)، ثم

(١) أشعة العقول والنقول على أضواء القنديل والفضول تكملة على هامش الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ٣١-٣٢، ط/الأولى ١٩٨٨م، مطبعة الثقافة الإسلامية- لاغوس، نيجيريا.

انتقل هذا المركز إلى مقره الدائم في مدينة (لاغوس)، وقد كلل الله جهود الشيخ بالنجاح فأصبح يخرج آلاف من طلبة العلم^(١).

٣- تأليف الكتب:

كان الشيخ آدم مولعا بحب الكتابة والتأليف وكان يرغب في ذلك ويحث عليه أبناء جنسه من اليورباويين والهوساويين، يقول في نصيحته للشباب: "ونصيحتي إلى الشباب أن يجتهدوا ويجهدوا في الكتابة، لا يخافون من الوقوع في الخطأ، ولا يكثرثوا بالمادح والقادح كما فعلت أنا حتى ظهرتُ بالكتابة"^(٢).

وله مؤلفات في فنون عديدة مثل الدعوة، والتاريخ، والفلسفة، والتصوف، بيد أن أكثر كتاباته في الدعوة والتاريخ، فمن مؤلفاته:

- تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم. - تاريخ الدعوة الإسلامية.
- فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة. - توجيه الدعوة والدعاة.
- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني. - الإسلام وتقاليد الجاهلية.
- نظام التعليم العربي وتاريخه. - موجز تاريخ نيجيريا.
- الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا.

بالإضافة إلى كتب مدرسية أخرى تبلغ عشرين كتابا.

أما عن مكانته العلمية فإن للشيخ آدم الألوري شخصية فذة بين الشخصيات الإسلامية في غرب إفريقيا، إذ هي شخصية برزت في ميادين مما يمكن الكاتب عنه أن يصفه بأنه متفن، لأنه يباشر الأعمال الفكرية من التدريس والتأليف وغير ذلك من مجالات تطبيق المعارف.

ولتميز الشيخ آدم ومكانته العلمية استحق - بفضل الله - وسام العلوم والفنون من حكومة جمهورية مصر العربية تحت قيادة الرئيس محمد حسني مبارك الذي تشرف بتقليد

(٢) انظر: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته ص ٥٥-٥٦.

(١) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص ١٦٧.

الشيخ آدم عبد الله الألوري ذلك الوسام من الطراز الأول بقاعة محمد عبده في الأزهر الشريف وذلك يوم الخميس ١٢ ربيع الأول عام ١٤١٠ هـ الموافق ١٢ أكتوبر عام ١٩٨٩ م^(١).
وبالإضافة إلى هذا كان الشيخ آدم يتمتع بالعضوية في مجمع البحوث الإسلامية بمصر ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة^(٢).

المبحث الثاني

جهوده في تقرير توحيد الألوهية

أ- أبرز الوسائل والأساليب التي استخدمها في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحرافات فيه:

لم تتنوع الطريقة التي استخدمها الشيخ آدم عبد الله الألوري في تقرير مسائل توحيد الألوهية التي قررها حسب فهمه، وإنما اقتصر على التأليف وإنشاء المدرسة.

١- التأليف

للألوري إمام كبير بالكتابة منذ بداية تلقيه للعلم، وقد عوّد نفسه على الكتابة باللغة العربية بممارسة إنشاء الرسائل وقرض الأشعار اقتداء ببعض العلماء القليلين الذين يعملون ذلك وقتئذ.

هكذا درب نفسه على الكتابة باللغة العربية حتى صار له صوت يسمع في الآفاق من خلال كتاباته، فألف في فنون مختلفة مثل التاريخ والدعوة الإسلامية والفلسفة والمنطق واللغة، وله الفضل في فتح باب الكتابة على الكثيرين من أبناء جنسه اليورباويين والهوساويين، فقد نقل من كتبه عددٌ غير قليل من العرب والعجم وعزوا إليه ونسبوا^(٣).

ومن أهم كتبه التي حارب بها الانحرافات في توحيد الألوهية كتاب الإسلام وتقاليد الجاهلية، وكتاب توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا.

(٢) الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته ص ٦١.

(٣) المرجع السابق ص ٦٢.

(١) انظر: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص ١٦٨.

٢- الدروس والوعظ والإرشاد:

أعطى الشيخ آدم الألوري الاهتمام الكبير للتربية والتعليم، ولكي يتسع له المجال لنشر الدعوة الإسلامية في ربوع الديار النيجيرية وخارجها فكر في إنشاء مركز التعليم العربي الإسلامي ليوجد لنفسه جوا صافيا ينقل فيه ما تعلمه من أساتذته العرب وغير العرب لأبناء جنسه.

فقد باشر الشيخ عملية التدريس في هذا المركز حتى تخرج على يديه مباشرة ما يقارب خمسة آلاف طالب وحوالي عشرة آلاف بواسطة تلاميذه، كما كان يقوم بإلقاء خطب الجمعة وغيرها في جامع هذا المركز المبارك، ويتولى تفسير القرآن الكريم ودروس أخرى في الجامع.

ب- أهم مسائل توحيد الألوهية التي قررها الشيخ آدم ودافع عنها:

من خلال تباعي لمؤلفات الشيخ آدم لاحظت أن مسائل توحيد الألوهية التي قررها قليلة جدا؛ وسبب ذلك أنه لم يكن يكتب في العقيدة وإنما أكثر كتاباته في التاريخ والدعوة الإسلامية. وأهم مسائل توحيد الألوهية التي قررها ودافع عنها كالتالي:

١- التآله:

بين الشيخ آدم شناعة ما يفعله ملوك نيجيريا من قديم الزمان حيث يجعلون أنفسهم آلهة لرعاياهم فقال: "وكذلك كان الأقيال ورؤساء القبائل والعبيد يخلعون جميعا ما عليهم من سيما التفاضل والامتياز والكرامة قبل دخولهم على ملوكهم، ويتجردون من كل فضفاض وزينة، ثم يرمون على الأرض وهم يتململون ويتمرغون ويضعون حفنات التراب على رؤوسهم وأكتافهم، ويزحفون على هذه الصورة حتى يقتربوا من الملك فيراهم عليها فيعترف بولائهم وعبوديتهم له، كيف وهم يزعمون أنه هو الإله الأصغر رب الأرض الذي ينوب عن الإله الأكبر رب السماء ﴿سُبْحٰنَهُۥ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾ (الإسراء: ٤٣)"^(١).

وقال: "لقد كان ملوك نيجيريا القدامى من طراز الفراعنة والأباطرة تساموا بأنفسهم إلى مقام الألوهية وأنزلوا سائر الناس منزلة العبودية وساواوا بين الرعية والأنعام، وكانوا يقدمون

(١) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ١٨.

ضحايا البشر مع ضحايا الأنعام إلى آهتهم في أعيادهم ومواسمهم، وكان إذا مرض أحدهم افتدى نفسه من الموت بعدد كبير من العبيد والإماء"^(١).

ثم أرشد إلى حقيقة التواضع الذي لا يؤدي إلى صرف ما هو من خصائص الألوهية التي لا يستحقها غير الخالق جل وعلا للمخلوق الضعيف، فقال: "ينبغي للمسلم الصحيح أن يقتصر في الأدب مع الكبير على آداب الصحابة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك بالألا يتقدم عليه في الكلام والأخذ والترك، وألا يرفع صوته فوق صوته، وألا يجاهره في الكلام ولا يناديه من بعيد حتى يدنو منه، ولا يناديه باسمه بل بالكنية أو باللقب إلا للضرورة، وأن يطيعه في كل ما أمر به إلا في المعصية، وأن يلتزم الوقار والسكينة والاحترام وحسن السؤال والمودة والإخلاص ..."^(٢).

٢- الركوع والسجود:

ذكر الشيخ صور الركوع والسجود لغير الله فقال: "هذا، وفي نيجيريا المسلمة عادات ممقوتة في دين الله، بالية مهجورة في دنيا الناس، محمودة محببة في نيجيريا وهي خلع النعال والسجود والركوع عند دخول البيوت، وعند السلام والتحية ... وقد امتازت نيجيريا بهذه التقاليد عن العالم الإسلامي، وامتاز أمراؤها وعلمائها باستحسانها، وتقديسها والذود عنها"^(٣).

وقال في محاربتة لهذا الانحراف: "ولست أدري متى يقيض الله لنيجيريا من العلماء الأحرار من يستطيع أن ينير عقول الناس حتى تنجلي عنها غياهب هذه الجاهلية المشنوءة، وحتى تستضيء بنور الإسلام، وتسلك سواء السبيل، ولقد أجدني غارقا في بحر من الذهول والدهشة عندما أرى حملة كتاب الله عز وجل، وحفظة سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مقدمة من يستحسنون هذه التقاليد البغيضة عن جهالة وعماية، ومن يستحسنونها عن بصيرة ودراية، ويعتبر الخروج عليها وقاحة وشراسة مما لأة لما يكرم به الدهماء العلماء والأمراء على السواء، فيلجأ العلماء إلى اختلاق حديثهم المشهور: (عادة أهل البلد كالسنة)^(٤)"^(١).

(٢) المرجع السابق ص ٣١.

(١) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤.

(٣) لم أعثر على الأثر.

وعند بيانه لحكم الركوع والسجود لغير الله قال: "أما السجود لغير الله سبحانه فهو كفر صريح بدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن: ١٨)"^(٢).

كما ألقى الضوء على ما يفعله بنو جنسه ويزعمون أنه من باب التواضع. قال: "... وليس كما يزعم البعض من أن السجود المنهي عنه هو وضع الجبهة على الأرض، بل الركوع، والجلثو، والقعود كلها تدخل في السجود"^(٣).

٣- الخضوع:

تحدث الشيخ آدم رحمه الله عن عادات أخرى منتشرة في مجتمعه يعدها الناس من طرق التحية، وفي الحقيقة تخالف ما جاءت به السنة المطهرة وتقدر في توحيد الألوهية؛ إذ الخضوع كله لله سبحانه وتعالى وهو من خصائص ألوهيته. ذكر الشيخ آدم من هذه العادات خلع النعال، والجلثو على الركب، والانبطاح فقال: "ومن التقاليد الجاهلية اعتبار خلع النعال، والسجود، والركوع، والجلثو على الركب، والانبطاح من التواضع..."^(٤).

وقال في موضع آخر: "وكل ما تبقى اليوم من خلع النعال، والجلثو على الركب، والسجود أمام الأكابر والملوك والعظماء فإنما هي من رواسب تلك الجاهلية الشنيعة التي لم ينزلها الله على أحد من البشر، بل هي من نزوات الشياطين، وشهوات السلاطين، وهذه التقاليد متوغلة بوجه خاص في الأوساط الإسلامية؛ إذ قد ارتضاها العلماء واستحسنوها بدلا من استنكارها والتنديد بها، واعتبروها بجهالتهم تواضعا وأدبا إسلاميا، وليس هذا فقط بل يعتبرون كل من خرج عليها شيطانا متكبرا، جديرا بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين"^(٥).

وقد أنكر هذه العادات البغيضة وحاربها بقوله: "فمعلوم من ذلك كله أن جعل خلع النعال ضرورة لدخول أي بيت من بيوت الناس أو لتحية رجل لا يملك نفعا ولا ضرا تعتبر

(٤) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص ٤-٥.

(٥) المرجع السابق ص ٢٢.

(١) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٧.

(٣) المرجع السابق ص ١٨.

همجية نكراء وجاهلية شنعاء لا تدخل في شرع السماء، ولا في حضارة أهل الأرض، ولا في عقلية أهل العلم"^(١).

وأنشد في ذلك هذه الأبيات^(٢):

ويح قومي جهلوا معنى الحياء وأساءوا فيه ختماً وابتداءً
هكذا قد جهلوا التواضعاً وبنوه في سجود وأنحاء
خلع نعل جعلوه واجباً لهم قبل وصول للفناء
كل من خالفهم في هذه وصفوه بالذي منه براء
جعلوه كافراً لدينهم واستعدوا لقتال واعتداء
والتواضع الذي نعرفه مثل ما في العقل أو شرع السماء
بقبول الحق من كل أحد واجتناب جرثومة الخيلاء
واحترام الغير في حد النهي واحتقار النفس لا كالحمقاء
والحياء الحق أن تسألني ما يقيك العار عند العقلاء
ويقي من كل فحش وخنا غير هذا لا يسمى بالحياء.

٤- الذبح:

قال الشيخ آدم رحمه الله: "ومن الخرافات التي أبطلها الإسلام ما كانت الجاهلية تفعله وتسميه العقر: وذلك أن يذبحوا عند القبر بقرة أو شاة أو جملاً ويقولون: إنه كان يعقرها للأضياف في حياته فيكافأ بذلك بعد الموت، وبعضهم يزعمون أن من مات فربطت على قبره دابته وتركته حتى تموت حشر عليها، ومن لم يفعل ذلك حشر ماشياً؛ فجاء الإسلام لإلغاء ذلك كله فقال: (لا عقر في الإسلام)^(٣)؛ لهذا ذهب العلماء إلى النهي عن التصديق على

(٤) المرجع السابق ص ٢١.

(١) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص ٢١.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الجنائز- باب كراهية الذبح عند القبر- ص ١٤٦٥ برقم (٣٢٢٢)، والبيهقي في

السنن الكبرى ٥٧/٤، عن أنس بن مالك، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٤٣٦).

الميت بذبيحة من بقرة أو شاة أو نحوهما حتى لا تشبه بهذا العقر، وذلك من باب سد الذرائع أو من باب ترك الشبهات"^(١).

قلت: المنهي عنه في معنى الحديث هو الذبح لصاحب القبر؛ لأن ذلك شرك أكبر، وكذلك ينهى عن الذبح لله تعالى عند القبر أو في المقبرة؛ لأنه وسيلة مؤصلة إلى الوقوع في الشرك، فليست هناك عبادة شرعت عند المقبرة.

أما الذبح لله في المقبرة بنية الصدقة على الميت فإنه منهي عنه أيضا، وهو بدعة شنيعة، ووسيلة نافذة إلى الشرك، وهو الذي يشبهه عمل المشركين المسمى بالعقر، بالإضافة إلى ما فيه من الرياء.

وبناء على هذا، فأبما إنسان يرغب في الصدقة على الميت بالذبح فإنه يجب عليه أن ينوي بذبحه التقرب إلى الله تعالى مع رجاء الثواب للميت، ولا يحصل الذبح عند القبر.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله: "وقد صرح العلماء بتحريم الذبح في المقبرة لما فيه من مشابهة المشركين؛ ولأنه وسيلة إلى الشرك بالذبح للموتى والتقرب إليهم، ولا يخفى أن الذبح لغير الله كالذبح للأموات والجن والشياطين شرك وكفر بالله رب العالمين، وأدلة ذلك واضحة.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا عقرَ في الإسلام) رواه أحمد وأبو داود. وقال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة في الجاهلية، قال أحمد: كانوا إذا مات لهم ميت نحروا جزواً فنهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك.

قال العلماء: وفي معنى الذبح عنده الصدقة فإنه محدث وفيه رياء. قال الشيخ تقي الدين في الاختبارات: ويحرم الذبح عند القبر. وقال في موضع آخر: وإخراج الصدقة مع الجنائز بدعة مكروهة، وهي تشبه الذبح عند القبر، ولا يشرع شيء من العبادات عند القبور، لا الصدقة ولا غيرها"^(٢).

(٣) الإسلام وتقاليد الجاهلية للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ١١٨.

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ١/١٢٤، جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبد

وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في جوابها عن سؤال وجه إليها. ونص السؤال: يقول- صلى الله عليه وسلم: (لعن الله من ذبح لغير الله)، ما هو المقصود من ذلك، ونحن في الجنوب إذا ذبح شخص لضيف أو لأهل بيته يقول: باسم الله، وعلى ملة رسول الله، صدقة لوجه الله، اللهم اجعل ثوابها لي ولأهل بيتي؟

والجواب: المقصود من الحديث تحريم الذبح لمن مات من الأنبياء والأولياء؛ رجاء بركتهم، والذبح للجن؛ إرضاءً لهم، ورجاء قضائهم للحاجات، أو دفعاً لشركهم، فإن هذا شرك أكبر يستحق فاعله لعنة الله وغضبه، أما الذبح للضيوف إكراماً لهم أو للأهل توسعة عليهم، والذبح تقرباً إلى الله من أجل أن تجعل صدقة على الأموات يرجى ثوابها من الله للحي والميت فهذا جائز، بل هو إحسان يرجى ثوابه من الله، وهكذا الضحايا يوم النحر عن الأموات والأحياء^(١).

٥- الرقى والتمايم والتولة:

قال الألوذي رحمه الله: "ومن المزاعم الباطلة الرقى والتمايم والتولة، لما جاء في الحديث: (إن الرقى والتمايم والتولة شرك)^(٢)"^(٣).

وقد عرف الرقى بقوله: "أما الرقى فهي كلمات تقال للتعوذ والتحصن من الشياطين وشروهم، فقد نهي الإسلام عما كان منها غير مفهوم أو كان مما يستعان فيه بالجن"^(٤).
وعرف التميمة فقال: "أما التميمة فهي الخرزة التي كانت العرب تعلقها على أولادهم لمنع العين عنهم، وتكون من الثعلب أو الهر أو الكلب أو الودعة أو نحو ذلك، وكانوا يعتقدون

الرحمن بن قاسم، تصوير طبق الأصل على الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٩هـ.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١٩٥/١-١٩٦ الفتوى رقم (٥٢٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الطب- باب في تعليق التمايم- ص ١٥٠٨، برقم (٣٨٨٣)، وابن ماجه في سننه-

كتاب الطب- باب تعليق التمايم- ص ٢٦٨٩ برقم (٣٥٣٠)، وأحمد في مسنده ٣٨١/١، وابن حبان في

صحيحه ٤٥٦/١٣ عن عبد الله بن مسعود، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٣١).

(٣) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١١٨.

(٤) المرجع السابق ص ١١٨-١١٩.

أن ذلك إذا علق على الطفل لم تقدر الجن على خطفه أو إصابته، فيسلم من كل آفة، فتلك خرافة من الخرافات"^(١).

ما يؤخذ على الشيخ آدم عبد الله الألوري:

للشيخ آدم آراء تخالف منهج أهل السنة والجماعة في بعض المسائل ولعل ذلك ناتج عن عدم احتكاكه بعلماء أهل السنة خارج نيجيريا وبصفة خاصة أئمة الدعوة السلفية في المملكة العربية السعودية؛ ولذلك نرى الشيخ يقرر بعض مسائل توحيد الألوهية في كتبه وقد جانب الصواب في فهمه لهذه المسائل وطريقته لتقريرها، ومع احترامي لهذا الشيخ وتقديري لجهوده المبذولة في سبيل الدعوة إلى الله فلا بد من بيان الحق والصواب في هذه المسائل، فكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم محمد - صلى الله عليه وسلم.

فلنأخذ على سبيل المثال:

(أ) رأيه في وضع الأذكار غير المأثورة:

قال في هذه المسألة: "لقد جاء في كتب الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقر بعض الصحابة على أذكار وأدعية من عباراتهم وكأفأ بعضهم على حسن ثنائه على الله تعالى، ...، فبناء على ذلك كله أجاز العلماء والأولياء وضع الأذكار والأدعية حسب ما ألهمهم الله وهداهم إليه"^{(٢)(٣)}.

وقال في صيغة الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم: "واتفق جمهور العلماء على أن الصلاة على النبي لا تلتزم صيغة واحدة بل يجوز أن تختلف الصيغ والعبارات"^{(٤)(٥)}.

(ب) رأيه في الاستغاثة بالأموات:

(٥) المرجع السابق ص ١١٩-١٢٠.

(١) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ٧٧-٧٩، ط/الأولى ١٢٩٩هـ، مطبعة الأمانة - القاهرة.

(٢) هذا ليس دليلاً على جواز وضع الأذكار لكل أحد؛ لأن مجرد إقرار النبي - صلى الله عليه وسلم - لهؤلاء على تلك الأذكار التي تلفظوا بها جعلها من السنن النبوية، فماذا نقول عن تلك الأذكار التي أنشأها غير هؤلاء الصحابة بعد موت الرسول هل هي أيضاً سنة؟

(٣) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا ص ٧٦.

(٤) لو ذكر الشيخ مورد هذا الاتفاق لكان أحسن، والمقرر عند أهل السنة أن الصلاة على النبي عبادة، والعبادة توقيفية، فلا يجوز إذن وضع صيغة الصلاة على النبي بعد أن سأل الصحابة النبي كيف يصلون عليه وأجابهم.

تناول الشيخ آدم موضوع الاستغاثة كمسألة من المسائل التي احتدم الجدل حولها بين الدعاة المبعوثين والعلماء المحليين في غرب إفريقيا وأبدى رأيه فيها قائلاً: "أما الاستغاثة فهي القول بنحو: أعثني يا فلان، فلم يرد نص واحد من الكتاب والسنة في جواز ذلك من الحي إلى الميت بل الميت هو الذي يستغيث بدعاء الحي لتخفيف العذاب عنه. وأنا لا أقول:

إن المستغيث بغير الله كافر؛ إذ لم يرد نص صريح بتكفيره إذا لم يعتقد كفراً ولا تأثيراً لغير الله" (١).

قلت: إن الاستغاثة بالأموات والجن والملائكة والأشجار والأحجار كلها من الشرك الأكبر، وقد وردت نصوص صريحة في ذلك من الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (الرعد: ١٤).

كما لا يشترط في ذلك كون المستغيث يعتقد كفراً أو تأثيراً لغير الله لأن المشركين الأولين لم يعتقدوا أن آلهتهم تنفعهم بنفسها بل يعرفون أنها لا تخلق ولا ترزق وإنما يرجون جاهها وشفاعتها وتقريبهم إلى الله زلفى، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس: ١٨) فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلْ أَتَنْتَبُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (يونس: ١٨).

(ج) رأيه في التوسل المشروع وأدلته:

ذكر الشيخ آدم مسألة التوسل ضمن المسائل التي يختلف فيها الدعاة السلفيون - خريجو جامعات المملكة العربية السعودية - مع العلماء المحليين، فقد أحسن في بيان قسمة التوسل: المشروع والبدعي مع سياق الأدلة التي احتج بها أصحاب كل قسم، لكن الغريب في

(١) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا ص ١٠٥-١٠٦.

أمر الشيخ هو الرأي الذي أبداه حول حديث ثلاثة رهط ممن كان قبلنا الذين أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فتوسلوا بأعمالهم فنجوا، وعلى الرغم أن هذا الحديث في الصحيحين ودلالته صريحة على جواز توسل الإنسان بأعماله الصالحة، فقد كانت وجهة نظر الشيخ آدم رحمه الله في هذه المسألة عجيبة جدا وغريبة في نفس الوقت. يقول في رأيه الخاص حول حديث أصحاب الغار بعد سياقه له:

"قلت): ليس في الحديث دليل على تصويب الاستعلاء على الله بصالح الأعمال وترك الافتقار إلى رحمة الله بالاعتماد على العمل، ثم إن في نفسي من قصة أصحاب الغار أشياء كثيرة: ... ثانيا: أن الاستدلال بتوسلهم على شرعية التوسل بالأعمال الصالحة لم يقيم على نص صريح في الحديث، والتشريع لا يقوم على دليل ظني، ثم إن أصحاب الغار ليسوا أنبياء حتى يكون شرعهم شرعا لنا، وإنما أورد النبي - صلى الله عليه وسلم - قصتهم للعبارة والعظة حسبما كان الحديث عن بني إسرائيل جائزا، ولم نسمع أن واحدا من الأنبياء الذين مضوا توسلوا بشيء من أعمالهم إلى الله، وإنما كانوا يضرعون إلى الله عند لزوم ذلك في حينه"^(١).

قلت: إني أقول في تبين ما التبس على الشيخ في هذه المسألة: إن في هذا الحديث دليلا قاطعا على جواز التوسل بالعمل الصالح، وهو من أنواع التوسل المشروع، يقول النووي في شرحه للحديث: "استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي - صلى الله عليه وسلم - في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم"^(٢).

كما يحسن بي أن أسوق كلام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في استدلاله بهذا الحديث على أن التوسل بالأعمال الصالحة التي عملها الداعي من التوسل المشروع حيث قال: "ورسولنا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - يروي لنا هذه القصة الرائعة التي كانت في بطون الغيب، لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى؛ ليدكرنا بأعمال فاضلة مثالية لأناس فاضلين مثاليين من أتباع الرسل السابقين؛ لنقتدي بهم ونتأسى بأعمالهم، ونأخذ من أخبارهم الدروس الثمينة، والعظات البالغة، ولا يقولنّ قائل: إن هذه الأعمال جرت قبل بعثة نبينا محمد - صلى الله عليه

(١) توجيه الدعوة والدعاة ص ٩٥-٩٦.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٥٩/١٧.

وسلم- فلا تنطبق علينا بناء على ما هو الراجح في علم الأصول أن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا؛ لأننا نقول: إن حكاية النبي- صلى الله عليه وسلم- لهذه الحادثة إنما جاءت في سياق المدح والثناء والتعظيم والتبجيل، وهذا إقرار منه- صلى الله عليه وسلم- بذلك، بل هو أكثر من إقرار لما قاموا به من التوسل بأعمالهم الصالحة المذكورة، بل إن هذا ليس إلا شرحا وتطبيقا عمليا للآيات المتقدمة، وبذلك تتلاقى الشرائع السماوية في تعاليمها وتوجيهاتها ومقاصدها وغاياتها، ولا غرابة في ذلك فهي تنبع من معين واحد، وتخرج من مشكاة واحدة، وخاصة فيما يتعلق بحال الناس مع ربهم سبحانه فهي لا تكاد تختلف إلا في القليل النادر الذي تقتضي حكمة الله سبحانه تغييره وتبديله"^(١). ١. هـ

وهذا دليل واحد من تلك الأدلة الكثيرة من السنة المطهرة، وقبل ذلك هناك أدلة قرآنية تثبت هذا النوع من أنواع التوسل المشروع، مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامِنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٣)، وغيرها من الآيات. وإنما أشكلت هذه المسألة على الشيخ آدم لقلة احتكاكه بعلماء أهل السنة والجماعة خارج نيجيريا.

(د) الفرق الإسلامية ورأيه فيها:

قال تحت عنوان (الفرق الإسلامية مجتهدون): "الفلاسفة المسلمون، والمعتزلة المتكلمون، والأشاعرة والسلفيون، كلهم مجتهدون في العقيدة، يثابون إن أصابوا ويعذرون إن أخطأوا، وعليه القاضي ابن رشد القرطبي"^(٢).

وقال في موضع آخر: "فالدعوة إلى مذهب السلف في العقيدة لا ينبغي إنكارها، بل تجب إجابة من دعا إلى إحيائها، وفي الوقت نفسه لا ينبغي محاولة القضاء على المذاهب الاعتقادية الأخرى فإنها صارت تراثا ثقافيا علميا فكريا للإسلام يجب التزود به، وإذا كان

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص ٣٧-٣٨، نسقه وآلف بين نصوصه محمد عبيد

العباسي، ط/الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض.

(٢) توجيه الدعوة والدعاة ص ٣١.

الاكتفاء بالأدلة القرآنية واجبا للمسلم العادي أو الطالب المبتدئ فليس من الحكمة أن يمنع طلاب العلم العالي من النظر في علم الكلام والمذاهب الاعتقادية الأخرى في الإسلام^{(١)(٢)}.

(هـ) رأيه في التصوف:

فسر الشيخ آدم مقام الإحسان المذكور في الآيات القرآنية وفي حديث جبريل حينما أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - يسأله، فسره الشيخ بالتصوف فقال: "ولقد حث القرآن على الإحسان في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (لقمان: ٢٢)، وفي الحديث: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)^(٣).

وهذا الإحسان هو الذي اصطلح عليه أخيرا كلمة التصوف، فصح أن التصوف قد نبع من المعين الإسلامي من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، وإن كان قد تأثر ببعض رواسب الأديان القديمة من الأمم الأخرى التي دخلت في الإسلام وحملت إليه بعض آثار معارفها وثقافتها وعقيدتها وديانيتها فليس ذلك يجعله كله بدعة وضلالة^(٤).

ونراه يدافع بقوة عن المتصوفة، ويرفع اللوم عنهم مع تقديم الاعتذار لهم على شطحات الغلاة منهم: "فلا يجوز لوم طائفة على ما هي عليه من هذه الأشياء، كما لا يجوز حمل كافة الناس على شيء واحد من هذه الأشياء، وكم رأينا من أهل الدنيا من يتفانون في حب المال والجاه والنساء إلى حد الجنون، فكيف نلوم أناسا على أنهم تفانوا في حب الله ورسوله ودينه"^(٥).

وقال في موضع آخر: "فلكل منهم (أي الطوائف الإسلامية) مثالب ومناقب كما للصوفية، ولماذا يلوم بعضنا بعضا؟"^(٦).

(٣) المرجع السابق ص ٣٧.

(٤) الاكتفاء بما ورد في الكتاب والسنة يغنينا عن هذه المذاهب الاعتقادية التي توقع الإنسان في حيرة من دينه، فمنهج السلف الصالح التمسك بما فيهما.

(١) سبق تخرجه ص ٥٦.

(٢) توجيه الدعوة والدعاة ص ٤٨-٤٩.

(٣) المرجع السابق ص ٥٢.

(٤) المرجع السابق ص ٥٦.

وقال: "إن القول بأن تخلف المسلمين كان من التصوف يجر إلى تصديق الأعداء الذين قالوا بأن التدين يجر إلى التخلف...، ومن أراد أن يلوم أحدا على ما أصاب المسلمين

من التخلف فعليه أن يأخذ بأسلوب الشمول، كما فعل شكيب أرسلان^(١) وأبو الحسن الندوي وغيرهما، ولا يقتصر على الصوفية"^(٢).

وقال في اعتذاره لهم: "ولا يصدر منهم أمر ولا ينسب إليهم أي قول يخالف ظاهر النص، وإذا صدر من الصوفية المخلصين شيء يخالف ظاهر النص أو نسب إليهم ذلك فلا يخلو من أحد أمرين:

إما أن يكون ذلك ناشئا من خطأ في اجتهاد، حيث إنهم مجتهدون في التقرب إلى الله وليسوا معصومين من الخطأ.

وإما أن يكون مدسوسا عليهم وهم أقل من يدس عليه وقد دس الناس على سيد البشر أحاديث"^(٣).

قلت: لم يفسر أحد من علماء السلف - فيما أعلم - كلمة الإحسان بهذا المعنى، وإنما جاء تفسيرها في الحديث الذي سأل جبريل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنها بقوله - عليه الصلاة والسلام: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)^(٤)، وتحقق العبادة العبادة بهذه الصورة بإتقانها وإخلاصها لله تعالى مع الخشوع فيها. وقد سبق إيراد ما يكفي من أقوال علماء السلف في بيان الصواب في هذا الأمر^(٥).

(١) هو الأمير شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة، عالم بالأدب والسياسة والتاريخ، من أكابر الكتاب، ينعت بأمر البيان، ولد في الشويفات ببلبنان سنة ١٢٨٦هـ وتوفي في بيروت سنة ١٣٦٦هـ.

انظر: الأعلام ١٧٣/٣، معجم المؤلفين ٤/٤٠٤.

(٢) توجيه الدعوة والدعاة ص ٥٨-٥٩.

(٣) المرجع السابق ص ٦٦.

(٤) سبق تخريجه ص ٥٦.

(٥) يراجع: الفصل الأول من هذا الباب ص ٥٥-٥٧.

الباب الثاني

العبادات القولية في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

ويحتوي على تمهيد وخمسة فصول:

التمهيد : في تعريف البدعة وتقسيمها إلى حقيقية وإضافية

الفصل الأول : الدعاء

الفصل الثاني : التوسل

الفصل الثالث : الحلف

الفصل الرابع : بقية العبادات القولية

الفصل الخامس : الألفاظ الشركية المنتشرة

تمهيد

في تعريف البدعة وتقسيمها إلى حقيقية وإضافية

يستحسن قبل الشروع في تناول مسائل هذا الباب والذي يليه أن أقوم ببيان معنى البدعة لغة وشرعاً؛ إذ هي الكلمة التي سترد غالباً عند توضيح أحكام صور الانحرافات التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا فيما يتعلق بتوحيد الألوهية والتي هي محاور هذين البابين. بل يكاد يكون تعريف كلمة البدعة وكيفية معرفتها أمراً واجباً في مستهل هذا الباب وإن لم يكن من صميم البحث لمسيب حاجة القارئ إليه حيث لا يستحسن ورود الكلمة فيما بعد عند توضيح الأحكام دون تعريف مسبق لها، ولكي يكون المطلع على البحث على دراية واعية بالوجه الذي دخل منه عمل ما في باب البدعة؛ إذ قد يشبه ذلك العمل السنة؛ فيشكل على المرء الذي يجهل مفهوم حقيقة البدعة وكيفية معرفتها "فالحكم على الشيء فرع عن تصوره"^(١).

معنى البدعة في اللغة:

البدعة لغة تطلق على معنيين: أحدهما الشيء المخترع على غير مثال سابق، وقد جاء في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٩)، أي ما كنت أول من أرسل، قد كان قبلي رسل^(٢). وقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (البقرة: ١١٧): "أي منشئها وموجدتها ومبدعها ومخترعها على غير حد ولا مثال"^(٣).

الثاني: التعب والكلال، يقال أبدعت الإبل إذا بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال، ومنه قول الرجل الذي جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني أبدع بي

(١) مجموع الفتاوى ٦/٢٩٥.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ١١/٢٧٥، حققه وعلق على حواشيه محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر، ط/الثانية، دار المعارف - بمصر، تفسير ابن كثير ٤/٢٥٧٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٢/٦٠، تحقيق سالم مصطفى البدري ط/الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية - بيروت.

فاحملي، فقال: (ما عندي)، فقال رجل: يا رسول الله! أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)^(١).

قال ابن فارس^(٢): "بدع: الباء والذال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال"^(٣).

والمعنى الثاني للبدعة يعود إلى الأول؛ لأن معنى أبدعت الراحلة بدأ بها التعب بعد أن لم يكن بها^(٤).

معنى البدعة في الشرع:

البدعة شرعا هي: طريقة في الدين مخترة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه^(٥).

ويلاحظ من هذا التعريف أن الإمام الشاطبي^(٦) ربط بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لكلمة البدعة حيث قال بعد بيانه للمعنى اللغوي: "ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداء، وهيئتها هي البدعة، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة، فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة"^(٧).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإمامة - باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير - ص ١٠١٧ برقم (١٨٩٣) عن أبي مسعود الأنصاري.

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين القزويني المعروف بالرازي المالكي، من أئمة اللغة والأدب وكان بصيرا بفقهاء مالك، له مصنفات ورسائل منها: الجمل، غريب إعراب القرآن، حلية الفقهاء، مقاييس اللغة، مات بالري سنة ٣٩٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/١٠٣، معجم الأدباء ١/٥٣٣، الأعلام ١/١٩٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص ١٠١، وانظر: المصباح المنير ص ٤٢-٤٣، والمفردات في غريب القرآن ص ٤٩-٥٠، ولسان العرب ٦/٨ مادة (بدع).

(٤) انظر: لسان العرب ٦/٨ مادة (بدع).

(٥) الاعتصام للعلامة الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ص ٢٤، علق عليه وأخرج أحاديثه محمود طعمه حلبي ط/الثانية ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م دار المعرفة - بيروت.

(٦) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، أصولي حافظ من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من مؤلفاته كتاب الاعتصام، والموافقات في أصول الفقه، توفي سنة ٧٩٠هـ.

انظر: الأعلام ١/٧٥، موسوعة الأعلام ١/٢٩٨ (قسم تراجم وطبقات موقع وزارة الأوقاف المصرية).

(١) الاعتصام ص ٢٣.

ومما يساعد على معرفة البدعة وتحديد الوجه الذي دخل منه عمل من الأعمال في دائرة البدعة الاهتمام بتقسيماتها وفهم تلك الأقسام وخاصة تقسيمها إلى حقيقية وإضافية.

فالبدعة الحقيقية هي: التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، لا في الجملة ولا في التفصيل^(١).

ومن الأمثلة على البدعة الحقيقية^(٢):

١- تحريم الحلال أو تحليل الحرام استنادا إلى شبه واهية وبدون عذر شرعي أو قصد صحيح، فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي، فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ثم قرأ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٨٧)^(٣).

٢- اختراع عبادة ما أنزل الله بها من سلطان كصلاة سادسة مثلا بركوعين في كل ركعة أو الصلاة بغير طهارة.

٣- إنكار الاحتجاج بالسنة، أو تقديم العقل على النقل وجعله أصلا والشرع تابع له.

٤- القول بارتفاع التكليف عند الوصول إلى مرحلة معينة مع بقاء العقل وشروط التكليف، فلا تجب عند ذلك طاعات ولا تحرم محرمات بل يصير الأمر على حسب الهوى والرغبات.

٥- تخصيص مكان كبير أو شجرة أو نحوها بخصوصية معينة من اعتقاد جلب خير أو دفع ضرر بلا استناد إلى خبر صحيح.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٤.

(٣) تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار تأليف الدكتور صالح بن سعد السحيمي ص ٩٣-٩٥، ط/الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م دار ابن حزم للنشر والتوزيع- الرياض، البدعة ضوابطها وأثرها السيئ في الأمة للدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي ص ١٤-١٥، ط/الثانية ١٤١٩هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التفسير- باب قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٨٧)- ص ٣٨١ برقم (٤٦١٥) عن عبد الله بن مسعود.

والبدعة الإضافية هي: التي لها شائبتان: إحداهما لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة، والأخرى ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية، أي أنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنة؛ لأنها مستندة إلى دليل وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة؛ لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل أو غير مستندة إلى شيء^(١).
ومن الأمثلة على البدعة الإضافية^(٢):

١- ذكر الله تبارك وتعالى على هيئة الاجتماع بصوت واحد، فالذكر مشروع بل واجب لكن أداءه على هذه الكيفية غير مشروع بل هو بدعة مخالفة للسنة.
٢- تخصيص يوم النصف من شعبان بصيام وليلته بقيام، أو أفراد شهر رجب بالصيام. فالعبادات في هذه الأمثلة مشروعة لكن يأتي الابتداء من تخصيص الزمان أو المكان إذا لم يأت تخصيص ذلك في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم.
والفرق بين البدعة الحقيقية والإضافية من جهة المعنى أن الدليل على الإضافية من جهة الأصل قائم ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها مع أنها محتاجة إليه؛ لأن الغالب وقوعها في التعبديات لا في العاديات المحضة^(٣).
فيفهم من هذا التبيين أن العمل المشروع الذي يُتبعه الله به يتحول إلى العمل البدعي

إذا أحل فيه المرء المسلم بشرط المتابعة؛ إذ العبادة لا تكون عملاً صالحاً إلا إذا تحقق فيها شرطان^(٤):

الأول: الإخلاص

الثاني: المتابعة

(١) الاعتصام ص ٢٣٤، تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار للدكتور صالح بن سعد السحيمي ص ٩٦.

(٢) تنبيه أولي الأبصار ص ٩٦، البدعة ضوابطها وأثرها السيئ في الأمة ص ١٥-١٦.

(٣) الاعتصام ص ٢٣٤.

(١) انظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المشهور بابن القيم الجوزية ص ١٣٥، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن قيم الجوزية ١/٨٣، ط/الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، دار الكتاب العربي - بيروت.

والمتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقا للشريعة في أمور ستة، هي: السبب، والجنس، والقدر، والكيفية، والزمان، والمكان.

وتوضيح ذلك كالتالي^(١):

أولاً: السبب: بأن يكون العمل موافقا للشريعة في سببه، فلو تعبد الإنسان لله بعبادة مقرونة بسبب ليس شرعيا فهي بدعة مردودة على صاحبها، مثال ذلك أن بعض الناس يجيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله - صلى الله عليه وسلم، فالتعبد بعبادة ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة؛ لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعا.

مثال آخر: لو أن أحدا أحدث عيدا لانتصار المسلمين في بدر فإنه يرد عليه؛ لأنه ربطه بسبب لم يجعله الله ورسوله سببا.

ثانياً: الجنس: بأن يكون العمل موافقا للشريعة في الجنس، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة، مثال ذلك أن يضحي رجل بفرس فلا يصح أضحية؛ لأنه خالف الشريعة في الجنس، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام: الإبل، البقر، الغنم.

ثالثاً: القدر: بأن يكون العمل موافقا للشريعة في القدر، فلو تعبد شخص لله عز وجل بقدر زائد على ما ورد في الشريعة لم يقبل منه، مثال ذلك أن يصلي إنسان صلاة الظهر خمسا، فإن صلاته لا تصح؛ لأنها زائدة على ما جاء في الشريعة.

رابعاً: الكيفية: بأن يكون العمل موافقا للشريعة في الكيفية، فلو عمل شخص عملا يتعبد به لله وخالف الشريعة في كفيته لم يقبل منه بل هو مردود عليه، مثال ذلك لو أن رجلا صلى وسجد قبل أن يركع، فصلاته باطلة مردودة؛ لأنها لم توافق الشريعة في الكيفية.

خامساً: الزمان: بأن يكون العمل موافقا للشريعة في الزمان، فلو صلى امرؤ الصلاة قبل دخول وقتها فتلك الصلاة غير مقبولة؛ لأنها أديت في زمن غير ما حدده الشرع، وكذلك لو ضحى قبل أن يصلي صلاة العيد لم تقبل؛ لأنه لم توافق الشرع في الزمان.

(٢) شرح الأربعين النووية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٩٨-١٠٠، ط/الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار الثريا للنشر والتوزيع - الرياض، وانظر: رسالة صغيرة بعنوان: الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ محمد بن صالح العثيمين أيضا ص ١٥-١٧، أشرف على تصحيحه وطبعه إبراهيم بن عبد العزيز الشثري.

سادسا: المكان: بأن يكون العمل موافقا للشريعة في المكان، فلو أن أحدا اعتكف في غير المساجد بأن يكون قد اعتكف في المدرسة أو في البيت، فإن اعتكافه لا يصح؛ لأنه لم يوافق الشرع في مكان الاعتكاف، فالاعتكاف محله المساجد.

فالعمل التعبدي المشروع الذي حقق فيه العبد شرط الإخلاص بأن يقصد به وجه الله تعالى والدار الآخرة لكنه خالف فيه الشريعة عند القيام به في واحد من الأمور الستة المذكورة، يتحول بسبب هذه العلة تلقائيا إلى البدعة؛ لانعدام الشرط الثاني للعبادة الذي هو موافقة السنة، وأقرب ما يكون بدعة إضافية، وإلى ذلك أشار الإمام الشاطبي عند تفريقه بين البدعة الحقيقية والإضافية من جهة المعنى كما ذكرت آنفا.

وقال الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي معرفا للبدعة الإضافية: "وأما البدعة الإضافية فلها جانبان: جانب مشروع، ولكن المبتدع يدخل على هذا الجانب المشروع أمرا من عند نفسه فيخرجها عن أصل مشروعيتها، بعمله هذا، وأكثر البدع المنتشرة عند الناس من هذا النوع^(١).

ومما يعين على ضبط البدعة ومعرفتها بالدقة القواعد والأسس التي ذكرها الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني حيث قال^(٢): "إن البدعة المنصوص على ضلالتها من الشارع هي: أ- كل ما عارض السنة من الأقوال أو الأفعال أو العقائد ولو كانت عن اجتهاد. ب- كل أمر يتقرب إلى الله به، وقد نهي عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم. ج- كل أمر لا يمكن أن يشرع إلا بنص أو توقيف، ولا نص عليه، فهو بدعة إلا ما كان عن صحابي تكرر ذلك العمل منه دون تكثير. د- ما أُلصق بالعبادة من عادات الكفار. هـ- ما نص على استحبابه بعض العلماء سيما المتأخرين منهم ولا دليل عليه. و- كل عبادة لم تأت كيفيتها إلا في حديث ضعيف أو موضوع. ز- الغلو في العبادة.

(١) البدعة ضوابطها وأثرها السيئ في الأمة للدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي ص ١٥، ط/الثانية ١٤١٩هـ، مطابع الجامعة الإسلامية - المدينة النبوية.

(٢) أحكام الجناز وبدوها للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص ٣٠٦، ط/الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، مكتبة المعارف - الرياض.

ح- كل عبادة أطلقها الشارع وقيدتها الناس ببعض القيود مثل المكان أو الزمان أو صفة أو عدد.

الفصل الأول الدعاء

المبحث الأول

معنى الدعاء ومنزله من توحيد العبادة

توطئة:

يحسن بي أن أبين- في مستهل هذا المبحث- المعاني التي تطلق عليها كلمة الدعاء وكذلك الألفاظ التي تشترك معها في المفهوم لما لها من علاقة وطيدة بالمسألة التي سأتناولها هنا؛ ذلك أن الانحرافات في الدعاء قد تكون باستخدام لفظ الدعاء نفسه أو أحد إطلاقاته، وقد تكون باستخدام أي واحد من الألفاظ التي تشترك مع الدعاء في المفهوم وتناسبه في الدلالة كالاستعانة والاستغاثة.

معنى الدعاء:

الدعاء مصدر للفعل "دعا" يقال: دعا، يدعو، دعاءً. ويأتي في اللغة على معانٍ عدة،
منها:

١- الطلب وسؤال الحاجات، قال الشوكاني: "معنى الدعاء حقيقة وشرعا هو
الطلب"^(١).

وفي كتاب التعريفات للجرجاني^(٢): "الدعوى: مشتقة من الدعاء وهو الطلب"^(٣).
ومما ورد في القرآن الكريم في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ
عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا﴾ (البقرة: ٦١)، وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا
رَبَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٨)، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ﴾
(الإسراء: ٥٦).

وأكثر ما يستعمل الدعاء في الكتاب والسنة واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من
العلماء في هذا المعنى أي السؤال والطلب^(٤).

٢- الاستغاثة والاستعانة، وفي المفردات للأصفهاني^(٥): "دعوته: إذا استغثته"^(٦).
وفي المعجم الوسيط: دعا فلانا: استعان به^(١)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ
مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٣).

(١) فتح القدير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٦٢٢/٤.
(٢) هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، له نحو خمسين مصنفا
منها التعريفات، توفي في شيراز سنة ٨١٦هـ.
انظر: الأعلام ٧/٥، موسوعة الأعلام ١٠٢/١ (قسم تراجم وطبقات موقع وزارة الأوقاف المصرية).
(٣) كتاب التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني ص ١٠٤، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٦هـ.
(١) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠٤، تحقيق الدكتور
الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان ط/الرابعة ١٤١٩هـ، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية- الرياض.
(٢) هو الحسين بن محمد بن الفضل أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء،
من مؤلفاته المفردات في غريب القرآن، ومحاضرات الأدباء، وجامع التفاسير، توفي سنة ٥٠٢هـ.
انظر: الأعلام ٢/٢٥٥، موسوعة الأعلام ٢٢١/١ (موقع وزارة الأوقاف المصرية).
(٣) المفردات في غريب القرآن للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص ٣١٥، تحقيق محمد
خليل عيتاني ط/الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، دار المعرفة- بيروت.

٣- العبادة، ورد في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ (الأعراف: ١٩٤)، قال العلامة أحمد بن محمد الصاوي^(٢) في تفسير الآية: (إن الذين تدعون) أي تعبدون^(٣).
٤- الرغبة إلى الله عز وجل^(٤).

٥- التسمية، قال في المفردات: "دعوتُ ابني زيدا، أي: سميته،"^(٥). وفي المصباح المنير: "دعوت الولد زيدا وبزيد: إذا سميته بهذا الاسم"^(٦).

٦- الحث على الشيء، قال الراغب الأصفهاني: "الدعاء إلى الشيء: الحث على قصده، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾" (يوسف: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس: ٢٥)^(٧).

٧- النداء والصياح، تقول: دعوت فلانا وبفلان: ناديته وصحت به، قال في المفردات: "الدعاء كالنداء إلا أن النداء قد يقال بيا أو أيا ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو يا فلان"^(٨).

(٤) انظر: المعجم الوسيط، مادة (دعا)، ولسان العرب ٣٥٩/٤ مادة (دعا)، تأليف محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ط/الأولى دار صادر- بيروت.

(٥) هو أحمد بن محمد الخلوئي الشهير بالصاوي نسبة إلى (صاء الحجر) في إقليم المحافظة الغربية بمصر، كان فقيها مالكي المذهب، من مؤلفاته: حاشيته على تفسير الجلالين، والفرائد السننية، وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية، توفي في المدينة النبوية سنة ١٢٤١هـ.

انظر: الأعلام ٢٤٦/١، موسوعة الأعلام ٣١٨/١ (موقع وزارة الأوقاف المصرية).

(٦) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين تأليف أحمد بن محمد الصاوي المصري ٣١٦/٢، ضبطه محمد عبد السلام شاهين ط/الأولى ١٤٢٠هـ دار الكتب العلمية- بيروت. وانظر: لسان العرب، ٣٥٩/٤-٣٦١ مادة (دعا).

(٧) انظر: لسان العرب ٣٥٩/٤-٣٦١ مادة (دعا).

(٨) المفردات في غريب القرآن ص ١٧٦ مادة (دعا).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف الشيخ العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ص ١٦٤ مادة (د ع ا)، اعتنى به عادل مرشد، مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد- لبنان.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ١٧٧.

(٤) المرجع السابق ص ١٧٦ مادة (دعا).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٥٢)، وقال تعالى:
﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾
(الكهف: ٥٢).

معنى الدعاء شرعا:

الدعاء في الشرع هو: "الرغبة إلى الله تعالى والتوجه إليه، في تحقيق المطلوب، أو دفع المكروه، والابتغال إليه في ذلك إما بالسؤال، أو بالخضوع والتذلل، والرجاء والخوف والطمع"^(١).

أنواع الدعاء:

الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة، وقد ذكر هذين النوعين غير واحد من العلماء، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين: دعاء العبادة ودعاء المسألة"^(٢).
وقال العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله: "واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة.... ويراد به في القرآن هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان"^(٣).
فدعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضرر^(٤).
ودعاء العبادة هو الاتيان بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب، وهو الاشتغال بطاعة الله وذكره، وكل ما يجب من عبده أن يفعله^(٥).

(٥) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية لأبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي ٤٨/١، ط/الأولى ١٤١٧ هـ، مكتبة الرشد- الرياض.

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ١٠/٢٣٧-٢٣٨.

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٧٢.

(٣) المرجع السابق ص ١٧٢-١٧٣.

(٤) المرجع السابق ص ١٧٢-١٧٣.

(٥) انظر: فتح الباري لابن رجب ١/١٨.

وهذان النوعان للدعاء متلازمان في معناهما فإن كل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة لأن الداعي دعاء المسألة عابد لله تعالى بسؤاله ورغبته، والتضرع إليه، والابتهاال إليه، والانطراح بين يديه، وهو يرحو قبول دعوته، وقضاء حاجته، وهو مع ذلك خائف من طرده، وعدم قبول دعوته، فهذا هو لب العبادة وروحها وحقيقتها^(١).

كما أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة؛ إذ إن العابد لله تعالى سائل إياه في الحقيقة بامثال أوامره في فعل العبادة، وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب؛ لأن ما يقوم به من الاشتغال بطاعة ربه هو فعلاً الأسباب التي تقتضي حصول المطلوب. هذا، وهناك كلمات تشترك مع الدعاء في المفهوم، ولها دلالة على معناه، يمكن تقسيم هذه الكلمات قسمين:

القسم الأول: ما يستعمل مرادفاً للدعاء أو أعم من الدعاء، ومن هذا القسم كلمة العبادة، والذكر، والصلاة، والاستعانة.

القسم الثاني: ما هو خاص بنوع معين من أنواع الدعاء، وهو أيضاً ثلاثة أنواع:
النوع الأول: ما كان مختصاً بالاستعمال في دفع المكاره والمضار، ومن هذا النوع الاستعاذة، والاستغاثة، والاستجارة، واللياذة، والاستغفار، والشفاعة.
النوع الثاني: ما كان مختصاً بالاستعمال في جلب المنافع والمسار، ومن هذا النوع كلمة "السؤال".

النوع الثالث: ما كان مختصاً بالاستعمال في صفة معينة من صفات الدعاء، ومن هذا النوع كلمة النداء، والجوار، والابتهاال^(٢).
منزلة الدعاء من توحيد العبادة:

إن للدعاء منزلة سامية ودرجة رفيعة ومكانة عظيمة؛ ذلك أنه هو العبادة كما ثبت في الحديث الشريف الذي صرح فيه رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - بأن "الدعاء هو

(١) انظر: شرح ابن رجب للبخاري ١/٥٢-٥٣.

العبادة" ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠)^(١).

وإذا كان الدعاء بنوعيه هو العبادة، وتوحيد العبادة هو إفراد الله تعالى بالعبادة، فمن أفرد الله بالدعاء فقد وحده في عبادته وحقق هذا التوحيد، ومن صرف الدعاء لغير الله فقد أشرك في توحيد العبادة. ولما كان الأمر هكذا فالدعاء إذن حق من حقوق الألوهية، وصرفه لغير الله شرك واضح.

إن عبادة الله وحده هي أصل الدين، وهي التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦)، والعبادة بأنواعها المتعددة أفضلها الدعاء كما سبق، بل هو أساسها ومخها؛ ولذلك لم يسع الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا أن يكون الأمر بدعاء الله وحده دون ما سواه هو أول دعوتهم، فبينوا ذلك أوضح بيان وبأبلغ حجة، فلم يبق للمشركين أي مستمسك لما هم عليه من دعاء غير الله تعالى.

هذا هو منهج الرسل من لدن نوح أولهم، إلى محمد آخرهم وأفضلهم وإمامهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - تعريف أمهم وإرشادهم إلى أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به، ففعله لله عبادة، فإذا صرف من تلك العبادة شيء لغير الله فذلك شرك، مصادم لما بعث الله به رسله.

فالدعاء رأس العبادة وهو حق خالص لله تعالى، لا ينبغي صرف شيء منه لأحد سواه من المخلوقين مهما عظم شأن ذلك المخلوق؛ إذ قد قال الله تعالى لحبيبه المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - وهو أشرف الخلق وأكرمهم على ربه: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (الزمر: ٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سنه برقم (١٤٧٩)، والترمذي في سننه برقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه في سننه برقم (٣٨٢٨)، وأحمد في مسنده ٢٦٧/٤، والحاكم في المستدرک ٦٦٧/١ عن النعمان بن بشير، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٥٧١٩)، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

كما خاطب الأنبياء والرسل جميعهم بقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٨٨). فيعلم بذلك أن توجيه هذه العبادة العظيمة - أعني الدعاء لشيء غير المستحق لها سبحانه وتعالى شرك مخرج من ملة الإسلام ومحبط لجميع الأعمال. وكما سبق أن الدعاء حق من حقوق الألوهية، فحماية توحيد الألوهية إذن حماية للدعاء من صرفه لغير الله، ونبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - خير من قام ببيان اختصاص الرب تعالى بالألوهية، فبين هذا التوحيد أتم بيان ودعا إليه أعظم دعوة، وجلُّ القرآن الكريم نزل ليقرر هذا النوع من التوحيد ويدعو إليه، وجاهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك أعظم جهاد، وقام في حمايته وصيانة حماه حتى أتاه اليقين، بل إنه وهو في الرمق الأخير، وهو يعالج نزع الروح يبين لأمتة أهمية هذا التوحيد، كما ربي أصحابه - رضي الله عنهم - على ذلك ليكونوا جنوداً حماة لهذا التوحيد ويسلموا هذه الأمانة إلى من بعدهم صافية نقية، وقد كانوا كذلك - رضي الله عنهم.

وقد سلك النبي - صلى الله عليه وسلم - عدة طرق في سبيل تحقيق هذا الغرض النبيل إما ببيان ما ينبغي أن يفعله العبد لتحقيق هذا التوحيد أو بالنهي عما يضاده من شرك أو بدعة أو ما يكون وسيلة وذريعة إلى ذلك، فكان يحذر من الغلو عموماً والغلو في مدحه - صلى الله عليه وسلم - كما كان يحذر من اتخاذ القبور مساجد أو البناء عليها أو اتخاذها عيداً أو شد الرحال إليها أو الدعاء عندها أو العكوف عندها، وكان ينهى من اتخاذ الصور واستعمال الألفاظ التي فيها التسوية بين الله وبين خلقه، وغير ذلك من الطرق التي استخدمها - صلى الله عليه وسلم - لحماية جناب توحيد الألوهية ويدخل فيه الدعاء دخولاً أولياً.

وعلى هذا المنوال سار الصحابة الكرام رضوان الله عليهم مستمسكين بما تتلمذوا عليه على يدي أحسن مربٍّ في تاريخ الإنسانية من دعاء الله وحده والاستعانة به، فلم ينقل عن أحد منهم أنه ذهب إلى قبره - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاته يستغيث به فضلاً عن أن يستغيث بغيره.

فالصحابة الكرام رضي الله عنهم لم يكونوا يجعلون بينهم وبين خالقهم وسائط من الملائكة والأنبياء والصالحين، كما أنه ليس من منهجهم دعاء الغائب والاستغاثة به، وما كانوا

يطلبون من المخلوق الحاضر ما لا يقدر عليه إلا الخالق - سبحانه وتعالى. يقول شيخ الإسلام في بيان ذلك: "سؤال الميت والغائب نبيا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحسنته أحد من أئمة المسلمين، وهذا يعلم بالاضطرار من دين المسلمين"^(١).

وبناء على هذا فالدعاء بنوعيه حق خالص لله تعالى وصرف أي شيء منه لغيره شرك بين، والشرك هضم لحق الربوبية، وتنقص لعظمة الإلهية، وسوء الظن برب العالمين^(٢).

وإذا تبين ذلك فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئا من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك، ولو قال: لا إله إلا الله وصلى وصام؛ إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين ألا يعبد إلا الله، فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله فما أتى بهما حقيقة وإن تلفظ بهما كاليهود الذين يقولون لا إله إلا الله وهم مشركون، ومجرد التلفظ بهما لا يكفي في الإسلام بدون العمل بمعناها واعتقاده إجماعا^(٣).

ويدخل في مسمى الشرك كل من سؤال الأموات وسؤال الغائبين الأحياء، وسؤال الحي الحاضر ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى مثل غفران الذنوب وإنزال الغيث.

والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة كلها دالة على معنى الدعاء وتشارك معه كما تقدم، فتوجيه شيء منها لغير الله شرك، إلا أنه يخرج من هذا المعنى ما كان سببا مباحا لم ينه عنه الشارع ولم يعد من أنواع الشرك كالاستغاثة والاستعانة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه، فهو من قبيل ما ذكره الله عن موسى - عليه السلام: ﴿فَأَسْتَغْثُهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ

عَدُوِّهِ﴾ (القصص: ١٥). قال في الفتاوى: "والاستغاثة طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاتنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون، والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه منها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصِرُكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤٤٨/١، تحقيق محمد علي عجال ط/الأولى ١٤١٧هـ، مكتبة الغرابة الأثرية - المدينة المنورة.

(٢) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية ٦٠/١ - ٦١، تحقيق محمد حامد الفقي ط/الثالثة ١٣٩٥هـ، دار المعرفة - بيروت.

(٣) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد للعلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٨١.

(الأنفال: ٧٢)، وكما قال تعالى: ﴿ فَاسْتَعِذْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ

﴾ (القصص: ١٥)، وكما قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ ﴾ (المائدة: ٢) ^(١).

لقد وردت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في بيان وجوب دعاء الله وحده والتحذير من دعاء غيره، كما اجتهد جم غفير من علماء أهل السنة والجماعة في توضيح هذا الأمر وذلك لأسباب منها ^(٢):

١- أن هذه المسألة هي أعظم مسألة خالف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها المشركين، فإنهم كانوا يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته، يريدون بذلك شفاعتهم ووساطتهم.

٢- أن أغلب شرك الأوثال الذين أرسل إليهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان في الدعاء، فالشرك في الدعاء هو الأكثر انتشارا ووقوعا بينهم من أنواع الشرك الأخرى.

٣- أن أصل شرك العالم هو الشرك في الدعاء وطلب الحوائج من الصالحين الميتين. قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ^(٣) رحمه الله: "لا نعلم نوعا من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله بالنهاي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه" ^(٤).

الأدلة الواردة في التحذير من دعاء غير الله وأن الدعاء حق خالص لله تعالى لا يجوز

صرفه لغيره

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٠٣/١ - ١٠٤.

(٣) انظر: مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٥/١، تحقيق محمود شكري الألوسي، مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ١٣٩٦هـ، والدعاء ومنزله من العقيدة الإسلامية تأليف أبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي ٢٩٨/١ - ٣٠٠، ط/الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، مكتبة الرشد - الرياض.

(١) هو حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي، من آل معمر أهل العيينة، بعثه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود على رأس ركب من العلماء إلى مكة المكرمة لمناظرة علماء الحرم في شيء من أمور الدين بطلب من غالب بن مساعد شريف مكة عام ١٢١١هـ، له عدة رسائل في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، توفي سنة ١٢٢٥هـ.

انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٥٧، علماء الدعوة ص ٧٢.

(٢) الدعاء ومنزله من العقيدة الإسلامية ٢٩٩/١.

هذه الأدلة كثيرة ومتنوعة منها:

١- النصوص الكثيرة الآمرة بإخلاص الدعاء لله وحده والناهية عن دعاء غيره:

فقد تنوعت أساليب القرآن في توجيه هذا الأمر والنهي، فمن هذه النصوص ما وردت موجهة إلى نبي الله وخليله محمد- صلى الله عليه وسلم- تنهاه عن دعاء غير ربه- تعالى، وهذا أبلغ ما يكون من النهي؛ لأنه إذا كان الرسول- صلى الله عليه وسلم- يحذره الله من دعاء غيره مع أنه المعصوم، فمن باب أولى أن يخاف منه باقي الأمة ويحذروا من الوقوع فيه.

ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ^ط

فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: ١٠٦)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٣).

ففي هذه الآيات وجه خطاب التحذير إلى المصطفى- صلى الله عليه وسلم- للدلالة

على خطر دعاء غير الله تعالى^(١).

ومن هذه النصوص ما ورد فيه النهي عن دعاء غير الله موجهها إلى جميع الناس، منه

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨).

ومنها ما ورد فيه الأمر موجهها إلى نبي الله- صلى الله عليه وسلم- بإخلاص الدعاء

لربه وحده، وفي ذلك الأمر نهي عن دعاء غيره تعالى؛ إذ الأمر بالشيء نهي عن ضده^(٢)، كما

أن أمر النبي- صلى الله عليه وسلم- أمر لأمته ونهيه نهي لأمته بأبلغ وجه. ومثال ذلك قوله

تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ (الشرح: ٧-٨).

ومنها ما ورد فيه الأمر موجهها إلى جميع العباد بإخلاص الدعاء لله وحده، وفي ذلك

نهي عن دعاء غيره أو إشراكه معه في الدعاء؛ لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، مثال ذلك

(١) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ١/٤١٥.

(٢) انظر: التبصرة في أصول الفقه، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيرزآبادي الشيرازي أبو إسحاق ص ٣١، تحقيق الدكتور

محمد حسن هيتو، ط/الأولى ١٤٠٣هـ، دار الفكر- دمشق، والإجماع في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى

علم الأصول للبيضاوي تأليف علي بن عبد الكافي السبكي ٧٩/٢، تحقيق جماعة من العلماء، ط/الأولى

١٤٠٤، دار الكتب العلمية- بيروت.

قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (الأعراف: ٢٩)، وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠).

ومن السنة حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وفيه: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)^(١).

٢- نصوص تبين عجز المدعوين من دون الله وغياهم عن الداعين لهم عند احتياجهم إليهم لجلب المنافع أو كشف الشدائد والمحن، وأن المدعوين أنفسهم يلتجئون إلى الله تعالى ويتقربون إليه:

فمن هذه النصوص قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣-١٤)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٢٠-٢١).

٣- نصوص تصف دعاء غير الله بأنه شرك وكفر وضلال مبین، وتصف الداعين غير الله بأنهم مشركون وتتوعدهم بالعذاب الأليم، ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٧)، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ٣٧).

٤- ما ورد من النهي الشديد عن تقديم أي نوع من أنواع العبادة لله تعالى عند القبور لما في ذلك من الوسائل المفضية إلى الشرك:

(٣) أخرجه الترمذي في سننه- أبواب صفة القيامة- باب حديث حنظلة- ص ١٩٠٤ برقم (٢٥١٦) عن ابن عباس، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (١٣٩١٧)، وظلال الجنة برقم (٣١٥).

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد)^(١). وفي الصحيحين من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). يحذر ما صنعوا^(٢).

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء أو بعض الصالحين متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله به، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أن الصلاة عند القبر أي قبر كان لا فضل فيها لذلك ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلا بل مزية شر"^(٣).

٥- أن دعاء الله وحده والاستغاثة به دون من سواه في كشف الضر هي طريقة الأنبياء والمرسلين التي وصفهم الله تعالى بها، وأثنى بها عليهم، فلم يعرف عن أحد منهم التجاؤء إلى قبر نبي بعث قبله يسأله ويستغيث به بحجة الشفاعة وطلب القربي^(٤):

فنوح عليه السلام توجه إلى ربه وحده بالدعاء عندما أصابه قومه بالضر، قال عنه سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ (الأنبياء: ٧٦).

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٠٥/١، وابن خزيمة في صحيحه ٦/٢ برقم (٧٨٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٠/٣ عن عبد الله بن مسعود، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (١٠٨٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الصلاة - باب - ص ٣٧ برقم (٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم في صحيحه - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهي عن بناء المساجد على القبور - ص ٧٦٠ برقم (٥٣١).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٤/١، تحقيق محمد حامد الفقي ط/ الثانية ١٣٦٩هـ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة.

(٤) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة: عرض ونقد ص ٣٠٣، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية أصول الدين بالرياض، إعداد عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل، إشراف الدكتور راشد بن حمد الطيار، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

وكذلك فعل أيوب عليه السلام لما أصابه الضر، فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه وأن الضر بلغ منه كل مبلغ، قال عنه عز من قائل: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

وقال تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي^(١) رحمه الله في تفسير الآية: "فأقر الله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص، وعيب، وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنابته".^(٢) فقد أثنى يونس عليه السلام على الله بأجل صفاته تعالى، واعترف بذنبه ثم توجه بعد ذلك إليه جل وعلا سائلا إياه النجاة مما هو فيه، فماذا كانت النتيجة: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهكذا فليكن المؤمن الصادق.

وفي الحديث عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى"^(٣). ففي الصلاة ما لا يخفى من التضرع والاتجاء إلى العظيم التقدير؛ ولذلك كان خاتم الأنبياء وإمام المرسلين يستعين بها إذا ألمَّ به أمر شديد. وهذه الأمثلة التي أوردتها قليلة من مواقف أنبياء الله ورسوله، فإن سنتهم - عليهم الصلاة والسلام - في جلب النفع ودفع الضر هي التوجه بالدعاء إلى ربه تعالى وحده، ولم يعرف عن أحد منهم أنه سأل أو استغاث أو طلب الشفاعة من غيره تعالى.

(١) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي النجدي، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، ولد في عنيزة القصيم بنجد سنة ١٣٠٧ هـ وتوفي بها سنة ١٣٧٦ هـ، من مؤلفاته الكثيرة: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

انظر: معجم المؤلفين ١٣/٣٩٦، الأعلام ٣/٣٤٠، مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٢٥٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٥٠٢، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ط/الأولى ١٤٢٤ هـ، دار ابن حزم - بيروت.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - أبواب قيام الليل - باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل - ص ١٣٢١ برقم (١٣١٩) عن حذيفة، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (١١٧١).

وعلى هذا الدرب سار السلف الصالح من هذه الأمة المرحومة، فلم يكونوا يتوجهون بالدعاء إلى نبيهم بعد موته، وما كانوا يستغيثون به ناهيك عن غيره من الأموات.

٦- إجماع العلماء على أن من صرف شيئاً من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك: وقد حكى إجماع العلماء على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: "فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكرب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين"^(١).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله^(٢): "فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئاً من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك"^(٣).

هذا المنهج الذي أوردناه هو الطريقة التي سلكها المرسلون- عليهم الصلاة والسلام- في أداء الأمانة وتبليغ الرسالة لأممهم، وهو أيضاً مذهب أهل السنة والجماعة، فحواه أن الدعاء حق من حقوق الألوهية لا يصرف إلا لله تعالى، وأن صرف شيء منه لغيره سبحانه شرك مخرج من الملة^(٤).

الدعاء في نيجيريا:

ذلك المنهج الذي قرره منهج سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان وأئمة الهدى، هو المنهج الذي عليه الكثير من مسلمي نيجيريا من التوجه إلى الباري

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/١٢٤.

(٢) هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي، ولد بالدرعية سنة ١٢٠٠هـ، كان بارعا في التفسير والحديث والفقهاء، وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا بن محمد علي بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها فقتله وذلك سنة ١٢٣٣هـ، من مؤلفاته تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، أوثق عرى الإيمان.

انظر: الأعلام ٣/١٢٩، معجم المؤلفين ٤/٢٦٨.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ١٨١.

(٤) انظر: شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٩٤.

جل وعلا عند الحاجة، واللجوء إلى بابه عند نزول الكربة معترفين بأنه لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه.

وقد عرف مسلمو نيجيريا بحبهم للدين واحترامهم للمتدينين؛ ولذلك تجد الكثير منهم يضحون بإرسال أبنائهم إلى المدارس الإسلامية لينهلوا من العلوم الشرعية ويتقنوا اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم؛ إذ أدركوا أنه دستور الخالق لإصلاح الخلق، فيفضّلون أن يتعلم أبنائهم هذه العلوم مع علمهم بأن الشهادة التي سيحصل عليها الطالب بعد تخرجه من هذه المدارس لا تؤهله للعمل لدى حكومة البلد، وكذلك تجد الأثرياء منهم ينفقون بسخاء في المشاريع الخيرية من بناء المساجد وإعانة العلماء الذين ينشئون المدارس الإسلامية.

والتوجه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى يكاد يصبح دندنة كثير من المسلمين النيجيريين، فقلما تجتمع مجموعة لشأن من شؤون الحياة التي يجتمع لها في العادة إلا ويدرجون في برنامج الدعاء، يتولى ذلك من يرجى له القبول من العلماء الربانيين. ففي جلسة عقيقة المولود فإن هذا العالم الرباني هو الذي يوكل بإعلان اسم المولود يوم السابع ويدعو له بالخير والبركة، وعند الزواج فإن الذي يتولى العقد بين الزوجين هو ذاك العالم ويدعو لهما بالبركة، وهكذا الأمر عند الدعاء للميت شأنهم الطلب ممن تقدم في الصلاة على الجنائز أن يدعو للميت ويطلب له الثبات والمغفرة، كل هذه تدل دلالة واضحة على معرفة قومي لأهمية الدعاء ووجوب إخلاصه لمن هو حقه سبحانه وتعالى.

هذا هو الخير الذي عليه كثير من مسلمي نيجيريا، وأحسن بالمجتمع الذي وجد فيه مثل هذا الخير لو عمّ، ومع الأسف الشديد فإنه وجد في هذا العدد الهائل من المسلمين أناس قد جانبوا الصواب في هذه المسألة المهمة التي نحن بصددّها، تحصل منهم انحرافات في عدة صور، منها ما يصل إلى حد الشرك الأكبر، ومنها ما هو من قبيل الوسائل المفضية إليه، ومنها ما هو من البدع الشنيعة، وسأتعرض لذكر صور هذه الانحرافات في المبحث التالي ثم أبين أحكامها مدعمة بالحجج المقنعة راجيا من الله تعالى أن يعيد هؤلاء الناس إلى الصواب.

المبحث الثاني دعاء غير الله حكمه وصوره

مدخل:

ذكر لي واحد من الذين جلست معهم وحاورتهم أثناء الجولات التي قمت بها لجمع المواد العلمية للبحث، وهو من المنتسبين للدراسات الإسلامية وكان يضع صورة الشيخ إبراهيم انياس الكولاخي^(١) أمامه أثناء الدعاء، فلما سألته عن سبب ذلك أجابني قائلاً: "أخبرني أحد الإخوة أن هناك شخصاً كان يضع صورة الشيخ في جهات مختلفة في بيته، ففي يوم من الأيام دخل مجموعة من اللصوص في بيت هذا الشخص، وأثناء محاولتهم لسرقة الأمتعة والأغراض الثمينة من هذا المنزل، فجأة تحولت صورة الشيخ إلى الإنسان الحقيقي فإذا بشخصية الشيخ إبراهيم انياس أمام هؤلاء اللصوص، فقاومهم مقاومة شرسة حتى انصرفوا ورجعوا خائبين"، فقلت لهذا الأخ: وأنت تصدق مثل هذا؟ قال: لم لا أصدق فقد كانت الحادثة من كرامات الشيخ.

(١) هو إبراهيم انياس السنغالي، ولد بقرية تدعى طيبة انيسين بإقليم سين سالوم في جمهورية السنغال سنة ١٣٢٠هـ، نشأ في حجر والده وقرأ القرآن على يديه كما أخذ عنه العلوم الأخرى، ثم أخذ عنه الطريقة التجانية، ولما تجاوز العشرين من عمره تدفقت إليه الإجازات من شيوخ الطريقة تمنحه كامل التصرف في أورد الطريقة التجانية وأسرارها، ومن سنة ١٣٥٠هـ امتد نفوذه إلى خارج السنغال فأصبحت له مراكز في إفريقيا الغربية، اعتقد وقرر أن النبي محمد أصل الكائنات وأن الله أوجد التجاني وجعله واسطة بين الناس والنبي صلى الله عليه وسلم، وكان يسافر كثيراً لنشر طريقته، وقد حج وزار الحرمين وكان لذلك السفر أهمية كبرى في ذبوعه وانتشار طريقته، من مؤلفاته: تنبيه الأذكياء في كون الشيخ تجاني خاتم الأولياء، البيان والتبيين في التجانية والتجانيين، رفع الملام عمّن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام، توفي سنة ١٩٧٥م ودفن وراء مسجده حسب ما امر به في وصيته.

انظر: الشيخ إبراهيم انياس السنغالي حياته وآراؤه وتعاليمه كاشف الإلباس وتحقيق السر الأكبر دراسة وتعليق ص ٧٨ وما بعدها.

هذا مثال لصور الانحرافات التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا فيما يتعلق بالدعاء، وقد دفع هؤلاء الناس إلى الوقوع في هذه الانحرافات عدة أسباب منها: الجهل، والغلو في محبة الأولياء والصالحين كما هو واضح في المثال المذكور، وكذلك التأثير الوثنية والجاهلية التي كان عليها آباؤهم قبل الإسلام^(١)، وسأتعرض في هذا المبحث لذكر الانحرافات التي تخص مسألة الدعاء فأقول مستعينا بالله:

صور دعاء غير الله لدى مسلمي نيجيريا:

الصورة الأولى: دعاء شياطين الإنس والاستغاثة بهم:

المقصود بشياطين الإنس هم فئة من الناس يتعاملون فيما بين أنفسهم بالسحر والشعوذة، وتدار أمورهم وتتخذ قراراتهم في سرية تامة، يرأسهم كبير الكهنة الذي لا يسكن غالبا إلا في الغابة أو في مكان خال من الناس، يعتقد المؤمنون بهم أن لهم قوة شريرة خارقة تقتل، وتدمر، وتفرق بين المتحابين، وتجمع بين المتفرقين، وكثيرا ما توجد بين هذه الفئة نساء شريرات يطلق عليهن (أمهات الدنيا).

كانت هذه الفئات من الجمعيات الوثنية السرية التي تحدث عنها الشيخ آدم حيث قال: "فالجمعيات الوثنية هي التي تمثلها الطوائف الوثنية من عبدة القوى الطبيعية وعبدة أرواح الأسلاف وغيرها، وأعظم الجمعيات الوثنية شوكة هي الجمعيات السرية التي يتألف أعضاؤها من الكهنة والأقيال والملوك الذين يجتمعون فيما بينهم للتآمر على الاغتيالات وسلب الحقوق من أصحابها"^(٢).

إن هذه الجمعيات وثنية في أصلها إلا أنها تستطيع أن تجد أعضائها من جميع الأديان بشعار التعاون الذي تدعيه، وهي مثل الماسونية العالمية التي أنشأها اليهود ونشروا سمومها في العالم تحت شعار الأخوة والرحمة والتعاون، وكان ينتظم فيها غالبية القضاة والدكاترة وعلية الناس والأثرياء^(٣).

(١) سيأتي الكلام بالتفصيل حول أسباب هذه الانحرافات ووسائل علاجها في الباب الرابع من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(٢) موجز تاريخ نيجيريا ص ١٠٦.

(٣) انظر: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص ١٧٧-١٧٨.

ولقد صرح الشيخ آدم عبد الله الألوري بوثنية هذه الجمعيات واغترار بعض المسلمين بالانضمام إليها أثناء ذكره للأخطار التي تهدد المسلمين ومستقبل الإسلام في نيجيريا فقال: "من الأخطار التي تهدد الإسلام في نيجيريا: انسياق المسلمين وراء كل منظمة غربية وهي ليست بريئة من الفساد والإحاد، أعظمها إنما منظمة الماسونية وهي نوعان: الماسونية العالمية التي أنشأها اليهود... ومنها الماسونية المحلية وهي دون الأولى ولكنها قوية منتشرة في الأوساط الأوروبية^(١) في جهات (أبيوكوتا) و(إجيو أودي) و(لاغوس)، وهي لا تخلو من طقوس جاهلية وتقاليد وثنية، ويندرج تحتها بعض المسلمين المغلوب على أمرهم المغرورون بالوعود الكاذبة في معاونة أعضائها عندما تنتابهم نائبة^(٢)."

هذه الصورة من صور دعاء غير الله تحصل في ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: أن يسأل هؤلاء الشياطين الأناسي ما لا يقدر عليه إلا الله والسائل حاضر عندهم كما يفعل من ينتمي إلى هذه الفئة إذا كانت له حاجة من ابتغاء الرزق أو طلب الولد أو تفريج كربة فيحضر لقاء جماعته ذاكرا لهم تلك الحاجة، وفي الغالب يلزمونه في هذه الحالة بتقديم القربان لهم ولربما يطلبون منه أن يقدم أعز الناس عليه من ولده أو زوجه؛ فلذلك قلما تجد من ينضم إلى هذه الجماعة إلا ويزداد أمر دنياه سوءاً، هذا بالإضافة إلى كفره وخروجه من الملة.

الطريقة الثانية: أن يُسأل هؤلاء الشياطين الأناسي ويستغاث بهم من مسافات بعيدة، يُسألون ما يقدرون عليه لو كانوا حاضرين، كما يستغيث بهم بعض الذين يعتقدون أن لهم قوة غيبية أن يرشدوه إذا ضل الطريق، ويستعين بهم ليوفروا له المال إذا انقطعت به السبل ونفد ماله.

الطريقة الثالثة: دعاء هؤلاء الشياطين الأناسي من مسافات بعيدة وسؤالهم ما لا يقدرون عليه لو كانوا حاضرين، كما يسألهم من يؤمن بهم في الصباح الباكر قبل خروجه من المنزل أن يعينوه على أن يربح في تجارته أو يحفظه في سفره أو يشفيه من مرض ألم به.

(١) هذا حسب علم الشيخ آدم وإلا فهذه الجمعيات ليست في أوساط قبيلة (يوريا) فقط بل هي منتشرة بين أغلب القبائل النيجيرية كما سبق أن ذكرت في تمهيد هذا البحث ص ٢٣-٢٥.

(٢) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص ١٧٨.

وفي هذه الطرق الثلاثة يلزم السائل أو المستغيث تقديم القربان أو التحدث بكلمات أجنبية ذات معان شركية ومشملة على ثناء لهؤلاء الشياطين الأناسي والتدلل لهم كمقدمة لندائهم.

حكم هذه الصورة:

هذه الصورة بطرقها الثلاثة حكمها شرك، بل هي من أعظم الشرك؛ وذلك لما يأتي:

١- ما في الطريقة الأولى من سؤال الحي الحاضر ما لا يقدر عليه إلا الله وذلك عبادة قد صرفها الداعي لهذا المدعو العاجز، وصرف شيء من العبادة لغير الله شرك وكفر وضلال مبين، وقد ورد في ذلك أدلة كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: ١٠٦)، والمراد بالظلم هنا الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٧).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ٣٧).

وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (الرعد: ١٤).

٢- ما يوجد في الطريقة الثانية من المحاذير وهو اعتقاد علم الغيب لغير الله تعالى، واعتقاد سمع المدعو الغائب لنداء الداعي وصراخه وغواثه. وعلم الغيب مما استأثر الله به جل وعلا، وقد وردت في ذلك نصوص منها: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ ﴿ (النمل: ٦٥)، وقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة: ١١٦)، وقوله تعالى لحبيبه محمد- صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ ﴾ (الأنعام: ٥٠). ومن ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل فهو كذاب آثم يدعي الألوهية، وأما من اعتقد ذلك في شخص ما كائنا من كان فهو مشرك؛ إذ قد أشرك مع الله غيره في ربوبيته، وأنكر النصوص الثابتة في الكتاب والسنة^(١).

٣- أن في هذه الصورة تعليق القلب بغير الله في السر والعلن وتوجيه النيات إلى من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره، قال تعالى: ﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (الحج: ١٢).

٤- ما في الطريقة الثالثة من دعاء الغائب أولا ثم سؤاله ما لا يقدر عليه حتى لو حضر عنده ثانيا، وسؤال غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى مثل طلب الولد وشفاء المريض ونحوهما من الشرك الأكبر؛ لأن السائل قد أشرك مع الله غيره فيما هو من خصائصه الربوبية. وقد فند الله مقولة الذين يدعون غيره وسفه أحلامهم وقطع رجاءهم، فعل ذلك في غير ما آية مثل قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ﴾ (غافر: ٢٠)، وقوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ (الشعراء: ٧٢-٧٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢١﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (النحل: ٢٠-٢١)، قال الشوكاني: " ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾

(١) انظر: رسالة التوحيد للعلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ص ٦١-٦٢، نقله إلى العربية وعلق عليه أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ط/الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، المكتبة التجارية لدار العلوم ندوة العلماء- لكهنؤ الهند.

أي: وصفتهم أنهم يُخلقون فكيف يتمكن المخلوق من أن يخلق غيره؟ ففي هذه الآية زيادة بيان؛ لأنه أثبت لهم صفة النقصان بعد أن سلب عنهم صفة الكمال^(١).

٥- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قد أمره ربه تعالى أن يعلن للناس أنه لا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، ولا يقدر على شيء إلا ما أقدره الله عليه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (الأعراف: ١٨٨)، هذا في حياته- عليه الصلاة والسلام، أما بعد مماته فإنه لا علم له بشيء مما يحدث بعده، كما ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (... ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٧)، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم^(٢). هكذا كان النبي- صلى الله عليه وسلم- وهو أفضل الأنبياء وإمام المرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين وحبیب رب العالمين، فكيف تستسيغ عقول بعض الناس أن يعتقدوا علم الغيب لمخلوق مثلهم، أو يتمنون جلب النفع أو دفع الضر من بشر مثلهم، إن هذا لمن السفاهة بعينها!

٦- يضاف إلى كل ما سبق ما يلزم الذي يدعو غير الله في هذه الصورة من مقدمات يمهّد بها للحصول على حاجته إما تقديم القربان أو التلطف بكلمات أجنبية ذات معانٍ شركية، وكل ذلك لم يطلب منه إلا لكي يشرك بالله سبحانه وتعالى ويرضي شياطينه. ومع الأسف الشديد فإنه يوجد بين المنتسبين إلى العلم من ضعاف الإيمان من ينتمون إلى هذه الفئة من مسلمي نيجيريا، والذي يدفعهم إلى هذه الفعلة الشنيعة هو رغبتهم في

(٢) فتح القدير ٢٢٢/٣.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الرقاق- باب الحشر- ص ٥٤٧ برقم (٦٥٢٦)، ومسلم في صحيحه- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة- ص ١١٧٤ برقم (٢٨٦٠) عن عبد الله بن عباس.

حصول الكرامات على أيديهم، فيريدون أن يدعو الله فيستجاب لهم على الفور ويطلبون منه حاجة فتقضى في الحال، ولما قَلَّتْ بضاعتهم في التعبد والتقرب إلى الباري جل وعلا عدلوا إلى استخدام هذه القوى الشريرة الخارقة كما يزعمون.

وأما الأثرياء والوجهاء فإنهم ينضمون إلى هذه الفئة ويلتجئون إليهم بالدعاء بهدف صيانة مكانتهم والحفاظ على كراماتهم والرغبة في ازدياد أموالهم. وكذلك نجد من ينضم إلى هذه الجماعات من الفقراء والعوام أو يلوذ بهم لرفع الظلم عن نفسه؛ إذ الظلم متفش في المجتمع وقلما يجد المظلوم من ينصره ويسترد له حقوقه أو من يوقع عقوبة رادعة بالظالم إذا كان ذا مكانة مرموقة في المجتمع.

"وقد نكب هؤلاء الجهال عن طريق الحق، وأعرضوا عن الله الذي كان أقرب إليهم من كل أحد، وأقبلوا على غير الله، واتخذوه ظهيرا ونصيرا ووليا من دون الله، وحرموا نفوسهم النعمة الكبيرة التي أنعم الله بها عليهم؛ فإنه يحقق جميع المطالب، ويرد جميع الآفات من غير واسطة، فلم يشكروا هذه النعمة، ولم يقدروها قدرها، وأقبلوا على خلقه يطلبون منهم قضاء الحاجات ورفع الآفات، فعسروا الميسور... وقد وضح من ذلك أن من اتخذ وليا من دون الله كان مشركا بالله كاذبا كافرا بنعمة الله"^(١).

أفلا يتعظ القوم ويتأملوا النصوص الكثيرة الآمرة بإفراد الله تعالى بالدعاء والناهية عن دعاء غيره مثل قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف: ٥٥). وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠)، وقوله - عليه الصلاة والسلام - في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)^(٢)، يقول ابن رجب رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: "واعلم أن سؤال الله عز وجل دون خلقه هو المتعين؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسئول على رفع هذا الضر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودرء المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده؛ لأنه حقيقة العبادة"^(٣).

(١) رسالة التوحيد للدهلوي ٣١/١.

(٢) سبق تخرجه ص ١١٣.

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم للإمام عبد الرحمن شهاب الدين البغدادي الشهير

ويجدر بالذكر أن هذه الصورة من دعاء غير الله تكثر عند المسلمين في جنوب نيجيريا وشرقها وتقل عند مسلمي الشمال.

الصورة الثانية: دعاء الأولياء والصالحين الأحياء والاستغاثة بهم:

هذه الصورة لها ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: سؤال الأولياء والصالحين والمشايخ الأحياء ما لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى والسائل حاضر عندهم، كما يسأل بعض مريدي المتصوفة مشايخهم أن يشفيه من مرضه أو يُسعده في حياته أو يكشف عنه كربا نزل به.

الطريقة الثانية: دعاء الأولياء والصالحين والمشايخ الغائبين، يناديهم المنادي ويسألهم ما هم قادرون عليه لو كانوا حاضرين مثل إنقاذه من غرق أو إطعامه من جوع، وهذا يحصل كثيرا من المتصوفة وبصفة خاصة الطائفة التجانية.

الطريقة الثالثة: دعاء الأولياء والصالحين والمشايخ الغائبين والاستغاثة بهم، وسؤالهم ما لا يقدر عليهم لو كانوا حاضرين، وهذا أيضا منتشر جدا بين المتصوفة التجانيين. ولقد أخبرني أحد الذين جلست معهم أن بعض مشايخ الصوفية جوز ذلك لمريديه، وصرح لهم بأن ينادوه ويستغيثوا به إذا كانت عندهم حاجة أو وقعوا في شدة. وكذلك تجد في الآونة الأخيرة بين عوام المسلمين وأتباع مشايخ الصوفية من ينادي: يا شيخ فلان أنقذني أو نجني، عند وقوع حادثة مرورية.

حكم هذه الصورة:

الحكم في هذه الصورة بطرقها الثلاثة (الأولى، والثانية، والثالثة) مثل الحكم في الصورة الأولى بطرقها الثلاثة (الأولى، والثانية، والثالثة) سواء بسواء مع نفس التعليقات.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "والشرك نوعان: شرك أكبر مخرج عن الملة وشرك دون ذلك، النوع الأول: الشرك الأكبر وهو كل شرك أطلقه الشارع وهو يتضمن خروج الإنسان عن دينه، مثل أن يصرف شيئا من أنواع العبادة لله عز وجل لغير الله، كأن يصلي لغير

الله أو يصوم لغير الله أو يذبح لغير الله، وكذلك من الشرك الأكبر أن يدعو غير الله عز وجل مثل أن يدعو صاحب قبر أو يدعو غائبا ليغيثه من أمر لا يقدر عليه إلا الله عز وجل" (١).

الصورة الثالثة: دعاء الجن والملائكة:

هذه الصورة تحدث كثيرا عند المنتسبين للعلم من طلبة الدراسات الإسلامية وأدعياء العلم من مشايخ الصوفية، ولهم في ذلك ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: أن يسألوا الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ويدخلون أثناء ذكر تلك الأسماء أسماء أخرى للجن والملائكة ينادونها ويستغيثون بها.

الطريقة الثانية: أن يسألوا الله تعالى بأسمائه الحسنى أو بأدعية من الأدعية المأثورة مع تخصيص خطبة بدعية تحتوي على مناداة أسماء الجن والملائكة والاستغاثة بها، يقرأون هذه الخطبة بعد الدعاء، مثال ذلك (دعاء الفوز العظيم)، وهو كُتِبَ فيها خطب كثيرة مختلفة تحتوي على مناداة أسماء الملائكة، ومشهور جدا بين المنتسبين للدراسات الإسلامية.

الطريقة الثالثة: أن يسألوا الله باسم من أسمائه الحسنى لكن تذكر معه أسماء أخرى يقال إنها أسماء الروحانيين، يعتقدون أنها هي التي تخدم هذا الاسم ويدفع الدعاء للإجابة السريعة.

حكم هذه الصورة:

هذه الصورة بجميع طرقها شرك واضح وكفر بواح لما يأتي:

١- ما فيها من دعاء غير الله مع الله وقد قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٧). قال الشيخ الشنقيطي في تفسير الآية: "وأعظم الكافرين كفرا هو من يدعو مع الله إلها آخر لا برهان له به، ونفي الفلاح عنه يدل على هلاكه وأنه من أهل النار" (٢).

(١) فتاوى مهمة لعموم الأمة للشيخ عبد العزيز بن باز، محمد بن صالح العثيمين ص ٢٧-٢٨، تحقيق إبراهيم الفارس، ط/الأولى ١٤١٣هـ، دار العاصمة- الرياض.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ل محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ص ٣٦٤، اعتنى بها الشيخ صلاح

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (القصص: ٨٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم وخطاب تماثيلهم هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ (الشورى: ٢١)"^(١).

٢- أنها مخالفة لمنهج الرسل عليهم الصلاة والسلام وهم الذين أمرت الأمم بالاعتداء بهم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ (الأنعام: ٩٠)، بل هي مخالفة للعلم الذي ورثه الأنبياء العلماء من بعدهم، (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)^(٢)، فالأنبياء والرسل لم يكونوا يتجهون إلى الملائكة والجن عند الشدائد، فهذا إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام لما رفع ليلقى في النار عرض له جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم! هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وعلم أنه لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين ولا يستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم ولا في مغيبهم، فلا يقول أحد: يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا"^(٤).

الدين العلايلي، ط/الأولى ١٤١٧هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(١) مجموع الفتاوى ١/١٥٩.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب العلم - باب في فضل العلم - ص ١٤٩٣ برقم (٣٦٤١)، والترمذي في سننه - كتاب العلم - باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة - ص ١٩٢٢ برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في سننه - كتاب السنة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم - ص ٢٤٩١ برقم (٢٢٣)، والدارمي في سننه ١/١١٠ عن أبي الدرداء، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٣٣٥: رواه البزار ورجاله موثقون.

(٣) شعب الإيمان ٢/٢٨.

(٤) مجموع الفتاوى ١/١٦٠.

٣- أن هذه الخطب التي تقرأ مع أسماء الله الحسنى أو الأدعية المأثورة والمنتشرة في كتيبات الدعاء ليس لها سند لا صحيح ولا ضعيف، إنما هي من اختراع أناس قل نصيبهم من العلم الشرعي فظنوا أنه يسعهم إحداث أدعية للناس يسألون بها ربهم، والدعاء عبادة، والعبادة توقيفية، فلا يسع أحدا أن يبتدع أدعية ويرتب على قراءتها الأجر.

الصورة الرابعة: دعاء الأموات:

انتشرت هذه الصورة من دعاء غير الله بين المسلمين في المجتمع النيجيري نتيجة انتشار طرق الصوفية بطائفتيها التجانية والقادرية، فهناك قبور وأضرحة كلها لمشايخ الصوفية في شمال البلاد وجنوبها إلا أنها أكثر في الشمال من الجنوب.

وفي مدينة (كانو):

- ضريح للشيخ محمد ناصر الكبرى القادري خلف مسجده الجامع.
- ضريح للشيخ أمير السنوسي الذي يعتبر أول من أدخل الطريقة التيجانية في نيجيريا، وهو ضريح مستقل لم يبن مع المسجد.
- ضريح الشيخ عبد الله ثكا، وهو أيضا ضريح مستقل.

وفي مدينة (كاشنه):

- قبر الشيخ ولي طمرنا.

وفي مدينة (سوكوتو):

- ضريح الشيخ عثمان بن فودي الفلاني القادري.

وفي مدينة (لاغوس):

- ضريح الشيخ آدم عبد الله الألوري ووالديه، بناه بعض الجهال بعد موت الشيخ وهو منه بريء، وهو ضريح مستقل قريب من مسجد المركز الجامع.

وفي مدينة (إبادن):

- قبر الشيخ جامع ييميتو.
- قبر الشيخ السنوسي.
- قبر الشيخ بلو.

ومع الأسف الشديد فإن كل واحد من هذه القبور والأضرحة يحدث عنده ما تشمئز منه النفوس ويندى له الجبين من أمور تناقض العقيدة الإسلامية.

ولدعاء غير الله بهذه الصورة طريقتان:

الطريقة الأولى: أنهم يأتون إلى قبر من قبور هؤلاء المشايخ يقدمون أذكارا وأورادا خاصة بهم عند القبر، كما ينشدون أناشيد فيها مدح للرسول - صلى الله عليه وسلم، وبعد كل هذا يتوجه صاحب الحاجة بالدعاء إلى صاحب القبر ويستغيث به، يقول قائلهم: "يا الشيخ جئت أشكو جماعة باغين بين البرية"، وهذا يحصل كثيرا عند قبر الشيخ محمد الناصر ابن محمد المختار الكبرى في مدينة (كانو)، كما تحصل الصلاة عنده والتبرك بجدران القبر، وقد شاهدت ذلك بأب عيني أثناء قيامي بالجولة العلمية.

الطريقة الثانية: دعاء الأموات والاستغاثة بهم والداعي بعيد كل البعد عن القبور، وهذه الطريقة أيضا منتشرة بين مريدي مشايخ الصوفية حتى بدأ المقلدون تقليدا أعمى من عوام الناس يقلدونهم، فترى واحدا منهم إذا وقع في شدة سرعان ما ينادي: يا شيخ التجاني، يا شيخ انياس، بل بلغ الأمر بالجهال في مدينة (سوكوتو) وما حولها إلى مناداة الشيخ عثمان بن فودي إذا أراد أحدهم أن يسقط على الأرض مثلا أو عند وقوع حادثة سيارة، يفعل ذلك رجاء أن ينجيه هذا الشيخ الذي يناديه ويستغيث به. وأدهى من ذلك وأمر أن الكثير من هؤلاء قد استبدلوا ما جرت به العادة أن يتلفظ به الإنسان من ذكر اسم من أسماء الله الحسنى عند انتقاله من حال إلى حال، كالذي جلس طويلا ثم أراد القيام من مجلسه، ويقول في العادة: يا الله، يا رحمن، استبدلوا ذكر هذه الأسماء بنداء المخلوق المقبور العاجز، يقول قائلهم بدل ذلك: يا شيخ! ويقصد الشيخ عثمان بن فودي.

حكم هذه الصورة:

هذه الصورة حكمها أنها شرك؛ وذلك للأسباب التالية:

١- أن الداعي في هذه الصورة نادى غير الله، ووجه طلبه وقلبه إلى غير المولى جل وعلا، واستغاث به طالبا كشف ضره أو جلب نفع له مما لا يقدر عليه غير الله تعالى.

٢- أن الداعي اعتقد في المقبور قوة غيبية وسلطانا غيبيا وتأثيرا بالقوة الغيبية التي ليست من جنس قوة البشر، ولا من صفاتهم؛ لأنه اعتقد للميت أنه يقدر على إيصال النفع، أو دفع الضر عنه بقوة غيبية لا ترى ولا تلامس الأشياء الملامسة المعروفة لدى البشر^(١).

٣- أن الله قد أظهر بطلان هذا الفعل الشنيع وعجز هؤلاء المدعويين وغيابهم عن الداعين وعدم قدرتهم على النفع أو الضر في مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ^ط وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ^ع وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر: ١٤). وقوله جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ (الأحقاف: ٥). وما أضل هؤلاء الناس! ما الذي يستفيدون من هذا الدعاء وقد قطع الله رجاءهم بهذه الآيات البينات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذا ونحوه مما يبين أن الذين يدعون الأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وغير قبورهم هم من المشركين الذين يدعون غير الله كالذين يدعون الكواكب والذين اتخذوا الملائكة والنبيين أربابا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا^ط أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩-٨٠)"^(٢).

٤- أن الاستغاثة بالميت والغائب سواء كان نبيا أو وليا ليس مشروعاً ولا هو من صالح الأعمال؛ إذ لو كان مشروعاً أو حسناً من العمل لكانوا (أي الصحابة) به أعلم وإليه أسبق، ولم يصح عن أحد من السلف أنه فعل ذلك^(٣).

(١) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٤٨٧/٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١/١٧٨.

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة ١/٩٣.

٥- أن الأموات قد انقطع منهم الحس والحركة، وأعمالهم كذلك منقطعة عن زيادة ونقصان، فدل ذلك أن ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره بحركة، وأن روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير وشر، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره؟ ومع هذا كله يرى المؤمن الحقيقي أنه من العجب أن يذهب هؤلاء إلى هؤلاء المقبورين الذين يعلمون أنهم جثث هامدة لا يستطيعون أن يتخلصوا مما هم فيه، يطلبون منهم أن يخلصوهم من الشدائد، ويطلبون منهم تفريج الكربات. إذا تأمل الإنسان حال هؤلاء فإنه يفضي منها العجب العجاب، ولو أن هؤلاء رجعوا إلى أنفسهم وإلى عقولهم لتبين لهم سفههم وأنهم في ضلال مبين، فنسأل الله تعالى للمسلمين عامة أن يبصرهم في دينهم وأن يهديهم إلى الحق وأن يثبتهم عليه^(١).

الصورة الخامسة: دعاء الله عند قبور الأولياء والصالحين:

يوجد بين مسلمي نيجيريا الذين يدعون الله عند قبور الأولياء والصالحين، ولهم في ذلك طريقتان:

الطريقة الأولى: ما يفعله من يقصد القبر ويتحراه للدعاء عنده بحيث لا يكون له غرض آخر سوى اعتقاده بأن الدعاء عند القبور أجوب وأسرع للقبول، وأن لذلك المكان خصوصية في إجابة الدعاء، وهذا يحصل عند قبر الشيخ آدم عبد الله الألوري الذي جعله بعض الجهال ضريحا وزينوه بعد موته رحمه الله، ولقد شاهدت بأم عيني امرأة تمتد يديها إلى السماء سائلة الله عند هذا القبر، وأنكرت عليها بشدة قائلا لها: لن ينفعك هذا الدعاء، وإن حصل لك شيء فإنه فتنة وامتحان!! كما سمعت من أحد من أخذت المقابلة معهم من أهل مدينة (لاغوس) بل من خريجي مركز تعليم العربي الإسلامي مقر قبر الشيخ آدم، سمعت منه أنه لما فتح باب ضريح الشيخ وجدوا على القبر مبلغا من المال قدره إحدى عشر ألف (نيرا) النيجيرية، الأمر الذي يؤكد مجيء أناس من ضعاف الإيمان إلى هذا المكان قاصدين فيه الدعاء، ولربما هذه النقود تقدم من باب الوفاء بندورهم للشيخ المقبور.

الطريقة الثانية: ما يفعله بعضهم من قصد القبور للزيارة والدعاء عندها، يجمعون بين النيتين: نية الزيارة ونية الدعاء، ويعتقدون أن الدعاء هناك أجوب وأسرع، وأن لذلك المكان

(١) فتاوى مهمة ١/٧٦-٧٧.

خصوصية في إجابة الدعاء، وهذا ما يفعله بعض العوام المقلدين لمشايخ الصوفية ومريديهم عند قبور مشايخهم الميتين مثلما يحدث عند قبر الشيخ محمد الناصر الكبرى في مدينة (كانو)، ويحصل عند قبر الشيخ جامع ييميتو في مدينة (إبادن).

حكم هذه الصورة:

دعاء الله عند القبور بدعة محدثة وذلك لما يأتي:

١- ما في هاتين الطريقتين من تحرّ للدعاء عند القبر، والتحري له حكم خاص؛ لأن الرجل ما يتحرى ويخصص مكانا معيناً للدعاء إلا وقد سيطر على عقله اعتقاد أن لذلك المكان خصوصية ودخلا في إجابة الدعاء، فلذلك توجه إلى تلك البقعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كلامه عن مراتب الأمور المبتدعة عند القبور: "المرتبة الثانية: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت فيقصد زيارته لذلك أو للصلاة عنده أو لأجل طلب حوائجه منه، فهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق أئمة المسلمين، وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين"^(١).

هذا ما يظنه هؤلاء الجهال، والحقيقة أن أداء أية عبادة عند القبور ليس له أية مزية ولا خصيصة؛ إذ لو كان للدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحا لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر (قبر النبي) علما لذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا دعا عنده ولا استشفى به ولا استسقى به ولا استنصر به^(٢).

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية ١/٤٦١.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للعلامة حافظ بن أحمد حكيم ٢/٥٢٣، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، ط/الأولى ١٤١٠هـ، دار ابن القيم - الدمام.

فتبين من هذا أن تحري الدعاء عند القبر بدعة منكورة وهي من البدع التي تضارع دين النصارى، بل يخشى في بعض الأحوال أن تصل إلى الشرك الواضح، فهو وإن لم يصل في جميع صورته إلى الشرك لكنه باب واسع يوصل إلى الشرك وذريعة إليه^(١).

٢- ما ورد من النهي الشديد عن تقديم أي نوع من أنواع العبادة لله تعالى عند القبور لما في ذلك من الوسائل المفضية إلى الشرك، فمن ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد)^(٢).

وفي الصحيحين من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). يحذر ما صنعوا^(٣).

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك)^(٤).

كل هذه الأحاديث وردت في التحذير عن توجيه أي نوع من أنواع العبادة لله سبحانه وتعالى عند القبور؛ لأن ذلك من وسائل الشرك، فأمر - صلى الله عليه وسلم - بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور، واتخاذ القبور مساجد لا يعني فقط بناء المساجد عليها بل الصلاة عند القبور وإلى القبور كلها من اتخاذها مساجد الملعون من فعله، وهي محرمة.

٣- أن سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام عليهم رضوان الله والتابعين لهم بإحسان رحمهم الله جميعا كان منهمجهم إذا زاروا قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصاحبيه أنهم لا يستقبلون القبر عند الدعاء بل يستدبرونه.

(٣) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٢/٦٢٢-٦٢٣.

(١) سبق تحريجه ص ١١٤.

(٢) سبق تحريجه ص ١١٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهي عن بناء المساجد على القبور - ص ٧٦٠

برقم (٥٣٢).

يقول الإمام ابن القيم^(١) رحمه الله تعالى: "ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي- صلى الله عليه وسلم- ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا، ونص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر؛ فإن الدعاء عبادة"^(٢).

ويقول أيضا: "وأما عبادة الله عند القبور كالصلاة عندها والعكوف عليها فهو أشد وأغلظ؛ لأنه ذريعة مفضية إلى عبادة المقبور نفسه"^(٣).

هذا هو الحكم في دعاء الله عند القبور بطريقتيه المذكورتين، أما إذا حصل الدعاء عند القبر بحكم الاتفاق بدون قصد سابق وتحرر كمن يدعو الله في طريقه ويتفق أن يمر بالقبور، أو من يزورها فيسلم عليها ويسأل الله لنفسه وللموتى، فهذا الدعاء جائز لا بأس به؛ لأنه وقع ضمنا وتبعا وبدون قصد، ويدل على ذلك الأحاديث الواردة في السلام على أهل القبور^(٤).

فمن ذلك ما روي عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: "كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول: (في رواية أبي بكر) السلام على أهل الديار، (وفي رواية زهير) السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية"^(٥).

شبه وردود

الشبهة الأولى:

(٤) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين، فقيه، أصولي، مجتهد، مفسر، محدث، نحوي، من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ومن أكثر من تأثر به، عذب في سبيل الله وسجن مع شيخه ابن تيمية في قلعة دمشق، كان محبا للعلم وجمع من الكتب عددا عظيما، له مؤلفات كثيرة، توفي في دمشق سنة ٧٥١هـ.

انظر: الأعلام ٥٦/٦، معجم المؤلفين ١٠٦/٩.

(١) إغائة اللهفان لابن القيم ٢٠٠/١.

(٢) إغائة اللهفان لابن القيم ٢٠٤/١.

(٣) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، ٥٠٨/٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها- ص ٨٣١ برقم (٩٧٥) عن سليمان بن بريدة عن أبيه.

ادعائهم وجود ما يسمى بالروحانية خدام الآيات والسور.

مما يحتج به ضعفاء الإيمان من المنتسبين للدراسات الإسلامية وأدعياء العلم ويتوصلون به إلى تجويز دعاء غير الله مع الله من الملائكة والجن اعتقادهم فيما يسمونه بالروحانيات خدام سور القرآن الكريم وآياته.

وردّ هذه الشبهة من وجوه:

١- أن هذه الأمور من الأمور الغيبية فيحتاج إثباتها إلى دليل، كما وجدت أدلة تثبت وجود مخلوقات تعتبر من الأمور الغيبية مثل الملائكة والجن وغيرهما مما يفوق إدراك البشر، ولما لم يرد دليل لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - يثبت وجود مخلوقات يطلق عليها الروحانية خدام الآيات والسور، علم بطلان القول بوجودها.

٢- أنه لو وجدت هذه المخلوقات لا يمكن أبداً أن يخفى أمرها على سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة الهدى، مع وجود المقتضي إلى استخدام تلك الأسماء عند الدعاء؛ فقد كانت لهم حوائج من خير يطلبون جلبه أو شر يسعون إلى دفعه.

٣- أن دعاء غير الله مع الله أيا كان المدعو يعتبر من اتخاذ الوسائط بين الله وبين خلقه، واتخاذ الوسائط من أفعال المشركين، ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (الزمر: ٢)، فمن دعا مع الله غيره سواء كان المدعو ملكاً أو جناً أو بشراً فقد أشرك، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٧).

الشبهة الثانية:

قولهم بأن مطلوبهم يحصل إذا دعوا هؤلاء الأولياء والصالحين، بل يتمثل لهم بعض المدعويين أحياناً عند ندائه ويقضي حاجة الداعي.

وردّ هذه الشبهة من وجوه:

١- أن كل من دعي من دون الله فلن يستجيب الدعاء ولن ينفع الداعي ولكن قد يحصل المطلوب المدعو به عند دعاء غير الله فتنه وامتحاناً، وفي كتاب الله تعالى آيات كثيرة

ثبتت هذه الحقيقة، منها: قوله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣٠﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۗ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٣١﴾ (فاطر: ١٣-١٤)، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ (الإسراء: ٥٦)، وقوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ (الرعد: ١٤). قال الإمام ابن كثير في معنى هذا المثل القرآني: "ومعنى هذا الكلام أن الذي يبسط يده إلى الماء إما قابضا وإما متناولا له من بعد كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلا للشرب فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهها غيره لا ينتفعون بهم أبدا في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال: ﴿ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾" (١).

٢- أن الله وحده هو الذي يستجيب الدعاء، وهو النافع الضار، والمعطي المانع، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ تُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ (النمل: ٦٢)، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿٢٦﴾ (الرعد: ٢٦)، وقوله تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ ﴾ (فاطر: ٢).

ومن السنة ما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك) (٢)، وقوله - عليه الصلاة والسلام - في

(١) تفسير ابن كثير ٦٦٧/٢.

(٢) سبق تخريجه ص ١١٣.

الدعاء المأثور: (اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت)^(١). وهذه الصفات المذكورة من خصائصه الربوبية، يحرم صرف شيء منها لغير الله، فمن اعتقد أن هناك أحدا كائنا من كان يستجيب الدعاء، وينفع ويضر، ويعطي ويمنع من دون الله تعالى فقد أشرك مع الله غيره.

٣- أنه ليست هناك حاجة إطلاقاً إلى دعاء غير الله سواء في السراء لطلب مزيد من الخير أو في الضراء لرفع البلاء؛ إذ قد أمر الله جل وعلا رسوله - عليه الصلاة والسلام - بأن يعلن للناس أنه قريب منهم كل القرب، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَحَنُّنٌ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦).

٤- أن مطلوبهم الذي يدعون حصوله بدعاء غير الله إنما حصل عند الدعاء، أي عند دعاء هذا الذي دعي من دون الله لا بدعائه، وفرق بين حصول الشيء بالشيء وبين حصول الشيء عند الشيء، فإننا نعلم علم اليقين أن دعاء غير الله ليس سبباً لجلب النفع أو دفع الضرر بالآيات الكثيرة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه ولكن قد يحصل الشيء عند هذا الدعاء فتنة وامتحاناً، والله تعالى قد يتلي الإنسان بأسباب المعصية ليعلم سبحانه وتعالى من كان عبداً لله ومن كان عبداً لهواه^(٢).

فحصول المطلوب لا يدل على مشروعية الدعاء الذي سأل به الداعي، كما أن ظنهم أن مشايخهم يتمثلون لهم عند الحاجة ويقضون حوائجهم ليس إلا مثول الشياطين الذين يريدون إضلالهم وإخراجهم من الملة.

قال شيخ الإسلام في كلامه عن الذين كانوا يعبدون الأولياء والصالحين: "وهكذا كثير من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين إلى هذه الأمة، فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت أو يستغيث به عند قبره ويسأله، وقد ينذر له نذراً ونحو ذلك، ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره أو كلمه ببعض ما سأله عنه ونحو ذلك، فيظنه الشيخ نفسه أتى إن كان حياً، ولهذا أعرف غير واحد من الشيوخ الأكابر الذين

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الدعوات - باب الدعاء بعد الصلاة، ومسلم في صحيحه برقم (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة.

(١) فتاوى مهمة ص ٨٥.

فيهم صدق وزهد وعبادة لما ظنوا هذا من كرامات الصالحين صار أحدهم يوصي مريديه يقول: إذا كانت لأحدكم حاجة فليستغث بي وليستنجدني وليستوصني، ويقول: أنا أفعل بعد موتي ما كنت أفعل في حياتي، وهو لا يعرف أن تلك شياطين تصورت على صورته لتضله وتضل أتباعه فَتُحَسِّنْ لَهُمُ الْإِشْرَاقَ بِاللَّهِ وَدَعَاءَ غَيْرِ اللَّهِ وَالِاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ" (١).

٥- أن علماء الأمة اتفقوا على أن دعاء غير الله من الملائكة والجن والأولياء والصالحين أحياء وأمواتا، وطلب الحوائج منهم والاستغاثة بهم واعتقاد أنهم يسمعون الدعاء وينفعون ويضرون، شرك أكبر، ومخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي (٢): "... وأنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات ويستغاث بهم في الشدائد والبلبات، وبهمهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات... ثم قال: وهذا الكلام فيه تفریط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدى، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة، وفي التنزيل: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥) " (٣).

(١) مجموع الفتاوى ١٧/٤٥٦-٤٥٧.

(٢) هو صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي، واعظ فقيه محدث أديب، له أرجوزة في الحديث، سيف الله على من كذب على أولياء الله، توفي سنة ١١٢٠هـ.

انظر: معجم المؤلفين ٥/٢٤.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ١٨٣-١٨٤.

الفصل الثاني

التوسل

المبحث الأول

تعريف التوسل وصلته بتوحيد الألوهية

معنى التوسل لغة واصطلاحاً:

قال في اللسان: (وسل) الوسيلة المنزلة عند الملك، والوسيلة الدرّجة، والوسيلة القرّية، ووَسَّلَ فلانٌ إلى الله وسيلةً إذا عمِلَ عملاً تقَرَّبَ به إليه، والواسِلُ الراغِبُ إلى الله... وتَوَسَّلَ إليه بوسيلةٍ إذ تقَرَّبَ إليه بعملٍ^(١).

وفي مختار الصحاح: [وسل] و س ل: الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوَسيلُ والوَسايلُ، والتَّوسيلُ والتَّوسُّلُ واحد، يقال: وَسَّلَ فلانٌ إلى ربه وسيلةً بالتحديد، وتَوَسَّلَ إليه بوسيلةٍ إذا تقرب إليه بعملٍ^(٢).

فالتوسل إذن هو: التقرب والتوصل إلى المطلوب برغبة، والوسيلة هي القرب والسبب الموصل إلى المطلوب.

والتوسل اصطلاحاً له معنيان: معنى عام ومعنى خاص.

المعنى العام: هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته، واتباع أنبيائه ورسله، وبكل عمل يحبه الله ويرضاه^(٣).

ويقصد بهذا المعنى التقرب إلى الله تعالى بكل ما هو موجب للقربة إليه من فعل المأمورات وترك المحرمات.

(١) انظر: لسان العرب ٧٢٤/١١ مادة (وسل).

(٢) انظر: مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ٧٤٠/١ مادة (وسل)، تحقيق محمود خاطر، طبعة جديدة ١٤١٥هـ، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت.

(٣) التوصل إلى حقيقة التوسل للشيخ محمد نسيب الرفاعي ص ١٢، ط/الثانية المكتبة المكية. وانظر: مجموع الفتاوى ٢٤٧/١، الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٦٢٨/٢ - ٦٢٩.

المعنى الخاص، هذا المعنى خاص بباب الدعاء وهو: أن يذكر الداعي في دعائه ما يرجو أن يكون سببا في قبول دعائه، أو أن يطلب من عبد صالح أن يدعو له^(١).

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "والتوسل في دعاء الله تعالى أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سببا في قبول دعائه"^(٢).

فيلاحظ أن هناك تطابقا بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لكلمة التوسل؛ إذ كل من المعنيين يعود إلى التقرب أو ما يؤول إليه من القربى، لكن المعنى الشرعي يزيد على اللغوي بأنه تقرب إلى الله تعالى وبذل الأسباب الموصلة إلى محبته ورضاه.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة: ٣٥).

يقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري^(٣) رحمه الله في تفسير الآية: "قال قتادة: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه"^(٤).

معنى الوسيلة في الشرع:

ومعنى الوسيلة في الشرع هو أعلى منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وهو نبينا محمد، وذلك في قوله - صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة)^(٥).

(١) تسهيل العقيدة الإسلامية أ.د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص ٤٩٠، ط الأولى ١٤٢٣ هـ دار الصميعة - الرياض.

(٢) مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢/٣٤٠، ٥/٢٨٠.

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره، كان بصيرا بمعاني القرآن، فقيها في أحكامه، عالما بالسنن

وطرقها، له مصنفات عظيمة منها جامع البيان وهو أجل التفاسير، ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ.

انظر: طبقات المفسرين ١/٩٥، الوافي بالوفيات ٢/٢١٢، كشف الظنون ٦/٢٦، الأعلام ٦/٦٩.

(٤) تفسير الطبري ٤/٥٦٦.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ... - ص ٧٣٨ برقم

(٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه.

صلة التوسل بتوحيد الألوهية:

إن صلة التوسل بتوحيد الألوهية واضحة؛ إذ التوسل بمعناه الخاص جزء من الدعاء، والدعاء بنوعيه هو العبادة كما صح بذلك الخبر عن المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه، فتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والعبادة هي الدعاء، فمن اتخذ في دعائه أسبابا مشروعة موصلة للإجابة فقد أفرد الله بدعائه وبالتالي وحد الله في عبادته، ومن أدخل في دعائه ما لم يجعله الشارع وسيلة موصلة للإجابة كأن توسل بذات الصالحين، أو حقهم، أو جاههم، أو توسل بالأموات، لم يفرد الله بالدعاء ولم يوحد في عبادته.

فالتوسل في دعاء الله تعالى أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سببا في قبول دعائه، وهو بذلك يطلب الوصول إلى الغاية المقصودة التي هي رجاء إجابة دعائه والرغبة إليه تعالى رغبة صادقة مع قطع الأمل عن غيره تعالى، وهذا النوع من العبادة من أعظم أعمال القلوب، كما أن النداء وذكر المدعو في حالة التوسل بأسماء الله وصفاته من أعظم أعمال اللسان.

ولما كان التوسل بمعناه الخاص جزءاً من الدعاء فإذا توسل العبد في دعائه توسلا مشروعاً إذن فقد أفرد الله بعبادته وحقق توحيد الألوهية، فيعلم بذلك أن هناك علاقة وثيقة بين التوسل وتوحيد الألوهية، يقول الشيخ محمد نسيب الرفاعي: "فالتوسل إلى الله تعالى بالوسائل الشرعية هو ... من لدن آدم أول الأنبياء إلى محمد خاتمهم - صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم تسليماً، لم يتبدل ولم يتغير لصلته الوثيقة بالتوحيد"^(١).

والتوسل بعمل صالح قام به العبد من أنواع التوسل المشروع، وأفضل عمل يتوسل به المرء إلى ربه العلي هو التوحيد، وأعظم أنواع التوحيد الثلاثة هو توحيد الألوهية؛ إذ من أجله خلق الله الجن والإنس، وأرسل الرسل وأنزل الكتب، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وقد توسل المؤمنون بتوحيد ربهم والإيمان به في مثل قوله جل وعلا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٣).

(٢) التوصل إلى حقيقة التوسل ص ١٢٣.

وفي حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلا يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، قال: فقال: (والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى)^(١).

المبحث الثاني

أنواع التوسل المشروع

التوسل في أصله ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الوتر - باب الدعاء - ص ١٣٣٣ برقم (١٤٩٣)، والترمذي في سننه - كتاب الدعوات - باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله - ص ٢٠٠٩ برقم (٣٤٧٥) عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (١٣٢٤)، وصحيح الترمذي برقم (٢٧٦٣).

القسم الثاني: التوسل الممنوع

والذي يعيننا في هذا المبحث هو القسم الأول.

فالتوسل المشروع هو: التوسل بالوسيلة الصحيحة الموصلة إلى المطلوب^(١)، والوسيلة الصحيحة هي التي دلت عليها نصوص الكتاب أو السنة.

يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: "وأما الوسيلة الشرعية فلا يشترط فيها إلا ثبوتها في الشرع ليس غير"^(٢).

والتوسل المشروع ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلاء:

وذلك بأن يدعو الله تعالى بأسمائه كلها كأن يقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى أن تغفر لي، أو أن يدعو الله باسم معين من أسمائه تعالى مناسب للمطلوب في دعائه، كأن يقول: اللهم يا رحمن ارحمني، أو يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم أن ترحمني، أو أن يدعو الله بجميع صفاته كأن يقول: اللهم إني أسألك بصفاتك العليا أن ترزقني رزقا حلالا، أو أن يدعو بصفة واحدة من صفاته تعالى تناسب ما يدعو به، كأن يقول كما في الحديث: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)^(٣)، ومن ذلك أيضا دعاء الاستخارة المشهور.

وهذا النوع من التوسل هو أعلى أنواع التوسل إلى الله وأقربها إجابة؛ لأنه تمجيد وتقديس وثناء على الله تعالى، وهو أكثر ما جاء ذكرا في القرآن، وأكثر ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعواته^(٤)، يقول الإمام ابن القيم: "وأمر عباده أن يسألوه بأسمائه وصفاته، ففتح لهم باب الدعاء رغبا ورهبا؛ ليذكره الداعي بأسمائه وصفاته فيتوسل إليه بها؛

(١) معجم ألفاظ العقيدة تأليف عامر عبد الله فالخ ص ١٠٤ - ١٠٥، ط/الأولى ١٤١٧ هـ مكتبة العبيكان - الرياض.

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص ٢٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الدعوات - باب في فضل سؤال العافية والمعافاة - ص ٢٠١٣ برقم (٣٥١٣)، وابن

ماجه في سننه - كتاب الدعاء - باب الدعاء بالعفو والعافية - ص ٢٧٠٧ برقم (٣٨٥٠) عن عائشة - رضي الله

عنها، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٣٧).

(١) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل ص ١٧.

ولهذا كان أفضل الدعاء وأجوبه ما توسل فيه الداعي إليه بأسمائه وصفاته، قال الله تعالى: ﴿

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ (الأعراف: ١٨٠) ^(١).

أدلة مشروعية التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته:

أدلة هذا النوع من التوسل كثيرة في الكتاب والسنة منها:

قوله تعالى: ﴿

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، يقول العلامة

عبد الرحمن السعدي في تفسير الآية الكريمة: "ومن تمام كونها ﴿

أَحْسَنَىٰ﴾ أنه لا يدعى إلا بها، ولذلك قال: ﴿

فَادْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علي يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف، ونحو ذلك" ^(٢).

ومنها قوله تعالى في دعاء زكرياء عليه السلام: ﴿

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا

تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۖ﴾ (الأنبياء: ٨٩).

ومنها قوله تعالى في دعاء أيوب عليه السلام: ﴿

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ أَنِّي مَسَّنِيَ

الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۖ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

(إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة) ^(٣).

وفي معنى هذا الإحصاء يقول ابن القيم: "الثاني عشر في بيان مراتب إحصاء أسمائه

التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح، المرتبة الأولى:

(٢) الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة لابن القيم ٩١١/٣، تحقيق الدكتور علي بن محمد الدخيل الله، ط/الثالثة

١٤١٨هـ، دار العاصمة - الرياض.

(٣) تفسير السعدي ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - باب: إن لله مائة اسم إلا واحدة - ص ٦١٥ برقم (٧٣٩٢)، ومسلم

في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها - ص ١١٤٤

برقم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة.

إحصاء ألفاظها وعددها، المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها، المرتبة الثالثة: دعاؤه بها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠) (١).

ومنها ما روته عائشة في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا قام من الليل، قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) (٢).

ومنها ما رواه محجن بن الأدرع رضي الله عنه قال: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد وهو يقول: اللهم إني أسألك يا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم. قال: فقال: (قد غفر له، قد غفر له) ثلاثاً (٣).

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح:

هذا نوع آخر من أنواع التوسل المشروع وهو أن يذكر الداعي بين يدي دعائه عملاً صالحاً قام به متوسلاً بذلك إلى ربه جل وعلا، وليس هذا من باب من العبد على ربه بأعماله الصالحة كما يظنه بعض الناس؛ إذ الفضل لله تعالى في كل هداية يهتدي بها العبد إلى الأعمال الصالحة، ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ (الحجرات: ١٧).

ويدخل في هذا النوع التوسل بالإيمان بالله تعالى وبنبيه - صلى الله عليه وسلم - وتصديقه وطاعته واتباعه، كأن يقول المسلم: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي ... أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وإيماني به أن تفرج عني ...

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ١٧١-١٧٢، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وغيره، ط/الأولى ١٤١٦هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - ودعائه بالليل - ص ٨٠٠ برقم (٧٧٠) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة - باب ما يقول بعد التشهد - ص ١٢٩٦ برقم (٩٨٥)، والنسائي في سننه - كتاب السهو - باب الدعاء بعد الذكر - ص ٢١٧٢ برقم (١٣٠٢) عن محجن بن الأدرع. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٨٦٩).

ومنه التوسل بمحبة الصالحين في الله والله، والتوسل بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بالصيغة التي وردت في السنة المطهرة وبطريقة مشروعة؛ لأن هذه كلها توسل بأعمال صالحة قام بها العبد نفسه^(١).

أدلة مشروعية التوسل بالعمل الصالح:

من الأدلة الدالة على هذا النوع من التوسل:

قوله تعالى في دعاء المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٦).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "توسلوا بمنة

الله عليهم بتوفيقهم للإيمان؛ أن يغفر لهم ذنوبهم ويقيهم شر آثارها، وهو عذاب النار"^(٢).

وقوله جل شأنه في دعاء المؤمنين أيضا: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ

أَنۢ أٰمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ

﴾ (آل عمران: ١٩٣).

ومن السنة حديث بريدة بن الحصيب المتقدم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد

الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، قال: فقال: (والذي نفسي بيده، لقد سأل الله

باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)^(٣).

ومنها ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قصة الثلاثة الذين أطبقت عليهم

صخرة في غار، فدعا كل واحد منهم بعمل صالح عمله ففرج الله عنهم^(٤).

وهناك أمثلة من أعمال السلف الصالح منها ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه

كان يقول بعد صلاة الليل: اللهم أمرتني فأطعت، ودعوتني فأجبت، وهذا سحر فاغفر لي^(١).

(١) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٦٣٢/٢.

(٢) تفسير السعدي ص ١٠٨.

(٣) سبق تخرجه ص ١٤٣.

(٤) سيأتي تخرجه ص ١٦٥.

فالقيام في السحر والناس نيام من أجل الأعمال الصالحة، قدمها ابن مسعود بين يدي دعائه، ولم يدع قبل أن يتوسل بها إلى الله تعالى^(٢).

ويلحق بهذا النوع توسل الداعي بذكر حاله وضعفه وافتقاره، والاعتراف بالذنب وإظهار الحاجة لرحمة الله ومغفرته؛ إذ الاعتراف بالذنب والندم على ما فات ثم إتباعه بالتوبة عمل صالح جليل يقوم به العبد لربه سبحانه وتعالى، قال تعالى عن زكرياء عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (مریم: ٤).

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح:

وذلك بأن يطلب المرء المسلم من أخيه الحي الحاضر أن يدعو الله له، كأن يقع في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعو له ربه، ليفرج عنه كربته، ويزيل عنه همه^(٣)، ولا يشترط كون المطلوب منه الدعاء أفضل من الطالب.

هذا النوع من التوسل له صورتان^(٤):

الأولى: أن يطلب المسلم من أخيه الحي الحاضر الدعاء، فيدعو له بدون أن يدعو الطالب المتوسِّل.

الثانية: أن يطلب المسلم الدعاء من الحي الحاضر، ثم يدعو بنفسه أن يتقبل الله دعاء المتوسِّل بدعائه، أو يؤمِّن على دعائه. مثال ذلك طلب عمر الدعاء من العباس بن عبد المطلب في حديث الاستسقاء، فدعا العباس ودعا معه عمر والحاضرون.

(٢) أخرجه الإمام الطبري في تفسيره، عند تفسير قوله تعالى: (والمستغفرين بالأسحار)، ٢٠٧/٣.

(٣) التوصل إلى حقيقة التوسل ص ١٢٧.

(٤) انظر: التوسل للألباني ص ٣٨.

(١) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٦٣٥/٢.

ولا يشترط في هذا النوع أن يكون المطلوب منه أفضل من الطالب، فقد طلب عمر رضي الله عنه - ومعه السابقون الأولون - من العباس بن عبد المطلب الدعاء في الاستسقاء، وما لا شك فيه أن عمر أفضل من العباس رضي الله عنهم أجمعين^(١).

أدلة مشروعية التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح:

من أدلة التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (يوسف: ٩٧).

ومن السنة ما رواه أنس أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يخطب، فاستقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائما فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يديه فقال: (اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا)، قال أنس: لا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يخطب فاستقبله قائما، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله بمسكها، قال: فرفع رسول الله يديه ثم قال: (اللهم حولينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجالال والآجام والظراب والأودية ومنابت الشجر)، قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس^(٢).

ومنها ما رواه أنس أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال: فيسقون^(٣).

(٢) انظر: المرجع السابق ٦٣٥/٢.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاستسقاء - باب الاستسقاء في المسجد الجامع - ص ٧٩ برقم (١٠١٣)، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة الاستسقاء - باب الدعاء في الاستسقاء - ص ٨١٧ برقم (٨٩٧) عن أنس بن مالك.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاستسقاء - باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا - ص ٧٩ برقم

ومعنى قول عمر: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا - صلى الله عليه وسلم - وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، أننا كنا نقصد نبينا - صلى الله عليه وسلم - ونطلب منه أن يدعو لنا، ونتقرب إلى الله بدعائه، والآن وقد انتقل - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس، ونطلب منه أن يدعو لنا، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم: اللهم بجاه نبيك اسقنا، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم: اللهم بجاه العباس اسقنا؛ لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم^(١).

ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر)، وقال أبو هريرة: فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (اللهم اجعله منهم)، ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (سبقك عكاشة)^(٢).

وهذه الأنواع الثلاثة للتوسل المشروع كلها صحيحة؛ لأنه قد ثبت في النصوص ما يدل على مشروعيتها، وعليها جرى عمل السلف الصالح كما أجمع عليها المسلمون.

التوسل لدى مسلمي نيجيريا:

لا يزال المسلمون بخير ما طبقوا شريعة الله واتبعوا سنة رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه، فقد كان مسلمو نيجيريا متمسكين بسنة نبيهم في توسلهم بكلام الله؛ وذلك لمعرفةهم بأن كلام الله القرآن الكريم معجزة خالدة من معجزاته - صلى الله عليه وسلم، وأنه دستور الخالق لإصلاح الخلق.

والتوسل بكلام الله جائز في الشرع المطهر؛ لأن كلامه صفة من صفاته، والتوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا من أنواع التوسل المشروع الذي سبق بيانه في الصفحات

(١٠١٠) عن أنس بن مالك.

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه ص ٤١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب - ص ٥٤٨ برقم (٦٥٤٢)،

ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا

عذاب - ص ٧١٧ برقم (٢١٦) عن أبي هريرة.

السابقة، فالقرآن كلام الله لفظاً ومعنى، وكلامه تعالى من صفاته، فالتوسل به توسل إلى الله بصفة من صفاته، وهذا لا ينافي التوحيد وليس ذريعة من ذرائع الشرك^(١).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه مر على قاص يقرأ ثم يسأل فاسترجع ثم قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيحيى أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس)^{(٢)(٣)}.

فيمثل هذا فليتوسل المتوسلون من المسلمين، فبدلاً من التوسل بذات النبي - صلى الله عليه وسلم - وذوات غيره من الأنبياء والصالحين، فليتوسلوا بإيمانهم به - صلى الله عليه وسلم - واتباعهم له، وحبهم لهؤلاء الأولياء والصالحين فإن ذلك من أعمالهم هم، وبدلاً من التوسل ببركة وحق الآباء والمشايخ، فليتوسلوا ببرهم لوالديهم، وبدلاً من التوسل بالجن والملائكة، فليتوسلوا بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا وبكلام الله تعالى، فإن هذا هو السبيل الحق والمنهج القويم.

المبحث الثالث

التوسل الممنوع حكمه وصوره

التوسل الممنوع هو: أن يتقرب العبد إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة، بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة.

فالتوسل إلى الله بما ليس بوسيلة شرعية صحيحة من اللغو والباطل المخالف للمعقول والمنقول، مثال ذلك أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بدعاء ميت، يطلب من هذا الميت أن يدعو الله له^(٤).

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٥١٩/١١ فتوى رقم (٦٣٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب فضائل القرآن - باب من قرأ القرآن فليسأل الله به - ص ١٩٤٤ برقم (٢٩١٧) عن عمران بن حصين، وحسنه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (١١٤١٣).

(٣) وفي هذا الحديث دليل على عدم جواز ما يفعله المنتسبون للدراسات الإسلامية من مسلمي نيجيريا حيث يتخذ بعضهم الدعاء للناس حرفة فينتقل من بيت إلى بيت يقرأ القرآن وغيره من الأدعية المشروعة للناس يسألهم بما ما يقضي به حاجته، فهذا من سؤال الناس بالقرآن الذي تحبنا عنه في الحديث.

(١) مجموع فتاوى العقيدة للشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢/٣٣٥.

هذا، وقد أساء كثير من مسلمي نيجيريا الفهم في طريقة التوسل المشروع؛ فجعلوا يتوسلون بذوات الأنبياء والأولياء والصالحين ويطلبون القربى إلى الله بحقهم وجاههم وحرمتهم معتقدين بأن لهؤلاء مكانة مرموقة عند الله سبحانه وتعالى ولا بد من الاستفادة من هذه المكانة.

وبسبب الغلو^(١) في محبة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومجانبة الصواب في وسائل إظهار تلك المحبة كثر عدد الذين يتوسلون بذات النبي - صلى الله عليه وسلم - وحقه وجاهه وحرمته وبركته بين مسلمي نيجيريا، وتتراوح نسبتهم بين ٧٠% و ٨٠% حسب نتائج الاستبانة، وقد فشلت هذه الصورة من التوسل الممنوع وانتشرت بين مسلمي نيجيريا حتى أن بعض خريجي جامعات المملكة العربية السعودية لم يسلم منها.

ولتنوع صور التوسل الممنوع وكبر نسبة من يقعون فيها من مسلمي نيجيريا أفصل القول في ذكر هذه الصور ثم أبين أحكامها راجيا من المولى العظيم أن يعين القوم على تدبر المقام وإعطائه ما يستحق من ترك القبيح والتزام المنهج السليم.

صور التوسل الممنوع لدى مسلمي نيجيريا:

للتوسل الممنوع لدى مسلمي نيجيريا خمس صور:

الصورة الأولى:

التوسل إلى الله بأسماء لم يسم بها نفسه، وأوصاف لم يصف بها نفسه في كتابه العزيز ولا وصفه بها رسوله في السنة المطهرة.

وهذه الصورة من التوسل الممنوع تكثر وقوعها لدى المنتسبين للدراسات الإسلامية من طلاب المدارس العربية النظامية والأهلية؛ وذلك أن الكثير منهم يرغبون في الدراسات الإسلامية دون معرفة الغاية من تحصيلها، فيحرمون على أنفسهم اتخاذ وسائل أخرى لكسب الرزق، ولما كان السعي إلى توفير عيشة هنيئة للنفس مطلب كل فرد اتخذوا الدعاء للناس لحل مشاكلهم

(٢) سيأتي الكلام بالتفصيل حول هذا السبب وغيره من أسباب هذه الانحرافات في الباب الرابع من هذا البحث.

حرفة، وقد وضع لهم ساداتهم أدعيةً مختلفةً فيها خطب مشتملة على توسلات بهذه الأسماء والأوصاف التي ليست لله تعالى، لكنهم يصفونه بها ويتوسلون بها إليه.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

فمن أمثلة هذه الصورة ما قاله الحاج عبد العزيز بن أحمد بالوغن^(١) في (دعاء الغاية المقصودة الكبرى) في خطبته المحدثه لسورة الضحى: "يا هو، يا كافي، يا فاطر، يا كبير، يا مالك، يا عظيم، يا سلام، اكفني شر ما أخاف شره"^(٢).

ويلاحظ مناداة الرب تعالى بـ (يا هو)، ولم يرد هذا في كتاب الله ولا سنة رسوله، وإنما هو مما أحدثه المتصوفة في أذكارهم البدعية.

وقال في موضع آخر من دعاء ذكره لقضاء حاجة: "اللهم لك الكل، وبك الكل، ومنك الكل، وإليك الكل، وأنت الكل، وكل الكل"^(٣).

وفي موضع آخر قال: "اللهم يا فطعطيائل يا مسكيائل يا كشفىائل يا رطفيائل يا دمدم يائل يا كعكيائل يا ملكيائل يا تبيائل يا تبتياائل يا عجبيائل، أحب يا روقياائل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم ارزقني رزقا واسعا..."^(٤).

وقال الشيخ يعقوب عبد الله الألوري^(٥) في كتابه (عون العلماء الصالحين)، عند ذكره لدعاء سماه بدعاء أم موسى لتفريج الكرب، ودفع كيد العدو، وتدمير الظالم وإهلاكه، والحفظ

(١) هو الحاج عبد العزيز أحمد بالوغن الألوري، ولد ببلدة (إلى - أورنغن) في ولاية (أويو)، ودرس وتخرج من معهد (إلورن) التابع للأزهر الشريف بولاية (كوارا) نيجيريا، وكتابه هذا يعتبر زادا لطلاب الدراسات الإسلامية في نيجيريا سفرا وحضرا إلا من رحم ربي للاهتمام إلى منهج أهل السنة والجماعة وقليل ما هم، وقد أعيدت طباعته أكثر من مرة. انظر: مقدمة كتابه (دعاء الغاية المقصودة الكبرى).

(٢) دعاء الغاية المقصودة بموافقة الاستجابة تأليف الحاج عبد العزيز أحمد بالوغن الألوري ص ٥٦، دون بيانات أخرى.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٠.

(٤) المرجع السابق ص ٣٨.

(٥) هو الحاج يعقوب بن عبد الله الألوري، من مواليد بلدة (إلورن) ولاية (كوارا) نيجيريا، كان أخا شقيقا للشيخ آدم عبد الله الألوري ورفيق دربه في رحلاته مع والدهما حتى توفي، ثم صار من طلاب الشيخ آدم الذين هاجروا معه من (أبيوكوتا) إلى (أغبيغي)، لا يزال يدرس في مركز التعليم العربي الإسلامي إلى الآن، وهو المشهور بشيخ الرواق.

انظر: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته ص ١٩.

من كل مصيبة، قال: "وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً. اللهم يا فحشش وهيطث لئوتا فيوتا ويا طلمتالها ميوتا" (١)(٢).

وفي موضع آخر قال: "أجب يا كعيايل ويا سعديائل ويا ظمهيائل ويا رب جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل" (٣).

وهكذا يطلقون تلك الأسماء الغريبة والعجيبة في نفس الوقت على الله عز وجل على حسب ما تأمرهم به أهواؤهم، معتمدين في ذلك على علم الحساب مع اعتقادهم أن لها معانٍ تنفعهم في دعائهم إياه وتوسلهم إليه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. فقد كذبوا في ظنهم الباطل، فالمنهج السليم هو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم، وأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمي به نفسه جناية في حقه تعالى.

حكم هذه الصورة:

هذه الصورة من التوسل حكمها التحريم؛ وذلك للأسباب التالية:

١ - عدم مشروعيتها أي عدم وجود ما يدل على هذا النوع من التوسل لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله، وإذا لم تثبت مشروعيتها فهو إذن ليس مشروعاً، وبدهي إذا لم يكن مشروعاً أن يكون ممنوعاً وحراماً (٤).

٢ - بل الدليل يدل على خلافه؛ لأن إطلاق أسماء وأوصاف لم يصف الله بها نفسه ولا وصفه بها رسوله - عليه الصلاة والسلام - من القول على الله بما لا يعلمه العبد، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ﴾

(٣) عون العلماء الصالحين جمع وترتيب الحاج يعقوب بن عبد الله الألوري ص ٦٥، دون بيانات أخرى.

(٤) ومن الداري هل هذا السائل يتوسل إلى ربه بما ليس من أسمائه ولا صفاته لأنه قال في بداية الدعاء: "اللهم"، أو ينادي الجن ويستغيث بهم لأن هذه الأسماء المذكورة يتوقع أن تكون من أسماء الجن.

(٥) عون العلماء الصالحين ص ٦٧.

(١) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل ص ١٧٨، وهذا الدليل عام في منع جميع أنواع التوسلات الممنوعة.

(الأعراف: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

٣- أن الإنسان إذا كانت له حاجة عند غيره فإنه ينادي هذا الغير بأحب أسمائه إليه
لكي يجد منه القبول ويحصل على مطلوبه، والله المثل الأعلى، وهو سبحانه يحب أن ينادى
ويتوسل إليه بما أمر به عباده في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^ط
(الأعراف: ١٨٠)، فكيف يعقل أن يتقرب العبد إلى ربه بما لا يرضاه؟

٤- أن هذا السلوك مخالف لما عليه سلف هذه الأمة، فمنهج سلف الأمة في هذا
الشأن أن أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها، فلا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، ولا
صفة أبلغ مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله
بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فلا
يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين، بل هو
سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا
في أفعاله"^(١).

الصورة الثانية:

التوسل إلى الله بذات المخلوق.

هذه الصورة منتشرة جدا بين مسلمي شمال نيجيريا وجنوبها، ولم يخرج من ذلك أية فئة
من فئات المجتمع النيجيري؛ إذ هي موجودة بين العلماء وطلبة الدراسات الإسلامية وعموم
الناس، ومما يتوسل الناس بذاته نبينا محمد وسائر الأنبياء - عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.
ومعنى التوسل بذات المخلوق الاستغاثة به - سواء كان النبي أو غيره - فيما لا يقدر
عليه إلا الله؛ وذلك أن الأدلة الشرعية تدل على نفي اتخاذ الوساطة بين العبد وربه لإجابة دعاء
العبد وقضاء حاجته، بل المأمور به إخلاص الدعاء الذي هو أعظم العبادات لله وحده.

(٢) مجموع الفتاوى ١٩٥/٥.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

يقول قائلهم: أسألك يا الله بحبيبك محمد أن تفعل لي كذا وكذا.

وقال في دعاء الغاية المقصودة، في الخطبة لسورة طه: "اللهم إني أسألك برسولك الأكرم الأحب من خلقك، سيد البشر النبي المصطفى المنتقى أن تنزل البركات على هذه السورة"^(١).

واشتهر أن يتوسل مسلمو نيجيريا من سائر الأنبياء بأمثال موسى وعيسى وآدم وإبراهيم- عليهم الصلاة والسلام، كما يتوسلون بذوات الأولياء والصالحين والعلماء، ويغالي المتصوفة في التوسل بذوات مشايخهم إلى حد يدخل بهم في الشرك في بعض الأحيان. ومن المخلوقات الأخرى التي يتوسل مسلمو نيجيريا بذواتها الكعبة المشرفة، ومكة المكرمة، والمدينة النبوية، والمسعى، والصفاء، والمروة، وجبل هود، وجبل الطور، وزمزم. فقد جمع صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى هذه التوسلات كلها في أبيات عنون لها ب (استغاثة مباركة لتفريج الكرب وقضاء الحوائج)، والأبيات هي^(٢):

إليك فأنت الحاكم العالم الشكوى	وأنت الذي تدري السرائر والنجوى
سألتك بالكتب التي منك أنزلت	وبالمرسلين المنقذين من البلوى
وبالعلماء العاملين بعلمهم	وبالأولياء السالمين من الدعوى
وبالبيت والمسعى وزمزم والصفاء	وبالحرمين الآمنين من الأسوى
وبالمسجد الأقصى وبالجبل الذي	تحط السيئات عليه كما يروى
أن تقيّض لي رزقا حالالا بلا عنا	وترزقني العلم الشريف مع التقوى

كما يتوسلون بالجن وما يسمى بالروحانيين.

(١) دعاء الغاية المقصودة ص ٢٩.

(٢) دعاء الغاية المقصودة الكبرى ص ١٠٥-١٠٦، ولست أدري هل الأبيات من إنشاء المؤلف أو لغيره، والذي يظهر لي أنها له لأنني لم أعر عليها من غير هذا الكتيب مما يسمى بكتيبات الدعاء، ومهما يكن، فالمهم أن الأبيات مشهورة جدا بين أذعياء العلم وطلابه وخاصة الذين يتخذون الدعاء للناس حرفة، يذكرونها عقب دعائهم متوسلين بها، كما يتغنون بها بكل فرح وسرور دون أدنى شعور منهم بما اشتملت عليه من التوسلات البدعية، والشرك في الربوبية في قول الشاعر: (وبالمرسلين المنقذين من البلوى).

ففي دعاء الفوز العظيم^(١): "اللهم إني أسألك يا الله يا الله يا الله يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد يا غني يا مغني بمهمهوب مهمهوب ذي اللطف الخفي بصعصع صعصع ذي النور والبهاء بسهسهوب سهسهوب ذي العز الشامخ الذي له العظمة والكبرياء لطهطهوب طهطهوب لهوب ذي النور والبرهان والقدرة والسلطان"^{(٢)(٣)}.

حكم هذه الصورة:

التوسل بذات المخلوق إذا قصد به الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهو شرك؛ وذلك لما يأتي:

١- عدم ورود دليل يدل على مشروعيته لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم.

٢- أن التوسل بذات المخلوق بقصد الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله فيه توجيه الدعاء لغير الله، ودعاء غير الله شرك أكبر، يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

٣- أن التوسل بالذوات هو الذي فتح للعوام نداء الأموات والاستغاثة بهم بحجة أن ذلك توسل؛ لعدم معرفة بعضهم الفرق بين التوسل بدعاء رجل صالح الذي هو المشروع وبين التوسل بذاته الذي يقصد به الاستغاثة به، ولتساهل آخرين، فأدى بهم التوسل بذوات الأولياء والصالحين إلى التصريح بندائهم أحياء وأمواتا، وذلك عين الشرك.

٤- ما يقصد بهذه الصورة من جعل الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه في قضاء الحوائج واستجابة الدعاء، وذلك عين فعل المشركين الأولين، كما قال تعالى عنهم: ﴿أَلَا لِلَّهِ

الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ

(١) هو كتيب آخر من كتيبات الدعاء، ولعل لشهرته لم يكتب عليه اسم المؤلف ولا دور النشر وقد طبعت عدة مرات، قل من لا يملكه من طلبة الدراسات الإسلامية في نيجيريا؛ وذلك لجهلهم بما فيها من استغاثات وتوسلات غير مشروعة.

(٢) دعاء الفوز العظيم ص ١٩-٢٠.

(٣) وقع المتوسل بهذه الألفاظ في محذورين اثنين، الأول: أنه ينادي ربه متوسلا إليه بذوات أعيان من الجن، والثاني: أنه يصف هؤلاء الجن بأوصاف لا ينبغي إطلاقها إلا على الله وحده، ووصف المخلوق بصفات الله تعالى شرك في الأسماء والصفات.

زُلْفَى ﴿ (الزمر: ٣)، كما أن الذي يجعل بينه وبين الله وسائط في الدعاء يفهم من لسان حاله تشبيه الخالق بال مخلوق، وفي ذلك تنقص لجناب الرب تعالى، حيث إن المعهود بين الناس أن الملوك غالبا يكون لهم وزراء يرفعون قضايا الناس العاديين إليهم؛ وذلك لعجزهم وقصر علمهم عن معرفة ما يجري في مملكتهم، والله جل وعلا علام الغيوب والقادر على كل شيء، لا حاجة له إلى الوسائط والوزراء لتبلغه أصوات عبادته ومعرفة حوائجهم، بل هو أقرب إلى عبده من حبل وريده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وإن أثبتتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقرتهم منهم، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل" (١).

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى: "القسم الثاني فهو التوسل بدواتهم، فهذا ليس بشرعي بل هو من البدع من وجه، ونوع من الشرك من وجه آخر، فهو البدع؛ لأنه لم يكن معروفا في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، وهو من الشرك؛ لأن كل من اعتقد في أمر من الأمور أنه سبب ولم يكن سببا شرعيا فإنه قد أتى نوعا من أنواع الشرك، وعلى هذا لا يجوز التوسل بذات النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل أن يقول: أسألك بنبيك محمد - صلى الله عليه وسلم، إلا على تقدير أنه يتوسل إلى الله تعالى بالإيمان برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومحبتة؛ فإن ذلك من دين الله الذي ينتفع به العبد، وأما ذات النبي - صلى الله عليه وسلم - فليست وسيلة ينتفع بها العبد" (٢).

الصورة الثالثة:

التوسل إلى الله تعالى بحق مخلوق أو حرمة أو جاهه أو بركته.

(١) مجموع الفتاوى ١/١٢٦.

(٢) فتاوى مهمة ص ٩٠.

وهي صورة أخرى من صور التوسل الممنوع التي لا يكاد يحصى وقوعها لدى مسلمي
نيجيريا، فيتوسلون بجاه النبي - صلى الله عليه وسلم - وحقه وحرمة وبركته، وكذلك غيره من
الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

يقول صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى: "اللهم إني أسألك بجاه محمد المصطفى
وبحق هذا الدعاء أن تهب لي في الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير" (١).
وضمن سلسلة من أبيات أخرى سماها ب (الاستغاثة المباركة)، قال فيها:
أرجوك يا رب في الدارين ترحمنا بجاه من في يديه سيح الحجر (٢)
وفي التوسل بحق النبي - صلى الله عليه وسلم - وأولاده السبعة قال مؤلف كتاب (عون
العلماء الصالحين): "اللهم إني أسألك بحق سيدنا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وأولاده السبعة وهم: القاسم وعبد الله وإبراهيم وزينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم" (٣).
ومن التوسل ببركة الأنبياء قول صاحب دعاء الغاية المقصودة: "اللهم اقض حاجتي
ببركة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم" (٤).
كما يتوسلون بحق الصحابة الكرام وحرمتهم رضي الله عنهم أجمعين، وفي ذلك قول
صاحب دعاء الغاية المقصودة: "اللهم اقض حاجتي بجرمة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي
عبيدة بن الجراح - رضي الله عنهم أجمعين" (٥).

وتوسل صاحب عون العلماء الصالحين بأبي بكر وحده وقال:

فيا رب فاسترنا من الظلم كله بجاه أبي بكر حبيب نبينا (٦)

(٢) دعاء الغاية المقصودة ص ١٩.

(٣) المرجع السابق ص ٩٤.

(٤) عون العلماء الصالحين ص ٤٣.

(٥) دعاء الغاية المقصودة ص ٣٧.

(١) دعاء الغاية المقصودة ص ٣٧-٣٨، وانظر: عون العلماء الصالحين ص ١٦.

(٢) عون العلماء الصالحين ص ١١٣.

ويتوسلون بحق الأولياء والصالحين، يقول في ذلك صاحب كتاب عون العلماء الصالحين: "بسم الله الرحمن الرحيم، بحق سيد تاج العارفين أبي الوفاء، وبحق عبد القادر الكيلاني والجيلاني، وبحق سيد أحمد التجاني^(١) رضي الله عنهما"^(٢).

وقد لا يذكر أسماء الأولياء الذين يتوسلون بهم بل يقولون مثلاً: "أكفني شر من لا يخافك بحق من يخافك، يا ذا الجلال والإكرام"^(٣).

ويتوسلون بحق الملائكة الكرام وحرمتهم، كما في دعاء الغاية المقصودة: "وبحق جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل وسمسيائيل ونورمياييل وأوقياييل، وكل الملايئ الأعلى"^(٤). وفي دعاء الفوز العظيم أيضاً: "أجرب بحرمة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ورقيب وعتيد ومنكر ونكير عليهم الصلاة والسلام"^(٥).

كما يتوسلون ببركتهم، مثل ما قال صاحب دعاء الغاية المقصودة في خطبته لسورة يس: "اللهم اقض حاجتي ببركة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكرسي والملائكة المقربين وجميع الأنبياء والمرسلين"^(٦).

حكم هذه الصورة:

مذهب جمهور العلماء أن التوسل بجاه المخلوق أو حقه أو حرمة أو بركته من البدع المذمومة لكنه لم يصل إلى حد الشرك، وهذا القول لم يخالف فيه إلا العز بن عبد السلام^(٧) الذي أجاز التوسل بالنبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة معلقاً القول بذلك على صحة

(٣) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، شيخ الطريقة التجانية ومؤسسها، ولد بعين ماضي بالجزائر سنة ١١٥٠هـ ونشأ بها، رحل في سنة ١١٧١هـ إلى فاس فلقني بها بعض الشيوخ فأخذ عنهم، ثم رحل إلى تلمسان وأقام بها مدة، وحج سنة ١١٨٦هـ، ومر بتونس وأقام بها مدة ثم عاد إلى فاس واستقر بها إلى أن توفي سنة ١٢٣٠هـ.

انظر: الأعلام ٢٤٥/١، معجم المؤلفين ١٤٣/٢.

(٤) عون العلماء الصالحين ص ١٥-١٦.

(٥) المرجع السابق ص ٤٢.

(٦) دعاء الغاية المقصودة ص ٣٠.

(٧) دعاء الفوز العظيم ص ٢١.

(١) دعاء الغاية المقصودة ص ٣٧.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٢١١.

حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه عند الترمذي، والحديث صحيح^(١) إلا أنه ليس فيه دليل على جواز التوسل بذات النبي - صلى الله عليه وسلم أو بجاهه.

ومما يدل على بدعية هذه الصورة:

١- أن الشخص الذي يُسأل الله تعالى بجاهه لم يحصل على هذا الجاه وتلك المنزلة العالية إلا باجتهاده بفعل المأمورات وترك المنهيات، وهذا سعيه هو ولا نصيب لغيره منه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩)، فكيف يتوسل المرء بما ليس من ملكه ولا رابط معه به؟^(٢).

٢- أنه لو كان التوسل بالجاه مشروعاً ومتعارفاً عليه لدى الصحابة الكرام ما عدلوا عن التوسل به - صلى الله عليه وسلم - بعد موته إلى التوسل بالعباس، ولاكتفى ذلك الأعمى الذي جاء إليه - صلى الله عليه وسلم - يطلب منه الدعاء، لاكتفى بالجلوس في بيته والتوسل بذات النبي أو جاهه هناك.

يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى:

"وأما قول القائل: أسأل الله بحق أوليائه أو بجاه أوليائه أو بحق النبي أو بجاه النبي فهذا ليس من الشرك ولكنه بدعة عند جمهور أهل العلم ومن وسائل الشرك؛ لأن الدعاء عبادة وكيفيته من الأمور التوقيفية ولم يثبت عن نبينا - صلى الله عليه وسلم - ما يدل على شرعية أو إباحة التوسل بحق أو جاه أحد من خلقه فلا يجوز للمسلم أن يحدث توسلاً لم يشرعه الله سبحانه وتعالى، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ (الشورى: ٢١)، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٣) متفق على صحته، وفي رواية لمسلم وعلقها البخاري في صحيحه جازماً بها: (من عمل

(٣) انظر: ص ١٧٠ من هذا البحث.

(٤) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل ص ١٨٠-١٨١.

(١) سبق تخريجه ص ٤٣.

عملا ليس عليه أمرنا فهو رد^(١)، ومعنى قوله: (فهو رد) أي: مردود على صاحبه لا يقبل، فالواجب على أهل الإسلام التقيد بما شرعه الله والحذر مما أحدثه الناس من البدع^(٢).

الصورة الرابعة:

التوسل إلى الله تعالى بكلمات لا يفهم معناها.

يكثر وقوع هذه الصورة لدى المنتسبين للدراسات الإسلامية الذين جعلوا أنفسهم زعماء روحانيين للناس، فيريدون دائما أن يأتوا بأشياء غريبة يتعجب منها الناس كي يتيقن المغترون بهم بأن لديهم كرامات، وأن دعاءهم مستجاب.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

ومن الأمثلة على هذه الصورة قول صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى في خطبته لسورة الكهف: "اللهم إنا نسألك بدعوة مستجابة سورة مجيبا سقفاطيش سقفاطم أخون قاف: آدم حم هاء آمين وبحق كهيعص طه وطس ويس وحم وحم عسق ق ف وتطريفها اقهر لي على خلقك أجمعين وبحق فهتمي برهان أذوني أصباؤت ءال شداى هوتان تطروت وصوقاد ولا طييح ولا يكمتوتا أيكان هاهن سنطليش، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"^(٣).

وقوله في موضع آخر: "العجل العجل الوحا الوحا الساعة الساعة بارك الله فيكم وعليكم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم"^(٤).

حكم هذه الصورة:

التوسل إلى الله تعالى بكلمات لا يفهم معناها من البدع الشنيعة، وذلك لأمر:

١- أن معنى التوسل التقرب إلى الله تعالى بالطاعات من واجبات ومستحبات، وبكل عمل يحبه الله ويرضاه، وقد دلت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة على أن الله لا يحب أن يعبد إلا بما أمر به وشرعه على لسان رسوله- صلى الله عليه وسلم، وما من شك بأن هذه

(٢) سبق تخرجه ص ٤٣.

(٣) فتاوى مهمة ص ٩٣.

(٤) دعاء الغاية المقصودة ص ٢٠.

(١) دعاء الغاية المقصودة ص ٦٥.

الأباطيل لم ترد على لسان رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ولم تسمع من أحد كائنا من كان ممن عاش في القرون المفضلة.

٢- أن ما ورد في كتاب الله من توسلات المؤمنين إلى ربهم وما ورد في السنة مما علّم النبي - صلى الله عليه وسلم - به أمته من التوسلات كلها واضحة المعاني، فالمسلم الجديد يدرك بسهولة معنى (الغفور) و(الرحيم) من أسمائه تعالى التي أمرنا بالتوسل بها، كما يدرك معنى قوله - صلى الله عليه وسلم: (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق...) في توسله المعروف، فكل هذه التوسلات واضحة المعاني لا غموض فيها ولا تكلف.

٣- أن ما دلت عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - من أنواع التوسل المشروع، وعمل بها الرسول - عليه الصلاة والسلام - وصحابته الكرام عليهم رضوان الله لنا فيه كفاية وغنية عن إحداث نوع آخر مما لا يسلم أن يكون من إملاءات الشياطين.

٤- أن الإنسان لا يدري ربما هذه الكلمات مشتملة على معانٍ شركية تُخرج الذي يتلفظ بها من ملة الإسلام، وتسبب له الشقاوة في الدنيا والآخرة.

يقول الشيخ أبو بكر محمود جومي^(١) عند ذكره لبعض البدع المنتشرة بين مسلمي نيجيريا ومنها قراءة أوراد وأدعية غير مفهومة المعاني، قال: [ثم إن تلاوة الأسماء بدون معرفة معناها لا ينفع شيئاً... وربما تجرد من يتلو أسماء لا يعرف معناها يضر نفسه بدل أن ينفعها، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: ١١)، وقال مالك رحمه الله لرجل رآه يدعو بأسماء لا يعرف معناها: "وما يدريك لعلها كفر"^(٢) [٣].

٥- أن ما وردت به النصوص من أنواع التوسلات المشروعة قد وجد آثارها جُم غفير من أفراد الأمة، وأيقنوا نتائجها، وهي استجابة الباري جل وعلا لدعوتهم، وقضائه لحوائجهم.

(٢) هو أحد العلماء النيجيريين الذين أبرزت جهودهم في محاربة الانحرافات في الباب الأول من هذا البحث، وهو من علماء أهل السنة والجماعة.

(١) سبق تخريجه ص ٧٤.

(٢) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص ٥٥-٥٦.

ففي التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلاء ما رواه محجن بن الأدرع رضي الله عنه قال: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد وهو يقول: اللهم إني أسألك يا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم. قال: فقال: (قد غفر له، قد غفر له) ثلاثاً^(١).

وما رواه أنس بن مالك قال: كنت مع رسول - الله صلى الله عليه وسلم - جالسا ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللهم! إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام! يا حي يا قيوم! إني أسألك، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: (أتدرون بما دعا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (والذي نفسي بيده! لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)^(٢).

وفي التوسل بالعمل الصالح ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه في قصة الثلاثة الذين أطبقت عليهم صخرة في غار، فدعا كل واحد منهم بعمل صالح عمله ففرج الله عنهم. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغقب قبلهما أهلا ولا مالا، فنأى بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغقب قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقده على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج) قال النبي - صلى الله عليه وسلم: (وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها

(٣) سبق تخريجه ص ١٤٦.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الوتر - باب الدعاء - ص ١٣٣٣ - ١٣٣٤ برقم (١٤٩٥)، والنسائي في سننه - كتاب السهو - باب الدعاء بعد الذكر - ص ٢١٧٢ برقم (١٣٠٢) عن أنس بن مالك، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٢٢٩٠).

فامتنتع مني حتى أمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتهما عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها). قال النبي - صلى الله عليه وسلم: (وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراً فأعطيتهم أجراً غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله، أذ إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون^(١).

وفي التوسل بدعاء الرجل الصالح ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب^(٢).
هذه هي التوسلات المشروعة الناجحة المجربة التي يثاب عليها المرء لامثاله أمر الله تعالى واتباعه سنة نبيه - عليه الصلاة والسلام، يضاف إلى ذلك استجابة الله لدعوته ونياله لمطلوبه، ولم العدول عنها إلى التوسلات التي الأقرب فيها أن تكون من الشرك؟ والله المستعان.

الصورة الخامسة:

التوسل إلى الله تعالى بطلب الدعاء من الأموات.
ذلك بأن يقوم المتوسل بزيارة القبور ويتوسل إلى الله تعالى بطلبه الدعاء من الأموات، وهي صورة يكثر وقوعها عند المتصوفة بطائفتهم في نيجيريا: التجانية والقادرية، إلا أنه لقوة شوكتهم فقد بدأ هذا الأمر ينتشر بين الذين يقلدونهم من العوام.

ذكر الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الإجارة - باب من استأجر أجيماً فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد -... - ص ١٧٦ برقم (٢٢٧٢)، ومسلم في صحيحه - كتاب الرقاق - باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال - ص ١١٥٣ برقم (٢٧٤٣) عن عبد الله بن عمر.

(١) سبق تخريجه في ص ١٥٠.

ومثال هذه الصورة من التوسل الممنوع ما قاله الشيخ عبد الجبار بن محمد الناصر المختار كبرى^(١) في رده على أحد علماء أهل السنة: "وبدون تطويل فإن أحدا منا لا يقوم بعبادة مثله من الخلق حيا كان أو ميتا، لكننا نكن احتراما وتقديرا لكل من شهد الواقع له بالصلاح، في حياته وبعد مماته فهما عندنا سواء، والذي نقوم به تجاه الصالحين الأموات هو الزيارة وغايتها القصوى الدعاء لهم، وطلب الدعاء منهم، والاعتبار بهم، وليس العبادة كما يفترى أتباع السلفية"^(٢).

وشبهتهم^(٣) - كما هي واضحة في النقل السابق - أنهم يظنون أن سؤالهم الأموات مثل سؤالهم إياهم لما كانوا أحياء، فلا فرق عندهم بين الحياة والموت.

حكم هذه الصورة:

التوسل بطلب الدعاء من الميت من البدع المنكرة ومن وسائل الشرك، وهو باب من الأبواب الموصلة إلى دعاء الميت نفسه فيما بعد، هذا إذا كان ذلك التوسل قد حصل عند قبر الميت ومشهده.

ويدل على بدعية هذه الصورة ما يترتب عليها من مفاسد عظيمة من صرف القلوب إلى غير باريها وفاطرها، والافتقار إلى المخلوق المقبور العاجز، وإيذاؤه بتكليفه سؤال الله تعالى إن قُدر أنه يسأل الله، ومن يدري ما هو فيه من النعيم أو الجحيم؟^(٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما الزيارة البدعية فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج أو يطلب منه الدعاء والشفاعة، أو يقصد الدعاء عند قبره لظن القاصد أن ذلك أجوب للدعاء، فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي ولا

(٢) هو عبد الجبار بن محمد الناصر المختار الكبرى أحد أبناء الشيخ محمد الناصر الكبرى الكنوي القادري، كان والده رئيس الطائفة القادرية في نيجيريا كلها إلى أن توفي، وهو خليفة والده الآن بدار القادرية بمدينة (كانو).

(٣) عصا موسى بين حبال السحرة تأليف عبد الجبار محمد الناصر المختار كبرى ص ١٣، مطبعة شريف بلا، كانو - نيجيريا ١٤٢٤ هـ.

(٤) سيأتي الرد على هذه الشبهة في صفحات مقبلة.

(١) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٢/٤٩٥.

فعلها الصحابة لا عند قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا عند غيره وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك^(١).

أما إذا توسل بطلب الدعاء من الميت بعيدا عن قبره فالحكم في هذه الحالة أن هذا التوسل شرك؛ لأن المتوسل قد زعم أن الولي الذي يطلب منه الدعاء يعلم الغيب، ويسمع كلامه في كل زمان ومكان، ويشفع له في كل حين وأوان، فهذا شرك صريح^(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فعلم أنه لا يجوز أن يسأل الميت شيئا، لا يطلب منه أن يدعو الله له ولا غير ذلك، ولا يجوز أن يشكى إليه شيء من مصائب الدنيا والدين، ولو جاز أن يشكى إليه ذلك في حياته فإن ذلك في حياته لا يفضي إلى الشرك وهذا يفضي إلى الشرك؛ لأنه في حياته مكلف أن يجيب سؤال من سأله لما له في ذلك من الأجر والثواب وبعد الموت ليس مكلفا^(٣)".

وخلاصة القول أن التوسل جزء من الدعاء، والدعاء عبادة من العبادات، كما ثبت في الحديث: (الدعاء هو العبادة)^(٤)، وقد وردت النصوص الصحيحة الصريحة بتحريم إحداث عبادة لم ترد في النصوص الشرعية، فإن كل توسل لم يرد في النصوص ما يدل على مشروعيته فهو توسل بدعي محرم، وتتراوح حرمة بحسب نوعيته وصوره.

إذن فالتوسلات المذكورة آنفا بجميع صورها محرمة، وأخف صورة فيها هي ما كان حكمها من البدع المنكرة.

فلا يجوز للمسلم أن يدعو الله تعالى بشيء من هذه التوسلات؛ إذ قد أثبتت النصوص أن التوسل المشروع بجميع أنواعه مخالف لهذه الصور من التوسلات، فلم يرو قط في خبر صحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم، ولا عن صحابته الكرام ما يدل على عمل أحد منهم بهذه الصور من التوسلات أو ما يشبهها، مع أنه قد نقلت عنهم أدعية كثيرة، وهم أئمة الأمة لهذا الدين بعد نبيها، وأحرصهم على الخير والتمسك بسنة نبيهم^(٥).

(٢) مجموع الفتاوى ١/١٦٦.

(٣) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٢/٤٩٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١/٣٥٤.

(١) سبق تخريجه ص ١٠٨.

(٢) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية ص ٤٩٨-٤٩٧.

شبهه وردود

لم تكن لدى مسلمي نيجيريا شبهات كثيرة في مسألة التوسل، وإنما الذي أوقع أغلبهم في تلك التوسلات الممنوعة الجهل في الدين والغفلة عن اتباع سنن الهدى والغلو في محبة الأولياء والصالحين.

أما تلك الشبهات القليلة التي يشهد الواقع على وجودها ودلت التجارب على اشتباه الحق على الناس حولها فهي:

الشبهة الأولى:

استدلواهم على جواز التوسل بجاه النبي - صلى الله عليه وسلم بحديث: (توسلوا بجاهي؛ فإن جاهي عند الله عظيم)، ويرويه بعضهم بلفظ: (إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي؛ فإن جاهي عند الله عظيم).

ورد هذه الشبهة من وجوه:

١- أن هذا الحديث لا أصل له في شيء من كتب السنة، بل هو مما وضعه بعض الفسقة على النبي - صلى الله عليه وسلم؛ ولذا بطل الاستدلال به. يقول شيخ الإسلام: "وروى بعض الجهال عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم، وهذا الحديث كذب، ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث، مع أن جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين^(١).

٢- أننا لا ننكر عظمة جاه النبي، فإن جاهه - صلى الله عليه وسلم - أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين؛ إذ هو أفضل ولد آدم على الإطلاق، فلسنا ننكر جاهه إلا أنه لم يرد دليل شرعي صحيح في جواز التوسل بجاهه هذا ولا جاه غيره من الأنبياء والأولياء، فلا نتمسك بالقول بتعظيمه ومحبته فندخل من ذلك الباب في التوسل بجاهه وحرمته، وإنما نعظمه

(١) مجموع الفتاوى ٣١٩/١.

باتباعه وطاعته فيما أمر واجتناب ما عنه نهى، وكذلك التأسي به في سننه، فالحب الصادق إنما هو بالاتباع وليس بالابتداع.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "قال بعض السلف: ادعى قوم محبة الله فأنزل الله آية المحنة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، وقال: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول، وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية^(١).

٣- أن التوسل بجاه النبي - صلى الله عليه وسلم - أو غيره من الأولياء والصالحين ليس مشروعاً، وليس هناك دليل صحيح يثبت في الكتاب والسنة؛ إذ لو كان من أنواع التوسل المشروع لانتشر بين الصحابة في حياة النبي - عليه الصلاة والسلام - ولنقلت إلينا أمثلة منه كما نقلت إلينا بأسانيد صحيحة أمثلة من التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلاء، وأمثلة من التوسل بالعمل الصالح، وأمثلة من التوسل بدعاء الرجل الصالح.

٤- بل الأدلة تدل على أن التوسل بالجاه ممنوع شرعاً، ومن ذلك حديث الرجل الأعمى الذي جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يطلب منه الدعاء بالعافية. فقد روى عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ادع الله أن يعافيني، فقال: (إن شئت أخرجت لك وهو خير، وإن شئت دعوت)، فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة، يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي، اللهم فشفعه فيّ)^(٢).

ويلاحظ في الحديث مغادرة الرجل الأعمى بيته ومجيئه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ليطلب منه الدعاء مما يدل بجلاء على فهمه الدقيق للأسباب الشرعية التي تقرب الداعي من الإجابة، ولو كان التوسل بجاه النبي - عليه الصلاة والسلام - جائزاً ومشهوراً في

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن قيم الجوزية ٢٢/٣، والذي قاله الحسن البصري.
(١) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الدعوات - باب في دعاء الضيف - ص ٢٠٢٠ برقم (٣٥٧٨)، وابن ماجه في سننه - كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها - باب ما جاء في صلاة الحاجة - ص ٢٥٥٩ برقم (١٣٨٥) عن عثمان بن حنيف. قال الترمذي: حديث صحيح حسن غريب، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٩٥).

عصرهم لما احتاج الرجل للمجيء إلى النبي، بل جلس في بيته يتوسل بجاه النبي وحرمته، ولو لم يكن عالما بأن توسله بجاهه يكفيه وأتى النبي - عليه الصلاة والسلام - لأرشده إلى ذلك وأرجعه إلى بيته ليقعد هناك ويتوسل بجاهه - عليه الصلاة والسلام.

الشبهة الثانية:

ظنهم بأن طلب المسلم الدعاء من أخيه في حياته مثل طلبه منه بعد موته ولا فرق عندهم بين الحياة والموت، وأصل هذه الشبهة عندهم هو الغلو في محبة الأولياء والصالحين، وهو الذي أدى بهم إلى هذا الاعتقاد الباطل.

ورد هذه الشبهة من وجوه:

١- إن الظن بأنه لا فرق بين الحياة والموت وقياس أحدهما على الآخر ظن سيء، وقياس مع الفارق، وهو فاسد الاعتبار؛ لأن طلب الدعاء منه في حال حياته ليس فيه محذور ولا مفسدة؛ فإن أحدا من الأنبياء عليهم السلام لم يعبد في حياته بحضوره، فإنه ينهى من يعبده ويشرك به ولو كان شركا صغيرا كما قال - صلى الله عليه وسلم: (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان)^(١)، ونهى من قال: (وفينا نبي يعلم ما في غد)^(٢).

وأما بعد موته فيخاف الفتنة والإشراك به كما أشرك بالمسيح والعزير وغيرهما عند قبورهم وغير قبورهم^(٣).

٢- أنه لم يرد قط أن نبيا طلب من نبي آخر ممن سبقوه أن يدعو الله له، ولا فعل ذلك نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم، وكذلك الصحابة الكرام لم يكونوا يطلبون من النبي بعد موته أن يدعو لهم مع أن طلب الدعاء منه في حياته معروف فيما بينهم، والذي فعلوه هو العدول عنه إلى غيره من الصالحين مثل توسلهم بدعاء العباس بن عبد المطلب، ولو كان الأمر كما يظنه القوم من جعل الحياة والموت سواء لما انصرف الصحابة إلى التوسل بالعباس رضي الله عن الجميع بطلب الدعاء منه، والموقف يقتضي الأخذ بأسرع وسيلة للإجابة.

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتب الأدب - باب .. ص ١٥٨٨ برقم (٤٩٨٠)، والإمام أحمد في مسنده - ٤٦١/٥ برقم (٢٣٤٠٩) عن حذيفة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المغازي - باب .. ص ٣٢٦-٣٢٧ برقم (٤٠٠١) عن الربيع بنت معوذ.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١/٣٣٢-٣٣٣، ٢٧/٨٠.

٣- ما في الكتاب والسنة من الدلائل البينة على جواز التوسل بدعاء الرجل الصالح في حياته ومنع ذلك بعد موته.

ومن تلك الأدلة قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ٦٤).

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسير الآية: "﴿ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها، والثواب عليها، وهذا المحييء إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك، لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته، فإنه لا يطلب منه شيء، بل ذلك شرك" (١).

وعلى الرغم من وضوح وجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة على جواز توسل المسلم بدعاء أخيه الحي الحاضر، فقد استدل بها بعض المبتدعة على مذهبهم الباطل الذي هو الاستغاثة بالأموات وطلب الدعاء منهم والتوسل بهم، وليس في الآية أدنى وجه استدلال لهم بل هي دليل عليهم.

فهي حكاية عن واقع حال أيام الرسول - صلى الله عليه وسلم - يذكرها الله في القرآن، ويرويه لنا؛ لتتعض بما فيها ونعمل بما نفهم منها (٢)، ولا تدل بأي وجه على جواز الذهاب إلى قبره الشريف - صلى الله عليه وسلم - بعد موته أو غيره من الأنبياء والصالحين وطلب الاستغفار أو الدعاء منه أو الاستغاثة به. يؤكد ذلك أن (إذ) في قوله تعالى: ﴿ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾، تستعمل لحكاية أمر وقع في زمن مضى كما يقول اللغويون.

(١) تفسير السعدي ص ١٦٥.

(٢) التوصل إلى حقيقة التوسل ص ١٣٦.

ففي القاموس المحيط: "إذ: تَدُلُّ على الماضي مَبْنِيٍّ على السكونِ وَحَقُّهُ إِضَافَتُهُ إِلَى جُمْلَةٍ، وَتَكُونُ اسْمًا لِلزَّمَنِ الْمَاضِي وَحِينَئِذٍ تَكُونُ ظَرْفًا غَالِبًا: فَقَدْ نَصَرَہَ اللّٰهُ إِذْ أَخْرَجَهُ، وَمَفْعُولًا بِهِ: وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا، وَبَدَلًا مِنَ الْمَفْعُولِ: وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ"^(١).

ويقول الشيخ محمد نسيب الرفاعي: "ومما يجب التنبيه إليه، والتنويه عنه هو أن الذهاب إلى الرسول واستغفار الله تعالى في مجلسه ثم سؤالهم رسول الله الاستغفار لهم، واستغفاره - صلى الله عليه وسلم لهم فعلا ... كل هذا ... إنما كان ولا شك في حياته - صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز لأحد بعد وفاته أن يأتي قبره - صلى الله عليه وسلم - ويسأله أن يستغفر الله له؛ لأن استغفاره - صلى الله عليه وسلم - قد انقطع بوفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى - بأبي هو وأمي - ولم يعد يستطيع الدعاء والاستغفار لانقطاع عمله بالوفاة. وبناء على ذلك فإن كل سؤال منه بالاستغفار بعد وفاته محرم، وليس لأحد أن يحتج بالآية على فعل ذلك"^(٢).

ومن السنة عدول الصحابة الكرام عليهم رضوان الله عن التوسل بدعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاته إلى التوسل بدعاء العباس عم النبي رضي الله عنه، ولو كان التوسل بدعائه في حياته وبعد موته سواء ما عدلوا عن التوسل بدعائه عليه الصلاة والسلام إلى التوسل بدعاء من هو أقل منه فضلا.

(٣) انظر: القاموس المحيط ٤٢١/١، ومختار الصحاح ١١/١.

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل ص ١٣٦.

الفصل الثالث الحلف

المبحث الأول

تعريف الحلف لغة واصطلاحاً وصلته بتوحيد الألوهية

التعريف اللغوي للحلف:

الحِلفُ والحِلفُ القَسَمُ لغتان. حَلَفَ أَي: أَقْسَمَ، يَحْلِفُ، حَلْفًا، وحَلْفًا، وحَلِيفًا، ومَحْلُوفًا^(١).

والحلف، والقسم، واليمين، كلها بمعنى واحد، يقول الراغب الأصفهاني: "وأقسم: حلف، وأصله من القسم، وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول ثم صار اسماً لكل حلف"^(٢). وقد وردت هذه الألفاظ كلها في القرآن الكريم.

ففي لفظ "الحلف" قال تعالى: ﴿تَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾ (التوبة: ٦٢)،

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ (القلم: ١٠).

(١) انظر: لسان العرب ٥٣/٩ مادة (حلف).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٤٠٤.

وفي لفظ "القسم" قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ (النحل: ٣٨).

وفي لفظ "اليمين" قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾

(البقرة: ٢٢٥).

التعريف الاصطلاحي للحلف:

الحلف: هو اليمين والقسم، وهو توكيد حكم بذكر معظم على وجه مخصوص^(١).

صلة الحلف بتوحيد الألوهية:

لما كان توحيد العبادة هو توحيد الله تعالى بأفعال العباد، وكان الحلف فعل العباد أنفسهم، كان صرفه لله تعالى توحيداً؛ إذ الحلف تعظيم للمحلوف به^(٢)، والتعظيم فعل العبد، وإنه بالحلف يكون العبد قد عبد الله تعالى بقلبه ولسانه وجوارحه.

فعبد الله بقلبه، وذلك بما يقوم في قلبه من اعتقاد العظمة والكبرياء والحيروت لله تعالى، وبما يقوم في قلبه من خشية الله تعالى وخوفه إن هو كذب في حلفه، وبما يقوم في قلبه من الرجاء لله إن هو بر في يمينه، ولم يكذب، وهذه عبادات قلبية، وأعمال للقلوب يتقرب بها العبد إلى الله تعالى.

وهو بحلفه يتعبد لله بلسانه، حيث إن اللسان أداة للحلف، وترجمان القلب ومقدمته، فإذا حلف كان قد عبد الله به؛ لأن حلفه يشتمل على إثبات توحيد الربوبية والعبودية والأسماء والصفات، والإقرار بهذه عبادة الله تعالى.

وهو بحلفه يتعبد لله بجوارحه، فبكفه عما حلف عليه، وبفعله لما حلف أن يفعله - إن لم يكن معصية، أو حلفاً على ترك طاعة - قد تعبد الله بجوارحه، وكذا بما يظهر على الجوارح من الخشوع والخضوع والتعظيم لله تعالى، كل هذا عبادة لله جل وعلا.

(٣) المطلع على أبواب المقنع تأليف محمد بن أبي الفتح البعلبي الحنبلي ص ٣٨٧، تحقيق محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبد الرؤوف المناوي ٦/١٢٠، ط/الأولى ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

كما أن للحلف صلة بالتوحيد، من جهة ما يصاده ويناقضه أو يقدر فيه، فكما أن الحلف بالله تعالى توحيد، فإن الحلف بغيره جل وعلا شرك، فهو شرك أكبر تارة، وشرك أصغر تارة أخرى، بحسب ما يقوم بالقلب، كما أن الحلف بالله كاذبا منقص لثواب التوحيد، وتكذيب الحالف الصادق كذلك منقص لثواب التوحيد، ومؤذن بعدم الاكتراث بالله - تعالى^(١).

أدلة النهي عن الحلف بغير الله:

الحلف - كما سبق تعريفه - هو تأكيد الشيء بذكر معظم بصيغة مخصوصة، فيتبين من ذلك أن الأصل في الحلف تعظيم المحلوف به، ولما كان من واجب المرء المسلم ألا يعظم بقلبه ولسانه وجوارحه إلا الله سبحانه وتعالى أصبح أمر الحلف عند العبد خاصا به تعالى، ومن حقوقه الإلهية.

فمعلوم أن ما كان حقا خالصا لله لا ينبغي أن يكون لغيره فيه نصيب، فالحلف به من حقه تعالى، وهو عبادة، والعبادة كلها له وحده لا شريك له، ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (البينة: ٥)، وإذا كان الحلف نوعا من أنواع العبادة فيأفراد الله تعالى به يكون توحيدا، فأبي حلف بشيء آخر كائنا ما كان ذلك الشيء منافا لكمال التوحيد الواجب؛ وذلك لما فيه من إعظام غير الله بما هو من خصائص الله تعالى.

وقد بعث الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، فكان أول ما دعا إليه التوحيد الذي هو دينه ودين إخوته الأنبياء والمرسلين، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ^ط ﴾ (النحل: ٣٦)، فبلغ رسالة ربه غاية التبليغ، وحمى جناب التوحيد، ونهى عن نقيضه الذي هو الشرك دقه وجله، وسد جميع الوسائل المؤدية إليه. ومن هذا الشرك الذي نهى عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - الحلف بغير الله، فإنه شرك أصغر؛ ولذلك جاء النهي عنه في أحاديث كثيرة.

ومن أدلة النهي عن الحلف بغير الله:

(٢) الحلف والأيمان دراسة عقدية للدكتور يوسف بن محمد السعيد، بحث في مجلة جامعة الإمام العدد ٣٩ رجب

ما روي عن عمر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم)، قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - ذاكرا ولا آثرا^(١).

وما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: (ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)^(٢).

وعنه رضي الله عنهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله)، فكانت قريش تحلف بأبائها، فقال: (لا تحلفوا بأبائكم)^(٣).

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم)^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأيمان والنذور - باب لا تحلفوا بأبائكم - ص ٥٥٦ برقم (٦٦٤٧)، ومسلم في صحيحه - كتاب الأيمان - باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى - ص ٩٦٥ برقم (١٦٤٦) عن عمر بن الخطاب.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأيمان والنذور - باب لا تحلفوا بأبائكم - ص ٥٥٦ برقم (٦٦٤٦)، ومسلم في صحيحه - كتاب الأيمان - باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى - ص ٩٦٦ برقم (١٦٤٦) عن عبد الله بن عمر.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب مناقب الأنصار - باب أيام الجاهلية - ص ٣١١ برقم (٣٨٣٦)، ومسلم في صحيحه - كتاب الأيمان - باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى - ص ٩٦٦ برقم (١٦٤٦) عن عبد الله بن عمر.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الأيمان - باب من حلف باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله - ص ٩٦٦ برقم (١٦٤٨) عن عبد الرحمن بن سمرة.

المبحث الثاني الحلف بغير الله حكمه وصوره

صور الحلف بغير الله لدى مسلمي نيجيريا:

يمكن تقسيم الأشياء التي يحلف بها بعض مسلمي نيجيريا غير الله إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

مخلوقات يحلفون بها لمكانتها الخاصة في قلوبهم، فيكثرون لهذه الأشياء احتراماً وتبجيلاً

يدفعهم إلى الحلف بها، وتحت هذا القسم صورتان:

الصورة الأولى:

الحلف بالنبي - صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما يريد شخص منهم تأكيد أمر معين لشخص آخر فيهتف بالحلف بالنبي لكي يصدقه الذي يتحدث معه، وقد جرت العادة أن يقع مثل هذا الحلف في الكلام العادي وأثناء المعاملات التجارية، وهي صورة منتشرة بين مسلمي شمال نيجيريا وجنوبها إلا أنها أكثر في الشمال.

الصورة الثانية:

الحلف بقبر النبي - صلى الله عليه وسلم.

من الأشياء التي يحلف بها جهال مسلمي نيجيريا قبر نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم، وسبب ذلك عندهم احترامهم لقبره الشريف، وهي صورة منتشرة بين مسلمي شمال نيجيريا دون جنوبها.

القسم الثاني:

مخلوقات يحلفون بها لاعتقادهم أن لها قوة مؤثرة يمكن أن تضرهم أو تسبب لهم الهلاك

إذا حلفوا بها وهم كاذبون أو حلفوا بها وحنثوا في ذلك الحلف، وتحت هذا القسم ثلاث صور:

الصورة الأولى:

الحلف ببعض آلهة الكفار ورموزها.

فإنه أمر مشهور عند الجهلة من مسلمي جنوب نيجيريا الحلف بالقطعة الحديدية وهي رمز لإله الحديد والصيد المسمى بـ (Ogun أوغن) عند الوثنيين، وكذا البندقية والسيارة (وسيلة من وسائل المواصلات) كانوا يخلفون بهما وهما من رموز ذلك الإله الباطل المذكور حسب زعمهم.

ومما يذكر تحت هذه الصورة ذلك الأمر المنتشر بين الجهلة من مسلمي شمال نيجيريا، وخاصة في القرى والأرياف، حيث يخلف أحدهم بالرعد قائلاً في حلفه: (-Kuarankuasa dubu كوارانكواسا دوبو) بمعنى: حلفت بالرعد، ومقصوده بذلك أنه يقسم بالرعد تعظيماً له ومعتقداً بأن له القدرة ليصيبه بالضرر أو يهلكه إذا كان كلامه كذبا، وعلى الرغم من قدم دخول الإسلام في المنطقة ووجود بعض علماء أهل السنة والجماعة الذين يتصدون لمثل هذه الانحرافات إلا أن هذه الصورة من الحلف لا تزال توجد لدى بعض المسلمين هناك وخاصة في القرى والأرياف.

الصورة الثانية:

الحلف بالأموات، وتراب القبور، والماء الذي غسل به الميت، وكذا الحلف بالأرض، وقبر الشخص الذي سيدفن فيه.

لعل القارئ الكريم يستغرب ويتساءل أنى لهم هذه الأشياء التي يخلفون بها؟ فلا غرابة، فإن العادة عند أهل جنوب نيجيريا- ولا تزال موجودة إلى الآن- أن الأموات عندهم يدفنون في البيوت، وليس للمسلمين عندهم مقابر خاصة، اللهم إلا ما وجد في الآونة الأخيرة في مدينة (إلورن) إحدى مدن جنوب نيجيريا بجهود بعض الدعاة الغيورين على دينهم.

فلهذا السبب يجد أهل الميت فرصة أخذ القبضة الأخيرة من تراب القبر بعد حفره والاحتفاظ به لهذا الغرض، وأصل هذه الفعلة الشنيعة من العادات الجاهلية التي يتوارثونها كابرا عن كابر، فلم يتورعوا عنها حتى بعد دخولهم في الإسلام.

والحلف بالميت، وتراب القبر، والماء الذي غسل به الميت، يحصل عادة عند أهل الميت وعشيرته، فإذا نشأ خلاف بينهم، أو حصلت فضيحة كبيرة من أحدهم ولم يعرف مصدرها أو

المسبب لها، فإنهم حينئذ يجتمعون فيما بينهم- وربما حول القبر- ويجلف كل واحد على أنه ليس بفاعل لتلك الفضيحة، وإذا كان الحلف بتراب القبر فالعادة أنهم يضعون هذا التراب في الماء الصافي ثم يشربون الماء، يقولون في ذلك: (O mu ilepa أو مو إلبيا)، ومعناه: شرب من تراب القبر.

الصورة الثالثة:

الحلف بالأوراق النقدية التي يعتبر عندهم رمزا للحظوظ التجارية، ويكثر هذا عند التجار والعاملين في الأسواق وخاصة أثناء المساومة، ويعتقدون بأن الذي حلف بالفلوس كاذبا سيكون سوء الحظ حليفه، ولا يربح في التجارة إذا دخل فيها.

فللناس في هذه الصور الثلاثة من الحلف بغير الله اعتقاد باطل بأن لهذه الأشياء التي يحلفون بها قوة فعالة تؤثر في الحالف بها بطريقة سلبية إذا حنث في حلفه أو حلف كاذبا، فهذا- بدون شك- شرك في الربوبية والألوهية معا، فشرك في الربوبية؛ لاعتقاد وجود قوة أخرى تستطيع أن تدبر في الكون من دون الله، وشرك في الألوهية؛ لأن ذلك الاعتقاد أدى بهم إلى الخوف من تلك الأشياء ألا تُلحق بهم ضررا أو تمنعهم من خير، ومن ثم تعظيمها مثل تعظيم الله- سبحانه وتعالى- أو أشد.

القسم الثالث:

مخلوقات يحلفون بها بألسنتهم دون أي اعتقاد أن يلحق بهم الضرر من قبلها، ومثال ذلك حلفهم بالحياة، فيقول قائلهم لمن نقل له خبرا يشك في صدقه: احلف بحياتك! أو يقول هو بنفسه دون طلب منه: حلفت بحياتي، إني لصادق، وهكذا دواليك.

والجدير بالذكر في هذه الصورة أن عدم اعتقاد بحجى الضرر من هذه المخلوقات التي يحلفون بها لا يدل على جواز الحلف بها؛ لأنهم في الحقيقة يقصدون الحلف، والأصل في الحلف تعظيم المحلوف به، وقد نهى الشارع عن الحلف بكل ما سوى الله مطلقا كما ورد في تلك الأحاديث المذكورة آنفا، والأصل في النهي التحريم.

حكم الحلف بغير الله:

لا يجوز الحلف بغير الله، حيث جاءت الأدلة الصريحة في النهي عنه؛ وذلك أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، وقد حكى الحافظ ابن عبد البر^(١) الإجماع على عدم جواز الحلف بغير الله فقال: "لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجمع عليه"^(٢).

غير أن حكاية الإجماع هنا فيها نظر، ولعل المراد بالإجماع المحكي إجماع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم حيث لم يعرف عن أحد منهم أجاز الحلف بغير الله تعالى، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذا في قوله: "والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور، وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد، وقد حكى إجماع الصحابة على ذلك"^(٣).

وإلا فقد ورد عن الإمام أحمد في رواية عنه جواز الحلف بالنبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة دون غيره، وأن اليمين تنعقد به.

قال في المغني: "فصل: ولا تنعقد اليمين بالحلف بمخلوق كالكعبة والأنبياء وسائر المخلوقات، ولا تجب الكفارة بالحنث فيها، هذا ظاهر كلام الخزقي، وهو قول أكثر الفقهاء، وقال أصحابنا: الحلف برسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمين موجبة للكفارة، وروي عن أحمد أنه قال: إذا حلف بحق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحنث، فعليه الكفارة، قال أصحابنا: لأنه أحد شرطي الشهادة فالحلف به موجب للكفارة كالحلف باسم الله تعالى"^(٤).

(١) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي أبو عمر، مؤرخ، أديب، فقيه، عارف بالرجال والأنساب، من كبار حفاظ الحديث، يقال له حافظ المغرب، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ، ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها، من مؤلفاته التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، توفي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٣، الأعلام ٨/٢٤٠، معجم المؤلفين ١٣/٣١٥.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ١٤/٣٦٦، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.

(٣) مجموع الفتاوى ١/٢٠٤.

(٤) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني تأليف عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ١١/٢٠٤، ط/الأولى ١٤٠٥، دار الفكر - بيروت، وانظر: الشرح الكبير ١١/١٨٠، مجموع الفتاوى ١/٢٠٤.

و مذهب جمهور العلماء من الأئمة الثلاثة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحد قولي الإمام أحمد هو عدم جواز الحلف بغير الله مطلقا سواء كان المقسم به النبي - صلى الله عليه وسلم - أو غيره، وأن اليمين لا تنعقد به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا تنازع الناس: هل يحلف بالنبي؟ مع اتفاقهم بأنه لا يحلف بشيء من المخلوقات المعظمة، كالعرش، والكرسي، والكعبة، والملائكة. فذهب جمهور العلماء كمالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد في أحد قولييه إلى أنه لا يحلف بالنبي ولا تنعقد اليمين، كما لا يحلف بشيء من المخلوقات، ولا تجب الكفارة على من حلف بشيء من ذلك وحنث... وعن أحمد بن حنبل رواية أنه يحلف بالنبي خاصة؛ لأنه يجب الإيمان به خصوصا ويجب ذكره في الشهادات والأذان، فللايمان به اختصاص لا يشركه فيه غيره" (١).

والصواب في حكم الحلف بغير الله تعالى أنه محرم؛ وذلك لأمر:

١- أن هذا القول هو الذي تعضده الأدلة وتشهد له النصوص الشرعية، ورد في التشديد في النهي عن الحلف بغير الله كثير من الأدلة الصحيحة والصريحة، منها:
ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليصدق) (٢).

وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) (٣).

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (لا تحلفوا بأبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون) (١).

(١) مجموع الفتاوى ٣٤٩/٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير (سورة النجم) - باب أفرايتم اللات والعزى - ص ٤١٥ برقم (٤٨٦٠)، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب من حلف باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله - ص ٩٦٦ برقم (١٦٤٧) عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٤.

وما روته قتيلة الجهينة أن يهوديا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إنكم تنددون، وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة! فأمرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أرادوا أن يخلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة! ويقولون: ما شاء الله ثم شئت^(٢). وما رواه بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من حلف بالأمانة فليس منا)^(٣).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق"^(٤).

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: "أقل ما تقتضيه الأحاديث الكثيرة في النهي عن الحلف بغير الله والوعيد الشديد عليه أن يكون الفاعل لذلك آثما؛ لأنه أقدم على فعل محرم، والإثم لازم من لوازم الحرام"^(٥).

٢- أن التحريم هو المنقول عن الصحابة رضوان الله عليهم، ولم يعرف عنهم مخالف لذلك.

٣- أن الذي وقع الخلاف عليه في الحلف به أو عدم الحلف به - الذي هو النبي - هو نفسه القائل: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)، فبطل القول باختصاصه بهذا الأمر؛ إذ

(٤) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأيمان والندور - باب كراهية الحلف بالآباء - ص ١٤٦٧ برقم (٣٢٤٨)، والنسائي في سننه - كتاب الأيمان والندور - باب الحلف بالأمهات - ص ٢٣٣٦ برقم (٣٨٠٠) عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٢٧٨٤).

(١) أخرجه النسائي في سننه - كتاب الأيمان والندور - باب الحلف بالكعبة - ص ٢٣٣٦ برقم (٣٨٠٤) عن قتيلة الجهينة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١١٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأيمان والندور - باب كراهية الحلف بالأمانة - ص ١٤٦٧ برقم (٣٢٥٣)، وأحمد في مسنده ٣٥٢/٥ عن بريدة بن حصيب، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته رقم (١١٤٨).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨٣/٩ برقم (٨٩٠٢)، وعبد الرزاق في المصنف ٤٦٩/٨، مصنف عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط/الثانية ١٤٠٣ هـ المكتب الإسلامي - بيروت، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تأليف نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٣١٨/٤، دار الفكر - بيروت ١٤١٢ هـ.

(٤) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني ١/٤، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط/الأولى ١٤٠٥ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

إنه - صلى الله عليه وسلم - داخل في لفظ "غير" المنهي عن الحلف به في هذا الحديث وما شابهه.

٤- أن القول بالتحريم سدا للذريعة أوفق لمقاصد الشريعة في حماية جناب التوحيد وسد كل باب يوصل إلى الشرك، ولا شك أن استمرار الحلف بشيء آخر غير الله يورث تعظيما لذلك المحلوف به وقد يوازى تعظيم الخالق - تبارك وتعالى - في قلب الحالف، وهذا ما أجمع العلماء على كفر صاحبه، فسلامة الدين لا يعدلها سلامة^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "... مع أن الصواب الذي عليه عامة المسلمين سلفهم وخلفهم أنه لا يحلف بمخلوق لا نبي ولا غير نبي، ولا ملك من الملائكة، ولا ملك من الملوك، ولا شيخ من الشيوخ، والنهي عن ذلك نهي تحريم عند أكثرهم كمذهب أبي حنيفة وغيره، وهو أحد القولين في مذهب أحمد"^(٢).

وفي موضع آخر قال: "وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشايخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه، وغير منعقد باتفاق الأئمة، ولم ينازعوا إلا في الحلف برسول الله خاصة، والجمهور على أنه لا تعتقد اليمين لا به ولا بغيره، وقد قال النبي: (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)^(٣)، وقال: (من حلف بغير الله فقد أشرك)^(٤). فمن حلف بشيخه أو بتربته أو بجياته أو بحقه على الله أو بالملوك أو بنعمة السلطان أو بالسيف أو بالكعبة أو أبيه أو تربة أبيه أو نحو ذلك كان منهيا عن ذلك، ولم تعتقد يمينه باتفاق المسلمين"^(٥).

٥- ما يعلق بقلب الحالف بغير الله من الاعتقاد الباطل أن للمحلوف به قوة فعالة تؤثر في الحالف بطريقة سلبية إذا حنث في حلفه أو حلف كاذبا، فهذا - بدون شك - شرك في الربوبية والألوهية معا، فشرك في الربوبية؛ لاعتقاد وجود قوة أخرى تستطيع أن تدبر في الكون من دون الله، وشرك في الألوهية؛ لأن ذلك الاعتقاد يؤدي به إلى الخوف من ذلك الشيء ألا يلحق به ضررا أو يمنعه من خير، ومن ثم صرف عبادة الخوف والخشية لغير الله.

(١) انظر: شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٦٤١.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٤٩/٢٧.

(٣) سبق تخريجه ص ١٧٦.

(٤) سبق تخريجه ص ٤٤.

(٥) مجموع الفتاوى ٥٠٦/١١.

فتبين مما سبق أن الحلف بغير الله محرم بل هو شرك، إلا أن المراد بالشرك والكفر هنا الشرك أو الكفر الأصغر؛ لدلالة الشرع على عدم وقوع الكفر أو الشرك الأكبر المخرج من الملة، ومما يدل على ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سمع بعض الصحابة يحلف بأبيه فنهاه عن ذلك^(١)، ولم يقل له إن ذلك مخرج من ملة الإسلام، ولم يطالبه بتحديد إسلامه. وبيان نواقض الإيمان من الضرورات، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بلا خلاف^(٢)، فدل ذلك على أنه لا يخرج من الملة، وأن الشرك الوارد في الحديث خرج مخرج التغليظ والزجر، وأنه من الشرك الأصغر.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في كلامه عن الشرك الأصغر: "وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله كما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك)^(٣)"^(٤).

هذا هو حكم الحلف بغير الله من حيث الأصل، أنه شرك أصغر، ولكن قد يدخل فيه ما يجعله من أنواع الشرك الأكبر، كأن يقصد بتلك اليمين تعظيماً لذلك المحلوف به كتعظيم الله تعالى أو أشد، كما كان يفعل أهل الجاهلية بحلفهم بألهتهم كاللات والعزى وغيرهما. فلو حلف شخص بغير الله، فإن قام بقلبه تعظيم لمن حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله فهذا العمل شرك أكبر؛ إذ قد اعتقد مساواته لله، فقد خرج من الملة، أما إذا حلف بغير الله بلسانه ولم يعتقد بقلبه تعظيم من حلف به أو ما حلف به فذلك شرك أصغر، وكذلك إذا جرت ألفاظ الحلف بغير الله على لسان الشخص من غير قصد الحلف لكونه

(١) سمع النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحلف بأبيه فقال: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم...) وقد سبق تخريجه في ص ١٧٦.

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام تأليف علي بن محمد الآمدي ١/٢٤٥، ٣/٣٦، تحقيق الدكتور سيد الجميلي، ط/الأولى ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي - بيروت، روضة الناظر وجنة المناظر تأليف عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ص ١٨٥، تحقيق الدكتور عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، ط/الثانية ١٣٩٩هـ، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٤.

(٤) مدارج السالكين ١/٣٤٤.

اعتاد ذلك، فهو أيضا من باب الشرك الأصغر، شرك في الألفاظ^(١)، فالحكم يختلف بحسب مقصد قائله^(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله: "قال الأصحاب: فلو اعتقد الحالف في المحلوف به من التعظيم ما يعتقد في الله تعالى كفر، وعلى هذا يحمل ما روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من حلف بغير الله تعالى فقد كفر)^(٣)، ولو سبق لسانه إليه بلا قصد لم يوصف بکراهة، بل هو لغو يمين، وعلى هذا يحمل ما ثبت في الصحيحين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (أفلح وأبيه إن صدق)^(٤)"^(٥).

وكونه شركا أصغر هذا لا يعني أن المسلم يتساهل في ذلك، فإن الشرك الأصغر أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا"^(٦).

فاليمين الغموس من الكبائر، ومع ذلك فقد جعل ابن مسعود الشرك الأصغر أكبر منها^(٧)؛ لأن الحلف بغير الله شرك والحلف بالله توحيد، وتوحيد معه كذب خير من شرك معه صدق^(٨)؛ ولأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسبب الكذب أسهل من سبب الشرك^(٩).

(١) انظر: منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل محمد عليش ١٢/٣، دار الفكر - بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، تيسير العزيز الحميد ص ٤٣٨.

(٢) انظر: مدارج السالكين ١/٣٤٤.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام - ص ٦٨٢ برقم (١١) عن طلحة بن عبيد الله.

(٥) روضة الطالبين وعمدة المفتين تأليف النووي ٦/١١، ط/الثانية ١٤٠٥، المكتب الإسلامي - بيروت.

(٦) سبق تخريجه ص ٤٥.

(٧) فتاوى اللجنة الدائمة ١/٣٤٠-٣٤١ فتوى رقم (٤٣٦).

(٨) مجموع الفتاوى ١/٨١.

(٩) الفتاوى الكبرى لأحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني ٥/٥٥١، تحقيق حسنين محمد مخلوف، ط/الأولى ١٣٨٦، دار المعرفة - بيروت.

قال الإمام ابن القيم: "وقد قصر ما شاء أن يقصر من قال إن ذلك مكروه، وصاحب الشرع يجعله شركاً، فرتبته فوق رتبة الكبائر"^(١).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ٤/٤٠٣، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل - بيروت ١٩٧٣م.

الفصل الرابع بقية العبادات القولية

المبحث الأول

الذكر

المطلب الأول

منهج أهل السنة والجماعة في الذكر

مفهوم الذكر وأهميته:

عرف الذكر بأنه هو التخلص من الغفلة والنسيان، والفرق بين الغفلة والنسيان: أن الغفلة ترك باختيار الغافل، والنسيان ترك بغير اختياره، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥)، ولم يقل: ولا تكن من الناسين، فإن النسيان لا يدخل تحت التكليف، فلا ينهى عنه^(١).

وذكر الله تعالى عمل جليل ذو أجر جليل، أمر الله به عباده وجزم على مجازاتهم عليه، قال القرطبي^(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢): "أمر وجوابه، وفيه معنى المجازاة فلذلك جزم"^(٣)، وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه^(٤)؛ ولذلك جعله سبحانه قرين جميع الأعمال؛ فإنه ما من عمل إلا والذكر مشترط في تصحيحه، بل إن جميع الأعمال إنما شرعت لإقامة ذكر الله، قال تعالى: ﴿

(١) مدارج السالكين ٤٣٤/٢.

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي، إمام متقن متبحر في العلم، له مصنفات مفيدة منها الجامع لأحكام القرآن، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، توفي سنة ٦٧١هـ.

انظر: طبقات المفسرين ٩٢/١، الأعلام ٣٢٢/٥، معجم المؤلفين ٢٣٩/٨.

(٣) تفسير القرطبي ١١٥/٢.

(٤) مدارج السالكين ٤٢٤/٢.

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿ (طه: ١٤)، كما ثبت عنه - صلوات الله وسلامه عليه - قوله:

(إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله)^(١).

هذا، وإن العبادات كلها لها قيودها وشرائطها وأوقاتها التي تصح أو لا تصح أو تكره فيها إلا ذكر الله عز وجل، فإنه مطلوب في كل الأوقات^(٢)، قال الإمام ابن كثير: "إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه، فقال: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٩١) بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال^(٣).

ولم يقتصر أمر الشارع الحكيم على عدم وضع الحد لهذه العبادة الجليلة وإنما تعداه إلى اشتراط الكثرة في شأنها كلما طلبت من العبد، قال العلامة المفسر محمد بن أحمد ابن جزى الكلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١): "اشتراط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال، والذكر يكون بالقلب وباللسان، وهو على أنواع كثيرة من التهليل والتسبيح والحمد والتكبير وذكر أسماء الله تعالى"^(٤).

والواقع أن الإنسان إذا تدبر الآيات القرآنية الواردة في الذكر فإنه يجدها تستغرق الأوقات والحالات، فأينما وجد الإنسان المسلم وكيفما كان عليه دائما أن يكون ذاكرة لله سبحانه وتعالى.

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (١٨٨٨)، والترمذي في سننه برقم (٩٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وذكره الألباني في ضعيف أبي داود رقم (٤١٠).

(٢) تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر محمد أديب كلكل ص ١١ المطبعة التعاونية - دمشق، دون بيانات أخرى

(٣) تفسير ابن كثير ٢٢٦١/٣.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل العلامة المفسر محمد بن أحمد بن جزى الكلبي ١٩١/٢، صححه محمد سالم هاشم ط/الأولى

١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

ولا يشغل ذكر الله المسلم عن عمله؛ لأنه عمل أداؤه سهل وثوابه جسيم وليس له وقت معين بل إن جميع الأوقات صالحة له؛ وقد كان الكثير من كبار الصحابة تجارا بارزين ولم يمنعهم ذلك عن ذكر ربهم في كل حال من أحوالهم، ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُ تَجْرَهُمْ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور: ٣٧).

وذكر الله هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته^(١)، وذاكر الله أكرمه ربه فقال: (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)^(٢).

وأما عن مفهوم الذكر "فأصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له، وسمي الذكر باللسان ذكرا لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه لما كثرت إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم"^(٣).

فتبين مما سبق أن أصل الذكر ما كان بالقلب إلا أن القول اللساني غلب عليه لكثرة إطلاقه على الذكر فصار كأنه هو الأصل، وذكر اللسان مجردا هو أضعف الأذكار لكنه كلما انضافت إليه مزية أخرى كلما ازداد كمالا، قال الحافظ ابن حجر: "ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالا، فإن وقع ذلك في عمل صالح مهما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالا، فإن صح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال"^(٤).

(١) مدارج السالكين ٢/٤٢٤.

(٢) حديث قدسي أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران: ٢٨) - ص ٦١٦ برقم (٧٤٠٥)، ومسلم في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب الحث على ذكر الله تعالى - ص ١١٤٤ برقم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة.

(٣) تفسير القرطبي ٢/١١٥.

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/٢٠٩.

ولكي نعرف يقينا بأن الذكر إذا أطلق لم يقتصر معناه على الأذكار القولية فحسب بل يشمل ذلك كما يشمل امتثال كل شيء أمر الله به عباده واجتناب ما نهاهم عنه، أسوق في هذا الصدد كلام ابن حجر رحمه الله في شرحه للأحاديث التي عنون لها الإمام البخاري بـ (باب فضل ذكر الله عز وجل) حيث قال: "والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) وما يلتحق بها من الحوقلة والبسمة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك، والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة"^(١).

ولقد زاد الإمام النووي رحمه الله هذا الأمر وضوحا حين قال: "قال القاضي عياض رحمه الله: وذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب، وذكر باللسان. وذكر القلب نوعان: أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها: الفكر في عظمة الله تعالى، وجلاله، وجبروته، وملكوته، وآياته في سماواته وأرضه... والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر، والنهي، فيمثل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه، ويقف عما أشكل عليه. وأما ذكر اللسان مجردا فهو أضعف الأذكار، ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث"^(٢).

وعلى كل حال، فإن ذكر الله تعالى أفضل ما توطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه^(٣)، وهذا هو المجدي الذي يرى أثره في حركات الإنسان وسكناته، وفيما يأتي ويذر من أعمال، ولا شك أن الذكر الذي يثمر هو الذي اشتمل على طاعة المعبود سبحانه وتعالى؛ إذ معنى الذكر كما فسر في الآية ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ هو طاعة الله، قال القرطبي: "ومعنى الآية: اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة، قاله سعيد بن جبير. وقال أيضا: الذكر طاعة الله؛ فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن"^(٤).

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٠٩/١١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٠.

(٤) تفسير القرطبي ١١٦/٢.

النصوص الواردة في فضل ذكر الله تعالى والحث عليه:

لقد وردت نصوص عديدة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - تبين مكانة ذكر الله تعالى من الأعمال وتحث عليه في جميع الأحوال كما تحذر من الغفلة والإعراض عنه، فمن كتاب الله:

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُر رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (الأعراف: ٢٠٥).

ونهى عن ضده من الغفلة والنسيان بمثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ (الحشر: ١٩).

ومن السنة: ما أخرجه الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)^(١).
ومنها ما رواه عبد الله بن بسر قال: أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - أعرابيان فقال أحدهما: من خير الرجال يا محمد؟ قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (من طال عمره وحسن عمله) وقال الآخر: إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فباب نتمسك به جامع، قال: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل)^(٢).

ومنها ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟) قالوا:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الدعوات - باب فضل ذكر الله عز وجل ص ٥٣٨، برقم (٦٤٠٧)، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب صلاة النافلة في بيته... - ص ٨٠١ برقم (٧٧٩) عن أبي موسى، ولفظ مسلم: (مثل البيت الذي يذكر فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٨٨/٤، والطبراني في المعجم الأوسط ١١٨/٢، ٣٧٤/٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٩٣/١، والسنن الكبرى ٣٧١/٣، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (١٣٦٥٨).

بلى، قال: (ذكر الله تعالى)، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما شيءٌ أنجى من عذاب الله من ذكر الله^(١).

والأذكار القولية هي التي كثر إطلاق لفظ الذكر عليها وهي الدلالة على الذكر القلبي^(٢).

ولهذا السبب من ناحية، ولكون هذا النوع من الذكر هو الذي دخلت عليه أيادي المبتدعة من ناحية أخرى أرى أنه لا بد من فصل القول فيه لبيان المآثور ومعرفة المبتدع. فالذكر القولي: هو ما يقع باللسان مما ينطبق عليه الوصف من كونه ذكرا لله تبارك وتعالى ويكون بتسبيحه، وتحميده، وتمجيده، وتلاوة قرآنه، والصلاة على نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم- وسؤال الله الحاجات للدين والدنيا والآخرة، والاستعاذة به سبحانه من كل ما استعاذ منه نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم^(٣).

والأذكار القولية التي ينطبق عليها المفهوم الشرعي للذكر قسمان:

القسم الأول: المآثور، وهو ما جاءت به النصوص، ويكون من كتاب الله كآيات والسور المخصوصة التي أمر بتلاوتها في مناسبات ومواطن وأحوال، أو يكون بتلاوة القرآن المطلقة، أو يكون من الثابت في السنة وورد أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يقوله مطلقا أو لسبب، أو أمر به مطلقا أو لسبب، ويكون كل بحسب ما ورد في الإطلاق والسبب^(٤).

القسم الثاني: ما ينشئه العبد من الثناء والدعاء.

والأذكار المآثورة لها ضوابط تجعلها موافقة لمفهوم الذكر الشرعي، وهي^(٥):

١- أن تكون مما جاء في كتاب الله أو من الثابت عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم.

وسلم.

(١) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الدعوات- باب منه- ص ١٩٩٩ برقم (٣٣٧٧)، وأحمد في مسنده ١٩٥/٥ برقم

(٢١٧٥٠) عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٦٨٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١١٥/٢-١١٦.

(٣) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع إعداد عبد الرحمن محمود خليفة ص ٦٤، ط/الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، دار

طيبة الخضراء- مكة المكرمة، وأصل الكلام في الاقتداء في الذكر والدعاء محمد جودة صوان ص ١٠.

(٤) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع ص ٦٤-٦٥.

(٥) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع ص ٦٧.

٢- أن يتأدب معها بمنهج الشرع في الإطلاق والتقييد، فيشتغل بالذكر المقيد بسبب في سببه ومناسبته، ويبقى ما أطلقه الشارع على إطلاقه فلا يقيده بمناسبة ولا هيئة ولا عدد لم يقيده بها الشارع.

٣- الالتزام بالأعداد التي يفهم أن الأجر ربط بها، كالمأثور عقب الصلاة من الأذكار.
٤- الالتزام بالألفاظ التي يفهم أن الشارع حرص على أدائها كما هي؛ كألفاظ الأذان والإقامة وألفاظ التشهد والتلبية.

٥- مراعاة آداب الذكر العامة، الواجب منها، والمسنون، والمستحب.

والذكر المأثور أيضا قسما: مطلق ومقيد.

والأذكار المطلقة يقصد بها تلك الأذكار المأثورة التي وردت عن الشارع، ولم تربط بسبب ولا مناسبة، ولا هيئة، ولا عدد^(١).

فكل ذكر أو دعاء من هذا الصنف أي مطلق ووارد، ضابطه أنه يؤتى به على الوجه الذي ورد في لفظه^(٢).

وأفضل الأذكار المطلقة القرآن الكريم، قال في التذكار في أفضل الأذكار: "إن القرآن أفضل الذكر إذا عمل به"^(٣).

والأذكار المقيدة: هي الأذكار التي قيد لها الشارع ما تقال فيه من الحال والمناسبة والظرف المكاني والزمني، وقيد لها العدد والهيئة، وبعبارة أخرى هي الأذكار التي ثبت أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قالها أو أمر بها في أوقات مخصوصة أو سبب أو مناسبة معينة تقال فيها؛ كأذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والاستيقاظ، وأذكار الصلاة وما يقال عقب التسليم منها وغير ذلك من أذكار المناسبات والأحوال، والأوقات المتكرر منها والعارض^(٤).

(١) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداء ص ٦٩.

(٢) انظر: تصحيح الدعاء تأليف الشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد ص ٤٢، ط/الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض.

(٣) التذكار في أفضل الأذكار ص ٣٩.

(٤) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداء ص ٩٧.

وأي ذكر أو دعاء كهذا، فشرطه أن يأتي به العبد على الوجه الذي ورد في زمانه، أوحاله، أو مكانه، وفي لفظه، وفي هيئة الداعي به، من غير زيادة، أو نقصان، أو تبديل كلمة بأخرى^(١).

أما القسم الثاني من قسيمي الأذكار القولية وهو: ما ينشئه أو يخترعه العبد من عند نفسه، فإنه يجوز للعبد الذكر والدعاء بغير الوارد في هذا الباب بخمسة شروط، هي^(٢):

١- أن يتخير من الألفاظ أحسنها، وأنبأها، وأجملها للمعاني، وأبينها؛ لأنه مقام مناجاة العبد لربه ومعبوده سبحانه.

٢- أن تكون الألفاظ موافقة للغة العربية في المعنى والمبنى.

٣- أن يكون خاليا من أي محذور شرعا، لفظا، أو معنى.

٤- أن يكون في باب الذكر والدعاء المطلق لا المقيّد بزمان، أو حال، أو مكان.

٥- أن لا يتخذ سنة راتبة يواظب عليها.

ومع هذا الحكم بالجواز فإن الوارد أفضل مما اخترعه العبد بنفسه، ففي تصحيح الدعاء: "أجمع العلماء على أن للعبد المسلم الدعاء مطلقا بما لم يرد، بشرط أن لا يتضمن محذورا لفظا ومعنى، ولا يوظفه مقيدا بحال، أو زمان، أو مكان، هذا مع إجماعهم على أن الوارد أفضل"^(٣).

المطلب الثاني

الانحراف في الذكر حكمه وصوره

(٢) تصحيح الدعاء ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٢ - ٤٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٢٥ .

صور الانحراف في الذكر لدى مسلمي نيجيريا:

للانحراف في ذكر الله لدى مسلمي نيجيريا ثلاث صور:

الصورة الأولى:

الإتيان بالأذكار الواردة في السنة بشكل جماعي وأصوات مرتفعة.

فقد جرت العادة عند الكثير من مسلمي نيجيريا أن يأتوا بالأذكار المشروعة مثل الواردة بعد الصلوات المفروضة بصورة جماعية وأصوات مرتفعة، فأحيانا يتقدم واحد منهم ويأتي بهذه الأذكار ويردد الباقي وراءه، وأحيانا يأتون بها بصورة جماعية بصوت واحد، ففي طريقتهم هذه من المحاذير الشرعية ما لا يخفى.

الصورة الثانية:

تقييد الأذكار المطلقة الواردة في الشرع بزمان أو مكان، أو هيئة أو عدد، لم يكن لها ذلك في الشرع المطهر.

ذكر الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

يكثر هذا الفعل عند الجمعيات الإسلامية التي تسمى نفسها بـ (جمعيات الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم)، مثل جمعية يسر الله النيجيرية، وجمعية نصر الله الفاتح، وجمعية نصر الله قريب، وغيرها كثير.

ففي كتاب الأذكار لجمعية يسر الله النيجيرية: "يا اللطيف يا الله، يا كريم يا الله، يا رزاق يا الله، يا ستار يا الله، يا ودود يا الله، يا غفور يا الله. سبع مرات" (١).

وكذلك الطرق الصوفية بطوائفها في المجتمع النيجيري كالتجانية والقادرية.

ففي كتاب (أحزاب وأوراد) لأحمد التجاني: "ومن الأوراد اللازمة للطريقة ذكر الكلمة المشرفة: لا إله إلا الله، أو الذكر الفرد: الله ألفا وخمسمائة مرة أو وستمائة مرة، ووقته مساء يوم الجمعة فقط" (٢).

وفي جواهر المعاني: "ومن أوراده: وظيفة اليوم والليل ثلاثة في الصباح وثلاثة في المساء وهي... (١)".

(١) الأذكار لجمعية يسر الله النيجيرية ص ٣٧، مطبعة أيوآلوبو التجارية - (إبادن) نيجيريا.

(٢) أحزاب وأوراد أحمد التجاني ص ٥.

وفي جواهر المعاني أيضا: "ومن أوراده دبر الصلوات وفي الصباح والمساء، أما دبر الصلوات فالفاتحة أربعا دبر كل صلاة، ثم آية الكرسي مرة، ثم اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولحظة ولحظة وطرفة يطفرف بما أهل السماوات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن..."(٢).

الصورة الثالثة:

إنشاء أذكار لم ترد في السنة أصلا وقد تكون صحيحة الألفاظ، واضحة المعاني، فتتوفر فيها بعض شروط الأذكار المنشأة، أو لا تكون كذلك، مع تقييدها وترتيب الثواب عليها.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

ويمثل لذلك ب:

الوظيفة عند التجانية، فإنها مشتملة على ما يسمونه صلاة الفاتح لما أغلق^(٣)، وجوهرة الكمال.

ومنها الحرز اليماني وهو الحزب السيفي أو دعاء السيفي، قال في جواهر المعاني: "الحرز اليماني وهو دعاء السيفي، له فضل عظيم وثواب جسيم، من فضله أن من ذكره مرة تكتب له عبادة سنة، ومرتين بستين وهكذا، ومن حملة معه كتب من الذاكرين الله كثيرا ولو لم يذكر"^(٤).

ومنها ما يسمى بالأنفاس عند القادرية، وهي عبارة عن همهمات يزعمون أنها أذكار الملائكة.

ومنها ما أسماه صاحب (دعاء الغاية المقصودة الكبرى) ب (سيف العلماء): "كيفية استعماله: يعتبر هذا الدعاء سيف العلماء الصارم، فمن داوم على قراءته (٣ مرات) عقب صلاة الصبح يوميا فقد دخل في وقاية الله تعالى التي أغنت عن مضاعفة من الدروع ومن عال من الأطم، تلك الوقاية التي تحميه من شر الناس والجن، وإذا بان لك أن عدوا يدعوا عليك

(١) جواهر المعاني وبلوغ الأمان تأليف علي حراز بن العربي براد المغربي الفاسي ص ٥٣، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) جواهر المعاني ص ٥٤.

(٣) سيأتي تفصيل القول فيما رتبوا عليها من الأجر في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٤) جواهر المعاني وبلوغ الأمان ص ٥٣.

فبادر إلى هذا الدعاء، تقرأ (٧٣ مرة) في الساعة الحادية عشرة صباحاً أو مساءً، فيألى العدو تعود شروره ومكره- إن شاء الله تعالى...^(١).

يحصل هذا التقييد والتحديد عندهم في باب الذكر والدعاء؛ ولذلك تجد مما يلازمونه ولا يكادون يغفلون عنه من الدعاء إلا قليلاً: دعاء نصف شعبان، دعاء أول سنة^(٢)، دعاء آخر سنة، وغير ذلك من الأدعية التي لم ترد لا في كتاب الله ولا سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ينشئونها ثم يحددون لها الأعداد، والهيئات، والأزمان التي يجب فيها مناداة الله بها- في زعمهم.

وأمثلة هذه كثيرة موفورة في كتيبات الأذكار والأدعية المتداولة بين ضعاف الإيمان من طلبة الدراسات الإسلامية والمنتهمين إلى جمعيات الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- من العوام.

حكم هذه الصور:

يلاحظ أنه قد وردت مسألتان في الصورة الأولى من صور الانحراف المذكورة آنفاً، بيانها كما يلي:

المسألة الأولى: المقصود بحلق الذكر أو مجالس الذكر:

وردت أحاديث في الثناء على حلق الذكر وبيان ما ميز الله به الجالسين فيها من الأجر العظيم والثواب الجزيل، علاوة على ما تحصل عندهم أثناء مزاولتهم لهذه العبادة الجليلة من نزول السكينة، وغشيان الرحمة.

ومن أجل الرغبة في هذه الأجور وتلك المزايا صار عند كثير من الناس الحرص الشديد على إنشاء حلق الذكر أو مجالس الذكر دون معرفة المقصود بها حقيقة، فما حقيقة حلق الذكر؟

حلق الذكر أو مجالس الذكر يقصد بها الاجتماع لتعلم العلوم الشرعية وتعليمه، ومدارسة كتاب الله تعالى وتلاوته، كما تعني القيام بأداء أذكار أخرى من الأذكار الواردة المطلقة مثل الباقيات الصالحات، وهي: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

(١) دعاء الغاية المقصودة ص ٨٧-٨٨.

(٢) وقد يقصد به أول سنة ميلادية لتأثرهم بالنصارى في ذلك وخاصة في جنوب نيجيريا والأقلية المسلمة في شرقها.

ويدل على أن هذا هو المقصود بخلق الذكر ما قاله ابن رجب الحنبلي^(١) في كتابه جامع العلوم والحكم: "واستدل الأكثر على استحباب الاجتماع لمدارسة القرآن في الجملة بالأحاديث الدالة على استحباب الاجتماع للذكر، والقرآن أفضل أنواع الذكر"^(٢).

وما قاله ابن حجر العسقلاني في الفتح عند شرحه لأحاديث باب فضل ذكر الله - عز وجل: "ويؤخذ من مجموع هذه الطرق المراد بمجالس الذكر وأنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرهما، وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى، وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة"^(٣).

وقالت اللجنة الدائمة في إجابتها عن سؤال وجه إليها حول مفهوم مجالس الذكر،
السؤال: هناك بعض الإخوان في باكستان وهم يدعون أنهم سلفيون، لكنهم مقيمون بمجالس الذكر ويلتزمون بها في يوم الخميس بعد العصر دائماً وهم يتخيلون أن هذا الوقت مناسب، بل هو أنسب للذكر، أما بالنسبة لطريقة الذكر فهي تجري أن واحداً منهم يجلس أمامهم ويبدأ بصوت مرتفع قليلاً ويقول كلمة: (الله)، والناس حوله في الحلقة يرددون بعده: الله، الله، بصوت منخفض، ثم الذي أمامهم يغير ويقول: سبحان الله، وهم يستمرون بعده، ثم يغير إلى الحمد لله وهكذا، إن الإخوان يتخيلون أنهم يفعلون هذا لتزكية نفوسهم وهم يستدلون من بعض الأحاديث التي جاء فيها ذكر الحلقات للذكر فما الحكم فيهم؟

والجواب: إذا كان الواقع من حالهم ما ذكر من التزامهم بمجالس ذكر بعد العصر كل يوم خميس دائماً، ومن جلوس واحد منهم أمامهم ونطقه بكلمة الله، بصوت مرتفع، فيتبعونه في النطق بها بصوت منخفض، الله الله، ثم ينتقل إلى كلمة سبحان الله - وهم يتبعونه فيها - ثم إلى كلمة الحمد لله - وهم يتبعونه فيها وهكذا - إذا كان واقع حالهم ما ذكر فليسوا سلفيين، ولا من أهل السنة والجماعة في هذا العمل، بل هم مبتدعة؛ لأن هذا العمل بهذه الكيفية لم

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب، زين الدين أبو الفرج، محدث، حافظ، فقيه، أصولي، واعظ، مؤرخ، من مصنفاته: شرح جامع الترمذي، جامع العلوم والحكم، توفي سنة ٧٩٥هـ.

انظر: الأعلام ٣/٢٩٥، معجم المؤلفين ٥/١١٨، طبقات الحفاظ ١/٥٤٠.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/٣٠٢ - ٣٠٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/٢١٢.

يثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا عن الصحابة رضي الله عنهم، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه البخاري ومسلم. وأما ما ورد من الأحاديث في حلقات الذكر والاجتماع عليه فالمراد بذلك: مجالس العلم^(١).

فيتبين من خلال ما سبق من الأدلة المعنى المراد بحلق الذكر أو مجالس الذكر، هذا مع الالتزام والتقيد بمنهج سلف الأمة في الإتيان بهذه الأذكار، فإذا كان ما يعمل في مجلس من مجالس الذكر هو قراءة القرآن ومدارسته، فالمشروع للناس في ذلك ثلاث حالات^(٢):

الحالة الأولى: أن يقرؤوا جميعاً بفم واحد وصوت واحد، وهذا على سبيل التعليم لا بأس به، كما يقرأ المعلم الآية ثم يتبعه المتعلمون بصوت واحد، وإن كان على سبيل التعبد فبدعة؛ لأن ذلك لم يؤثر عن الصحابة ولا عن التابعين.

الحالة الثانية: أن يجتمع القوم فيقرأ أحدهم وينصت الآخرون، ثم يقرأ الثاني ثم الثالث ثم الرابع وهلم جرا.

الحالة الثالثة: أن يجتمعوا وكل إنسان يقرأ لنفسه دون أن يستمع له الآخرون، وهذا هو الذي عليه الناس الآن، فتجد الناس في الصف في المسجد كل يقرأ لنفسه والآخرون لا يستمعون إليه.

أما إذا كان المجلس لأذكار أخرى من التهليل، والتسبيح، والتكبير، والتحميد، والحوقلة، والحسبلة، والاستغفار، والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - فالسنة في ذلك أن يشتغل كل واحد منهم بذكر الله بنفسه دون رفع الصوت أو الذكر بصورة جماعية بصوت واحد؛ ذلك لأن الأذكار المأثورة المطلقة أي التي لم تكن مقيدة بحال أو زمان أو مكان، يشترط فيها الإتيان بها على الوجه الذي وردت في ألفاظها، وهذا من جهة اللفظ، أما من جهة هيئة الداعي أو الذاكر فإن وردت هيئة في النص للذكر والدعاء المطلق فيؤتى بها وفق ما ورد، وإن لم ترد به هيئة فيأتي به الداعي أو الذاكر على أي حال، في حدود المشروع^(٣).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٥٣٠/٢، فتوى رقم (٧٥١٥).

(٢) شرح الأربعين النووية الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٣٦٤-٣٦٥.

(٣) انظر: تصحيح الدعاء ص ٤٣.

تقول اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية: "إذا كان المقصود من قراءة القرآن جماعة أنهم يقرؤون جميعاً بصوت واحد فهذا غير مشروع؛ لأنه لم يؤثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا عن الصحابة - رضي الله عنهم، وإن كان المقصود أن يقرأ أحدهم ويستمع الباقيون، أو أن يقرأ كل منهم لنفسه في مكان الاجتماع دون أن يلتقي صوته بصوت الآخرين في الحركات والسكنات والوصل والوقف، فهذا مشروع"^(١).

وفي موضع آخر تقول: "ذكر الله بصفة جماعية وختمه بالحضرة وتلاوة كتاب الله بلسان واحد في المساجد وفي البيوت والحفلات والمآتم لا نعلم له أصلاً شرعياً يعتمد عليه لإثبات مشروعيته على هذه الصفة، والصحابة رضي الله عنهم هم أولى الناس باتباع الشرع ولم يعرف عنهم ذلك، وكذلك بقية القرون المفضلة، والخير في اتباع هدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٢)، وقال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٣)، وبما أنه لم يثبت في ذلك سنة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يعملها أحد من الصحابة فيما نعلم فيكون بدعة يتناوله الدليل السابق، فهو مردود على صاحبه"^(٤).

المسألة الثانية: الجهر أو الإسرار بالذكر:

الأصل في الذكر والدعاء الإسرار، وحدّه: التلطف بتحريك اللسان بالحروف من مخرجها بصوت أقله أن يسمع الإنسان نفسه^(٥).

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥).

قال الإمام القرطبي في تفسير الآية الكريمة: "﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾ أي دون الرفع في القول، أي أسمع نفسك، كما قال: ﴿وَأَبْتَعِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ١١٠) أي بين

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ٥٢٦/٢ فتوى رقم (٤٦٠٠).

(٣) سبق تخريجه ص ٤٣.

(٤) سبق تخريجه ص ٤٣.

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة ٥٢٠/٢-٥٢١.

(١) تصحيح الدعاء ص ٩١.

الجهر والمخافتة، ودل هذا على أن رفع الصوت بالذكر ممنوع، على ما تقدم في غير موضع^(١). وقال الإمام ابن كثير: ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهرا، ولهذا قال: ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء وجهرا بليغا^(٢).

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس! اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصما ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم) قال: وأنا خلفه وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فقال: (يا عبد الله بن قيس! ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟) فقلت: بلى يا رسول الله! قال: (قل: لا حول ولا قوة إلا بالله)^(٣).

قال الإمام النووي في شرحه للحديث: ["اربعوا" بجمزة وصل، وبفتح الباء الموحدة معناه: ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب، وهو معكم بالعلم والإحاطة، ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه، فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه، فإن دعت حاجة إلى الرفع رفع، كما جاءت به أحاديث]^(٤).

والذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن المسلم الذي يذكر ربه بمفرده الأفضل في حقه الإسرار بالذكر بقدر ما يسمع نفسه؛ لأن ذلك أقرب إلى الإخلاص، قال القرطبي: [والشريعة مقررة أن السر فيما لم يعترض من أعمال البر أعظم أجرا من الجهر ... قال الحسن بن أبي الحسن: "لقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض عمل يقدر على أن يكون سرا فيكون جهرا

(٢) تفسير القرطبي ٢٢٥/٧.

(٣) تفسير ابن كثير ١٢٠٠/٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المغازي - باب غزوة خيبر - ص ٣٤٥ برقم (٤٢٠٢)، ومسلم في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب استحباب خفض الصوت بالذكر... - ص ١١٤٧-١١٤٨ برقم (٢٧٠٤) عن أبي موسى.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٨/١٧.

أبدأ، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت، إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم" ^(١).

فإذا دعت حاجة إلى أن يرفع صوته فإنه يأخذ بالتوسط في ذلك؛ لأنه هو خير الأمور الذي كان عليه نبي الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - لما قال عنه ابن عباس رضي الله عنهما: "كانت قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - على قدر ما يسمعه من في الحجرة وهو في البيت" ^(٢)، وإلى هذا التوسط كذلك وجه - صلى الله عليه وسلم - أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في قراءتهما في حديث أبي قتادة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر يصلي يخفض من صوته، قال: ومر بعمر بن الخطاب وهو يصلي رافعا صوته، قال: فلما اجتمعا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض صوتك)، قال: قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله، قال: وقال لعمر: (مررت بك وأنت تصلي رافعا صوتك)، قال: فقال: يا رسول الله أوقف الوسنان وأطرد الشيطان. زاد الحسن في حديثه فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - (يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا)، وقال لعمر: (اخفض من صوتك شيئا) ^(٣).

قال العلامة شمس الحق العظيم آبادي ^(٤) في شرح هذا الحديث: "وتأمل في الفرق بين مرتبتهما ومقامهما، وإن كان لكل نية حسنة في فعليهما وحاليهما من مرتبة الجمع للأول وحالة الفرق للثاني، والأكمل هو جمع الجمع الذي كان حاله - عليه الصلاة والسلام - ودلها عليه وأشار لهما إليه: (يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا) أي قليلا لينتفع بك سامع ويتعظ

(٢) تفسير القرطبي ١٤٣/٧.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب قيام الليل - باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل - ص ١٣٢١ برقم (١٣٢٧)، وأحمد في مسنده ٢٧١/١، والطبراني في المعجم الكبير ٢١٨/١١، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٣ عن عبد الله بن عباس، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٢٠٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب قيام الليل - باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل - ص ١٣٢١ برقم (١٣٢٩)، والترمذي في سننه - كتاب الصلاة - باب ما جاء في القراءة بالليل - ص ١٦٨٧ برقم (٤٤٧) عن أبي قتادة، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٢٠٤).

(٢) هو محمد بن علي بن مقصود علي الصديقي العظيم آبادي أبو الطيب شمس الدين، عالم بالحديث، ولد في عظيم آباد في الهند سنة ١٢٧٣هـ، وتوفي في دبانوان من أعمال عظيم آباد سنة ١٣٢٩هـ.

انظر: الأعلام ٣٠١/٦.

مهتد، (وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً) أي قليلاً لئلا يتشوش بك نحو مصلى أو نائم أو معذور، قال الطيبي: نظيره قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ١١٠) كأنه قال للصديق: انزل من مناجاتك ربك شيئاً قليلاً واجعل للخلق من قراءتك نصيباً، وقال لعمر: ارتفع من الخلق هونا واجعل لنفسك من مناجاة ربك نصيباً^(١).

فالحاجة تدعو في بعض الأحيان إلى رفع الصوت بذكر الله كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "إن كنا لنعد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المجلس الواحد مائة مرة (رب اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم)^(٢)، فإن الحاجة قائمة في هذه الحالة أن يسمع المرابي الأول النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه؛ إعلاما لهم بأهمية الاستغفار. أما إذا كان الناس في جماعة، فالصحيح الذي دلت عليه الأحاديث أن يذكر الله خاضعين دون رفع الأصوات؛ لعدم وجود الدليل على ذلك، بل إن جميع ما ورد من الأدلة في الاجتماع على الذكر ورد فيه النهي عن الجهر به أو رفع الصوت، وهذا أقوى أدلة على عدم جواز الذكر بصورة جماعية.

ففي حديث أبي موسى رضي الله عنه، قوله - صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس! اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم)^(٣). وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال: (ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذون بعضهم بعضاً، ولا يرفع بعضهم على بعض في القراءة) أو قال: (في الصلاة)^(٤).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية ٤/١٤٧، ط/الأولى ١٤١٩ هـ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الوتر - باب في الاستغفار - ص ١٣٣٥ برقم (١٥١٦)، وابن ماجه في سننه - كتاب الأدب - باب الاستغفار - ص ٢٧٠٤ برقم (٣٧١٤) عن عبد الله بن عمر، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(١) سبق تخريجه ص ٢٠٢.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب قيام الليل - باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل - ص ١٣٢٢ برقم (١٣٣٢) عن أبي سعيد، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (١١٨٣).

وإذا كان الذكر الذي اجتمع الناس عليه مثل الباقيات الصالحات أو غيرها من الأذكار المطلقة، فالسنة في ذلك أن يذكر كل واحد منهم ربه دون رفع الصوت أو تقييد ما لم يرد تقييده في السنة المطهرة بعدد أو زمن أو مكان، وإذا كان المجلس لقراءة القرآن فلا بد لهم من الالتزام بالمشروع في ذلك كما سبق بيانه^(١).

هذا، وهناك حالات ورد في الشرع الجهر بالذكر فيها وجوباً أو استحباباً، فمن الذكر الذي يجب الجهر به بقدرٍ يحصل منه المقصود^(٢): الأذان، الإقامة، تكبيرات الإمام، تسميعه، قراءته في الصلاة الجهرية، تكبيرات التبليغ عند الحاجة، إلقاء السلام للخروج من الصلاة، السلام وجوابه، الحمد عند العطاس، وتشميته، الدعاء بقوم والتأمين عليه. ومن الذي يسن الجهر به بقدرٍ يحصل به المقصود^(٣): التأمين في الصلاة، وعلى الدعاء، التكبير في العيدين، الذكر بعد الصلاة، التلبية والتكبير في الحج، قراءة القرآن، التسمية على الذبيحة.

أما الصورة الثانية من صور الانحرافات في الذكر فحكمها بدعة؛ لأن الإتيان بالأذكار بهذه الطريقة تجعلها مندرجة تحت البدعة الإضافية، فالعبادة مشروعة، لكن يأتي الابتداع من تخصيص الزمان أو المكان أو العدد أو الهيئة لتلك العبادة إذا لم يأت تخصيص ذلك في السنة المطهرة.

والبدعة الإضافية أشد خطورة من الحقيقية من حيث الشبه التي يستند إليها المبتدع في فعلها، فإنك إذا سألته عن دليل ذلك قال: إنه يذكر الله ويصوم لله، فهل الذكر والصيام محرمان؟ ومن ثم يستمرئها ويداوم عليها وقد لا يتوب منها في الغالب؛ ذلك أن الشبهات أخطر الأمور على الدين، فهي أخطر من الشهوات وإن كان الجميع خطيراً؛ لأن إبليس اللعين لما يئس من تضليل المسلمين بالمعاصي دخل عليهم من باب العبادة، فزين لهم البدع بحجة التقرب إلى الله، وهنا مكمّن الخطر^(٤).

(٣) يراجع ص ٢٠٠ من هذا البحث.

(٤) تصحيح الدعاء ص ٩٢.

(١) تصحيح الدعاء ص ٩٢.

(٢) تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار تأليف الدكتور صالح بن سعد السحيمي ص ٩٦-٩٧.

قلت: وفي الحقيقة، هذا هو القول الذي يبادر به هؤلاء المتوغلون في هذا النوع من البدع؛ لأنهم واثقون في أنفسهم أنهم على خير، بل يتهمون من ينكر عليهم فعلهم بأنه لا يجب الله ورسوله، وإلا فكيف يمنعهم عن ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه - صلى الله عليه وسلم.

وفي الصورة الثالثة فصحيح أنه يجوز للمسلم أن ينشئ من عند نفسه ذكرا مطلقا، لكن لا بد من استيفاء شروطٍ وضعها العلماء لصحة هذا الإنشاء^(١). فتقييد الأذكار التي أنشأها العبد بنفسه بهيئة أو زمان أو مكان أو كيفية معينة، وكذلك ترتيب الأجر عليها، كل ذلك يجعلها من البدعة الإضافية؛ لأن هذا التقييد وترتيب الأجر من حقوق الشارع الخاصة؛ ولأننا لو فتحنا المجال لينشئ أي واحد الأدعية والأذكار بنفسه دون قيد لكان ذلك بمثابة فتح باب شر عظيم لا يغلق أبدا، يستطيع كل مبتدع أن يدخل ويخرج منه سالما غانما، وفي ذلك من الضرر على الدين وهدم مرتكزاته ما لا يخفى.

قال الإمام الشاطبي عند شرحه لحد البدعة: [وقوله في الحد: "تضاهي الشرعية" يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك بل هي مضادة لها من أوجه متعددة منها وضع الحدود...، ومنها التزام الكيفيات، والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد...، ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشرعية]^(٢).

شبه وردود

الشبهة الأولى:

استدلواهم بالأحاديث الواردة في الحث على مجالس الذكر أو حلق الذكر أنها أدلة لهم على جواز الذكر الجماعي، قالوا: لا يمكن أن تقوم جماعة من الناس بذكر الله في مكان اجتماعهم إلا بصورة جماعية بصوت واحد، ومن الأحاديث التي يستدلون بها:

(٣) سبق ذكر هذه الشروط في ص ١٩٥.

(١) الاعتصام للشاطبي ٢٥/١-٢٦.

ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: (ما أجلسكم؟) قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلي من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقل عنه حديثا مني، وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما أجلسكم؟) قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا، قال: (الله ما أجلسكم إلا ذاك؟) قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: (أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة)^(١).

وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا)، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: (حلق الذكر)^(٢).

ورد هذه الشبهة من وجوه:

١- إن استدلالهم هذا ناتج عن سوء فهمهم للمقصود بحلق الذكر أو مجالس الذكر، حيث إنهم يظنون بأن حلق الذكر يقتصر مفهومها على ترديد بعض ألفاظ الذكر مثل الباقيات الصالحات فقط، وذلك فهم قاصر، فإن المراد بحلق الذكر أو مجالس الذكر أوسع وأكبر مما يزعمون، فحلق الذكر أو مجالس الذكر يقصد بها الاجتماع لتعلم العلوم الشرعية وتعليمه، ومدارسة كتاب الله تعالى وتلاوته، كما تعني القيام بأداء أذكار أخرى من الأذكار الواردة المطلقة مثل الباقيات الصالحات، وهي: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، وقد سبق ذكر ما يكفي من أقوال العلماء مما يدل على أن هذا هو المشهور والمتعارف عليه عند السلف.

وإذا قبل القوم أن هذا هو المفهوم الصحيح لمعنى حلق الذكر أو مجالس الذكر بما يكفي من الحجج والبراهين، فلكل نوع من أنواع الذكر طريقة خاصة للإتيان به وفق منهج سلف الأمة عند اجتماع الناس له.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر - ص ١١٤٧ برقم (٢٧٠١) عن أبي سعيد الخدري.

(١) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الدعوات - باب حديث في أسماء الله الحسنى مع ذكرها تماما - ص ٢٠١٣ برقم (٣٥١٠)، وأحمد في مسنده ١٥٠/٣ عن أنس بن مالك، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٧٨٧).

٢- أن هذه الطريقة مخالفة لما عرف عن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم، يدل على ذلك ما أخرجه الدارمي في سننه عن عمر بن يحيى بن عمرو بن سلمة الهمداني قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعا فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد أنفا أمرا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيرا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصا، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظر رأيك أو انتظر أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلقة، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الله! حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم - صلى الله عليه وسلم - متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدي من ملة محمد، أو مفتتحوا باب ضلالة، قالوا: والله، يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مرید للخير لن يصيبه، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلقة يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج^(١).

ويلاحظ في الحديث أن الأمر الذي أنكره ابن مسعود على هؤلاء القوم هو الإتيان بالذكر بصورة جماعية، وتقييد الأذكار المطلقة بأعداد معينة، فأنكر عليهم ابن مسعود وبين لهم أن سلوك تلك الطريقة في ذكر الله تعالى ليس من منهج رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - وصحابته الكرام عليهم رضوان الله.

(١) أخرجه الدارمي في سننه ٧٩/١ برقم (٢٠٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٠٥) عن عمرو ابن سلمة.

الشبهة الثانية:

قالوا: يجوز للعبد المسلم أن ينشئ أدعية وأذكارا من عند نفسه مطلقا دون أي قيد أو ضابط أو شرط، بدليل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقر بعض الصحابة على أذكار وأدعية من عباراتهم وكافأ بعضهم على حسن ثنائه على الله تعالى. ومما استدلوا به من الأحاديث: ما أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول: يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال، ومكايل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، لا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضا، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه. فوكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأعرابي رجلا فقال: (إذا صلى فائتني به، فلما صلى أتاه، وقد كان أهدي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذهب من بعض المعادن، فلما أتاه الأعرابي وهب له الذهب وقال: (من أنت يا أعرابي! قال: من بني عامر بن صعصعة يا رسول الله، قال: (هل تدري لم وهبت لك الذهب؟) قال: للرحم بيننا وبينك يا رسول الله، فقال: (إن للرحم حقا، ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل)^(١).

وما روي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلا يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، قال: فقال: (والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)^(٢).

ورد هذه الشبهة من وجوه:

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١٧٢/٩ عن أنس بن مالك، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٢/١٠: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبي عبد الرحمن الأذرمي وهو ثقة، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تأليف نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر - بيروت.

(٢) سبق تخريجه ص ١٤٣.

١- أن القول بجواز وضع العبد المسلم أدعية وأذكار لنفسه يدعو الله بها ليس على إطلاقه، بل لا بد من توفر بعض الشروط والضوابط التي ذكرها العلماء^(١).

قال في تصحيح الدعاء: "أجمع العلماء على أن للعبد المسلم الدعاء مطلقا بما لم يرد، بشرط أن لا يتضمن محذورا لفظا ومعنى، ولا يوظفه مقيدا بحال، أو زمان، أو مكان، هذا مع إجماعهم على أن الوارد أفضل"^(٢).

٢- أن استدلالهم بما دعا به بعض الصحابة وأقرهم عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس دليلا لهم؛ لأن مجرد تلفظ الصحابة بهذه الأقوال والعبارات في حضرة النبي - عليه الصلاة والسلام - وإقراره لهم عليها جعلها من السنة، فهي من السنن التقريرية. وأما الذي يتلفظ به من بعدهم من الأدعية والأذكار المنشأة فلا بد أن تتوفر فيه تلك الشروط التي ذكرها العلماء؛ لتكون من العبادات المقبولة.

٣- أنه لولا تلك الشروط والضوابط التي وضعها العلماء لدخل في الأذكار المنشأة أباطيل المتكلمين والفسقة مما يطلق عليه اسم الأدعية والأذكار وهي من إلهامات شياطينهم.

الشبهة الثالثة:

احتجاجهم بأن تقييد الأذكار المطلقة الواردة في الشرع بزمان أو مكان أو هيئة أو عدد لم يأت به الشرع، فيه نوع من ربط الناس بالعبادة وتقريبهم إلى العمل الصالح، وكذلك ترتيب الأجر والثواب على الأذكار المنشأة فيه الحث على القيام بالأعمال الصالحة.

ورد هذه الشبهة من وجوه:

١- أن الذكر عبادة، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع^(٣)، فالتعيين والإلزام والحدود، وتحديد الكيفية والهيئة، والعدد والأجر، هي من الحقوق الخاصة بالشارع، فالناس وعقولهم عنها بمعزل، فالأذكار التي أتى بها الشارع مطلقا ليس للمرء أن يضع لها من عنده قيودا، بل إن المسلم له أن ينشئ بنفسه من الأذكار المطلقة صحيحة المعنى ولكن أيضا دون أن يضع لها شيئا مما ذكر.

(٣) يراجع ص ١٩٥ من هذا البحث.

(٤) تصحيح الدعاء ص ٣٢٥.

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٢/٥١٠-٥١١.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وليس لأحد أن يسن للناس نوعا من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به بخلاف ما يدعو به المرء أحيانا من غير أن يجعله للناس سنة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرما لم يجز الجزم بتحريمه"^(١).

٢- أن دعوى إرادة الخير من ربط الناس بالعبادة وترغيبهم في العمل الصالح لن تتحقق إلا بموافقة الشرع؛ فكل عمل يراد به التقرب إلى الله تعالى ينبغي أن يكون مما شرعه الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأن يؤدي على نحو ما أداه عليه رسول الله مع مراعاة كميته وعدده وزمانه ومكانه وهيئته.

يقول ابن مسعود في الأثر المروي عنه: ".. وكم من مرید للخير لن يصيبه"^(٢).
وفي الأثر عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: "عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة، ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله، فتمسه النار"^(٣).

٣- أن ترتيب الأجور والجزاء على الأذكار المنشأة فيه من المبالغة والتهويل والتضخيم ما لا يخفى، فيجر هذا التضخيم ضررا كبيرا على الدين، حيث إن فيه الإغراء للعامة، وتزهيدهم في الأذكار والأدعية المشروعة، وصرْفهم عنها.

(٢) المرجع السابق ٥١١/٢٢.

(١) سبق تخريجه ص ٢٠٩.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٢٤/٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٥٣/١.

المبحث الثاني قراءة القرآن

المطلب الأول

فضل قراءة القرآن وآداب القراءة

القرآن كلام الله، وفضل كلامه تعالى على كلام البشر كفضل الله على عباده، وقد أنزله ليتعبد بتلاوته ويعمل بأحكامه، وليكون معجزة لنبيه - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وفضل قراءة القرآن عظيم، لا يقدر قدره إلا الذي أنزله سبحانه وتعالى؛ ولذلك وردت نصوص كثيرة في الكتاب نفسه وفي السنة المطهرة تحث على تلاوة أشرف كتاب، وأجل خطاب، وكلام رب الأرباب، تبين هذه النصوص ما للقارئ من الأجر العظيم في هذه الحياة الدنيا وفي الدار الآخرة.

فمن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۗ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ﴿١٢﴾ (النمل: ٩١-٩٢).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ ﴿٢٩﴾ (فاطر: ٢٩).

وقوله تعالى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ (المزمل: ٤).

ومن السنة ما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (يقول الرب عز وجل: من شغله القرآن وذكرني عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)^(١).

وما روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: عن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)^(٢).

وما روي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول - الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)^(٣).

وما روي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف)^(٤).

وعندما يتوجه المسلم إلى القرآن الكريم عليه أن يستشعر أنه مقبل على الله سبحانه وتعالى بتلاوة كتابه، يتلقى منه ويناجيه، فهذا المتلو هو الوحي الذي أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي لا يتطرق إليه باطل، من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل العزيز العليم^(٥).

ولقراءة القرآن آداب ينبغي ذكر شيء منها^(١):

(١) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب فضائل القرآن - باب [ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي] - ص ١٩٤٥ برقم (٢٩٢٦) عن أبي سعيد الخدري، وقال: هذا حديث حسن غريب، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (١٣٣٥).

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الوتر - باب كيف يستحب الترتيل في القراءة - ص ١٣٣٢ برقم (١٤٦٤)، والترمذي في سننه - كتاب فضائل القرآن - باب [إن الذي ليس في جوفه من القرآن كالبيت الخرب] - ص ١٩٤٤ برقم (٢٩١٤) عن عبد الله بن عمرو، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة - ص ٨٠٤ برقم (٨٠٤) عن أبي أمامة الباهلي.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر - ص ١٩٤٤ برقم (٢٩١٠) عن عبد الله بن مسعود، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٢١٣٧).

(٤) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع ص ٧٣.

الأول: الإخلاص، ومراعاة الأدب للمناجاة بالقرآن.
الثاني: يستحب أن يكون القارئ على طهارة، وإن كان على غيرها جاز، إن كانت القراءة من غير المصحف.

الثالث: يستحب أن تكون القراءة في موضع نظيف.
الرابع: يستحب استقبال القبلة، والجلوس بخشوع ووقار.
الخامس: أن يحافظ على البسملة في بداية كل سورة، ما عدا سورة براءة.
السادس: فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر.
وتلاوة القرآن الكريم مع تدبر معانيه من أفضل القربات، إلا أن هذا التدبر لا يتحقق غالباً إلا إذا سلك القارئ الطريق الصحيح في قراءته؛ وذلك بأن يقتدي برسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - فيما أمره به ربه جل وعلا حيث قال: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (المزمل: ٤)، وقد اتفق العلماء على استحباب الترتيل^(٢). وثبت عن أم سلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قراءة مفسرة حرفاً حرفاً^(٣).

وفي كتاب الحوادث والبدع: "﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (المزمل: ٤) يعني فصله تفصيلاً، وبينه تبييناً، وترسل فيه ترسيلاً، ولا تعجل في قراءته"^(٤)

أما الإفراط في الإسراع عند قراءة القرآن فقد نهي عنه، وهو ما يسمى ب (الهدء)^(٥)، فثبت عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً قال له: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة، فقال عبد الله

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكرياء يحيى بن شرف الدين النووي ص ٥٤-٦٢، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٤٠٩هـ.

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٦٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٥٣/١، والبيهقي في السنن الكبرى ١٣/٣، والنسائي في السنن الكبرى ٣٤٩/١ عن أم سلمة، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح رقم (٢٢٠٤).

(٣) كتاب الحوادث والبدع للإمام أبي بكر محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي المعروف بابن زندقة ص ٥٧، تحقيق بشير محمد عيون، ط/الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، مكتبة المؤيد - الطائف.

(٤) انظر: التبيان ص ٦٧.

بن مسعود: هذا كهذ الشعر، إن أقواما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع^(١).

قال العلماء: والترتيل مستحب للتدبر وغيره، قالوا: يستحب الترتيل للعجمي الذي لا يفهم معناه؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام، وأشد تأثيراً في القلب^(٢).

كما نهي عن الاستعجال في قراءة القرآن وكذلك نهي عن قراءته بالألحان والتطريب، ومعنى هذا أن يخطط الحروف، ويفرط في المد، ويشبع الحركات حتى تصير حروفاً، فإنه متى أشبع حركة الفتح صارت ألفاً، وإن أشبع حركة الضم صارت واواً، وإن أشبع حركة الكسر صارت ياء. وأعظم من هذا أن الحرف الذي فيه واوٌ واحدة تصير واوات كثيرة، ويكون في الحروف ألف واحدة فيجعلونه ألفات كثيرة، وكذلك كل حرف من الآيات يزيد فيه من الحروف بحسب ما تحتاج إليه نغمته ولحنه؛ فيزيل الحرف عن معناه، فتلحق الحروف الزيادة والنقصان على حسب النغمات والألحان، فلا تخلو من زيادة أو نقصان، وهذا أمر ليس في كلام العرب، ولا يعرفه الفصحاء والشعراء^(٣).

والاجتماع لقراءة القرآن ودراسته جائز مع اتباع الطريقة التي وضعها العلماء لذلك، وقد سبق بيان ذلك بشكل مفصل^(٤).

(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به - باب ترتيل القراءة واجتناب الهدوء - ص ٨٠٦ برقم (٨٢٢) عن أبي وائل.

(٦) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٦٧.

(١) كتاب الحوادث والبدع تأليف محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي ص ٦٢.

(٢) يراجع ص ٢٠٠ من هذا البحث.

المطلب الثاني

الانحراف في قراءة القرآن حكمه وصوره

صور الانحراف في قراءة القرآن لدى مسلمي نيجيريا:

للانحراف في قراءة القرآن الكريم لدى القوم عديده منها:

الصورة الأولى:

قراءة القرآن بالألحان.

إنه من الأمور المعهودة لدى مسلمي نيجيريا تلحين القرآن الكريم عند القراءة، ولعل ذلك نتيجة سوء فهمهم للحديث الشريف: (زينوا القرآن بأصواتكم)^(١)، وقد أخطأوا في ذلك الفهم السقيم؛ لأن تزيين القرآن بصوت القارئ لم يقصد به التلحين الذي سبق بيان معناه قبل قليل.

الصورة الثانية:

تخصيص بعض الآيات والسور وقراءتها لأغراض لم يرد تخصيصها لها في السنة المطهرة، مع وضع خطبة لكل سورة تقرأ قبلها أو بعدها، وأحيانا توضع خطبتان لبعض السور، الأولى لابتداء السورة، والثانية بعد الانتهاء منها.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا- كتاب التوحيد- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة) و(زينوا القرآن بأصواتكم)- ص ٦٣٠.

يمثل لهذه الصورة بتخصيصهم سورة الكهف للحفاظ من كل شر، وسورة الفتح لفتح أبواب الخير، وسورة النصر لجلب الرزق، وسورة يس لقضاء الحوائج بجميع أشكالها، وغير ذلك من سور القرآن الكريم التي لم يرد نص في السنة المطهرة يدل على هذا التخصيص.

قال صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى: "سورة الإخلاص والخطبة: بسم الله الرحمن الرحيم، فائدة عظيمة لقضاء الحوائج فاقراها ألف مرة، ثم تقرأ الخطبة هذه بعد سورة الإخلاص، بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد... إلى آخر السورة. خطبة سورة الإخلاص: اللهم إني أسألك يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد يا من لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، أسألك بحق أسمائك العظام وأنبيائك الكرام أن تسخر لي خدام هذه السورة العظيمة، عبدك عبد الرحمن، وعبدك عبد الصمد، وعبدك عبد الواحد، يكون لي عوناً على قضاء حوائجي..."^(١).

وقال في موضع آخر: "سورة الكوثر. من كان له إلى الله حاجة مهمة فليقرأ هذه السورة الجليلة خصوصاً في جلب الأرزاق والمال وطلب الجاه والمراتب وغيرها لفتح الخيرات، تقرأها ألف مرة، وعلى كل مائة تقرأ هذا الدعاء أربع مرات، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر... إلى آخر السورة. بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إني أسألك يا إله الأولين والآخرين أن ترزقني رزقاً حلالاً، وأن تغنيني بفضلك، وأن تسخر لي خدام هذه السورة بحق مهيش مهيوش عيطلوش نوزة وهيم، أجب واقض حاجتي بمن قال للسموات والأرض اتينا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين، الوحا (٣) العجل (٣) الساعة (٣) بارك الله فيك وعليك"^(٢).

وفي دعاء الفوز العظيم: "سورة الواقعة: من قرأها ثلاث مرات في كل يوم صباحاً ومساءً يغنيه الله، ومن قرأها أربع عشرة مرة بعد صلاة العصر ويتلو (يا غني، يا مغني) ألف مرة مع الخطبة ثلاث مرات كل يوم يكون غنياً بأمر الله، وهذا مجرب. ومن قرأها إحدى وأربعين مرة كل ليلة إلى أربعين يوماً يرزقه الله رزقاً واسعاً بلطفه"^(٣).

(١) دعاء الغاية المقصودة ص ٦٥.

(٢) المرجع السابق ص ٦٢.

(٣) دعاء الفوز العظيم ص ١٤، دون أية بيانات، وهو كتيب مشهور جدا بين المنتسبين إلى العلوم الشرعية، يشتمل على بعض سور القرآن وخطبها المصطنعة، يستعمل للدعاء.

وقد ساعد على اندفاع كثير من جهال المنتسبين للعلم الشرعي إلى مزاوله هذا العمل ما يفعله ساداتهم أهل الأهواء من وضع كتيبات الدعاء بهذا الخصوص، يقوون فيها أقوالهم بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، يسلكون في هذا الباب سبيل بعض السذج كأبي عصمة نوح بن أبي مريم حيث حاول أن يرغب الناس في القرآن الكريم فوضع أحاديث عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن^(١).

الصورة الثالثة:

قراءة السورة من آخرها إلى أولها، أو قراءة سورة وإدخال ما ليس من كلام الله من أسماء الملائكة أو الجن أو كلام البشر بين آياتها، أو جمع آيات من سور شتى في موضع واحد وقراءتها مثل قراءة سورة واحدة؛ كل ذلك لأغراض معينة.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال في دعاء الغاية المقصودة الكبرى: "هذا دعاء لتسخير القلوب، يقرأ كل يوم بعد صلاة الصبح ٣ مرات. بسم الله الرحمن الرحيم. بسم الله العزيز المعتزّ بعلو عزه عزيزاً، وكل عزيز بعزة الله يعتزون، يا عزيز تعزرت بعزتك فمن اعتر بعزتك فهو عزيز لا ذل بعده، ومن اعتر بدون عزتك فهو ذليل، إن الله قوي عزيز، وإنه لكتاب عزيز، وينصرك الله نصراً عزيزاً، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز، يحبهم ويحبونه اللهم أعزني في عيون خلقك وأكرمني بينهم، ولقد كرمتنا بني آدم، وإنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العلمين، وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني..."^(٢).

وفي موضع آخر قال: "ورود قوله: (كن فيكون) في القرآن العظيم. ورد قوله: (كن فيكون) ثماني مرات في القرآن العظيم"^(٣)، فجمع كل الآيات التي فيها لفظ (كن فيكون) في القرآن؛ وذلك ليستفاد من قراءتها هكذا للدعاء.

حكم هذه الصور:

(٤) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٢٨٢/١، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، بدون سنة الطبعة.

(١) دعاء الغاية المقصودة ص ٧٩.

(٢) المرجع السابق ص ٨٩.

إن تلحين القرآن عند قراءته مثل القصائد والأناشيد من البدع المحدثه في الكتاب العزيز وذلك للأسباب التالية^(١):

١- أن القرآن إذا لحن موسيقيا فإنه لا يتميز بتأثيره الفطري في النفوس والقلوب، وإنما يعود التأثير في ذلك الحين إلى الطرب المصطنع.

٢- أن هذا التلحين يخرج عن كونه قرآنا إلى ما يشبه الغناء والنشيد.

٣- أن الذي يشتغل بترنيم الموسيقى لا يلتفت إلى معانيه بإدراكه الوجداني، ولا يتفهم مقاصده بقلبه.

٤- مما لا شك فيه أن هذا التلحين لن يراعى فيه مخارج الحروف بأحكامها الراسخة في قواعد التجويد.. وهذا سيؤدي حتما إلى التمطيط والترجيع والرعش الصوتي أو تموجه.. وهي أمور لا تجوز شرعا، ولا يتفق ذلك مع جلال القرآن وهيبته.

هذا، وقد أنزل القرآن لتدبر آياته وتفهم معانيه، من أمر أو نهي أو وعد أو وعيد أو وعظ أو تخويف أو ضرب مثل أو اقتضاء حكم أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ وَإِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ (ص: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (النساء: ٨٢)، وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (الأنفال: ٢).

فكيف يتدبر آيات القرآن ويفهم معانيه من كان أكبر همه أثناء القراءة هو اللذة والطرب والنعمة والألحان، ولا شك أن هذه الأشياء تبعد عن الخشوع وتناقض الخوف والوجل، وإذا كنا معاشر المسلمين قد أمرنا بالبكاء أو التباكي أثناء القراءة، وقال ربنا جل وعلا عن عباده المؤمنين: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة: ٨٣)، فيا ترى هل هذا البكاء ناتج عن الفهم لمعاني الآيات المقروءة أو من الألحان المطربة المشبهة للأغاني؟

(٣) كيف نتأدب مع المصحف كتابة قراءة تعلمنا استماعا محمد رجب فرجاني ص ١٧٣-١٧٤، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة، بدون بيانات أخرى.

أما الصورة الثانية من الانحرافات المذكورة فحكمها بدعة؛ وذلك لأمر:

١- ما فيها من تخصيص بعض الآيات والسور لأغراض لم يرد دليل من السنة المطهرة على تخصيصها لها.

٢- ما فيها من تعيين الأعداد التي تقرأ بها هذه السور دون أي دليل شرعي، وقد سبق أن ذكرنا بأن تحديد الكيفية والهيئة، والزمان والمكان والعدد، وترتيب الأجر على الأعمال، هي من الحقوق الخاصة بالشارع.

ولهذين الأمرين فقد خالف هذا النوع من الذكر تلك القاعدة العظيمة للتعبد وهي: "وقف العبادة على النص ومورده في جهات التعبد الست"، وهي: السبب، والجنس، والمقدار، والكيفية، والزمان، والمكان^(١).

٣- ما في هذه الصورة من الخطب المنشأة المصطنعة من قبل القوم، وعلى الرغم من أن هذه الخطب هي من باب الأدعية المطلقة التي يجوز للعبد أن ينشئه من عند نفسه إلا أن لها شروطاً لا بد من توفرها في هذا النوع من الأدعية، ولم تستوف تلك الخطب المصطنعة هذه الشروط؛ حيث وجدت فيها بعض المحاذير الشرعية لفظاً ومعنى^(٢)، بالإضافة إلى المنهج الذي سلكه الذين وضعوها حيث اتخذوها سنة راتبة يداوم على قراءتها، ورتبوا عليها الأجر.

تقول اللجنة الدائمة في إجابتها عن سؤال وجه إليها حول مسألة تخصيص بعض سور القرآن الكريم وتسميتها بالسور المنجيات: "القرآن كل سوره وآياته شفاء لما في الصدور، وهدي ورحمة للمؤمنين، ونجاة لمن اعتصم به واهتدى بهداه من الكفر والضلال والعذاب الأليم... فمن خص السور المذكورة في السؤال (وهي: سورة الكهف، والسجدة، ويس، وفصلت، والدخان، والواقعة، والحشر، والملئ) بالمنجيات فهو جاهل مبتدع، ومن جمعها على هذا الترتيب^(٣) مستقلة عما سواها من سور القرآن رجاء النجاة أو الحفظ أو التبرك بها فقد أساء في ذلك وعصى؛ لمخالفته لترتيب المصحف العثماني الذي أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم؛ ولهجرة

(١) تصحيح الدعاء ص ٤١.

(٢) انظر: خطبة سورة الكوثر في المثال السابق.

(٣) كما في دعاء الفوز العظيم، ودعاء الغاية المقصودة الكبرى، وعون العلماء الصالحين، كلها كتيبات الدعاء مشهورة

في نيجيريا وغرب إفريقيا.

أكثر القرآن وتخصيصه بعضه بما لم يخصه به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أحد من أصحابه" (١).

ويندرج تحت هذه الصورة مما يتعبد به بعض مسلمي نيجيريا تخصيص بعض قصار السور وقراءتها بعد الدعاء، يقرأون من تلك السور ما يتناسب مع ما دعوا به - حسب زعمهم - من خيري الدنيا والآخرة، فإذا دعوا بكثرة الرزق مثلاً يختمون دعاءهم بقراءة سورة النصر أو الكوثر، وإذا دعوا بالأمن يقرأون بعده سورة قريش وهكذا، وقد كانت سورة الفاتحة أكثر استعمالاً من قصار السور لهذا الغرض، فلا تكاد تجد رجلاً أو امرأة من المنتسبين للدراسات الإسلامية وعوام الناس إلا وقد اتخذ ختم دعاءه بقراءة الفاتحة سنة متبعة.

يقول صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى فيما أسماه بالدعاء المبارك: "... وارفح مقتك وغضبك عنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا يا رب العلمين. اللهم آمين بسر الفاتحة" (٢).

وإني أقول في بيان حكم هذه الصورة: إن القرآن كلام الله تعالى، وفضل كلامه تعالى على كلام البشر كفضل الله على عباده، وفضل قراءة القرآن عظيم لا يقدر قدره إلا الله سبحانه، لكن ليس للقارئ أن يخص سورة أو آية بالتلاوة في وقت معين أو لغرض معين إلا ما خصه الرسول - صلى الله عليه وسلم - كفاتحة الكتاب للرقية، أو في الصلاة في كل ركعة، وكقراءة آية الكرسي عندما يأخذ مضجعه من فراشه للنوم رجاء أن يحفظه الله من الشيطان، وكقراءة المعوذات (قل هو الله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) للرقية (٣).

فيبين من ذلك أن تخصيص بعض السور بالقراءة بعد الدعاء من البدع المحدثه التي لا دليل عليها، فهو بدعة إضافية حيث إن قراءة القرآن في أصلها من العبادات المشروعة، لكن التخصيص الذي اقترن بها دون دليل شرعي هو الذي جعلها بدعة. ولا يقال إن هذا العمل من باب التبرك بالقرآن الكريم، فإن القرآن الكريم لا يقرأ من أجل التبرك به فقط وإنما يقصد بقراءته التقرب إلى الله تعالى، وتدبر آياته، وفهم معانيه وأحكامه، والاعتبار به لنيل الأجر

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة ٤٧٨/٢-٤٧٩ فتوى رقم (١٢٦٠).

(١) دعاء الغاية المقصودة ص ٧٥.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ٤٨٣/٢-٤٨٤.

والثواب، ثم لا مانع من الدعاء بعد ختمه أو الانتهاء من قراءة جزء منه وذلك مشروع إلا أنه لا يداوم عليه الإنسان المسلم ولا يلتزم فيه صيغة معينة كأنه سنة متبعة^(١).

حكمت اللجنة الدائمة في جوابها عن السؤال: هل كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ الفاتحة بعد الدعاء؟ بأنه "لم يثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقرأ الفاتحة بعد الدعاء فيما نعلم، فقراءتها بعد الدعاء بدعة"^(٢).

والصورة الثالثة من صور الانحراف في قراءة القرآن التي هي قراءة السورة من آخرها إلى أولها فهي لا تجوز، وذلك لما يأتي:

- ١- ففي التبيان في آداب حملة القرآن قال: "وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فممنوع منعاً مؤكداً، فإنه يذهب بعض ضروب الإعجاز، ويزيل حكمة ترتيب الآيات"^(٣).
- ٢- ما روي عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه كره ذلك وقال: "من قرأ منكوساً أدب، والذي يقرأ السورة من آخرها إلى أولها يؤدّب"^(٤).

وبناء على ذلك فالأدب في قراءة القرآن أن يقرأ على الترتيب فلا يلتقط من كل سورة آية أو آيتين يقرأ بهما كما يفعل كثير من قراء اليوم في المآتم^(٥)، أو يجمع آيات من سور مختلفة تقرأ بعضها مع بعض كقراءة سورة واحدة، فقد ذكر ابن كثير في فضائل القرآن رواية عن أبي عبيد: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع بلالاً يقرأ من كل سورة آية.. فقال: (سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة) فقال بلال: أخلط الطيب بالطيب، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (اقرأ السورة على وجهها) وفي رواية أخرى: (إذا قرأت فانفذهما)^(٦). وبلال رضي الله عنه كان يقصد جمع آيات الرحمة وآيات الجنة في مرة واحدة فأمره الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يقرأه على تأليف الله^(٧).

(٣) انظر: المرجع السابق ٤٨٠/٢ فتوى رقم (٣٨٦١).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٥٢٨/٢ فتوى رقم (٥٨٨١).

(٢) التبيان ص ٧٣.

(٣) كتاب الحوادث والبدع ص ١٢٠.

(٤) كيف نتأدب مع المصحف ص ١٨٧.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف - كتاب فضائل القرآن - باب الرجل يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة - ١٥١/٦ برقم (٣٠٢٥٩)، المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق

وإذا كان جمع آيات من سور مختلفة وقراءة بعضها مع بعض مما لا يجوز شرعا بدليل نهي الرسول - صلى الله عليه وسلم - عنه، فكيف بإدخال ما ليس من كلام الله ضمن كلامه سبحانه وتعالى، فلا شك أنه ظاهر البطلان لما فيه من العبث بكلام الباري جل وعلا، وقد قال عنه تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۖ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ۗ ﴾ (الطارق: ١٣-١٤)، قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية ﴿ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ۗ ﴾: "أي ليس القرآن بالباطل واللعب، والهزل: ضد الجدل" (٢).

مسألة: حكم الوليمة عند تخرج الطلبة أو ختم حفظ القرآن الكريم أو قراءته

هذه المسألة لها علاقة مباشرة بقراءة القرآن الكريم، وإقامة الحفلة أو ما يسمى بالوليمة إذا أكمل طالب علم قراءة القرآن أمر منتشر جدا عند النيجيريين المسلمين، ولا فرق في هذا الأمر بين المنتسبين للعلم الشرعي والعوام، بل إن المسألة أشكلت على بعض خريجي جامعات الدول العربية ولا يدري هل هي بدعة أم سنة، ولرفع هذا الإشكال وبيان الحق الذي ليس بعده إلا الضلال أخص هذه المسألة بالكلام في هذا الصدد فأقول:

الاحتفال بمناسبة ختم قراءة القرآن الكريم أو حفظه لطلبة العلم ليس فيه بأس ولا يدخل في بدعة الأعياد والاحتفالات وذلك لما يأتي:

١- أن مثل هذه الاحتفالات لا تتكرر بالنسبة لهؤلاء الذين يحتفل بهم.

٢- أن لهذه الاحتفالات مناسبة حاضرة، وليست أمراً ماضياً^(٣).

وضابط العيد الممنوع أنه هو كل زمان يعتاد مجيئه، أو مكان يتقصد الإتيان إليه من أجل اجتماع وأعمال لم يأذن بها الشارع.

إلا أنه ينبغي التنبيه لتلك الصورة التي تقام بها تلك الاحتفالات لدى مسلمي نيجيريا حيث إن الكثير ممن يملكون المدارس الخاصة بتعلم القرآن الكريم أو حفظه قد اتخذوا هذا

كمال يوسف الحوت، ط/الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد- الرياض.

(٦) كيف نتأدب مع المصحف ص ١٨٧.

(١) تفسير القرطبي ٩/٢٠.

(٢) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع للعلامة محمد بن صالح العثيمين ٥/١١٤، ط/الأولى ١٤٢٣هـ، طبع بإشراف

مؤسسة الشهي محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي- الرياض.

الاحتفال مدخلا لإلحاق الأضرار بأولياء أمور الطلبة؛ وذلك أن الطالب الذي أكمل قراءة القرآن أو تخرج من المدرسة يكلف حين تخرجه بدفع مبالغ لا يستطيع ولي أمره توفيرها في غالب الأحيان، فمبلغ لاستلام شهادة التخرج، ومبلغ للضيافة، وآخر لتكريم المعلم، كما يكلف بصناعة أنواع من الأطعمة وإحضارها يوم الحفلة، بل هناك من يطلبون من كل طالب شراء شاة. كل هذا يكلف به الطالب على سبيل الإلزام لا من باب الاختيار، والطالب الذي لم يتمكن من تقديم كل ما طلب منه يؤجل وقت حفلته إلى أن تخرج دفعة أخرى أو يدفع تلك المبالغ فيما بعد، ففي أية حالة لا يعنى عن تلك المتطلبات. فهذه الصورة التي اعتادها بعض المدرسين ومدراء المدارس هي التي تحتاج إلى إعادة النظر، فإن الاحتفال بهذه الصورة يعطي المجال ليدخل فيه بعض الأمور التي تنتهي عنها شريعتنا الإسلامية وأهمها الإضرار بالمسلمين حيث يضطر الكثير من أولياء أمور الطلبة إلى تحمل الديون، فبدلاً من أن يحتفل الطالب بهذه المناسبة بفرح وسرور فإنه يفكر كيف يقضي هو وولي أمره تلك الديون التي تحملوها، وقد قال - عليه الصلاة والسلام: (لا ضرر ولا ضرار)^(١).

إن هذا الاحتفال ينبغي أن يكون من باب التكريم لهؤلاء الطلبة الذين صبروا وتحملوا وقضوا أثنى أوقاتهم في حفظ وقراءة أشرف كلام على الإطلاق وهو كلام الباري جل وعلا، فيقدم لهم كل غال ونفيس تشجيعاً لهم على بذل مزيد من الجهود لمواصلة هذا العمل الجليل، كما توجه لهم نصائح قيمة كي يحافظوا على آداب حملة كتاب الله تعالى. فإذا كُرمت مجموعة بهذه الطريقة المشوّقة فإنها ستكون ترغيباً لغيرهم ليتوجهوا إلى كتاب الله قاصدين تعلمه وحفظه. وإكرام قارئ القرآن وحافظه مرغوب فيه بنصوص من الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾

(الحج: ٣٢).

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُر عِنْدَ رَبِّهِ ۗ ﴾

(الحج: ٣٠).

(١) أخرجه الدارقطني في سننه ٧٧/٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٦٩/٦ عن أبي سعيد الخدري، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٥٠).

وفي الحديث: (إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغال فيه والجاني عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)^(١). فأهل القرآن يكرمون ولا يؤذون. هذا، مع التنبيه إلى أننا لا نمانع أن يطلب المعلم من طلابه المتخرجين أو الذين ختموا قراءة القرآن أو حفظه أن يطلب منهم بعض المبالغ المناسبة الاحتفال بتخرجهم لكن لا يكون ذلك على سبيل الإلزام، بل يترك المجال ليقدم كل من أولياء أمور الطلبة ما في وسعه، وذلك أريح لهم وأدعى لمرضاة الرب جل وعلا.

(١) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الأدب- باب تنزيل الناس منازلهم- ص ١٥٧٩ برقم (٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد ١/١٣٠ برقم (٣٥٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤/٤٤٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/٥٥٠ عن أبي موسى الأشعري، قال في تخريج أحاديث الإحياء (١٥١/٢): أخرجه أبو داود من حديث أبي موسى بسند حسن، وحسنه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٣٩٦٢).

المبحث الثالث

الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول

معنى الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - وفضلها وكيفيتها

معنى الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم:

الصلاة في اللغة أصلها: الدعاء، لقوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ^ص﴾ (التوبة: ١٠٣)،

أي: ادع لهم^(١).

ويطلق لفظ "الصلاة" على معان أخرى غير الدعاء مثل التعظيم، والرحمة، والبركة، قال الراغب الأصفهاني: "الصلاة: قال كثير من أهل اللغة: هي الدعاء والتبريك والتمجيد، يقال: صليت عليه، أي: دعوت له وزكيت"^(٢).

وفي المصباح المنير: "وقيل: الصلاة في اللغة مشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة، ومنه: (اللهم صل على أهل أبي أوفى)^(٣)، أي: بارك عليهم أو ارحمهم"^(٤).

أما معنى الصلاة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦)، فقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم^(٥).

(١) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ص ٢٨٤، ومختار الصحاح ٣٧٥/١ مادة (ص ل ا).

(٢) المفردات ص ٢٨٧ مادة (صلا).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة - باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة - ص ١١٨ برقم (١٤٩٧) عن عبد الله بن أبي أوفى.

(٤) المصباح المنير ص ٢٨٥.

(٥) انظر: تفسير القرطبي ١٤/١٤٩، وتفسير الصاوي ٤٨/٥.

لكن الأولى - والله تعالى أعلم - أن معنى الصلاة على النبي في الآية الكريمة الثناء عليه بين الملائكة وفي الملا الأعلى، قال البخاري: "قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء"^(١)، وقال ابن حجر بعد ذكره للأقوال الواردة في المسألة: "وأولى الأقوال ما تقدم عن أبي العالية أن معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم عليه طلب ذلك له من الله تعالى"^(٢).

وهذا القول هو الذي اختاره العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره للآية، قال: "﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ ﴾ عليه، أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملا الأعلى، لمحبه تعالى له"^(٣).

ونحى العلامة محمد بن صالح العثيمين منحى شيخه في هذه المسألة فأبطل القول بأن الصلاة من الله معناها الرحمة حيث قال: "والصلاة من الله على رسوله ليس معناها كما قال بعض أهل العلم: إن الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين الدعاء. فهذا ليس بصحيح بل إن صلاة الله على المرء ثناؤه عليه في الملا الأعلى، كما قال أبو العالية وتبعه على ذلك المحققون من أهل العلم. ويدل على بطلان القول الأول قوله تعالى: ﴿ أَوْلَيْتِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (البقرة: ١٥٧)؛ فعطف الرحمة على الصلوات، والأصل في العطف المغايرة، ولأن الرحمة تكون لكل أحد"^(٤).

والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - أجزؤها عظيم وفضلها جسيم، أمر الله تعالى بها في القرآن الكريم، ورغب فيها رسوله الأمين - صلى الله عليه وسلم - وحث عليها وبين أن أجزؤها مضاعف فقال: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا)^(٥).

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقا - كتاب التفسير - سورة الأحزاب باب قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (الآية: ٥٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/١٥٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٣٩.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/٤٤٧، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط/الثانية ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي - الدمام.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد - ص ٧٤٣

وقد شرعت الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - عند ذكر اسمه، وبعد التشهد في الصلاة، وفي خطبة الجمعة والنكاح ونحوهما.

والصلاة على النبي نوع من أنواع الذكر، والأذكار من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع، والخير كل الخير في اتباع هديه - صلى الله عليه وسلم - وهدى خلفائه الراشدين، وسائر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

ولقد أجاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بالأجوبة الكافية حينما سألوه عن كيفية الصلاة عليه، وهو الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه، لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فبينت أحاديثه الشريفة هذه الكيفيات، فتمسك بها صحابته الكرام، يصلون عليه كما أمرهم وبالهيات التي ذكر لهم، وما كانوا يجهرون بها، ولا أحدثوا حلقات يجتمعون فيها، ولا ابتدعوا صفات أخرى لهذه العبادات.

[ولا شك أن ما جاءت به السنة وفعله الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان هو الطريق المستقيم والمنهج القويم والفائدة للآخذ به محققة والمضرة عنه منتفية، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث المتفق على صحته عن عائشة - رضي الله عنها: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(١)، وفي رواية لمسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٢)، وقال - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)^(٣) [٤].

برقم (٤٠٨) عن أبي هريرة.

(١) سبق تخريجه ص ٤٣.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٣.

(٣) سبق تخريجه ص ٧٥.

(٤) فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبيان معناها وكيفيةها وشيء مما أُلّف فيها تأليف عبد الحسن بن حمد العباد ص ٢١، ط/الثانية ١٤٠٨ هـ، مركز شؤون الدعوة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

نصوص وردت في فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - والحث عليها والأمر بها:

وردت نصوص كثيرة في فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - والحث عليها والأمر بها وأكثرها في السنة المطهرة، منها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

يقول الشوكاني رحمه الله: "والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند ملائكته وأن الملائكة تصلي عليه، وأمر عباده بأن يقتدوا بذلك ويصلوا عليه" (١).

ومنها ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا) (٢).

وعند أبي داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا) (٣).

ومنها ما روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا) (٤).

ومنها ما روي عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم:

(١) فتح القدير للشوكاني ٣٧٥/٤.

(٢) سبق ترجمته ص ٢٢٨.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الوتر - باب في الاستغفار - ص ١٣٣٦ برقم (١٥٣٠) عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٥٦).

(٤) أخرجه النسائي في سننه - كتاب السهو - باب الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - ص ٢١٧٢ برقم (١٢٩٨) عن أنس بن مالك، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٩٢٢).

(البخيل الذي من ذكرتُ عنده فلم يصل عليّ) (١).

ومنها ما روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من نسي الصلاة علي خطيئ طريق الجنة) (٢).

هذه هي بعض النصوص الواردة في فضل الصلاة على خير الخلق - صلوات الله وسلامه عليه، وقد اختلف أهل العلم في حكم هذه الصلاة هل هي واجبة أم مستحبة؟ بعد اتفاقهم على أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة، قال القرطبي: "ولا خلاف في أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة، وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه" (٣).

وقد ذكر ابن حجر مذاهب العلماء في المسألة وأوصلها إلى عشرة أقوال.

والذي يقتضيه الاحتياط، الصلاة عند كل ذكر، لما ورد من الأخبار في ذلك (٤).

قال ابن حجر عند ذكره للأقوال الواردة في المسألة: "ثامنها: كلما ذكر، قاله

الطحاوي (٥) وجماعة من الحنفية، والحليمي (٦) وجماعة من الشافعية، وقال ابن العربي (٧)

(١) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الدعوات - باب [رغم أنف رجل ذكرت عنده] - ص ٢٠١٦ برقم (٣٥٤٦) عن

علي بن أبي طالب وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم (٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها - باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم -

ص ٢٥٣٠ برقم (٩٠٨) عن عبد الله بن عباس، وصححه الألباني في صحصح ابن ماجه برقم (٧٤٠).

(٣) تفسير القرطبي ١٤/١٥٠.

(٤) المرجع السابق.

(٥) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الحجري المصري، أبو جعفر الطحاوي الحنفي الحافظ المحدث،

كان ثقة نبيلاً فقيهاً عاقلاً، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة في مصر، من مصنفاته معاني الآثار، أحكام

القرآن، توفي سنة ٣٢١هـ.

انظر: العبر في خبر من غير ٢/١٩٢، الوافي بالوفيات ٧/٨، طبقات الحنفية ١/١٠٢.

(٦) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري، الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني أبو عبد الله، كان

إماماً متقناً، وله وجوه حسنة في المذهب الشافعي، توفي سنة ٤٠٣هـ.

انظر: العبر في خبر من غير ٣/٨٦، الوافي بالوفيات ١٢/٢١٧، طبقات الشافعية ١/١٧٨.

(٧) هو الإمام العلامة القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد أبو بكر ابن العربي المعافري الأندلسي

الإشبيلي، كان حافظاً فقيهاً من أهل التنفيس، له مصنفات في الفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو

والتاريخ، توفي بفاس سنة ٥٤٣هـ.

انظر: الوافي بالوفيات ٣/٢٦٥، طبقات الحفاظ ١/٤٦٨، سير أعلام النبلاء ٢٠/١٩٧، وفيات الأعيان

من المالكية: إنه الأحوط، وكذا قال الزمخشري^(١)«(٢)».

أما الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - في تشهد الصلوات المفروضة فقد ذهب جمهور العلماء إلى أنها سنة مؤكدة وليست واجبة، ودليل ذلك عمل السلف الصالح وإجماعهم عليه، كما أن صفة تشهد ابن مسعود الذي علمه النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس فيها الصلاة على النبي^(٣).

كيفية الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم:

بين رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - كيفية الصلاة عليه لأصحابه حين سأله عن ذلك، وقد وردت هذه الكيفية من طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وسأقتصر على ما أخرجه الشيخان أو أحدهما، فمن هذه الطرق:

ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألتنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)^(٤).

وأخرج البخاري أيضا في كتاب التفسير من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه ولفظه: قيل: يا رسول الله! أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: (قولوا:

٢٩٦/٤.

(١) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي أبو القاسم الزمخشري المعتزلي، نحوي لغوي مفسر، كان داعية إلى الاعتزال، له عدة مصنفات منها الكشاف، والمفصل، توفي سنة ٥٣٨هـ.

انظر: العبر في خبر من غير ١٠٦/٤، الأعلام ١٧٨/٧، سير أعلام النبلاء ١٥١/٢٠.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٥٣/١١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ١٥٢/١٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب أحاديث الأنبياء - باب [١٠] - ص ٢٧٤ برقم (٣٣٧٠)، وكتاب الدعوات - باب الصلاة على النبي - ص ٥٣٤ برقم (٦٣٥٧)، ومسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب الصلاة على النبي بعد التشهد - ص ٧٤٣ برقم (٤٠٦) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد^(١).

ومنها ما أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله! هذا التسليم فكيف نصلي عليك؟ قال: (قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم)^(٢).

ومنها ما أخرجه أيضا في صحيحه في كتاب الأنبياء من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ فقال: (قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)^(٣). وأخرجه أيضا في كتاب الدعوات، كما أخرجه أصحاب السنن إلا الترمذي كلهم عن أبي حميد الساعدي.

ومنها ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله! فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم)^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ - ص ٤٠٧ برقم (٤٧٩٧) عن كعب بن عجرة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ - ص ٤٠٧ برقم (٤٧٩٨)، وكتاب الدعوات - باب الصلاة على النبي - ص ٥٣٥ برقم (٦٣٥٨) عن أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب أحاديث الأنبياء - باب [١٠] - ص ٢٧٤ برقم (٣٣٦٩)، ومسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب الصلاة على النبي بعد التشهد - ص ٧٤٣ برقم (٤٠٧) عن أبي حميد الساعدي.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد - ص ٧٤٢ برقم (٤٠٥) عن أبي مسعود الأنصاري.

أفضل كيفيات الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم:

ما سبق ذكره هي الصفات والهيئات التي أجاب بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للصلاة عليه حينما سأله أصحابه عن ذلك، والخير كل خير في الاتباع دون الابتداع؛ فينبغي للمسلم الالتزام بهذه الصيغة إذا أراد أن يصلي على النبي ويؤجر على عمله ذلك؛ لأن هذه الصيغة هي الأفضل، قال الحافظ ابن حجر: "قلت: واستدل بتعليمه - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه الكيفية بعد سؤالهم عنها بأنها أفضل كيفيات الصلاة عليه؛ لأنه لا يختار لنفسه إلا الأشرف الأفضل، ويترتب على ذلك لو حلف أن يصلي عليه أفضل الصلاة فطريق البر أن يأتي بذلك"^(١)، وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: "وأفضل هيئات الصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام - ما علم به أصحابه"^(٢).

فالأفضل هو الالتزام بالصيغة الواردة في السنة المطهرة لمن أراد أن يصلي ويسلم على الحبيب المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه، ولكن هناك صيغتان أخريان مختصرتان كثر ذكرهما في كتب السلف، ففيهما الإجزاء أيضا، وهما: [صلى الله عليه وسلم] و [عليه الصلاة والسلام]، إلا أنه ينبغي مراعات الجمع بين الصلاة والسلام وعدم الاختصار على واحد منهما امتثالا لما ورد في آية الأحزاب.

كما ذهب بعض أهل العلم إلى أن أكمل هذه الصيغة كلها هي الصيغة التي فيها الجمع بين الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - وآله والصلاة على إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وآله، مستدلا بحديث أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من سره أن يكتب بالملكيات الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)^(٣).

قال الشوكاني: "والذي يحصل به الامتثال لمطلق الأمر في هذه الآية هو أن يقول القائل: اللهم صل وسلم على رسولك، أو على محمد، أو على النبي، أو اللهم صل على محمد

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/١٦٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٣٩.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة - باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد - ص ١٢٩٥

برقم (٩٨٢) عن أبي هريرة، وأورده الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٢٠٧).

وسلم. ومن أراد أن يصلي عليه ويسلم عليه بصفة من الصفات التي ورد التعليم بها والإرشاد إليها فذلك أكمل وهي صفات كثيرة قد اشتملت عليها كتب السنة المطهرة^(١).

المطلب الثاني

الانحراف في الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - حكمه وصوره

(١) فتح القدير للشوكاني ٤ / ٣٧٦.

صور الانحراف في الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - لدى مسلمي نيجيريا:
لقد أتى مسلمو نيجيريا من جهة محبتهم للرسول - صلى الله عليه وسلم، ومما لا يشك فيه أن الهتاف بمحبة شخص دون أن يقترن ذلك بطاعته يكون مجرد الدعوى الذي لا حقيقة له؛ ولذلك أدت بهم هذه الادعاءات إلى الوقوع في انحرافات في كيفية الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - وطريقتها.

إن الانحرافات التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا فيما يخص الصلاة على نبيهم لم تكن كثيرة في نوعها لكنها منتشرة جدا بين فئات المسلمين في المجتمع، وأذكر صورها كالتالي:
الصورة الأولى:

إنشاء جمعيات إسلامية خاصة بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم -:
لقد اعتاد بعض الجهال من مسلمي نيجيريا إنشاء جمعيات إسلامية تحوي في حوزتها الرجال والنساء والكبار والصغار، تكمن مهمتها في الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم، وطريقة هذه الجمعيات في أداء المهمات التي أنشئت لأجلها هي أن يؤلف رؤساؤها كتيبات صغيرة يحددون فيها أورادا معينة يعملها أعضاء الجمعية في أيام يتفقون عليها فيما بينهم، وفي الغالب تكون هذه الأوراد عبارة عن الصلاة على النبي بالكيفيات المسنونة مثل الصلاة الإبراهيمية، أو تلك الصيغة المختصرة المشهورة (اللهم صل على محمد وسلم)، إلا أنهم يعملون هذه الأوراد بشكل جماعي رافعين بها أصواتهم.

وعلاوة على المحظورات التي يقع فيها هؤلاء الناس في الجانب العقدي التي سأذكرها عند بيان حكم هذه الصور، فإنه يغلب على هذه الجمعيات سيمة الاختلاط بين الرجال والنساء وعدم التزام النساء باللباس الشرعي للمسلمات في المجتمع.

ويجدر بالذكر أن مكان وجود هذه الجمعيات هو جنوب نيجيريا ولا يكاد يوجد في شمالها إلا ما كان فرعا لتلك التي أنشئت في الجنوب، ونذكر من هذه الجمعيات على سبيل المثال لا الحصر:

- جماعة نصر الله الفاتح (Nasfat ناسفت) وهي أشهر هذه الجمعيات على مستوى الدولة.

- جماعة نصر من الله وفتح قريب (Quoreeb قريب).

- جماعة الاستجابة.

- جماعة يسر الله، وغيرها كثير.

فقد كان الهدف الأساسي في إنشاء هذه الجمعيات التعاون على حل مشكلات أعضائها بالدعاء الجماعي والأذكار الجماعية؛ لذا تجدهم مهتمين كثيرا بالجانب المادي ولا يكاد يوجد لديهم برامج هادفة لتربية أتباعهم تربية إسلامية حسنة تساعد على سلوك المنهج القويم والالتزام به وتطبيق السنة.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري: "ولا عيب في جمعية الصلاة على النبي (يا رب صل على محمد) وجمعية (قيلة) غير أنهما ليس لهما أي هدف غير التفاخر والتظاهر بالزينة يوم العيد لتحويل أنظار الوثنيين والمسيحيين إليهم في تلك الأعياد، ولقد دخل في الإسلام عدد غير قليل بواسطة هاتين الجمعيتين"^(١).

ومن الأمور التي تضحك وتبكي في نفس الوقت أن كثيرا من المنتسبين للدراسات الإسلامية من ضعاف الإيمان وقليلي الحياء قد اكتشفوا في الآونة الأخيرة أن هذه الجمعيات كانت بمثابة أراضي خصبة لجمع الأموال، فبدأوا ينشئونها ويستغلون أتباعهم فيها شر استغلال.

الصورة الثانية:

الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بالصيغة التي وردت في السنة وبشكل جماعي: وتكثر هذه الصورة عند الجمعيات المذكورة في الصورة الأولى كما توجد عند أناس آخرين ممن لا ينتمون إلى تلك الجمعيات.

ففي المناسبات مثلا سواء في وليمة الزواج أو عقيقة المولود أو غيرها قد اعتاد مسلمو نيجيريا تقديم الدعاء في بداية البرنامج، وغالبا ما يكون ذلك الدعاء مقرونا ببعض الأذكار منها الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - التي يجهرون بها بصورة جماعية.

الصورة الثالثة:

إحداث صيغ أخرى للصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - غير الصيغة التي وردت في السنة المطهرة مع اعتقاد أن هذه الصيغ أولى وأفضل مما جاء في السنة، ويمثل لذلك بما

(١) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص ٧٠.

يسمى بـ (صلاة الفاتح لما أغلق) عند الطريقة التجانية، وهذه الصيغة المبتدعة مشهورة جدا لدى مسلمي نيجيريا شمالها وجنوبها، وبالدرجة الأولى بين أصحابها مشايخ الطريقة التجانية ومريديهم وأتباعهم، ثم بين عوام الناس المقتدين بهم والمتمسكين بكل غث وسمين مما مر عليهم دون تمحيص واستفتاء العلماء المعترين.

وهناك صيغ أخرى أحدثوها للصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - منها الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية^(١)، والصلاة النرجسية وفيها: "اللهم إني أسألك يا الله، يا الله، يا الله، يا أول، يا آخر، يا أحد، بغيب الهوية الذي استأثرت بعلمه، الذي هو اسمك الأعز، أن تصلي على مستودع شرك، ومستقر أمرك، كنز الحقائق، الحامل لتجليك الأعظم، أول ملب لدعوتك، وأسبق منقاد لأمرك، الحد الأوسط، روح كل كائن، النور الذي به ظهر وجودك، وانصدع فجر ليل الغيب، في آفاق التنزلات إلى أن صار الأول آخرا، والباطن ظاهرا، صلاتك التي بدوامها يستمد القلم، ويجري في اللوح بما أنت به أعلم ... اللهم يا سميع، يا سريع، يا سلام، أسألك بسر سيدنا محمد، وبعقل سيدنا محمد، وبروح سيدنا محمد، وبقلب سيدنا محمد، وبذات سيدنا محمد، وبجسد سيدنا محمد، وبشأن سيدنا محمد، كله، أن تصلي على سيدنا محمد الصلاة التي أنت أهل إهدائها، وهو أهل قبولها، كما صليت عليه صلاة انتشر بها الطي، وصار للوجود بها في..."^(٢).

ويلاحظ ما في هذه الصيغة وغيرها من الغلو في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - واستخدام ألفاظ غامضة وعبارات بعيدة المعاني، وهكذا هم، يريدون دائما أن يأتوا بما لم تأت به الأوائل من الأعاجيب؛ لكي يسوغ لهم ادعاء الكرامات.

وهذه الصيغ المبتدعة تكثر أمثلتها في كتاب دلائل الخيرات لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الجزولي السملالي^(٣)، وقد اشتمل الكتاب على الغث والسمين، وشيب فيه الجائز

(١) انظر: أحزاب وأوراد أحمد التيجاني ص ١٠، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني - القاهرة.

(٢) المرجع السابق ص ١١٤-١٣٠.

(٣) هو محمد بن سليمان بن عبد الرحمن الجزولي السملالي الحسيني الشاذلي أبو عبد الله، فقيه صوفي من أهل سوس المراكشية، كان له أتباع يسمون "الجزولية" من الشاذلية، توفي سنة ٨٧٠هـ، من آثاره دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار.

انظر: الأعلام ١٥١/٦، معجم المؤلفين ١٠/٥٢.

بالممنوع، وفيه أحاديث موضوعة وأحاديث ضعيفة، وفيه مجاوزة للحد ووقوع في المحذور الذي لا يرضاه الله ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو طارئ لم يكن من نهج السابقين بإحسان^(١).

ويعتبر هذا الكتاب من أجل وأنفع ما ألف في كيفية الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - عند كثير من جهال المسلمين في نيجيريا؛ ولذلك جعلوه كتاب الدعاء حيث إنهم يجلسون لقراءته ثم يتوسلون بعد ذلك بصلاتهم على النبي ويسألون الله بها حاجاتهم. وقد اشتهر هؤلاء بلزومهم لقراءة هذا الكتاب أكثر من تلاوتهم للقرآن العظيم، كما كانوا ينشئون له مجالس لتعليم الشباب والشابات، يقرأونه من بعد العشاء إلى الفجر رافعين به أصواتهم في مكبرات الصوت لاعتقادهم بأن الرياء لا يدخل في قراءته^(٢).

حكم هذه الصور:

إن الصور التي سبق ذكرها للانحرافات في الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - حكمها أنها بدعة، وإن علل الواقعون فيها فعلتهم بتعليلات واهية. فإنشاء الجمعيات الخاصة بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم تحديد بعض الأيام والليالي لاجتماع أعضاء هذه الجمعيات للإتيان بالصلاة عليه على سبيل الذكر والعبادة، من البدع المحدثه، وهي بدعة حقيقية؛ لأنه لم يدل عليها دليل شرعي، لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله، ولا من إجماع، ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، لا في الجملة ولا في التفصيل^(٣). فليس للذين يتعاطون هذه الأفعال سلف في أعمالهم التبعية - كما يزعمون، وأية عبادة يتعبد بها المسلم لا بد أن يكون له فيها سلف؛ إذ الدين بالاتباع لا بالابتداع^(٤)، وسلفنا دائما وأبدا هو رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، إذن فإن إنشاء جمعيات من هذا القبيل يعتبر من الأعمال المبتدعة التي لا يؤجر عليها أصحابها.

(٢) فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ص ٢١.

(٣) هذه الطريقة توجد في شمال نيجيريا بصفة خاصة.

(٤) الاعتصام ص ٢٣٤.

(١) مجموع الفتاوى ٩٤/٢٣.

أما الإتيان بالصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - بشكل جماعي وبأصوات مرتفعة، فهو من البدع الإضافية؛ ذلك بأن الصلاة على النبي - عليه الصلاة والسلام - عمل مشروع، وهو من الذكر، والذكر من أعظم العبادات؛ إذ لأجله شرعت العبادات، فلذلك ربط بكثير من الأعمال الصالحة.

ففي الصلاة ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (طه: ١٤)، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الجمعة: ١٠).
وفي الحج ﴿ فَإِذَا قُضِيَتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ ﴾ (البقرة: ٢٠٠).
وفي الجهاد ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأنفال: ٤٥).

فذكر الله عبادة جليلة أمر الله تعالى به ورغب فيه رسوله - صلى الله عليه وسلم، فالدليل عليه من جهة الأصل قائم^(١)، إلا أن البدعة دخلت في أعمال القوم من جهة الكيفية والهئية، وتحديد الهئية والكيفية من حقوق الشارع، لا يأتي به العبد من نفسه ما دام يقصد بعمله التعبد لله سبحانه وتعالى.

هذا بالإضافة إلى ما ذكرنا آنفا مما يحصل عند أعضاء هذه الجمعيات من الوقوع في محظورات شرعية مثل الاختلاط بين الجنسين وعدم التزام نسائهم باللباس الشرعي للمرأة المسلمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في جوابه لسؤال وجه إليه في مثل هذه المسألة:
[والصلاة عليه هي دعاء من الأدعية كما علم النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته حين قالوا: قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك فقال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) أخرجاه في الصحيحين، والسنة في الدعاء كله المخافتة إلا أن يكون هناك سبب يشرع الجهر قال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا

(٢) الاعتصام ص ٢٣٤.

تُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿ (الأعراف: ٥٥)، وقال تعالى عن زكريا: ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ (مريم: ٣)، بل السنة في الذكر كله ذلك كما قال تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (الأعراف: ٢٠٥)، وفي الصحيحين أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا معه في سفر فجعلوا يرفعون أصواتهم فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا وإنما تدعون سميعا قريبا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)^(١)، وهذا الذي ذكرناه في الصلاة عليه والدعاء مما اتفق عليه العلماء، فكلهم يأمرون العبد إذا دعا أن يصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - كما يدعو لا يرفع صوته بالصلاة عليه أكثر من الدعاء سواء كان في صلاة كالصلاة التامة وصلاة الجنازة أو كان خارج الصلاة حتى عقب التلبية فإنه يرفع صوته بالتلبية ثم عقب ذلك يصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - ويدعو سرا، وكذلك بين تكبيرات العيد إذا ذكر الله وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنه وإن جهر بالتكبير لا يجهر بذلك، وكذلك لو اقتصر على الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - خارج الصلاة مثل أن يذكر فيصلي عليه، فإنه لم يستحب أحد من أهل العلم رفع الصوت بذلك، فقائل ذلك مخطئ مخالف لما عليه علماء المسلمين^(٢).

وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: "بيّن النبي - صلى الله عليه وسلم - فضيلة الاجتماع لتلاوة كتاب الله ودراسته وتدبره وتفهم معانيه، فقال - صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)^(٣)، وبين بعمله مراده بذلك؛ فكان أحيانا يقرأ ويسمعه من حضر من أصحابه رضي الله عنهم ليعلمهم كيفية التلاوة والترتيل، وكان أحيانا يأمر بعض أصحابه أن يقرأ حبا منه لسماعه من غيره، كما ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اقرأ عليّ)، قال: أقرأ

(١) سبق تخريجه ص ٢٠٢.

(٢) الفتاوى الكبرى ١٩٩/٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر - ص ١١٤٧ برقم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة.

عليك وعليك أنزل؟ قال: (فإني أحب أن أسمع من غيري) فقرأ عليه عبد الله سورة النساء حتى بلغ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١)، فقال: (أمسك)، فإذا عيناه تذرطان^(١).

وكان يتخولهم بالموعظة خشية السامة عليهم، ويجلس لهم في المسجد أو غيره لإرشادهم وتعليمهم أمور دينهم،... إلى غير ذلك بما هو تفسير عملي لاجتماع النبي - صلى الله عليه وسلم - بهم على الذكر بأنه تعليم وإرشاد، وموعظة واختبار، وتلاوة لكتاب الله تلاوة تفهم واعتبار، ولم يعرف عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه خصص أياماً وليالٍ من الأسبوع يجتمع فيها هو وأصحابه على ذكر الله تعالى جماعة، باسم مفرد من أسمائه الحسنى، قياماً أو قعوداً في حلقات، أو صفوفاً يترنحون فيها ترنح السكارى ويتميلون فيها تمايل الراقصين طرباً لتوقيع الأناشيد، ونغمات المغنين، ودقات الطبول والدفوف، وأصوات المزامير، وبهذا يعلم أن ما يفعله الصوفية اليوم بدعة محدثة وضلالة ممقوتة؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه^(٢).

وأما مسألة إحداث صيغ أخرى للصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ولزومها بل تفضيلها على الصيغة الواردة في السنة المطهرة، فإننا نقول: إن ما جاءت به السنة وفعله الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان هو الطريق المستقيم والمنهج القويم؛ إذ لو ترك المجال وأعطيت الفرصة لكل واحد أن يصلي على نبينا حسب ما يملئ عليه عقله القاصر فالذي يحدث هو ما نشاهده من الغلو في وصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتجاوز الحدود في الألفاظ المستخدمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان حكم الأذكار والدعوات التي لم ترد في السنة، وبدون شك فإن الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - من أفضل الذكر وأوجب الدعوات، قال: "الحمد لله، لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب البكاء عند قراءة القرآن - ص ٤٣٧ برقم (٥٠٥٥)، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به - باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع... - ص ٨٠٣ برقم (٨٠٠) عن عبد الله بن مسعود.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة فتوى رقم (٣٥٦٠).

مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان ولا يحيط به إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون محرما، وقد يكون مكروها، وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس وهي جملة يطول تفصيلها، وليس لأحد أن يسئ للناس نوعا من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به، بخلاف ما يدعو به المرء أحيانا من غير أن يجعله للناس سنة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرما لم يجز الجزم بتحرمة، لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به، وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه في ذلك الوقت، فهذا وأمثاله قريب، وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستئان ذكر غير شرعي فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العلية ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدث المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد" (١).

ومن هنا وضع العلماء شروطا لدعاء أو ذكر مطلق إذا كان غير وارد في الكتاب أو السنة بل أتى به الداعي أو الذاكر من عند نفسه أو نقل عن أحد من السلف، فيجوز للعبد الذكر والدعاء بهذا النوع إذا توفرت فيه تلك الشروط (٢).

هذا هو المعيار الشرعي الذي وضعه العلماء لأي ذكر أو دعاء من هذا القبيل، وإذا توفرت هذه الشروط الخمسة فإنه يجوز للمرء المسلم أن يتوجه بذلك الدعاء إلى المولى جل وعلا أو يذكره بتلك الصيغة من الذكر، أما إذا احتل شرط من هذه الشروط فإن الدعاء أو الذكر يكون بدعة محرمة.

وإذا تأملنا أكثر شيء انتشارا بين مسلمي نيجيريا من الأذكار المنشأة وهو ما يسمى بـ (صلاة الفاتح لما أغلق) نرى بأنه لم تتوفر في صيغتها هذه الشروط، فمثلا قد اتخذت الفرقة التجانية هذه الصيغة وردا لازما يواظب عليه شيوخهم وأتباعهم.

(١) الفتاوى الكبرى ٢/٢١٤.

(٢) سبق ذكر هذه الشروط في ص ١٩٥.

ففي كتاب أحزاب وأوراد قال مؤلفه: "هذه أحزاب وأوراد القطب المكتوم سيدي الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به وهي على قسمين: لازمة واختيارية، أما اللازمة فهي الورد صباحا ومساء وهو: أستغفر الله مائة مرة، والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بأي صيغة كانت مائة مرة، وإن كانت بالصيغة الفاتحية فهو أفضل، وهي: اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم"^(١).

فتبين مما سبق أن الشيخ أحمد التجاني قد جعل (صلاة الفاتح لما أغلق) من الأوراد اللازمة يجب على أتباعه الإتيان بها صباحا ومساء مثل أذكار الصباح والمساء التي دلت على مشروعيتها الأحاديث الشريفة، فتكون هذه الصيغة للصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بدعة.

يقال هذا الكلام إذا سلمنا جدلا أن التجانيين اقتصروا على أن تلك الصيغة من وضع شيخهم، وأنها من الأذكار العادية التي ليست لها أية مزية، فكيف وقد رفعوها فوق منزلتها كما رفعوا واضعها فوق ما يستحق من المكانة فقالوا: إن (صلاة الفاتح لما أغلق) من كلام الله كالأحاديث القدسية، وقد تلقاها شيخهم أحمد التجاني من النبي - صلى الله عليه وسلم، كما رتبوا عليها جزيل الثواب، وفضلوها على الصيغ الواردة في السنة المطهرة بل فضلوها على قراءة القرآن الكريم^(٢).

وقولهم هذا باطل لأمر:

١- أن هذه الصلاة التي يزعم التجانيون أن شيخهم تلقاها من النبي - صلى الله عليه وسلم - لم ترو - كاملة - مسندة مرفوعة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - لا في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف، ولا في حديث قدسي ولا في غيره^(٣)، فكيف يزعمون أنها من كلام الله كالأحاديث القدسية؟^(٤).

(١) أحزاب وأوراد أحمد التجاني ص ٢-٣.

(٢) انظر: جواهر المعاني ص ٥٧-٥٨.

(٣) مشتهى الخارف الجاني في رد زلفات التجاني الجاني تأليف الشيخ محمد الخضر الشنقيطي ص ...، جمعها وعلق عليها الشيخ إبراهيم القطان ص ١٦١، ط/الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار البشير - عمان.

(٤) التجانية ص ١١٤.

٢- أن في قوله هذا صدا عن كتاب الله، وصرفا للناس عن قراءته وتدبر معانيه، وداعيا إلى هجره، فإذا كانت صلاة الفاتح لما أغلق وهي لا تتجاوز ثلاثة أسطر تعدل ستة آلاف حزمة من القرآن، فإن من يعتقد ذلك سينصرف عن قراءة القرآن إلى هذه الصلاة التي لا تتطلب منه وقتا ولا جهدا^(١).

٣- أن تفضيل التجاني صلاة الفاتح لما أغلق على القرآن استهزاء واستهتار بكتاب الله؛ لأن التفضيل في غير مقام الاستهزاء والتهكم لا بد فيه من مشاركة المفضول للفاضل في أصل الفضل، فلا يقال: فلان أعلم من الحمار، إلا على جهة التهكم.

بل لو أنه قال بأن القرآن أفضل من صلاة الفاتح لما أغلق؛ لكان في ذلك تنقيص له:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

فكيف وقد فضل صلاة الفاتح على القرآن^(٢)؟

٤- وإذا كانت هذه الصلاة من كلام الله فكيف يصح للتجاني أن يزيد فيها لفظ

"سيدنا" ويزعم أن الله يقول: "اللهم صل على سيدنا محمد..."، أفلا يدري أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليس سيدا لله بل الله هو السيد^(٣) سبحانه وتعالى؟

فهذا النوع من أخطر أنواع الابتداع لما يترتب عليه من هذا الضرر المباشر على الدين وهدمه لمرتكزاته ومسلماته، وأي ضرر أبلغ وأكبر على دين الإسلام من استهداف القرآن والسنة بهذه الصورة؟ بل أي معلم للدين سيبقى وأي مضمون لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣) فيما لو خرج على المسلمين في كل فترة مدّع يقول إن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبره بكذا وكذا يقظة أو مناما ليضيف إلى الدين أو ينقص منه ومن قدره ما أراد^(٤).

(٣) المرجع السابق ص ١١٥.

(٤) مشتهى الخارف الجاني ص ١٦٦، ١٦٧.

(٥) الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية تأليف محمد تقي الدين الهلالي ص ١٠٦، ط/الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م (دون بيانات أخرى).

(١) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع عبد الرحمن محمود خليفة ص ٢٣٣.

الفصل الخامس أقوال شركية منتشرة

المبحث الأول

نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الألفاظ التي تقدح في التوحيد
كان النبي الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - أبعد الناس عن الشرك، وأخلص الناس
توحيداً لله تعالى، "فقد بلغ أمته كل ما فيه نفع لهم، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين، فلا

خير إلا دلم عليه وأوله تحقيق التوحيد، ولا شر إلا حذرهم منه، وأوله ما يقرب من الشرك لفظا وإن لم يقصد به"^(١)؛ ولذلك لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح صيانة لهذا المقام، وأرشد إلى ترك ذلك نصحا لهم وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده أو يضعفه من الشرك ووسائله"^(٢).

فحمى التوحيد حماية بالغة، وسد كل طريق يمكن أن يكون ذريعة إلى الشرك؛ إذ هو أعظم الذنوب الذي توعد الباري جل وعلا ألا يغفر لصاحبه، والحماية من المنكر تعظم كلما كان المنكر أعظم وأكبر أو كان الداعي إليه في النفوس أشد، ألا ترى جريمة الزنا كيف كان ضرره عظيما فحمى بابه حماية عظيمة، حتى منعت المرأة من التبرج وكشف الوجه وخلوتها بالرجل بلا محرم كيلا يكون ذلك ذريعة إلى الوقوع في الزنا لأن النفوس تطلبه.

والشرك قد يكون من الأمور التي لا تطلبها النفوس وتدعو إليها كثيرا لكن الشيطان اللعين حريص كل الحرص على أن يوصل ابن آدم إليه بكل وسيلة، فيستميله بما ليس ظاهره شركا من الأقوال والأفعال إلى أن يوقعه فيما هو شرك؛ لذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحمي باب الشرك حماية تامة محكمة حتى لا يدخل الإنسان فيه من حيث لا يشعر. ومن الأشياء التي حمى بها النبي - صلى الله عليه وسلم - باب التوحيد ليبقى خالصا من كل شائبة، إرشاد الأمة إلى ما ينبغي أن يقال وما لا يقال من الألفاظ.

ولم يترك - عليه الصلاة والسلام - شيئا يخل بالتوحيد إلا نهى عنه وحذر منه وإن لم يكن في نفسه شركا، فقد نهى عن التشريك بين الله وخلقه بالواو، وذكر النياحة من أعمال الجاهلية تحذيرا منها، ونهى عن إضافة النعم إلى غير الله، كما نهى عن سب الدهر؛ كل هذا من باب سد ذرائع الشرك ووسائله اللفظية وإن لم يقصد القائل بها شركا.

حتى الأمور التي يعدها الناس يسيرة من الأقوال لقد حذر منها النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا وجد الاحتمال بأن تكون تلك الأمور ذريعة إلى الشرك، فعل ذلك حماية للتوحيد أن يمسه ما يقدر فيه.

(١) انظر: فتح المجيد ٤٤٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٦٦٤.

وإذا كانت تلك الأمور السالفة الذكر مما يقدر في التوحيد تحدث في عهد النبوة مع أنه خير القرون وماذا نقول في عصرنا الحاضر؟ وهذا مما يؤكد حاجة المسلمين إلى أن يكونوا على بينة من أمورهم العقدية في كل عصر وفي هذا العصر الذي كثرت فيه المغريات وطغت المادة على حياة الناس بالذات، فأكثر هذه الألفاظ مما يخرج من أفواه المسلمين في حياتهم اليومية، فإذا كان الناس جهلاء ولا يفرقون بين ما ينبغي أن يقال وما لا ينبغي، إذن فلا يدري العبد بأية كلمة يمكنه أن يوقع نفسه بها في المأزق، فيتكلم بكلمة لا يلقي لها بالا يكون مما يغضب الله تعالى كما في حديث أبي هريرة عند البخاري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم)^(١).

النصوص الواردة في النهي عن التلفظ بالألفاظ الشركية أو التي توصل إلى الشرك:

١- ما ورد في النهي عن إضافة النعم إلى غير الله، ومن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة: ٨٢).

قال القرطبي بعد تفسير الآية: "ففيه بيان أن ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بأن تكون أسبابا، بل ينبغي أن يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه بشكر إن كان نعمة أو صبر إن كان مكروها؛ تعبدا له وتذللا"^(٢).

وقول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

(النحل: ٨٣).

قال القرطبي: "قال عون بن عبد الله: هو قول الرجل: لولا فلان لكان كذا، ولولا فلان

ما أصبت كذا، وهم يعرفون النفع والضرر من عند الله"^(٣).

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب حفظ اللسان - ص ٥٤٤ رقم (٦٤٧٨) عن أبي هريرة.

(٢) تفسير القرطبي ١٧/١٤٨.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/١٠٦.

قال ابن عباس في الآية: "الأنداد هو الشرك، أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي. وتقول: لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان هذا كله به شرك" (١).

٢- ما ورد في الاعتراض على قضاء الله وقدره، ومنه:

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ (آل عمران: ١٥٤).

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير الآية: "يعني بذلك أن هؤلاء المنافقين يقولون: لو كان الخروج إلى حرب من خرجنا لحربه من المشركين إلينا ما خرجنا إليهم، ولا قتل منا أحد في الموضع الذي قتلوا فيه بأحد" (٢).

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي: لو كان لنا في هذه الواقعة رأي ومشورة ﴿مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾. وهذا إنكار منهم، وتكذيب بقدر الله، وتسفيه منهم لرأي رسول الله - صلى الله عليه وسلم، ورأي أصحابه، وتركية منهم لأنفسهم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ التي هي أبعد شيء عن مظان القتل ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ (٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران: ١٦٨).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "أي: لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغي أنكم لا تموتون،

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير، وفتح القدير، وقال في تخريج الظلال ١٠/١: إسناده حسن.

(٣) تفسير الطبري ٤٨٢/٣.

(١) تفسير السعدي ص ١٣٦.

والموت لا بد آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين" (١).

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: "أي: جمعوا بين التخلف عن الجهاد وبين الاعتراض والتكذيب بقضاء الله وقدره، قال الله ردا عليهم: ﴿قُلْ فَأَدْرَأُ﴾ أي: ادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إثم لو أطاعوكم ما قتلوا، لا تقدرّون على ذلك، ولا تستطيعونه" (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) (٣).
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ليس

منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) (٤).

٣- ما ورد في النهي عن الإطراء، والغلو في التعظيم بالقول، ومنه:

ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين) (٥).

(٢) تفسير ابن كثير ١/٥٨٣.

(٣) تفسير السعدي ص ١٣٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب القدر - باب الإيمان بالقدر والإذعان له - ص ١١٤٢ برقم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب - باب ما ينهى من دعوى الجاهلية - ص ٢٨٧ برقم (٣٥١٩) عن عبد الله بن مسعود.

(٢) أخرجه النسائي في سننه - كتاب مناسك الحج - باب التقاط الحصى - ص ٢٢٨٤ برقم (٣٠٥٩)، وابن ماجه في سننه - كتاب المناسك - باب قدر حصى الرمي - ص ٢٦٦٠ برقم (٣٠٢٩)، وأحمد في مسنده ١/٢١٥، وابن حبان في صحيحه ٩/١٨٣، والبيهقي في السنن الكبرى عن عبد الله بن عباس، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٤٤٤٥).

وعن أنس بن مالك أن رجلا قال: يا محمد، يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس! عليكم بتقواكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلي الله عز وجل)^(١).

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: أثنى رجل على رجل عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: (ويحك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك) مرارا ثم قال: (من كان منكم مادحا أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه)^(٢).

٤- ما ورد في النهي عن الاستهزاء بالدين، ومنه:

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ (التوبة: ٦٥، ٦٦).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهْدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٥١﴾﴾ (الفرقان: ٤١، ٤٢).

٥- ما ورد في النهي عن معارضة تحكيم شرع الله، ومنه:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿٥٨﴾﴾ (النساء: ٥٨). فالخضوع لحكم الله والرضا بشرعه من مقتضى الإيمان بالله تعالى، فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل؛ ولذلك قال الله في حقهم هذا الكلام.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٥٣/٣، والنسائي في السنن الكبرى ٧٠/٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٢٦/٤ عن أنس بن مالك، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٩٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأدب - باب ما يكره من التمداح - ص ٥١٢ برقم (٦٠٦١)، ومسلم في صحيحه - كتاب الزهد والرقائق - باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه الفتنة على الممدوح - ص ١٩٩٦ برقم (٣٠٠٠) عن أبي بكر.

كما يجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله في كتابه وسنة رسوله؛ فقال تعالى في حق الرعية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩).

ثم بين جل شأنه أنه لا يجتمع الإيمان مع التحاكم إلى غير ما أنزل الله، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠)، إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

ونفى سبحانه الإيمان عن من لم يتحاكم إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويرض بحكمه ويسلم له، كما حكم بكفر الولاة الذين لا يحكمون بما أنزل الله وبظلمهم وفسقهم فقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤)، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥)، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٧).

المبحث الثاني

الألفاظ التي تقدر في التوحيد لدى مسلمي نيجيريا حكمها وأمثلتها

لم أقف على شيء يشير إلى أن الكثير من مسلمي نيجيريا يدركون خطورة تلك الألفاظ التي تقدر بالتوحيد بأنواعه الثلاثة وتوحيد الألوهية بشكل خاص؛ وذلك أن تلك الألفاظ تستخدم عند أغلبهم بصورة واسعة دون أدنى شعور منهم بارتكاب خطأ فاحش فيما يتعلق بالعقيدة، ولربما إذا نُبِّه أحدهم على خطأه فيما صدر منه من هذه الألفاظ يستصغره ويقول: هذا مجرد قول ولا علاقة له بالعقيدة، أو يقول: إني لم أقصد ذلك الذي فهمته. فلأجل

من يقول هذا الكلام وأمثاله أضرب أمثلة لهذه الألفاظ مبينا أحكامها بالأدلة القاطعة والحجج المقنعة التي لا يبقى معها ريب حول المسألة.

١- إضافة النعم إلى غير الله، ولها صور:

الصورة الأولى:

ما يقوله أرباب الأموال والأثرياء الذين أغناهم الله بعد الفقر وجعل توفيقه لهم في إدارة أعمالهم أو تجارتهم سببا لتحول أحوالهم من الفقر إلى الغنى، فينسبون مسبب الأسباب الذي هو الله جل وعلا ولا ينسبون هذه النعمة الكبيرة إليه تعالى وإنما ينسبونها إلى ذكائهم وقدراتهم، حيث يقول أحدهم: إنما وجدت هذه الأموال بجهودي الشخصية.

ومثل هذه الأقوال تصدر من أصحاب الثقافات الغربية من المسلمين أيضا إذا حقق أحدهم نجاحا بتوفيق من الله وفضل منه، لا يعترف بفضل الله عليه فينسب النعم إلى غير المنعم ويقول مثلا: لقد بلغت هذه المنزلة وتحقق لي هذا النجاح بمهارتي وجهودي.

وكما هم ينسبون الخير إلى غير الله وكذلك إذا أصابهم الضر يظنون ظن الجاهلية فيتبادر إلى أذهانهم أن هذا الضر من البشر إما بالعين أو السحر أو الشعوذة، ولا يفهمون أن الإنسان العائن أو الساحر أو المشعوذ مجرد سبب، لكن الفاعل والمسبب هو الله تعالى؛ لأن الضرم يحصل إلا بقضائه وقدره، يقول جل شأنه: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ (النحل: ٥٣).

ويلحق بهذه الصورة ما اعتاده بعض مسلمي جنوب نيجيريا من كتابة ألفاظ تقدرح في التوحيد على السيارات وأمام البيوت والمحلات التجارية، فعند مسلمي الجنوب مثلا انتشرت كتابة ألفاظ مثل: (ola ore أولا أوربي) أي: هذا من فضل الصديق، (ola egbon أولا إيبن) أي: هذا من فضل أخي الأكبر، (ola iya أولا إييا) أي: هذا من فضل الأم، وهكذا.

ولقد بلغ بهم الأمر حتى بدأوا يكتبون (ola Anabi أولا أنابي) أي: هذا من فضل النبي - صلى الله عليه وسلم، وهو من آثار اتباع السنن مصداقا لقول الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا

جحر ضب تبعموهم)، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟)^(١)، فقد تأثر مسلمو نيجيريا وخاصة- في الجنوب- بجيرانهم النصارى الذين سواوا بين الله والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، بل جعلوا المسيح هو الله؛ فيكتبون على سياراتهم وبيوتهم ومحلاتهم (ola Jesu أولاً جيسو) أي: هذا من فضل المسيح، وبئس ما كانوا يكتبون!!

الصورة الثانية:

أقوالهم عند استخدام (لولا)، فكثيراً ما تسمع من يقول إذا تحقق له نجاح بتوفيق من الله وفضله: لولا أنت يا سيدي ما وصلت أبداً إلى هذه المرتبة، ويقول بعضهم: لولا مهارة الرجل في السياقة لوقعت حادثة، وغير ذلك كثير من أقوالٍ يذكرونها يضيفون فيها النعم إلى الأسباب، وهذا منتشر جداً في أوساط أصحاب الثقافات الغربية والعوام من المسلمين، والحقيقة أنهم لا يلقون لهذه الأقوال بالآ، ولا يدركون أنهم يرتكبون بها أخطاء عقديّة.

الصورة الثالثة:

ما يحدث في أمر الاستسقاء، فقد جرت العادة عند أغلب الصغار في شمال نيجيريا إذا رأوا تجمع السحب في السماء أن يرددوا: "حليل اسقنا الماء، يا حليل صاحب قلنسوة الماء، صاحب قميص الماء، صاحب سروال الماء، فتراهم ينشدون بهذا الشكل:

bamu ruwa musha	اسقنا الماء
halilu	حليل
maiwando ruwa	صاحب سروال الماء
halilu	حليل
mairigarruwa	صاحب قميص الماء
halilu	حليل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لتبعن سنن من كان قبلكم)- ص ٦١٠ برقم (٧٣٢٠)، ومسلم في صحيحه- كتاب العلم- باب اتباع سنن اليهود والنصارى-ص ١١٤٢ برقم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري.

وكذلك إذا تجمعت السحب وهبت الرياح بشدة ثم في النهاية لم تمطر السماء، فتسمع بعض الناس - وهم مسلمون - صغار وكبار يقول: ذهب قوس العنكبوت بالسحاب ولم يمطر، وقوس العنكبوت عبارة عن حمرة تظهر في السماء أحيانا عند تجمع السحب، كما انتشر بين المزارعين قولهم بأن سحاب الشرق فقط هو الذي يمطر أما غيره فلا يمطر، هذه الأقوال كلها ورثها مسلمو شمال نيجيريا عن أجدادهم، ولا زالت موجودة إلى الآن، وخاصة في القرى والأرياف.

أما عند مسلمي جنوب نيجيريا فإن صور هذا الانحراف أبشع وأشنع؛ إذ لها تعلق بأهله الكفار، فإذا كانت السماء تمطر بشكل متقطع في يوم مطير يقول بعض المسلمين: إن عباد إله البحار والأنهار يعبدون إلههم اليوم، ففي اعتقادهم أن ذلك الشيء لم يحصل إلا بسبب عبادة هؤلاء المشركين لإلههم في ذلك اليوم.

وكذلك إذا تجمعت السحب في السماء وهبت الرياح بشدة ثم في النهاية لم تمطر السماء أو أمطرت قليلا ثم توقف، فعندئذ يقول هؤلاء الجهلة من المسلمين: إن أناسا قد دفعوا هذا المطر ومنعوه من أن ينزل لكي لا يزعجهم أو يعرقل إقامة حفلاتهم.

حكم صور إضافة النعم إلى غير الله:

إضافة النعم إلى غير الله قسمان:

القسم الأول: أن يضيف حصول النعمة إلى السبب، وهذا له ثلاث حالات^(١):

الأولى: أن يكون السبب الذي أضيف حصول النعمة إليه سببا خفيا لا تأثير له إطلاقا، كأن يقول: لولا الولي الفلاني ما حصل كذا وكذا؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنه يعتقد بهذا القول أن لهذا الولي تصرفا في الكون مع أنه ميت، فهو تصرف سري خفي.

الثانية: أن يضيفه إلى سبب صحيح ثابت شرعا أو حسا؛ فهذا جائز بشرط أن لا يعتقد أن السبب مؤثر بنفسه، بل المنعم هو الله سبحانه وتعالى.

(١) القول السديد على كتاب التوحيد ٢/٢٠٣-٢٠٤.

الثالثة: أن يضيفه إلى سبب ظاهر، لكن لم يثبت كونه سببا لا شرعا ولا حسا؛ فهذا نوع من الشرك الأصغر، وذلك مثل: التولية، والقلائد التي يقال: إنها تمنع العين، وما أشبه ذلك؛ لأنه أثبت سببا لم يجعله الله سببا، فكان مشاركا لله في إثبات الأسباب.

القسم الثاني: أن يضيف حصول النعمة إلى السبب على أنه هو الفاعل الحقيقي دون الله سبحانه وتعالى؛ فهذا كفر النعمة وشرك في الربوبية مخرج من الملة؛ لأنه أضاف نعمة الخالق إلى غيره فجعل معه شريكا في ربوبيته تعالى.

أما الاستسقاء فإن القول الذي يردده الأطفال في شمال نيجيريا عند تجمع السحب في السماء: يا حليل اسقنا الماء، إذا كان من باب سوء الاعتقاد فإنه شرك في الألوهية؛ لأنه دعاء غير الله، ودعاء غير الله من الشرك الأكبر، كما أن الاعتقاد بأن غير الله قادر على إنزال المطر شرك في الربوبية، فمثل الذي يصدر منه هذا الكلام مثل من يدعو الأنواء بالسقيا ويقول: يا نوء كذا اسقنا أو أغثنا، أما إذا كان هذا القول مجرد كلام يجري على الألسن مع الاعتقاد بأن الله هو الذي ينزل المطر؛ فهذا كفر أصغر، ويسمى كفر النعمة^(١).

"فكل من أضاف النعمة إلى غير الله، فإن هذا كفر بالله، إما أن يكون كفرا أكبر، وإما أن يكون كفرا أصغر، بحسب ما يقوم باعتقاد الشخص وقرارة نفسه"^(٢).

وسواء يعتقد هؤلاء الأطفال ما يقولونه أو لم يعتقدوه فالواجب علينا معاشر المسلمين تربية أطفالنا تربية إسلامية حسنة في الجانب العقدي والإيماني والسلوكي وغير ذلك مقتدين في ذلك بسلف هذه الأمة الذين ربّوا أطفالهم على الخير الذي كانوا عليه منذ صغرهم، "فأرض الفطرة رحبة قابلة لما يغرس فيها، فإن عُرس شجرة الإيمان والتقوى؛ أورثت حلاوة الأبد، وإن عُرس شجرة الجهل والهوى فكل الثمر مر"^(٣).

"ومن حق الطفل على والديه أن يعرفاه بنعم الله، فيلفتا نظره إلى عينيه وأذنيه ويديه ورجليه... وكل ما حوله من أشجار وأنهار وبحار وسماء، وحيوانات وطيور ونباتات مختلفة..،

(٢) انظر: القول المفيد ١٨/٢ وإعانة المستفيد ١٥٢/٢-١٥٣.

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ١٥١/٢، ط/الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م مؤسسة الرسالة- بيروت.

(١) الفوائد لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية ص ٣٤، ط/الثانية ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م دار الكتب العلمية- بيروت.

ويوجهها إلى أن هذه النعم كلها من الله وهو خالقها ورازقها وموجدتها، يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ^ع هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^ع﴾ (فاطر: ٣)، وقال جل شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠)"^(١).

وكما سبق أن قلت بأن هذه الألفاظ منتشرة جدا عند مسلمي نيجيريا تجري على ألسنتهم ولا يلقون لها بالا، ولا يدركون خطورتها على عقيدتهم. فالواجب على المرء المسلم أن يكون على بصيرة من أمور دينه. يقول سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله تعالى - في كلامه عن إضافة النعم إلى غير الله: "فهذا الباب باب جليل؛ لأنه يعالج مشكلة يقع فيها كثير من الناس ولا يحسبون لها حسابا، ويتكلمون بكلام يظنونونه هينا وهو عند الله عظيم، حيث إنهم ينسبون نعم الله تعالى إلى غيره، ولا يشكرون الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال: (ونحو ذلك مما يجري على ألسنة كثير) فهذا تنبيه لنا أن لا نقع في هذه المزالق... فهذه مسائل هي في عرف الناس سهلة، ولكنها خطيرة جدا؛ لأنها كفر بنعمة الله سبحانه وتعالى وإساءة أدب مع جناب الربوبية"^(٢).

وخلاصة القول أن أية صورة من صور إضافة النعم إلى غير الله عز وجل إذا كان فيها نوع من إشراك شيء آخر مع الله في ربوبيته أو ألوهيته فحكمها أنها شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام، أما إذا كان إضافة النعم إلى سبب ظاهر، لكن لم يثبت كونه سببا لا شرعا ولا حسا؛ فهذا نوع من الشرك الأصغر؛ لأنه أثبت سببا لم يجعله الله سببا، فكان مشاركا لله في إثبات الأسباب، وفي هذا النوع وردت هذه النصوص:

قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

(النحل: ٨٣).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢).

(٢) تربية الأطفال في الإسلام بقلم رافت فريد سويلم تقديم الشيخ محمد حسين يعقوب ص ١٤١، ط الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م دار ابن الجوزي، القاهرة.

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١٥٣/٢.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مطر الناس على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (أصبح من الناس شاكراً ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا). قال: فنزلت هذه الآية ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة: ٨٢) (١).

وعن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف النبي - صلى الله عليه وسلم - أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) (٢).

٢ - الاعتراض على قضاء الله وقدره:

ويمثل لهذا الانحراف بما يسمع كثيراً من ولي الميت إذا كان الميت صاحب شأن بين أسرته ينفق عليهم ويرعى شؤونهم، يقول وليه سواء كان والده أو ولده أو أمه أو قريبه: هاه هاه لقد مضى ناصرى ومعينى، وكأن لا يمكن أن يجعل الله شخصاً آخر سبباً لنصرته ورعايته. ومنشأ المشكلة لهذا الاعتقاد الباطل هو أنهم يجهلون ما ينبغي أن يعتقده المرء المسلم أن الخير كله بيد الله سبحانه وتعالى.

ومثال آخر للاعتراض على قضاء الله وقدره عند القوم النياحة، وهو التصريح بالتسخط على أقدار الله سبحانه وتعالى. يقول بعضهم إذا مات له شخص عزيز عليه: يا الله لماذا فعلت بي ما فعلت وأنت تعلم حالى، أو يقول مثل قول امرأة توفي ابنها الوحيد وهي في سن الكبر: ما ذنبى حتى قتلت ابني الوحيد وأنا في هذا السن، يا الله لقد أسأت بفعلك هذا!!.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء - ص ٦٩١ برقم (٧٣) عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاستسقاء - باب قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة: ٨٢) قال ابن عباس: شكركم - ص ٨١ برقم (١٠٣٨)، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء - ص ٦٩١ برقم (٧١) عن زيد بن خالد الجهني.

إن هذه الألفاظ الكفرية وأمثالها تسمع كثيرا عند أصحاب المسلسلات، المسلمين منهم والنصارى، وهؤلاء الفئة من أفجر الناس وأكثرهم مهارة في فن إفساد عقيدة المسلمين وأخلاقهم.

حكم الاعتراض على قضاء الله وقدره:

الاعتراض على قضاء الله وقدره من كبائر الذنوب، يدل على ذلك:

١- أن الاعتراض على قضاء الله وقدره ينافي كمال الإيمان، فكما أن الصبر على أقدار الله من علامات الإيمان وكذلك كان التسخط عليها مما ينافي كمال الإيمان، قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۗ ﴾ (التغابن: ١١).
وبؤب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: "باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله" (١).

٢- أن الاعتراض على قضاء الله وقدره يجلب على العبد غضب الله وسخطه، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ۗ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٨). وقال عليه الصلاة والسلام: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط) (٢).

أما النياحة على الميت فهو أيضا من كبائر الذنوب، بل هو كفر أصغر، وذلك لما يأتي:
١- ما ورد من التصريح بذلك في قوله- عليه الصلاة والسلام: (اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت) (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد إيراد الحديث: "فقلوه: هما بهم، أي: هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس، فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفر، وهما

(١) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٦/٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الزهد- باب ما جاء في الصبر على البلاء- ص ١٨٩٢ برقم (٢٣٩٦)، وابن ماجه في سننه- كتاب الفتن- باب الصبر على البلاء- ص ٢٧١٩ برقم (٤٠٣١) عن أنس بن مالك، وقال الترمذي: حسن غريب، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٥٦٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة- ص ٦٩١ برقم (٦٧) عن أبي هريرة.

قائمتان بالناس، لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير بها كافرا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر"^(١).

٢- وجود الوعيد عليها في الآخرة، وكل ذنب عليه الوعيد في الآخرة فهو من الكبائر، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتكوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة). وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب)^(٢).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: "وظاهر الحديث أن هذا الذنب لا تكفره إلا التوبة، وأن الحسنات لا تمحوه؛ لأنه من كبائر الذنوب، والكبائر لا تمحى بالحسنات، فلا يمحوها إلا التوبة"^(٣).

٣- ما ورد من الزجر الشديد بإعلان براءة النبي - عليه الصلاة والسلام - من فاعلها، ومن ذلك:

ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)^(٤).

وما روي عن أبي بردة بن أبي موسى قال: وجع أبو موسى وجعا فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئا، فلما أفاق قال: أنا بريء مما برئ منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم؛ فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بريء من الصالقة والحالقة والشاقة^{(٥)(٦)}.

(٢) اقتضاء الصراط ص ٧٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجنائز - باب التشديد في النياحة - ص ٨٢٤ برقم (٩٣٤) عن أبي مالك الأشعري.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/٢٥٠.

(٥) سبق نخرجه ص ٢٥١.

(١) الصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: التي تحلق شعرها، والشاقة: التي تشق ثيابها عند المصيبة. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٨/٩٣، تأليف بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز - باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة - ص ١٠١ برقم (١٢٩٦)، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب تحريم ضرب الحدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية - ص ٦٩٥

٤ - وعلاوة على كون النائح يرتكب كبيرة من كبائر الذنوب فإن مثله مثل الذي يستجير من الرمضاء بالنار؛ "إذ إن نيافته لا تزيده إلا شدة وحزنا وعذابا، وهي تسخط من قضاء الله وقدره واعتراض عليه، كما أنها تهيج أحزان غيره، ومهما أتعب نفسه بلطم الخد وشق الثوب فلا يرد ذلك القضاء ولا يرفع ما نزل"^(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله عند شرحه لحديث: (ليس منا من ضرب الحدود...): "وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر؛ لأنها مشتملة على التسخط على الرب، وعدم الصبر الواجب، والإضرار بالنفس من لطم الوجه، وإتلاف المال بشق الثياب وتمزيقها، وذكر الميت بما ليس فيه، والدعاء بالويل والثبور، والتظلم من الله تعالى"^(٢).

فقول تلك المرأة المسكينة: يا الله لقد أسأت بفعلك هذا، في المثال السابق غاية في سوء الأدب مع الله تعالى، وأعلى درجة في التسخط من قضاائه وقدره، وهو من الأقوال الكفرية، فالله سبحانه وتعالى له الحكمة في جميع أفعاله، له ما أعطى وما أخذ، فلا ينبغي صدور مثل هذا القول من مؤمن.

إذن فالواجب عند نزول المصيبة بالشخص الصبر والاحتساب، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - السكون والرضى بقضاء الله والحمد لله والاسترجاع، ويبرأ ممن حرق لأجل المصيبة ثيابه أو رفع صوته بالندب والنياحة أو حلق لها شعره"^(٣).

٣ - الإطراء وأنواع أخرى من الغلو في التعظيم بالقول:

من أوضح الأمثلة على الإطراء لدى بعض مسلمي نيجيريا ما يحدث عند مدحهم للنبي - صلى الله عليه وسلم، ومنتشاً هذا الانحراف من أفعال المتصوفة الذين يببالغون بل يغالون في مدحه - عليه الصلاة والسلام - وخاصة عند الاحتفال بالمولد النبوي، وقد نشأ هذا الفعل الشنيع منهم بموجب بعض عقائدهم الباطلة في رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - مثل

برقم (١٠٤) عن أبي موسى.

(٣) القول المفيد ٢/٢٥.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٣٨٥.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المشهور بابن قيم الجوزية ١/٥٠٨،

تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره ط/الرابعة ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

اعتقادهم بأنه أول من خلق من الكائنات وأن بقية المخلوقات خلقوا من نوره، وأنه خلق من نور الله عز وجل، فالمتصوفة هم أول من عرفوا بإطراء الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا أن الأمر لم يعد يقتصر عليهم في مجتمعنا النيجيري في الوقت الحاضر.

ذكر بعض الأمثلة على الغلو في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم:

ففي كتاب "المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات

العالية" تحت عنوان: "في مدح الحبيب - صلى الله عليه وسلم":

أتيت رسول الله من أرضنا (كنو) فكن يا رسول الله منبع فيضنا

أتيتك يا كثر الأنام وعترتي ألا يا رسول الله أنت شفاؤنا

بعثمان ذي النورين رب تولنا وزمرتنا يا رب محص ذنوبنا^(١).

وفي موضع آخر تحت عنوان: "صفاء الحب" قال:

سيدي يا رسول الله يا سندي يا من به كل ميل الأرض يعتدل

سيدي أيها الميمون طالعه ومن به ملكوت الله يحتفل

سيدي يا رسول الله خذ بيدي وكن لنا عند ما قد ضاقت السبل

عشق كل الربانيين إن عشقوا ومن به رحمة الرحمن تنهمل

شافع الشافعين المصطفى القمر أمن علينا بجود منك منهطل

من تقبلنه هو المرضي عنه ومن لم ترتضيه فداك الخائب الخجل

منك الوصول إلى الغايات أجمعها ومن سنا برقك الإيمان ينتقل

إنسان عين وجود الكل أكمله يا عدتي وملاذ الخائف الوجمل

بك السماوات والأماك والرسلك ومن أتى بابكم لا ينسني وجلا

بالله يا سيد السادات خذ بيدي إن الكريم لديه يبذل الأمل

نفسى فداك رسول الله يا أملي وقل لي فلتبتعد عن وجهك العلل

حياك ربي وبياكم أيا سندي وليس لي عن معاني حبكم بدل

يا صفوة الله باب الواحد العدل يا صفوة الله باب الواحد العدل

(٢) المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية تأليف قريب الله بن محمد الناصر الكبرى

أنت الكريم الذي يفني وديعته وجود كفكمو ما ناله مطل
والجود يعلم أنتم أصل منبعه وأنتموا مصدر الإمداد والفضل^(١).

هذا غيظ من فيض من أمثلة الغلو في أعلى درجاته في مدح النبي - عليه الصلاة والسلام، وأمثال تلك الأبيات المذكورة كثيرة جدا، بل هناك قصائد نظمت في هذا الشأن تطفح بها كتب المتصوفة، وتعج بها منتدياتهم، وهي أفضل شيء يقدمونه - حسب زعمهم - عند الاحتفال بالمولد النبوي، يحسبون أنهم بذلك الغلو في المدح يكونون أقرب إلى من يمتدحونه محبة وتوقيرا وإجلالا.

حكم الغلو في المدح والتعظيم:

الغلو في المدح أو الاحترام أو التعظيم وسيلة من الوسائل الموصلة إلى الشرك، فقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من الشرك أشد تحذير، وسد كل باب يوصل إليه. وكان - عليه الصلاة والسلام - يعرض عما دون تلك المدائح المذكورة في الأمثلة بكثير، فكيف بما فيه الرفع إلى خصائص الربوبية والألوهية!

ومما يدل على ذم الغلو والنهي عنه والتحذير منه:

١ - التصريح بالنهي عن الغلو في نصوص الكتاب والسنة، ومنها:

قول الله تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكُتَبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا

الْحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْهَلُ الْكُتَبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾

(المائدة: ٧٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم: غداة العقبة وهو على راحلته: (هات، القط لي). فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: (بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(٢).

(١) المرأة الصافية ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) سبق تخرجه ص ٢٥١.

٢- ما ورد في ذم الغالين والتحذير من طريقهم، ومنه:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ^ط ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ^ط يُضَاهِعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ^ج أَنَّى يُؤَفَّكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠).

وقوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ (التوبة: ٣١).

٣- ما ورد في مدح التوسط، والثناء على الأمة بأنها أمة وسط، ومنه:

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ^ط ﴾ (البقرة: ١٤٣).

وما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: (إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجاني عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)^(١).

٤- نفيه النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بعض مظاهر الغلو التي قيلت فيه، ومما ورد

في ذلك:

ما روي عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس! عليكم بتقواكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)^(٢).

(٢) سبق تخريجه ص ٢٢٦.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٥٣/٣، والنسائي في السنن الكبرى ٧٠/٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٢٦/٤ عن أنس

وروى الطبراني في معجمه الكبير عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن منافقا كان يؤذى المؤمنين فقال أبو بكر قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله)^(١).

وعن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فدخل حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جوريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: (دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين)^(٢). وفي رواية عند ابن ماجه قال: (أما هذا فلا تقولوه. ما يعلم ما في غد إلا الله)^(٣).

وعن عبد الله بن شخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال: (السيد الله تبارك وتعالى) قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا، فقال: (قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان)^(٤).

فنلاحظ في هذا الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يسكت عن بيان ما ينبغي بيانه في ذلك الموقف، فكأنه لم يوافقهم على هذا القول مع أنه هو سيد ولد آدم على الإطلاق، وخير من وطئت قدمه الأرض، لكن خوفا مما يمكن أن ينتج من إقرارهم على تلك المقولة من وسوسة الشيطان علّق رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - على المقولة، فأذن لهم أن يقولوا بقولهم لكنه حذرهم من أن يستجرينهم الشيطان بالغلو حتى لا يقول أحدهم يوما من الأيام "أنت السيد"، والسيد هو الذي له السيادة المطلقة وهو الله سبحانه وتعالى،

بن مالك، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٩٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٦/١٠): رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب النكاح - باب ضرب الدف في النكاح والوليمة - ص ٤٤٥ برقم (٥١٤٧) عن الربيع بنت معوذ بن عفراء.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب النكاح - باب الغناء والدف - ص ٢٥٩٠ برقم (١٨٩٧) عن الربيع بنت معوذ بن عفراء، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (١٥٣٩).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأدب - باب في كراهية التمداح - ص ١٥٧٧ برقم (٤٨٠٦) عن عبد الله بن شخير، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٤٩٠٠).

فأرشدتهم إلى ما ينبغي أن يقال، ونهاهم عن الأمر الذي لا ينبغي؛ كل ذلك حماية للتوحيد من النقص أو النقص.

وكما نهي النبي - صلى الله عليه وسلم - عن إطرائه بأن يؤخذ ما هو حق خالص لله سبحانه وتعالى فيوصف به - عليه الصلاة والسلام - وكذلك نهي عن تعظيمه بلفظ يقتضي مساواته للخالق جل وعلا؛ لأن التشريك بين الخالق والمخلوق بالواو شرك؛ وذلك أن العطف بالواو يفيد التسوية.

فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)^(١).

وعن قتيلة أن يهوديا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت^(٢).

وعن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فراجعه في بعض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (أجعلتني مع الله عدلا (وفي لفظ: ندا)؟! لا، بل ما شاء الله وحده)^(٣).

فإذا اعتقد أن المعطوف مساو لله فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه دونه لكن أشرك به في اللفظ فهو أصغر^(٤).

٥ - بيان حقائق الأمور على ما هي عليه، كيلا يغالى بها عن حدها، ومما ورد في

ذلك:

(١) سبق تخريجه ص ١٧١.

(٢) سبق تخريجه ص ١٨٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢١٤/١، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٤٠/٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٢١٧/٣، عن عبد الله بن عباس، قال في تخريج أحاديث الإحياء ١٢٨/٣: أخرجه النسائي في الكبرى وابن ماجه بإسناد حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٩).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢٢٨/٢.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ
الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ
لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ (الأنعام: ٥٠).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ (الجن: ٢١).

وقال تعالى عن عيسى عليه السلام وأمه: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ
خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ (المائدة: ٧٥).

وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ
لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٩).

٤ - الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته:

ويمثل لذلك بقول أحد العلمانيين في استثقاله للصلوات الخمس قال: "المفروض أن
يعلم الله كثرة المشاغل في هذا الزمان ويقدر ظروف المسلمين ولا يجعل الصلاة فرضا خمس
مرات في اليوم، وهذا مما يشق أداءه على الناس"، ومن ذلك أيضا استهزاؤهم بمن تمسك بسنة
من سنن رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه، وهذا كثير جدا في الآونة الأخيرة وخاصة لما
بدأت آثار الالتزام بالدين تظهر بين الشباب في الجامعات النيجيرية، فوجد من يستهزئ بهم
يقول مثلا: "أصحاب اللحى والسراويل القصيرة" استهزاء بسنة عدم إسبال الثياب، وسنة
إعفاء اللحية، أو يقول للشابة التي تحترم نفسها وترتدي الحجاب الشرعي: "ما لهذه تلبس
الأسود كأنها تعتد لوفاة زوجها".

ومن المؤسف أن الاستهزاء بالمتمسكين بالسنة ظاهرة منتشرة جدا بين أصحاب التمني
من عوام المسلمين الذين يقولون: "ما دام أن قلبك صافٍ فأنت من أهل الجنة وإن لم تصل
وإن لم تصم"، ومن أقوالهم أيضا: "أن الآخرة هي التي تحدد المفلحين والخاسرين، وأن الذي

يتوقع أن يدخل النار قد نجده في الجنة، والذي يتوقع أن يدخل الجنة قد نجده في النار". وهؤلاء الناس هم المستحقون بالفعل أن يطلق عليهم مرجئة العصر الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وهم مسلمون بالأسماء فقط، فما أكبر نسبتهم بين مسلمي نيجيريا، نعوذ بالله من الضلال.

حكم الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته:

الاستهزاء بالدين كفر وردة عن الإسلام، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة: ٦٥-٦٦).

فمن استهزأ بالله أو استهزأ بآياته أو استهزأ بالرسول - عليه الصلاة والسلام - أو بشيء مما جاء به فهو كافر؛ "ذلك لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورساله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة"^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقاً على الآية: "فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل كنا نخوض ونلعب، وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام، والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه"^(٢).

والحق ما قاله شيخ الإسلام أنه لو كان الإيمان في قلب من صدر منه هذا الكلام لمنعه أن يتكلم به، وهذا يؤكد حقيقة أحوال الفئة المذكورة آنفاً الذين أطلقت عليهم اسم أصحاب التمني، فإنهم بعيدون كل البعد عن الوازع الإيماني الذي يمنع من الوقوع في مثل هذا الانحراف. ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "ومن هزل بالله أو بآياته الكونية أو الشرعية أو برسله فهو كافر؛ لأن منافاة الاستهزاء للإيمان منافاة عظيمة. كيف يسخر ويستهزئ بأمر يؤمن به؟! فالمؤمن بالشيء لا بد أن يعظمه وأن يكون في قلبه من تعظيمه ما يليق به"^(٣).

(١) تفسير السعدي ص ٣٢٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/٢٢٠-٢٢١.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/٢٦٧.

٤- التصريح بمعارضة تحكيم شرع الله في أرضه:

لم يوقع المسلمين في هذا الانحراف سوى التعصب القبلي الأعمى الذي يشكل خطرا كبيرا يهدد وحدة المسلمين في نيجيريا وخاصة مسلمي الشمال والجنوب.

ولقد ظهرت دعوات صريحة إلى معارضة تحكيم الشريعة الإسلامية من قبل بعض المتعصبين لقبائلهم الذين لا يفهمون حقيقة الإسلام وذلك عندما انتخب "أولوشينغ أوباسنجو" رئيسا للدولة وكان نصرانيا من قبيلة يوربا، فتزامن مع فوزه رئيسا إعلان ولاية زمفرا (إحدى الولايات الشمالية) تطبيق الشريعة في الولاية، وحينئذ فهم بعض المسلمين الذين قد أعمتهم العصبية القبلية وهم قلة من مسلمي جنوب نيجيريا، فهموا بأن إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية في ذلك الوقت نوع من الحيل من قبل مسلمي الشمال يريدون به الإطاحة بحكومة الرئيس المنتخب أو على الأقل إحداث الفوضى السياسية في عهده.

فنتج من ذلك التصريح بمعارضة تحكيم الشريعة الإسلامية من بعض مسلمي الجنوب، والحقيقة أن المروجين لهذه الفكرة أساسا هم النصارى الذين يستفيدون دائما من الخلاف الواقع بين مسلمي شمال نيجيريا وجنوبها.

حكم معارضة تحكيم شرع الله في أرضه:

إن تحكيم شرع الله في أرضه إيمان وعقيدة وعبادة لله يجب أن يدين بها المسلم، كما أنه مما يقتضيه مفهوم قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ (البقرة: ٢٠٨)، فالإسلام كل لا يتجزأ، هو دين ودولة، وعقيدة وسياسة؛ ولذلك صار مما يجب أن يعتقده المسلم ويرضى به التحاكم إلى ما أنزل الله إذا كان من الرعية؛ لأن الله سبحانه نفى نفيا مؤكدا بالقسم الإيمان عمن لم يتحاكم إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)، كما يجب أن يعتقد ويرضى بوجوب تحكيم ما أنزل الله إذا كان من الولاية؛ إذ إن الله تعالى قد حكم بكفر الولاة الذين لا يحكمون بما أنزل الله وبظلمهم وفسقهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤)، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ ﴿ (المائدة: ٤٥)، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ (المائدة: ٤٧).

إذن فلا ينبغي للمسلم رئيسا كان أو مرؤوسا أن يعارض الحكم بما أنزل الله، فلا يكون رائده ودليله في الحياة الهوى واتباع الأحزاب الجاهلية، بل عليه أن يكون دليله كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم.

وقد عاب الله على من يعارض تحكيم شرعه أو يحكمه لأجل مصلحة نفسه من دون تعبد لله بذلك فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿ (النور: ٤٨).

فعدم اعتقاد وجوب تحكيم شرع الله والرضى به كفر كما سبق بيانه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر"^(١).

"والحاصل أنه لا يجوز التلطف بكلمة تشم منها رائحة الشرك أو إساءة الأدب مع الله؛ فإن ذلك من باب المشتبهات التي لا يعلمهن كثير من الناس، فالواجب على المرء فيها أن يتقيها ويتجنبها لكي يستبرئ لدينه. فالله سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلاء والنعوت الحميدة، ولا يصح أن يتكلم الإنسان بلفظ ظاهره إساءة الأدب وباطنه الإجلال والتعظيم ويقول المتكلم: تكلمت بالكلمة الفلانية وإنما أقصد غيرها، فإن الألفاظ والمعانيات لها مجالات كثيرة وهي لا تليق بالله تعالى، ولا نعرف عاقلا يهزأ بملكه أو بأبيه ولا يستعمل معهما الصنائع البديعية والكنائيات الأدبية التي اخترعها الأدباء، بل يكون كلامه واضحا يصدر عن وعي يدل على أدب، إن مجال هذه الأساليب الأدبية هي مجالس الإخوان والنوادي الأدبية"^(٢).

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ١٣٠/٥.

(٢) رسالة التوحيد للدهلوي ص ١٤٣ بتصرف يسير.

الباب الثالث

العبادات العملية في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

ويحتوي على ثمانية فصول:

الفصل الأول : الركوع والسجود والقيام

الفصل الثاني : النذر والذبح

- الفصل الثالث : التبرك
الفصل الرابع : رقية المريض وعلاجه
الفصل الخامس : الأعياد
الفصل السادس : أحكام الميت والقبور
الفصل السابع : موالة المؤمنين ومعاداة الكافرين
الفصل الثامن : العبادات القلبية

الفصل الأول الركوع والسجود والقيام

المبحث الأول

وجوب أفراد الله تعالى بالركوع والسجود والقيام

[إن السجود لله تعالى والركوع له وحده تحقيقاً للعبودية هو من لب دعوات المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وأساس من أسس تعاليمهم، كما أن الركوع والسجود عبادة لغيره تبارك وتعالى مناقض لدعوتهم، وموافق لأحوال أعدائهم.
ومن نظر في سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم يدرك ما هم عليه من كمال توحيد لله عز وجل، والتزام خضوع وانكسار بين يديه، ودوام ركوع وسجود له، حتى صار

السجود وصفا لا ينفك عنهم، قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (الحجر: ٩٨).

فالركوع حق للواحد المعبود، ومن خالف في ذلك فقد خالف في المسلمات، وناقش في الثواب، وتصدى لمعارضة الآيات البينات، والدلائل الصريحة، وما ضل الناس وتاهوا في الغي إلا لما خلطوا بين حقوق الخالق والمخلوق، فصرفوا من مظاهر التذلل والخضوع والانقياد للمخلوق ما لا ينبغي إلا لله تعالى.

ومن ذلك الركوع والسجود، فجعلوا للمخلوق فيهما حظا ونصيبا تعبدا وذلا، ورغبة ورهبة، وتقدمة بين يدي طلب الحاجات، وكشف الكربات، وجعلوا ذلك من وسائل القرب التي يرجون بها عند الله تعالى الشفاعة والزلفى! فتحقق فيهم ما أخبر الله تعالى عن الأخسرين أعمالا ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (الكهف: ١٠٤).

وتلك هي سيرة أهل الجاهلية الذين عبدوا أهل القبور وسجدوا لهم، وسجدوا للشمس والقمر، والشجر والحجر، تعود سيرتهم كلما غابت عن الناس معالم الرسالات، وغلبت عليهم الجهالة والخرافات، وعظموا المخلوق في نفوسهم كما يعظمون الله تعالى، بل أشد. فأى شيء سيحظى به الساجدون لغير الله تعالى، ولو كان المسجود لهم خيرة الناس، وأفضل العالمين؟ سوى اللحوق بركب الجاهلين، والبعد عن سبيل المرسلين، والسعي إلى سراب بقية ﴿ تَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾ (النور: ٣٩)^(١).

ولقد وردت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - تدل على هذا الحق الذي قررناه وهو إفراد الله تعالى بالركوع والسجود والقيام، وأن الذي صرف شيئا منها لغير الله يكون في زمرة المشركين، ومع هذا فهناك نصوص أخرى تدل على وقوع السجود لغير الله تعالى بأمر منه تعالى وتشريع.

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٤٧٣-٤٧٤.

ولكي لا يترك الباب مفتوحا لمعارضة بعض هذه النصوص ببعض من قبل أهل الأهواء، ولفهم النصوص الشرعية على وجهها أرى أنه لا بد من التفريق "بين الركوع والسجود اللذين هما حق خالص للواحد الأحد وهما ما كانا على وجه العبادة، وبين ما كان من ركوع وسجود على وجه التحية والتكريم"^(١).

فلا بد إذن عند التفريق بين أحوال السجود أن يكون مرجع ذلك هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم، وقوفا عند حدودهما، وتسليما للمعاني الصريحة التي دلا عليها؛ ذلك لئلا يأتي من يصنف الأحوال ويقسمها على حسب ما يميله الهوى، فيتكلم عن السجود الذي تدل جميع القرائن على كونه عبادة للمسجود له بأنه من باب التحية والاحترام فلا يصل إلى حد الإشراف بالله تعالى^(٢).

هذا، مع العلم أنني سأقتصر خلال حديثي في هذا المبحث على السجود؛ لأن ذلك يدخل فيه حكم الركوع من باب أولى كما يلحق به حكم القيام إذا كان بخشوع وتواضع وتعظيم المقام له، "فكل ساجد راكع وليس كل راكع ساجدا؛ لأنه إذا سجد الإنسان من قيام انحنى انحناء الراكع وزاد ويصير حينئذ ساجدا، ولو صلى قاعدا أيضا انحنى انحناء الركوع وزاد فإنه يصير ساجدا، فالساجد راكع وزيادة؛ فلهذا جاز أن يسمى راكعا"^(٣).

أحوال السجود:

لقد تقرر مما سبق أن هناك نصوصا تنهى عن السجود لغير الله تعالى، كما أن هناك نصوصا أخرى تدل على وقوع السجود لغيره تعالى بأمر منه وتشريع، وليس هناك تعارض بين هذه النصوص وتلك؛ إذ له الحكمة فيما خلق وشرع، فالسجود المنهي عن صرفه لغير الله هو ما كان عبادة محضة وهي من خصائصه الألوهية لا يستحق غيره منها شيئا ولا يشاركه فيها أحد من المخلوقين، وهذا المعنى لم يشرعه الله تعالى ولم يأمر به أبدا أن يصرف لغيره، أما السجود الذي يصرف للمخلوق بأمر الله تعالى وشرعه فهو ليس من معاني العبادة، بل هو للتكريم والتشريف والتحية.

(٢) المرجع السابق ص ٤٧٥.

(٣) المرجع السابق ص ٤٧٦.

(١) رسالة في فنون الأشياء تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ص ٣٤، ط/الأولى ١٤١٠هـ، الإدارة العامة للطبع والترجمة - الرياض.

فالسجود له حالتان: الأولى: أن يكون سجود عبادة، الثانية: أن يكون سجود تشریف وتكريم وتحيية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "ثم يقال: السجود على ضربين: سجود عبادة محضة، وسجود تشریف، فأما الأول فلا يكون إلا لله"^(١).

سجود العبادة:

وهو الذي تضمن غاية الذل والخضوع، ولا يكون إلا لله تعالى؛ "ذلك بأن السجود هو سر العبودية والعبودية هي الذل والخضوع"^(٢).

أدلة وجوب إفراد الله تعالى بسجود العبادة:

هذا النوع من السجود من أجلّ العبادات البدنية، ومن خصائص ألوهية الله تعالى لا ينبغي صرف شيء منها لغيره كائنا من كان، والأدلة على هذه الحقيقة كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، منها:

١- النصوص الكثيرة التي تبين أن جميع ما سوى الله يسجدون ويخضعون لخالقهم تبارك وتعالى، وأنه قد كتب ذلك عليهم، فليس لهم خيار بين الخضوع لقدرته وعدم الخضوع لها، بل هم مقهورون، لا حركة لهم ولا سكون إلا بإذنه تعالى، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْغَدْوِ وَالْأَصَالِ ۗ﴾ (الرعد: ١٥)، وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ﴾ (الحج: ١٨).

٢- النصوص الكثيرة الآمرة بالسجود له وحده سبحانه وتعالى والناهية عن صرف شيء من هذا السجود لغيره، مثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ۗ﴾ (الحج: ٧٧)، وقوله عز وجل: ﴿وَمِن ءَايَاتِهِ أَلْيَلُ وَالنَّهَارُ

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٣٦١.

(٣) زاد المعاد ١/٢٢٨.

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴿٣٧﴾
(فصلت: ٣٧).

٣- أن الله تعالى أثنى على عباده في العالم العلوي والسفلي وجعل من أخص أوصافهم كثرة سجودهم لربهم تبارك وتعالى، قال تعالى في شأن ملائكته الكرام وسجودهم له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾
(الأعراف: ٢٠٦).

كما قال تعالى مشيا على نبيه الكريم- صلى الله عليه وسلم- والذين آمنوا معه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا ﴿٢٩﴾﴾
(الفتح: ٢٩).

ووصف الله عباده المؤمنين وذكر من أوصافهم كثرة السجود، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾﴾
(الفرقان: ٦٣-٦٤).

٤- النصوص الواردة في تصوير قبح ما عليه المشركون من السجود لغير الله، والاستكبار عن السجود له تعالى في الدنيا، وتوعدهم بنقيض ذلك في الدار الآخرة بعدم قدرتهم عليه حين يريدون.

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذُلُّهُمْ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾﴾
(القلم: ٤٢-٤٣).

٥- سد كل ذريعة موصلة للسجود لغير الله تعالى حماية لجناب التوحيد، حتى ولو كان السجود في أصله لله تعالى، فكيف بمن يسجد صراحة لغير الله تعالى؟.

وعن عمرو بن عبسة قال: (قلت يا نبي الله أخبرني عن الصلاة قال: صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ

يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم اقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار^(١).

قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: "قيل: المراد بقرني الشيطان حزيه وأتباعه، وقيل: قوته وغلبته وانتشار فساده، وقيل: القرنان ناحيتا الرأس وأنه على ظاهره، وهذا هو الأقوى، قالوا: ومعناه أنه يدي رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة وحينئذ يكون له ولبنيه تسلط ظاهر وتمكن من أن يلبسوا على المصلين صلاتهم فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها كما كرهت في الأماكن التي هي مأوى الشيطان"^(٢).

"فإذا كان في هذه الأزمنة من يفعل مثل هذا تحققت حكمة الشارع - صلوات الله وسلامه عليه - في النهي عن الصلاة في هذه الأوقات سدا للذريعة، وكان فيه تنبيه على أن كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها مما يكون كفرا أو معصية بالنية ينهى المؤمنون عن ظاهره وإن لم يقصدوا به قصد المشركين سدا للذريعة وحسما للمادة، ومن هذا الباب أنه - صلى الله عليه وسلم - كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله إلى حاجبه الأيمن أو الأيسر ولم يصمد له صمدا؛ ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله عموما وإن لم يكن العابد يقصد ذلك؛ ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي الرجل وإن لم يقصد الساجد ذلك لما فيه من مشابهة السجود لغير الله.

فانظر كيف قطعت الشريعة المشابهة في الجهات وفي الأوقات، وكما لا يصلى إلى القبلة التي يصلون إليها كذلك لا يصلى إلى ما يصلون له بل هذا أشد فسادا، فإن القبلة شريعة من الشرائع قد تختلف باختلاف شرائع الأنبياء، أما السجود لغير الله وعبادته فهو محرم في الدين

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به - باب إسلام عمرو بن عبسة - ص ٨٠٨ برقم

(٨٣٢) عن عمرو بن عبسة السلمي.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/١١٢.

الذي اتفقت عليه رسل الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٥) " (١).

فكل ما سبق ذكره من أدلة الكتاب والسنة وكلام الأئمة يؤكد تأكيداً ليس بعده أدنى شك بأن السجود حق خالص لله سبحانه وتعالى يجب إفراده به، وأن صرف شيء من هذا السجود لغيره شرك مخرج من الملة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وبالجملة فالقيام والقعود والركوع والسجود حق للواحد المعبود خالق السموات والأرض، وما كان حقاً خالصاً لله لم يكن لغيره فيه نصيب" (٢).

سجود التشريف والتكريم والتحية:

هذه هي الحالة الثانية من حالي السجود، فالسجود قد يكون عبادة كما سبق وقد يكون للتشريف والتكريم كما في هذه الحالة، وعلى هذه الحالة الثانية "حمل سجود الملائكة عليهم السلام لآدم عليه السلام، فلم يكن سجودهم له عبادة له؛ إذ لا يلزم من كل سجود أن يكون عبادة للمسجود له، بل كان سجودهم طاعة لربهم، وامثالاً لأمره، حيث أمرهم بذلك، وهو لآدم تشريف وتكريم.

وكذلك سجود يعقوب عليه السلام وأولاده ليوسف عليه السلام، هو سجود تحية لا سجود عبادة، وحاشا أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام أن يصرف أحدهم شيئاً من العبادة لغير الله تعالى" (٣).

قال تعالى في أمره للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٣٤)،

(٢) اقتضاء الصراط ص ٦٤-٦٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٩٣/٢٧.

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٤٩٢.

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية: "واختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن سجود عبادة"^(١).

وقال تعالى حكاية عن سجود أبوي يوسف وإخوته له: ﴿وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۗ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۗ﴾ (يوسف: ١٠٠)، قال القرطبي رحمه الله تعالى: "وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان فإنما كان تحية لا عبادة"^(٢).

وقال ابن حزم^(٣) عند كلامه عن يوسف عليه السلام: "وأما سجود أبويه فلم يكن محظورا في شريعتهما بل كان فعلا حسنا وتحقيق رؤياه الصادق من الله تعالى، ولعل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه السلام إلا أن الذي لا شك فيه أنه لم يكن سجود عبادة ولا تذلل، وإنما كان سجود كرامة فقط بلا شك"^(٤).

وهذا النوع من السجود داخل تحت سنة المحو والإثبات التي جعلها الله تعالى بين الشرائع حكمة منه ورحمة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا هُمَّ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِكَايِبَةٍ إِلَّا بَأْذِنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۗ﴾ (الرعد: ٣٨)^(٥).

فلم يعد سجود التشريف والتكريم مأذونا له أو مأمورا به في الشريعة المحمدية، بل أصبح منهيًا عنه ومحرمًا لا يجوز فعله لأحد من الخلق كائنا من كان.

(٢) تفسير القرطبي ١/٢٠١.

(٣) المرجع السابق ٩/١٧٤.

(٤) هو العلامة علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم، الفاسي الأصل، الأندلسي القرطبي الظاهري أبو محمد، كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن، وسعة العلم بالكتاب والسنة، والمذاهب والملل والنحل، والعربية والآداب والمنطق والشعر، من مصنفاته: الفصل في الملل والأهواء والنحل، توفي سنة ٤٥٦هـ.

انظر: العبر في خبر من غير ٣/٢٤١، طبقات الحفاظ ١/٤٣٥، الأعلام ٤/٢٥٤، سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٤.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ٩/١٠٠، مكتبة الخانجي - القاهرة، دون بيانات أخرى.

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٤٨٩.

ويدل على تحريم هذا السجود حديث أنس بن مالك^(١) في الجمل الذي استصعب على أصحابه فمنعهم ظهره ثم سجد للنبي - عليه الصلاة والسلام، وحديث عبد الله بن أبي أوفى^(٢) في قصة معاذ بن جبل لما رجع من الشام وسجوده للنبي - عليه الصلاة والسلام، وغيرهما من الأحاديث الدالة على استحعار الصحابة رضي الله عنهم بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحق بالسجود من غيره؛ إذ هو خير خلق الله على الله، لكن النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو أعلم الناس بحقوق ربه جل وعلا حذرهم أشد تحذير من السجود له - عليه الصلاة والسلام.

وخلاصة القول أن السجود المتعلق بالعبادة حق خالص لله تعالى، لم ييح صرفه لغيره في زمن من الأزمان، ولا في شريعة من شرائعه، ولم يأت عن أحد من الأنبياء وأتباعهم الصادقين أنهم صرفوه لغير الله تعالى؛ إذ إن إفراد الله تعالى به هو من لب دعوتهم، وأسس رسالتهم، وصرفه لغيره مناقض أشد المناقضة لها^(٣).

أما السجود الذي هو من باب التشريف والتكريم فقد كان مباحا في شرع من قبلنا، لكنه منسوخ في الشريعة التي جاء بها خاتم النبيين؛ ولذلك نهي عنه أشد النهي، فحرام على المرء أن يسجد لغيره بهذا القصد مهما علت منزلة الذي يسجد له أو بلغ من الشرف. قال ابن كثير رحمه الله عن سجود أبوي يوسف وإخوته له: "وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فحرم هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى، هذا مضمون قول قتادة وغيره"^(٤).

(٣) سيأتي تخرجه ص ٢٩٠.

(٤) سيأتي تخرجه ص ٢٩٠.

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٤٨٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١٤٦٩/٢.

المبحث الثاني

الركوع والسجود والقيام لغير الله حكمها وصورها

صور الركوع والسجود والقيام لغير الله لدى مسلمي نيجيريا:

إن العادات عند القبائل النيجيرية متقاربة جدا في طرق التحية، وقد توارث مسلمو نيجيريا هذه العادات عن أجدادهم كابرا عن كابر، وما دام أن ديانة أولئك الأجداد هي الوثنية فلا غرابة أن تكون العادات التي ورثها عنهم أبناءهم لا تزال فيها آثار الوثنية، لكن العجيب هو نقل هذه العادات إلى الإسلام دون تنقية لها، والبقاء عليها لهذه المدة الطويلة بعد إسلامهم، والواجب على هؤلاء المسلمين تجنب تلك العادات والتقاليد بعد معرفتهم بمناقضتها لشريعة الإسلام، كما ترك الصحابة في صدر الإسلام تلك العادات الشنيعة التي لم تتوافق مع نظام الإسلام بعدما نهاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عنها وحذرهم منها.

فالتحية عند القوم أشبه ما يكون بهيئة الركوع والسجود، والسبب الأساسي في ذلك هو الغلو في إكرام كل من هو أكبر من الشخص سنا أو أرفع منه منزلة، وسأذكر فيما يلي - إن شاء الله تعالى - صور الركوع والسجود لغير الله التي جهلها كثير من مسلمي نيجيريا فعدوها لأنفسهم طرقا للتحية والإكرام.

الصورة الأولى:

السجود والركوع لقبور الأولياء والصالحين والمشايخ:

فإنه يوجد بعض الجهلة من مسلمي شمال نيجيريا وصل بهم الحال إلى السجود لقبور الأولياء والمشايخ تحية لهم وتعظيمًا، وفي الحقيقة لا يقصد هؤلاء المغلوبون على أمورهم مجرد التحية بدليل أنهم يوجهون من خلال هذه السجودات أنواعًا من الأعمال التعبدية لأصحاب القبور مثل الدعاء والاستغاثة والنذر والتوسل وغير ذلك، فهل يعقل أن يطلق على هذه التصرفات تحية وسلامًا؟

وتقع هذه الصورة من السجود لغير الباري جل وعلا عند قبر الشيخ عثمان ابن فودي في مدينة (سوكوتو) وقبر الشيخ محمد ناصر الكبرى في مدينة (كانو)، وإن كان وجودها قليلا إلا أنه ينبغي أن تذكر لخطورتها؛ لأن السجود لغير الله شرك مخرج من الملة.

قال الشيخ محمد بن ناصر العبودي فيما كتبه عن ما شاهده أثناء زيارته لقبر الشيخ عثمان بن فودي: "وهذه الأمور أكثرها بدعي لا يجوز فعله في الشرع، ومنها البناء على القبر ورفعها عن الأرض أكثر من الشبر، والتوجه بالدعاء إلى القبر متجها إلى غير القبلة"^(١).

الصورة الثانية:

الركوع والسجود لأشخاص معينين من الأحياء، يقصدون بهما التحية، فطريقة

التحية عند مسلمي شمال نيجيريا هي الانحناء بالرأس قريب من هيئة الركوع أو الجثو وهو الجلوس على الركبتين إذا كان الشخص المسلم عليه جالسا، وبهذه الطريقة تتم تحية الصغير للكبير والولد لوالديه، والبنت لوالديها، والتلميذ لأستاذه، والزوجة لزوجها.

أما أشرف القوم مثل السلاطين والأمراء فإن الأمر يختلف؛ إذ تكون تحية الناس لهم بالجلوس مع الانحناء بالرأس قريب من هيئة السجود، بالإضافة إلى قبض أصابع اليد اليمنى دون الإبهام ورفعها إلى الأعلى. وهكذا تكون التحية عند تلك الفئات من المسلمين في شمال نيجيريا.

وبالنسبة للجنوب فإن الأمر يختلف قليلا فتحية الصغير للكبير والولد لوالديه هي الانبطاح وامتداد الجسم على الأرض، وتحية البنت لوالديها والصغيرة للكبيرة تكون بالجثو وهو الجلوس بالركبتين على الأرض، هذا كله عند الذين لم ينهلوا من العلوم الشرعية شيئا أو كان

(١) قصة سفر في نيجيريا ٢/١٠٠.

حظهم فيها قليلا وهم مسلمون، قد توارثوا هذه العادات عن آبائهم ولا تزال منتشرة إلى يومنا هذا.

وأما المنتسبون إلى الدراسات الإسلامية من العلماء وطلبة العلم فإن بعضهم يحيي بعضا بالعودة إلى أقصى ما يمكن على القدمين مع المصافحة، وبالنسبة للتلميذ مع أستاذه فإنه مثل ذلك مع الانحناء بالرأس دون المصافحة وأحيانا يتصدق عليه أستاذه بالمصافحة.

هذه هي طرق التحية عند المسلمين في نيجيريا، وقد وصف الشيخ آدم عبد الله الألوري هذا التواضع الجاهلي فقال: "وكل ما تبقى اليوم من خلع النعال، والجلثو على الركب، والسجود أمام الأكابر والملوك والعظماء فإنما هي من رواسب تلك الجاهلية الشنيعة لم ينزلها الله على أحد من البشر، بل هي من نزوات الشياطين، وشهوات السلاطين، وهذه التقاليد متوغلة بوجه خاص في الأوساط الإسلامية؛ إذ قد ارتضاها بعض العلماء واستحسنوها بدلا من استنكارها والتنديد بها، واعتبروها بجهالتهم تواضعا وأدبا إسلاميا، وليس هذا فقط بل يعتبرون كل من خرج عليها شيطانا متكبرا، جديرا بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين"^(١).

وقال في موضع آخر: "لا تزال في نيجيريا وما حولها من رواسب الجاهلية ما يسمونه بالتواضع، منها خلع النعال والانبطاح"^(٢) والسجود للتحية ونحوها من عادات ممقوتة في دين الله، بالية مهجورة في دنيا الناس، ولكنها باقية ومحبة إلى الأمراء والملوك والكبراء في نيجيريا إلى اليوم"^(٣).

كما أكد الشيخ آدم على ما سبق أن قلته بأن المنتسبين للدراسات الإسلامية أيضا متورطون في هذه الانحرافات ولهم تأثير بارز في بقائها إلى الوقت الحاضر، فقال: "ولقد أجدني غارقا في بحر من الذهول والدهشة عندما أرى حملة كتاب الله عز وجل، وحفظة سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في مقدمة من يستحسنون هذه التقاليد البغيضة عن جهالة وعماية،

(١) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص ١٨.

(٢) انبطح فلان وتبطح: استلقى على وجهه ممتدا على وجه الأرض. انظر: لسان العرب ٤/١٢٢، المصباح المنير ص ٥٢ مادة (بطح).

(٣) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١٥٣.

ومن يستحسنونها عن بصيرة ودراية ويعتبر الخروج عليها وقاحة وشراسة مما لأه لما يكرم به الدهماء العلماء والأمرء على السواء"^(١).

وقد تألم الشيخ آدم رحمه الله كثيرا على هذا الوضع وقدم ما كان باستطاعته أن يقدمه في سبيل تغيير تلك المنكرات، يقول: "ولست أدري متى يقيض الله لنيجيريا من العلماء الأحرار من يستطيع أن ينير عقول الناس حتى تنجلي عنها غياهب هذه الجاهلية المشنوءة، وحتى تستضيء بنور الإسلام، وتسلك سواء السبيل ... ويؤمني دائما أن يختار المسلمون الإسفاف على التحليق، وأن يعطوا الدناءة والمهانة من أنفسهم قبل أن يضطروا لذلك"^(٢).

ويقول: "ولقد نظمت في ذلك أبياتا وألزمت الفوج الأول من طلاب مركز التعليم العربي حفظها، فكانت أول حملة إصلاحية قاموا بها في المجتمع الإسلامي وهي"^(٣):

ومما يلحق بهذه الصورة من صور الركوع والسجود لغير الله ما يفعله مسلمو نيجيريا من القيام لشخص كبير الشأن أو صاحب منصب إذا قدم إلى الحفلات والمآتم، والعادة أن يظل هؤلاء الناس واقفين حتى يأخذ ذلك الشخص مكانه في الحفل، وإذا كلف أحدهم بالدعاء في بداية الحفل فإنه ينفذ ذلك واقفا ويطلب من الحضور الوقوف معه، وهي عادة أخذها مسلمو جنوب نيجيريا من النصارى.

كما هو منتشر عندهم أمر خلع النعال للتحية إلا أن ذلك كان أكثر انتشارا بين مشايخ الصوفية ومريديهم وأتباعهم، فترى واحدا منهم إذا شاهد شيخه من بعيد لا يسعه إلا أن يخلع نعليه وينحني بظهره إلى أقصى درجة ممكنة ويمشي مسرعا ليسلم على شيخه.

قال الشيخ محمد بن ناصر العبودي فيما شاهده أثناء زيارته لدولة نيجيريا: "وعندما انتهى بنا الممشى إلى باب حجرة أمرونا بأغلبيتهم بلخ أحديتنا إكراما للشيخ عثمان؛ لأنهم هكذا يفعلون مع من يعظموهم حتى في حياتهم فيخلعون نعالهم، ولا يجيز لهم عرفهم أن يقترب الواحد منهم من الرجل الكبير القدر وهو يلبس حذاء في رجله"^(٤).

حكم هذه الصور:

(٤) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص ٥.

(٥) المرجع السابق ص ٤-٥.

(١) الإسلام والتقاليد الجاهلية ص ١٥٤، والأبيات سبق ذكرها في ص ٨٧ من هذا البحث.

(٢) قصة سفر في نيجيريا ٩٧/٢.

الركوع والسجود لغير الله من الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار إن لم يتب منه قبل موته، فمن ركع أو سجد لشيء سوى الله من إنسان أو حيوان أو جماد فقد أشرك بالله غيره؛ لأن القرائن الدالة على أن هذا السجود للعبادة واضحة جلية فلا مدخل لاحتمال مقصد آخر فيه، وسجود العبادة- كما قررنا سابقا- حق خالص لله تعالى لم ييح صرفه لغيره في زمن من الأزمان، ولا في شريعة من شرائعه، ومما يدل على أن سجود العبادة من حقوق الله وحده، تلك النصوص التي يأمر تعالى بها عباده بإفراده بهذا السجود وينهاهم بها عن فعله لغيره، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ (الحج: ٧٧).

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ءَايَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: ٣٧).

قال العلامة الدهلوي رحمه الله: "السجود بجميع أنواعه لا يجوز إلا لله تعالى، وقال الله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، فقد دلت هذه الآية على أن السجدة من أعظم شعائر العبادة وهي مختصة بالخالق جل وعلا فلا تجوز لمخلوق، وقد تساوى في هذه الصفة القمر والشمس والنبى والولي، ومن قال إنه قد جاز السجود في الأديان القديمة لبعض المخلوقات ونقل ذلك بالخبر الصحيح فصح سجود الملائكة لآدم وسجود يعقوب ليوسف فلا بأس أن نسجد لشيخ أو ولي، فهذا باطل" (١).

وأمر المولى تبارك وتعالى رسوله المصطفى- صلوات الله وسلامه عليه- بالسجود له بخطاب خاص والمراد به العموم في مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ أَلِيلٍ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ

(١) رسالة التوحيد للدهلوي ص ٩٦.

لَيَّلاً طَوِيلًا ﴿ (الإنسان: ٢٦)، وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝ ﴾ (العلق: ١٩).

ولم ترد هذه الأوامر كلها إلا لبيان أهمية هذه العبادة الجليلة واختصاص الباري بها جل وعلا؛ "وذلك أن السجود غاية الخضوع والذل من العبد وغاية انقياده وتواضعه بأشرف شيء فيه لله وهو وجهه بأن يضعه على التراب"^(١)، وهذه حقيقة العبودية لله تعالى.

قال الدهلوي في رسالة التوحيد له تحت العنوان: (أعمال العبادة وشعائرها خاصة بالله تعالى)، قال: "والشيء الثالث أن الله سبحانه وتعالى خصص بعض أعمال التعظيم لنفسه وهي التي تسمى عبادة كالسجود والركوع، والوقوف بخشوع وتواضع"^(٢).

وبناء على هذا فالسجود لقبور الأولياء والصالحين شرك أكبر، قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى عند شرحه لحديث: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد): "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم السابقة قبله، الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم، واتخذوها قبلة ومسجدا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه، خشية عليهم امتثال طريقتهم"^(٣).

فمن سجد لغير الله بعد بيان حكم ذلك له فهو مشرك كافر، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، وإن صلى وإن صام؛ لأن أعمال المشرك لا تقبل منه^(٤).

ويقول القاضي عياض^(٥) رحمه الله تعالى: "وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر، وإن كان صاحبه مصرحا بالإسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم، وللشمس والقمر، والصليب والنار"^(١).

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٢٣٧.

(١) رسالة التوحيد للدهلوي ص ٣٧

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ٥/٤٥، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ١٣٨٧هـ.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ١/٣٣٦ فتوى رقم (٤٣٦٠).

(٤) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى الإمام العلامة أبو الفضل اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي، حافظ، محدث، مفسر، فقيه، أصولي، نحوي، لغوي، شاعر، خطيب، من مصنفاته: إكمال المعلم في

أما إذا كان السجود لغير الله من قبيل التحية والتشريف - وله قرائن تدل عليه أيضا - فإن كان المراد به تعظيم المسجود له مثل تعظيم الله تعالى فهو شرك، وذلك لما يأتي:

١- أن في ذلك تسوية بين الخالق والمخلوق، والله سبحانه وتعالى لا يساوي شيئا من خلقه، كما قال جل شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

٢- أن تقديم ما يختص به الرب سبحانه وتعالى لغيره من المخلوقين هو عين أفعال المشركين الذين قاتلهم الرسول - صلى الله عليه وسلم.

٣- أنه جل شأنه قد صرح بكفر الذين يسوون بينه وبين خلقه فيما هو من خصائصه من العبادات القلبية وغير القلبية كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: "يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا، وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادا أي: أمثالا ونظراء، يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله الذي لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه" (٢).

"وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي: يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم، ولهذا يقولون لأندادهم وهم في النار: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣) إذ نُسويكم برَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (الشعراء: ٩٧، ٩٨) (٣).

وإن كان ذلك السجود من باب الاحترام والتقدير فهو مما حرم في الشريعة المحمدية؛ وذلك أن الركوع والسجود من أظهر صور التذلل والخضوع، وهما مضمون العبادة التي لا تكون

شرح صحيح مسلم، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، توفي سنة ٥٤٤ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٣، العبر في خبر من غير ٤/١٢٢، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ١/١٦٨، طبقت الحفاظ ١/٤٧٠.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢/٢٣٦.

(١) تفسير ابن كثير ١/٢٨٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥١.

إلا الله سبحانه وتعالى كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والسجود من جنس القنوت؛ فإن السجود الشامل لجميع المخلوقات هو المتضمن لغاية الخضوع والذل، وكل مخلوق فقد تواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته"^(١).

ومن أدلة تحريم هذا النوع من السجود ما يأتي:

١- أن الله تعالى قد عظم حق نبيه- عليه الصلاة والسلام- لدى أمته فجعله أولى بهم من أنفسهم ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، ومع ذلك كان لحقوقه حدود، فلم يجعل منها السجود والركوع وغيرها من أنواع العبادة، بل جعل أشرف مقامه- عليه الصلاة والسلام- كونه عبدا لربه ومولاه جل وعلا.

٢- أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فهموا قوله تعالى: ﴿وَتُعْزِرُوهُ وَتُقَرِّبُوهُ﴾ (الفتح: ٩)، بمعنى الإجلال والتعظيم لنبيهم، وعملوا به كما عملوا بغيره من الآيات، لكن مع ذلك لم يؤثر عنهم قط بأن طريقتهم في إجلاله وتعظيمه هو السجود أو الركوع له- عليه الصلاة والسلام.

٣- بل لما شاهد بعضهم عليهم رضوان الله ما تفعله الأعاجم من السجود والركوع والقيام تذلا وتعظيما لملوكها، وقرر في نفسه أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- أولى وأحق لتلك الأنواع من التعظيم نهاهم نهيا شديدا عن الإقدام على ذلك كله، وأكد لهم بأن السجود من حقوق الله الخاصة لا يجوز فعله لأحد كائنا من كان، ومما ورد في ذلك:

ما رواه أنس بن مالك قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وإن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني^(٢) عليه، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: (قوموا)، فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية، فمشى النبي- صلى الله عليه وسلم- نحوه فقالت الأنصار: يا نبي الله! إنه قد صار مثل الكلب وأنا نخاف عليك صولته، فقال: (ليس علي منه بأس)، فلما نظر الجمل إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه، فأخذ

(٣) رسالة في قنوت الأشياء ص ٢٧.

(١) سنى على الدابة: سقى عليها. انظر: معجم مقاييس اللغة ص ٤٧١، القاموس المحيط ص ١٦٧٣ مادة (سنى).

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: (لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه^(١)).

وما رواه عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي - صلى الله عليه وسلم، قال: (ما هذا يا معاذ؟)، قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأسافقتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول - الله صلى الله عليه وسلم: (فلا تفعلوا، فإنني لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه)^(٢).

وما رواه قيس بن سعد قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت: رسول الله أحق أن يسجد له، قال: فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك، قال: (أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟)، قال: قلت: لا، قال: (فلا تفعلوا، لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق)^(٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٥٨/٣ عن أنس بن مالك، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٥٦/٨: رواه أحمد والبخاري ورجاله رجال الصحيح غير حفص بن أخي أنس وهو ثقة، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (١٩٣٦): صحيح لغيره، رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد ورواته ثقات مشهورون والبخاري بنحوه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب النكاح - باب حق الزوج على المرأة - ص ٢٥٨٨ برقم (١٨٥٣)، وأحمد في مسنده ٣٨١/٤، وابن حبان في صحيحه ٤٧٩/٩ عن عبد الله بن أبي أوفى، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط/ الثانية ١٤١٤ هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٩٣٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب النكاح - باب في حق الزوج على المرأة - ص ١٣٨٠ برقم (٢١٤٠)، والدارمي في سننه - كتاب الصلاة - باب النهي أن يسجد لأحد - ٤٠٦/١ برقم (١٤٦٣) عن قيس بن سعد، والحاكم في المستدرک ٢٠٤/٢ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص. سنن الدارمي للإمام عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وغيره والأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها، ط/ الأولى ١٤٠٧، دار الكتاب العربي - بيروت.

إذن فجميع ما ورد من صور السجود في النصوص السابقة كانت من باب التحية والتكريم والتشريف؛ إذ هؤلاء الصحابة شاهدوا عند الأعاجم أنهم يكرمون ساداتهم وكبراءهم بهذا السجود فأرادوا أن يفعلوا مثله لخير الخلق - صلوات ربي وسلامه عليه - وهو أولى به لو كان جائزا في شريعتنا، ولما كان غير جائز نهاهم عنه أشد النهي، وأكد ذلك بأنه لو كان ينبغي أن يأمر أحدا من البشر ليسجد لغيره لأمر المرأة أن تسجد لزوجها.

وعلى الرغم من أن حق النبي - صلى الله عليه وسلم - على المؤمنين أعظم من حق الرجل على زوجته لم يسمح لأحد من الأمة بالسجود له - صلى الله عليه وسلم - تشريفاً وتكريماً؛ لأن ذلك حق خالص للمولى جل وعلا.

"فإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد نهي أن يسجد له من باب التكريم والتعظيم، فإن غيره من باب أولى؛ إذ إنه - صلى الله عليه وسلم - سيد ولد آدم، وأكرم الخلق على الله تبارك وتعالى؛ ولذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أنهم سجدوا هذا السجود لأحد من المخلوقين كائناً من كان"^(١).

وكل ما ذكر في الصورة الثانية من صور الركوع والسجود لغير الله لدى مسلمي نيجيريا مما اعتبره القوم طرقة للتحية والتكريم من الانحناء بالرأس أو بالظهر، والجلوس، والقعود، والانبطاح إذا أريد بتلك الأفعال التعظيم مثل تعظيم الله فهو شرك، وإذا كان المراد بها التقدير والاحترام وليس غير فهو محرم لعموم النهي عن السجود لغير الله الذي لم يخص منه معنى من المعاني بالجواز.

ولأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد نهي عن يسجد له من باب التكريم والتعظيم وقال: (... لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق)^(٢).

فالانحناء بالرأس الذي هو أخف طرق التحية عند القوم حكمه أنه محرم، وسأورد فيما يلي أدلة تحريم الانحناء، فإذا ثبت تحريمه فمن باب أولى أن يكون ما هو أقبح منه أشد تحريماً.

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٤٩١.

(٢) سبق تخرجه ص ٢٩٠.

معنى الانحناء لغة:

الانحناء لغة الانعطاف. يقال: حَنَا حَنَاً وَحَنَاً أَي: عَطَفَهُ، فَانْحَنَى وَتَحَنَّى: انْعَطَفَ^(١). وقال في لسان العرب: حَنَا الشَّيْءَ حَنَاً وَحَنِيًّا، وَحَنَاً: عَطَفَهُ. وَالانْحِنَاءُ الْفِعْلُ اللَّازِمُ وَكَذَلِكَ التَّحَنَّى. وَانْحَنَى الشَّيْءُ: انْعَطَفَ، وَانْحَنَى الْعُودُ وَتَحَنَّى: انْعَطَفَ^(٢).

والانحناء بهذا المعنى يعم الركوع والسجود؛ لأن الركوع في اللغة: الانحناء^(٣)، وأصل السجود كذلك: الانحناء لمن سجد له معظماً^(٤).

إذن فكل ركوع انحناء، كما أن كل سجود انحناء، ولكن ليس كل انحناء ركوعاً، وليس كل انحناء سجوداً، فالإنسان قد ينحني برأسه فقط فلا يصل إلى حد الركوع أو السجود الشرعيين.

أما إذا قصد بالانحناء بأي شكل كان تعظيم المنحني له فيدخل حينئذ في معنى السجود؛ إذ قد دخل فيه معنى التذلل والخضوع، وكلاهما من العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه وتعالى.

ولذلك قال ابن جرير الطبري: "أصل السجود الانحناء لمن سجد له معظماً بذلك، فكل منحنيٍ لشيءٍ تعظيماً له فهو ساجد"^(٥).

وعلى هذا فكل انحناء سواء كان بالرأس أو بأعلى الجسم إذا قصد به التحية والإكرام فهو محرم لورود النهي عنه في الحديث.

أما إذا كان المقصود من الانحناء هو العبادة والتعظيم فهذا شرك أكبر مخرج من الملة. قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى، وقد سئل عن الانحناء ووضع اليد على

(١) القاموس المحيط ص ١٦٤٨، وانظر: مختار الصحاح ص ١٦٧.

(٢) لسان العرب ٢٠٢/١٤.

(٣) فتح القدير ٩٥/١.

(٤) تفسير الطبري ٣٣٨/١.

(٥) المرجع السابق ٣٣٨/١.

الجبهة فقال: "الانحناء عند السلام حرام إذا قصد به التحية. وأما إن قصد به العبادة فكفر. ووضع اليد على الجبهة مثل السجود ويدخل في الشرك"^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: "نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه كما يفعله كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة، بل يببالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة في خلاف السنة جهلاً، حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه، ثم يرفع رأسه من الركوع كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات، أخذوا من الصلاة سجودها، وأولئك ركوعها، وطائفة ثالثة قيامها، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة، فقاسمت الفرق الثلاث أجزاء الصلاة. والمقصود أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن انحناء الرجل لأخيه سدا لذريعة الشرك كما نهى عن السجود لغير الله، وكما نهاهم أن يقوموا في الصلاة على رأس الإمام وهو جالس مع أن قيامهم عبادة لله تعالى، فما الظن إذا كان القيام تعظيماً للمخلوق وعبودية له، فالله المستعان"^(٢).

وبناء على هذا الأصل فكل ما يفعل من العادات والتقاليد مما يعتبره الناس من باب التحية والاحترام مثل الوقوف على الركبتين، والجلثو على الركب، والانبطاح، والقعود على الرجلين، فكلها محرمة للأسباب التالية:

١- ما ورد من تحريم الانحناء للتحية والإكرام سواء بلغ حد الركوع الشرعي أم لم يبلغ،

ومن ذلك:

ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: (لا)، قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: (لا)، قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: (نعم)^(٣).

٢- أن النهي عن الانحناء كان سدا لذريعة الشرك، والعلة التي من أجلها نهى أهل الإسلام عن الانحناء أوضح في هذه العادات أكثر من وضوحها في الانحناء، وهي التذلل والخضوع لغير الله الذي هو من العبادة، فالوقوف أو القعود على الركبتين، والجلثو على الركب، والانبطاح، فيها أوضح صورة للخضوع والتذلل والتطامن للمخلوق أكثر من الانحناء.

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ١/١٠٩، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/٣٧٧.

(٢) إعلام الموقعين ٣/١٥٤-١٥٥.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٧.

٣- أن السنة قد بينت طريقة التحية عند أهل الإسلام وليس منها شيء من هذه الطرق التي اعتادها القوم للتحية والاحترام، بل المصافحة هي التي جاءت بها السنة كما ظهر في حديث أنس السابق وغيره من الأحاديث.

٤- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى أصحابه أن يقوموا عليه كما يقوم الأعاجم على ملوكهم لما جلس في الصلاة، فنهاهم عن التشبه بالكفار رغم أن القيام عبادة وركن من أركان الصلاة، وكذلك أصل هذه العادات من الكفار فينبغي تجنبها.

وقد كان منهجه - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - أنه يقي الناس على ما هم عليه قبل الإسلام ما لم يتعارض مع الشريعة الإسلامية، أما إذا تعارض مع الشريعة الإسلامية كان أسرع الناس إلى تبيين ذلك لهم وتحذيرهم منه، فمما كان عليه الناس قبل الإسلام ووافقهم حلف الفضول^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قد تقدم النهي عن القيام كما يفعله الأعاجم بعضها لبعض، فكيف بالركوع والسجود، وكذلك ما هو ركوع ناقص يدخل في النهي عنه"^(٢). وقال في موضع آخر: "فإذا نُهت الشريعة عن مشاهدة الأعاجم دخل في ذلك ما عليه الأعاجم الكفار قديما وحديثا، ودخل في ذلك ما عليه الأعاجم المسلمون مما لم يكن عليه السابقون الأولون، كما يدخل في مسمى الجاهلية العربية ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام وما عاد إليه كثير من العرب من الجاهلية التي كانوا عليها"^(٣).

وإني لأعلم أن هذه الحقيقة ستكون في غاية المرارة لدى الأغلبية الساحقة من مسلمي نيجيريا لكن الذي ندعو إليه هو طي صفحات الماضي والإقلاع عن تلك العادات السيئة والتقاليد الجاهلية التي بها استعبد بعض الناس بعضا بعد أن ولدتهم أمهاتهم أحرارا، فالحق رائد المؤمن، وقوة الدليل من الكتاب والسنة هي الفيصل بين الحق والباطل.

تقول اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية في الجواب عن سؤال وجه إليها، ونص السؤال: "انخرطنا في نادي من نوادي الكاراتيه بأمريكا وقال المدرب: إنه يجب أن تنحني عندما

(١) انظر: البداية والنهاية تأليف الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء ٢/٢٩١، مكتبة المعارف - بيروت.

(٢) مجموع الفتاوى ١/٣٧٧.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٢.

ينحني لك هو، فرفضنا وشرحنا له ذلك في ديننا فوافق، ولكن قال: على أن نحني فقط الرأس؛ لأنه هو بيدوك بالانحناء فلا بد أن ترد تحيته، فما رأي فضيلتكم في ذلك؟

والجواب: "لا يجوز الانحناء تحية للمسلم ولا للكافر، لا بالجزء الأعلى من البدن ولا بالرأس؛ لأن الانحناء تحية عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده"^(١).
فالمشروع في تحية المسلم لأخيه عند اللقاء هو المصافحة لما روي عن قتادة رضي الله عنه قال: "قلت لأنس: أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم"^(٢).

وعن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا)^(٣).
وكذلك حديث أنس الذي سبق ذكره.

هذا هو الصواب المؤيد بالأدلة الصريحة من السنة النبوية، فلا عبرة بما عليه كثير من مشايخ الصوفية في المجتمع النيجيري الذين يستعبدون أتباعهم ومريديهم ويستمتعون بما يفعله هؤلاء الأتباع إذا رأوهم من بعيد حيث يخلعون الأحذية وينحنون بالظهور مسرعين إليهم لتحتيتهم، وإذا طلب أحدهم أن يدعو له شيخه فتراه يقعد على ركبتيه، وينحني برأسه وظهره، تكاد جبهته تمس الأرض خضوعاً وتذلاً، وبتهيأ لنزول بركة الدعاء عليه حسب زعمهم.
ولقد شاهدت مواقف عدة لمشايخ الصوفية مع أتباعهم ومريديهم، فيكون المشايخ جالسين مطمئنين، والأتباع واقفين تعظيماً وتبجيلاً لمشايخهم، لا حركة ولا كلام لأحد منهم إلا بإذن شيخه وكأنهم جثث بين يدي المغسّل.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/٢٣٣-٢٣٤، فتوى رقم (٥٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاستئذان - باب المصافحة - ص ٥٢٨ برقم (٦٢٦٣) عن قتادة.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأدب - باب في المصافحة - ص ١٦٠٤ برقم (٥٢١٢)، والترمذي في سننه - كتاب الاستئذان والآداب عن رسول الله - باب ما جاء في المصافحة - ص ١٩٢٦ برقم (٢٧٢٧) عن البراء بن عازب وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٢٥).

إن هذا النوع من التحية والتعظيم قد وصل إلى حد الشرك لما لوحظ فيه من ذل النفوس وخضوع الجباه والتضرع بين يدي المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، وما بالك بغيره.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "ومن أنواع الشرك: سجود المرید للشيخ؛ فإنه شرك من الساجد والمسجود له، والعجب أنهم يقولون: ليس هذا سجودا، وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احتراماً وتواضعاً، فيقال لهؤلاء: ولو سميتوه ما سميتوه، فحقيقة السجود وضع الرأس لمن يسجد له، وكذلك السجود للصنم وللشمس وللنجم وللحجر، كله وضع الرأس قدامه"^(١).

مسألة: حالات القيام وأحكامها:

أما القيام فله ثلاث حالات^(٢):

الحالة الأولى: أن يقوم عليه وهو جالس للتعظيم كما تعظم العجم ملوكها وعظماءها، كما بينه النبي - صلى الله عليه وسلم، فهذا لا يجوز، ولهذا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - الصحابة أن يجلسوا لما صلى بهم قاعدا، أمرهم أن يجلسوا ويصلوا معه قعودا، ولما قاموا قال: (إن كدتم أنفا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا، ائتموا بأئمتكم، إن صلى قائما فصلوا قياما، وإن صلى قاعدا فصلوا قعودا)^(٣).

الحالة الثانية: أن يقوم لغيره واقفا لدخوله أو خروجه من دون مقابلة ولا مصافحة، بل بمجرد التعظيم، فهذا أقل أحواله أنه مكروه، وكان الصحابة - رضي الله عنهم - لا يقومون للنبي - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل عليهم، لما يعلمون من كراهيته لذلك - عليه الصلاة والسلام، ففي هذا النوع من القيام ورد الحديث الذي روي عن معاوية قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول: (من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار)^(٤).

(١) مدارج السالكين ١/٣٤٤-٣٤٥.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ٤/٣٩٤-٣٩٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام، ص ٧٤٤ برقم (٤١٣)، عن جابر بن عبد الله.

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأدب - باب الرجل يقوم للرجل يعظمه بذلك - ص ١٦٠٥ برقم (٥٢٢٩)،

والتزمذي في سننه - كتاب الأدب عن رسول الله - باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل - ص ١٩٢٩ برقم

(٢٧٥٥) عن معاوية وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٥٧).

الحالة الثالثة: أن يقوم مقابلاً للقادم ليصافحه أو يأخذ بيده ليضعه في مكان أو يجلسه في مكانه، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به وهو من مكارم الأخلاق، بل هو من السنة، وقد قام النبي - صلى الله عليه وسلم - لفاطمة، وقامت له رضي الله عنها، وقام الصحابة رضي الله عنهم بأمر النبي لسعد بن معاذ رضي الله عنه لما قدم ليحكم في بني قريظة، وقام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - لما جاء كعب بن مالك رضي الله عنه حين تاب الله عليه فصافحه وهنأه ثم جلس.

وأما ما يفعله بعض الجهال من المسلمين في بداية الحفلات حيث يقوم أحدهم ليدعو فيطلب من الحضور أن يقوموا ويقفوا واقفين حتى ينتهي من الدعاء، فإن ذلك بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وهي عادة أخذها مسلمو جنوب نيجيريا عن جيرانهم النصارى، وقد قال رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - محذراً أمته من التشبه بالكفار: (من تشبه بقوم فهو منهم)^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم"^(٢).

ومن المسائل التي يحسن ذكرها في هذا الصدد تلك الصعوبة التي يجدها بعض الملتزمين بأمر الله وأمر رسوله فيما يتعلق بالتحية، فتجد واحداً منهم إذا دخل على شخص كبير الشأن أو صاحب منصب أو عالم كبير ممن لا يرون احترام الغير لهم إلا بالانحناء أو الركوع أو الجثو، فيفعل هذا الملتزم لهذا الشخص واحداً من هذه الأمور إرضاء له حتى لا يظن أنه حط من قدره أو بخسه حقه؛ فيتخذ الموقف الشديد ضده.

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله تعالى أثناء كلامه عما أسماه بالتواضع الجاهلي في المجتمع النيجيري: "ومن العلماء من يطوون قلوبهم على كره هذه العادات وعلى استهجانها، ولكنهم لا يملكون من الأمر شيئاً، ولا يجدون مفراً ولا ملجأً من فعلها لمن لا يرضى إلا بفعله،

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب اللباس - باب في لبس الشهرة - ص ١٥١٨ برقم (٤٠٣١) عن ابن عمر، وصححه

الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (١١٠٩٤).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٨٣.

وأنا من أولئك النفر الذين يرضخون قسرا على فعلها لهم ويعتمدون في ذلك على الحديث القائل: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)^(١)»^(٢).

تعليق:

لكننا نقول بأن هذا ليس هو الحل الناجع للمشكلة القائمة، وإنما الحل أن يفهم هؤلاء الناس ما هو المشروع في ديننا الحنيف مستدلا بما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في هذا الشأن، ثم إذا فهموا نكون نحن مستمسكين بهذا المبدأ الإسلامي معتمدين على الله الأمر به، فلا نخاف بعد ذلك لومة لائم؛ لأن من أراد أن يكون عبدا لله خالصا فلا يسجد إلا له سبحانه وتعالى، ولا يخضع ولا يذل للمخلوق الضعيف؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ويعجبني ما قاله الشيخ آدم في موضع آخر من كتاباته، ولعل ذلك استدراك منه على نفسه حيث قال: "ومن العلماء من يطوون قلوبهم على كره هذه العادات واستهجانها، ولكنهم لا يملكون من الأمر شيئا؛ لأنهم ليسوا أحرارا^(٣) مخلصين للدعوة"^(٤)، فلنكن إذن أحرارا، نحرر أنفسنا من عبودية المخلوق ونخلصها لله تعالى.

إن العزة والرفعة التي ينشدها كل إنسان لا تكون أبدا إلا بتطابق تلك المعاني، فكلما كان العبد أشد تعظيما لربه، وأشد خضوعا وانكسارا بين يديه تفتحت له أبواب مشرعة إلى أفق فسيح في العزة والعلو والرفعة، وأي عزة فوق أن يقصر العبد ذله وخضوعه وعبادته لمن هو أهل لذلك، ربه ومولاه تبارك وتعالى، ويكون بذلك مستغنيا بالخالق عن خلقه، مستعزا ومستقويا ومستنصرا بمن له ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء^(٥).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب الطلاق - باب طلاق المكره والناسي - ص ٢٥٩٩ برقم (٢٠٤٥) بلفظ (إن الله وضع...)، وابن حبان في صحيحه ٢٠٢/١٦ برقم (٧٢١٩)، والحاكم في المستدرک ٢/٢١٦، والطبراني في المعجم الكبير ١١/١٣٣، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٦٠ عن ابن عباس، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١٥٥.

(٣) يقصد الشيخ آدم بهذا بعض العلماء الذين عرفوا الحق ويكرهون هذه التحايا بقلوبهم لكنهم لا يجاهرون بالإنكار على الناس طمعا في الحصول على ما عند الأمراء والسلطين الذين يحبون هذه التحايا.

(٤) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص ١٩.

(٥) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٤٧٢.

وما أجل الحياة! وما أسعد النفوس حين تكون جباهها طاهرة من سجود لغير الله تعالى، وتتطهر في الوقت نفسه بكثرة التزام الأرض سجوداً بين يدي خالقها وبارئها تعالى^(١). فكل من فهم مضمون العبادة وأنه الخضوع والتذلل، وأخلص ذلك لله، ثم استشعر عظمته في كل حال من أحواله، فإن الله سيرفع قدره، ويعلي ذكره، ويجعل أكبر جباية الأرض صغيراً في عينيه، وينجيه من كل ما يدار حوله من كيد الأعداء، وأمثلة ذلك كثيرة في حياة سلف هذه الأمة المنصورة والله الحمد.

ومن النماذج التي تناسب هذا المقام قصة المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى أرض الحبشة وموقفهم مع كفار قريش أمام النجاشي.

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ننتقل إلى أرض النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً؛ فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وجمعوا للنجاشي هدايا، فقدمنا وقدموا على النجاشي، فأتوه بهدية فقبلها، وسجدوا له ثم قال عمرو بن العاص: إن قوماً منا رغبوا منا عن ديننا وهم في أرضك، فقال لهم النجاشي: في أرضي؟ قال: نعم، قال: فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم. فانتبهنا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه، وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين، فقال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك. فلما انتهينا إليه زبرنا^(٢) من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله. فقال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث فينا رسوله، وهو الرسول الذي بشر به عيسى برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف، ونهانا عن المنكر، قال: فأعجب الناس قوله، فلما رأى ذلك عمرو قال له: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم، فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه هو روح الله وكلمته أخرجته من البتول العذراء لم يقربها بشر، قال: فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا

(٢) المرجع السابق ص ٤٧٢.

(٣) زبره: انتهره ونهاه عن الإقدام على ما لا ينبغي. انظر: لسان العرب ٣١٥/٤ مادة (زبر).

أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأنتيته حتى أحمل نعليه، امكثوا في أرضي ما شئتم. وأمر لهم بطعام وكسوة وقال: ردوا على هذين هديتهم^(١).

هكذا ينصر الله من يخلص عبوديته له سبحانه وتعالى، ويمكنه في أرضه، وينجيه من كيد أعدائه، ويمثل هذا فليعمل العاملون، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: ٥٥).

شبه وردود

الشبهة الأولى:

استدلواهم بالحديث الموضوع: (عادة أهل البلد كالسنة)، والأثر: (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ).

ورد هذه الشبهة كالتالي:

إن الذين لا يرون احترام الناس لهم إلا بالركوع والسجود من المنتسبين للعلم الشرعي يستدلون بما يزعمونه حديثا وهو قولهم: (عادة أهل البلد كالسنة)، وهذا القول ليس في شيء من كتب الحديث أصلا، لا بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف، إنما هو موضوع، كذبوا به على رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه، ولقد توصلت إلى هذه الحقيقة بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال، إذن فلا يقوم الاحتجاج بمثله أصلا.

وأما الأثر: (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ)، وهو أثر ثابت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلا أنه ليس حجة لهم.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٣٨/٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٥٠/٧، وأبو نعیم في حلیة الأولیاء ١١٥/١ عن أبي موسى، وقال الحاكم: صحیح علی شرط الشیخین، ووافقه الذهبي في التلخیص.

وقد تحدث حول هذا الأثر الإمام ابن القيم رحمه الله في الفروسية فقال: "ليس من كلام رسول الله، وإنما يضيفه إلى كلامه من لا علم له بالحديث، وإنما هو ثابت عن ابن مسعود من قوله، ذكره الإمام أحمد وغيره موقوفاً عليه"^(١).

ومن جهة الاستدلال بالأثر فقد أجاب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني إجابة مفصلة تفي بالمقصود في هذا الصدد؛ ولذلك أرى الكفاية في إيراد كلامه، يقول- رحمه الله تعالى: "إن من عجائب الدنيا أن يحتج بعض الناس بهذا الحديث على أن في الدين بدعة حسنة، وأن الدليل على حسنها اعتياد المسلمين لها!!

ولقد صار من الأمر المعهود أن يبادر هؤلاء إلى الاستدلال بهذا الحديث عندما تثار هذه المسألة.

وخفي عليهم:

أ- أن هذا الحديث موقوف، فلا يجوز أن يحتج به في معارضة النصوص المرفوعة القاطعة في أن (كل بدعة ضلالة)؛ كما صح عنه- صلى الله عليه وسلم.

ب- وعلى افتراض صلاحية الاحتجاج به؛ فإنه لا يعارض تلك النصوص لأمر:
الأول: أن المراد به إجماع الصحابة واتفاقهم على أمر؛ كما يدل عليه السياق، ويؤيده استدلال ابن مسعود به على إجماع الصحابة على انتخاب أبي بكر خليفة.
وعليه؛ فاللام في (المسلمون) ليس للاستغراق كما يتوهمون، بل للعهد.

الثاني: سلمنا أنه للاستغراق، ولكن ليس المراد به قطعاً كل فرد من المسلمين، ولو كان جاهلاً لا يفقه من العلم شيئاً؛ فلا بد إذن من أن يحمل على أهل العلم منهم، وهذا مما لا مفر لهم منه فيما أظن"^(٢).

الشبهة الثانية:

(١) الفروسية للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ص ٢٩٨-٢٩٩، تحقيق مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان ط/الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، دار الأندلس- السعودية.

(٢) علم أصول البدع ص ١٣١-١٣٢.

تجوزهم للسجود لغير الله مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٣٤)، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۗ﴾ (يوسف: ١٠٠).

ورد هذه الشبهة كالتالي:

لا يحتاج رد هذه الشبهة إلى إطالة الكلام، وقد سلف القول بأن السجود المصروف للمخلوق بأمر الله تعالى وشرعه في هاتين الآيتين ليس من معاني العبادة، بل هو للتكريم والتشريف والتحية، والتحية بهذه الصورة كانت مما هو مباح في شريعتهم، ولكنها منسوخة في الشريعة التي جاء بها نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم، يدل على ذلك عموم النهي عن السجود لغير الله مثل قوله جل وعلا: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: ٣٧).

استدل الشيخ إسماعيل الدهلوي بهذه الآية الكريمة على كلامه تحت عنوان: (السجود بجميع أنواعه لا يجوز إلا لله تعالى)، وعلق عليها قائلاً:

"فقد دلت هذه الآية على أن السجدة من أعظم شعائر العبادة، وهي مختصة بالخالق جل وعلا، فلا تجوز لمخلوق، وقد تساوى في هذه الصفة القمر والشمس، والني والولي، ومن قال إنه قد جاز السجود في الأديان القديمة لبعض المخلوقات، ونقل ذلك بالخبر الصحيح، فصح سجود الملائكة لآدم، وسجود يعقوب ليوسف، فلا بأس أن نسجد لشيخ أو ولي، فهذا باطل. فقد جازت أشياء في الأديان السابقة وحرمت في ديننا، وقد أبيض النكاح بالأخوات الشقيقات في عهد آدم، فهل يبيح هؤلاء المحتجون بهذه الدلائل أن يتزوج الإخوة أخواتهم؟ والأصل أن العبد مكلف بامتثال أمر ربه، فعليه أن يمتثل أمره عن رضا وطواعية نفس، لا يجد في نفسه حرجاً مما أمر به، ولا يحاج ولا يتشبث بأمور الأولين وأخبارهم، وبأن هذا الأمر بدع لم يسبق له نظير، أو معارض للشرائع القديمة، لأن هذا يؤدي إلى الكفر، ومثل ذلك أن ملكاً أصدر مرسوماً في مملكته، وبقي هذا المرسوم مدة ثم نسخ، وأبدل بمرسوم آخر، فمن قال إني سأظل متمسكاً بالمرسوم الأول ولا أقبل المرسوم الجديد اعتبر خارجاً على الملك محارباً له"^(١).

(١) رسالة التوحيد للدهلوي ص ٩٦-٩٨.

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام، فحرم هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى، هذا مضمون قول قتادة وغيره" (١).

ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ ﴾ (يوسف: ١٠٠) أي الأبوان والأخوة، والمعنى: أنهم خروا ليوسف سجدا، وكان ذلك جائزا في شريعتهم منزلا منزلة التحية" (٢).

الشبهة الثالثة:

زعم بعضهم بأن السجود المنهي عنه هو وضع الجبهة على الأرض.

ورد هذه الشبهة كالتالي:

نقول: إذا كانوا يزعمون بأن السجود المنهي عنه في الأدلة التي ورد فيها النهي عن السجود لغير الله هو وضع الجبهة على الأرض، فماذا يقولون في تلك الأدلة التي ورد التصريح فيها بالنهي عما لا يصل إلى حد السجود بهذا المعنى مثل حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: (لا)، قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: (لا) قال: أفياخذ بيده ويصافحه؟ قال: (نعم) (٣).

فيعلم من ذلك بأن شريعتنا الغراء تنهى عن صرف السجود بمعنى وضع الجبهة على الأرض لغير الله كما تنهى عما هو أقل منه مثل الركوع والانحناء، سواء بالرأس أو بالجزء الأعلى من البدن أو بالظهر كله.

الشبهة الرابعة:

يحتج بعض المنتسبين للدراسات الإسلامية ممن لا يرون الاحترام إلا في الانحناء والركوع والجلثو، يحتج على جواز هذه الأنواع من عادات القوم في التحية بما ورد في بعض الأحاديث

(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٤٦٩.

(٣) فتح القدير ٣/٦٨.

(٤) سبق تخريجه ص ٤٧.

من بروك الصحابة الكرام أمام رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - مستدلا بتعليق الحافظ ابن حجر على إحدى هذه الأحاديث^(١) وهو قوله رحمه الله: "وفي هذا الحديث... جواز تقبيل رجل الرجل، وجواز الغضب في الموعظة، وبروك الطالب بين يدي من يستفيد منه، وكذا التابع بين يدي المتبوع إذا سأله في حاجة"^(٢).

ذكر بعض ما استدلوا به من الأحاديث:

منها: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر، فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أمورا عظاما ثم قال: (من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا). قال أنس: فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول: (سلوني). قال أنس: فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله؟ قال: (النار). فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال: (أبوك حذافة). قال: ثم أكثر أن يقول: (سلوني سلوني). فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديننا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا. قال: فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال عمر ذلك، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (أولى والذي نفسي بيده، لقد عرضت علي الجنة والنار أنفا في عرض هذا الحائط وأنا أصلي فلم أر كاليوم في الخير والشر)^(٣).

وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (أما صاحبكم فقد غامر). فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك، فقال: (يغفر الله لك يا أبا بكر) ثلاثا. ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي -

(١) حديث أنس بن مالك الذي فيه (من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه...).

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٣/٢٧٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه - ص ٦٠٧ برقم (٧٢٩٤)، ومسلم في صحيحه - كتاب الفضائل - باب توقيه صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه - ص ١٠٩٢ برقم (٢٣٥٩) عن أنس بن مالك.

صلى الله عليه وسلم - فسلم، فجعل وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - يتمعر^(١) حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله! والله أنا كنت أظلم، مرتين. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟)، مرتين. فما أؤذي بعدها^(٢).

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (إن الله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الشهداء والنيبون يوم القيامة لقرهم من الله تعالى ومجلسهم منه)، فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله صفهم لنا وحلهم لنا، قال: (قوم من أقناء الناس، من نزاع القبائل، تصادقوا في الله وتحابوا فيه، يضع الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور، يخاف الناس ولا يخافون، هم أولياء الله عز وجل، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)^(٣).

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نتمنى أن يأتي الأعرابي العاقل فيسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - ونحن عنده، فبينما نحن كذلك إذ أتاه أعرابي فجثا بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! إن رسولك أتانا فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فبالذي رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال! الله أرسلك؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (نعم)^(٤).

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

- (١) يتمعر: أي يتغير وتذهب نضارته من الغضب، وأصله من العر وهو الجرب، يقال: أمر المكان إذا أجرب. انظر: فتح الباري ٢٥/٧، غريب الحديث تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي ٣٦٤/٢، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، ط/الأولى ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذًا خليلًا) - ص ٢٩٧ برقم (٣٦٦١) عن أبي الدرداء.
- (٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ١٨٨/٤ عن عبد الله بن عمر، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٤٦٤).
- (٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، ص ٦٨٢ برقم (١٢) بدون لفظ: (فجثا بين يدي النبي)، والترمذي في سننه - كتاب الزكاة - باب ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك - ص ١٧٠٦ برقم (٦١٩)، والدارمي في سننه - كتاب الطهارة - باب فرض الوضوء والصلاة - ١٧١/١ برقم (٦٥٠) عن أنس بن مالك، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

١- أن الاحتجاج بمثل هذه الأحاديث على جواز التحية بالانحناء والركوع والجثو على الركب استدلال في غير محله، فإن هذه الأحاديث كلها لم ترد في الأمر الذي نحن بصدده وهو التحية بهذه الطرق.

٢- أن كل ما ورد من برك الصحابة أو جثوهم عند النبي - عليه الصلاة والسلام - يأتي لأحد هذين الأمرين:

الأمر الأول: إذا حدث أمر أدى إلى غضب النبي - صلى الله عليه وسلم - سواء كان بفعل أحد منهم أو بفعل أكثر من واحد؛ فيرى من يجثو على ركبتيه تعظيماً وإجلالاً لشأن الرب سبحانه وتعالى وأدباً مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وإكراماً له لما يعرفون من استجابة ربه لدعائه إذا غضب، فيصحب هذا الجثو التضرع إلى الله تعالى خوفاً من نزول العقوبة، وإلى هذه الحقيقة يدل حديث أنس بن مالك عند البخاري ومسلم، وحديث أبي الدرداء عند البخاري.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح حديث أنس المتقدم: "قال ابن بطال: فهم عمر منه أن تلك الأسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الشك، فخشى أن تنزل العقوبة بسبب ذلك فقال: رضينا بالله ربا الخ، فرضي النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك فسكت" (١).

وقال النووي رحمه الله: "قال القاضي: وظاهر الحديث أن قوله - صلى الله عليه وسلم -: سلوني، إنما كان غضباً، كما قال في الرواية الأخرى: سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: سلوني، وكان اختياره - صلى الله عليه وسلم - ترك تلك المسائل، لكن وافقهم في جوابها لأنه لا يمكن رد السؤال، ولما رآه من حرصهم عليها، والله أعلم. وأما برك عمر رضي الله عنه وقوله فإنما فعله أدباً

وإكراماً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشفقة على المسلمين لئلا يؤذوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فيهلكوا" (٢).

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١/١٨٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١١٣.

الأمر الثاني: إذا أراد أحدهم أن يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن شيء من أمور الدين وكان الرسول جالسا، يدل على ذلك حديث ابن عمر عند الحاكم وحديث أنس عند الترمذي.

وقد استنتج الحافظ ابن حجر هذا الأمر من حديث أنس السابق حيث قال: "وفي هذا الحديث... جواز تقبيل رجل الرجل وجواز الغضب في الموعظة وبروك الطالب بين يدي من يستفيد منه وكذا التابع بين يدي المتبوع إذا سأله في حاجة"^(١).

٣- أن ما فعله بعض الصحابة من البروك والجتو على الركب في هذه الأحاديث ليس فيه أدنى دليل على التحية بالانحناء والركوع والقعود؛ لأن المواقف في تلكما الأمرين المذكورين تتطلب تلك التصرفات أعني الجتو والبروك، ويؤكد ما نقوله:

(أ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه وجثا على ركبتيه ومد يديه وقال: (اللهم إني أسألك خير هذه الرياح وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به، اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا، ولا تجعلها ريحا)^(٢).

ففي هذا الحديث الشريف برهان ساطع على مسيس حاجة الإنسان إلى التضرع والتطامن والتذلل لله تعالى عند خوف نزول العقوبة، فحالة المرء الراجي رحمة ربه والخائف من عذابه يتطلب أن يقدم بين يديه كل شيء يظهر به ضعفه ويعلن به حاجته إلى مولاه القدير القاهر، فهذا رسول الهدى وأفضل الورى وأكرم الخلق على الله تعالى يجتو على ركبتيه خوفا من ربه جل وعلا ورحمة بأمته وشفقة عليهم، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

(ب) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٧٠/١٣.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢١٣/١١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٥/١٠: رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس الرحي أبو علي الواسطي الملقب بجنش وهو متروك، وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٤٢١٧).

عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام... (١).

وكذلك يظهر في هذا الحديث احتياج السائل إلى أن يجلس أو يقعد أو يبرك أمام المسؤول إذا كان المسؤول جالسا، وهذا أمر بدهي لا يحتاج إلى الاستدلال؛ إذ لا يعقل أبدا أن يكون المعلم في حالة الجلوس ويقوم عليه الطالب استعلاء، فما من شك أن هذا يتنافى مع آداب طلب العلم. فالبروك والجلوس على الركبتين هنا كان في مقام التعليم، فلا يستدل به على الجلثو أو الانحناء في التحية.

٤ - نفترض أننا سلمنا جدلا بأن ما فعله الصحابة من البروك والجلثو على الركب في تلك الأحاديث فعلوه تعظيما واحتراما للنبي - عليه الصلاة والسلام - فإن ذلك يكون في حالة خاصة لا يمكن تعميمه، فالنبي - عليه الصلاة والسلام - لن يقبل مثل هذا النوع من الاحترام في التحية؛ لأنه يخالف تماما ما عرف عنه، وما حث عليه صحابته من التواضع وخفض الجناح لأهل الإيمان. ومما ورد في تواضعه - صلوات ربي وسلامه عليه:

قوله - صلى الله عليه وسلم: (إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد) (٢).

وقال الإمام ابن القيم: "دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة عام الفتح واضعا رأسه منحنيا على فرسه حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته" (٣).

وفي هديه - صلى الله عليه وسلم - في هيئة الجلوس للأكل تقول عائشة رضي الله عنها: كان لا يأكل متكئا، ويقول: (أكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد) (٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان... - ص ٦٨١ برقم (٨) عن عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار - ص ١١٧٥ برقم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار.

(٣) زاد المعاد ٤١٨/٣، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣٥٢/٤ بلفظ: (دخل مكة وذقنه على رحله متخشعا) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط مسلم.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣١٨/٨ عن عائشة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٨٢/٨: رواه أبو يعلى وإسناده حسن. مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، ط/الأولى

"وكان يأكل وهو مقع، ويذكر عنه أنه كان يجلس للأكل متوركا على ركبتيه، ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعا لربه عز وجل، وأدبا بين يديه، واحتراما للطعام وللمؤاكل"^(١).

وله أيضا من الأخلاق أطيها وأزكاها كالحلم، والوقار، والسكينة، والرحمة، والصبر، والوفاء، وسهولة الجانب، ولين العريكة، والصدق، وسلامة الصدر من الغل والغش والحقده والحسد، والتواضع، وخفض الجناح لأهل الإيمان^(٢).

الفصل الثاني

النذر والذبح

المبحث الأول

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار المأمون للتراث - دمشق.

(٢) زاد المعاد ٢٠٢/٤.

(٣) المرجع السابق ٦٥/١.

وجوب إفراد الله تعالى بالنذر والذبح

أولاً: النذر

النذر لغة: الإيجاب^(١)، يقال: نذر على نفسه، يندُر، ويندُر نذراً ونذوراً: أوجبه^(٢).
والنذر شرعاً: إلزام مكلف مختار نفسه لله تعالى شيئاً غير محال بكل قول يدل عليه^(٣).
وقد كان مما عليه أهل الجاهلية من الشرك النذر لغير الله واحترام تلك النذور وجعلها
أشد حرمة مما يندرونه لله تعالى، يقول جل شأنه: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ
وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٣٦).

"روى ابن أبي حاتم في الآفة: يعني جعلوا لله جزءاً من الحرث ولشركائهم ولأوثانهم
جزءاً، فما ذهبت به الريح مما سموا لله إلى جزء أوثانهم تركوه، وقالوا: الله عن هذا غني، وما
ذهبت به الريح من جزء أوثانهم إلى جزء الله أخذوه. وعباد القبور يجعلون لله جزءاً من أموالهم
بالنذر والصدقة وللأموات والطواغيت جزءاً كذلك"^(٤).

أما أهل الإيمان فإنهم لا يعقدون نذورهم إلا لله تعالى تحقيقاً للتوحيد، كما أخبر الله
جل وعلا عن امرأة عمران في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾ (آل عمران: ٣٥)، وقال تعالى عن مريم - عليها السلام: ﴿
فَأِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ (مريم: ٢٦)، كما أثنى على

(١) الروض المربع شرح زاد المستقنع تأليف منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ٣/٣٧٥، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض
١٣٩٠هـ.

(٢) انظر: القاموس المحيط ص ٦١٩ مادة (نذر).

(٣) الروض المربع ٣/٣٧٥، شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى تأليف منصور بن يونس بن
إدريس البهوتي ٣/٤٧٢، ط/الثانية ١٩٩٦م، دار عالم الكتب - بيروت.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ١٦٥.

المؤمنين الذين يوفون بندورهم فقال جل وعلا: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان: ٧).

هذا هو المنهج عند أهل الإيمان من الأنبياء والرسل وأتباعهم، ولم يأت قط عن أحد منهم أنه نذر لغير الله؛ لما هو متقرر عندهم من أن النذر عبادة يتقرب بها الناذر للمندور له، والعبادات كلها حق خالص لله تعالى لا يشاركه فيها أحد كائنا من كان^(١).

الأدلة الدالة على أن النذر عبادة، وأن صرفها لغير الله شرك:

مما يدل على أن النذر عبادة يجب إفراد الله تعالى بها وأن صرف شيء منها لغير الله شرك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ رَبُّهُ﴾ (البقرة: ٢٧٠)، "فقرن النذر مع النفقة والصدقة، والنفقة والصدقة عبادة، فيكون النذر عبادة"^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (الحج: ٢٩)، قرن النذر مع الطواف، والطواف عبادة لله عز وجل، فالوفاء بالنذر عبادة^(٣).

ومنه ما روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه)^(٤).

وما روي عن عبد الله بن عمر، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال: يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم: (أوف نذرك)، فاعتكف ليلة^(٥).

(١) انظر: شبهات المبتدعة ص ٤٣٤.

(٢) سلسلة شرح الرسائل للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشرح بقلم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ص ٢٥٩، أشرف على طبعه عبد السلام بن عبد الله السليمان ط/الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأيمان والنذور - باب النذر في الطاعة - ص ٥٥٩ برقم (٦٦٩٦) عن عائشة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاعتكاف - باب من لم ير عليه صوما إذا اعتكف - ص ١٥٩ برقم (٢٠٤٢)،

ومسلم في صحيحه - كتاب الأيمان - باب نذر الكافر وما يفعل فيه إذا أسلم - ص ٩٦٨ برقم (١٦٥٦) عن ابن عمر.

وينبغي أن يعلم أن ما أمر الله ورسوله بالوفاء به من النذور فيما سبق من الأدلة فإنه نذر طاعة، كأن ينذر المرء أن يتصدق أو يصلي أو يصوم أو يحج أو غير ذلك من فعل الطاعات، أما نذر المعصية فإنه يحرم الوفاء به، بدليل حديث عائشة^(١).

ففي هذه الحجج والبراهين المذكورة دلالة صريحة على أن الوفاء بالنذر عبادة يجب إفراد الله تعالى بها، وأن صرف شيء منها لغير الله شرك أكبر.

ولعلماء أهل السنة والجماعة أقوال عدة في تقرير هذا الأصل المهم، بينوا من خلالها زيغ الناذرين لغير الله وضلالهم.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر، أي تقبل العبادة من دون الله تعالى، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له"^(٢).

ثانياً: الذبح

الذبح في اللغة: الشق^(٣). قال ابن فارس: "ذبح: الدال والباء والحاء أصل واحد، وهو يدل على الشق. فالذبح: مصدر ذبحت الشاة ذبحاً"^(٤).

وشرعاً: قطع الحلقوم والمريء والودجين^(٥)، وقيل: هو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص^(٦).

والذبح عبادة عظيمة يجب إفراد الله تعالى بها، ولا ينبغي صرف شيء منها لغيره، فغير الله لا يستحق العبادة؛ إذ هو عبد مملوك، والعبد لا يعبد، حتى لو كان من أشرف العباد كالملائكة والرسل والأولياء، كلهم عبيد لله عز وجل؛ ولذلك بين النبي - صلى الله عليه وسلم - كما بين الأنبياء والرسل قبله بأن دينه مخالف لدين المشركين، قال تعالى آمراً رسوله

(٢) سبق تخرجه ص ٣١١، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (من نذر أن يطيع الله فليطعه...).

(٣) إغاثة اللهفان ٢١٢/١

(٤) انظر: القاموس المحيط ص ٢٧٨، المصباح المنير ص ١٧٣ مادة (ذبح).

(٥) معجم مقاييس اللغة ص ٣٧٢ مادة (ذبح).

(١) المغني لابن قدامة ١٢٠/١١.

(٢) معجم ألفاظ العقيدة ص ١٨٢.

بإعلان البراءة من المشركين وما يعبدونه من دونه: ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (الكافرون: ١-٦)، فالمشركون يذبحون لغير الله، أما النبي- صلى الله عليه وسلم- ومن اتبعه فإنهم يقدمون ذبائحهم لله وحده لا شريك له ويصلون له، كما أنهم لا يصلون لغيره وكذلك لا يذبحون لغيره.

وعلى ذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم، فلم ينقل عن أحد منهم أنه ذبح لأحد من المخلوقين، بل لم يكونوا يذبحون له- عليه الصلاة والسلام، وهم يعلمون أنه- صلى الله عليه وسلم- أكرم الخلق على الله تعالى، وأحبهم إليه؛ وذلك لكمال علمهم بما أنزل الله تعالى على رسوله- صلى الله عليه وسلم، وتحقيقهم للمقصد الأسمى الذي خلق الجن والإنس من أجله وهو تحقيق التوحيد الخالص لله عز وجل^(١).

والذبح على وجه التقرب كان موجودا في الجاهلية، كانوا يذبحون للأصنام، ويذبحون للجن، ويذبحون للكواكب، وغير ذلك مما سوى الله عز وجل. والذبح لغير الله جريمة نكراء لعن الله من اقترفها على لسان رسوله- صلى الله عليه وسلم- فقال: (لعن الله من ذبح لغير الله)^(٢)، ولا فرق بين أن يكون الشيء المذبح كثيرا أو

قليلًا، جليلا أو حقيرا^(٣).

والمقصود بالذبح لغير الله أن يذكر على الذبيحة غير اسم الله أو يكون في نيته وقلبه واعتقاده أنه يتقرب بهذه الذبيحة إلى غير الله، أو يريد بهذه الذبيحة دفع شر هذا المذبح له، فيذبح للجن من أجل دفع شرهم، وخوفا منهم، أو يذبح للصنم من أجل أن الصنم يجلب له الخير... " (٤)

(٣) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٤٤٥.

(٤) سيأتي تخرجه ص ٣١٦.

(١) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان ١/١٦٧-١٦٨.

(٢) المرجع السابق ١/١٦٨.

والذبح ينقسم إلى قسمين^(١):

القسم الأول: الذبح لأكل اللحم، ويقع على وجهين^(٢):

الوجه الأول: أن يقع فرحا وإكراما للضيف، أو وليمة لعرس، أو نحو ذلك، "فهذا من الأمور العادية التي قد تكون مطلوبة أحيانا وغير مطلوبة أحيانا، فالأصل أنها مباحة"^(٣).

الوجه الثاني: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك، فهذا أيضا الأصل فيه الإباحة، قال تعالى: ﴿أَوْلَمَ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

ويدخل في هذا النوع ما ذبح عند النزول أو الانتقال إلى بيت جديد من باب الفرح والسرور، ودعوة الجيران الأقارب.

وهذا القسم الأول الذي حكمه الإباحة بنوعيه يشترط فيه أن يذكر اسم الله عند الذبح لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴿١٢١﴾﴾. أما إذا ذكر اسم غير الله على الذبح فإنه حينئذ يخرج من كونه مباحا ويصبح أكله محرما على المرء المسلم.

القسم الثاني: ما ذبح عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبح له، والتذلل له، والتقرب إليه، فهذا نوع من أنواع العبادة؛ ولذلك لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه، وصرف شيء منه لغير الله شرك مخرج من الملة، يقول عز من قائل: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾، ويقول جل وعلا: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾﴾.

فذبح الأضاحي، وذبح الهدى، وذبح العقيدة للمولود كلها عبادة لا يجوز التقرب بها إلا لله تعالى، ومن ذبح لغير الله على وجه التقرب فإنه يكون مشركا الشرك الأكبر.

وعلى هذا فيدخل فيما ذبح لغير الله الأصناف التالية^(٤):

(٣) سلسلة شرح الرسائل ص ٢٥٧.

(٤) انظر: معجم ألفاظ العقيدة ص ١٨٢.

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٢١٤/١.

- ١- ما ذبح للأصنام تقرباً إليها.
- ٢- ما ذبح للحم وذكر عليه اسم غير الله.
- ٣- ما ذبح تعظيماً لمخلوق وتحمية له عند نزوله ووصوله إلى المكان الذي يستقبل فيه.
- ٤- ما ذبح عند انحباس المطر في مكان معين أو عند قبر لأجل نزول المطر.
- ٥- ما ذبح عند نزول البيوت خوفاً من الجن أن تصيبه، كل هذا يدخل في الذبح لغير الله، ويكون شركاً بالله سبحانه وتعالى.

أدلة وجوب إفراد الله بالذبح، وأن صرفه لغير الله شرك:

هناك أدلة كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - تدل دلالة واضحة على أن الذبح عبادة عظيمة يجب إفراد الله بها، وأن صرفها لغير الله شرك، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۗ ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

وقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَجْ ﴾ (الكوثر: ٢).

ومن السنة ما روي عن أبي الطفيل قال: قلنا لعلي بن أبي طالب: أخبرنا بشيء أسره إليك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ما أسر إلي شيئاً كتّمه الناس ولكني سمعته يقول: (لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير المنار)^(١).

ومنها ما جاء عن طارق بن شهاب عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (دخل رجل الجنة في ذباب ودخل النار رجل في ذباب)، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: (مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب إليه شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً،

(١) إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١/١٦٩.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الأضاحي - باب تحريم الذبح لغير الله - ص ١٠٣١ برقم (١٩٧٨)

عن أبي الطفيل.

فدخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا غير الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة^(١).

ما يحمد عليه مسلمو نيجيريا فيما يتعلق بالنذر والذبح

مما يشهد له الواقع أن مسلمي نيجيريا من أكثر مسلمي العالم قياما بعبادة الذبح تعظيما للمولى جل وعلا وتقربا إليه، يتضح ذلك من خلال بذلهم لكل غال ونفيس مما يملكونه لشراء شيء من بهيمة الأنعام يذبح أو ينحر أضحية في أيام عيد الأضحى المبارك، فلا تكاد تجد بيتا من بيوت المسلمين قبل حلول العيد بأسابيع إلا ويربط أمامه كبش أو بقرة أو تيس على الأقل.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد ص ١٥-١٦، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤٧٣/٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٤٨٥/٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٠٣/١.

ولقد بلغ الأمر بهؤلاء المسلمين إلى أن يعتقدوا أن من ذبح لله مرة في عيد الأضحى يلزمه القيام بهذه العبادة العظيمة طيلة حياته؛ ولذلك تجد أمثال هؤلاء إذا كان ممن قدّر عليه رزقه يبدأ في جمع ما سيكفيه لشراء أضحيته قبل حلول عيد الأضحى بأشهر.

وإن كان في هذا الأمر نوع من تكليف الإنسان نفسه بما لا تطيق، لكنه دليل واضح على حب هؤلاء القوم لإراقة دماء بهيمة الأنعام تعبداً لله تعالى وتعظيماً لشعائره.

ومما يحسن التنبيه له أن محبة مسلمي نيجيريا لعبادة الذبح لله تعالى لم يقتصر على وقت عيد الأضحى فقط، وإنما قد صار من ديدنهم أنهم يمثلون أوامر ربهم في الذبح كلما أمر به، فتجدهم يفضلون الذبح للهدى إذا حجوا، كما يذبحون للأضاحي وعقيقة المولود متعبدين بكل ذلك لخالقهم ومولاهم سبحانه وتعالى.

وعلى الرغم من وجود هذا الخير لدى مسلمي نيجيريا فإنه لا يزال يوجد فئات من المسلمين أخذهم حب الدنيا وأدى بهم إلى النذر والذبح وتقديم القرابين لغير الله تعالى، وأكثر من يقدم على هذا الفعل الشنيع جهلة المسلمين وبعض المنتسبين للدراسات الإسلامية والمتصوفة.

المبحث الثاني

النذر والذبح لغير الله حكمهما وصورهما

صور النذر والذبح لغير الله لدى مسلمي نيجيريا:

النذر لغير الله لدى مسلمي نيجيريا له صورتان:

الصورة الأولى:

النذر للمشايخ الأحياء، ويحصل هذا من بعض الجهلة الذين اتخذوا بعض ضعاف الإيمان من المنتسبين للدراسات الإسلامية زعماء روحانيين لأنفسهم، يلجأون إليهم عند الحاجة كطلب المال والولد، أو شفاء المريض، أو قضاء الديون. وهؤلاء المنتسبون للدراسات الإسلامية هم في حقيقة الأمر أذعياء العلم وليسوا بعلماء بل عملهم الحقيقي هو السحر والشعوذة لكنهم يخادعون الناس بأنهم يدعون الله لهم عند الحاجة، وهم بعيدون كل البعد عن يدعو الله لمساعدة الناس على قضاء حوائجهم.

وإذا توجه واحد من هؤلاء الجهلة إلى المشعوذين بطلب شفاء مريض له مثلا فإنه بنفسه يبدأ ينذر لهذا المشعوذ أو الساحر قائلا: إذا شفي مريض فللشيخ كذا وكذا من المال.

الصورة الثانية:

النذر للأموات: إن هذه الصورة من صور النذر لغير الله لم تكن منتشرة جدا كسابقتها لكن ذلك لا يمنع من ذكرها والكلام عنها؛ إذ إنه قد أخذ في طور الانتشار وخاصة بين المتصوفة. وإذا كان سبب دعاء المتصوفة مشايخهم الميتين وتوسلهم بهم هو الاعتقاد بأن هؤلاء المشايخ ينفعون ويضرون فيني لم أجد ما يمنعهم من تقديم النذور لهم أيضا؛ لأن العلة في المسألتين واحدة.

ثم ليعلم أن جريمة دعاء غير الله أعظم من جريمة النذر لغيره مع أن كليهما شرك، فالذي دعا غير الله فبمجرد توجيه دعائه هذا لغير مستحقه فإنه قد أشرك، أما الذي نذر لغير الله فلو أدركه من يبين له الحق قبل وفائه بنذره ثم رجع عنه ولم يوف به واستغفر ربه بعد ذلك فإنه لم يكن مشركا.

فأتباع المتصوفة ومريدوهم وكثير ممن يقتدون بهم من العوام كانوا يندرون لأهل القبور عند زيارتهم لهم؛ إذ إن زيارتهم ليست شرعية وإنما يزورون تلك المشاهد والأضرحة لعرض حاجاتهم على أصحابها لتقضى، وأثناء تلك الزيارة البدعية يقع ما يقع من النذور لأولئك الأموات، كما يحصل في قبر الشيخ عثمان بن فودي في مدينة "سوكوتو" وقبر الشيخ محمد ناصر المختار الكبرى القادري في مدينة "كانو" وغيرهما من القبور التي تزار في شمال نيجيريا.

أما الذبح لغير الله لدى مسلمي نيجيريا فله أيضا صورتان:

الصورة الأولى:

الذبح وتقديم القران لشياطين الإنس:

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله تعالى عند كلامه عن الجمعيات الوثنية: "فالجمعيات الوثنية هي التي تمثلها الطوائف الوثنية من عبدة القوى الطبيعية وعبدة أرواح الأسلاف وغيرها، وأعظم الجمعيات الوثنية شوكة هي الجمعيات السرية التي يتألف أعضاؤها من الكهنة والأقبال والملوك الذين يجتمعون فيما بينهم للتآمر على الاغتيالات وسلب الحقوق من أصحابها"^(١).

وقال أيضا في كلامه عن العين واعتقاد الناس فيها: "إن من اعتقاد اليورباويين حتى اليوم مسألة المرأة العائنة التي تمتص دماء الأطفال والمرضى، يوجد هذا الاعتقاد في جميع الشعوب الإفريقية، ولكنه عند اليوربويين أشد وأرسخ؛ إذ يقل من لا يعتقد بصحتها من سائر طبقات الناس، وكادوا يقولون إنه لا بد من وجود امرأة عائنة واحدة من بين عشر نسوة ويسمونها (طير سوء)؛ لأنها غالبا تستعمل طير البوم في امتصاص دماء الناس"^(٢).

فهاتان الفئتان من شرار الناس هما اللتان أطلقت عليهما اسم شياطين الإنس، فلا نستغرب من انضمام بعض المسلمين إلى هاتين الفئتين أو تعامله معهما، وخاصة الجمعيات السرية الوثنية؛ لأنها مثل الماسونية اليهودية التي تجعل التعاون والإخاء شعارا لها وفي الحقيقة هي وثنية من جميع النواحي.

فيوجد الكثير من ضعاف الإيمان من مسلمي نيجيريا الذين لا تسعهم شمولية هذا الدين من يتقربون إلى هؤلاء الشياطين من الإنس بالذبح لهم وتقديم القران بأنواعه؛ ليقضوا لهم حوائجهم أو خوفا منهم من أجل أن لا يضروهم.

وكما تبين سابقا من خلال كلام الشيخ آدم عبد الله الألوري أن هاتين الفئتين تتكون فرقتهما من الكهنة والسحرة والمشعوذين؛ ولذلك قلما تجد من يقدم شيئا من القرابين لهؤلاء الشياطين الأناسي إلا من قد انحرف عقديا بارتياحه لبيوت السحرة والمشعوذين.

فتجد أولئك السحرة والمشعوذين الذين هم الوسطاء بين هؤلاء المغفلين وشياطين الإنس يأمرؤهم بالذبح ويصرحون لهم بأن الذبيحة تقدم لشياطينهم؛ فتجدهم يعطون أوصافا

(١) موجز تاريخ نيجيريا ص ١٠٦.

(٢) نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوريا تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري ص ٣١، ط/الثالثة ١٤١١هـ-

١٩٩٠م، مكتبة وهبة- القاهرة.

دقيقة لتلك الذبيحة: نوعها، ولونها، والمكان الذي تذبح فيه، والوقت، وغالبا ما تتم هذه العملية في سرية تامة، داخل الغابات في غالب الأحيان وفي جوف الليل. وإن مما يحسن ذكره هنا أن هذه الصورة موجودة في شمال نيجيريا وجنوبها وشرقها بل عند جميع القبائل النيجيرية؛ إذ لا توجد قبيلة إلا وعندها الاعتقاد بحقيقة العين، وكذلك الجمعيات السرية كما سلف القول عنها في تمهيد هذا البحث^(١).

الصورة الثانية:

الذبح وتقديم القران لشياطين الجن، ويتم هذا العمل الخبيث عن طريق بعض مرضى القلوب من أدعياء العلم، وفي الحقيقة إني لم أعلم أحدا أشد سعيا في إفساد الإسلام وإضلال المسلمين من هؤلاء الناس، لقد وُجد فيهم من هو وثني قح وهو يدعي صحة انتسابه للإسلام، كما وجد فيهم من قد أخرج ما صنعت يداه من دائرة الدين الحنيف ولا يزال يعتبر نفسه من المؤمنين، أم ما ذا تقول أيها القارئ الكريم عن شخص يستخدم عظم ابن آدم ليصنع بعض العقاقير يعالج بها الناس؟ وبما تحكم على شخص قد صير نفسه عبدا لشياطين الجن، يقدم لهم ما يشاءون لكي يتعاونوا معه في أعماله التنتة؟ إنهم هم المفسدون حقا، وما أكثر أمثالهم في صفوف طلبة الدراسات الإسلامية في نيجيريا.

فطريقة هؤلاء المفسدين أنهم يجعلون أنفسهم زعماء روحانيين للمغترين بهم من جهلة المسلمين، وإذا احتاج الجهلة إلى قضاء حاجة ما كطلب سعة في الرزق، أو شفاء المريض، أو الانتقام من العدو، فإن زعماءهم المفسدين يفرضون عليهم الذبح أو تجهيز القران من الأطعمة وغيرها لشياطين الجن الذين يتعاونون معهم.

والمشكلة الكبرى في أمر هؤلاء المفسدين أنهم لا يصرحون أبدا بأن الذبيحة التي طلبوها ستقدم للجن؛ ولذلك قلما يشعر من وقع في قبضتهم من ذوي الحاجات وأمروه بهذا الذبح أنه أشرك بالله جل وعلا.

حكم هذه الصور:

إن النذر والذبح عبادتان لا ينبغي صرف شيء منهما إلا لله سبحانه وتعالى، ومن نذر لغير الله وأوفى بنذره، أو ذبح تعبدا وتعظيما لغيره فقد أشرك به تعالى وشابه أهل الجاهلية.

(١) انظر: ص ٢٣-٢٥ من هذا البحث.

فإفراد الله تعالى وحده بالنذر والذبح وغيرهما من أنواع العبادة هو الطريق المستقيم، والدين القويم الذي عليه أنبياء الله ورسوله - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبناء على هذه النصوص الواضحة التي لا تقبل التأويل فإن جميع ما ذكر آنفا من صور النذر والذبح لغير الله لدى مسلمي نيجيريا حكمها شرك، وذلك لما يأتي:

١- أن الله تعالى امتدح الموفين بندورهم، وهذا مقتضى لتحقيق العبادة التي صرفوها لربهم وحده، فقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان: ٧).

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن^(١) رحمه الله مستدلا بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ (البقرة: ٢٧٠)، وقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان: ٧)، على كون النذر عبادة لا يصح صرفها لغير الله: "فوصف خواص عباده بالوفاء بالنذر، وأثنى عليهم بذلك، وفي الآية الأخرى الوعد بالإثابة والجزاء، فثبت أنه عبادة يجبها الرب ويرضاها، أي الوفاء به، وما كان كذلك فيجب إخلاصه لله؛ لأن صرف العبادة لغير الله شرك"^(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: "فإن النذر عبادة مدح الله الموفين به، وأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالوفاء بنذر الطاعة، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة، فإن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، والنذر من ذلك، وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من

(١) هو عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي، فقيه، أديب، من آل الشيخ في نجد، ولد ببلدة الدرعية، وارتحل إلى مصر، من مؤلفاته: منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، توفي بالرياض سنة ١٢٩٢هـ.

انظر: معجم المؤلفين ١٠/٦، مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٧٠، علماء الدعوة ص ٤٧.

(١) منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس تأليف العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٤٠، ط/الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الهداية للطبع والنشر والترجمة - الرياض.

الشروع كلها، وبالاستعانة به في كل شدة ومشقة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد، وصرافها لغير الله شرك وتنديد" (١).

كما طلب سبحانه وتعالى من رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يعلن للناس بأن عباداته كلها لله سبحانه وتعالى خالصة له، بل إن حياته ومماته كلها له، وفي هذا برهان ساطع أن فعل هذه العبادات لغير الله شرك، يقول جل وعلا: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له" (٢).

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي: ذبحي، وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها، وهو الله تعالى. ومن أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله (٣).

٢- أن الله تعالى أمر رسوله - عليه الصلاة والسلام - بإخلاص الذبح له، وذلك في قوله جل وعلا: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢).

قال الإمام ابن جرير الطبري بعد ذكر الأقوال في معنى النحر في الآية: "وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ٣٠ (ضمن مجموعة من رسائل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي)، دار اشبيلية للنشر والتوزيع - الرياض.

(٣) تفسير ابن كثير ١٠٩٣/٢.

(١) تفسير السعدي ص ٢٦٠.

سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له، وخصك به من إعطائه إياك الكوثر.

وإنما قلت ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بما أكرمه به من عطيته وكرامته وإنعامه عليه بالكوثر ثم أتبع ذلك قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ فكان معلوما بذلك أنه خصه بالصلاة له والنحر على الشكر له على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه بإعطائه إياه الكوثر، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض، وبعض النحر دون بعض وجه إذ كان حثا على الشكر على النعم.

فتأويل الكلام إذن: إنا أعطيناك يا محمد الكوثر إنعاما منا عليك به وتكرمة منا لك، فأخلص لربك العبادة، وأفرد له صلاتك ونسكك خلافا لما يفعله من كفر به وعبد غيره ونحر للأوثان" (١).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسيره للآية: "وقال محمد بن كعب القرظي: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿ يقول: إن ناسا يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، وقد أعطيناك الكوثر، فلا تكن صلاتك ولا نحرك إلا لله. قال ابن العربي: والذي عندي أنه أراد: اعبد ربك، وانحر له، فلا يكن عملك إلا لمن خصك بالكوثر، وبالحرى أن يكون جميع العمل يوازي هذه الخصوصية من الكوثر، وهو الخير الكثير الذي أعطاكه الله... " (٢).

فالمراد بالنحر في الآية: الذبح، أي اجعل نحرك لله كما أن صلاتك له، فأفادت هذه الآية الكريمة أن النحر من العبادة؛ ولهذا أمر الله به وقرنه بالصلاة (٣).

فالجمع بين الأمر بالصلاة والنحر حصل في الآية لبيان أنه كما لا تجوز الصلاة التي هي أجل العبادات البدنية لغير الله وكذلك لا يجوز الذبح لغيره؛ إذ هي أيضا من أجل العبادات المالية.

(٢) تفسير الطبري ١٢/٧٢١.

(١) تفسير القرطبي ٢٠/١٤٩.

(٢) القول المفيد ١/٢٢٠، إعانة المستفيد ١/١٦٦.

٣- ما ورد من نفي النبي - صلى الله عليه وسلم - كل نذر إلا ما يتغى به وجه الله، كما جاء في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا نذر إلا فيما ابتغي به وجه الله عز وجل)^(١).

وما ورد من النهي عن الذبح لغير الله، وتعليق الوعيد الشديد على ذلك، كما في حديث أبي الطفيل^(٢).

فمن ذبح لغير الله فهو مشرك ملعون، سواء تلفظ وقال: هذه الذبيحة للقبر، أو للبدوي، أو للسيد الحسين، أو لفلان أو لفلان، أو نوى بقلبه فقط، وهذه الذبيحة حرام؛ لأنها تدخل في قوله: ﴿وَمَا أَهْلًا بِهِ لِعَبِيرِ اللَّهِ﴾^ط (البقرة: ١٧٣)، فما أهل به لغير الله يشمل ما ذبح باسم غير الله، ويشمل ما ذبح باسم الله وينوى به الصنم أو الجن أو العفاريت^(٣).
ومما ورد في النهي عن الذبح لغير الله حديث سلمان رضي الله عنه في رجل دخل النار من أجل الذباب الذي قربه للصنم^(٤).

قال العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بعد ذكر هذا الحديث: "في هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار، ألا ترى إلى هذا لما قرب لهذا الصنم أرذل الحيوان وأخسه وهو الذباب كان جزاؤه النار، لإشراكه في عبادة الله؛ إذ الذبح على سبيل القرية والتعظيم عبادة، وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾^ط (المائدة: ٧٢)"^(٥).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأيمان والنذور - باب اليمين في قطيعة الرحم - برقم (٣٢٧٣)، وأحمد في مسنده ١٨٥/٢ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقال المتقي الهندي في كنز العمال ١١٢٥/٩: "أخرجه أبو داود، وقال المنذري الحديث حسن"، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٢٨٠١).

(٤) سبق تخريجه ص ٣١٦.

(٥) إعانة المستفيد ١/١٦٨.

(٦) سبق تخريجه ص ٣١٦.

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٥٧.

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: "فقف وتأمل حكمة الشريعة وسرها في إخلاص العبادة والتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله، ولو بأحق شيء كالذباب، فكيف بكرائم الأموال! والله المستعان"^(١).

٤- ما ورد من النهي عن الذبح لله تعالى بمكان تعظم فيه شعائر أهل الجاهلية، مما يدل من باب أولى على التشديد في الذبح لغير الله.

ومن ذلك ما روي عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن ينحر إبلا ببوانة فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟) قالوا: لا، قال: (هل كان فيها عيد من أعيادهم؟) قالوا: لا، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أوف بندرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم)^(٢).
"وقد دل الحديث على أنه لا يجوز سوق دابة تذبح لله إلى مكان تقرب فيه القرابين لغير الله أو يعبد فيه غيره ويجتمع الناس هناك على شرك وإن صحت النية وصلحت العقيدة"^(٣).

قلت: إن هذه التساؤلات التي حصلت بين رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - من جهة وبين الذي نذر أن يذبح ببوانة والحاضرين معه من جهة أخرى، فيها دليل قوي على التشديد في النهي عن الذبح بمكان تعظم فيه شعائر أهل الجاهلية مع أن الذبح يقصد به التقرب إلى الله تعالى، وهذا يدل من باب أولى على شدة تحريم الذبح لغير الله.

٥- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد نهي عن سنة أهل الجاهلية في الذبائح، ومن ذلك نهي عن الفرع الذي كان يفعله أهل الجاهلية لأهتهم بأن يذبحوا أول النتاج لأهتهم رجاء البركة فيه. قال - عليه الصلاة والسلام: (لا فرع ولا عتيرة)^(٤).

(٢) منهاج التأسيس ص ٢٤٧.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأيمان والنذور - باب ما يؤمر به من وفاء النذر - ص ١٤٧٠ برقم (٣٣١٣) عن ثابت بن الضحاك، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٢٨٣٤).

(٤) رسالة التوحيد للدهلوي ص ١٤٨.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العقيدة - باب الفرع - ص ٤٧١ برقم (٥٤٧٣)، ومسلم في صحيحه - كتاب الأضاحي - باب الفرع والعتيرة - ص ١٠٣٠ برقم (١٩٧٦) عن أبي هريرة.

والفرع أول نتاج كان ينتج لهم، كانوا يذبحونه لطواغيتهم، والعتيرة في رجب^(١).
ومن ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (لا عَقَر في الإسلام)^(٢).

قال أبو داود بعد الرواية مباشرة: قال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة.
وقال ابن الأثير في النهاية: "كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى، أي ينحرونها، ويقولون: إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته، فنكافؤه بمثل صنيعه بعد وفاته"^(٣).
قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ (المائدة: ٣):
"كانت النصب حجارة حول الكعبة... كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب"^(٤).
ثم قال: "فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب، حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله"^(٥).

٦- ما نقل عن أئمة أهل السنة وعلماء الأمة المعتمدين في تقرير أن النذر والذبح عبادتان لا ينبغي صرف شيء منهما لغير الله، ومن ذلك:
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما النذر للموتى من الأنبياء والمشايخ وغيرهم، أو لقبورهم، أو المقيمين عند قبورهم، فهو نذر شرك ومعصية لله تعالى، سواء كان النذر نفقة، أو ذهباً، أو غير ذلك، وهو شبيه بمن ينذر للكنائس والرهبان وبيوت الأصنام"^(٦).
الأصنام"^(٦).

(٢) بعد رواية البخاري السابقة. وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري تأليف بدر الدين محمود بن أحمد العيني ٨٩/٢١، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) سبق ترجمته ص ٨٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٢٩/٣.

(٥) تفسير ابن كثير ٨٤٠/٢.

(١) تفسير ابن كثير ٨٤٠/٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٥٠٤/١١.

وقال أيضا: "والنذر للمخلوقات أعظم من الحلف بها، فمن نذر لمخلوق لم ينعقد نذره، ولا وفاء عليه باتفاق العلماء، مثل من ينذر لميت من الأنبياء والمشائخ وغيرهم، فكل هذه النذور محرمة باتفاق المسلمين، ولا يجب بل ولا يجوز الوفاء به باتفاق المسلمين، وإنما يوفى بالنذر إذا كان لله عز وجل وكان طاعة، فإن النذر لا يجوز إلا إذا كان عبادة، ولا يجوز أن يعبد الله إلا بما شرع، فمن نذر لغير الله فهو مشرك أعظم من شرك الحلف بغير الله، وهو كالسجود لغير الله" (١).

ويبين رحمه الله أن هذا محل اتفاق بين العلماء فيقول: "وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز لأحد أن ينذر لغير الله، لا لنبي ولا لغير نبي، وأن هذا النذر شرك لا يوفى به" (٢).

وقال الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي رحمه الله تعالى في شرح درر البحار: "النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد، كأن يكون للإنسان غائب، أو مريض، أو حاجة ضرورية، فيأتي إلى بعض الصلحاء، ويجعل على رأسه سترة، ويقول: يا سيدي فلان، إن رد الله غائبي، أو عوفي مريض، أو قضيت حاجتي، فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء ومن الشمع والزيت كذا، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق. ومنها: أن المنذور له ميت، والميت لا يملك.

ومنها: أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر. ... إلى أن قال: إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها، وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليهم حرام بإجماع المسلمين" (٣).

ومما نقل عنهم في الذبح:

ما قاله قتادة رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١): وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث: أن يدعو مع الله إلها آخر، أو يسجد لغير الله، أو يسمي الذبائح لغير الله" (١).

(٣) المرجع السابق ١٢٣/٣٣.

(٤) المرجع السابق ٢٨٦/١، وانظر: منهاج السنة ٤٤٠/٢.

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق تأليف زين الدين بن نجيم الحنفي ٣٢٠/٢-٣٢١، ط/الثانية، دار المعرفة- بيروت.

وقال البرهاري^(٢) رحمه الله تعالى: "ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل أو يرد شيئاً من آثار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله، وإذا فعل شيئاً من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام"^(٣).

وقال الإمام النووي رحمه الله: "اعلم أن الذبح للمعبود وباسمه نازل منزلة السجود له، وكل واحد منهما نوع من أنواع التعظيم والعبادة المخصوصة بالله تعالى الذي هو المستحق للعبادة، فمن ذبح لغيره من حيوان أو جماد كالصنم على وجه التعظيم والعبادة، لم تحل ذبيحته، وكان فعله كفراً، كمن سجد لغيره سجدة عبادة"^(٤).

وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في بيانه أن صرف شيء من الذبح لغير الله شرك: "فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه، كما هي صريحة بذلك في الصلاة، فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه، وإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج من دائرة الإسلام، فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله"^(٥).

ذلك هو الحكم الشرعي لتلك الصور المذكورة للنذر والذبح لغير الله لدى مسلمي نيجيريا، وهناك صور أخرى للذبح يحتاج في الحكم عليها إلى تفصيل؛ لتوضيح تلك الأمور التي لبست على كثير من المسلمين حتى أظهرت لهم الباطل في صورة الحق، فيكون المسلمون حينئذ

(٢) تفسير الطبري ٣٢٥/٥.

(٣) هو الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البرهاري الحنبلي، الفقيه العابد، شيخ الحنابلة في وقته، من أهل بغداد، ومن أشد الناس في الإنكار على أهل البدع، كان له صيت عند السلطان، وكان أحد الأئمة العارفين والحفاظ للأصول المتقين والثقات المؤمنين، من مصنفاته: شرح كتاب السنة، توفي سنة ٣٢٨ هـ وقيل ٣٢٩ هـ.

انظر: طبقات الحنابلة ١٨/٢، الوابي بالوفيات ٩٠/١٢، الأعلام ٢٠١/٢، سير أعلام النبلاء ٩٠/١٥.

(٤) شرح السنة للحسن بن علي بن خلف البرهاري أبو محمد ص ٣١، تحقيق الدكتور محمد سعيد سالم القحطاني، ط/الأولى ١٤٠٨ هـ، دار ابن القيم - الدمام.

(١) روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي ٢٠٥/٣ - ٢٠٦، ط/الثانية ١٤٠٥ هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد (ضمن مجموعة من رسائل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٢٨).

على بينة من أمورهم فيما يتعلق بعبادة الذبح، فيسلم دينهم من شوائب الشرك؛ إذ سلامة الدين لا يعدلها سلامة.

وتلك الصور هي:

١- الذبح إذا شرع المرء في بناء منزل، أو إذا وصل البناء إلى النصف، أو عند اكتمال البناء وإرادة السكن، وكذلك الذبح عند إقامة مشروع من المشاريع كالمصانع، فهذه الصورة لها ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يكون الذبح للجن أو العين أو غير ذلك من القوى الشريرة؛ خوفا منهم أن لا يضروه، أو إرضاء لهم ورجاء قضائهم للحاجات، فهذا شرك أكبر يستحق فاعله لعنة الله وغضبه؛ لأن الذبح عبادة وقد صرفها لغير الله، وعلامة ذلك أن الذبح في هذه الحالة يحصل غالبا عند باب المنزل ويرش من دم الذبيحة على الجدران ولا يؤكل^(١).

الحالة الثانية: أن يكون الذبح لله تعالى مع الاعتقاد أن هذا الذبح يحصل به سلامة المنزل وسلامة ساكنيه من شرور الجن أو العين، فهذه من البدع الشنيعة ووسيلة من وسائل الشرك^(٢).

الحالة الثالثة: أن يكون الذبح من باب الفرح والسرور والشكر على ما أنعم الله به عليه من الوصول إلى السقف أو إكمال البيت، فيجمع أقاربه وجيرانه ويدعوهم لهذه الوليمة ليشاطروه هذا الفرح ويأكلوا من هذه الذبيحة، فهذه لا بأس بها؛ لأنها من باب الشكر لنعم الله حيث منّ عليه بتعمير البيت والسكن فيه بدلا من الاستئجار^(٣).

٢- الذبح عند قدوم الضيوف من الملوك والرؤساء وغيرهم، وهذه الصورة لها حالتان:

الحالة الأولى: أن يحصل الذبح للضيف القادم تعظيما له وتحية، فهذا النوع من الذبح شرك أكبر؛ لأنه من باب التحية والتعظيم، ويعرف ذلك غالبا بأن تذبح هذه الذبيحة في وجه الضيف القادم تحت السيارة أو الطائرة تعظيما لهذا الوافد عند نزوله، ثم تترك ولا تؤكل^(٤).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ١٩٥/١ الفتوى رقم (٥٢٧٦)، سلسلة شرح الرسائل للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ص ٢٥٩.

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٣٨٨/٥.

(٢) انظر: المرجع السابق ٣٨٨/٥.

(٣) انظر: سلسلة شرح الرسائل ص ٢٥٩.

الحالة الثانية: أن يحصل الذبح للضيف القادم وليمة، من باب الإكرام والضيافة، فهذا ليس بشرك، وإنما هو من المباحات، إذا ذكر اسم الله على الذبيحة، ثم طبخت وأكلت، فحكم هذا الجواز سواء ذبح القادم من السفر بنفسه أو ذبح المستضيف إكراما لضيفه كما سبق؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا قدم من سفر نحر جزورا ودعا الناس لذلك^{(١)(٢)}.

٣- الذبح عند الاحتفال، مثل ما يفعله المتصوفة وكثير من عوام مسلمي نيجيريا من الذبح عند الاحتفال بالمولد النبوي في شهر ربيع الأول، ومولد الشيخ عبد القادر الجيلاني في شهر ربيع الثاني، ومولد الشيخ إبراهيم انياس في شهر رجب، وهذه الصورة لها حالتان:

الحالة الأولى: أن يحصل الذبح في مولد نبي أو ولي تعظيما له، فهذا مما ذبح لغير الله وهو شرك، ولا يجوز الأكل من تلك الذبيحة^(٣)، قال النبي - صلى الله عليه وسلم: (لعن الله من ذبح لغير الله)^(٤).

قال ابن عطية^(٥) رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (المائدة:٣): "يعني ما ذبح لغير الله تعالى وقصد به صنم أو بشر من الناس كما كانت العرب تفعل، وكذلك النصرى، وعادة الذابح أن يسمى مقصوده ويصيح به، فذلك إهلاله"^(٦).

قال الإمام النووي في شرح حديث (لعن الله من ذبح لغير الله): "وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى، كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزورا أو بقرة، كتاب الجهاد والسير - باب الطعام عند القدوم - ص ٢٤٨ برقم (٣٠٨٩).

(٥) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٣٨٨/٥.

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٢١٧/١ فتوى رقم (١٠٦٨٥).

(٢) سبق تخريجه ص ٣١٦.

(٣) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن تمام بن عطية، الإمام الكبير قدوة المفسرين، أبو محمد الغرناطي القاضي، كان فقيها، عارفا بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارعا بالأدب، واسع المعرفة، كان يتوقد ذكاء، له كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة ٥٤١هـ.

انظر: طبقات المفسرين ٦٠/١، الوابي بالوفيات ٤٠/١٨، الأعلام ٢٨٢/٣.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تأليف أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ١٥٠/٢، تحقيق عبد السلام عبد الشافى محمد، ط/الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية - بيروت.

صلى الله عليهما أو للكعبة، ونحو ذلك، فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له، كان ذلك كفرا، فإن كان الذابح مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا^(١).

الحالة الثانية: أن يكون الذبح لله تعالى لكن بمناسبة الاحتفال بمولد النبي - صلى الله عليه وسلم - أو ولي أو شيخ، فهذا من البدع التي تضارع دين النصارى، وليس للاحتفال بمولد نبي أو ولي أصل في ديننا الإسلامي^(٢).

ومن البدع في مسألة الذبح ما يفعله بعض مسلمي نيجيريا من تخصيص بعض سور القرآن الكريم بأنه يذبح له، فهذا أمر يشهد له الواقع حيث قد انتشر بين الجهلة من المنتسبين للدراسات الإسلامية أن الإنسان إذا قرأ سورة يس أو طه أو الكهف أو غيرها من السور، وكذلك إذا قرأ القرآن وختمه ثم دعا بعد القراءة فيجب عليه إراقة الدم؛ إما بذبح كبش أو تيس أو دجاج على أقل تقدير، واعتقادهم في ذلك أن الذي قرأ شيئا من القرآن الكريم ثم توسل به إلى ربه فلا يقبل له دعاء حتى يذبح لله تعبدا وتقربا إليه تعالى. فهذا الاعتقاد بدعة كما تقدم؛ إذ الذبح لله تعالى بهذا الوجه من باب اختيار العبد وليس بواجب، إن شاء وقدر على الذبح ذبح تنسكا وتعظيما لله تعالى ويحصل له أجر الذبح، وإن لم يقدر فيكفيه في إجابة الله لدعائه أن يخلص الدعاء لله ويحرص على أن تتوفر فيه شروط الإجابة، والله تعالى أعلم.

وسواء كان حكم الذبح شركا محرما أو بدعة شنيعة، فالذي ندعو إليه نحن هو طي صفحات الماضي والإقلاع عن تلك الضلالات التي أفرزتها أهواء العادات والأعراف؛ لنتمسك بمنهج سلف هذه الأمة؛ إذ المشروع ما سلكوه دون ما تركوه، فالحق رائد المؤمن، وقوة الدليل من الكتاب والسنة هي الفيصل بين الحق والباطل، نسأل المولى جل وعلا أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/١٤١.

(٦) سيأتي وشيكا تفصيل القول في حكم الاحتفال بالمولد النبوي ومواليد الأولياء في الفصل الخامس.

الفصل الثالث

التبرك

المبحث الأول

بيان التبرك المشروع وأنواعه

تعريف التبرك:

قال ابن فارس^(١): "برك: الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء، ثم يتفرع فروعا يقارب بعضها بعضا، يقال: برك البعير يبرك بروكا. قال الخليل: البرك يقع على ما برك من الجمال والنوق على الماء أو بالفلاة، من حر الشمس أو الشبع، الواحد بارك، والأنثى باركة"^(٢).

وفي المفردات: "برك: أصل البرك صدر البعير، وإن استعمل في غيره، ويقال له بركة، وبرك البعير ألقى ركه، واعتبر منه معنى الملزوم فقيل: ابتزكوا في الحرب أي: ثبتوا ولازموا موضع الحرب ... وسمي محبس الماء بركة"^(٣).

(١) هو أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب القزويني أبو الحسين، الإمام العلامة المعروف بالرازي المالكي، محدث، لغوي، نزيل همدان، كان رأسا في الأدب، بصيرا بفقهاء مالك، من مصنفاته: المجمل، معجم مقاييس اللغة، توفي سنة ٣٩٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/١٠٣، العبر في خبر من غير ٣/٦٠، الوافي بالوفيات ٧/١٨١.

(٢) معجم مقاييس اللغة ص ١٠٨.

(٣) المفردات ص ٥٤.

وقال أيضا: "والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦)، وسمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البركة، والمبارك: ما فيه ذلك الخير ... ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة" (١).

وفي المصباح المنير: "والبركة: الزيادة والنماء. وبارك الله تعالى فيه، فهو مبارك، والأصل مبارك فيه" (٢).

فمن خلال ما سبق نقله من كلام أئمة اللغة علم أن أصل البركة الثبوت واللزوم، وتطلق أيضا على النماء والزيادة، والبركة إذن هي: ثبوت الخير ونماؤه.

والتبرك مصدر تبرك يتبرك تبركا، وهو طلب البركة، والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته. والخير كله في يدي الله سبحانه وتعالى دون سائر خلقه، فهو القادر على كل شيء، قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٦).

قال الإمام الطبري في تفسير الآية الكريمة: "﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ أي: كل ذلك بيدك وإليك، لا يقدر على ذلك أحد؛ لأنك على كل شيء قدير دون سائر خلقك، ودون من اتخذهم المشركون من أهل الكتاب والأميين من العرب إلها ورعا يعبدونه من دونك كالمسيح والأنداد التي اتخذها الأميون ربا" (٣).

فالبركة كلها لله تعالى ومنه، وهو المبارك جل وعلا، وقد وصف نفسه بـ (تبارك) وهذا وصف مختص به لا يصلح إلا له جل وعلا، فهو سبحانه المتبارك (٤).

ففي تحية الإسلام أضيفت الرحمة والبركة إلى الله تعالى بينما جرد السلام عن هذه الإضافة، وفي ذلك حكمة أوضحها الإمام ابن القيم حيث قال: "وأما الرحمة والبركة فلا يضافان إلا إلى الله تعالى وحده؛ ولهذا لا يقال: رحمتي وبركتي عليكم، ويقال: سلام مني عليكم

(٤) المرجع السابق ص ٥٤-٥٥.

(١) المصباح المنير ص ٤٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٢٠/٣.

(٣) انظر: بدائع الفوائد ٤١٢/٢.

وسلام من فلان على فلان، وسر ذلك أن لفظ السلام اسم للجملة القولية بخلاف الرحمة والبركة فإنهما اسمان لمعناهما دون لفظهما، فتأمله فإنه بديع.

وجواب ثالث وهو أن الرحمة والبركة أتم من مجرد السلامة، فإن السلامة تباعد عن الشر، وأما الرحمة والبركة فتحصيل للخير وإدامة له وتثبيت وتنمية، وهذا أكمل؛ فإنه هو المقصود لذاته، والأول وسيلة إليه^(١).

ولم يرد لفظ (بركات) في القرآن الكريم إلا مسندا لله عز وجل، وكذا لفظ (باركنا) ولفظ (بارك)^(٢).

ومن السنة ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا، كنا مع رسول - الله صلى الله عليه وسلم - في سفر فقل الماء فقال: (اطلبوا فضلة من ماء). فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: (حي على الظهور المبارك، والبركة من الله). فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولقد كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل^(٣).

وبما أن حقيقة البركة ثبوت الخير ودوامه، وكثرة الخير وزيادته، وأن الخير كله الديني والدنيوي في يدي الله سبحانه وتعالى، فلا تطلب البركة إلا منه تبارك وتعالى، أو مما أودع فيه البركة، وعلى الوجه المشروع^(٤).

وعلى هذا فيمكن أن نقول بأن أي نوع من أنواع التبرك المشروع لا بد أن يتحقق فيه أمران^(٥):

الأول: ثبوت البركة في ذلك المتبرك به.

الثاني: أن يكون الطريق في التبرك بذلك الشيء مشروعاً أو مباحاً.

(٤) المرجع السابق ٤٠٧/٢.

(١) التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع ص ١٨، ط/الخامسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مكتبة الرشد - الرياض.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام - ص ٢٩١ برقم (٣٥٧٩) عن عبد الله بن مسعود.

(٣) التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع ص ٢٠٣.

(٤) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٨٤٠.

فيخرج بالأول التبرك بما ليس فيه بركة، كالتبرك بالتعاويد السحرية وأعمال الشعوذة ونحو ذلك، ويخرج بالثاني الطرق البدعية في التبرك، كالتبرك بآثار الصالحين وقبورهم، والتبرك بالليالي والأيام والأماكن التي لم يقم دليل على التبرك بها، ونحو ذلك. هناك أمور كثيرة ثبت بالنصوص الشرعية أن الله تعالى أودع فيها البركة، وهي متعددة إلا أنه يمكن تقسيمها إلى خمسة، وهي:

١- الأشخاص.

٢- الأقوال والأفعال.

٣- الأماكن.

٤- الأزمنة.

٥- المطعومات.

وعلى الرغم من كثرة هذه الأشياء التي قد أجازت شريعتنا الغراء طلب البركة بواسطتها وبطريقة شرعية، فإنه يوجد من المسلمين أناس قد ضاق بهم الواسع فأخذوا يطلبون البركة من غير الله تعالى، ويتبركون بأمور لم تكن فيها بركة أصلاً، أو بأشياء فيها البركة لكن الطريقة التي سلكوها لطلب تلك البركة ليست مشروعة.

وسأبين المشروع من التبرك بكل من تلك الأمور الخمسة المذكورة آنفاً؛ إذ كان الذي يعينني في هذا المبحث أصلاً هو بيان التبرك المشروع وأنواعه.

"النوع الأول: المشروع من التبرك بالأشخاص:

والكلام هنا على جانبين:

الجانب الأول: التبرك بالنبى - صلى الله عليه وسلم.

الجانب الثاني: التبرك بسائر الصالحين.

أولاً: التبرك بالنبى - صلى الله عليه وسلم

والتبرك به - صلى الله عليه وسلم - يكون بأمرين:

الأمر الأول: طاعته واتباعه؛ إذ إن ذلك هو سبب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - في بركته لما آمنوا به وأطاعوه، فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة، بل كل مؤمن آمن بالرسول وأطاعه حصل له من بركة الرسول بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله"^(٢).

فالتبرك الأسمى والأعلى بالرسول - صلى الله عليه وسلم - هو اتباع ما أثر عنه من قول أو فعل، والافتداء به، والسير على منهاجه ظاهراً وباطناً، وإن في هذا الخير كله"^(٣).

الأمر الثاني: التبرك بذاته الشريفة وآثاره - صلوات الله وسلامه عليه.

فقد وردت نصوص كثيرة تدل على مشروعية التبرك بأعضاء جسده - صلى الله عليه وسلم - وبما انفصل منه، وبما لبسه أو لمس أو فضل منه، وكل هذا من خصائصه - صلى الله عليه وسلم، ليست لغيره، ولا يقاس عليه فيها غيره. ومن تلك النصوص:

- ١- ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى الغداة جاء خدماً المدينة بأنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فرمما جاءوه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها)^(٤).
- ٢- ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه، وفيه: وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم^(٥).

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٨٤١.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/١١٣.

(١) التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع ص ٢٦٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الفضائل - باب قربه صلى الله عليه وسلم من الناس، وتبركهم به وتواضعه لهم - ص ١٠٨٨ برقم (٢٣٢٤) عن أنس بن مالك.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المناقب - باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم - ص ٢٨٩ برقم (٣٥٥٣) عن أبي جحيفة.

٣- ما جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: (خذ) وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس. وفي رواية فبدأ بالشق الأيمن، فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك، ثم قال: (ههنا أبو طلحة) فدفعه إلى أبي طلحة^(١).

ثانيا: التبرك بسائر الصالحين:

يتم التبرك بالصالحين- أهل الإيمان والتقوى- بمجالستهم، يحصل من خلال تلك المجالسة الانتفاع بعلمهم والاستفادة من دعائهم، سواء كان ذلك الدعاء بالخير والصلاح الذي لا تخلو منه مجالسهم أو الذي يفوز به الشخص بطلبه من أحدهم، فقد طلب نبي الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا ينساه من دعائه حينما أراد العمرة، وهذا واحد من أدلة مشروعية التبرك بدعاء الرجل الصالح^(٢). ومن أوجه التبرك بالصالحين أيضا الاستماع إلى وعظهم ونصائحهم، "فمن صحب الصالحين وخالطهم أو جاورهم سينتفع بنصائحهم في الترغيب في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله- صلى الله عليه وسلم، والتحذير من الوقوع في المعاصي والأضرار، والإرشاد إلى الآداب الحسنة ومكارم الأخلاق، والإعانة على فعل الخير، والتذكير بما أعده الله تعالى في الجنة لأوليائه، وما توعده به في النار لأعدائه"^(٣)، بهذه الأمور تحصل البركة ويسعد المرء بمجالسته للصالحين، فبركات أولياء الله الصالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلى طاعة الله ورسوله، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الحج- باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يخلق، والابتداء في الخلق بالجانب الأيمن من رأس الخلق- ص ٨٩٤ برقم (١٣٠٥) عن أنس بن مالك.

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (١٤٩٨)، وابن ماجه برقم (٢٨٩٤)، والإمام أحمد ٢٩/١ عن ابن عمر، وذكره الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٣٢٢).

(٢) التبرك أنواعه وأحكامه ص ٢٧١.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأما قول القائل نحن في بركة فلان أو من وقت حلوله عندنا حلت البركة، فهذا الكلام صحيح باعتبار باطل باعتبار، فأما الصحيح فإن يراد به أنه هداانا وعلمنا وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر فببركة اتباعه وطاعته حصل لنا من الخير ما حصل، فهذا كلام صحيح"^(١).

أما التبرك بدوات الأولياء والصالحين وآثارهم فلم يرد دليل صحيح يدل على مشروعيته، ولا يقاس ذلك على فعله مع النبي - صلى الله عليه وسلم؛ لأن التبرك بذاته الشريفة وآثاره كان مستنده "فعل الصحابة رضي الله عنهم معه - صلى الله عليه وسلم - وإقراره إياهم على ذلك، بل أمره - صلى الله عليه وسلم - إياهم بذلك في بعض الأحيان، ولم يؤثر عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه أمر بالتبرك بغيره من الصحابة رضي الله عنهم أو غيرهم، سواء بدواتهم أو بآثارهم، أو أرشد إلى شيء من ذلك"^(٢).

النوع الثاني: المشروع من التبرك بالأقوال والأفعال:

من الأشياء التي أودع الله فيها البركة ويشرع التبرك بها بعض الأقوال والأفعال، فمن الأقوال القرآن الكريم الذي هو كلام الله، وكذلك الذكر من تهليل وتسبيح وتحميد، وتسمية اسمه تعالى عند بداية كل أمر، والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم.

فالتبرك بالقرآن الكريم يحصل بتلاوته واتباع أحكامه والتزام منهجه، يقول الرب جل وعلا في بيان فضل تلاوة القرآن المجيد: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (فاطر: ٢٩).

وقال جل وعلا في بركة العمل به: ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طه: ١٢٣)، "فلا شك أن القرآن الكريم بركاته في العمل به وفي تلاوته، لا في تعليقه وعمله حجاب يحتمي به من الشرور، وبركات القرآن والعمل به تعم الدنيا والآخرة"^(٣).

ومن التبرك بالقرآن الكريم الرقية ببعض سوره وآياته، مثل الفاتحة، والمعوذتين، وآية الكرسي، وغير ذلك.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/١١٣.

(١) التبرك أنواعه وأحكامه ص ٢٦١.

(٢) البركة تأليف أبي حذيفة إبراهيم بن محمد ص ١٩، ط/ الأولى ١٤٠٨هـ، دار الصحابة للتراث - طنطا.

ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأمر القرآن ويجمع بزاقه ويتفل، فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي - صلى الله عليه وسلم، فسألوه فضحك وقال: (وما أدراك أنها رقية خذوها واضربوا لي بسهم)^(١).

ومن التبرك بالذكر غير القرآن الكريم الرقية به، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: (اللهم رب الناس أذهب الباس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً)^(٢).

أما الأفعال التي يتبرك بها فكل ما شرعه الله تعالى وأمر به من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وسائر الطاعات والقربات التي يحبها الله ويرضاها، مثل التقوى والإيمان بالله، وحسن التوكل عليه، والصدق في القول، والكرم في الإنفاق، واتخاذ المال الحلال، والبر وصلة الأرحام، وحسن الخلق في التعامل مع الناس، والتيسير على المعسرين وإعانة المسلمين وقضاء حوائجهم، ورحمة المخلوقين ونصرة المظلومين، وغير ذلك كثير^(٣).

فبفعل هذه تنزل البركات وتطيب الحياة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ

أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿٩٦﴾
(الأعراف: ٩٦).

النوع الثالث: المشروع من التبرك بالبقاع:

لقد اختص الله سبحانه وتعالى بعض الأماكن ببركة عظيمة، ومن تلك الأماكن مكة المكرمة، ومن بركتها أن إبراهيم عليه السلام دعا لها، كما ثبت في حديث أبي هريرة عند مسلم

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الطب - باب الرقى بفاتحة الكتاب - ص ٤٩٠ برقم (٥٧٣٦)، ومسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار - ص ١٠٦٨ برقم (٢٢٠١) عن أبي سعيد الخدري.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الطب - باب رقية النبي - ص ٤٩١ برقم (٥٧٤٣)، ومسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب استحباب رقية المريض - ص ١٠٦٧ برقم (٢١٩١) عن عائشة.

(٢) انظر: البركة ص ٩٠-٩١.

(اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه)^(١).

وهي أفضل البقاع وأحبها إلى الله تعالى لقوله- صلوات الله وسلامه عليه- عنها: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت)^(٢).

ومن بركات مكة المكرمة- ذلك البلد الأمين- أن الله جعل فيها أول بيت وضع للناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي لَبَّيْكَ مَبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمرا: ٩٧)، وحول هذا البيت المسجد الحرام، أول مسجد وضع في الأرض، ففي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: (المسجد الحرام). قال: قلت: ثم أي؟ قال: (المسجد الأقصى). قلت: كم كان بينهما؟ قال: (أربعون سنة ثم أينما أدركتكم الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه)^(٣).

وللمسجد الحرام مزايا كثيرة منها أنه أحد المساجد الثلاثة التي أجازت شريعتنا شد الرحال إليها، ومنها أن الصلاة فيه أفضل من مائة ألف صلاة في المساجد الأخرى، وكذلك مسجد الرسول- صلى الله عليه وسلم- والمسجد الأقصى لهما الأفضلية على سائر المساجد كما ورد في بعض الأحاديث^(٤).

ومنها أنه هو المكان الوحيد الذي شرع الطواف بالبيت الذي فيه، وفيه الحجر الأسود، والركن اليماني اللذان لم يشرع تقبيل أو استلام حجر أو ركن آخر غيرهما، قال الإمام ابن القيم

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الحج- باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة... ص ٩٠٦ برقم (١٣٧٣) عن أبي هريرة.

(١) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب المناقب- باب فضل مكة- ص ٢٠٥٢ برقم (٣٩٢٥) وقال: حديث حسن غريب صحيح، وابن ماجه في سننه- كتاب المناسك- باب فضل مكة- ص ٢٦٦٥ برقم (٣١٠٨)، وابن حبان في صحيحه ٢٢/٩ برقم (٣٧٠٨) عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٣٠٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب أحاديث الأنبياء- باب قول الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهٗ أَوَّابٌ ﴾- ص ٢٧٩ برقم (٣٤٢٥)، ومسلم في صحيحه- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب المساجد ومواضع الصلاة- ص ٧٥٨ برقم (٥٢٠) عن أبي ذر.

(٣) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب إقامة الصلاة- باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي- ص ٢٥٦١ برقم (١٤٠٦)، ومسنند أحمد ٣/٣٤٣ عن جابر.

رحمه الله في كلامه عن فضائل مكة المكرمة: "ليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني"^(١).

ومن البقاع التي اختصها الله بالبركة المدينة النبوية، فقد دعا لها النبي - صلى الله عليه وسلم - بالبركة في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة)^(٢)، ومن ذلك أيضا ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يؤتى بأول الثمر فيقول: (اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مدنا، وفي صاعنا، بركة مع بركة) ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان^(٣).

ومن بركات المدينة وجود مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيه، ذلك المسجد الذي أنشأه نبي الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - وأصحابه رضي الله عنهم بعد مسجد قباء حين وصوله إلى المدينة مهاجرا من مكة، والمسجد النبوي بقعة أخرى مباركة جعل الله الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة في غيره كما في حديث أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)^(٤)، وكذلك اختصه الشارع بجواز شد الرحال إليه مع المسجدين الآخرين.

وتشتمل المدينة على بركات أخرى عظيمة، فمن ذلك وجود مسجد قباء أول مسجد بني في المدينة على الإطلاق، ولزيارته والصلاة فيه فضل عظيم كما هو مذكور في الأحاديث، ومن ذلك أيضا وجود البركة في صاع أهل المدينة ومدهم وثمرهم لدعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) زاد المعاد ١/٤٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل المدينة - باب - ص ١٤٧ برقم (١٨٨٥)، ومسلم في صحيحه - كتاب الحج - باب فضل المدينة ودعاء النبي فيها بالبركة - ص ٩٠٥ برقم (١٣٦٩) عن أنس بن مالك.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الحج - باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة - ص ٩٠٦ برقم (١٣٧٣) عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - ص ٩٢ برقم (١١٩٠)، ومسلم في صحيحه - كتاب الحج - باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة - ص ٩٠٨ برقم (١٣٩٤) عن أبي هريرة.

وسلم- لهم بذلك، وقد حماها الله من دخول الطاعون والدجال، كل ذلك ببركة دعائه- صلى الله عليه وسلم.

ومن البقاع المباركة المسجد الأقصى الذي أخبر الله جل وعلا أنه بارك حوله، قال تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء: ١)، وهو ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام كما تقدم.

ومن بركاته أنه يستحب زيارته وشد الرحال إليه لما ثبت في حديث أبي هريرة عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى)^(١)، وهو المسجد الذي أسري إليه الرسول- صلى الله عليه وسلم- ثم عرج منه إلى السماء، والصلاة فيه مضاعفة.

ومن الأمكنة المباركة سائر المساجد، وهي بيوت الله في الأرض وأشرف البقاع وأفضلها، لقوله- صلى الله عليه وسلم- (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله...)^(٢)، وقوله- صلى الله عليه وسلم: (أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)^(٣). وقد حظيت المساجد بهذه الفضائل العظيمة والبركات الجليلة لما يحصل فيها من أداء المسلمين صلواتهم المفروضة كل يوم، وكذلك العبادات البدنية والقلبية الأخرى.

ومن البقاع المباركة أرض الشام، فقد دلت عدة آيات قرآنية على بركتها، منها قوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتُهُ وُؤُطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٧١). ومن البقاع المباركة أرض اليمن، قال- صلى الله عليه وسلم: (اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا...)^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة- ص ٩٢ برقم (١١٨٩)، ومسلم في صحيحه- كتاب الحج- باب فضل المساجد الثلاثة- ص ٩٠٩ برقم (١٣٩٧) عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- ص ٧٨٢ برقم (٦٧١) عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الفتن- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الفتنة من قبل المشرق- ص ٥٩٢ برقم (٧٠٩٤) عن عبد الله بن عمر.

ويكون التبرك بالأمكنة المباركة بسكنائها والمجاورة بها، كما يتبرك بالمساجد الثلاثة: المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى بشد الرحال إليها وزيارتها لأداء العبادات، ويختص المسجد الحرام بشرعية أداء مناسك الحج والعمرة فيه بما يحتويان عليه من طواف وسعي وصلاة خلف مقام إبراهيم وغير ذلك.

أما سائر المساجد فالتبرك بها يتم بأداء الصلوات المفروضة وعبادات أخرى بدنية وقلبية من ذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم ومدارسته، والاعتكاف فيها وملازمتها طلبا للثواب العظيم.

وليس من المشروع تلك الطرق التي يسلكها بعض المبتدعة في التبرك بهذه البقاع من التمسح بترابها أو نقل أحجارها، أو التبرك ببقاع لم يقدّم دليل على أنها مباركة أصلا، فكل هذا مجرد اتباع الهوى، وليس من التبرك المشروع في شيء.

النوع الرابع: المشروع من التبرك بالأزمنة:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى بركات عظيمة في بعض الأزمنة وفضلها على غيرها، فمن تلك الأزمنة شهر رمضان الذي قال الله فيه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)^(١).

وفي هذا الشهر المبارك أفضل الليالي المسمى بليلة القدر، وقد شرفها الله على غيرها، فهي ليلة مباركة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ ﴾ (الدخان: ٣)، قال القرطبي رحمه الله: (وصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب)^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الصوم - باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية - ص ١٤٨ برقم (١٩٠١)، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح - ص ٧٩٧ برقم (٧٦٠) عن أبي هريرة.

(٢) تفسير القرطبي ١٦/٨٤.

ومن الأزمنة المباركة عشر ذي الحجة، والمقصود بهذه الأيام هو العشر الأول من شهر
ذي الحجة، وقد أقسم الله تعالى بها في قوله جل وعلا: ﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾
(الفجر: ١-٢)، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة
كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف"^(١).

فمن بركات هذه الأيام أن العمل الصالح فيها له الفضل على غيرها من أيام السنة لما
رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما
العمل في أيام العشر أفضل منها في هذه). قالوا: ولا الجهاد؟ قال: (ولا الجهاد إلا رجل خرج
يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء)^(٢).

ومن الأزمنة المباركة يوم الجمعة ويوما الاثنين والخميس، فيوم الجمعة أفضل أيام
الأسبوع، وهو يوم مبارك، اختص الله تعالى به المسلمين من بين سائر الأمم كما ورد في
الحديث، ومما يبين فضائل يوم الجمعة وبركاته ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله
عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه
خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة)^(٣).

ومن بركات هذا اليوم أن فيه ساعة الإجابة، لما رواه الشيخان رحمهما الله عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكر يوم الجمعة فقال: (فيه ساعة لا
يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه) وأشار بيده يقللها^(٤).

أما يوما الاثنين والخميس فمن بركاتهما أن أبواب الجنة تفتح في هذين اليومين، فيغفر
للمؤمنين ما عدا المتشاحنين منهم، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العيدين - باب فضل العمل في أيام التشريق - ص ٧٦ برقم (٩٦٩) عن ابن عباس.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجمعة - باب فضل يوم الجمعة - ص ٨١١ برقم (٨٥٤) عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجمعة - باب الساعة التي في يوم الجمعة - ص ٧٣ برقم (٩٣٥)، ومسلم في صحيحه - كتاب الجمعة - باب الساعة التي في يوم الجمعة - ص ٨١١ برقم (٨٥٢) عن أبي هريرة.

عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا^(١).

ومن بركات هذين اليومين أيضاً أن أعمال الناس تعرض فيهما على الله تبارك وتعالى، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: (تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا أو اركوا هذين حتى يفيتا)^(٢)، ولذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتحرى الصوم فيهما كما علل ذلك بقوله: (تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم)^(٣).

ومن الأزمنة المباركة الثلث الأخير من الليل وهو وقت النزول الإلهي، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له)^(٤).

وبركات وقت النزول الإلهي ظاهرة في الحديث السابق فهو وقت استجابة لدعاء الداعين، وإعطاء حوائج السائلين في أمور الدنيا والآخرة، وهو أيضاً وقت مغفرة للمستغفرين. والتبرك بهذه الأوقات الفاضلة والأزمنة المباركة يعني اغتنامها بما يعود على الإنسان بالنفع في الدين والدنيا بقيامه بما شرع الله فيها من الأعمال الصالحة من صلاة وحج وقراءة القرآن وذكر ودعاء وغير ذلك مما ينيله مرضات ربه الرحيم الودود.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب - باب النهي عن الشحناء - ص ١١٢٧ برقم (٢٥٦٥) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - الكتاب والباب السابقان.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الصوم - باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس - ص ١٧٢١ برقم (٧٤٧) عن أبي هريرة، وله شاهد عند النسائي في سننه - كتاب الصيام - باب صوم النبي صلى الله عليه وسلم - ص ٢٢٣٩ برقم (٢٣٦٠) عن أسامة بن زيد، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٥٢٧٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ - ص ٦٢٤ برقم (٧٤٩٤)، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه - ص ٧٩٧ برقم (٧٥٨) عن أبي هريرة.

النوع الخامس: المشروع من التبرك بالمطعمومات:

يوجد في المأكولات والمشروبات وما يتداوى به أشياء بارك الله فيها وفضلها على غيرها من جنسها، فمن هذه الأشياء شجرة الزيتون، وهي شجرة مباركة يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ (النور: ٣٥).

وتكمن بركة هذه الشجرة في منافعتها الكثيرة حيث إنها تؤكل وهي من الفواكه، وزيتها يؤتدم به، وينتفع به في الدهن والاصطباغ، وزيتها أيضا يسرج به، فهو أضواً وأصفى الأدهان^(١)، يقول جل شأنه في سياق ذكر ما امتن به على عباده من النعم: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٠).

ويدل على بركة زيت الزيتون ما روي عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة)^(٢).

ومن الأشياء المباركة من المطعمومات اللبن، وقد قال فيه سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل: ٦٦)، قال القرطبي: ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ أي لذيذا هينا، لا يغص به من شربه^(٣)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من أطعمه الله الطعام فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه؛ فإنه ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن)^(٤).

(١) انظر: تفسير البغوي ٤٥/١ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٢/٦-٤٣.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الأطعمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في أكل الزيت - ص ١٨٣٩ برقم (١٨٥٢)، وابن ماجه في سننه - كتاب الأطعمة - باب الزيت - ص ٢٦٧٧ برقم (٣٣١٩)، والإمام أحمد ٤٦٧/٣، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٩).

(٣) تفسير القرطبي ٨٤/١٠.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأشربة - باب ما يقول إذا شرب اللبن - ص ١٤٩٩ برقم (٣٧٣٠)، والترمذي في سننه - كتاب الدعوات - باب ما يقول إذا أكل طعاما - ص ٢٠٠٧ برقم (٣٤٥٥) عن ابن عباس، وقال: هذا

يقول ابن القيم رحمه الله: "اللبن المطلق أنفع المشروبات للبدن الإنساني لما اجتمع فيه من التغذية والدموية، ولاعتياده حال الطفولة، وموافقته للفطرة الأصلية"^(١).

ومن الأعيان المباركة النخل، تظهر بركتها فيما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند النبي - صلى الله عليه وسلم - جلوس إذ أتى بجمار نخلة فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم) فظننت أنه يعني النخلة، فأردت أن أقول: هي النخلة يا رسول الله، ثم التفت فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكت، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (هي النخلة)^(٢).
ومما ورد في منفعة تمر النخل وبركته قوله - صلى الله عليه وسلم: (إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة)^(٣).

ومنها ماء زمزم، وهو الماء الذي فيه شفاء من كل سقم، وفيه شبع من كل جوع، وفيه ري من كل ظمأ، وإنه لخير ماء على وجه الأرض وأنفعه^(٤).

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال أبو ذر في حديث طويل، ثم ذكر سؤال النبي - صلى الله عليه وسلم - له: (متى كنت ههنا؟) قال: قلت: قد كنت ههنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم، قال: (فمن كان يطعمك؟) قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت علي بطني، وما أجد على كبدي سخفة جوع، قال: (إنها مباركة، إنها طعام طعم)^(٥).

حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٧٤٩).

(٢) الطب النبوي للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ص ٢٨٥، تحقيق ودراسة وتعليق الدكتور السيد الجميلي ط/الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م دار الكتاب العربي - بيروت.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأطعمة - باب أكل الجمار - ص ٤٦٩ برقم (٥٤٤٤) عن عبد الله بن عمر.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الزكاة - باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة - ص ١٧١١ برقم (٦٥٨)، وابن ماجه في سننه - كتاب الصيام - باب ما جاء على ما يستحب الفطر - ص ٢٥٧٨ برقم (١٦٩٩) عن سلمان بن عامر الضبي، وقال الترمذي: حديث حسن، وذكره الألباني في ضعيف الترمذي برقم (١٠١).

(٥) انظر: البركة ص ٣٨.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه - ص ١١١١ برقم (٢٤٧٣) عن عبادة بن الصامت.

ومنها العسل، كما قال تعالى عن النحل: ﴿ تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ (النحل: ٦٩).

وغير ذلك من الأعيان المباركة التي جاء في الشرع بيان البركة فيها بأكلها أو شربها أو بالادهان والاستشفاء بها ونحو ذلك، وكل ذلك يتبرك به العبد بالطريق الذي لا يخالف أمر الله تعالى ولا أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم، معتقدا أنها أسباب لا تنفع ولا تضر بنفسها، وإنما الله تعالى هو الذي يخلق البركة فيها، فإن لم يبارك الله تعالى بها فلن يجني منها العبد ما تنعم به نفسه^{(١)(٢)}.

المبحث الثاني

التبرك الممنوع حكمه وصوره

صور التبرك الممنوع لدى مسلمي نيجيريا:

(٢) شبهات المبتدعة ص ٨٥٢.

(٣) استفدت من البحث بعنوان: "شبهات المبتدعة في توحيد العبادة" في كتابه ما قررته في ص ٣٤٠ - ٣٤٩.

ولعل كل من يفقه دينه ويغار عليه من مسلمي نيجيريا يوافقني على أن مصدر الشر في التبرك الممنوع بصوره المختلفة في المجتمع النيجيري هم الجهال من المنتسبين للدراسات الإسلامية، كيف لا، وقد أكدوا للناس بطرقهم وأساليبهم المريضة أن البركة لن تنال إلا منهم أو بواسطتهم؛ ولذلك تجدهم في عقيقة المولود يطلبون من والدي المولود وأقربائه أن يدفعوا مبلغا خاصا لشراء البركة لهذا الضيف الجديد، ويفعلون ذلك أيضا في جلسة عقد النكاح بين الرجل والمرأة، كما يلحون على استلام هذا المبلغ في كل أمر ذي شأن أراد صاحبه أن يكون له فيه حظ سعيد. هذا مع تصريحهم في تلك الحالات كلها أن الإخفاق في دفع هذا المبلغ يؤدي إلى نزع البركة من تلك الأمور كلها ولا يحالف أصحابها التوفيق، فكأن لهم متاجر مليئة بالبركات يبيعونها بالعوض لكل من تقدم للشراء منها، وهذا أمر عجيب جدا، لا ريب أن فيه من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره وإحصائه.

ولهذا السبب تجد الغالبية الساحقة من مسلمي نيجيريا وخاصة العوام قد اقتنعوا بأقوال هؤلاء الطفيليين، فراحوا يتبركون بذواتهم وآثارهم، وبأماكن عباداتهم، وبقبورهم بعد مماتهم.

وبخلاصة فإن التبرك الممنوع لدى مسلمي نيجيريا له صورتان:

الصورة الأولى: التبرك بالأشخاص مثل العلماء والأمراء والمشايخ والأولياء والصالحين،

ولهذا خمس طرق:

الطريقة الأولى: التبرك بذواتهم وذلك بتقبيل أيديهم، والتمسح بشياهم ومصافحتهم،

ويلحق بهذا تبركهم بصور هؤلاء الناس بتقبيلها، والتمسح بها، وتعليقها على الجدران في البيوت والمحلات والسيارات، والجلوس أمامها عند الدعاء وغير ذلك.

ذكر شيء مما يشهد لوجود هذه الطريقة:

يقول المؤلف مدثر عبد الرؤوف^(١) في كتيب له بعنوان "كرامات الشيخ إبراهيم

(١) هو مدثر عبد الرؤوف إكيري، المرشد العام للفيضة التجانية الإبراهيمية النيجيرية ومؤسس مدرسة بنت رسول الله للدراسات العربية والإسلامية، أوريلي أغيجي - لاغوس. انظر: مقدمة كتبه (ISE IYANU SHEIKH). (IBROHIM NIASS).

انياس" تحت عنوان "صورة الشيخ": "هذه الكرامات تنقسم إلى قسمين: خاصة وعامة، أما العامة فهي صورته المشهورة والمنتشرة في كل مكان، وكثير من محبي الشيخ يعتقدون أن تلك الصور بمثابة حصن وأمان لمن يحملها، كما تحصل بسببها بركات عظيمة؛ ولذلك تجد معظم الناس يحبون أن تكون معهم دائما، يجعلونها في ساعة يدوية أو سوار أو قرط، كما تجعل في البطاقات وتعلق على جدران المنازل وعلى السيارات وغير ذلك"^(١).

الطريقة الثانية: التبرك بآثارهم باستخدام ما انفصل منهم مثل الشعر والملابس القديمة، أو التمسح بريقهم وبلغمهم، أو بشرب الماء الذي توضع به أو الأكل من بقايا طعامهم ونحو ذلك.

ذكر شيء مما يشهد لوجود هذه الطريقة:

يقول الشيخ مشهود رمضان جبريل^(٢) في كلامه عن شخصية الشيخ آدم الألوري رحمه الله: "قد حكى الألوري لنا يوما أن والده كان يحبه حبا شديدا، ولوالده هذا الاعتقاد الجازم أن الدعاء له تأثير في القدر والقضاء ولا سيما استجابة دعاء الصالحين، فدفعه هذا الاعتقاد ذات يوم إلى أن يأمر ابنه الشيخ الألوري ليشرّب ماء اليد المغسولة للشيخ وزير بدي بعد فراغه من تناول الغداء، ومج ماء فمه في الإناء لتنظيف فمه من بقايا الأكل. فاستغرب الشيخ وزير بدي سائلا والد الشيخ الألوري: ما الذي دفعك إلى هذه الصنعة؟ فأجاب قائلا: أتمنى لولدي أن يكون عالما مباركا، من هنا دعا الوزير بدي للشيخ آدم عبد الله الألوري استجابة لرغبة والده فيه قائلا: بارك الله في ولدك هذا، وأفاد الله بعلمه العديد من الناس"^(٣).

(٢) (ISE IYANU SHEIKH IBROHIM NIASS (RTA) للمؤلف مدثر عبد الرؤوف ص ٧ دون بيانات أخرى.

(٣) هو الشيخ مشهود رمضان بن الأمير إدريس بن جبريل بن آصف بن عبد الله الأميري الكيتوي، ولد بمدينة "كيتو" إحدى المدن اليورباوية الأصيلة قبل أن تضمها فرنسا إلى إحدى مستعمراتها في غرب إفريقيا والتي تعرف حاليا "بجمهورية بنين"، كان من أكثر من لازم الشيخ آدم عبد الله الألوري حيث تلمذ على يديه لمدة ٣٣ سنة، له محاضرات مسجلة في الأشرطة ومؤلفات منها: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته، أسس حديثا مركز السلام للتعليم العربي الإسلامي باجومو أوجوكورو بولاية لاغوس نيجيريا، ويعمل حاليا مديرا له وخطيبا لمسجده.

انظر: المؤلف في السطور خلف كتابه: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته.

(١) الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته للمؤلف مشهود رمضان جبريل ص ٢٥.

وتجدر الإشارة إلى أن التبرك بهذه الطريقة والتي قبلها يكثر وقوعه عند أتباع مشايخ الصوفية ومريديهم التجانيين منهم والقادريين في جميع المناطق النيجيرية.

الطريقة الثالثة: التبرك بالأماكن التي نزل بها بعض هؤلاء العلماء حين دخوله في بلد معين، أو بالشجرة التي استظل بها، أو صلى تحتها، أو غرسها.

الطريقة الرابعة: التبرك بالتواضع الجاهلي المذموم لهؤلاء العلماء والمشايخ؛ وذلك بالمشي حافيا أمامهم أو أمام منازلهم، أو بالانحناء الذي تجاوز حد الركوع عند تحييتهم، أو بتقديم الأموال لهم، كل ذلك رغبة في حصول البركة.

وهذا النوع من التبرك أمر متعارف عليه بين المنتسبين للدراسات الإسلامية من طلبة العلم ومشايخهم؛ إذ قد أكد هؤلاء المشايخ لتلامذتهم ألا بركة لهم إلا باحترام مشايخهم، وهم بدورهم لا يرون الاحترام إلا في هذا التواضع الجاهلي بكل أشكاله وصوره.

الطريقة الخامسة: التبرك بقبورهم باتخاذها مساجد، والصلاة عندها، والدعاء عندها، وطلب الدعاء من أصحابها، والتمسح بها، وتقبيل جدرانها، والدهن بالماء الذي يكون عليها، ورفع التراب منها للاستشفاء به أو إهدائه للآخرين وغير ذلك، وهذا أقبح الطرق في تبركهم بهؤلاء الأشخاص، وقد فشلت هذه الظاهرة منذ زمن الشيخ عثمان بن فودي فجاهد في القضاء عليها، ثم جاء المتصوفة كعادتهم فأحيوها مرة أخرى بسبب الغلو في مشايخهم، وقد صدق فيهم قول العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حيث قال: "فالغلو في الصالحين قدم، ولا يزال مستمرا وهو سنة جاهلية من قديم الزمان، من عهد قوم نوح، ولا تزال"^(١).

ذكر شيء مما يشهد لوجود هذه الطريقة:

يقول الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في معرض كلامه عن البدع المنتشرة بين المسلمين في وقته: "ومنها: أي الأمور التي عمت البلوى بها في هذه البلاد التبرك بالصلاة على القبر وبناء المسجد عليه إذ لا يصلّى على المقابر، ولا يبنى عليها مسجد للتبرك، ولا يتمسح

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١٥٧/٢.

بالقبر أيضا؛ لأن ذلك من فعل النصارى، ولا يدهن بالماء الذي يكون عليه، ولا يرفع منه تراب" (١).

ويقول في موضع آخر عند ذكره للمحدثات التي اتخذها كثير من المسلمين في مجتمعه عبادة مثل التمسح بجدار الكعبة وجدار المسجد الحرام إذا سافروا للحج أو العمرة: "وكذلك فعلهم ذلك مع مشايخهم ومع كبرائهم وعند المقابر التي يحترمونها ويعظمون أهلها ويزعمون أن ذلك من باب الأدب" (٢).

قلت: ومع كل أسف فإن الشيخ عثمان بن فودي الذي كان ينكر هذه الانحرافات ويحاربها في أيامه هو نفسه الذي لم يدع القادريون شيئا من تلك الانحرافات إلا وفعلوها عند قبره بعد وفاته. يقول الشيخ محمد بن ناصر العبودي عند حكايته لما شاهده حول قبر الشيخ عثمان بن فودي أثناء رحلته إلى نيجيريا: "ورغم ضيق الغرفة فإنه كان فيها أناس جالسون يدعون، ونساء أيضا خارج القبر وهن ينظرن إليه ويدعون... وهذه الأمور أكثرها بدعي لا يجوز فعله في الشرع، ومنها البناء على القبر ورفعه عن الأرض أكثر من الشبر، والتوجه بالدعاء إلى القبر متجها إلى غير القبلة" (٣).

والتبرك المشروع بالأولياء والصالحين يكون بمجالستهم - كما سبق أن قلت - يتم من خلال ذلك الانتفاع بعلمهم، والاستماع إلى وعظهم ونصائحهم، والانتفاع بدعائهم، كما يمكن التبرك بهم بعد وفاتهم عن طريق الانتفاع بما ورثوه من العلم النافع ونحوه، واتباع ما دعوا إليه في حياتهم (٤)، وليس من المشروع تلك الأوجه المذكورة التي يتبرك بها هؤلاء القوم من تقبيل أيدي العلماء والمشايخ أو استخدام ما انفصل منهم أو قصد أماكنهم وقبورهم بالعبادات طلبا للبركة.

فالذي وردت أدلة كثيرة تدل على مشروعيتها هو التبرك بجسد النبي - صلى الله عليه وسلم - وآثاره كشعره وعرقه وثيابه وغير ذلك، أما غير النبي من الأولياء والصالحين فلم يرد دليل صحيح يدل على مشروعية التبرك بأجسادهم ولا بآثارهم؛ ولذلك لم يرد عن أحد من

(١) نور الأبواب ص ١٦.

(٢) بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية ص ٢٢-٢٣.

(٣) قصة سفر في نيجيريا ١٠٠/٢.

(٤) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه ص ٢٦٩، ٣٨١.

أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من التابعين أنهم تبركوا بجسد أو آثار أحد من الصالحين، فلم يتبركوا بأفضل هذه الأمة بعد نبيها، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولا غيره من العشرة المبشرين بالجنة، ولا بأحد من أهل البيت ولا غيرهم، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، لحرصهم الشديد على فعل جميع أنواع البر والخير، فإجماعهم على ترك التبرك بجسد وآثار غيره - صلى الله عليه وسلم - من الصالحين^(١) دليل صريح على عدم مشروعيته^(٢).

وسبب إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ترك هذا التبرك مع بعضهم - والله أعلم - هو اعتقاد اختصاص الرسول - صلى الله عليه وسلم - به دون سواه ما عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام^(٣).

وعلى هذا، فلا يجوز قياس سائر أولياء الله والصالحين على النبي - صلى الله عليه وسلم - في التبرك بجسده وآثاره الشريفة، ولما في ذلك من سد الذرائع المفضية إلى الشرك. قال الشاطبي في بيان العلة في ترك صحابة رسول الله التبرك ببعضهم: "لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حد بل تتجاوز فيه الحدود، وتبالغ بجهلها في التماس البركة حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن الحد، فرما اعتقد في المتبرك به ما ليس فيه"^(٤).

وللعلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب كلام جميل في الرد على المجيزين للتبرك بأجساد الصالحين وآثارهم قياسا على النبي - صلى الله عليه وسلم - يحسن بي أن أنقله في هذا الصدد لأهميته واشتماله على براهين قاطعة تدل على بطلان ما ذهب إليه المجيزون للتبرك بهذا الوجه، قال: "تنبيه: ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم، والتمسح بهم أو بثيابهم، وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين، والتبرك بعرقهم ونحو ذلك، وقد أكثر من ذلك أبو زكريا النووي في شرح مسلم في الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا شيئا من ذلك مع النبي - صلى الله عليه وسلم، وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي - صلى الله عليه وسلم، وهذا

(١) حكى إجماعهم على ذلك الإمام الشاطبي في الاعتصام ص ٣١١، وسليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد، وعبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد كلاهما في باب من تبرك بشجرة أو حجر.

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية ص ٢٩١.

(٣) التبرك أنواعه وأحكامه ص ٢٦٣.

(٤) الاعتصام للشاطبي ص ٣١١.

خطأ صريح لوجوه: منها عدم المقاربة فضلا عن المساواة للنبي - صلى الله عليه وسلم - في الفضل والبركة، ومنها عدم تحقق الصلاح، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب، وهذا أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص، كالصحابة الذين أثنى الله عليهم ورسوله، أو أئمة التابعين، أو من شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك، أما غيرهم فغاية الأمر أن نزن أنهم صالحون فنرجو لهم، ومنها أنا لو ظننا صلاح شخص فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء، والأعمال بالخواتيم، فلا يكون أهلا للتبرك بآثاره. ومنها أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته، ولا بعد موته، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، فهلا فعلوه مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بالجنة، وكذلك التابعون هلا فعلوه مع سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وأويس القرني والحسن البصري ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم، فدل أن ذلك مخصوص بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ومنها أن فعل هذا مع غيره - صلى الله عليه وسلم - لا يؤمن أن يفتنه وتعجبه نفسه فيورثه العجب والكبر والرياء فيكون هذا كالمذبح في الوجه بل أعظم^(١).

أما التبرك بقبور الأولياء والصالحين باتخاذها أماكن للعبادة وأن ذلك سبب لقبول هذه العبادة، وكذلك تقبيلها والتمسح بها وأخذ ترابها للاستشفاء أو الإهداء للغير، فكل هذا منهي عنه؛ لأنه طريق نافذ جدا إلى الوقوع في الشرك الأكبر الذي هو أعظم الذنوب الذي عصي الله به، فكل ما عدا الزيارة الشرعية لقبور الصالحين أو غيرهم فهو ممنوع من قبل الشرع مثل تلك الأوجه المذكورة للتبرك بالقبور.

ومن أدلة عدم شرعية التبرك بقبور الأولياء والصالحين^(٢):

- ١ - أنه ليس في الكتاب العزيز ولا في السنة المطهرة ما يدل على مشروعية التبرك بالقبور على أي صورة من صور التبرك المبتدع، أو مظهر من مظاهره.
- ٢ - بل قد تواترت النصوص عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنهاي عن الصلاة عند القبور مطلقا، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها، ونحو ذلك.

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٥٠-١٥١.

(٢) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه ص ٤٠١.

فمن تلك النصوص ما ثبت في صحيح مسلم عن جندب رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أممي خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك)^(١). ومنها ما روي عن أبي مرثد الغنوي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها)^(٢)، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا النهي.

٣- أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم لم يفعلوا ذلك التبرك بالقبور، وإنما المأثور عنهم تجنب ذلك وتنبه بعضهم لبعض على خطر هذا الفعل الشنيع، ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أنس بن مالك رضي الله عنه يصلي عند قبر فقال: (القبر، القبر)^(٣).

وقد علق الإمام ابن القيم رحمه الله على هذا الأثر قائلاً: "وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة رضي الله عنهم ما نهاهم عنه نبيهم من الصلاة عند القبور" ثم قال: "وفعل أنس رضي الله عنه لا يدل على اعتقاده جوازه، فإنه لعله لم يره، أو لم يعلم أنه قبر، أو ذهل عنه، فلما نبهه عمر رضي الله تعالى عنه تنبه"^(٤).

وكل هذه الأدلة حجج قاطعة تثبت لنا أن لا مزية لأداء أية عبادة عند القبور، وأن التبرك بها لم يشرع؛ ولذلك لم يعمله أحد من سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وإنما تمسكوا في ذلك بما أرشدهم إليه نبيهم، والحق مع من معه السنة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهي عن بناء المسجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد - ص ٧٦٠ برقم (٥٣٢) عن جندب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجنائز - باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه - ص ٨٣٠ برقم (٩٧٢) عن أبي مرثد الغنوي.

(٤) أورده البخاري في صحيحه تعليقا - كتاب المساجد - باب هل تنبش قبور المشركين ويتخذ مكانها مساجد، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤٣٥/٢.

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان تأليف محمد بن أبي بكر أيوب الزرععي ١/١٨٦، تحقيق محمد حامد الفقي، ط/الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، دار المعرفة - بيروت.

أما التبرك بالأماكن التي نزل بها بعض العلماء حين دخوله بلدا معينا، أو الشجرة التي استظل بها أو صلى تحتها أو غرسها، كل هذا لا يجوز؛ إذ قد قررت سابقا عند بيان المشروع من التبرك بالبقاع ما تجيزه شريعتنا الغراء التبرك به فلم يدخل في ذلك تلك البقاع التي فعل فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - بعض العبادات دون قصده البقعة بذاتها.

"وبناء على ذلك فإن المواضع التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة - ما عدا مسجده صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء - أو على طرقها، أو بمكة - ما عدا المسجد الحرام - ونحو ذلك مما لم يقصده بذاته، كبعض المساجد بمكة أو المدينة وما حولهما، المبنية على آثار صلاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حضره أو سفره أو غزواته - إن صح ذلك - لا تشرع الصلاة فيها على سبيل القصد والقربة والتبرك، وكذلك المواضع والجبال التي جلس أو أقام فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما عدا المشاعر لا تقصد العبادة فيها التماسا للبركة"^(١).

والأدلة على عدم شرعية التبرك بهذه المواضع كالتالي^(٢):

- ١ - عدم وجود دليل من النصوص الشرعية يفيد جواز ذلك الفعل أو استحبابه، ولا شك أن الجلوس في تلك المواضع للصلاة أو الدعاء أو الذكر ونحو ذلك قربة وتبركا من أنواع العبادة، والعبادة مبناهما على الاتباع لا على الابتداع.
- ٢ - أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينقل عن أحد منهم أنه تبرك بشيء من المواضع التي جلس فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم، أو البقع التي صلى عليها - عليه الصلاة والسلام اتفاقا، مع أنهم أحرص الأمة على التبرك بالرسول - صلى الله عليه وسلم، ومع علمهم بتلك المواضع، وشدة محبتهم للرسول - صلى الله عليه وسلم - وتعظيمهم له، واتباعهم بسنته.
- ٣ - نهي السلف الصالح عن هذا التبرك قولاً وفعلاً.

وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الهدى ينكرون التبرك بهذا الوجه، وكان على رأس هؤلاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الراشد الذي قال عنه النبي - صلى الله عليه وسلم: (إن الله جعل الحق على لسان عمر

(٢) التبرك أنواعه وأحكامه ص ٣٤٣.

(٣) المرجع السابق ص ٣٤٣ وما بعدها.

وقلبه^(١)، فقد (رأى الناس وهو راجع من الحج ينزلون فيصلون في مسجد، فسأل عنهم، فقالوا: مسجد صلى فيه النبي - صلى الله عليه وسلم، فقال: إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا، من مر بشيء من هذه المساجد فحضرت الصلاة فليصل، وإلا فليمض)^(٢).

٤- أن منع هذا التبرك من باب سد لذريعة الشرك الذي قد ينتج عن تعظيم هذه الأماكن والصلاة عندها، وقد حرمت النصوص الشرعية اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد وأثبتت أن ذلك من فعل أهل الكتاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيانه لهذه المسألة: "وأما زيارة المساجد التي بنيت بمكة غير المسجد الحرام كالمسجد الذي تحت الصفا وما في سفح أبي قبيس و نحو ذلك من المساجد التي بنيت على آثار النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه كمسجد المولد وغيره، فليس قصد شيء من ذلك من السنة، ولا استحبه أحد من الأئمة، وإنما المشروع إتيان المسجد الحرام خاصة، والمشاعر: عرفة ومزدلفة والصفا والمروة، وكذلك قصد الجبال والبقاع التي حول مكة غير المشاعر: عرفة ومزدلفة ومنى، مثل جبل حراء والجبل الذي عند منى الذي يقال أنه كان فيه قبة الفداء ونحو ذلك، فإنه ليس من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيارة شيء من ذلك، بل هو بدعة، وكذلك ما يوجد في الطرقات من المساجد المبنية على الآثار والبقاع التي يقال إنها من الآثار، لم يشرع النبي - صلى الله عليه وسلم - زيارة شيء من ذلك بخصوصه، ولا زيارة شيء من ذلك"^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب [إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه] - ص ٢٠٣١ برقم (٣٦٨٢)، وأحمد في مسنده ٥٣/٢، وابن حبان في صحيحه ٣١٨/١٥ برقم (٦٨٩٥) عن ابن عمر، وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٩٠٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١١٨/٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٥١/٢ عن المعمر بن سويد، وصححه الألباني في تعليقه على إصلاح المساجد. إصلاح المساجد من البدع والعوائد تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي ص ٢٠٤، خرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/الخامسة ١٤٠٣ هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

(١) مجموع الفتاوى ١٤٤/٢٦

فالتبرك بآثار الرسول - صلى الله عليه وسلم - المكانية كمواضع صلاته ودعائه، أو جلوسه، أو نومه، ونحو ذلك مما فعل فيه العبادات دون قصده المكان بذاته، فهذا مما لا يشرع قصده أو تحريمه بالعبادات؛ لأنه - صلوات الله وسلامه عليه - تعبد الله في هذه الأماكن اتفاقاً من غير قصد لها لذاتها، وإنما لأنه - عليه الصلاة والسلام - كان موجوداً فيها وقت تعبده الله تعالى بهذه العبادة، ولم يرد دليل شرعي يدل على فضلها.

وما من شك أن هذا إذا لم يشرع في حق المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فإن ما عداه من الصالحين وغيرهم ليس مشروعاً في حقهم من باب أولى^(١).

ولذا، فإن الأمر المعتاد عند بعض المسلمين في المجتمع النيجيري من التبرك بالأماكن التي نزل بها بعض العلماء حين دخوله في بلد معين أو الشجرة التي استظل بها أو صلى تحتها أو غرسها، كل ذلك منهي عنه، فلا يجوز للمسلم أن يقصد هذه الأماكن للتعبد لله عندها، كما لا يجوز له مسح شيء منها طلباً للبركة.

وفيما يخص التبرك بالتواضع الجاهلي فإن الإنسان العاقل يتأمل ويسأل نفسه: أية بركة يمكن أن تحصل من خلال مشي التلميذ حافياً أمام شيخه أو أمام منزله، أو انحنائه له؟ ولقد سبق أن بينتُ الطرق المشروعة للتبرك بالنبي الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - وسائر الأولياء والصالحين، وهذا التواضع الجاهلي ليس من تلك الطرق في شيء.

وقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: (لم يكن شخص أحب إليهم من النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك..)^(٢)، وإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يُحترم بالقيام له ناهيك عن الانحناء، مع أنه أفضل الخلق، وسيد ولد آدم، فكيف يتبرك بهذا النوع من الاحترام لمن يبعد عنه - صلى الله عليه وسلم - في الدرجة ولم يدانيه في المنزلة إطلاقاً.

الصورة الثانية: التبرك بالأزمنة والأماكن والأعيان التي لم يرد في الشرع ما يدل على مشروعيتها التبرك بها، مثل التبرك بليلة نصف شعبان، وآخر جمعة من رمضان، ويوم عاشوراء

(٢) التبرك أنواعه وأحكامه ص ٣٤١، ٣٨٤، تسهيل العقيدة ص ٢٩٦.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الأدب - باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل - ص ١٩٢٩ برقم (٢٧٥٤)، وأحمد في المسند ١٣٢/٣، عن أنس بن مالك، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٤٦٩٨)..

بتخصيص هذه الأزمنة بعبادات معينة لم يرد دليل شرعي يدل على تخصيصها بها، ومثل التبرك بالنهر أو الجبل بسبب شفاء شخص ما من مرضه حينما شرب من ماء ذلك النهر أو قام بزيارة ذلك الجبل.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال في عون العلماء الصالحين تحت عنوان "دعاء يوم عاشوراء": "يستحب في يوم عاشوراء أن يقرأ هذا الدعاء سبعين مرة: حسبي الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير"^(١). وقال في موضع آخر تحت عنوان "دعاء يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر": "فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة كلها، يستحب أن يصلى في ذلك اليوم أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة منها بعد الفاتحة سورة إنا أعطيناك الكوثر - سبعة عشر مرة، والإخلاص - خمس مرات، والمعوذتين مرة مرة. ويقرأ بعد السلام بهذا الدعاء، فإذا فعل ذلك حفظه الله من جميع البلايا"^(٢)، ثم ذكر الدعاء.

وفي موضع آخر تحت عنوان "دعاء ليلة المبعث أي ٢٧ رجب" قال: "وهي من الليالي الشريفة، ويستحب فيها قراءة هذا الدعاء بعد الاغتسال"^(٣)، ثم ذكر الدعاء. وقال عن ليلة نصف شعبان: "أدعية شعبان - ليلة نصف شعبان من الليالي المباركة، يستحب فيها قراءة دعاء كَمِيل كما تقدم"^(٤)، ثم ذكر الدعاء.

فكل هذه العبادات التي يخصصها هؤلاء الناس بأماكن وأزمنة على حسب هواهم ويتبركون بأدائها لله فهي من البدع الشنيعة؛ إذ لا بد أن يكون الشيء الذي يتبرك به مما يدل الشرع على أن فيه بركة، وأن يكون الطريق الذي يتبرك به مشروعاً أو مباحاً، وإذا فقد هذين الشرطين أو أحدهما فيما يتبرك به فإن ذلك النوع من التبرك ممنوع.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن الدين أصله متابعة النبي - صلى الله عليه وسلم - وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا وسنه لنا، ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها، بخلاف ما كان من خصائصه، فأما الفعل الذي لم يشرعه هو لنا، ولا أمرنا

(١) عون العلماء الصالحين ص ٤٦.

(٢) المرجع السابق ص ٤٦.

(٣) المرجع السابق ص ٤٧.

(٤) المرجع السابق ص ٥٠.

به، ولا فعله فعلا سن لنا أن نتأسى به فيه، فهذا ليس من العبادات والقرب، فاتخاذ هذا قربة مخالفة له - صلى الله عليه وسلم" (١).

وكذلك لا يقصد نهر من الأنهار أو جبل من الجبال للتبرك إلا إذا دل دليل شرعي على ذلك، فالآبار التي شرب منها النبي - صلى الله عليه وسلم - أو اغتسل منها، لا تقصد تبركا واستشفاء إلا بئر زمزم، فإنها هي التي دلت النصوص على التبرك والاستشفاء بشرب مائها، وكذا المواضع والبقاع والجبال التي جلس أو أقام فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم، لا تقصد العبادة فيها التماسا للبركة إلا المشاعر (٢).

ومما يدل على عدم شرعية قصد هذه المواضع والجبال للتبرك إنكار بصرة بن أبي بصرة الغفاري على أبي هريرة عند خروجه إلى الطور، ففيه: (فخرجت فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال: من أين جئت؟ قلت: من الطور، قال: لو لقيتك من قبل أن تأتيه لم تأتته، قلت له: ولم؟ قال: إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس) (٣).

فكل ما ذكرناه في هذه الصورة من التبرك بالمواضع والأزمنة والجبال والعيون بأي نوع من أنواع التبرك من مسح، أو تقبيل، أو اغتسال، أو غير ذلك فهو محرم، ولا يفعله إلا الجهال؛ لأنه إحداث عبادات ليس لها أصل في الشرع، ولأنه من أعظم أسباب الوقوع في الشرك الأكبر، وذلك أن الغلو في تعظيم هذه الأشياء قد يؤدي إلى عبادتها، واعتقاد أنها تنفع وتضر بذاتها، وهذا هو الشرك بعينه.

حكم هذه الصور:

إن التبرك الممنوع بجميع صورته المذكورة فحكمه إما أن يكون شركا أكبر أو شركا أصغر، وتفصيل ذلك كالتالي:

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/٥٠٤.

(٢) التبرك أنواعه وأحكامه ص ٣٤٣.

(٣) أخرجه النسائي في سننه - كتاب الجمعة - باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة - ص ٢١٨١ برقم

(١٤٣١)، والإمام مالك في الموطأ - كتاب الجمعة - باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة ١/١٠٨ برقم

(٢٤١)، والإمام أحمد ٧/٦، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (١٣٣٢٨).

إذا اعتقد المتبرِّك أن المتبرِّك به - وهو المخلوق - يهب البركة بنفسه، فيبارك في الأشياء بذاته استقلالاً، أو طلب منه الخير والنماء فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فهذا شرك أكبر؛ لأن الله تعالى وحده موجد البركة وواهبها كما ثبت في صحيح البخاري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (البركة من الله)^(١)، فطلبها من غيره، أو اعتقاد أن غيره يهبها بذاته شرك أكبر^(٢).

أما إذا تبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به، معتقداً أن الله جعل فيه بركة، أو تبرك بشيء ورد التبرك به لكن بوجه غير الذي ورد التبرك به في الشرع فهذا من الشرك الأصغر؛ لأن فيه إحداث عبادة لا دليل عليها من كتاب أو سنة، ولأنه جعل ما ليس بسبب سبباً، وهو طريق سريع للوقوع في الشرك الأكبر^(٣).

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى في جوابه عن حكم التبرك بالقبور: "وأما التبرك بها فإن كان يعتقد أنها تنفع من دون الله عز وجل، فهذا شرك في الربوبية مخرج عن الملة، وإن كان يعتقد أنها سبب وليست تنفع من دون الله فهو ضال غير مصيب، وما اعتقده فإنه من الشرك الأصغر"^(٤).

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في شرحه لحديث أبي واقد الليثي^(٥): "فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بها كما تبرك المشركون بها، وأولئك طلبوا إلهاماً لهم آلهة، فيكون في كلا الطرفين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذ إلهاماً شرك واضح"^(٦). وفي شرحه للحديث المذكور قال سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: "فالحاصل، أن التبرك بالأشجار والأحجار هو من سنة المشركين، ومن سنة الجاهلية، ومن فعله فهو متشبه بالكفار، وهو كافر مثلهم، لا فرق بين من يعبد القبر ومن يعبد اللات والعزى، أو الذي يطلب البركة من الشجرة والذي يطلبها من الصنم، لا فرق بينهما" ثم قال: "ففي هذا بطلان

(١) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية ص ٢٨٩.

(٣) المرجع السابق ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٤) فتاوى مهمة ص ٨٨.

(٥) سبق تخريجه ص ٢٥٤.

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد ١/٢٠٥.

التبرك بالأشجار والأحجار، وأنه شرك؛ لأن موسى عليه السلام قال: ﴿أَغْيِرَ اللَّهُ أْبْغِيكُمْ
إِلَهًا﴾ (الأعراف: ١٤٠)، فدل على أن من تبرك بشجر أو حجر فقد اتخذ إلهًا، وهذا هو
الشرك" (١).

إن تلك الصور المذكورة للتبرك الممنوع التي قد انخدع بها كثير من مسلمي نيجيريا
واعتادوها حتى أصبحت جزءًا من عقائدهم فسببها الجهل واتباع الهوى، ولا شك أن الجهل
يضل ولا يهدي، واتباع الهوى لا يؤدي بصاحبه إلا إلى الضلالة. والله تعالى أسأل أن ينير
الطريق لمن ابتلوا بهذه المصيبة من مسلمي قومي ليهدتوا إلى ما أرشدهم إليه الشرع المطهر؛
فالشرع أتى ليعيد الناس إلى صوابهم، ويطارد الانحراف بشتى الوسائل. والله الهادي إلى سواء
السييل.

شبه وردود

الشبهة الأولى:

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١/١٦١-١٦٢.

استدلّاهم بتبرك الصحابة رضي الله عنهم بالنبي - صلى الله عليه وسلم - في حياته، فحوزوا بذلك التبرك بقبره - عليه الصلاة والسلام - بعد وفاته، وكذلك قبور غيره من الأولياء والصالحين.

والرد على ذلك من وجوه:

١ - أنه إذا كانوا يستدلون بفعل الصحابة الكرام عليهم رضوان الله، فينبغي أن لا يكون بفعلهم في حال دون حال أو في فترة من الزمن دون فترات أخرى، بل يجب الاستدلال بفعلهم وهم الذين صاحبوا النبي - صلى الله عليه وسلم، وشاهدوا التنزيل، وتعلموا ثم تخرجوا في مدرسة النبوة، وعاشوا في خير القرون.

ولو استدلو بفعل الصحابة الكرام بعد وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام - كما استدلو بفعلهم في حياته لأدركوا تمام الإدراك بأنهم عليهم رضوان الله لم يكونوا يتبركون بقبره أو يتقصدون أي نوع من أنواع العبادة عنده.

٢ - بل إن المستقر عندهم هو النهي عن فعل أي نوع من أنواع العبادة لله تعالى عند القبر أو التبرك به، ومما يدل على ذلك من سيرهم العطرة:

إخفاؤهم قبر دنيال لئلا يفتتن الناس به، فقد روى محمد بن إسحاق عن أبي خالد بن دينار عن أبي العالية قال: لما افتتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب فدعا له كعبا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما قرأ القرآن هذا، فقلت لأبي العالية ما كان فيه؟ قال: سيركم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا ينبشونه، قلت: فما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون، قلت: من كنتم تظنون الرجل: قال: رجل يقال له دانيال^(١).

(١) أوردها ابن كثير في البداية والنهاية ٤٠/٢، وقال: وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية. البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء، مكتبة المعارف - بيروت، وانظر: مجموع الفتاوى ١٧١/٢٧، دقائق التفسير

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس، وهو إنكار منهم لذلك"^(١).

ومنه ما روي عن أنس قال: قمت يوماً أصلي وبين يدي قبر لا أشعر به، فناداني عمر: القبر القبر، فظننت أنه يعني القمر، فقال لي بعض من يليني: إنما يعني القبر، فتنحيت عنه^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لو كان للأعمال عند القبر فضيلة لفتح للمسلمين باب الحجرة، فلما منعوا من الوصول إلى القبر وأمروا بالعبادة في المسجد علم أن فضيلة العمل فيه لكونه في مسجده"^(٣).

٣- أنه قد وردت عدة أحاديث في نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن اتخاذ القبور مساجد، وتحذيره عن اتخاذ قبره عيداً، ومن ذلك:

ما رواه عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالاً: لما نزل برسول الله - صلى الله عليه وسلم - طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). يحذر ما صنعوا^(٤).

وما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد)^(٥).

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)^(٦).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٣٩.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٥٦.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٧/٢٣٦-٢٣٧.

(٥) سبق تخريجه ص ١١٥.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ١/٤٠٥، وابن خزيمة في صحيحه ٦/٢، وابن حبان في صحيحه ٦/٩٤، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/١٨٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣/٣٠ عن عبد الله بن مسعود، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/١٤٣: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٢٠٤٢)، وأحمد في مسنده ٢/٣٦٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٣/٤٩١، عن أبي هريرة، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (١٣١٨٢).

٤- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- لم يرشد أمته إلى هذا النوع من التبرك، وقد أرسل رحمة للعالمين، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، لم يدع شيئاً يقربهم من الله إلا دلهم عليه، ولا شيئاً يباعدهم عن الله إلا حذرهم منه.

وما دل عليه أمته أو فعلوه في حضرته وأقربهم عليه التبرك بذاته وبما انفصل من جسده الشريف، يدل على ذلك:

ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه أنه قال: خرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، وفيه: وقام الناس، فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك^(١).

وما جاء في صحيح البخاري في حديث صلح الحديبية أن عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه قال عن أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم: فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده^(٢).

وما جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه، قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأثيت فقيل لها: هذا النبي- صلى الله عليه وسلم- نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها، فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففرغ النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: (ما تصنعين يا أم سليم؟) فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: (أصببت)^(٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المناقب- باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم- ص ٢٨٩ برقم (٣٥٥٣) عن أبي جحيفة.

(٣) جزء من حديث صلح الحديبية الطويل أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الشروط- باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط- ص ٢١٧-٢١٨ برقم (٢٧٣٢، ٢٧٣١) عن عروة بن الزبير.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الفضائل- باب طيب عرق النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك به- ص ١٠٨٩ برقم (٢٣٣١) عن أنس بن مالك.

وما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وفيه (فكان يصنع للنبي - صلى الله عليه وسلم - طعاما، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتبع موضع أصابعه)^(١).

وما ثبت في الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: (أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟) فقال الغلام: لا والله، لا أوتر بنصبي منك أحدا، قال: فتلّه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في يده^(٢).

ولو كان التبرك بقبره - عليه الصلاة والسلام - مما ينفع الأمة لدلهم عليه، وأرشدهم إليه، ولما لم يفعل ذلك علم أن هذا الأمر من المحدثات التي كلها ضلالة.

٥- أن العلماء المعتبرين وأئمة الدين المصلحين قد اتفقوا على أن التمسح بالقبر وتقبيله مما ينهى عنه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "واتفق العلماء على أن من زار قبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين والصحابه وأهل البيت وغيرهم أنه لا يتمسح به ولا يقبله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وأما التمسح بقبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وتقبيله فكل الأئمة الأربعة كرهوا ذلك ونهوا عنه؛ وذلك لأنهم علموا ما قصده النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من حسم مادة الشرك، وتحقيق التوحيد، وإخلاص الدين لله رب العالمين"^(٣).

٦- أن مبدأ الشرك في البشرية كان من جهة القبور والتبرك بها.

ففي شرح قصيدة ابن القيم: "لم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر عند الدعاء، واتفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا يقبله، وهذا كله محافظة

(٢) جزء من حديث أبي أيوب الأنصاري أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الأشربة - باب إباحة أكل الثوم - ص ١٠٤٤ برقم (٢٠٥٣) عن أبي أيوب الأنصاري.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأشربة - باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر؟ - ص ٤٨٢ برقم (٥٦٢٠)، ومسلم في صحيحه - كتاب الأشربة - باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما على يمين المبتدئ ص ١٠٤٠ برقم (٢٠٣٠) عن سهل بن سعد الساعدي.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٧/٧٩-٨٠.

على التوحيد، فإن من أصول الشرك بالله سبحانه اتخاذ القبور مساجد كما قالت طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (نوح: ٢٣) قالوا: هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا على صورهم تماثيل، ثم طال عليهم الأمد فعبدها. وقد ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عباس، وذكره محمد بن جرير الطبري وغيره في التفسير عن غير واحد من السلف^(١).

٧- أن التبرك بالقبور بتقبيلها والتمسح بها مما يفضي إلى أعمال أهل الجاهلية من الشرك بدعاء الأموات والاستغاثة بهم، واعتقاد الخير فيهم والاستعاذة بهم من الشر.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله بعد إirاده لأحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد: "فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- مقاصده، جزم جزما لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة منه باللعن والنهي بصيغته: صيغة لا تفعلوا، وصيغة إني أمركم، ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عدم في تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هذا وأمثاله من النبي- صلى الله عليه وسلم- صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له، وغضب لربه أن يعدل به سواه، فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكابا لنهيه، وغرهم الشيطان فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم أشد لها تعظيما وأشد فيهم غلوا كنتم بقربهم أسعد ومن أعدائهم أبعد. ولعمر الله، من هذا الباب بعينه دخل على عباد يغووث ويعوق ونسر، ومنه دخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة، فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم، وهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم، وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم"^(٢).

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى ٣٦٠/٢،

تحقيق زهير الشاويش، ط/الثالثة ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.

(١) إغاثة اللهفان ١/١٨٩.

وإذا كان التبرك بقبره- عليه الصلاة والسلام- لم يشرع ولم يدل عليه أي دليل، فمن باب أولى استبعاد شرعية التبرك بقبور غيره من الأولياء والصالحين.

الشبهة الثانية:

قياسهم سائر الأولياء والصالحين بالنبي- صلى الله عليه وسلم- في التبرك بذاته وآثاره لتجوز التبرك بذوات هؤلاء الصالحين وآثارهم.

والرد على ذلك من وجوه:

١- أن قياس سائر الصالحين بالنبي- صلى الله عليه وسلم- في التبرك بذاته وآثاره قياس مع الفارق؛ ذلك أن الأدلة قد وردت في التبرك بذات النبي- عليه الصلاة والسلام- وآثاره تدل على شرعيته، أما التبرك بذوات غيره من الصالحين وآثارهم فلم يرد دليل واحد في ذلك، لا من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم.

٢- أن التبرك بذات النبي- صلى الله عليه وسلم- وآثاره أمر مشهور بين الصحابة، فقد كانوا يتسابقون إليه لمعرفة ما لهم فيه من منفعة؛ بدليل جواب أم سليم لما سألت النبي- عليه الصلاة والسلام- عن سبب جمعها لعرقه وإقرارها عليه: (ما تصنعين يا أم سليم؟) فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: (أصببت)^(١).

ومع هذا كله لم يكونوا يتبركون بغيره من كبار الصحابة مثل أبي بكر وعمر، لا في حياة النبي- عليه الصلاة والسلام- ولا بعد وفاته، فعلم من ذلك يقينا بأن هذا النوع من التبرك من خصوصيته- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فلا غرابة فقد جاء في الشرع اختصاصه بأشياء دون غيره، وهذا أمر لا يشك فيه مؤمن.

٣- أن التبرك بذوات الأولياء والصالحين وآثارهم سبب للغلو فيهم، بل قد يوصل إلى الإشراك بالله، كدعائهم والاستغاثة بهم، وطلب الشفاء منهم صراحة، والشريعة قد جاءت بسد كل باب مفض إلى مفسدة، وخاصة إذا كانت تلك المفسدة متعلقة بأصل الرسالة، وهو توحيد الله عز وجل^(٢).

الشبهة الثالثة:

(٢) سبق تحريجه ص ٣٦٧.

(١) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٨٨٥.

الاستدلال بتحنيك النبي - صلى الله عليه وسلم - للطفل، وأن ذلك يفيد مشروعية التبرك بالصالحين.

ففي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها هاجرت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي حبلى بعبد الله بن الزبير. قالت: فأتيت المدينة فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم، ثم حنكه بالتمرة^(١).

ويوردون هنا ما يذكره بعض أهل العلم من أن ذلك دال على استحباب التبرك بأهل الفضل والصلاح، ومن ذلك ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح عند شرحه لحديث أم قيس في نضح النبي - صلى الله عليه وسلم - على بول الطفل، حيث قال: "وفي هذا الحديث من الفوائد: الندب إلى حسن المعاشرة والتواضع، والرفق بالصغار، وتحنيك المولود، والتبرك بأهل الفضل، وحمل الأطفال إليهم حال الولادة وبعدها"^(٢).

والرد على ذلك كما يلي:

أن هذا متعقب بأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يفعلون ذلك إلا مع النبي - صلى الله عليه وسلم، فيكون ذلك داخلا في عموم تبركهم بأثره - عليه الصلاة والسلام، وقد تقدم تقرير خصوصية النبي في ذلك وعدم جواز قياس غيره من الصالحين عليه.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى معقبا على كلام الحافظ ابن حجر السابق: "في هذا نظر، والصواب أن ذلك خاص بالنبي - صلى الله عليه وسلم، ولا يقاس عليه غيره؛ لما جعل الله فيه من البركة وخصه به دون غيره؛ ولأن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا ذلك مع غيره - عليه الصلاة والسلام - وهم أعلم الناس بالشرع، فوجب التأسى بهم؛ ولأن جواز مثل هذا لغيره - صلى الله عليه وسلم - قد يفضي إلى الشرك، فتنبه"^(٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العقيدة - باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه - ص ٤٧١ برقم

(٥٤٦٩)، ومسلم في صحيحه - كتاب الآداب - باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته - ص ١٠٦٠ - ١٠٦١

برقم (٢١٤٦) عن أسماء بنت أبي بكر.

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١/٣٢٧.

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر وعليه تعليقات مهمة للشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد الرحمن البراك ٣/٦٨٤

الشبهة الرابعة:

الاستدلال بفعل ابن عمر رضي الله عنهما في تتبعه لآثار النبي - صلى الله عليه وسلم - لجواز التبرك ببعض البقاع التي لم يرد عليه دليل.

والرد على ذلك من وجوه:

١- أن هناك أماكن كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - فيها شأن كغار حراء، وغار ثور، ومكان مولده، والموضع الذي أسري به منه، وموضع بيعة العقبة ونحو ذلك من البقاع، ومع ذلك لم يكن - عليه الصلاة والسلام - يخص تلك الأماكن بشيء، ولم يشرع لأمته زيارتها ولا الصلاة عندها ولا غير ذلك^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ثم إنه - أي النبي صلى الله عليه وسلم - اعتمر عمرته الرابعة مع حجة الوداع، وحج معه جماهير المسلمين لم يتخلف عن الحج معه إلا من شاء الله، وهو في ذلك كله لا هو ولا أحد من أصحابه يأتي غار حراء ولا يزوره، ولا شيئاً من البقاع التي حول مكة، ولم يكن هناك إلا بالمسجد الحرام، وبين الصفا والمروة وبمنى ومزدلفة وعرفات، وصلى الظهر والعصر ببطن عرنة، وضربت له القبة يوم عرفة بنمرة المجاورة لعرفة. ثم بعده خلفاؤه الراشدون وغيرهم من السابقين الأولين لم يكونوا يسرون إلى حراء ونحوه للصلاة فيه والدعاء.

ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعاً مستحباً يثيب الله عليه لكان النبي - صلى الله عليه وسلم - أعلم الناس بذلك وأسرعهم إليه، ولكان علم أصحابه ذلك، وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقرية وطاعة، فمن جعلها عبادة وقرية وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم، وشرع في الدين ما لم يأذن به الله"^(٢).

٢- أن ذلك لم يكن من هدي الصحابة رضي الله عنهم، بل المنقول عنهم هو النهي عن تتبع البقاع التي لم يقر الدليل على تقصد العبادة عندها، ومن أدلة ذلك:

الهامش رقم (٤)، ٧٠٩/٣ الهامش رقم (٣)، ٣٦٧/٤ الهامش رقم (١).

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٨٩٨.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٢٥-٤٢٦.

ما روي عن المعرور بن سويد قال: خرجنا مع عمر في حجة حجها فقراً بنا في الفجر (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) و (لايلاف قريش)، فلما قضى حجه ورجع والناس يتندرون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم، فقال: هكذا هلك أهل الكتاب، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعة، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل^(١).

وما جاء في قطع عمر للشجرة التي تمت عندها بيعة الرضوان، لما رأى الناس يأتون إليها. فقد روى ابن سعد في الطبقات الكبرى قال: "أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء أخبرنا عبد الله بن عون عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها، قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها، وأمر بها، فقطعت"^(٢).

وما ثبت أن بعض الصحابة والتابعين قد قام بزيارة بيت المقدس وصلى فيه، فلم يقصد أحدهم الصخرة، ولا صلى عندها، ولا خصها بشيء من العبادات، لا هي ولا غيرها من المواضع هناك مما لم يقيم دليل على تخصيصه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولم يصل عمر ولا المسلمون عند الصخرة، ولا تمسحوا بها، ولا قبلوها بل يقال إن عمر صلى عند محراب داود عليه السلام الخارج، وقد ثبت أن عبد الله بن عمر كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه وصلى فيه، ولا يقرب الصخرة ولا يأتيتها، ولا يقرب شيئاً من تلك البقاع، وكذلك نقل عن غير واحد من السلف المعتبرين كعمر بن عبد العزيز والأوزاعي وسفيان الثوري وغيرهم؛ وذلك أن سائر بقاع المسجد لا مزية لبعضها عن بعض إلا ما بنى عمر رضي الله عنه لمصلى المسلمين"^(٣).

٣- أن ما عليه بقية صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخالف فعل ابن عمر هذا، وعلى رأس من خالفه أبوه عمر بن الخطاب حيث كان ينهى عن تتبع الآثار التي كان يمر بها النبي - صلى الله عليه وسلم - اتفاقاً، وما من شك أن قول عمر مقدم على رأي ابنه عبد

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٥١/٢ عن المعرور بن سويد. وقال الألباني في الثمر المستطاب ١/١٧٤: هذا إسناد صحيح على شرط الستة، الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب تأليف محمد ناصر الدين الألباني، ط/ الأولى غراس للنشر والتوزيع.

(٣) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري ١٠٠/٢، دار صادر - بيروت.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٣٤-٤٣٥.

الله، وقد قال النبي - عليه الصلاة والسلام: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)^(١)، فهذا الفعل مما انفرد به عبد الله بن عمر، لم يوافقه عليه بقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولأن ما فعله ابن عمر لم يوافقه عليه أحد من الصحابة، فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا عن غيرهم من المهاجرين والأنصار أن أحدا منهم كان يتحرى قصد الأمكنة التي نزلها النبي - صلى الله عليه وسلم، والصواب مع جمهور الصحابة؛ لأن متابعة النبي - صلى الله عليه وسلم - تكون بطاعة أمره وتكون في فعله بأن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعله، فإذا قصد النبي - صلى الله عليه وسلم - العبادة في مكان كان قصد العبادة فيه متابعة له، كقصد المشاعر والمساجد، وأما إذا نزل في مكان بحكم الاتفاق لكونه صادف وقت النزول أو غير ذلك مما يعلم أنه لم يتحر ذلك المكان، فإننا إذا تحرينا ذلك المكان لم نكن متبعين له، فإن الأعمال بالنيات"^(٢).

٤ - أنه لم ينقل عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يفعل ذلك تبركا بتلك البقاع، وإنما يحمل ذلك على ما كان عليه رضي الله عنه من شدة الاتباع للنبي - صلى الله عليه وسلم، وهذا اجتهاد منه رضي الله عنه في المبالغة في الاتباع، لا سيما وأنه لم يوافق على ذلك^(٣).

ثم إنه لم يكن يتقصد تلك البقاع بالسفر وشد الرحل إليها، وإنما كان يتقصد ما دامت في طريق سفره^(٤). والله تعالى أعلم.

الشبهة الخامسة:

الاستدلال بطلب بعض الصحابة من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يصلي لهم في بيوتهم ليتخذوا من ذلك المكان مصلى.

ففي الصحيحين من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه أنه أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله إني أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم لأصلي لهم، فوددت يا رسول الله

(٢) سبق تخرجه ص ٣٥٨.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٨٧.

(٤) انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع للدكتور علي بن نفيح العلياني ص ٧٠، ط/الأولى ١٤١١ هـ، دار الوطن للنشر - الرياض، التبرك للحديع ص ٣٥٠.

(١) انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع للعلياني ص ٧٠.

أنك تأتي فتصلي في بيتي فأأخذ مصلى، فقال: (سأفعل إن شاء الله). قال عتبان: فغدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قال لي: (أين تحب أن أصلي من بيتك) فأشرت إلى ناحية من البيت، فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - فكبر فصففنا، فصلى ركعتين ثم سلم^(١).

والرد على ذلك كما يلي:

أن هذا ليس من تقصد ما صلى فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - اتفاقاً، بل قد تقصد النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة فيه ليكون مصلى لعتبان رضي الله عنه؛ ولذلك بادره النبي - عليه الصلاة والسلام - بالسؤال: (أين تحب أن أصلي من بيتك؟). ففي هذا إقرار من النبي - صلى الله عليه وسلم - لعتبان على ذلك.

ولذلك فإن هذا لا يعارض نهي عمر عن تتبع المواضع التي صلى بها النبي - صلى الله عليه وسلم - اتفاقاً؛ إذ إن الواقع في هذه المسألة هو تقصد مكان قد أقر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتخذ مصلى^(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان المعنى في هذا الحديث: "ففي هذا الحديث دلالة على أن من قصد أن يبني مسجده في موضع صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا بأس به، وكذلك قصد الصلاة في موضع صلاته، ولكن هذا كان أصل قصده بناء مسجد، فأحب أن يكون موضعاً يصلي له فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - ليكون النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الذي يرسم المسجد، بخلاف مكان صلى فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - اتفاقاً فأخذ مسجداً، لا حاجة إلى المسجد، لكن لا لأجل صلاته فيه.

فأما الأمكنة التي كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقصد الصلاة والدعاء عندها فقصد الصلاة أو الدعاء فيها سنة اقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتباعاً له، كما

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التطوع - باب صلاة النوافل جماعة، ومسلم في صحيحه برقم (٣٣) عن عتبان بن مالك.

(٣) شبهات المبتدعة ص ٩٠٣.

إذا تحرى الصلاة أو الدعاء في وقت من الأوقات، فإن قصد الصلاة أو الدعاء في ذلك الوقت سنة كسائر عباداته، وسائر الأفعال التي فعلها على وجه التقرب"^(١).

الشبهة السادسة:

الاستدلال باتخاذ مقام إبراهيم مصلى على جواز التبرك ببعض البقاع التي لم يرد عليه دليل.

والرد على ذلك كما يلي:

أن مرد اتخاذ المقام مصلى هو الدليل الشرعي وليس لكونه أثراً لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، بحيث لو لم يرد في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - لما كان أن يتخذ مصلى، ولعد ذلك من المحدثات. فاتخاذ مقام إبراهيم مصلى أمر تعبدى، دل عليه الدليل الشرعي.

وهذا هو فيصل ما بين التبرك المشروع والتبرك المبتدع، وكل الكلام إنما مرجعه إليه؛ ليكون الصدور في الأقوال والأعمال في هذا الباب عن دليل شرعي"^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن قيل: قد أمر الله أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى فيقاس عليه غيره. قيل له: هذا الحكم خاص بمقام إبراهيم الذي بمكة، سواء أريد به المقام عند الكعبة موضع قيام إبراهيم، أو أريد به المشاعر عرفة ومزدلفة ومنى، فلا نزاع بين المسلمين أن المشاعر خصت من العبادات بما لم يشركها فيه سائر البقاع، كما خص البيت بالطواف، فما خصت به تلك البقاع لا يقاس عليها غيرها، وما لم يشرع فيها فأولى أن لا يشرع في غيرها... وأما تقبيل شيء من ذلك والتمسح به فالأمر فيه أظهر؛ إذ قد علم العلماء بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا ليس من شريعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم"^(٣).

الشبهة السابعة:

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٨٨.

(٢) شبهات المبتدعة ص ٨٩١، ٩٠٥.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٢٨-٤٢٩.

الاحتجاج بعدم ورود دليل يمنع من التبرك ببعض الأزمنة لجواز التبرك بها، ومن ذلك صيام بعضهم شهري رجب وشعبان بالكامل، وتخصيص ليلة النصف من شهر شعبان بالقيام وغير ذلك.

والرد على ذلك من وجوه:

١- أن الأصل في العبادات الحظر والمنع حتى يرد دليل يدل على مشروعيتها، فلما لم يوجد دليل لا من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - يثبت مشروعية هذه الأفعال وتخصيصها بهذه الأزمنة علم حينئذ أنه لا يمكننا التعبد بها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى وإلا دخلنا في معنى قوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ ﴾ (الشورى: ٢١)"^(١).

٢- أن المطالبة بدليل يمنع من التعبد بأي شيء لم يشرع أمر يؤدي إلى قلب القاعدة السابقة رأساً على عقب، وهي أن الأصل في العبادات الحظر والمنع، وهي قاعدة بنى عليها كثير من علماء الأمة مذاهبهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا كان الأصل الذي بنى الإمام أحمد وغيره من الأئمة عليه مذاهبهم أن أعمال الخلق تنقسم إلى عبادات يتخذونها ديناً ينتفعون بها في الآخرة أو في الدنيا والآخرة، وإلى عادات ينتفعون بها في معاشهم، فالأصل في العبادات أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله، والأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله"^(٢).

٣- أن التبرك بهذه الأزمنة بهذه الصورة لم يكن من فعل صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم أعلم الناس بما شرع لهذه الأمة.

وقد سئل شيخ الإسلام رحمه الله عما ورد في ثواب صيام الأشهر الثلاثة: رجب وشعبان ورمضان، فأجاب: "أما تخصيص رجب وشعبان جميعاً بالصوم أو الاعتكاف فلم يرد فيه عن النبي شيء، ولا عن أصحابه، ولا أئمة المسلمين، بل قد ثبت في الصحيح أن رسول الله كان يصوم إلى شعبان ولم يكن يصوم من السنة أكثر مما يصوم من شعبان من أجل شهر

(٢) الفتاوى الكبرى ٥/٤.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٦٩.

رمضان، وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة، بل موضوعة، لا يعتمد أهل العلم على شيء منها، وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل، بل عامتها من الموضوعات المكذوبات،... لكن صح أن عمر بن الخطاب كان يضرب أيدي الناس ليضعوا أيديهم في الطعام في رجب ويقول: لا تشبهوه برمضان، ودخل أبو بكر فرأى أهله قد اشتروا كيزانا للماء واستعدوا للصوم فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجب، فقال: أتريدون أن تشبهوه برمضان؟ وكسر تلك الكيزان. فمتى أفطر بعضا لم يكره صوم البعض^(١).

٤- أن في ذلك تشبها بأهل الكتاب؛ لأنهم هم الذين يجعلون من الحوادث التي تمر بهم مواسم للعبادة لم ينزل الله بها من سلطان.

٥- ما تؤول إليه تلك الأعمال المبتدعة من ضعف القلوب عن السنن، واشتغالها بالمبتدعات، وكذلك ما تشتمل عليه من مخالفات شرعية ظاهرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان ما في تلك المواسم المبتدعة من مخالفات: "وأما ما فيها من المنفعة فيعارضه ما فيها من مفسد البدع الراجحة، منها مع ما تقدم من المفسدة الاعتقادية والحالية أن القلوب تستعذبها وتستغني بها عن كثير من السنن حتى تجد كثيرا من العامة يحافظ عليها مالا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس.

ومنها: أن الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن، وتفتر رغبتهم فيها، ومنها: ما في ذلك من مصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وما يترتب على ذلك من جهالة أكثر الناس بدين المرسلين وانتشار زرع الجاهلية"^(٢).

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥/٢٩٠-٢٩١.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩١-٢٩٢.

الفصل الرابع رقية المريض وعلاجه

المبحث الأول

الهدى النبوى فى الرقية وعلاج المريض بالأدوية المباحة

أولاً: هديه- صلى الله عليه وسلم- فى الرقية:

تعريف الرقية:

الرُقِيَّة هي: العُوذَة التي يُرَقَى بها صاحب الآفة كالحُمَّى والصَّرَع وغير ذلك من

الآفات^(١).

(١) النهاية لابن الأثير ٢/٦٢١.

وكانت الرقى معروفة عند الناس قبل الإسلام، يدل على ذلك ما يلي:

ما رواه مسلم عن ابن عباس: أن ضمادا^(١) قدم مكة كان من أزد شنوءة وكان يرقى من هذه الرياح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدا مجنون فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال: فلقيه، فقال: يا محمد! إني أرقى من هذه الرياح، وإن الله يشفي على يدي من يشاء، فهل لك؟ ... الحديث^(٢).

وما رواه مسلم أيضا في صحيحه عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله، إنه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه فقال: (ما أرى بأسا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه)^(٣).

وفي مسلم أيضا عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقى في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: (اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)^(٤).

والرقى كانت معروفة قبل الإسلام عند أهل الكتاب وعند العرب في جاهليتهم، فلما عرض ما عرض منها على النبي - صلى الله عليه وسلم - رخص لهم فيما لم ير فيه بأسا، وكان خاليا من الشرك وأقرهم عليه، أما ما كان فيه شرك من دعاء غير الله أو الاستغاثة بغيره تعالى فقد نهى عنه وحذر منه حماية لجناب التوحيد، وعلى مثل ذلك يدل قوله - عليه الصلاة والسلام: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)^(٥).

(٢) ضماد: اسم رجل من أزد شنوءة، وفي غريب الحديث للخطابي ١/١٣٤: "وهذا كقول ضماد الأزدي حين عرض

عليه رسول الله الإسلام، قال: فسمعت كلاما لم أسمع قولا قط أسمع منه، يريد أبلغ منه ولا أنجع في القلب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة - ص ٨١٣، برقم (٨٦٨) عن عبد الله بن عباس.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة - ص ١٠٦٨، برقم (٢١٩٩) عن جابر بن عبد الله.

(١) سبق تخريجه ص ٤٦.

(٢) سبق تخريجه ص ٨٩.

والرقى الخالية من الشرك مشروعة، وقد ثبتت مشروعيتها بالسنة والإجماع^(١) إذا توفرت فيها تلك الشروط التي وضعها العلماء، فقد رقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه وأقر غيره على فعل الرقية.

الأدلة على جواز الرقية:

إن الأدلة التي تؤيد جواز الرقية الخالية من الشرك كثيرة جدا، منها:

١- ما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما (قل هو الله أحد) و(قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس)، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات^(٢).

٢- وفي صحيح البخاري أيضا عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول - الله صلى الله عليه وسلم - كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه يده، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي - صلى الله عليه وسلم عنه^(٣).

٣- ما جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أيضا قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدي^(٤).
ففي هذه الأحاديث دلالة على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان ينفث بالمعوذات على نفسه إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، ويفعل ذلك لنفسه ولغيره عند المرض.

(٣) حكى الإجماع ابن حجر في الفتح، سليمان بن عبد الله في تيسير ص ١٣٨ وعبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد ص ١٤٨ كلاهما عن السيوطي.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب فضل المعوذات - ص ٤٣٥ برقم (٥٠١٦) عن عائشة.
(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المغازي - باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته - ص ٣٦٤ برقم (٤٤٣٩) عن عائشة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب رقية المريض بالمعوذات والنفث ص ١٠٦٧ برقم (٢١٩٢) عن عائشة.

فالرقية جائزة في الشريعة الإسلامية إلا أن ذلك ليس على إطلاقه، بل هو مقيد بشروط لا بد من توافرها في كل رقية، وهذه الشروط هي:

١- أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

٢- أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه.

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى.

ولا منافاة بين استخدام الرقى والتوكل على الله تعالى الذي هو من صميم العبادة إذا خلت من الأمور الشركية المنافية لأصل التوحيد أو كماله، ولم يعتمد عليها اعتمادا كلياً يؤدي إلى الاعتقاد بأنها مؤثرة بذاتها، بل لا بد من الاعتقاد الجازم بأن الشافي هو الله سبحانه وتعالى، وإنما الرقى مجرد الأخذ بالأسباب التي لا تؤثر إلا بقدره الله ومشيئته.

ثانياً: هديه- صلى الله عليه وسلم- في علاج المريض بالأدوية المباحة:

"ومن تأمل هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به، فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب، والملبس والمسكن والهواء، والنوم واليقظة، والحركة والسكون، والمنكح، والاستفراغ والاحتباس، فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق للملائم للبدن والبلد والسن والعادة كان أقرب إلى دوام الصحة والعافية أو غلبتها إلى انقضاء الأجل.

ولما كانت الصحة من أجل نعم الله على عبده، وأجزل عطاياه، وأوفر منحه- بل العافية المطلقة أجلّ النعم على الإطلاق- فحقيق لمن رزق حظاً من التوفيق مراعاتها وحفظها، وحمایتها عما يضادها.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)^(١).

وفي الترمذي وغيره من حديث عبد الله بن محسن الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أصبح معافى في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الرقاق- باب الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة- ص ٥٣٩ برقم (٦٤١٢) عن عبد الله بن عباس.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الزهد- باب في الوصف من حيزت له الدنيا- ص ١٨٨٧ برقم (٢٣٤٦)، وابن

فإذا كانت الصحة في هذه الدرجة العالية من بين نعم الله الكثيرة التي أنعم بها على عباده فحفظها من الزوال من أهم وأفضل ما يهتم به المرء المسلم، وقد كان هدي النبي الكريم- صلوات الله وسلامه عليه- أكمل الهدي على الإطلاق ينال به المرء حفظ صحة عقله وقلبه وبدنه؛ إذ كان يرى- عليه الصلاة والسلام- أن درهم وقاية خير من قنطار علاج.

فكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- في حفظ صحة الأبدان ما نصح به أمته من مراقبة الطعام حيث يرى ألا يأخذ الإنسان منه إلا ما تمس إليه الحاجة، ومن أحاديثه البالغة الحكمة في ذلك قوله- صلى الله عليه وسلم: (المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء)^(١)، وفيما رواه الترمذي والنسائي أن النبي- صلى الله عليه وسلم قال: (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث للنفس)^(٢).

وتلي مراقبة الطعام في حفظ صحة الأبدان النظافة، فقد كان- صلى الله عليه وسلم- شديد العناية بنظافة جسده وثيابه وبيته، ومما روي عنه في شأن النظافة قوله- عليه الصلاة والسلام: (الطهور شطر الإيمان)^(٣).

تلك هي إشارات يسيرة إلى شأن رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- في حفظ صحة الأبدان واهتمامه بها، فكما كان له منهج وضعه لأمته في حفظ تلك النعمة العظيمة نعمة الصحة وكذلك كانت له طرق وأساليب يتبعها للعلاج متى ما تعرضت تلك النعمة لنقيضها الذي هو المرض، وكان يستخدم الأدوية المباحة ويرشد من أصيب بالمرض من

ماجه في سننه- كتاب الزهد- باب القناعة- ص ٢٧٢٩ برقم (٤١٤١) والبيهقي في شعب الإيمان ٢٩٤/٧ عن عبيد الله بن محسن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأطعمة- باب المؤمن يأكل في معي واحد- ص ٤٦٦ برقم (٥٣٩٧)، ومسلم في صحيحه- كتاب الأشربة- باب المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء- ص ١٠٤٦ برقم (٢٠٦٢) عن أبي هريرة.

(١) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الزهد- باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل- ص ١٨٩٠ برقم (٢٣٨٠)، وأحد في مسنده ١٣٢/٤، والحاكم في المستدرک ٣٦٧/٤، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الطهارة- باب فضل الوضوء- ص ٧١٨ برقم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري.

أصحابه إلى استخدامه، وقد كان- صلى الله عليه وسلم- يدعو الأطباء لعلاجهم وتطبيبه حينما طعن في السن وتتابعت عليه الأوجاع وكثرت أسقامه.

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كثرت أسقامه وكان يقدم عليه أطباء العرب والعجم فيصفون له فنعالجهم، وقال هشام لخالته عائشة: أعجب من بصرك بالطب! قالت: إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لما طعن في السن وفدت الوفود فتنعته فمن ثم عرفته^(١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "فكان من هديه- صلى الله عليه وسلم- فعل التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه"^(٢).

فمن القرآن الكريم وسنته الشريفة وضع محمد بن عبد الله- صلوات الله وسلامه عليه- قواعد وضوابط لمنهج في علاج المريض بكل ما يحفظ له عقله وقلبه وجسمه؛ وذلك لإسعاد هذا الفرد وتنسيق المجتمع حيث قرر بأن التداوي مطلوب لدفع بلاء المرض ومعاناته ومكابدة ويلاته وثوائبه، ولكن لا يسمح للتداوي بالمحرّمات ولا بالنجاسات، فلا ينبغي اتباع طبيب يعالج بالخمر مثلاً أو الأخذ بقوله؛ لأن ذلك يخالف شريعتنا الغراء.

أما الأدوية المباحة فكلها من الطيبات التي أحلها الله كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ﴾ (المائدة: ٤)، فالأدوية المباحة تكون مما أحله الله وليس مما حرم، ومن تداوى بحلال الله كان له فيه شفاء بإذن الله.

ومن الأدوية النافعة المباحة التي يعالج بها النبي- صلى الله عليه وسلم- ويأمر بها استخدام العسل، فقد أرشد النبي أمته إلى العلاج بالعسل في قوله- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: (عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن)^(٣)، قال ابن القيم تعليقا على هذا الحديث:

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨٢/٢٣ عن عائشة.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ٩/٤.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب الطب- باب العسل- ص ٢٦٨٥ برقم (٣٤٥٢)، و الحاكم في المستدرک ٢٢٢/٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أوقفه وكيع بن الجراح عن سفيان، ووافقته الذهبي، كما رواه البيهقي في السنن الكبرى ٣٤٤/٩ وقال: رفعه غير معروف والصحيح موقوف، ورواه وكيع عن سفيان موقوفاً.

"فجمع بين الطب البشري والإلهي، وبين طب الأبدان وطب الأرواح، وبين الدواء الأرضي والدواء السمائي"^(١).

ومنها: زيت الزيتون، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة)^(٢).

ومنها الحبة السوداء، "وتسمى (حبة البركة) و(الحبة السوداء) و(شونيز) و(شينيز) وهما من اللغة الفارسية، و(البشمة)"^(٣)، وفي الطب النبوي لابن القيم: "(الحبة السوداء) هي: الشونيز، في لغة الفرس. وهي الكُمُون الأسود، وتسمى الكمون الهندي"^(٤).

وثبت في الصحيحين من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء، إلا السام)^(٥). والسام: الموت.

"ولقد أكثر الأطباء العرب القدامى من الحديث عن حبة البركة وفوائدها الطبية واستعمالاتها لشفاء أمراض متعددة ومختلفة، ولعل اهتمامهم بها يرجع إلى ما ثبت في حديث أبي هريرة المذكور آنفا"^(٦).

وكما اهتم القدامى بهذا النبات المبارك وكذلك يكثر استخدامه في الطب الحديث، وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أنواعا مختلفة من الأمراض التي يمكن علاجها بالحبة السوداء مع بيان شاف لكيفية استخدامها، يقول في مستهل كلامه: "وهي نافعة من جميع

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٤/٣٠.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٤٧.

(٤) التداوي بالأعشاب والنباتات قديما وحديثا جمع وتنسيق أحمد شمس الدين ص ١٢٦، ط/الثانية دار الكتب العلمية - بيروت، دون بيانات أخرى.

(٥) الطب النبوي ص ٢٢٨.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الطب - باب الحبة السوداء - ص ٤٨٧ برقم (٥٦٨٨)، ومسلم في صحيحه -

كتاب السلام - باب التداوي بالحبة السوداء - ص ١٠٧٠ برقم (٢٢١٥)، والترمذي في سننه - كتاب الطب -

باب ما جاء في الحبة السوداء - ص ١٨٥٦ برقم (٢٠٤١) عن أبي هريرة، واللفظ للترمذي.

(٢) التداوي بالأعشاب والنباتات قديما وحديثا ص ١٢٧.

الأمراض الباردة، وتدخل في الأمراض الحارة اليابسة بالعرض، فتوصل قوى الأدوية الباردة الرطبة إليها بسرعة تنفيذها، إذا أخذ يسيرها"^(١).

ومن الأدوية أيضا الحجامة، ففي الصحيحين من حديث طاووس عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - احتجم وأعطى الحجام أجره"^(٢).

وفي الصحيحين أيضا عن حميد الطويل عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجمه أبو طيبة فأمر له بصاعين من طعام، وكلم مواليه فخففوا عنه من ضريرته وقال: (خير ما تداويتم به الحجامة)^(٣).

هذا هو القدر اليسير من الأدوية المباحة التي استخدمها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمر بها لعلاج المرضى أذكرها في هذا الصدد "وليس طبه - صلى الله عليه وسلم - كطب الأطباء، فإن طب النبي - صلى الله عليه وسلم - متيقن قطعي إلهي صادر عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل، وطب غيره أكثره حدس وظنون وتجارب، ولا يُنكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور - إن لم يُتلقَ هذا التلقي - لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجسا إلى رجسهم ومرضا إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه! فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية، فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن طب الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الدواء، ولكن لخبث الطبيعة وفساد المحل وعدم قبوله. والله الموفق"^(٤).

هذا الذي ذكرته هو هدي النبي الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - في التداوي بالرقى الشرعية والأدوية المباحة وهل بعد الحق إلا الضلال؟ فالعجب كل العجب فيمن غفل عن

(٣) الطب النبوي ص ٢٢٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - باب خراج الحجام - ص ١٧٧ برقم (٢٢٧٨) عن عبد الله بن عباس.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الطب - باب الحجامة من الداء - ص ٤٨٧ برقم (٥٦٩٦)، ومسلم في صحيحه - كتاب المساقاة - باب حل حجرة الحجامة - ص ٩٥١-٩٥٢ برقم (١٥٧٧) عن أنس بن مالك.

(١) الطب النبوي ص ٥٦.

الانتفاع بهديه- عليه الصلاة والسلام- أو تركه متعمدا ولم يجد غنيته فيه، وراح يطلب جلب النفع أو دفع الضر من شياطين الإنس والجن الذين لا يزيدونه إلا رهقا!!!.

فخلاصة القول أن التداوي بالرقية الشرعية مجمع عليه بين العلماء عند توفر الشروط التي وضعت لجوازها، وكذلك الأدوية المباحة دون المحرمات والنجاسات.

أما استخدام التمام للوقاية أو العلاج فللعلماء فيه أقوال بناء على تقسيمها إلى ما كان من القرآن وما لم يكن فيه قرآن، وقبل ذكر أقوال العلماء في هذين القسمين يحسن بي أن أبين معنى التمام.

معنى التمام:

التمام هي: العوذ التي تعلق على الإنسان وغيره لدفع الآفات عنه من أي شيء كان^(١).

ويمكن تقسيم التمام على قسمين باعتبار اتفاق علماء الأمة على تحريمها واختلافهم. **القسم الأول:** ما اتفق على تحريم تعليقه من التمام، وهو ما كان من غير القرآن والأذكار المشروعة، من الحروز والخيوط وجلود الحيوانات وغير ذلك مما يعلق على الأطفال أو الكبار أو البهائم أو بعض السلع أو أبواب البيوت، والتي يزعمون أنها تدفع العين أو المرض أو الجن أو أنها سبب للشفاء من الأمراض، فكلها محرمة، ومن الشرك؛ لأنهم يعتقدون أنها سبب لحفظهم من الموت، ويظنون أن لغير الله تأثيرا في الشفاء، وطلبوا دفع الأذى من غيره تعالى مع أنه لا يدفعه أحد سواه جل وعلا^(٢).

ولا خلاف بين العلماء في تحريم تعليق هذا القسم من التمام لما ورد فيه من النصوص الصحيحة الصريحة، منها:

ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرقى والتمام والتولة شرك)^(٣).

(٢) انظر: تاج اللغة وصحاح العربية المسمى الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ١٥٢٦/٤، ط/الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي- بيروت، لسان العرب ١٢/٦٩، التمهيد ١٧/١٦٢، تيسير العزيز الحميد ص ١٣٨.

(١) انظر: التمهيد ١٧/١٦٣، النهاية في غريب الأثر ١/٥٣٦ (مادة تم).

(٢) سبق تخريجه ص ٨٩.

وما روي عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا. قال: (إن عليه تميمة)، فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: (من علق تميمة فقد أشرك)^(١).
وما روي عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)^(٢).

وما روي عن رويغ بن ثابت قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يا رويغ لعل الحياة ستطول بك بعدي، فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدا بريء منه)^(٣).

القسم الثاني: ما اختلف في تعليقه من التمام، وهو ما كان مشتملا على آيات من القرآن، أو شيء من أسماء الله وصفاته أو بعض الأدعية الشرعية، وقد اختلفوا في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: عدم جواز تعليق هذا النوع من التمام مطلقا، وذهب إلى هذا القول: عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة، وعقبة بن عامر، وعمران بن حصين، وإليه ذهب جماعة من التابعين، منهم سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وابن عكيم، وهو أحد قولي الإمام أحمد، واختاره كثير من أصحابه^(٤).

وحجة أصحاب هذا القول عموم النصوص الواردة في النهي عن تعليق التمام وليس فيها تفريق بين ما إذا كان المعلق من القرآن، أو من غيره، وبين ما إن كان قبل نزول البلاء أو بعده^(٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٥٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١٧٥: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٥٤، وابن حبان في صحيحه ١٣/٤٥٠ برقم (٦٠٨٦)، والحاكم في المستدرک عن عقبة بن عامر الجهني، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١٧٥: رجالهم ثقات.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٣٦)، والنسائي في سننه برقم (٥٠٦٧)، وأحمد في المسند ٤/١٠٨ عن رويغ بن ثابت، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٢٧).

(١) انظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذی للإمام الحافظ أبي العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارکفوري ٢٠٠/٦، دار الكتب العلمية - بيروت، تيسير العزيز الحميد ص ١٣٨.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ١٣٨.

القول الثاني: جواز تعليق هذا النوع من التمايم مطلقا، وهو القول المروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وعطاء، وأبي جعفر الباقر، ومالك، ورواية عن أحمد، والبيهقي، والقرطبي، وظاهر قول ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وابن حجر العسقلاني. وقد حمل أصحاب هذا القول النصوص المانعة من تعليق التمايم على التمايم الشركية، أما التي فيها القرآن، وأسماء الله وصفاته، فهي كالرقية بذلك^(١).

القول الثالث: جواز تعليق هذا النوع من التمايم بشرط أن يكون التعليق بعد نزول البلاء لرفعه، لا قبله لدفعه، وهذا القول مروي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قالت: ليست التميمة ما تعلق به بعد البلاء، إنما التميمة ما تعلق به قبل البلاء^(٢).

وذهب إلى هذا أبو جعفر الطحاوي، فقد قال: فكان ذلك - يعني النهي عن تعليق التمايم - عندنا والله أعلم ما علق قبل نزول البلاء ليدفع، وذلك ما لا يستطيعه غير الله عز وجل، فنهي عن ذلك لأنه شرك، فأما ما كان بعد نزول البلاء فلا بأس لأنه علاج^(٣).

وهو قول ابن عبد البر حيث قال - بعد أن ذكر أن نصوص النهي محمولة على التعليق قبل نزول البلاء -: "وكل ما يعلق بعد نزول البلاء من أسماء الله وكتابه رجاء الفرج والبرء من الله عز وجل، فهو كالرقى المباحة التي وردت السنة بإباحتها من العين وغيرها"^(٤).

والراجع من الأقوال الثلاثة - والله تعالى أعلم - هو القول الأول الذي ينص على عدم جواز تعليق هذه التمايم، لما في ذلك من حماية جناب التوحيد من أي شائبة تشوبه، ولقوة أدلة أصحاب هذا القول، ولأمر أخرى تظهر فيما يأتي^(٥):

١ - عموم النهي الوارد في تحريم التمايم ولم يرد لذلك مخصص، بخلاف الرقى، فإن

(٣) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ٣٥٠/٩-٣٥١، شرح السنة ١٥٨/١٢، حاشية السندي على النسائي ١١٢/٧، تحفة الأحوذى ٢٠٠/٦، تيسير العزيز الحميد ١٣٨.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢٤٢/٤ برقم (٧٥٠٧)، وصححه الذهبي في التلخيص، وانظر: شرح معاني الآثار للطحاوي ٣٢٥/٤.

(١) شرح معاني الآثار تأليف أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبي جعفر الطحاوي ٣٢٥/٤، تحقيق محمد زهري النجار، ط/الأولى ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) التمهيد ١٦١/١٧.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ١٣٨، فتح المجيد ص ١٤٩، مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ٩٦-٩٧.

النبي- صلى الله عليه وسلم- لما قال: (إن الرقى والتمايم والتولة شرك)^(١)، خصص هذا العموم بقوله وفعله وتقريره، وقال: (لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا)^(٢)، أما التمايم فلم يأت منه- عليه الصلاة والسلام- ما يخص عموم النهي عن تعليقها، فبقيت على الأصل وهو التحريم.

٢- أن في تعليقها تعريضا للقرآن وكلام الله تعالى وعموم الأذكار الشرعية للإهانة؛ إذ قد يدخل بالتميمة أماكن الخلاء، وقد ينام عليها الأطفال، وقد تصيبها بعض النجاسات، وفي منع تعليقها صيانة للقرآن ولذكر الله تعالى عن الإهانة.

٣- سد الذريعة، لأن تعليق هذه التمايم يؤدي إلى تعلق القلوب بها من دون الله، ويؤدي إلى تعليق ما ليس من القرآن من التمايم الشركية.

المبحث الثاني

الانحراف في الرقى وعلاج المريض بالأدوية المباحة حكمه وصوره

صور الانحراف في الرقى وعلاج المريض بالأدوية المباحة لدى مسلمي نيجيريا:

لقد منّ الله على كثير من الدعاة الأوائل من مسلمي نيجيريا بالتمسك بالمنهج النبوي السليم في اتخاذ الوقاية ضد الإصابة بالأمراض والأضرار التي تسببها الأرواح الشريرة، ووقفوا كذلك باتباع هذا المنهج القويم في البحث عن العلاج لتلك الأمراض والأضرار إذا أصابتهم.

ففي كلتا الحالتين: حالة الوقاية وحالة البحث عن العلاج- كانوا يسلكون منهج السلف لدفع هذه الأضرار عن أنفسهم كالدعاة إلى دين الله وعن غيرهم من المدعويين؛ ليسلموا من قبضة الكهنة والسحرة الوثنيين الذين قد مددوا سيطرتهم على الوضع قبل دخول الإسلام وحاولوا إدخال الرعب في قلوب المساكين؛ لإقناعهم بألا وجود لقوة غير قوتهم الشيطانية حتى أصبح الناس رؤساء ومرؤوسين، وملوكا ورعايا لا يلجأون إلا إليهم عند الشدائد.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري عند تقريره لهذه الحقيقة: "وحاصل الأمر أن السحر والكهانة البابلية لما انتقلت من مصر إلى غرب إفريقيا فيما قبل النصرانية والإسلام وكان

(٤) سبق تخريجه ص ٨٩.

(٥) سبق تخريجه ص ٣٨٠.

السحرة والكهنة يسيطرون على سائر طبقات الناس من ملوك وصعاليك. ولما جاء الإسلام لم يجد الدعاة الأولون في هذه البلاد بدا من اللجوء إلى القرآن كلام الله تعالى؛ لقمع طغيان السحر والكهانة، ولا سيما أنهم وجدوا من الأحاديث ما أجاز لهم اتخاذ الفاتحة والمعوذتين وآية الكرسي ويس للرقية من السم والسحر والحسد. ولما جربوا القرآن لذلك وصحّ، وتغلبوا به على السحرة، استكثروا من قراءته لهذه الأغراض، ولازموه ولم يتركوه؛ فكان سببا في انتصارهم على الكفرة والسحرة والكهنة"^(١).

ويقول في موضع آخر: "ولقد سجل التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا أن الدعاة الأولين فيها إنما نجحوا في نشر الدعوة الإسلامية بغلبهم على سحرة إفريقيا الذين كان العوام يعتقدون أن لهم أسراراً ملكوتية يسيطرون بها على الأشخاص والأشياء. فلما خبت نارهم وانكسرت شوكتهم بروحانية الدعاة المخلصين الذين أيدهم الله بالكرامات على قدر ما استقاموا على طريقة الحق، وعلم الناس أن القوة لله جميعاً دخلوا في دين الله أفواجا ملوكا ورعايا. وإنما تم ذلك على يد علمائنا الأولين باستقامتهم وثقتهم بربهم"^(٢).

وفي موضع ثالث تحت عنوان: (دواعي طلب العلماء بديلا عما عند الكهنة والسحرة)، يقول: "إن العلماء لما علموا أن القوم لهم اعتقاد بقوة السحر وتأثير الكهانة مما جعل الملوك والعوام يستشيرونه في حركاتهم وسكناتهم. رأوا أن ليس من الحكمة أن يقولوا للمدعويين إلى الإسلام: لا تعتقدوا بتأثير السحر فإنه باطل، دون أن يأتوهم ببديل من الحق الذي يزهق الباطل... لذلك لجأ العلماء إلى استعمال بعض آيات القرآن لقمع طغيان السحرة والكهنة، فعارضوا السحر والكهانة فنجحوا في ذلك، فرجع إليهم الملوك واستعانوا بالعلماء الذين أكثروا من استعمال سور القرآن وآياته لقضاء مآربهم.

سألت أحد العلماء الكبار- وكان ممن يستعمل القرآن لهذه الأمور- هل له دليل صحيح؟ فقال لي: اقرأ معي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرَّأْنَا سُرِّتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ﴾ (الرعد: ٣١)، ثم قال: فما جزاء الشرط (لو)؟ قلت: لست

(١) توجيه الدعوة والداعية في نيجيريا وغرب إفريقيا ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١٠٠.

أدري، فقال: الجواب: لكان هذا القرآن، ثم أكمل الآية وقال: ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ (الرعد: ٣١)، ... ثم قال لي: هل قرأت في كتب الحديث أن عشرة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى رأسهم أبو سعيد الخدري الذي قرأ فاتحة الكتاب على لديغ الحية فكانت الفاتحة ترياقا؟ قلت: نعم، قال: إن ذلك من الرقى، ولا يصح إلا من الأبرار، أصحاب الإيمان واليقين" (١).

وهكذا - كما قرر الشيخ آدم الألوري - تحقق لعلماء غرب إفريقيا الأوائل قول الباري جل وعلا: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: ٨٢)، فأصبحوا يتعوذون بما تعوذ به نبيهم من سور القرآن وآياته، يتحصنون بها من شرور الشياطين وأعدائهم فيستجاب لهم، كما يعالجون المرضى من المدعوين بأسماء الله وصفاته وأذكار نبوية فيشفون بإذن الله، كل ذلك بفضل إيمانهم بالله وثقتهم به واستقامتهم على المنهج الرباني القويم، فأيدهم الله بنصره وأجرى على أيدي الكثير منهم كرامات تصدق حقيقة اتباعهم للدين الإسلامي الحنيف.

فخلف من بعدهم خلف ضلوا الطريق المستقيم فأخذوا يبحثون عن الكرامات دون أن يستقيموا ولم يعلموا أن الاستقامة هي خير الكرامة. فلما لم يلقوا ما يريدون لعدم وجود الزاد الصحيح الذي يعينهم على نيته أساسا، بحثوا عنه بكل وسيلة فتمسكوا بالرزائل فصاروا أفاكين دجالين يتلاعبون بعقول السذج من الناس ويعبثون بعقائدهم، كل هذا تحت ستار الرقية الشرعية وعلاج المرضى بالأدعية المباحة، وقد كذبوا فإنهم لا سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - اتبعوا ولا سبيل سلف الأمة سلكوا وإنما تمسكوا بضلالات شياطين الإنس والجن، وتفننوا في أعمال السحرة والمشعوذين.

لكن الذي يحزن المسلم الغيور على دينه في هذا الأمر كله أن هؤلاء الناس ينتمي أكثرهم إلى الدراسات الإسلامية من الطلبة والعلماء الذين يتوقع أن يكونوا هم المصلحين في المجتمع. والله المستعان!!

وعلى كل، يمكن القول بأن الانحراف في الرقى وعلاج المرضى بالأدوية المباحة لدى مسلمي نيجيريا له ثلاث صور:

(٢) نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا ص ١٢١-١٢٢.

الصورة الأولى:

الرقية بآيات قرآنية بطرق وأساليب غير مشروعة، ولهم في ذلك طرق، منها:

١- قراءة بعض سور القرآن وآياته من آخرها إلى أولها للرقية ظنا منهم أنها لا تنفع ولا تفيد إذا قرئت بغير تلك الطريقة.

٢- قراءة بعض السور وإدخال ألفاظ أخرى أثناء القراءة بقصد الرقية، مثال ذلك قراءتهم لسورة يس لأغراض معينة مع إضافة أسماء الملائكة أو أسماء الجن بعد كل كلمة (مبين).

٣- اشتراطهم بأن تقرأ الآيات أو الأذكار بأعداد مخصصة لم ترد في السنة أو أن تفعل الرقية في حالة أو هيئة معينة مثل أن يكون الراقي أو المرقي جنبا أو في مقبرة أو في حمام أو أن تفعل وهو عريان ليس عليه شيء، أو في مكان مظلم حيث لا يراه أحد.

فاشترط هذه الحالات عند القيام بالرقى شبيه بما يعمله السحرة والمشعوذون والدجالون حسب ما تمليه عليهم شياطينهم؛ إذ قد أخذ شياطين الجن العهد من شياطين الإنس أن يتبعوهم في كل ما طلبوا لكي ينالوا بغيتهم وهم لا يطلبون إلا ما يوقع أتباعهم الأناسي في الشرك.

وعلى هذا، فالهياآت التي يشترطونها أن يكون عليها الراقي أو المرقي مخالفة كل المخالفة للهياآت المباحة التي ثبتت عن نبي الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- كالنفث في اليدين والمسح بهما ما استطاع من جسده.

الصورة الثانية:

الرقية بكلمات أجنبية ذات معان شركية، أو كلمات عربية لا تعقل ولا يفهم معناها، مثال ذلك بعض الألفاظ التي يرقى بها عند قبيلة يوريا وهي أنواع، منها: (ogede أوغيدي)، (ayajo أياجو)، (ohun أوون)، (ofo أوفو)، فألفاظ من هذه الأنواع لا يجوز الرقية بها لأن معانيها شركية، وكذلك لو كانت معانيها مفهومة ومعقولة ولم تكن شركية لكن أصولها وثنية فلا تجوز الرقية بها، فالوثنيون من قبيلة يوريا هم الذين كانوا يتعوذون بهذه الكلمات ويعالجون بها مرضاهم، وكثيرا ما يصطحبها تقديم القران للأرواح الشريرة من شياطين الإنس والجن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند كلامه عن العلاج للمصرع: "وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع، لا سيما إن كان فيه شرك فإن ذلك محرم، وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك، وقد يقرأون مع ذلك شيئاً من القرآن ويظهرونه ويكتمون ما يقولونه من الشرك، وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله"^(١).

وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكره للشروط التي أجمع العلماء على توفرها لجواز الرقى: "ففي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال: كنا نرقى في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: (اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)^(٢)، وله من حديث جابر، نهي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله، إنه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب قال: فعرضوا عليه فقال: (ما أرى بأساً، من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه)^(٣)، وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جرت منفعتها ولو لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك يمنع، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمتنع احتياطاً"^(٤).

وقال العلامة حافظ بن أحمد الحكمي^(٥) رحمه الله: "أما الرقى التي ليست بعربية الألفاظ ولا مفهومة المعاني، ولا مشهورة ولا مأثورة في الشرع البتة، فليست من الله في شيء، ولا من الكتاب والسنة في ظل ولا فيء، بل هي وسواس من الشيطان أوحاها إلى أوليائه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لْيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ^ط﴾ (الأنعام: ١٢١).

(١) مجموع الفتاوى ٦١/١٩.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٨٠.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٧٩.

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٠/٢٤٠.

(٥) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، فقيه أديب من علماء "جيزان" بين الحجاز واليمن، من مؤلفاته: الجوهرة الفريدة في العقيدة، سلم الوصول إلى علم الأصول أرجوزة وشرحها معارج القبول، توفي سنة ١٣٧٧هـ.

انظر: الأعلام ١٥٩/٢.

وعليه يحمل قول النبي- صلى الله عليه وسلم- في حديث ابن مسعود: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)^(١)، وذلك لأن المتكلم به لا يدري أهو من أسماء الله تعالى أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الشياطين، ولا يدري هل فيه كفر أو إيمان، وهل هو حق أو باطل، أو فيه نفع أو ضرر أو رقية أو سحر"^(٢).

وعلى هذا، فلا يجوز استخدام الرقى التي أصلها من الوثنيين أو تنسب إلى الوثنية؛ لأن استخدام مثل هذا النوع من الرقى فيه مشابهة لحال أهل الجاهلية، وقد نهانا الشرع عن ذلك، فمثل الذي يفعل هذا كمثل الذي ينذر الله في مكان فيه صنم لأهل الجاهلية ينذرون له، فهو نذر معصية؛ إذ شابهت صورته صورة نذر أهل الجاهلية، لما جاء عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- أن ينحر إبلا ببوانة فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟)، قالوا: لا، قال: (هل كان فيها عيد من أعيادهم؟) قالوا: لا، قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم)^(٣).

فالشريعة تحذر من هذا العمل لئلا يشتهب عمل الموحد مع عمل المشرك، ولئلا يلتبس الحق بالباطل^(٤).

وكما لا يجوز الرقية بكلمات أصلها من أهل الشرك ولو كانت مفهومة ومعقولة المعاني وكذلك يمنع تلقي الرقية من المعروفين بالسحر والكهانة والتنجيم ولو كانت عندهم رقية صحيحة لم تكن عن طريق السحر والكهانة والتنجيم، وذلك لأمر منها^(٥):
أ- خشية من أن يخلط هذه الرقية بكهائنه وعرافته وتنجيته.

(٥) سبق تخرجه ص ٨٩.

(٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي ٦٣٤/٢-٦٣٥، تحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق ط/الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، دار ابن الجوزي- الدمام.

(١) سبق تخرجه ص ٣٢٥.

(٢) انظر: الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة وحكم التفرغ لها واتخاذها حرفة تأليف د. علي بن نبيع العلياني ص ٦٩ ط/الأولى ١٤١١هـ، دار الوطن للنشر.

(٣) انظر: أحكام الرقى والتمائم تأليف د. فهد بن ضويان بن عوض السحيمي ص ١٨١-١٨٣، ط/الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م مكتبة أضواء السلف- الرياض، الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٦٨.

ب- لكون طلب ذلك منهم يشبه حال أهل الجاهلية الذين كانوا يذهبون إلى الكهان والعرافين.

ج- أن هؤلاء الكهنة والعرافين والمشعوذين من أبعد الناس عن الدين وأكذبهم، لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ناس عن الكهان فقال: (ليس بشيء)، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثوننا أحيانا بشيء فيكون حقا فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن

وليه فيخلطون معها مائة كذبة)^(١)، وعلى هؤلاء الكذبة الفسقة وأمثالهم تنزل الشياطين كما قال جل وعلا: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢)، فالشياطين تتعاون مع الكهان والمشعوذين لأجل إضلال الناس واستدراجهم إلى الشرك، فلا يليق بالمسلم أن يطلب العلاج ممن هذا حاله.

الصورة الثالثة:

العلاج بالأدوية المصنوعة من المواد النجسة والمحرمة مثل الخمر بشتى أنواعها والدم المسفوح، والأصل أن أهل الجاهلية هم الذين عرفوا بهذا النوع من الأدوية، لكن لما دخل الإسلام في نيجيريا وأسلم بعض الناس دون أن يتركوا العادات والتقاليد المخالفة للدين الجديد ظل هؤلاء يستخدمون الأدوية المحرمة وهم مسلمون.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله تحت عنوان: (التداوي بالحرام جاهلية) في كتابه الحاوي لعادات قبائل غرب إفريقيا في الجاهلية: "كان أهل الجاهلية يتداون ببعض الأدوية النجسة كالخمر والبول القدر، أو بالحيوانات الميتة النجسة كالهدهد والضفدع وعظام الميتة ونحو ذلك، ولما جاء الإسلام حرم كل ذلك وسماه (الدواء الخبيث)"، ثم قال: "هذا، ولا يزال بعض المسلمين في نيجيريا وما حولها يتعاطون الدواء الخبيث إلى يومنا هذا، إما لشفاء الأمراض البدنية أو للدفاع عن سحر السحرة"^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الطب - باب الكهانة - ص ٤٩٢ برقم (٥٧٦٢)، ومسلم في صحيحه - كتاب

السلام - باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان - ص ١٠٧٤ برقم (٢٢٢٨) عن عائشة.

(٢) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١٢٢-١٢٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ونهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن
التداوي بالخمير وقال: (إنها داء، وليست بدواء)^(١)، ونهى عن الدواء الخبيث^(٢)، ونهى عن
قتل الضفدع لأجل التداوي بها وقال: (إن نقنقتها تسبيح)^(٣)"^(٤).
حكم هذه الصور:

كل صورة من صور الرقية التي لم تتوفر فيها تلك الشروط التي وضعها العلماء لجواز
التداوي بالرقى فهي محرمة؛ وذلك لما يأتي:

١ - أن الصحابة رقى بعضهم بعضاً ولم تكن رقايم إلا من كلام الله تعالى وأسمائه
وصفاته أو مما يرقى به النبي - صلى الله عليه وسلم - نفسه أو غيره، أو رقا به جبريل عليه
السلام وأثر عنه صلى الله عليه وسلم، يدل على ذلك:
ما روته أم سلمة رضي الله عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى في بيتها جارية
في وجهها سفعة^(٥) فقال: (استرقوا لها فإن بها النظرة)^(٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الأشربة - باب تحريم التداوي بالخمير وبيان أنها ليست بدواء - ص ١٠٣٢ برقم
(١٩٨٤) عن طارق بن سويد الجعفي.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الطب - باب في الأدوية المكروهة - ص ١٥٠٨ برقم (٣٨٧٠)، والترمذي في سننه -
كتاب الطب - باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره - ص ١٨٥٦ برقم (٢٠٤٥)، وابن ماجه في سننه -
كتاب الطب - باب النهي عن الدواء الخبيث - ص ٢٦٨٥ برقم (٣٤٥٩)، وأحمد في مسنده ٣٠٥/٢، والحاكم
في المستدرک ٤/٤٥٥ عن أبي هريرة، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه
الذهبي في التلخيص.

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٣٨٧١)، والطبراني في المعجم الأوسط ٤/١٠٤، والحاكم في المستدرک وقال: هذا
حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(٢) مجموع الفتاوى ٨٢/٢١.

(٣) السَّفْعَة: علامة من الشيطان وقيل ضربة واحدة منه، والمعنى أن الشيطان أصابها أو أدركتها السفعة من قبل النظرة،
فاطلبوا لها الرقية. انظر: النهاية في غريب الأثر ٢/٩٤٤، لسان العرب ٨/١٥٦، غريب الحديث للقسام بن سلام
الهروي أبي عبيد ٣/١٨٩، تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان، ط/الأولى ١٣٩٦هـ، دار الكتاب العربي -
بيروت.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الطب - باب رقية العين - ص ٤٩٠ برقم (٥٧٣٩)، ومسلم في صحيحه -
كتاب السلام - باب استحباب الرقية من العين - ص ١٠٦٨ برقم (٢١٩٧) عن أم سلمة.

وما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أتى مريضاً أو أتى به قال: (أذهب الباس، رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً)^(١).

وما ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد! اشتكيت؟ قال: (نعم)، قال: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك^(٢).

وما ثبت في صحيح مسلم أيضاً عن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه أنه شكاً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجعا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ضع يدك على الذي يألم من جسديك، وقل: باسم الله، ثلاثاً، وقل، سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)^(٣).

وما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي - صلى الله عليه وسلم - بإصبعه هكذا - ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها -: (باسم الله، تربة أرضنا، بريقه بعضنا، يشفي به سقيمنا، بإذن ربنا)^(٤).

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في بعض أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين نزلوا بحي من أحياء العرب، فلدغ سيد ذلك الحي، فرقاه بعضهم بقراءة فاتحة الكتاب، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبية^(٥).

(٥) سبق تخريجه ص ٣٤٠.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب الطب والمرض والرقى - ص ١٠٦٦ برقم (٢١٨٦) عن أبي سعيد الخدري.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء - ص ١٠٦٩ برقم (٢٢٠٢) عن عثمان بن أبي العاص الثقفي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الطب - باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم - ص ٤٩١ برقم (٥٧٤٦)، ومسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب رقية المريض بالمعوذات والنفث - ص ١٠٦٨ برقم (٢١٩٤) عن عائشة، واللفظ لمسلم.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٣٩.

٢- أن رقية النبي- صلى الله عليه وسلم- لنفسه ولغيره من صحابته الكرام كلها كانت باللسان العربي ومعانيها كانت مفهومة، أما ما لم تكن معانيها مفهومة فيخشى أن تكون من الشرك.

٣- أنه يوجد في الإسلام في باب الوقاية من الأمراض قبل وقوعها وعلاجها بعد وقوعها ما يغني عن التطلع إلى ما لدى الأمم الأخرى من أهل الشرك، فالمنفعة في الرقية الشرعية عامة تفيد في دفع البلاء قبل وقوعه كما تفيد في رفعه بعد وقوعه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان عظمة شأن آية الكرسي في الاحتراز من الشياطين ودفع أذاهم وشورهم: "فقد جرب المحربون- الذين لا يحصون كثرة- أن لها من

التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضب من كثرته وقوته"^(١).

ويقول الإمام ابن القيم مبينا منافع الرقى الشرعية وتميزها عن الأدوية الأخرى: "اعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضراً وإن كان مؤذياً، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار: إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها، بحسب كمال المتعوذ وقوته وضعفه، فالرقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة، ولإزالة المرض"^(٢).

٤- أن المرء الذي يستخدم ما جاءت به السنة من الرقية الشرعية يجد في رقيته ثلاث فوائد:

الأولى: التعبد لله سبحانه وتعالى إذا قرأ مثلاً آية أو سورة من سور القرآن الكريم؛ لأن القرآن يتعبد بتلاوته بأي وجه كان، يضاف إلى ذلك عبادة أخرى وهي التوكل على الباري جل وعلا لما يصاحب رقيته من الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الشافي.

الثانية: الاقتداء بسنة النبي- صلى الله عليه وسلم، فيؤجر على اتباعه للسنة.

الثالثة: وقوع ما يرجوه من استخدام هذه الرقية إما الوقاية من البلاء قبل وقوعه أو دفعه بعد وقوعه، وذلك على حسب يقينه وتوكله على ربه سبحانه وتعالى.

(١) مجموع الفتاوى ٥٥/١٩.

(٢) زاد المعاد ١٦٥/٤.

٥- أن الاعتماد على الرقى مع الاعتقاد أنها سبب من الأسباب ذريعة من الذرائع المفضية إلى الشرك، أما إذا اعتمد عليها الراقي أو المرقي اعتمادا كلياً حتى اعتقد أنها تنفع من دون الله فهي شرك أكبر مخرج من الملة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله"^(١).

وبناء على ما سبق فكل رقية أحلت بشرط من الشروط الثلاثة التي وضعها العلماء للرقية الشرعية فهي محرمة لا ينبغي للمسلم أن يستخدمها أو يرجو الاستفادة بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن كانت الرقى والتعاويذ مما يعرف معناها ومما يجوز في دين الإسلام أن يتكلم بها الرجل داعياً لله ذاكراً له ومخاطباً لخلقه ونحو ذلك فإنه يجوز أن يرقى بها المصروع ويعود؛ فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (أنه أذن في الرقى ما لم تكن شركاً)^(٢)، وقال: (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل)^(٣). وإن كان في ذلك كلمات محرمة مثل أن يكون فيها شرك أو كانت مجهولة المعنى يحتمل أن يكون فيها كفر فليس لأحد أن يرقى بها، ولا يعزم ولا يقسم، وإن كان الجني قد ينصرف عن المصروع بها فإنما حرمه الله ورسوله، ضرره أكثر من نفعه"^(٤).

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: "وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى"^(٥).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن^(٦): "إن الرقى الموصوفة بكونها شركاً هي التي يستعان فيها بغير الله، وأما إذا لم يذكر فيها إلا أسماء الله وصفاته وآياته والمأثور عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فهذا حسن: جائز أو مستحب"^(١).

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٤١/١٠.

(١) وذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام: (لا بأس بالرقى ما لم تك شركاً) وقد سبق تخريجه في ص ٣٨٠.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٧٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٧٨.

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٤٠/١٠.

(٥) هو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، حفيد العلامة محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة المعروفة

وكذلك التداوي بالمحرمات الذي هو الصورة الثالثة فإنه محرم وذلك لما يأتي:

١- ما ورد من عموم الأدلة الناهية عن أكل ما حرمه الله على هذه الأمة، وما حرم أكله حرمت الاستفادة منه بأية طريقة ومنها التداوي.

يقول الإمام ابن القيم في كلامه عن هدي نبي الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - في المنع من التداوي بالمحرمات: "... وأيضاً فإن تحريمه - أي كل ما حرمه الله - يقتضي تجنبه والبعد عنه بكل طريق، وفي اتخاذه دواءً حضُّ على الترغيب فيه وملاسته، وهذا ضد مقصود الشارع، وأيضاً فإنه داء كما نص عليه صاحب الشريعة فلا يجوز أن يتخذ دواءً"^(٢).

ومما حرم الشرع أكله أو التداوي به الميتة والدم ولحم الخنزير، نزل تحريمها في الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ (المائدة: ٣)، إلا أن السنة قد نسخت نوعين من الميتة والدم هما: السمك والجراد، والكبد والطحال، وبقي الباقي من الميتة والدم محرماً، أما لحم الخنزير فإنه محرم بتاتا لأن الخنزير يعيش على الأوساخ والنجاسات والقاذورات ولحمه رديئ يؤذي البدن.

ويحرم كذلك أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، كما روى الشيخان عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أكل كل ذي ناب من السباع^(٣)، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير^(٤).

باسمه، فقيه حنبلي من علماء نجد، من مؤلفاته: الإيمان والرد على أهل البدع، فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، توفي سنة ١٢٨٥ هـ.

انظر: الأعلام ٣/٣٠٤، معجم المؤلفين ٥/١٣٥، مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٥٨، علماء الدعوة ص ٤٠.

(٦) فتح المجيد ص ١٤٧، وانظر: تيسير العزيز الحميد ص ١٣٧.

(١) الطب النبوي ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الذبائح والصيد - باب أكل كل ذي ناب من السباع - ص ٤٧٦ برقم

(٥٥٣٠)، ومسلم في صحيحه - كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان - باب تحريم أكل كل ذي ناب من

السباع وكل ذي مخلب من الطير - ص ١٠٢٣ برقم (١٩٣٢) عن أبي ثعلبة الخشني.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان - باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع

وكل ذي مخلب من الطير - ص ١٠٢٣ برقم (١٩٣٤) عن عبد الله بن عباس.

وعلى هذا، فكل حيوان مفترس بنابه مثل الأسد والذئب والنمر، وكل ذي مخلب يفترس به من الطيور مثل الحدأة والصقر يحرم علاج المرضى بلحمه كما يحرم أكله.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن التداوي بالمحرمات النجسة محرم والدليل عليه من وجوه:

أحدها: أن الأدلة الدالة على التحريم مثل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ...﴾ (المائدة: ٣)، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ...﴾ (المائدة: ٩٠)، ونهيه - صلى الله عليه وسلم - عن أكل كل ذي ناب من السباع، عامة في حال التداوي وغير التداوي، فمن فرق بينهما فقد فرق بين ما جمع الله بينه، وخص العموم، وذلك غير جائز" (١).

٢- ما ورد من الأدلة الصريحة الخاصة بالنهي عن التعالج والتداوي بالمحرمات، ومنها:
قوله - صلى الله عليه وسلم - (كل مسكر خمر، وكل خمر حرام) (٢).
وسئل عن الخمر وقال - عليه الصلاة والسلام - (إنها داء وليست بدواء) (٣).
وقد نهي - عليه الصلاة والسلام - عن الدواء الخبيث (٤).
ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: من تداوى بالخمر فلا شفاه الله (٥).
وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم) (٦).

(١) مجموع الفتاوى ٥٦٢/٢١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الأشربة - باب بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام - ص ١٠٣٦ برقم (٢٠٠٣) عن عبد الله بن عمر.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٩٦.

(٤) سبق تخريجه ص ٣٩٦.

(٥) المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ٣٨/٥، تحقيق كمال يوسف الحوت ط/ الأولى ١٤٠٩ هـ مكتبة الرشد - الرياض.

(٦) رواه البخاري في صحيحه معلقا - كتاب الأشربة - باب شراب الحلواء والعسل ص ٤٨١، ووصله الطبراني في المعجم الكبير ٣٢٦/٢٣ بإسناد رجاله رجال الصحيح.

فلا يجوز التداوي بالحرمان مثل الخمر؛ إذ يخطئ البعض حينما يتناول شيئاً من الخمر ويوهم نفسه أنه إنما يتداوى بها.

"فالخمر تسبي العقل وتسيطر على الفكر وتطلق العنان لأهواء النفس، والإسلام حريص أشد الحرص على عقل وقلب ويد ولسان المؤمن فهو يجب أن يكون المؤمن قويا نظيفا حسن الهيئة متزنا، بشوش الوجه طلق الحيا مستبشرا، ولا جرم ولا شك أن الخمر تغير

من ملامح التجسيم البشري المنسق بيد العناية وتفقد المرء صوابه"^(١).

٣- أن كل شيء جاء الأدلة بتحريمه في الشريعة المحمدية قد حرم لخبثه؛ لأنه لا توجد أية فائدة في تناوله، بل إذا استخدم للعلاج فإنه يأتي بمضرة أكبر من الداء المراد علاجه به، وأما الطيبات فكلها حلال وفيها منفعة عظيمة لجسم الإنسان.

قال الإمام ابن القيم في كلامه عن هدي نبي الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - في المنع من التداوي بالحرمان: "المعالجة بالحرمان قبيحة عقلا وشرعا، أما الشرع فما ذكرنا من هذه الأحاديث وغيرها، وأما العقل فهو أن الله سبحانه إنما حرمه لخبثه، فإنه لم يحرم على هذه الأمة طيبا عقوبة لها كما حرمه على بني إسرائيل بقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٦٠)، وإنما حرم على هذه الأمة ما حرم لخبثه، وتحريمه له حمية لهم وصيانة عن تناوله، فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل؛ فإنه وإن أثر في إزالتها لكنه يُعقب سقما أعظم منه في القلب، بقوة الخبث الذي فيه، فيكون المداوي به قد سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب"^(٢).

وقال أيضا رحمه الله: "فإن في هذا الدواء المحرم من الأدوية ما يزيد على ما يظن فيه من الشفاء، ولنفرض الكلام في أم الخبائث التي ما جعل الله لنا فيها شفاء قط، فإنها شديدة المضرة بالدماع الذي هو مركز العقل عند الأطباء وكثير من الفقهاء والمتكلمين، قال أبقراط في أثناء

(١) إعجاز الطب النبوي في عالم اليوم للدكتور السيد الجميلي ص ٢١، تقديم الدكتور حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ١٤ ميدان العتبة (دون بيانات أخرى).

(٢) الطب النبوي ص ١٣٧-١٣٨.

كلامه في الأمراض الحادة: ضرر الحمرة بالرأس شديد؛ لأنه يسرع الارتفاع إليه، ويرتفع بارتفاعه الأخلاط التي تعلق في البدن وهو كذلك يضر بالدهن، وقال صاحب الكامل: إن خاصية الشراب الإضرار بالدماغ والعصب"^(١).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "وكذلك كل أمر نهي عنه فإنه لا ينفع غالباً أصلاً، وإن نفع بعضه فضره أكبر من نفعه"^(٢).

٤- أن ما ورد ذكره في القرآن والسنة من المطعومات التي أباح الشرع العلاج والتداوي بها فيها ما يغني عن التداوي بالمحرمات والخبائث.

٥- أن استخدام هذه المحرمات للتداوي فيه مخالفة لأوامر الله تعالى؛ إذ قد نهي المسلم عن الاستفادة منها بأي وجه من الوجوه، والنهي يقتضي التحريم. فيقترب المرء هذه المعصية بمخالفة أوامر ربه جل وعلا مع أن النفع غير محقق في استخدام تلك المحرمات للتداوي. تلك هي الأدلة على تحريم التداوي بكل ما حرمه الله، فإنه لا يرجى حصول العلاج به؛ لأن الشارع لم يجعله سبباً، أما ما ينفع الناس من الأدوية المباحة فكلها من الطيبات التي أحلها الله وجعلها من أسباب حصول العلاج. ومن الطيبات التي تستخدم كأدوية مباحة العسل.

يقول جلت قدرته عن النحل: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ ﴾ (النحل: ٦٨-٦٩).

وفي الصحيحين: من حديث أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي يشتكي بطنه، وفي رواية: استطلق بطنه فقال: (اسقه عسلاً)، فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فلم يغب عنه شيئاً، وفي لفظ: فلم يزد إلا استطلاقاً مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول له: (اسقه عسلاً) فقال له في الثالثة أو الرابعة: (صدق الله

(٣) المرجع السابق ص ١٣٨.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ١٣١.

وكذب بطن أخيك^(١). وفي صحيح مسلم في لفظ له: إن أخي عرب بطنه، أي فسد هضمه واعتلت معدته.

يقول الإمام ابن القيم في معرض المنفعة العظيمة التي جعلها الله سبحانه وتعالى في العسل: "والعسل فيه منافع عظيمة، فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها، محلل للرطوبات أكلا وطلاء، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم ومن كان مزاجه باردا رطبا، وهو مغذ ملين للطبيعة، حافظ لقوى المعاجين ولما استودع فيه، مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة، منق للكبد والصدر، مدر للبول، موافق للسعال الكائن عن البلغم،... وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يشربه بالماء على الريق، وفي ذلك سر بديع في حفظ الصحة لا يدركه إلا الفطن الفاضل"^(٢).

ومنها زيت الزيتون، يقول جل وعلا في سياق ذكر ما امتن به على عباده من النعم: ﴿

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٢٠).

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية: "يريد بها شجرة الزيتون، وأفردها بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرها من البلاد وقلة تعاهدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار"^(٣).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان منفعة زيت الزيتون: "ينفع من السموم، ويطلق البطن، ويخرج الدود، والعتيق منه أشد تسخيناً وتحليلاً، وما استخرج منه بالماء فهو أقل حرارة وألطف، وأبلغ في النفع، وجميع أصنافه ملينة للبشرة، وتبطن الشيب. وماء الزيتون المالح يمنع من تنفط حرق النار، ويشد اللثة، وورقه ينفع من الحمرة والنملة والقروح الوسخة والشرى، ويمنع العرق"^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الطب - باب دواء المبطون - ص ٤٨٩ برقم (٥٧١٦)، ومسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب التداوي بسقي العسل - ص ١٠٧١ برقم (٢٢١٧) عن أبي سعيد الخدري.

(١) زاد المعاد ٤/٣٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٢/٧٧.

(٣) الطب النبوي ص ٢٤٠.

ومنها الحبة السوداء، وكذلك الحمامة، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في بيان فوائد الحمامة والتفاضل بينها وبين الفصد^(١): "فالحمامة أنفع من الفصد بكثير في البلاد الحارة والأزمنة الحارة والأمزجة الحارة التي دم أصحابها في غاية النضج، فإن الدم ينضج ويرق ويخرج إلى سطح الجسد الداخلة فتخرج الحمامة ما لا يخرج الفصد؛ ولذلك كانت أنفع للصبيان من الفصد، ولمن لا يقوى على الفصد"^(٢).

مسألة: هل يجوز أخذ الأجرة على الرقية؟

يجوز أخذ الأجرة على الرقية، ودليل ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقراً (الحمد لله رب العالمين). فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبه. قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي - صلى الله عليه وسلم - فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله فذكروا له فقال: (وما يدريك أنها رقية). ثم قال: (قد أصبتم، اقسما واضربوا لي معكم سهما). فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم^(٣).

وما روي عن خارجة بن الصلت عن عمه قال: أقبلنا من عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتينا على حي من العرب فقالوا أنبئنا أنكم جئتم من عند هذا الرجل بخير، فهل عندكم دواء أو رقية، فإن عندنا معنوها في القيود، قال: فقلنا: نعم، قال: فجاءوا بالمعتوه في القيود، قال: فقرأت بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية كلما ختمتها أجمع بزاقني ثم أتفل،

(٤) الفصد: قطع العرق لإزالة الدم، انظر: لسان العرب ٣/٣٣٦، مختار الصحاح ١/٥١٧.

(٥) الطب النبوي ص ٦٩ مع تصرف يسير.

(١) سبق تخريجه ص ٣٣٩.

قال: فكأنما نشط من عقال، قال: فأعطوني جعلاً، فقلت: لا حتى أسأل النبي - صلى الله عليه وسلم، فسألته فقال: (كل لعمرى من أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق)^(١).
ففي هذين الحديثين دليل على إقرار النبي - صلى الله عليه وسلم - للرجلين كليهما على أخذ الأجرة مقابل الرقية.

المبحث الثالث

العلاج بالسحر والشعوذة

تعريف السحر:

قبل الشروع في ذكر صور العلاج بالسحر لدى بعض مسلمي نيجيريا الذي هو مدار هذا المبحث يحسن بي أن أبين معنى السحر وحكمه عند أهل السنة والجماعة، فأقول مستعينا بالله:

السحر لغة: كل شيء خفي سببه ولطف ودق، وكذلك ما فيه خداع، يقال: سحره إذا خدعه^(٢).

أما تعريفه اصطلاحاً، فيتعدد ذلك بتعدد أنواعه فمنها ما هو حقيقة ومنها ما هو خيال ومنها ما هو من باب الدجل والشعوذة ويكون الاعتماد فيه على خفة اليد وغير ذلك، يقول الراغب الأصفهاني رحمه الله: "والسحر يقال على معان: الأول الخداع وتخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبد بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد...، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُهُمْ﴾ (الأعراف: ١١٦)،... والثاني استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَزَلُّ الشَّيْطِينُ

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الطب - باب كيف الرقى - ص ١٥٠٩-١٥١٠ برقم (٣٩٠١)، وأحمد في مسنده ٢١١/٥، وابن حبان في صحيحه ٤٧٤/١٣، والحاكم في المستدرک ٧٤٧/١، والطبراني في المعجم الكبير ١٧/١٩٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٤٤٩/٢، والنسائي في السنن الكبرى ٣٦٥/٤، عن خارجه بن الصلت التميمي عن عمه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٢٩١٨).

(١) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ٢٣١-٢٣٢، ومختار الصحاح ص ٣٢٦، ولسان العرب ٣٤٨/٤، والقاموس المحيط ص ٥١٨ (مادة سحر).

﴿ تَنْزَلُ عَلَيَّ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢)، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِكَنَّ

الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ (البقرة: ١٠٢)"^(١).

والسحر مع تعدد أنواعه إلا أن كل هذه الأنواع محرمة، أما الذي يهمني في هذا البحث هو **السحر الحقيقي** وقد عرفه ابن قدامة المقدسي بأنه:

هو عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان والقلوب فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه^(٢).

وهذا النوع من السحر هو الذي يقع بين الناس في الغالب، ومنه تكثر شكواهم، وبسببه أكل السحرة أموال الناس بالباطل، وهو الذي يكفر صاحبه^(٣).

وقد قرر العلماء بأن السحر الحقيقي الذي يقتل ويمرض ويفرق بين المرء وزوجه أو الذي فيه تعاون مع الجن وتقرب إليه حرام، وأن من فعله أو رضي به كافر؛ وذلك لأنه لا يتأتى إلا بالشرك.

أما السحر المجازي وإن لم يبلغ مبلغ الكفر إلا أنه حرام أيضا لما فيه من إفساد عقائد العامة، فإن العامي إذا شاهد ما يفعله الساحر من أمور غريبة لا يعرف سببها ربما اعتقد في الساحر شيئا من صفات الربوبية، فيهلك بذلك^(٤).

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٣١-٢٣٢، وانظر: فتح الباري لابن حجر ١٠/٢٧٢-٢٧٣.

(٣) الكافي في فقه الإمام المبحل أحمد بن حنبل للعلامة عبد الله بن قدامة المقدسي أبي محمد ٤/١٦٤، المكتب الاسلامي - بيروت.

(١) أحكام الرقى والتمائم تأليف د. فهد بن ضويان بن عوض السحيمي ص ١٣٨.

(٢) عالم السحر والشعوذة للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ٢١٧، ط/الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع - الكويت ودار النفائس للنشر والتوزيع - الكويت. يقول ابن خلدون: "أما الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابا واحدا محظورا، لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهمننا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا، وما لا يهمننا في شيء منهما فإن كان فيه ضرر أو نوع ضرر كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع و يلحق به الطلسمات لأن أثرهما واحد، وكانجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله، فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نسبه في الضرر، وإن لم يكن مهما علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من تركه قرينة إلى الله، فإن من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه، فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيها من الضرر وخصته بالخطر والتحريم". تاريخ ابن خلدون ١/٦٥٥.

ويقول ابن حجر: "قال النووي: عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي - صلى الله عليه وسلم - من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام"^(١).

وقد وقع الخلاف بين أهل العلم في الساحر هل يكفر أو لا؟ وعلى الرغم من ذلك الخلاف إلا أنه عند التحقيق لا يظهر إلا القول الذي ذكرته آنفاً بأن السحر حرام وكفر، وصاحبه كذلك كافر، ولقد ساق هذا الخلاف الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله ثم حقق في المسألة فقال: "واختلفوا هل يكفر الساحر أو لا، فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد، قال أصحابه: إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر، وقيل: لا يكفر إلا أن يكون في سحره شرك فيكفر، وهذا قول الشافعي وجماعته، قال الشافعي رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرَكَ، فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر"^(٢).

ثم قال: "وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف، فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب؛ ولهذا سماه الله كفراً في قوله: ﴿ إِنَّمَا حُنُّ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرٌ ۗ ﴾ (البقرة: ١٠٢)، وقوله: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ۗ ﴾ (البقرة: ١٠٢)"^(٣).

ومما يدل على أن السحر حرام وكفر مناف للإيمان:

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٠/٢٧٥.

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٠.

١- قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ

السِّحْرَ ﴾ (البقرة: ١٠٢)، قال الحافظ ابن حجر: "وقد استدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر، وهو واضح في بعض أنواعه وهو التعبد للشياطين أو للكواكب"^(١).

٢- قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا

تَكْفُرُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾

(البقرة: ١٠٢)، والاستدلال بهذا الجزء من الآية على أن السحر كفر من وجهين^(٢):

الأول: التصريح بأن تعلمه كفر ﴿ فَلَا تَكْفُرُ ﴾.

الثاني: التنصيص على أن من ﴿ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ والخلاق

النصيب، والذي لا نصيب له في الآخرة هو الكافر.

٣- ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - قال: (اجتنبوا السبع الموبقات). قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله،
والسحر...)^(٣)، ووجه الدلالة أن السحر من السبع الموبقات المخصوصات بالنهاي.

وعلاج السحر بالسحر الذي هو موضوع هذا المبحث داخل فيما يسمى بالنشرة.

والنشرة في اللغة؛ بضم النون من النشر، وهو التفريق^(٤).

وفي الاصطلاح: حل السحر عن المسحور.

والنشرة ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن، سميت

نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يكشف ويُرَال^(٥)، وهي نوعان^(١):

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٠/٢٧٥.

(٤) انظر: عالم السحر والشعوذة للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ٢١٦.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الوصايا - باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء: ١٠) - ص ٢٢٢-٢٢٣ برقم (٢٧٦٦)، ومسلم في

صحيحه - كتاب الإيمان - باب الكبائر وأكبرها - ص ٦٩٣ برقم (٨٩) عن أبي هريرة.

(٢) انظر: تاج العروس ١/٣٥٣٤.

(٣) لسان العرب ٥/٢٠٦، وتاج العرب ١/٣٥٣٥، والمفردات ص ٤٩٥ مادة (نشر).

النوع الأول: حل السحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان؛ لأن الذي يعمل هذا النوع من النشرة والمريض الذي يُعمل له كلاهما يتقرب إلى الشيطان بما يجب، فيخضعان له، فيطيعانه فيما يريد من الشرك والكفر بالله عز وجل، وفعل المحرمات، فيبطل الشيطان عمله عن المسحور، ولا يعمل ذلك إلا بعد ما أفسد دينهم وعقيدتهم^(٢). وهذا النوع من النشرة محرم؛ لأن حل السحر بسحر مثله هو في حقيقة الأمر تعاط للسحر، وقد تقدمت الأدلة على النهي عن ذلك دون تفريق حالة عن حالة، فلم يوجد أدنى دليل يبيح للمسلم العلاج باستعمال السحر ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٨٠).

والنشرة بهذا المعنى هي التي سئل عنها النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: (هي من عمل الشيطان)، وعليها يحمل قول الحسن البصري في قوله: لا يحل السحر إلا ساحر.

النوع الثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، وهذا جائز ومفيد إذا وجد عند الراقي والمريض حسن الظن بالله والاعتقاد بأن الشفاء منه سبحانه وتعالى؛ لأن أحسن التداوي ما كان بكتاب الله تعالى وذكره ودعائه، "فمن تعلق بالله وأنزل حوائجه به، والتجأ إليه وفوض أمره كله إليه كفاه، وقرب إليه كل بعيد ويسر له كل عسير. ومن تعلق بغيره، أو سكن إلى رأيه وعقله ودوائه وتمائمه، واعتمد على حوله وقوته وكله الله إلى ذلك وخذله"^(٣). قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "ومن جرب هذه الدعوات والتعوذات عرف مقدار منفعتها وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن، وترفعه بعد وصوله، بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه واستعداده، وقوة توكله وثبات قلبه، فإنها سلاح بضاربه"^(٤).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ٣٩٦/٤، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد دار الجيل - بيروت ١٩٧٣م.

(٥) انظر: إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ٣٧٩/١.

(١) فتح المجيد ص ١٥٠.

(٢) زاد المعاد ١٥٤/٤.

وقد أجاز طائفة من أهل العلم النشرة بالسحر لما فيها من المنفعة التي تعود إلى المسحور حيث يزول عنه ما به من السحر، وهذا ينفع ولا يضر، أما ما يضر فهو المنهي عنه. ودليل أصحاب هذا القول الأثر المروي عن التابعي الجليل سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى.

ففي صحيح البخاري: قال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع الناس فلم ينه عنه^(١).

وليس لهؤلاء دليل في كلام سعيد بن المسيب؛ إذ لم تكن هناك إشارة واضحة على ما ذهبوا إليه في كلامه.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله عند شرحه لقول ابن القيم في بيان نوعي النشرة (... والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز)، قال: "هذا الثاني هو الذي يحمل عليه كلام ابن المسيب، أو على نوع لا يدري هل هو من السحر أم لا؟ وكذلك ما روي عن الإمام أحمد من إجازة النشرة، فإنه محمول على ذلك، وغلط من ظن أنه أجاز النشرة السحرية، وليس في كلامه ما يدل على ذلك، بل لما سئل عن الرجل يحل السحر قال: قد رخص فيه بعض الناس. قيل: إنه يجعل في الطنجير ماء ويغيب فيه ففض يده وقال: لا أدري ما هذا، قيل له: أفترى أن يؤتى مثل هذا؟ قال لا أدري ما هذا. وهذا صريح في النهي عن النشرة على الوجه المكروه. وكيف يجيزه؟ وهو الذي روى الحديث أنها من عمل الشيطان، لكن لما كان لفظ النشرة مشتركا بين الجائزة والتي من عمل الشيطان ورأوه قد أجاز النشرة ظنوا أنه قد أجاز التي من عمل الشيطان، وحاشاه من ذلك"^(٢).

تقول اللجنة الدائمة: "كل ما ورد عن السلف في إجازة النشرة، وإنما يراد به النشرة المشروعة، وهي ما كان بالقرآن والأدعية المشروعة، والأدوية المباحة"^(٣).

على كل حال، حتى ولو كان ابن المسيب ومن فوق ابن المسيب ممن ليس قوله حجة يرى أنه جائز، فلا يلزم من ذلك أن يكون جائزا في حكم الله حتى يعرض على الكتاب

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا- كتاب الطب- باب هل يستخرج السحر؟.

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣١٦.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية العدد (٧٨) ص ٣٨٠.

والسنة^(١)، والعبرة والحجة في التحليل والتحريم هو كتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فما فيهما من حلال حللناه، وما فيهما من حرام حرمناه، وليس قول أحد من الناس حجة عليهما^(٢).

وقد سبق أن ذكرت الأدلة الصريحة من المصدرين تحرم تعلم السحر وتعليمه وتصنف متعاطيه بالكفر، وما ذا بعد الحق إلا الضلال؟
يضاف إلى ذلك:

أ- أن في تجويز النشرة بالسحر إقرارا للساحر على ما هو عليه، وفيه تعاون على الإثم والعدوان، وسيؤدي ذلك إلى كثرة السحرة بحجة العلاج، بل سيكون ذلك دافعا للسحرة أن يتسلطوا على عباد الله بسحرهم، ثم يأخذون أموالهم ليطببوهما عما سعوا مع شياطينهم بإيذائهم به^(٣).

ب- أن الذهاب للسحرة للعلاج هو من جنس الذهاب للكهنة والعرافين وقد جاء الوعيد الشديد لمن فعل ذلك^(٤)، كما في قوله - صلى الله عليه وسلم: (من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)^(٥)، وقوله - عليه الصلاة والسلام: (من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)^(٦).

ج- أن النشرة بالسحر لا تكون محل ضرورة؛ إذ إن البدائل عنها موجودة، وحصول المطلوب بها ليس محققا^(٧).

"فلا يصح القول بجواز حل السحر بسحر مثله بناء على قاعدة الضرورات تبيح المحظورات؛ لأن من شرط هذه القاعدة أن يكون المحظور أقل من الضرورة كما قرره علماء

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ١/٥٥٧.

(٤) شبهات المبتدعة حول توحيد العبادة ص ٥٤٣.

(١) شبهات المبتدعة ص ٥٣٨.

(٢) المرجع السابق ص ٥٣٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤٢٩/٢، والطبراني في المعجم الأوسط ١٢٢/٢، والحاكم في المستدرک ٤٩/١ عن أبي هريرة وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان - ص ١٠٧٤ برقم (٢٢٣٠) عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥) شبهات المبتدعة ص ٥٤٠.

الأصول^(١)، وحيث إن السحر كفر وشرك، فهو أعظم ضررا بدلالة قول النبي - صلى الله عليه وسلم: (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك)، والسحر يمكن علاجه بالأسباب المشروعة، فلا اضطرار لعلاجه بما هو كفر وشرك^(٢).

وإذا كان النبي قد نهي عن التداوي بما هو دون السحر لأجل حرمة، وعلل ذلك بأن الله لم يجعل شفاء أمته فيما حرم عليهم، فكيف بالسحر الذي يصل إلى الشرك بالله تبارك وتعالى.

وعلى المرء المسلم أن لا يغتر بتلك المنفعة العاجلة التي لم يكن وقوعها محققا باستعمال الدواء الذي يمس بعقيدته ويضيع عليه دينه، فالسبب قد يحصل به مطلوب من المطالب، ولكن لا بد من النظر إلى شرعيته أو إباحته، كيلا يؤدي إلى نقصان للمرء في دينه.

والشعوذة: ضرب من السحر، وهي خفة في اليد وأخذ كالسحر، يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين^(٣).

ومن الشعوذة استعمال أسماء مجهولة وألفاظ لا يفهم معناها قراءة أو كتابة للوصول إلى غرض معين من جلب النفع أو دفع الضر^(٤).

صور العلاج بالسحر والشعوذة لدى مسلمي نيجيريا:

وبعد هذا كله، وعلى الرغم من كثرة الأدلة التي لا تقبل أي تأويل ووضوحها ودلائنها على منع التداوي بالسحر وكفر من أقدم عليه، نجد طائفة من مسلمي نيجيريا ما زالوا يحاكون أهل الجاهلية في استعمال هذه الأدوية الشركية تاركين جنبهم ذلك الكنز العظيم ذا منفعة جلية من الأدوية المباحة والرقى والدعوات المشروعة. وما الذي دفع هؤلاء إلى صنيعهم هذا؟ إنه الجهل بروح المنهج الإسلامي الذي ألجأهم إلى الاعتصام بالسلوك الجاهلي الممقوت فلبس على كثير منهم حتى أظهر لهم الباطل في صورة الحق، وما من شك أن من سلك طريق الضلال بعد ما تبين له الحق سيجد نفسه من الخائبين الخاسرين في نهاية المطاف، فلن تتم له

(٦) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي ٨٤/١، شرح الكوكب المنير ٣٧/٣.

(٧) مجلة البحوث الإسلامية العدد (٧٨) ص ٣٨٠، من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

(١) انظر: القاموس المحبط ص ٤٢٧، ولسان العرب ٤٩٥/٣ مادة (شعد).

(٢) انظر: التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ٣٤٥١/١، الدار التونسية للنشر ١٩٧٢ م.

فرحة ولن تطول له هناة، ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥).

والعلاج بالسحر والشعوذة لدى مسلمي نيجيريا له أربع صور:

الصورة الأولى:

العلاج بالسحر والشعوذة التي فيها شيء من القرآن الكريم وذلك بكتابة آيات قرآنية بطريقة غير التي أنزلت عليها، ولهم في ذلك عدة طرق، منها:

١- ما يفعله بعضهم من كتابة بعض سور القرآن الكريم من آخرها إلى أولها، أو تكرار سورة أو آية معينة عدة مرات.

٢- كتابة بعض السور مع إدخال كلمات أخرى بين آياتها مثل أسماء الملائكة أو الجن أو أسماء غير مفهومة.

٣- كتابة بعض الآيات مع تكبير بعض الحروف فيها، يكتب داخل الحروف المكبرة الغرض من عمل تلك التسمية.

٤- كتابة بعض السور والآيات بالحروف المقطعة مع الاعتقاد أن هذه الهيئة لها خصوصية لا يتحقق الغرض إلا بكتابتها كذلك.

ومن المؤسف أن سور القرآن وآياتها تكتب عند بعضهم بمواد نجسة وغير نجسة مما لا يعقل أن يكتب به كلام الله كدم الضفدع، ودم الفأرة، ودم الحيض، وحليب المرأة، وغير ذلك، وإن هذا العمل لغاية في الوساحة لا ينبغي أن يقوم به صاحب العقل السليم ناهيك عن المسلم المتعلم.

وهذه الأشياء التي يكتبونها تكتب أحيانا على اللوحة السوداء المخصصة لذلك ثم تمحى بالماء ويقدم للمريض، وفي بعض الأحيان تكتب في الأوراق ثم تربط وتحاط بالجلد لتكون في أشكال يمكن تعليقها على عنق المريض أو عضده، أو توضع تحت الوسادة، أو في الجيوب، أو تعلق على جدران المنازل والمحلات التجارية، كل ذلك للتغلب على الأعداء من الأرواح الشريرة، أو اتقاء الإصابة بالعين وغير ذلك من الأضرار، أو لجلب الرزق، أو طلب الرفعة.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

ولقد ذكرت هذا على سبيل المثال لا الحصر، ولولا كآبة صور الطلاسم والخطوط وشناعتها لأتيت بها ههنا لنرى ذلك الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون اليوم في بعض البلدان الإسلامية من البعد عن طريق الله المستقيم واللجوء إلى الخطوط والطلاسم وكلمات غير مفهومة، كل ذلك بدعوى جلب الخير والتهرب من الشر، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره.

الصورة الثالثة:

العلاج بالاستعانة بالأرواح الشيطانية والقوى الشريرة شياطين الإنس والجن، فالذين يتعاطون السحر بهذه الصورة لهم أدعية مخصصة لهذا الغرض مع الاعتقاد أن هناك مجموعة من الروحانيات تعمل مع هذه الأدعية، كما يستخدمون أنواعا من البخور لتحقيق أغراضهم الخبيثة. ومما يعرف مع هذه الفئة من السحرة والمشعوذين أن شياطينهم تشتترط عليهم القيام بهذه الأدعية وهم في هيئة معينة مثل أن يكون واحد منهم نجسا أو على غير طهارة، أو يكون عربانا أو يفعل هذه الأفاعيل في مكان مظلم حيث لا يراه أحد، شأنهم شأن الكهنة الوثنيين الذين ورثوا عنهم بعض هذه الأشياء.

ومن أساليبهم الملتوية التعاون مع الجن الذي يتعاملون معه ليدخل في الشخص أو يمسه بأذى حتى إذا مرض يقوم هذا الساحر بالسعي لإخراج الجن منه وعلاجه؛ يفعل ذلك ليُري الناس أنه راق حقيقي وأن لديه المقدرة على علاج من مسه الجن بشيء أو دخل في جسمه؛ ولذلك ترى الكثير من العوام يذهبون إلى هؤلاء السحرة والمشعوذين بمجرد شعورهم بأدنى شيء من الأمراض مثل الصداع، والحمى، وغير ذلك بدلا من عيادة الطبيب المتخصص.

ومما شهد له الواقع من خلال كلام أهل العلم قديما وحديثا أن الذي يتعامل مع الجن لا بد أن يشرك بالله ويكفر؛ إذ لن ترضى شياطين الجن أن يخدموا أصحابهم من الإنس إلا بعد ما أشركوا بالله، فنجد هؤلاء الدجالين في المجتمع النيجيري في الحقيقة يدعون غير الله ويستغيثون بغيره فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وهذا هو الشرك بعينه؛ لأن الاستغاثة بعبادة والعبادة لا ينبغي صرفها بوجه من الوجوه لغير الله تعالى، يقول جل شأنه: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٦) وَإِنْ يَمَسُّكَ

اللَّهُ بِضُرِّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْكَ نَجِيرًا فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۗ ﴿يونس: ١٠٦-١٠٧﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "... لأنه كلما كان الرجل أضل وأكفر كان الشيطان إليه أقرب، لكن لا بد في جميع مكاشفة هؤلاء من الكذب والبهتان، ولا بد في أعمالهم من فجور وطغيان كما يكون لإخوانهم من السحرة والكهان قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيْطَانُ ﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿ (الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢)، فكل من تنزلت عليه الشياطين لا بد أن يكون فيه كذب" (١).

الصورة الرابعة:

العلاج باستخدام الحيوانات الميتة مما يؤكل لحمه وما لا يؤكل، واستخدام بعض أعضاء البشر مثل العينين، وتديي المرأة، والأنثيين.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري: "كان أهل الجاهلية يتداون ببعض الأدوية النجسة كالخمر والدم والبول القذر أو بالحيوانات الميتة النجسة كالهدهد والضفدع وعظام الميتة ونحو ذلك، ولما جاء الإسلام حرم كل ذلك وسماه (الدواء الخبيث)"، ثم قال: "هذا ولا يزال بعض المسلمين في نيجيريا وما حولها يتعاطون الدواء الخبيث إلى يومنا هذا، إما لشفاء الأمراض البدنية أو للدفاع عن سحر السحرة" (٢).

فلعل مما يصدق قولي في هذا الصدد أيضا مشاهدة الشيخ محمد محمود الصواف لهذه الحقيقة أثناء زيارته لدولتنا نيجيريا حيث قال: "الخرافة والسحر يعششان وبيضان ويفرخان في البلاد الإفريقية، والسبب في نظري يعود إلى أن الكثير من القبائل والمدن دخلت في الإسلام حديثا ودخلت معها عقائدها وخرافاتهما وعاداتها الموروثة، فأثرت حتى على المسلمين الأصليين، ونقلت إليهم هذه العقائد الباطلة والخرافات والأوهام..." (٣).

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٤٤٥.

(٢) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١٢٢-١٢٣.

(٣) رحلتي إلى الديار الإسلامية القسم الأول: إفريقيا المسلمة تأليف محمد محمود الصواف ص ٢٩٢، ط/ الأولى

١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، دار القرآن الكريم والدار السعودية للنشر والتوزيع.

ثم قال: "وهنا رأيت عجبا في هذه المدينة الكبرى (إبادن) عاصمة الولاية الغربية في نيجيريا، رأيت سوقا كاملا للسحر، من يصدق هذا ونحن في هذا العصر؟! والغريب في الأمر أن أصحاب دكاكين هذه السوق أكثرهم مسلمون، فقد مررنا قبل الصلاة، وإذا بهم وحتى أطفالهم يتوضأون ويستعدون للصلاة، والمسجد قريب منهم بل هم يصلون في الطرق وفي دكاكينهم التي يبيعون بها السحر الحرام..."^(١).

ثم مضى في كلامه يقول: "وقد يسألني السائل وماذا يباع في هذه السوق؟ وما هي بضاعتهم؟ فأقول: بضاعتهم الأولى بالطبع الكذب والنفث والنسخ وكتابة ما لا يقرأ ولا يفهم، ومخاطبة الشياطين قرنائهم الأشرار، والضحك على البسطاء وسلب أموالهم بادعائهم علم الغيب وكشف الأسرار والمخبات، أما بضاعتهم التي شهدناها في الدكاكين فهي: الجماجم المختلفة، جماجم القرود وقد سلخوا منها الجلد، وجماجم حيوانات أخرى لم أعرفها، حتى رأيت جماجم الحمير، ثم أرجل بجلدها وشعرها، كل عشرة أرجل مشدودة كحزمة: أرجل الماعز، وأرجل القرود، وأرجل الطباء، وربما جماجم بشرية في وسط ما رأيت من هذه الجماجم المكسدة"^(٢).

وهذه الجماجم والجلود والأرجل يحرقها هؤلاء المشعوذون ويضيفون إليها أشياء أخرى من النباتات وغيرها يعملون بها أدوية وعقاقير، يسحرون بها من يريدون إيذائه من الناس، يؤثرون بها على بدن المسحور، وعقله، وإرادته، وميله، ويعملون بها ما يسمى بالعطف فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته أو امرأة أخرى حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، أو يعملون بها الصنف وهو عكس العطف فيفرون بها بين المرء وزوجه، وكل هذا قد نص عليه في الحديث أنه من التولة وهي شرك.

كما يصنعون من بضائعهم هذه التماثيل بشتى أنواعها، فقرن الكبش، ورأس الطي، ومنقار النسر، وغير ذلك كلها تعلق لأغراض يعرفونها.

فهناك أسواق تباع فيها تلك الحيوانات الميتة المجففة يرتادها هؤلاء المشعوذون. والأصل أن العلاج بهذه الطريقة للكهنة الوثنيين، لكن لما رأى الذين قل نصيبهم من الإيمان

(١) رحلتي إلى الديار الإسلامية ص ٢٩٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

والتقوى من المنتسبين للعلم الشرعي أن قضية علاج المرضى سوقا رابحة لأكل أموال الناس نصبوا أنفسهم كأطباء روحانيين فأخذوا شيئا من سحر الكهنة الوثنيين وشعوذتهم فخلطوه بما أملتة عليهم شياطين الجن من التمايم يتلاعبون من خلال ذلك كله بعواطف المرضى وأوليائهم، فتظاهروا في صورة العلماء الربانيين، وهم في حقيقة الأمر يخلطون الحق بالباطل ويلبسون على السذج من الناس.

ومما يعجب منه المرء المسلم أن الذين يتورطون في هذه الأعمال الخبيثة هم من المنتسبين للدراسات الإسلامية كما أسلفت، ولو كانوا مسلمين عاديين لهان الأمر، إن هذا هو المصيبة بعينها؛ ولذلك تجد الصعوبة عند تحديد العلماء الربانيين في المجتمع النيجيري؛ إذ قد اختلط الحابل بالنابل، فلا تكاد تميز بين الصالحين والطلحين، فكلٌ يدعي العلم والإيمان والتقوى، ويلبس لباس العلماء، ويتظاهر في هيئة الأتقياء.

حكم هذه الصور:

إن العلاج بكل ما سبق ذكره من صور السحر والشعوذة محرم، فمن كان سحره باستخدام الجن والأرواح الشيطانية فلا شك في كفره وكفر ما صنعته يداه، وكذلك من كان سحره بأسماء مجهولة، وكلمات لا يفهم معناها، والطلاسم والخطوط فعمله محرم، وقد يكون كفرا؛ وذلك أن هذه الطلاسم تستخدم في الغالب لإحضار الجن، والتعامل مع الجن والاستعانة بهم لا يخلو من الشرك، وإن لم يكن كذلك فتلك الأسماء المجهولة والكلمات غير المفهومة التي يتلفظ بها يخشى أن تكون كلمات شركية، فيحتمل من كل وجه أن يكون عمله شركا.

وتعاطي السحر بكتابة آيات قرآنية بطرق غير التي أنزلت بها فلا شك أن من يفعل ذلك عاص لله سبحانه وتعالى؛ لما فيه من تبديل لكلام الله، هذا إذا كانت الكتابة بشيء نظيف فكيف وقد كانت بمادة نجسة من دم الضفدع ودم الفأرة وغيرهما مما تعف نفس المسلم عن ذكره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والدم أيضا نجس فلا يجوز أن يكتب به اسم الله تعالى"^(١).

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/١١٠-١١١.

كما يعاب على هؤلاء كونهم لا يعرفون لكتاب الله قيمة سوى الاستشفاء به؛ ولذلك تجدهم يكتبون سوره وآياته بهذه الطريقة غير المشروعة، ولو فهموا أحكامه وعملوا بما فيه ما فعلوا ذلك، "فيجب تنبيههم على أن القرآن ما نزل ليكون دواء لأمراض الناس البدنية فقط، لكن نزل لأمر عظيم وخطب جليل؛ ليكون نذيرا للعالمين وهاديا إلى صراط الله المستقيم، وحاكما بينهم فيما يختلفون فيه، ومحذرا من طريق الكفر والكافرين، وهو مع هذا ينفع الله تعالى به عباده المؤمنين من أسقامهم الدينية والبدنية كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ (فصلت: ٤٤)، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢)"^(١)، لكن كل ذلك بشرط أن يستعمل بطريقة شرعية، وأن يقرأ ويكتب على الوجه الذي أنزل به.

وأما من كان سحره بالأدوية والعقاقير المصنوعة من تلك الحيوانات الميتة وغير ذلك فإن لم يكفر فإنه يعتبر عاصيا لما يقترفه من ظلم وعدوان على الخلق، هذا بالإضافة إلى ما يصاحب تلك الجريمة من الذنوب العظام ابتداء من الخلوة بالأجنبيات وانتهاء إلى الوقوع في الزنا، فإنه لا مهرب لهؤلاء المشعوذين من ذلك الذنب؛ لأن أكثر زبائنهم من النساء صاحبات النفوس المريضة واللاقي عندهن كمال الاستعداد ليضحين بأنفسهن في سبيل الوصول إلى مقاصدهن الخبيثة، والخلوة بالنساء الأجنيبات خطيرة حتى ولو كان الذي يخلو بهن من أولياء الله المتقين، فكيف والذي يخلو بهن جلساؤه وشركاؤه من الشياطين، فوقع كبيرة الزنا في هذه الحالة أكد وأسرع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن عمل أهل النار السحر"^(٢)، وقال في موضع آخر: "فإن الكهان والسحرة يأمرون بالشرك وعبادة الأوثان وما فيه طاعة للشيطان"^(٣). وقال رحمه الله فيما يتعلق بأسماء مجهولة وألفاظ لا يفهم معناها: "قد ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه أذن في الرقى ما لم تكن شركا"^(١)، وقال: (من استطاع

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٧٦/١-٧٧، ط/ الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٤٢٤.

(٣) النبوات لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ص ١٥٣، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٨٦هـ دون بيانات أخرى.

منكم أن ينفع أخاه فليفعل^(٢)، وإن كان في ذلك كلمات محرمة مثل أن يكون فيها شرك أو كانت مجهولة المعنى يحتمل أن يكون فيها كفر فليس لأحد أن يرقى بها، ولا يعزم ولا يقسم، وإن كان الجني قد ينصرف عن المصروع بها، فإنما حرمه الله ورسوله، ضرره أكثر من نفعه^(٣).

وقال في موضع آخر: "والإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به بل يعيش ذلك عشقا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله، والشيطان هو نفسه خبيث، فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك إليهم بما يجبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم، فيقضون بعض أغراضه، كمن يعطى غيره مالا ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة، أو ينال معه فاحشة.

ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة، وقد يقبلون حروف كلام الله عز وجل إما حروف الفاتحة وإما حروف قل هو الله أحد وإما غيرها، إما دم وإما غيره، وإما بغير نجاسة أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم^(٤).

وبناء على ما سبق من الحكم فإنه يحرم من كل وجه التداوي والتعالج بالسحر، سواء لحل سحر مثله أو داء آخر من الأدوية التي يعاني منها بنو الإنسان، فلا ينبغي ادعاء المقاصد الحسنة في هذه الحالة؛ إذ المقاصد الحسنة لا تبرر الغايات السيئة والمنكرة، ولا تغير من الحكم الشرعي شيئا^(٥).

ولا ينبغي كذلك الادعاء "بأن النشرة بالسحر محل ضرورة؛ إذ إن البدائل موجودة، وحصول المطلوب بها ليس محققا، ولكن الشيطان يصورها لكثير من الناس أنها السبب الوحيد المتاح، وأنه لا سبيل إلى حل السحر أو داء آخر إلا بهذه الطريق، شأنه في تضيق المشروع المباح على الناس، وفتحه أبوابا مشرعة إلى كل ما هو سبيل كفر وعصيان^(٦).

(٤) سبق تخرجه ص ٣٨٠.

(١) سبق تخرجه ص ٣٧٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٧٨.

(٣) المرجع السابق ١٩/٣٤-٣٥.

(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١/١٦٢.

(٥) شبهات المبتدعة ص ٥٤٠.

ولا شك أن الإسلام ديننا الحنيف لن يقر تلك الضلالات التي يعتقد فيها النفع والضرر من دون الله؛ ولذلك أوجد سبلا ووسائل لعلاج جميع الأمراض التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان، فأجاز الرقية بشتى أنواعها ما لم يكن فيها شرك، كما أجاز الأدوية المباحة ما لم تصنع من المحرمات والنجاسات، فاحفظ هذا ولا يلبسَنَّ عليك الذين لا يعلمون. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)^(١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله عز وجل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله)^(٢). وعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن)^(٣).

وأحسن التداوي ما كان بكتاب الله تعالى وذكره ودعائه لعموم قوله تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء: ٨٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "اعلم أن الأدوية الطبيعية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعا مضرا وإن كان مؤذيا، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها، بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه، فالرقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة، ولإزالة المرض"^(٤).

هذا، وقد جمع العلماء من الأذكار والدعوات التي يقوله العبد إذا أصبح وإذا أمسى، وإذا نام، وإذا خاف شيئا، وأمثال ذلك من الأسباب ما فيه بلاغ، فمن سلك مثل هذه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الطب - باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء - ص ٤٨٦ برقم (٥٦٧٨) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤١٣/١، والطبراني في المعجم الأوسط ١٢١/٧، وابن حبان في صحيحه ٤٢٧/١٣، والحاكم في المستدرک ٤٤١/٤ عن عبد الله بن مسعود، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٨٤.

(٤) الطب النبوي ص ١٥٥.

السبيل فقد سلك سبيل أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومن دخل في سبيل أهل الجبت والطاغوت الداخلة في الشرك والسحر فقد خسر الدنيا والآخرة^(١).

فعلى من ابتلوا بالتضلع من السحر والشعوذة من مسلمي نيجيريا أن يدعوا هذا العمل الخبيث ويتوبوا إلى الله قبل فوات الأوان، فإن السحر كفر والتساهل في أمره خطير، فالواجب على المسلم الانقياد للحق وعدم اتباع هواه فيما يخالف شرع الله.

مسألة: حكم التفرغ للرقية واتخاذها حرفة

التفرغ للقراءة على الناس واتخاذها حرفة والاشتهار بها لا يجوز لما يأتي^(٢):

١- أنه ليس من عمل السلف الصالح، أي إذا نظرنا في العصور الماضية منذ عصر الرسول- صلى الله عليه وسلم- وعصر صحابته الكرام وعصر علماء الإسلام الموثوق بعلمهم وفضلهم، لم نر أحدا تفرغ لعمل اسمه الرقية الشرعية وقصر نفسه على معالجة المرضى بالرقى واتخاذها حرفة، وكذلك لم يثبت عن أحد من خلفاء المسلمين أنه نصب قارئاً يقرأ على المرضى كما ينصب القضاة والمفتين.

ولا شك أنه لا يوجد زمان سلم فيه الناس من التعرض للأمراض والأدواء، وعلى الرغم من جواز القراءة على المريض طلباً للعلاج وجواز أخذ الأجرة عليها كما أسلفت القول في ذلك إلا أن عملها بهذه الكيفية التي لا يعرف لها مثيل في العصور المتقدمة يجعلها ممنوعة؛ فالمشروع بأصله قد يمنع إذا صاحبه كيفية مستحدثة. فمنهج سلف الأمة في هذا الأمر أن العلماء وأهل الصلاح والتقوى كانوا يرقون بالرقية الشرعية من عرض له عارض وطلب منهم ذلك، أو يتولى المريض القراءة على نفسه بشيء من كتاب الله تعالى والأذكار المأثورة عن نبيه- صلوات الله وسلامه عليه.

فالرقية الشرعية ليست محصورة على أناس مخصوصين، ولو كان الانقطاع لمعالجة المرضى بالرقى واتخاذها حرفة والاشتهار بها خيراً لسبقنا إليه سلفنا الصالح؛ لأنهم كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً.

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٨١.

(٢) انظر: الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة وحكم التفرغ لها واتخاذها حرفة ص ٧٥-٧٩، أحكام الرقى والتمائم د. فهد بن ضويان بن عوض السحيمي ص ٨١-٨٢.

٢- أن ما يشاهد عند الشخص الذي جعل نفسه متخصصا في القراءة على الناس واتخذها حرفة من ازدحام الناس على بابيه والهتاف بأن فلانا يشفى الناس بسبب رقيته، أن كل هذه الأمور قد تغره فيصيبه العجب ويتوهم أنه قد صار من الأولياء الأبرار، وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يخشون من هذا الأمر ويسدون مداخله، والأدلة على هذا كثيرة موفورة.

٣- أن الذين يتفرغون للقراءة على الناس ويتخذونها حرفة لهم يظنون أن ذلك من المستحبات، "والاستحباب حكم شرعي، لا يتلقى إلا من الشارع، فما لم يشرعه لا يكون مستحبا، بل يكون قد شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله"^(١). فيقعون في البدعة من هذا الباب؛ لأن من استحب شيئا لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يفعله خلفاؤه الراشدون مع وجود المقتضي له في عصرهم قد أتى بابا من البدع. والرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفاؤه الراشدون وإن قرأوا على المرضى وأخذوا الأجرة على ذلك كما تقدم إلا أنهم لم يتفرغوا لهذا الأمر، ولم يتخذوها حرفا اشتهروا بها.

٤- لقد اشتهر بعض الصحابة بإجابة الدعاء كسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن الذين دعا لهم رسول الله باستجابة الدعاء، وبعض التابعين كأويس القرني رحمه الله، ومع هذا لم يؤثر أنهم نصبوا أنفسهم للقراءة على المرضى على الرغم من ثبوت الأدلة على أن دعوتهم مستجابة، ولم يؤثر كذلك أن المسلمين في زمانهم تزاحموا على أبوابهم أفواجا إثر أفواج لطلب الدعاء مع حاجة المسلمين إلى إجابة دعائهم في صلاح دينهم وديانهم.

وبهذه التعليقات التي لم يبق معها أدنى شك اتضح أن التفرغ للرقية الشرعية واتخاذها حرفة لا يجوز بحال من الأحوال، فالواجب على من قد حاد عن منهج السلف في هذا الأمر أن يراجع نفسه، ويتدبر المقام، ويدور مع الحق حيث دار، فإن اتباع الهوى بعد سماع الحق فتنة أيما فتنة، نسأل الله السلامة.

وإذا كان قد حكمت شريعتنا الغراء بعدم جواز التفرغ للقراءة على المرضى وبدعيته مع أن أصل القراءة سنة قبل أن يصطحبها اتخاذها حرفة، فماذا يكون حكمها في التفرغ للعمل

(١) مجموع الفتاوى ٤٧٥/٢٢.

بالسحر والشعوذة والتكهن تحت ستار علاج المرضى بالرقية الشرعية والأدوية المباحة؟ هذا ما سأتناوله فيما يلي:

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله عند كلامه عن مسألة (قراءة القرآن لقضاء الحوائج) وطريقة علماء غرب إفريقيا فيها: "فلا يلام علماء غرب إفريقيا إذا استعانوا بالصلاة والدعاء والصيام على قضاء حوائجهم والله يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣)، إنما يلام الذين يتخذون هذا صناعة ويكتسبون لقضاء حوائج الناس، كالذين يكتبون الحجب والتمائم ليحملها الناس لجلب الخير ودفع الضرر، أو الذين يقرأون العزائم على الجن ويتلون ما لا يفهمون معناه من الكلمات الأعجمية، فذلك الذي لم يفعله نبي ولا ولي ولا صحابي ولا تابعي؛ لأن الله لم ينزل به سلطانا... فلا ينبغي أن يتخذ الدعاء وتلاوة القرآن تجارة يتاجر بها الناس..."^(١).

إن كلام الشيخ آدم الألوري المتقدم يحكي في الحقيقة الواقع الذي عليه ذلكم العلماء الطالحون وتلامذتهم الطفيليون في نيجيريا، وإني لأحجل في هذا المقام أن أصرح بأن المعنيين بهذا الأمر هم من المنتسبين للدراسات الإسلامية من أساتذة المدارس العربية وتلامذتها، ولو تحدثت حديث المحلل المعلل لا أكاد أستثني من المدارس العربية النيجيرية كلها إلا قليلا.

فأرس المشكلة يكمن في أن بعض الآباء المسلمين في المجتمع النيجيري لا يرسلون أبناءهم إلى المدارس العربية للنيل من العلوم الشرعية إلا إذا عجز عن دعم أبنائه للتعليم في المدارس الحكومية، أو من فشل في مواصلة الدراسة الغربية من الأبناء، فليس بكثير من يوجه ابنه إلى المدارس العربية لتحصيل العلم الشرعي بالرضا والقناعة؛ ولذلك تجد هؤلاء الأولاد يفقدون العناية من قبل الآباء أثناء دراستهم مما يؤثر عليهم سلبا وقتئذ وفي مستقبل حياتهم.

فهؤلاء الطلاب الذين لم يلقوا العناية المناسبة من آباءهم، هم الذين يتخذون الدعاء وتلاوة القرآن تجارة يكتسبون بهما بين الناس، فقلما تجد أمثالهم في المدرسة يومي السبت والأحد لأنهما يوما العطلة الأسبوعية، وسيمرون على بيوت زبائنهم واحدا تلو الآخر، أدواتهم المصحف الصغير و(دعاء الغاية المقصودة الكبرى) و(عون العلماء الصالحين) و (دعاء الفوز العظيم).

(١) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا ص ١٠٩-١١٠.

وما أن يتخرج مثل هذا الطالب الذي أمضى حياته المدرسية بهذا الشكل حتى يجد نفسه أمام تحديات الحياة، فيريد أن يتزوج ويستأجر شقة يأوي إليها ويؤسس نفسه، وحين لا يستطيع أن يحقق لنفسه هذه الأمانى لكون شهادته الثانوية لم تكن معترفة بها لدى حكومة بلده يلجأ حينئذ إلى عمل السحر والشعوذة والتكهن كي يقارب ما وصل إليه أقرانه وإن لم يصل تماماً، فتجده ينصب نفسه زعيماً روحياً لبعض الأثرياء، لا يقطعون بأمر دون أن يروه ويستشيروه، وإذا نزلت بهم نائبة الدهر من قلة في الرزق أو موت في الأهل فسرعان ما يتوجهون إليه، ويقوم هو بدوره بإلحاق التهمة لقريب لهم ليكون مبرراً في تقديم شيء من التمام أو أدوية مصنوعة من المحرمات لهم، كما يسلكون في سبيل تحقيق أغراضهم الخبيثة أسلوب ادعاء علم الغيب بضرب الخط في الرمل وقراءة الكف وغير ذلك، وقد حاولوا إقناع العديد من عوام الناس بأن مجرد التوكل على الباري جل وعلا بالدعاء وتلاوة القرآن وقراءة الأذكار المأثورة لا يكفي المرء لجلب الخير له ودفع الشر عنه، بل لا بد من عمل شيء من السحر والشعوذة يقدم للمريض أو من نزلت به نازلة إعانة له على التغلب على مشاكله.

أما طريقة جمع أعمال السحر والشعوذة وتعلمهما فإنها تكون من جهات شتى، فمن مسلم وثني تارة ومن وثني خالص تارات، كما تكون من قبل بعض أساتذتهم المنحرفين، وقد حكى أن بعض المدرسين في عدد من هذه المدارس يملي على تلامذته في القاعة الدراسية هذه التمام ويعلمهم طرق استخدامها.

وبالفعل، إن هذه الفئة لهم نفوس مريضة تملأ جنبات الحياة وتنفض سمومها الناقعات، وإليهم المنتهى في الشر وإفساد المجتمع، فهم الذين يتعمدون تسبب إيذاء المرء وإيصال المضرة إليه دون معصية تذكر، فيجعلون الإنسان مجنوناً، أو يسببون له مرضاً مزمناً يتعب في علاجه مدة طويلة ولا يبرأ منه.

والجدير بالذكر أن هذا الانحراف لم يقتصر على منطقة دون أخرى، فأينما يمت في أي مكان في نيجيريا تجد هؤلاء الدجالين المشعوذين يتظاهرون في صورة العلماء الربانيين ويتلاعبون بعواطف المرضى بدعوى علاجهم بالأدوية المباحة، وفي حقيقة الأمر قد تفرغوا للسحر والشعوذة واتخذوها حرفاً.

ولو سألت هؤلاء الفئة: ما ذا تريدون؟ ما أجابوك إلا بكلمة واحدة: إنها الغنى وكسب العيش، وليتهم يعلمون أن الغنى أمل براق وهدف محبوب، وكلنا نرومه ونسعى إليه فمخطئ

ومصيب، وموفق وخائب، ومدرك ومحروم، ولن يحصل المرء منه إلا على ما كتب الله له في دنياه. يقول جل وعلا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (الإسراء: ١٨).

هذا هو الواقع الذي عليه بعض المدارس العربية والإسلامية في نيجيريا اليوم حتى أصبح نفعها مشكوكا فيه في تثقيف أبناء الإسلام وتربيتهم تربية إسلامية حسنة، ولإنقاذ هذا الموقف فإننا محتاجون في الوقت الراهن إلى شباب كريم مخلص صادق الإيمان، مقبل على العلم والعمل معا، ويساعدنا على هذا الغرض المنشود النظر في المناهج الدراسية في المدارس العربية النيجيرية وطرق تدريسها.

فعلاج المرضى بالسحر كفر محض ومن عمل الشيطان، كما أن التفرغ له ظلمات بعضها فوق بعض، أما التسبب في إيذاء الغير وإيصال المضرة إليه فهو عمل محرم، ومن فعل ذلك فعليه من الإثم بقدر ما اكتسب لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨).

فعلى من أبتلي بهذا الداء العضال من مسلمي نيجيريا أن يراجعوا أنفسهم ويجتهدوا على طي صفحات الماضي والعودة إلى منهج سلفهم الصالح في جلب الخير ودفع الشر، فنيهم أكرم من عرفته الإنسانية من الرجال، وهدية في نظام الحياة أكمل هدي، ولم هذه الضلالات التي يعتقد فيها النفع والضر من دون الله، وقد أراد الله لأمتنا السعادة، وكتب لها الخروج من الظلمات إلى النور؟ أسأل الله القدير أن يعيد هؤلاء إلى الصواب، ويربهم رشدهم في أقرب وقت، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الخامس

الأعياد

المبحث الأول

الأعياد المشروعة وأدلتها

معنى العيد لغة:

العيد في اللغة أصله من عاد، يعود، عودة وعودا أي رجع. فهو عود بالواو، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها^(١). والعود: تثنية الأمر عودا بعد بدء، تقول: بدأ ثم عاد، والعودة المرة الواحدة، وقولهم: عاد فلان بمعرفه، وذلك إذا أحسن ثم زاد، ومنه العيادة: أن تعود مريضا، ولآل فلان معادة أي أمر يغشاهم الناس له، والمعاد: كل شيء إليه المصير^(٢). والعيد: واحد الأعياد، وإنما جمع بالياء وأصله الواو للزومها في الواحد، وقيل للفرق بينه وبين أعواد الخشب^(٣).

والعيد كل يوم فيه جمع، أو كل يوم يجتمع الناس فيه كأنهم عادوا إليه^(٤). وقال في القاموس المحيط: "والعيد بالكسر: ما اعتادك من همٍّ أو مرضٍ أو حُزْنٍ ونحوه وكلُّ يومٍ فيه جمع"^(٥).

معنى العيد اصطلاحا:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك"^(٦). ويقول ابن القيم رحمه الله: "العيد ما يعتاد بجميئه وقصده من مكان وزمان"^(٧). وفي القاموس القويم: "العيد اسم للموسم المعهود يحتفل به الناس سنويا فيتزاورون ويتهادون ويتذكرون فيه حادثا سعيدا"^(٨).

(١) الصحاح للجوهري مادة (عود).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص ٦٩٢ مادة (عود).

(٣) الصحاح في اللغة، وانظر: المصباح المنير ص ٣٥٦ مادة (عود).

(٤) القاموس المحيط ص ٣٨٦، ومعجم مقاييس اللغة ص ٦٩٣ مادة (عود).

(٥) القاموس المحيط ص ٣٨٦.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٨٩.

(٧) إغاثة اللفهان ١/١٩٠.

(٨) القاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح ص ٤١، ٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.

ومن خلال ما سبق ذكره من تعاريف العلماء لمصطلح "العيد" يمكننا الخروج بتعريف شامل فنقول:

العيد هو كل زمان أو مكان يعتاد مجيئه والاجتماع فيه أو إقامة أعمال معينة فيه، سواء كان اعتيادا سنويا أو شهريا أو أسبوعيا أو موسميا^(١).
فالعيد إذن يشمل ثلاثة أمور:

الأول: الزمان، فلو خص زمان معين بالاجتماع فيه كان ذلك عيدا.

الثاني: المكان، فلو خص مكان معين بالاجتماع فيه مع اعتياد ذلك كان عيدا.

الثالث: الأعمال، فلو خص زمن أو مكان بالقيام بأعمال فيه على وجه الاعتياد كان ذلك عيدا^(٢).

وفي اشتمال مصطلح العيد لهذه الأمور الثلاثة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه: "العيد اسم جنس يدخل فيه كل يوم أو مكان لهم فيه اجتماع، وكل عمل يحدثونه في هذه الأمكنة والأزمنة"^(٣).

ويقول في موضع آخر: [العيد يجمع أمورا، منها: يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها اجتماع فيه، ومنها أعمال تجمع ذلك من العبادات أو العادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقا، وكل من هذه الأمور قد يسمى عيدا، فالزمان كقوله - صلى الله عليه وسلم - ليوم الجمعة: (إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين)^(٤)، والاجتماع والأعمال كقول

(٢) الأعياد المشروعة والأعياد الممنوعة رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد، إعداد حافظ بن موسى محمد الحكمي ٤٠/١، إشراف الدكتور رشيد بن

حسن محمد الألمعي ١٤٢٠/١٤٢١هـ.

(٣) الأعياد المشروعة والأعياد الممنوعة ص ٤٠.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها - باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة - ص ٢٥٤١ برقم (١٠٩٨)، والطبراني في المعجم الأوسط ٢٣٠/٧ برقم (٧٣٥٥) عن ابن عباس، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٤٠٢١).

ابن عباس: "شهدت العيد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم"^(١)، والمكان كقوله - صلى الله عليه وسلم: (لا تتخذوا قبوري عيداً)^(٢) [٣].

ضابط العيد المشروع والعيد الممنوع:

أولاً: العيد المشروع:

تعريفه:

العيد المشروع هو: كل زمان أو مكان خصه الشرع باجتماع وأعمال تقام فيه.

فيتضح من هذا أن العيد المشروع يشترط فيه:

١- أن يكون زماناً أو مكاناً مخصصاً للاجتماع، أو الإتيان إليه، أو القيام بأعمال

معينة فيه.

٢- أن يكون هذا الزمان والمكان والأعمال عليها نص شرعي.

فالأزمنة الشرعية مثل العيدين (الفطر والأضحى)، ويوم الجمعة.

والأمكنة الشرعية مثل المشاعر (عرفات ومزدلفة ومنى والمسجد الحرام....).

ثانياً: العيد الممنوع:

تعريفه:

العيد الممنوع هو: كل زمان يعتاد مجيئه، أو مكان يتقصد الإتيان إليه من أجل اجتماع

وأعمال لم يأذن بها الشارع.

فيتبين من هذا أن العيد لا يكون ممنوعاً إلا إذا جمع أموراً، وهي:

١- أن يكون زماناً أو مكاناً يعتاد لم ينص الشارع على عودته والإتيان إليه.

٢- أن يكون القصد من هذا الاجتماع أو العيادة لهذا المكان أحد هذه الأمور:

- قصد تخصيص هذا المكان أو الزمان بالإتيان إليه مع عدم ورود ذلك في الشرع.

- قصد التعظيم لهذا الزمان أو المكان مع عدم ورود ذلك في الشرع.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العيدين - باب الخطبة بعد العيد - ص ٧٥ برقم (٩٦٢) عن ابن عباس.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٦٦.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٨٩-١٩٠.

- التشبه بالكفار في اعتبار هذا المكان أو الزمان^(١).

وعلى هذا فإن اتخاذ موسم معين أو مكان معين في زمن معين لم يرد عن الشرع تخصيصه، أو فعل شيء في ذلك الزمان أو المكان يتشبه بالكفار فيهما كله يعتبر عيداً ممنوعاً. ولكن يحسن التنبيه هنا على أنه ليس كل مناسبة أو احتفال يعتبر ممنوعاً، بل الضابط في ذلك أنه إذا لم يتقصد زمنها أو يتحرى مكانها فلا حرج في ذلك، إلا إذا كان في تلك المناسبات مشابحة للكفار، فهذا فيه محذور المشابحة.

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "مسألة الحفلات التي تقام عند تخرُّج الطلبة، أو عند حفظ القرآن لا تدخل في اتخاذها عيداً لأمرين: الأول: أنها لا تتكرر بالنسبة لهؤلاء الذين احتفل بهم. الثاني: أن لها مناسبة حاضرة، وليست أمراً ماضياً"^(٢).
مكانة العيد في الإسلام:

تظهر مكانة العيد في الإسلام وتعظيم الشرع له من خلال الأمور التالية:

الأمر الأول: أن العيد من أعظم الشعائر التعبدية في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ ۗ ۖ الْأَنْعَامِ ۗ﴾ (الحج: ٣٤)،
ومما ورد عن المفسرين في معاني المنسك أنه العيد^(٣)، فيكون العيد من أعظم الشعائر التعبدية عند الله وأزكاها.

الأمر الثاني: أن يوم العيد يوم يجتمع فيه المسلمون، فتظهر في هذا الاجتماع شوكة المسلمين وقوة ترابطهم، وأن الذي يجمعهم إنما هو دين واحد وعقيدة واحدة.

(١) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/١٢١-١٢٢، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث ٣/٦٠، ٦١، عيد اليوبيل بدعة في الإسلام (نشأته وحكمه) للعلامة بكر بن عبد الله أبي زيد ص ١١-١٢، ٢٧، ط/الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الحرمين للطباعة- القاهرة.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع للعلامة محمد بن صالح العثيمين ٥/١١٤.

(٣) فتح القدير ٣/٥٦١.

وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - في هذا اليوم الخروج فيه، وأمر الناس بالخروج، حتى إنه أمر ذوات الخدور والحيض بالخروج إلى المصلى، وذلك تعظيماً لذلك اليوم ورجاء بركته للجميع وإظهاراً لشعائر الإسلام.

الأمر الثالث: أن فيه تمييزاً لهذه الأمة عن غيرها من الأمم، رغم اتفاق المسمى إلا أن لكل أمة ما يميزها فيه عن غيرها، وهذه الأمة لها في أعيادها ما تتميز به عن سائر الأمم من حيث الخصائص والأحكام؛ ولذلك شرع الله لها أعياداً ميزها بها عن أعياد الجاهلية، كما في قوله - صلى الله عليه وسلم: (إن الله أبدلكم خيراً منهما: يوم الفطر ويوم الأضحى)^(١).
وميز الله هذه الأمة بيوم الجمعة فاختاره لها من بين الأمم، كما ميزهم في أمكنة العبادة التي يجتمعون فيها كأماكن الحج والمسجد الأقصى لتكون خاصة بهم يتميزون بها عن غيرهم، فلا يعتادون أصناماً ولا أضرحة.

الأمر الرابع: ومما تظهر به مكانة العيد في الإسلام أن الشرع أمر فيه بالخروج في أحسن هيئة لتظهر عظمة هذا الدين وأهله.

فعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العيدين أن نلبس أجود ما نجد، وأن نتطيب بأجود ما نجد، وأن نضحى بأسمن ما نجد: البقرة عن سبعة، والجزور عن عشرة، وأن نظهر التكبير، وعلينا السكينة والوقار^(٢).

وورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يلبس أحسن ثيابه في العيدين^(٣).

الأمر الخامس: أن من حكمة الله وعظيم نعمته أن شرع العيد ليكون عنواناً للتكافل الاجتماعي بين المسلمين. ومن صور التكافل الاجتماعي في العيد:

١ - صدقة الفطر التي شرعت يوم عيد الفطر، فهي طهرة للصائم وطعمة للمساكين، ومن حكمتها الإحسان إلى الفقراء وكفهم عن السؤال في أيام العيد ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم ويكون عيداً للجميع، وفيها أيضاً الاتصاف بخلق الكرم وحب المواساة للمسلمين.

(١) سيأتي تخرجه ص ٤٣٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢٥٤/٤، والطبرانی في المعجم الكبير ٩٠/٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٤٢/٣ عن الحسن بن علي، وقال الحاكم: لولا جهالة إسحاق لحكمت للحديث بالصحة، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢٨١/٣ عن نافع مولى ابن عمر.

٢- مشروعية الأضحية في عيد الأضحى، فيشرع للمسلم أن يتصدق بثلتها ويهدي ثلتها ويأكل ثلتها، فالثلثين يتصدق بها ويهدي منها من أجل أن يكون عنوان الألفة والتكافل بين المسلمين ومواساة لفقيرهم الذي لا يجد أضحية، وإهداء لجارهم لتزيد في القلوب المحبة.

٣- ومن صور التكافل صلة الرحم في ذلك اليوم بين الناس، والصلة بين الجيران، وهذا من أسمى أخلاق هذا الدين، ومن أعظم ما شرع له العيد في الإسلام.

٤- ما يحدث في العيد من صفاء القلوب والمودة بين الناس فيتسامحون ويتعانقون ويتصافون في ذلك اليوم الأغر.

٥- ما يحدث في العيد من إذابة الفوارق الاجتماعية بين الناس من فارق اللون أو الجنس أو الفقر والغنى أو غيرها، حيث يجتمعون في صعيد واحد ليعبدوا إلها واحدا، وليقدموا قربابن متماثلة لله وحده.

الأمر السادس: أن العيد في الإسلام يجمع بين الجوانب المادية والجوانب الروحية، فيجتمع فيه أفضل العبادات وأفضل العادات، فالعيد الإسلامي ليس متعة للجسد فحسب، بل إنه يجمع بين متعة الجسد والروح، فمن سنن العيد الصلاة والتكبير وكثرة الذكر والدعاء وإظهار شعائر الدين، فهذا في الجانب الروحي.

وأما الجانب المادي والجسدي فشرع في العيد لبس أحسن الثياب، وشرع وسن الأكل والشرب في أيام العيد، كما قال- صلى الله عليه وسلم: (أيام أكل وشرب وذكر لله)^(١)، وفي العيد أيضا الترخيص في اللعب بالدراق والحراب، وفي الغناء المباح الذي ليس فيه مجون.

وهذا يجمع للمسلم غاية الفرح: فرح الروح وفرح الجسد.

أما أعياد الأمم الأخرى فهي أعياد مادية، تهتم بالجسد ومتعته فقط، ولا تهتم بالروح. فالعيد من المظاهر المميزة للأمم، وهو من شرائع الإسلام، ومن شعائره التعبديّة، وإذا كان العيد يحتل هذه المكانة العظيمة في الدين الحنيف فيجب أن يكون الأصل فيه الاتباع لا الابتداء، فيكون مصدره من الوحي المتلقى عن الله وعن رسوله- صلى الله عليه وسلم، فنستخلص من هذا:

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الضحايا، باب في حبس لحوم الأضاحي، ص ١٤٣٣ رقم (٢٨١٣) عن نبیثة، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٤٠٤٨).

- ١- أن الأعياد في الإسلام ليست محتاجة إلى من يزيد فيها أو ينظم لها أعيادا أخرى.
 - ٢- أنه لا يسع أحدا أن يحدث عيداً في الإسلام ويدعي أن مقصوده في ذلك مجرد عادة وليس عبادة؛ ذلك أن الأعياد في الإسلام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعبادة لا غير.
 - ٣- أن الاحتفال بالأعياد المشروعة له طريقة خاصة بها ثابتة ومنضبطة بضوابط شرعية محددة لا دخل لأهواء البشر فيها، فلا يحتفل بأعياد الإسلام كما يحتفل أهل الملل الأخرى بأعيادهم من نشر الفساد في الأرض، والإفراط في اللهو واللعب المحرم.
- فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: (ما هذان اليومان؟) قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر)^(١).

"يفيد هذا الحديث ثلاثة أمور:

الأول: عدم إقرار النبي - صلى الله عليه وسلم - لهم على الاحتفال باليومين اللذين كانوا يحتفلون بهما لكونهما من أعياد غير المسلمين، إذ كانت العادة الاحتفال بهما في الجاهلية.

الثاني: أن الأعياد من شرائع الإسلام، ولا تثبت إلا بنص شرعي من آية قرآنية أو حديث نبوي شريف.

الثالث: أن الأعياد عند المسلمين ثلاثة فقط، ثبت اثنان في هذا الحديث، والثالث في حديث آخر، وأما سائر ما يحتفل به من الأعياد سواء كان مما ابتدعه بعض من ينتسب إلى الإسلام أو كانت من أعياد أهل الكتاب أو الجوس، فليس عليها دليل من الشرع الحنيف، ولا يجوز الاحتفال بها"^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة - باب صلاة العيدين - ص ١٣٠٧ برقم (١١٣٤)، والنسائي في سننه - كتاب صلاة العيدين - ص ٢١٩١ برقم (١٥٥٦)، وأحمد في المسند ١٠٣/٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٧٧/٣، والحاكم في المستدرک ٤٣٤/١ عن أنس بن مالك، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (١٠٠٤).

(٢) سلسلة أعياد ومناسبات أبدلنا الله خيراً منها [٢]: شم النسيم بقلم عمر وعبد المنعم ص ١٥-١٦، مراجعة قسم التحقيق بالدار ط/الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دار الصحابة للتراث - طنطا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد استدلاله بالحديث السابق على النهي عن التشبه بالكفار: "وجه الدلالة أن اليومين الجاهليين لم يقرهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة، بل قال: (إن الله قد أبدلكم بهما يومين آخرين)، والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه؛ إذ لا يجمع بين البدل والمبدل منه؛ ولهذا لا تستعمل هذه العبارة إلا فيما ترك اجتماعهما،...، وأيضا فقوله لهم: (إن الله قد أبدلكم) لما سأهم عن اليومين فأجابوه: إنهما يومان كانوا يلعبون فيهما في الجاهلية، دليل على أنه نهاهم عنهما اعتيادا بيومي الإسلام؛ إذ لو لم يقصد النهي لم يكن ذكر هذا الإبدال مناسبا؛ إذ أصل شرع اليومين الواجبين الإسلاميين كانوا يعملونه، ولم يكونوا ليتركوه لأجل يومي الجاهلية"^(١).

أقسام الأعياد المشروعة وأدلتها:

الأعياد المشروعة قسمان: الأعياد الزمانية والأعياد المكانية.

القسم الأول: الأعياد الزمانية:

والمقصود بالأعياد الزمانية هي: عيد الأضحى، وعيد الفطر، ويوم الجمعة.

ويدل على مشروعية العيدين الأولين للمسلمين ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: (ما هذان اليومان؟) قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر)^(٢).

وعيد الأضحى: هو اليوم العاشر من شهر ذي الحجة، ويسمى يوم النحر، ويوم الحج الأكبر، ويوم الأضحى، فمناسبته اختتام عشر ذي الحجة التي قال عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "ما من أيام العمل الصالح فيهنّ أحب إلى الله من هذه الأيام العشر،

قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء"^(٣).

(٢) اقتضاء الصراط ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٣) سبق تخرجه ص ٤٣٥.

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الصيام - باب في صوم العشر - ص ١٤٠٤ برقم (٢٤٣٨)، والترمذي في سننه - كتاب الصوم - باب ما جاء في العمل في أيام العشر - ص ١٧٢٢ برقم (٧٥٧)، وابن ماجه في سننه - كتاب

وعيد الفطر: هو أول يوم بعد شهر رمضان، يقام في مناسبة انقضاء المسلمين من صوم رمضان.

وسمي عيد الفطر؛ لأن الناس يفطرون فيه بعد صومهم شهر رمضان. **وعيد الجمعة:** هو العيد الأسبوعي للمسلمين، يكون يوم الجمعة بعد إتمام الصلوات، ويتكرر في كل أسبوع^(١).

أما يوم الجمعة فيدل على كونه عيداً ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل، وإن كان طيب فليمس منه، وعليكم بالسواك)^(٢).
وعيد الأضحى أفضل أعياد أهل الإسلام على الإطلاق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣): "ولهذا أنزل الله هذه

الآية في أعظم أعياد الأمة الحنيفية؛ فإنه لا عيد في النوع أعظم من العيد الذي يجتمع فيه المكان والزمان وهو عيد النحر، ولا عين من أعيان هذا النوع أعظم من يوم كان قد أقامه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعامة المسلمين"^(٣).

القسم الثاني: الأعياد المكانية:

تعريف الأعياد المكانية:

الصيام - باب صيام العشر - ص ٢٥٨٠ برقم (١٧٢٧)، وأحمد في مسنده ٢٢٤/١، ٣٣٨، والدارمي في سننه ٤١/٢ برقم (١٧٧٣)، وابن حبان في صحيحه ٣٠/٢ برقم (٣٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير ١٣/١٢ عن عبد الله بن عباس، وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٤٦٠).

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف تأليف الإمام الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي، ط/الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار ابن حزم - بيروت، مؤسسة الريان - بيروت ص ٢٩٩، والشرح المتمع على زاد المستقنع ١١١/٥.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٣٠.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢١٧.

الأعياد المكانية هي الأمكنة التي يقصد الاجتماع فيها وانتياها، سواء للعبادة عندها أو لغير العبادة^(١).

فالعيد يطلق على المكان كما يطلق على الزمان، يدل على ذلك:

١- أن العيد كما سبق تعريفه أصله من المعاودة للزمان أو المكان، فإذا حصل العود إلى المكان والاجتماع فيه سمي عيداً.

٢- ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله في معنى الحديث: "... نهي لهم أن يجعلوه بمنزلة القبور التي لا يصلى فيها، وكذلك نهيهم أن يتخذوا قبره عيداً، نهي لهم أن يجعلوه مجعاً كالأعياد التي يقصد الناس الاجتماع إليها للصلاة"^(٣).

هل يوجد أعياد مكانية شرعية؟

كان لأهل الجاهلية أعياد مكانية يجتمعون فيها للعبادة وغيرها، ويؤدون شعائرهم فيها، فلما جاء الإسلام عوضهم عن تلك الأماكن بأماكن شرعية، يجتمع فيها المسلمون ويعاودونها فكانت لهم أعياداً مكانية عوضاً عن تلك الأعياد الجاهلية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "العيد إذا جعل اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه، وإتيانه للعبادة عنده أو لغير العبادة، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة جعلها الله عيداً مثابة للناس يجتمعون فيها ويتنابونها للدعاء والذكر والنسك، وكان للمشركين أمكنة يتنابونها للاجتماع عندها، فلما جاء الإسلام محاً الله ذلك كله"^(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: "العيد مأخوذ من المعاودة والاعتیاد، فإذا كان اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وانتياها للعبادة أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام ومنى

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٢٥.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٦٦.

(٤) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية ٢٣/٦، ط/الثانية ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٢٥.

ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله تعالى عيداً للحنفاء ومثابة كما جعل أيام التعبد فيها عيداً، وكان للمشركين أعياداً زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة والبيت الحرام وعرفة ومنى والمشاعر^(١).

فيتبين من خلال ما سبق أن هناك أماكن شرعية تعتاد ويتم الاجتماع فيها حسب أمر الشارع، ويمكن تسميتها أعياداً مكانية.

وهذه الأماكن يمكن حصرها كالتالي:

- أولاً: المسجد الحرام.
- خامساً: مزدلفة.
- ثانياً: المسجد النبوي.
- سادساً: منى.
- ثالثاً: المسجد الأقصى.
- رابعاً: عرفات.

وجه التخصيص لهذه الأماكن:

خصصت هذه الأماكن لتكون أعياداً مكانية للمسلمين للأسباب التالية:

- ١- أن هذه الأماكن هي التي أمر الشارع بالاجتماع فيها ومعابودتها.
- ٢- أن هذه الأماكن هي التي يجب أو يستحب أن تشد إليها الرحال دون غيرها، والدليل على ذلك ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى)^(٢).
- ٣- أنه قد ورد في النصوص الشرعية إطلاق لفظ العيد على هذه الأماكن، فعن عقبه بن عامر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب)^(٣).

(٢) إغاثة اللهفان ١/١٩٠.

(١) سبق تخرجه ص ٣٤٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الصيام - باب صيام أيام التشريق - ص ١٤٠٢ برقم (٢٤١٩)، والترمذي في سننه - كتاب الصوم - باب ما جاء في كراهية صوم أيام التشريق - ص ١٧٢٣ برقم (٧٧٣)، والنسائي في سننه - كتاب المناسك - باب النهي عن صوم يوم عرفة - ص ٢٢٨١ برقم (٣٠٠٧)، وأحمد في المسند ٤/١٥٢، والدارمي في سننه ٢/٣٧ برقم (١٧٦٣)، وابن خزيمة في صحيحه ٣/٢٩٢ برقم (٢١٠٠)، وابن حبان في صحيحه ٨/٣٦٨

ما وافق به مسلمو نيجيريا منهج أهل السنة والجماعة في الأعياد

كان مسلمو نيجيريا يستشعرون ببالغ أهمية إقامة أعياد أهل الإسلام الثلاثة: عيد الأضحى وعيد الفطر وعيد الجمعة، فقد أدركوا مكانة هذه الأعياد وأنها من أعظم الشعائر التعبدية في الإسلام، فأخذوا يهتمون بها ويعظمونها عملا بقول الباري جل وعلا: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢).

فعند الاحتفال بالأعياد الثلاثة يطبق مسلمو نيجيريا ما أمر به الدين الحنيف من الخروج بأحسن هيئة والتجمل بما لديهم من الزينة في حدود ما أباحته الشريعة الإسلامية، وقد جرت العادة وخاصة عند الأطفال أنه لا بد من شراء الثوب الجديد بمناسبة الاحتفال بعيد الأضحى وعيد الفطر، وكذلك كانوا يوسعون على عيالهم بأنواع المأكولات والمشروبات المباحة، وكل ذلك جائز في شريعتنا الغراء ما لم يكن فيه التعدي لحدود الله بالإسراف ونحوه؛ لأنه من إظهار السرور والفرح بالعيد. وهكذا كانوا يحتفلون بالعيد ليظهروا عظمة هذا الدين ووسطية أهله.

ولأن حياة الناس في ذلك المجتمع تتصف بالبساطة والبعد عن التكلف أصبحت صور التكافل الاجتماعي تظهر في العيد بشكل ملحوظ، فقد كان المسلمون متصفين بخلق الكرم وحب المواساة لإخوتهم قبل العيد بسبب التعايش الطيب الذي نتج عن البساطة والتواضع في المعيشة، وعندما تُقبل أيام العيد يتفضل الغني القادر ويحسن إلى جيرانه الفقراء بصدقة الفطر أو بشيء من أضحيته ليشترك الفقراء الأغنياء في فرحهم وسرورهم ويكون العيد للجميع.

ومن صور أخرى للتكافل الاجتماعي التي تتجلى أيام العيد لدى مسلمي نيجيريا هي تلك الزيارات المتبادلة التي تزداد بها المحبة بين الأقارب والجيران، فبداية من يوم العيد إلى أربعة أيام بعده تجد المسلمين لا يزالون يتزاورون، وكل ذلك من الأخلاق الفاضلة التي أمر بها الدين الحنيف.

وللمسلمين في نيجيريا الاهتمام الكبير بأمر الأضحية ومشروعيتها، ولا يكاد يوجد رب أسرة إلا ويعتبر نفسه مكلفا بذبح الأضحية في عيد الأضحى، وقد بالغوا في استشعار عظمة

برقم (٣٦٠٣)، والحاكم في المستدرك ٦٠٠/١ برقم (١٥٨٦) عن عقبة بن عامر. قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٢١١٤).

هذه الشعيرة حتى اعتقدوا أن من ذبح الأضحية مرة يلزمه الاستمرار في ذبحها كل سنة؛ ولذلك تجد أمثال هؤلاء يجاهدون أنفسهم لمواصلة الذبح في كل عيد مهما كلفهم ذلك، وإن أدى بهم إلى أن يستدينوا لشراء الأضحية، وما من شك أن هذا الاعتقاد غير صحيح؛ إذ لا دليل عليه لا من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله الكريم.

والصحيح من أقوال أهل العلم أن الأضحية سنة مؤكدة، يثاب من أتى بها ولا يأثم من تركها، وإلى هذا القول ذهب جمهور العلماء^(١).

وكذلك يوم الجمعة الذي هو عيد الأسبوع كان مسلمو نيجيريا يعرفون أنه يوم عيد لهم، فكانوا يعظمونه بما عظمه الله به من الخروج لصلاة الجمعة فيه أفراداً وجماعات في أحسن هيئات بعد الاغتسال لها.

وعلى الرغم من أن يوم الجمعة ليس من أيام العطل^(٢) في نيجيريا، إلا أن المسلمين يعرفون واجباتهم تجاه دينهم ويضحون للقيام بها، فلم يكن العمل يشغلهم عن أداء صلاة الجمعة التي هي فريضة على كل مسلم. ومع ذلك فقد بذلت جهود جبارة من قبل بعض المسلمين الغيورين على دينهم لتجعل حكومة نيجيريا يوم الجمعة من أيام العطلة الأسبوعية الرسمية إلا أنه لم تأت نتيجة إلى الآن. والله تعالى أسأل أن يزيد في تمكين الإسلام والمسلمين في ذلك البلد.

(١) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد تأليف محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي ٣١٤/١، دار الفكر - بيروت، التلقين في الفقه المالكي تأليف أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي ٢٦٢/١، تحقيق محمد ثالث سعيد الغاني، ط/الأولى ١٤١٥هـ، المكتبة التجارية - مكة المكرمة، المغني لابن قدامة المقدسي ٩٥/١١.

(٢) الحاجة إلى جعل يوم الجمعة من أيام العطلة الأسبوعية قائمة؛ إذ إن العمل في ذلك اليوم يفوت على كثير من مسلمي نيجيريا أداء هذه العبادة العظيمة التي خصصها الله لأفضل أيام الأسبوع وخير يوم طلعت عليه الشمس في وقتها، فقد كان من أنظمة الجامعات النيجيرية وضع المحاضرات في وقت أداء صلاة الجمعة فلا ينتهي المحاضر حتى تنقضي الصلاة، فعل ذلك دون اعتبار أبناء المسلمين الذين يوجب عليهم دينهم أداء هذه الصلاة وغيرها من الصلوات المفروضة في أوقاتها.

المبحث الثاني

الأعياد الممنوعة صورها وأحكامها

صور الأعياد الممنوعة لدى مسلمي نيجيريا:

يوجد عدد من الأعياد لا دليل على مشروعيتها من الكتاب والسنة ومع ذلك يعظمها بعض المسلمين في نيجيريا ويحتفلون بها، ويمكن تقسيم هذه الأعياد غير المشروعة إلى قسمين رئيسيين:

الأول: الأعياد المبتدعة في هذه الأمة.

الثاني: الأعياد التي تشبه المسلمون فيها بغيرهم.

أما القسم الأول: الأعياد المبتدعة في هذه الأمة فهي نوعان:

النوع الأول: الأعياد الزمانية المبتدعة في هذه الأمة، ولها صورتان:

الصورة الأولى:

أيام وليال يتخذونها أعيادا بإشعار بعضهم بعضا بأهميتها وما يرمز لها دون الاحتفال بها، وغالب ما يقومون به هو تخصيص هذه الأيام بدعاء خاص أو الليالي بقيام خاص، علما

بأنه يوجد من هذه الأيام والليالي ما لم تعظمه الشريعة أصلاً، مثل بداية السنة المحجرية ونهايتها، وليلة النصف من شهر شعبان، ومنها ما ادعوا فيه وقوع حادثة معينة ولم تثبت ومع ذلك ابتدعوا فيه شيئاً للذكرى، مثل يوم السابع والعشرين من شهر رجب الذي قيل إنه هو يوم الإسراء والمعراج، ومنها ما هو معظم في الشريعة لكنهم زادوا فيه على الحد المشروع مثل يوم عاشوراء.

ومع أن هؤلاء الجهال لم يكونوا يعملون في أعيادهم المبتدعة كل ما تميزت به الأعياد المشروعة من إظهار الفرح والسرور، والتوسعة على العيال في المأكّل والمشرب، والتهنئة بالعيد، لكن مع ذلك فبمجرد اعتقاد تميز تلك الأيام والليالي عن غيرها بميزات لم تحددها الشريعة يجعلها أعياداً مبتدعة.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

ومن الأمثلة على هذه الصورة ما ذكره صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى حيث قال: "دعاء أول السنة- بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنت القديم الأول، وعلى فضلك العظيم وكرم جودك المعوّل، وهذا عام جديد قد أقبل، أسألك العصمة فيه من الشيطان وأوليائه، والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء، والاشتغال بما يقربني إليك زلفى، يا ذا الجلال والإكرام. تقرأ ثلاث مرات في أول يوم من محرم"^(١).

وقال صاحب عون العلماء الصالحين: "دعاء أول السنة- يقرأ ثلاثاً فإن الشيطان يقول: استأمن على نفسه فيما بقي من عمره... ثم أورد الدعاء السابق"^(٢).

وقال صاحب دعاء الغاية المقصودة في دعاء آخر السنة: "دعاء آخر السنة- بسم الله الرحمن الرحيم اللهم ما عملته في هذه السنة مما نهيتهني عنه ولم أنته، وحلمت فيها عني بفضلك بعد قدرتك على عقوبيتي، ودعتني إلى التوبة جرائتي على معصيتك فإني أستغفرك فاغفر لي، وما علمت فيها مما ترضاه ووعدتني عليه الثواب، فأسألك أن تتقبله مني ولا تقطع رجائي منك يا كريم (٣) مرات"^(٣).

(١) دعاء الغاية المقصودة ص ٨٥.

(٢) عون العلماء الصالحين ص ٤٥.

(٣) دعاء الغاية المقصودة الكبرى ص ٨٥.

وفي نفس الدعاء قال صاحب عون العلماء الصالحين: "دعاء آخر السنة- يقرأ ثلاثاً، فإن الشيطان يقول: تعبنا معه طول السنة فأفسد تعبنا في ساعة واحدة... " ثم أورد الدعاء السابق^(١).

وفي دعاء ليلة النصف من شهر شعبان قال صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى: "دعاء نصف شعبان- تقرأ أولاً بعد صلاة المغرب سورة يس ثلاثاً، الأولى بنية طول العمر، والثانية بنية دفع البلاء، والثالثة بنية الاستغناء عن الناس، وكلما تقرأ السورة مرة تقرأ بعدها الدعاء مرة" ثم أورد الدعاء وفيه: "... اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مطروداً أو مقتراً علىّ في الرزق فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرمانِي وطردِي وإقتار رزقي، وأثبتني عندك في أم الكتاب سعيداً مرزوقاً موفقاً للخيرات فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على نبيك المرسل: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩)، إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم، أن تكشف عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم إنك أنت الأعز الأكرم"^(٢).

وفي دعاء ما يسمى بليلة المبعث وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، قال صاحب عون العلماء الصالحين: "دعاء ليلة المبعث أي ٢٧ رجب- وهي من الليالي الشريفة، ويستحب فيها قراءة هذا الدعاء بعد الاغتسال" ثم ساق الدعاء وفيه: "اللهم بارك لنا في ليلتنا هذه التي بشرف الرسالة فضلتها، وبكرامتك أجللتها، وبالحل الشريف أحللتها، اللهم إنا نسألك بالمبعث الشريف والسيد اللطيف والعنصر العفيف أن تصلي علي محمد..."^(٣).

وليوم عاشوراء كذلك دعاء خصّصوه به، ومن ذلك قول صاحب دعاء الغاية المقصودة الكبرى: "هذا دعاء يوم عاشوراء- بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يا قابل توبة آدم يوم عاشوراء، ويا رافع إدريس إلى السماء يوم عاشوراء، ويا مسكن سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء، ويا غياث إبراهيم من النار يوم عاشوراء، ويا جامع شمل يعقوب يوم عاشوراء، ويا كاشف ضر

(٤) عون العلماء الصالحين ص ٤٤-٤٥.

(١) دعاء الغاية المقصودة ص ٨٤، وانظر: عون العلماء الصالحين ص ٥٠.

(٢) عون العلماء الصالحين ص ٤٧-٤٨.

أيوب يوم عاشوراء، ويا فارح كربة ذي النون يوم عاشوراء، ويا سامع دعوة موسى وهارون يوم عاشوراء، ويا ناصر محمد- صلى الله عليه وسلم- يوم عاشوراء، ويا خالق الجنة والنار يوم عاشوراء، ويا خالق جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل يوم عاشوراء، ويا خالق العرش والكرسي واللوح والقلم والسموات والأرض يوم عاشوراء، اقض حاجتي وادفع عني السيئات والبلبات يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام... تمت هنا. ثم تقرأ هذا الدعاء سبعين مرة، وهو: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم ارزقني كمال الحسنی، وسعادة العقبی، وخير الآخرة والأولى، اللهم آمين" (١).

وقال صاحب عون العلماء الصالحين في شأن دعاء يوم عاشوراء: "دعاء يوم عاشوراء- يستحب في يوم عاشوراء أن يقرأ هذا الدعاء سبعين مرة: حسبي الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير. ويقرأ هذا سبع مرات: سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش، لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر، وعدد كلمات الله التامات كلها، أسألك السلامة برحمتك يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... " (٢).

الصورة الثانية:

أيام وليال يتخذونها أعيادا ويحتفلون بها بكل ما يعنيه لفظ الاحتفال؛ لاعتقادهم عظمة ما جرى فيها من الأحداث، أو لما عرفوا من تعظيم الشريعة لها، فابتدعوا أشياء للذكرى فيما اعتقدوا أنه جرت فيها أحداث عظيمة، وزادوا على الحد المشروع فيما قد عظمته الشريعة، فمثال الأول الاحتفال بالمولد النبوي في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، ومثال الثاني الاحتفال بليلة القدر من شهر رمضان المبارك، ويلحق بهذه الصورة الاحتفال بمواليد المشايخ. وإن مما يجعل المسلم الفقيه في دينه يُحس بأسى وتأثرٍ شديدين ما أدخله بعض جهلة المسلمين في الدين الحنيف مما يسمى بالمولد النبوي، وقد اعتقد هؤلاء الجهال شرعية هذا الاحتفال إلى الدرجة أنهم يُتعبون أنفسهم كل التعب كلما دخل عليهم شهر ربيع الأول في السنة، ولا يقر لهم قرار إلا بعد إقامته.

(٣) دعاء الغاية المقصودة الكبرى ص ١٠٤.

(١) عون العلماء الصالحين ص ٤٦.

وغالب من يقيمون هذا الاحتفال هم المتصوفة بطريقتهم في نيجيريا: التجانية والقادرية، ورؤساء الجمعيات الإسلامية الذين لا يفرقون بين البدعة والسنة، وكذلك بعض أدعياء العلم الذين يديرون المدارس العربية والإسلامية المحلية، ولا هدف لهذه الفئات كلها وراء قيامها بهذا الاحتفال إلا جمع الأموال من أربابها؛ ولذلك تجدهم يوزعون الظروف بعد أن كتبوا عليها تاريخ الاحتفال بالمولد، ومكان إقامته، يرسلونها إلى من يساعدهم في تمويل هذا المشروع.

وهو في حقيقة الأمر مشروع استثماري ضخم للكثير منهم؛ إذ ربما ينفقون جزءا يسيرا مما جمعه في ترتيب الحفل ويرجع ما تبقى منه إلى جيوبهم؛ ولذلك تجد أن ولادة النبي - صلى الله عليه وسلم - عندهم تبدأ من شهر ربيع الأول وتمتد إلى شهر شعبان في غالب الأحيان؛ لأنك لا تزال تشاهد من يستعد للاحتفال بالمولد النبوي طوال هذه الفترة.

ذكر بعض الأقوال التي تشهد لوجود هذه الصورة وتأييد بعض العلماء لها:

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله: "أما إقامة ذكرى المولد النبوي فقد تكلم فيها العلماء، منهم المنكرون لها ومنهم المبيحون، وأنا لا أرى بأسا في إباحتها ما لم يكن فيها إثم يرتكب، وذكرى المولد النبوي كذكرى الهجرة النبوية، وهما أجدر بالتعظيم والإحياء"^{(١)(٢)}.

قلت: ما من شك أن المسلم الذي عنده أدنى قدر من الفقه في الدين يستغرب صدور هذا الكلام من عالم يقتدى به، وهذا مما زاد الطين بلة، أعني وجود من يؤيد أو يدعو إلى هذه البدع ممن لهم صوت مسموع في المجتمع النيجيري، وهذا مكمّن الخطر ومنشأ المشكلة.

"مع أن المتتبع للتاريخ الإسلامي يجد أن مثل هذه الاحتفالات لم تكن موجودة عند المسلمين الأوائل، بل ولا في القرون المفضلة، حتى جاءت الدولة الفاطمية والتي انتسبت إلى

(١) الإسلام وتقاليده الجاهلية ص ١٤٥ الهامش رقم (١).

(٢) مع احترامي وتقديري لجهود الشيخ آدم الألوري في البحث والكتابة وخاصة في مجال التاريخ والدعوة إلا أنه قد جانب الصواب في هذه المسألة، وهذا مما يؤخذ عليه، وسبب ذلك في رأيي هو الخلل في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال، فإن العالم الذي يأخذ من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة ثم ينتهج منهجهم في الاستدلال لا يمكن أن يخفى عليه أبدا بدعية ذكرى المولد النبوي والهجرة النبوية لعدم ورود ما يدل على إحيائهما أو الأمر بهما لا من الكتاب ولا من السنة ولا من عمل السلف.

فاطمة رضي الله عنها ظلما وعدوانا. بل إن المحققين من المؤرخين يرون أنهم ينحدرون من أصل يهودي، يقال لهم العبيديون وهم أبناء عبيد الله بن ميمون بن ديسان المشهور بالقداح، قيل إنه يهودي وقيل إنه مجوسي^(١). وقد استمرت دولتهم في مصر من ٣٥٧ - ٥٦٧ هـ. وقد أحدث العبيديون (المتسمون بالفاطميين) احتفالات بأيام كثيرة على رأسها أربعة موالد: مولد النبي - صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب، وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعا^(٢).

أما ليلة القدر التي ورد في النص أنها خير من ألف شهر، فإنه مما يؤسف له أن نجد من المسلمين من بلغ بهم وجود فراغ روحي وبدني معا إلى حد الانشغال بسفاسف الأمور، والتعلق بالقشور والماديات في هذا الوقت المبارك، وكأنهم يجهلون ما وعد الله به من الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن وفق للعمل الصالح في هذه الليلة من عباده.

وبدلا من أن ينتهز هؤلاء الجهال تلك الفرصة الثمينة فينشغلوا بما أمر الله به من النوافل، وقراءة القرآن، والاستغفار ليكونوا ممن سيتحقق فيهم قول النبي - صلى الله عليه وسلم: (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)^(٣)، بدلا من ذلك كله فإنهم يشغلون أنفسهم بما يسمى بالغناء الإسلامي، والأذكار الجماعية، والإسراف في المأكولات والمشروبات بدعوى إحياء ليلة القدر، وأفضل ما يقومون به إن وجد أحيانا هو إلقاء المحاضرات التي قد تكون مما لا يمت بصلة بذكر شيء من فضائل ليلة القدر.

وأما الاحتفال بمواليد المشايخ واتخاذها أعيادا فحدث ولا حرج، فإنه مما يفرح به مشايخ الصوفية ويتفاخرون به، ولمعرفة ذلك اسمع ما يقوله صاحب كتاب المرأة الصافية في بيان حقيقة

(٣) البداية والنهاية للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء ١١/١٦١، مكتبة المعارف - بيروت، والمواظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار تأليف تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريني، حققها وكتب مقدمتها ووضع فهرسها الدكتور أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

(١) تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار ص ٢٢٨-٢٢٩، وانظر: أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام للشيخ محمد بن نجيت الطيعي ص ٥٧، ط/الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، والإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ص ٢٥١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الصوم - باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية - ص ١٤٨ برقم (١٩٠١)، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح - ص ٧٩٧ برقم (٧٦٠) عن أبي هريرة.

التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية، وذلك بعد ذكره للإنجازات المزعومة التي حققها مشايخ الصوفية في مجال التعليم الإسلامي، يقول: "ويضاف إلى ما تقدم نشاطات الطرق الصوفية بمناسبة موالد المشايخ، كالمهرجان القادري المنعقد بـ (كانوا) في شهر ربيع الثاني حيث يتكثف جماهير المسلمين المتطرقين وغيرهم من شتى ولايات نيجيريا شمالا وجنوبا، وكثير من مشايخ الطرق من البلاد الإسلامية والعربية، حتى إن بعض رؤساء الدول العربية يوفدون ممثلهم لمشاركة ذلك المظهر العظيم الذي يظهر فيه روح التضامن الإسلامي والوحدة الإسلامية والوئام التام، وقد قامت لجنة إحصاء الوافدين للمهرجان في عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م بإصدار قرار ينص بأن عدد الحاضرين يربو على خمسة ملايين نسمة في ذلك العام"^(١).

النوع الثاني: الأعياد المكانية المبتدعة في هذه الأمة:

الصورة الوحيدة التي يمكن ذكرها تحت هذا النوع هي اتخاذ القبور أعيادا، وقد تناولت هذه المسألة بما يغني عن تكرارها في مسألتي التبرك وأحكام الميت والقبور^(٢).

وأما القسم الثاني: الأعياد التي تشبه المسلمون فيها بغيرهم فهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الأعياد الدينية، ولها ثلاث صور:

الصورة الأولى:

المشاركة في الأعياد الوثنية واعتبارها من العادات والتقاليد:

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله: "ومن الأمور التي عمت البلوى بها في هذه البلاد تعظيم أعياد الكفار مثل الحاجوز والعنصرة^(٣) وأول خميس من مايه"^(٤).

وقال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله في كلامه عن ديانات أهل نيجيريا قبل الإسلام: "ومن قبيل الطوتمية عبادتهم لأرواح الأسلاف، وكانوا يقيمون في ذلك عيدا كبيرا

(١) المرأة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية ص ٩٨-٩٩.

(٢) انظر ص ٣٥٢ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) شرح المعلق على الكتاب هذين الكلمتين بأن المقصود بما عيد يقع فيما بين ليلتي تاسوعاء وعاشوراء من شهر محرم حيث يهاجم شباب حارة أو قرية شباب حارة أو قرية أخرى بضرب بالأشواك والسكاكين والعظام وما أشبه ذلك.

(٤) نور الأبواب ص ١٥.

يدعونه عيد الغول، يتنكرون فيه بالملابس المبرقشة أو جلود السباع يحيون به ذكرى أسلافهم وعظمائهم"^(١).

وقال رحمه الله في موضع آخر: "ولا تزال أعياد الغول تقام حتى اليوم في كثير من البلدان التي لا يحكمها أمراء مسلمون في سواحل غرب إفريقيا، بما فيها نيجيريا وما يجاورها، منها الغول الطويل للنوباويين^(٢) والقصير لليورباويين"^(٣).

وقال في موضع ثالث: "فالغول اليورباوي لا يتجاوز ستة أقدام بقدر طول قامته الرجل، أما غول أهل (لاغوس) فيمتاز بالملبوس الأبيض الفضفاض ويسمونه (أيو) بمعنى عيد الفرح حيث يحيي بعضهم بعضا بكلمة (افرح لي أفرح لك). وللنوباويين غول طويل يبلغ ارتفاعه اثني عشر قدما... " إلى أن قال: "ولا يزال اليورباويون يقيمون هذا العيد في كل عاصمة من عواصمهم، ويزعمون أنه لم يبق عيدا وثنيا بل صار عيدا وطنيا لمجرد التسلي أو لهدف التنكر للانتقام من الخصم، كما يتنكر الأوروبيون والأمريكان للسرقة والاختيال حسبما يشاهد في أفلام السينما والتلفزيون.

يقام هذا العيد غالبا في فترة سبعة أيام متتالية، ويحمل كل غول بيده سوطا يضرب به معارفه إذا لقيه على سبيل التلاعب، وإذا اغتاز هذا وأراد المخاصمة كشف الغول عن وجهه لغريمه فيسكن الغيظ فيفترقان على الضحك"^(٤).

فالمنقول من كلام الشيخ آدم في الموضع الثالث يؤكد أن تلك الأعياد الوثنية لا تزال تقام في المجتمع النيجيري في الوقت الحاضر، كما لا يخفى على أي نيجيري ملم بما يجري حوله أن بعض المسلمين يشاركون هؤلاء الكفرة في أعيادهم، وقد ذكر ما يحتجون به لتلك المشاركة وهو أن هذه الأعياد لم تعد تقدم قبلها تلك الطقوس الوثنية والقرابين الشركية كما في الماضي، وإنما أصبحت أعيادا وطنية، القصد وراء الاحتفال بها التسلية وإظهار الفرح والسرور، وينبغي أن يشارك فيها الجميع.

(٥) موجز تاريخ نيجيريا ص ١١٥.

(١) إضافة إلى قبائل (نوبي) في ولاية (نيجر) شمال نيجيريا.

(٢) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١١٧-١١٨.

(٣) نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا للشيخ آدم عبد الله الألوري ص ٣٣.

ومما يجب ذكره هنا أن مشاركة بعض مسلمي نيجيريا الكفرة من الوثنيين وغيرهم في أعيادهم ليست مقصورة على منطقة دون أخرى، وإنما هي موجودة في أغلب المناطق النيجيرية بنسب متفاوتة، ففي ولاية (لاغوس) وغيرها من ولايات جنوب غرب البلاد، وولاية (كوغي) في الوسط، وولاية (نيجر) في الشمال، وطائفة (يامبوري) في بعض ولايات شمال البلاد، كلها تقام فيها هذه الأعياد الوثنية باختلاف أنواعها ويشارك فيها بعض جهال المسلمين مع الأسف الشديد.

الصورة الثانية:

مشاركة النصارى في الاحتفال بعيد ميلاد المسيح (الكريسماس):

إن المسلم ليعجب من تلك الطريقة الملتوية التي يسلكها النصارى الخَوَنة بمكرهم وخداعهم لإشراك البسطاء من المسلمين في أعيادهم الدينية، وذلك أنهم لا يدعونهم للمشاركة بطريقة مباشرة وإنما يطلبون من جيرانهم المسلمين السماح لهم باستصحاب أبنائهم معهم لمشاهدة ما يسمى (بابا الكريسماس)^(١)، وهذا الأسلوب عملية مدبرة بين هؤلاء النصارى الخبثاء؛ لأن نسبة أبناء المسلمين الذين يذهبون لتلك الزيارة ليست هينة في كل عام، يُكتشف ذلك من خلال سؤال (بابا الكريسماس) كل طفل عن اسمه واسم أبيه ومكان دراسته، وربما يطلب منه أنشودة من أناشيد نصرانية، ويلاحظ الفرح والسرور في أحاسيس (بابا الكريسماس) إذا دخل عليه طفل مسلم.

ومن أشكال مشاركة بعض المسلمين النصارى في أعيادهم الدينية وخاصة عيد ميلاد المسيح هو تخصيص يوم عيدهم بأنواع من المأكولات والمشروبات في الصباح الباكر، ثم الذهاب مع النصارى إلى الحدائق وأماكن الألعاب العامة، يقون فيها إلى الليل وهم يأكلون

(١) هو رجل من النصارى يتنكر بلباس ذي ألوان مختلفة يستر جميع بدنه، ويجعل شكله يخالف شكل الإنسان العادي حتى يكون غريبا وجميلا في نفس الوقت، ويقول إنه جاء من أرض (روما) بمناسبة عيد ميلاد المسيح، فيذهب النصارى بأطفالهم لزيارته فيباركهم ويدعو لهم ثم يعطيهم هدايا قيمة. وإقامة (بابا الكريسماس) من خصائص عيد ميلاد المسيح عند النصارى، ينظم هذا المشروع غالبا محطات الإذاعة والتلفزيون وبعض الكنائس، وهي من طرق جمع الأموال من الناس؛ إذ يجب على كل طفل أن يدفع مبلغا معيناً مقابل التذكرة من أجل الدخول على (بابا الكريسماس). ومجيئه المزعوم من (روما) في حدود شهر قبل يوم الاحتفال بعيد ميلاد المسيح، يزوره ويشاهده أبناء النصارى وأبناء بعض جهال المسلمين المغلوبين على أمورهم.

ويشربون، ثم يختمون تلك الطلعة في الليل وهم يلعبون بالألعاب النارية، يظهرهم بهذه التصرفات كلها الفرح والسرور بمناسبة عيد ميلاد المسيح.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن هذه الصورة من صور الأعياد الممنوعة تحدث في جنوب نيجيريا عند قبائل (يوربا) وشرقها عند قبائل (إيو)، ويعود السبب في ذلك كله إلى الاحتكاك والاختلاط والتداخل الحاصل بين أهل الأديان الثلاثة: الإسلام، والنصرانية، والوثنية، في هذه المناطق، مما يجرحهم إلى تشبه بعضهم ببعض، وينتج في النهاية زوال ذلك التميز الذي يجب أن يوجد بين المهتدين والضالين.

أما شمال البلاد عند قبائل (الهوسا) فإن الأمر يختلف اختلافا جوهريا حيث لم توجد مثل هذه الصورة من الأعياد الممنوعة؛ لأن نسبة تسعين في المائة من سكان المنطقة هم من المسلمين، فالتأثر بغير المسلمين قليل في هذا الجانب.

الصورة الثالثة:

الاحتفال برأس السنة الميلادية واعتباره عيداً للجميع:

لم تختلف هذه الصورة كثيرا عن التي قبلها من صور الأعياد الممنوعة لدى مسلمي نيجيريا من حيث ما يشارك به المسلمون جيرانهم النصارى في أعيادهم الدينية، يضاف إلى ذلك تلك الرغبة الشديدة في عقد جلسات الدعاء لطلب الخير في مستهل العام الجديد حسب زعمهم، والاستعاذة بالله من كل شر في أيامه القادمة، وقد بلغ الجهل بهؤلاء المساكين إلى حد الاهتمام بعقد هذه الجلسات بشكل جماعي حتى في المساجد بمناسبة بداية عام ميلادي جديد، كما يجد علماء السوء ذلك اليوم فرصة ذهبية وموسما تجاريا مهما لكسب الأموال من الناس حيث يذهبون إلى بيوتهم للدعاء لهم، لا يفرقون في ذلك بين المسلمين والنصارى والوثنيين.

ومهما يكن من شيء فإن المسلم الذي يعيش في ذلك المجتمع لا بد أن يُحس بأن هناك عيداً يقام في ذلك اليوم؛ إذ العادة أن الحكومة تعلن ذاك اليوم ويومين بعده أيام عطلة لجميع الشعب، فالأعمال معطلة والمحلات مغلقة، فلا يبقى خيار لهذا المسلم سوى لزوم بيته. ولله در تلك الفئات من شباب المسلمين الذين انتبهوا لهذا الوضع المؤلم فاقترحوا وضع برامج

إسلامية^(١) لشباب المسلمين مثل المخيمات والدورات خلال هذه الفترة، تهدف إلى إشغال أبناء المسلمين بما يعود إليهم بمنافع دينية ودينية، ويقيهم من المشاركة في أباطيل النصارى الحاسدين أو مشاهدتها.

وهذه الصورة مثل التي سبقتها لا تحدث إلا في جنوب البلاد وشرقها.

النوع الثاني: الأعياد الاجتماعية:

الصورة الوحيدة التي يمكن ذكرها ههنا هي عيد الميلاد الشخصي الذي يحتفل به الكبار، وعيد ميلاد الأطفال الذي يقيمه الآباء احتفالاً بميلاد أطفالهم الصغار، وكلاهما من الأفكار التي تسربت إلى أوساط أهل الإسلام جراء تأثرهم بالنصارى وتشبههم بهم. ولا فرق بين منطقة وأخرى من المناطق النيجيرية في وجود هذه الصورة من الأعياد الممنوعة، وخاصة بين الطبقة المثقفة الثقافة الغربية، والذين أنعم الله عليهم بالثراء من المسلمين.

ذكر بعض الأقوال التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله في حديثه عن أعياد الجاهلية: "ومما يلحق اليوم بالأعياد الجاهلية ما استورده المسلمون من الغرب من إقامة عيد ميلاد الأولاد كل سنة، بحيث يقيمون للصبي الصغير حفلة فاخرة يدعون إليه زملاءه في المدرسة وجيرانهم وينفقون فيها أموالاً طائلة، كما يتقبل هذا الصبي من أولئك الأصدقاء هدايا كثيرة بهذه المناسبة، فإن إقامة أعياد الميلاد من شعائر النصارى واليهود كما في كتبهم"^(٢).

ومن أبرز وقائع الاحتفال بأعياد الميلاد سواء أقيم للكبير أو الصغير عملية قطع الكعك، وهو من أهم ما ينفق عليه صاحب الحفلة، كما تصنع وتوفّر في الحفلة نوعية خاصة

(١) هي برامج مخططة ومدروسة تبدأ قبل يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر يوم الاحتفال بعيد ميلاد المسيح وتمتد إلى اليوم الثاني من شهر يناير، فيكون الشاب المسلم الذي شارك فيها لم يشهد إطلاقاً عيدي النصارى الذين احتفل بهما خلال تلك الفترة، تنفذ تلك البرامج غالباً في المدارس الحكومية الكبيرة التي في أطراف المدينة وتحتوي على السكن للمشاركين. والجمعيات التي تهتم بهذه البرامج هي: جمعية الطلبة المسلمين في نيجيريا، واجتماع المسلمين (T.M.C)، وجماعة التضامن المسلمين، وكلها جمعيات نشطة منشأها جنوب البلاد، وهي على منهج السلف الصالح.

(٢) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١٤٤ الهامش رقم (١).

من المأكولات والمشروبات، ويلبس صاحب الحفلة ثوبا جديدا، وربما يعقد جلسة الدعاء بخصوص هذا العيد يجمع فيها بعض المنتسبين للعلم ليدعوا له بطول العمر، وذلك إذا كان كبيرا.

هكذا يتكرر هذا الاحتفال كل سنة عند هؤلاء المستغربين من المسلمين، يظهرون فيه الفرح والسرور، وينفقون عليه ما ينبغي أن يتصدقوا به على إخوانهم الفقراء، وكل ذلك أبواب الإسراف فتحها لهم النصارى الحاقدون ليكونوا من المبذرين إخوان الشياطين، كما هو وسائل لصرفهم عن سلوك الجادة.

النوع الثالث: الأعياد القومية:

تعددت الأمثلة لهذا النوع من الأعياد الممنوعة، ولا حاجة إلى تقسيمها إلى الصور؛ إذ إنها كلها على صورة واحدة من حيث المنشأ وطريقة الاحتفال بها، ولقد كان منشأ هذه الأعياد التأثير بتلك الجاهلية الأولى التي كان عليها الأجداد قبل الإسلام، وكذلك العادات والتقاليد التي ينبغي أن يكون قد ترفع عنها أهل الإسلام.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

ومن أمثلة الأعياد القومية في بعض مناطق نيجيريا (odun omo-lumesi أو دن أومو - لوميسي) في مدينة (أبيوكوتا) ولاية (أوغن) جنوب غرب نيجيريا، و (odun owu أو دن أووو) في المدينة نفسها، و (lagelu day لاغيلو دي) في مدينة (إبادن) ولاية (أويو) جنوب غرب نيجيريا.

وأبرز ما يقوم به المهتمون بهذه الأعياد عند الاحتفال بها إحياء أيامها بالتجمعات التي يحدث فيها ذكر ما تتميز بها تلك الأيام عندهم من خلال المحاضرات والندوات، ثم إظهار الفرح والسرور، والتوسعة على أنفسهم بأنواع من المأكولات والمشروبات.

والأمر الذي يثير الانتباه في هذا النوع من الأعياد الممنوعة ما يحصل عند الاحتفال بها من دعوة المشاركين فيها إلى أن يكون ولاؤهم لهذه القوميات مما يطعن في عقيدة المؤمن؛ إذ الواجب عليه أن يكون ولاؤه أولا وآخرا لله ولرسوله ولإخوته المؤمنين.

أحكام هذه الصور:

حكم الأعياد المحدثه في هذه الأمة:

كل ما سبق ذكره من صور الأعياد التي أحدثها بعض مسلمي نيجيريا في الدين الإسلامي لا شك أنها من البدع، وذلك لما يأتي:

١- أن الأعياد من جملة الشرائع والمناهج والعبادات، والعبادات لا يجوز أن تؤخذ إلا عن الله وعن رسوله - صلى الله عليه وسلم، فمن أحدث عيداً أو موسماً أو مكاناً يجتمع الناس فيه ويتخذونه عيداً غير الأعياد المشروعة، فلا بد أن يأتي بدليل على شرعية ذلك العيد، وإلا لم يقبل منه^(١).

٢- اتفاق العلماء من السلف الصالح رحمهم الله أن هذه الأعياد والمواسم غير الشرعية أمر محدث مبتدع في الدين، ولم يؤثر ذلك عن النبي - صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه الكرام، ولا عن التابعين وتابعيهم، ولا علماء الأمة المشهورين؛ كالأئمة الأربعة وغيرهم^(٢).

٣- أن النصوص القطعية المحذرة من الابتداع في الدين كافية للاعتماد عليها في إنكار هذه الأعياد والمواسم؛ لأنه لا أساس لها لا في الكتاب ولا في السنة ولا في عمل السلف الصالح.

٤- أن المولد النبوي الذي يجد أكبر الاهتمام بين هذه الأعياد لدى المحتفلين بها قد تقرر أن أول من أحدث الاحتفال به المتسمون بالفاطميين، وهم معروفون بالزندقة والإلحاد، وفساد العقيدة والإفساد.

٥- أن دعوى محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - التي لأجلها يبذل المبتدعة كل غال ورخيص في سبيل الاحتفال بالمولد النبوي الشريف هي مجرد دعوى؛ إذ ليست لديهم أدلة على تحقق المراد من محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم. وإنما يحقق محبته اتباعه - صلوات الله وسلامه عليه - وطاعته.

٦- ما يرتكب في كثير من هذه الأعياد من المنكرات مثل اختلاط الرجال بالنساء، والرقص وتغني الفتيات في مجامع الرجال، واستخدام المزامير بمختلف أنواعها. وما يقترف من

(١) الأعياد المشروعة والأعياد الممنوعة ص ٤٨٦.

(٢) التحذير من البدع للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص ٣، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٣٩٦هـ، والبدع الحولية ص ١٩٥.

الكبائر والموبقات مثل دعاء الأولياء والاستغاثة بهم، والاستشفاع بهم وطلب المدد منهم كما يحدث في الأعياد المكانية.

٧- أن هذه الأعياد ما أحدثت إلا لضرب الإسلام، وتحطيمه والقضاء عليه؛ وذلك أن أعداء الإسلام يميزون بين الإسلام الحق والإسلام المزيف الذي يدين به المبتدعة؛ فتجدهم يناصرون أهل البدعة ويقفون معهم ويؤيدونهم على إقامة بدعهم^(١) لعلمهم أنها بدع قامت على أساس تقويض العقيدة الإسلامية، وإفساد حال المسلمين. ولو كان فيها ما يوقظ الروح الإسلامي، أو يحرك ضمائر المسلمين لما وجدت من أعداء الإسلام إلا محاربتها والقضاء عليها^(٢).

٨- ما تشتمل عليه هذه الأعياد من الفساد في الدين، ومن هذه المفاصد ما يلي:

المفسدة الأولى: أن من أحدث عملا في يوم كعمل المولد، أو صوم أول خميس من رجب وغيرها من هذه المواسم فلا بد أن يتبع هذا العمل اعتقاد في القلب بحسنه وفضله؛ وذلك لأنه لا بد أن يعتقد أن هذا اليوم أفضل من أمثاله، وأن الصوم فيه أو الاجتماع فيه مستحب استحبابا زائدا على غيره من الأيام الأخرى التي قبله وبعده، أو أن هذه الليلة أفضل من غيرها في قيامها والاحتفال بها، ولولا هذا الاعتقاد في قلبه أو في قلب متبوعه لما انبعث القلب لتخصيص هذا اليوم والليلة، والترجيح من غير مرجح ممتنع.

فوجود هذا الاعتقاد في القلب بغير نص صحيح يعتبر زيادة باعتقاده على أمر الشرع^(٣).

(١) ذكر الشيخ أبو بكر الجزائري أن فرنسا أيام احتلالها للمغرب بأقاليمه الثلاثة، كانت تساعد حتى بتخفيض تذكرة الإزكاب في القطار لمن يسافر للمشاركة في الاحتفال بالمولد النبوي، وأن الحكومات المصرية أيضا تفعل ذلك. انظر: الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف ضمن رسائل الجزائري الثالثة: ست عشرة رسالة في مواضع دينية وإصلاحية مختلفة تأليف الشيخ أبي بكر جابر الجزائري ص ٢٤٩، عنى بنشرها وتصحيحها مكتبة الكليات الأزهرية، دون بيانات أخرى.

(٢) انظر: الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف ضمن رسائل الجزائري الثالثة: ست عشرة رسالة في مواضع دينية وإصلاحية مختلفة ص ٢٤٩.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٨٣ بتصرف.

المفسدة الثانية: تخصيص يوم لم يخصه الشارع بعبادة معينة، مع أن الشارع قد نص في نصوص أخرى على النهي عن تخصيص أوقات بالعبادة، فمن ذلك نهي عن تخصيص صيام يوم الجمعة وقيام ليله، ونهي عن تخصيص صيام آخر شهر شعبان للاحتياط من أجل رمضان. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فظهر أن المفسدة تنشأ من تخصيص ما لا خصيصة له... فلفظ النهي عن تخصيص وقت بصوم أو صلاة يقتضي أن الفساد ناشئ من جهة الاختصاص، فإذا كان يوم الجمعة يوماً فاضلاً يستحب فيه من الصلاة والدعاء والذكر والقراءة والطهارة والطيب والزينة ما لا يستحب في غيره كان ذلك في مظنة أن يتوهم أن صومه أفضل من غيره، ويعتقد أن قيام ليلته كالصيام في نهاره لها فضيلة على قيام غيرها من الليالي، فنهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن التخصيص دفعا لهذه المفسدة التي لا تنشأ إلا من التخصيص، وكذلك تلقي رمضان قد يتوهم أن فيه فضلاً لما فيه من الاحتياط للصوم، ولا فضل فيه في الشرع، فنهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن تلقيه لذلك"^(١).

وهذا المعنى موجود هنا؛ فإن الناس قد يخصون هذه المواسم لاعتقادهم فيها فضيلة، ومتى كان تخصيص هذا الوقت بصوم أو بصلاة قد يقترن باعتقاد فضل ذلك ولا فضل فيه نهي عن التخصيص؛ إذ لا ينبعث التخصيص إلا عن اعتقاد الاختصاص^(٢).

ومن المفاسد الأخرى التي تجرّها هذه الأعياد والاحتفالات:

أ- أن القلوب تستعذب هذه البدع وتستغني بها عن كثير من السنن، حتى إنك تجد هذه البدع يُحافظ عليها أكثر من السنن.

ب- أنه يصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً^(٣). وغير ذلك من المفاسد.

حكم مشاركة المسلمين في الأعياد التي تشبهوا فيها بغيرهم:

تحرم مشاركة المسلمين الكفار في أعيادهم بإقامتها أو الاحتفال بها، وذلك لما يلي:

١- أن الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك التي قال الله عنها: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا

مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨)، وقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٧.

(٣) المرجع السابق ص ٢٩٢ بتصرف.

﴿الحج:٦٧﴾، كالتقبة والصلاة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن التدين بهذه الأعياد وموافقتهم فيها بحسب اعتقادهم كفر، والموافقة في بعض فروعها، موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به بين الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر، وأظهر شعائره، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة^(١).

٢- أنه قد وردت نصوص شرعية يستفاد منها النهي عن مشاركة غير المسلمين في إقامة أعيادهم والاحتفال بها، من هذه النصوص:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (الفرقان:٧٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى (الزور): " قال أبو العالية، وطاوس، وابن سيرين، والضحاك، والربيع بن أنس، وغيرهم: هي أعياد المشركين"^(٢).

ومنها ما رواه أبو داود والنسائي وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: (ما هذان اليومان؟)، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر)^(٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "استنبط منه كراهة الفرغ في أعياد المشركين والتشبه بهم"^(٤).

٣- أن مشاركة الكفار في أعيادهم فيها تشبه بهم، والتشبه بالكفار محرم في الدين الإسلامي، وردت في تحريمه أدلة كثيرة، منها:

ما رواه أحمد عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٠٧-٢٠٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢٠٤٥-٢٠٤٦.

(٣) سبق تخريجه ص٤٣٣.

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢/٥٦٢.

لنا ذات أنواط، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (قلتم- والذي نفسي بيده- كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون، إنها لسنن، لتزكبن سنن من كان قبلكم سنة سنة)^(١).

وما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطَلَّب دم امرئ بغير حق لِيُهْرِيَقَ دَمَهُ)^(٢).

وحديث ابن عمر: (من تشبه بقوم فهو منهم)^(٣).

بل هناك نصوص أخرى وردت بالأمر بمخالفة الكفار وخاصة اليهود والنصارى حتى في المسائل الفرعية، مما يؤكد على أن مخالفتهم أصل من أصول ديننا الحنيف، ومن تلك النصوص: قوله - صلى الله عليه وسلم- للمسلمين في جواز تغيير الشيب: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم)^(٤).

وقوله - صلى الله عليه وسلم: (غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود)^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقا على هذا الحديث: "وهذا اللفظ أدل على الأمر بمخالفتهم، والنهي عن مشابكتهم، فإنه إذا نُهي عن التشبه بهم في بقاء بياض الشيب الذي ليس من فعلنا فلأن ينهى عن إحداث التشبه بهم أولى"^(٦).

(١) سبق تخريجه ص ٢٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الديات- باب من طلب دم امرئ بغير حق- ص ٥٧٤ برقم (٦٨٨٢) عن ابن عباس.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٩٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب أحاديث الأنبياء- باب ما ذكر عن بني إسرائيل- ص ٢٨٢ برقم (٣٤٦٢)، ومسلم في صحيحه- كتاب اللباس والزينة- باب في مخالفة اليهود في الصبغ- ص ١٠٥٤ برقم (٢١٠٣) عن أبي هريرة.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب اللباس- باب ما جاء في الخضاب- ص ١٨٣٠ برقم (١٧٥٢)، وأبو يعلى في مسنده ٤١٣/١٠، عن أبي هريرة، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٧٦١٦).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٥٨.

وقوله- صلى الله عليه وسلم- في الأمر بإعفاء اللحية وجز الشارب: (خالفوا المشركين، وفروا اللحى وأحفوا الشوارب)^(١).

وقوله- صلى الله عليه وسلم- في جواز الصلاة في النعال للمسلمين: (خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم)^(٢).

فهذه الأحاديث وغيرها من أمثالها تدل دلالة واضحة على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم حتى قالوا: ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه^(٣)، وكما شرع الله لنبيه مخالفة اليهود وكذلك شرع له مخالفة غيره من عموم الكفار.

٤- أن مشاركتهم في إقامة أعيادهم والاحتفال بها، فيها إقرار لهم على استقامة دينهم وشريعتهم^(٤)؛ فيوجب ذلك سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل^(٥)، بينما الصحيح أن الأمر خلاف ذلك؛ إذ كل ما يفعلونه في أعيادهم معصية لله؛ لأنه إما محدث مبتدع، وإما منسوخ^(٦).

قال ابن الحاج^(٧) رحمه الله: "وقد جمع هؤلاء- أي من يحتفل من المسلمين بأعياد أهل الكتاب- بين التشبه بهم فيما ذكر والإعانة لهم على كفرهم، فيزدادون به طغياناً؛ إذ إنهم إذا

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب اللباس- باب تقليد الأظفار- ص ٥٠١ برقم (٥٨٩٢)، ومسلم في صحيحه- كتاب الطهارة- باب خصال الفطرة- ص ٧٢٣ برقم (٢٥٩)، عن ابن عمر.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الصلاة- باب الصلاة في النعل- ص ١٢٧١ برقم (٦٥٢)، وابن حبان في صحيحه ٥٦١/٥ برقم (٢١٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى ٤٣٢/٢، والحاكم في المستدرک ٣٩١/١، عن شداد بن أوس عن أبيه، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٧٦٥).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٦٢.

(٥) شم النسيم ضمن سلسلة أعياد ومواسم ومناسبات أبدلنا الله خيراً منها [٢] ص ١٧.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢١٩.

(٧) المرجع السابق ص ٢٠٨.

(١) هو محمد بن محمد بن محمد أبو عبد الله العبدري الفاسي المصري المالكي المعروف بابن الحاج، من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين، كان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك، مشهوراً بالزهد والخير والصلاح، صنف كتاباً كبيراً في البدع والحوادث سماه المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثّة والعوائد المنتحلة، وهو كتاب حافل بفوائد، جمع فيه علماً غزيراً، توفي سنة ٧٣٧هـ.

رأوا المسلمين يوافقونهم أو يساعدونهم أو هما معا كان ذلك سببا لغبطتهم بدينهم، ويظنون أنهم على حق" (١).

٥- أن في الاحتفال بأعيادهم- على تقدير عدم ورود أمر شرعي بمخالفتهم أو نهي عن الاحتفال بأعيادهم- من باب الابتداع في الدين؛ إذ الأعياد- كما سبق بيانه- من شرائع الدين، يجب فيه الاتباع، ولا يجوز فيه الابتداع (٢). وما من شك أن بدعة أعياد الكفار من الكبائر؛ لأنها تجمع التشبه بالكفار، والابتداع في الدين فكانت أعظم من غيرها (٣).

٦- أن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاتة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة حتى في الأمور الدنيوية مثل تشابه الرجلين في الثياب أو العمامة أو الشعر، وهو شيء يحصل بموجب الطباع ومقتضاها إلا أن يمنع عن ذلك دين أو غرض خاص.

فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاتة فكيف بالمشابهة في أمور دينية، فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاتة أكثر وأشد، والمحبة والموالاتة للكفار تنافي الإيمان كما ورد في النصوص، مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يواد كافرا، فمن واد الكفار فليس بمؤمن، فالمشابهة الظاهرة مظنة المودة فتكون محرمة (٤).

٧- أن مشاركة الكفار في أعيادهم فيها تشجيع أمور الجاهلية وبسط آثارها، وإماتة الشرائع الإسلامية في قلوب الناس، وخير دليل على ذلك ما ذكرته في الصورة الأولى من صور

انظر: الوافي بالوفيات ١/١٨٧، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ١/٣٢٧.

(٢) المدخل تأليف الشيخ محمد بن محمد بن محمد أبي عبد الله العبدري الفاسي المالكي المعروف بابن الحاج ٢/٤٨، دار الفكر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٣) شم النسيم ص ١٧، والأعياد المشروعة والأعياد المنوعة ص ٤٩٢.

(٤) الأعياد المشروعة والأعياد المنوعة ص ٤٩٢.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢١-٢٢٢ بتصرف.

الأعياد التي تشبه المسلمون فيها بغيرهم حيث إن هؤلاء الناس كانوا يشاركون الوثنيين في أعيادهم وقصدتهم في ذلك الرغبة في إحياء ما عليه أجدادهم من العادات والتقاليد السائدة في العصر الجاهلي.

فيتبين لنا من خلال ما سبق أنه لا يجوز للمسلمين مشاركة أهل الكتاب، بل وسائر المشركين في أعيادهم، سواء كانت هذه المشاركة بالاحتفال بها أو بإظهار الفرح والسرور بقدمها، أو بتهنئة أهل هذه الأعياد بحلولها، أو بإهدائهم الهدايا فيها، أو بأداء بعض الشعائر التي يؤديونها فيها، أو بإعانتهم عليها بأي وجه من الوجوه، فكل هذا حرام.

وكيف يسوغ للمسلم أن يشارك أهل الكتاب في أعيادهم وهي إما أعياد ابتدعوها، أو تكون أصولها من أديانهم المحرفة، وفي كلتا الحالتين شر، بل كيف يشاركونهم المسلم في أعيادهم وقد أبدلنا الله خيرا منها بأعياد شرعية يستحب لنا الاحتفال بها، بإظهار الفرح والسرور، والتوسعة على الأهل والأولاد، والتزين والتطيب، ولبس أجمل الثياب، وأكل أطيب الطعام.

فواجب المسلم تجاه هذه الشعيرة العظيمة التمسك بما جاء عن الله تعالى وأرشد إليه رسوله الكريم- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- والحذر من بدع أهل الإشراك وضلالاتهم، ﴿

وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران: ١٠١).

شبه وردود

الشبهة الأولى:

قولهم بأن ما يقومون به في هذه الأعياد كله من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى الله، قد دعت إليها الشريعة وأمر به الإسلام.

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

١- إن تخصيص أيام وليال بعبادة معينة لم يخصصها بها الشرع المطهر يعتبر من تشريع ما لم يأذن به الله؛ وذلك أن القيام بهذا التخصيص لم يحصل إلا بعد أن تقر في القلب بأن تلك الأيام والليالي أفضل من غيرها، ووجود مثل هذا الاعتقاد ثم العمل به في الواقع يحتاج إلى

دليل، ولما لم يمكنهم الإتيان بأي دليل فيدخل عملهم هذا في من ذمهم الله في قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (الشورى: ٢١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كل ما يختص به ذلك اليوم من عبادة وعادة فإنما سببه هو كونه يوما مخصوصا، وإلا فلو كان كسائر الأيام لم يختص بشيء، وتخصيصه ليس من دين الإسلام في شيء بل هو كفر به"^(١).

٢- إن كل عمل يراد به التقرب إلى الله تعالى ينبغي أن يكون أولا مما شرع الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله- صلى الله عليه وسلم، وأن يكون ثانيا مؤدى على نحو ما أداه عليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مراعى فيه كميته أي عدده بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وكيفيته بحيث لا يقدم فيه بعض أجزائه ولا يؤخر، وزمانه بحيث لا يفعله في غير الوقت المحدد له، ومكانه فلا يؤديه في غير المكان الذي عينه الشارع له، وسببه بحيث لا يكون عمله مقرونا بسبب ليس شرعيا، وجنسه بحيث لا يكون عمله مما لم يشرع جنسه، وأن يريد به فاعله وجه الله وطلب مرضاته^(٢). وما من شك أن الذين يقيمون الأعياد غير المشروعة ويحتفلون بها وإن كان بعض ما يقومون به في هذه الأعياد من الأعمال الصالحة المشروعة ويقصدون بها التقرب إلى الله تعالى لكن لما قرنوا عباداتهم هذه بأسباب لم تثبت شرعا صارت من البدع الإضافية.

٣- إن الأصل الذي يبنون عليه أعمالهم في هذه الأعياد هو تعظيم أيام وليال لم يعظمها الشرع، أو تعظيم أيام وليال معظمة في الشرع لكن بوجه غير ما عظمها به، وهو أصل باطل؛ لأنه لا دليل لهم في هذا التعظيم، "وإذا بطل الأصل بطل الفرع المبني عليه"^(٣).

الشبهة الثانية:

دعوى النوايا الحسنة في تعظيم تلك الأيام والليالي وجعلها أعيادا يحتفل بها.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٨.

(٢) الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف (ضمن رسائل الجزائري الثالثة ص ٢٣٤-٢٣٥).

(٣) المهذب في فقه الإمام الشافعي تأليف إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبي إسحاق ٢/٣٣٨، دار الفكر- بيروت، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج محمد الخطيب الشربيني ١/٩٥، دار الفكر- بيروت.

إن الذين يدعون بأن نواياهم حسنة في تخصيص أيام وليال بعبادات معينة لم يخصصها بها الشرع، ويجعلون هذه الأزمنة والأمكنة أعيادا ومواسم لا دليل عليها من الدين، إن هؤلاء الناس كانوا يستدلون على باطلهم بالحديث الشريف: (إنما الأعمال بالنيات)^(١) ظلما وجهلا.

ويمكن الرد على هذه الشبهة من وجوه:

١- أنه لا يجوز الاستدلال بهذا الحديث على تسويغ باطل العمل ومحدثه بمجرد أن نية صاحبه حسنة؛ لأن قوله- صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات) جاء لبيان أحد الأصلين اللذين تقوم عليهما العبادة، وهو الإخلاص في العمل، والصدق في الباطن، حتى لا يكون لغير الله شائبة فيه.

والأصل الثاني: موافقة هذا العمل للسنة، الذي يدل عليه حديث: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٢)(٣).

فأي عمل يقوم به العبد مهما حسنت فيه نيته فإنه لن يكون مقبولا ولن ينفع صاحبه إلا إذا توفر فيه هذان الشرطان: الإخلاص والمتابعة.

"فمن أخلص أعماله لله، متبعا في ذلك رسول الله- صلى الله عليه وسلم؛ فهذا الذي عمله مقبول، ومن فقد الأمرين أو أحدهما؛ فعمله مردود، داخل في قول الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣)"^(٤).

٢- ثم ليعلم بأن حسن نية العامل لا يحسن العمل القبيح، فالعمل الذي يبتغى به وجه الله تعالى لا بد أن يكون مشروعاً؛ لأن الله تعالى طيب، لا يقبل إلا طيباً.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب بدء الوحي- باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم...- ص ١ برقم (١) عن عمر بن الخطاب.

(٣) سبق تخرجه ص ٤٣.

(٤) انظر: علم أصول البدع: دراسة تكميلية مهمة في علم أصول الفقه تأليف علي بن حسين بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ص ٦٠، ط/الثانية ١٤١٧ هـ، دار الراجحة للنشر والتوزيع- الرياض.

(١) بحجة قلوب الأبرار وقرعة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار تأليف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ١٠، تحقيق هشام بن محمد سعيد آل برغش، ط/الأولى ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م، دار الوطن للنشر- الرياض..

قال الإمام النووي رحمه الله في معنى حديث (إنما الأعمال بالنيات...): "معنى الحديث: لا تصح الأعمال الشرعية إلا بالنية"^(١).

٣- وفي حالة افتراض وجود بعض الخير في هذه الأعياد والاحتفالات - ولا خير يذكر في البدعة بعد التصريح من الشارع بأن كلها ضلالة - فإنه لا يعد مبررا لإقامتها بعد معرفة ذلك البحر الخضم من الشر الذي ينتج عنها، والقاعدة الأصولية تقول: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح^(٢)، وهذا في حالة التعادل بين المصالح والمفاسد، فكيف إذا كانت المفاسد أكبر بكثير من المصالح، بل ربما لا توجد أية مصلحة. فدعوى النوايا الحسنة غير مقبولة في عمل لا ترجى منه أية منفعة دنيوية أو أخروية.

ومن المفاسد التي تحدث أثناء هذه الأعياد والاحتفالات وخاصة المولد النبوي ومواليد المشايخ:

(أ) اختلاط الرجال بالنساء والتصاق أجسادهم ببعضها ببعض، ورقص الفتيات مع الشباب الأجانب.

(ب) الإسراف في التوسعة على أنفسهم في المأكولات والمشروبات وصنع الزينات، وتباهي الناس في ذلك، ومفاخرة بعضهم بعضا.

(ج) إلقاء القصائد الشعرية في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - أو من يحتفل بمولده، تشتمل غالبا على عبارات الغلو والإفراط في تعظيم المحتفل بمولده.

(د) دعوات تحمل ألفاظ التوسلات غير المشروعة مثل التوسل بجاه الأولياء والمشايخ وحقهم، وأدعية تتضمن كلمات شركية مثل الاستغاثة بالأموات، وسؤالهم الرزق والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وغير ذلك من أنواع الطلبات. فلا غرابة فيما يقوم به هؤلاء فإن أكثرهم من عوام الناس وغلاة المتصوفة.

(٢) بستان العارفين للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي ص ٢٦، اعتنى به وعلق عليه محمد الحجار، ط/الرابعة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار البشائر الإسلامية - بيروت.

(٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل تأليف عبد القادر بن بدران الدمشقي ص ٢٩٨، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/الثانية ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت، وأصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل تأليف محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ٤٢٤، تحقيق القاضي حسين بن أحمد السياغي والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل، ط/الأولى ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

(هـ) الرقص والتمايل، وضرب الدفوف وقرع الطبول، والإلحاد في أسماء الله وصفاته أثناء ما يسمى بالذكر، وكل هذا لا بد منه أثناء الاحتفال بالمولد عند التجانية والقادرية. وغير ذلك من المنكرات التي تفوق الوصف.

٤- إن بعض هذه الأعياد منشؤها من غير المسلمين، ففيها التشبه بأعداء الله، وقد نهيت الأمة الإسلامية عن ذلك. فكيف تكون للمسلم نية حسنة في القيام بما يخالف أمر رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه، وقد قال الباري جل وعلا: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ - أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣).

الشبهة الثالثة:

قولهم بأن محبة الرسول- صلى الله عليه وسلم- من الإيمان وأن الاحتفال بالمولد النبوي أقوى دليل وأوضح علامة على إظهار محبته وإحياء ذكره.

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

١- لا خلاف في كون محبة الرسول- صلى الله عليه وسلم- من الإيمان، فإن ذلك أمر مسلم ومفروغ منه، فمحبة الرسول- عليه الصلاة والسلام- من الإيمان كما أن بغضه كفر، قال- صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)^(١). فلا خلاف في هذا الأمر، وإنما الخلاف في علامات إظهار تلك المحبة وطرق تحقيقها.

٢- أن محبة الرسول- صلى الله عليه وسلم- عبادة، "والأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى ورسوله"^(٢)، فلا يمكننا أن نعرف كيف نحب الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلا عن طريق ما أمر به الله جل وعلا وأرشد إليه رسوله- عليه الصلاة والسلام. والاحتفال بالمولد النبوي لم يأمر الله به ولم يؤثر عن النبي- صلى الله عليه وسلم، ولا عن صحابته، ولا التابعين وتابعيهم، ولا علماء الأمة المشهورين؛ كالأئمة الأربعة ونحوهم، "ولو

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الإيمان- باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان- ص ٣ برقم (١٥) ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين...- ص ٦٨٨ برقم (٤٤) عن أنس بن مالك.

(٢) الفتاوى الكبرى ٥/٤، وإعلام الموقعين ٣/٤٤١، وأحكام أهل الذمة ٧١٥/٢.

كان خيرا محضا أو راجحا لكان هؤلاء السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعظيما له منا، وهم على الخير أحرص" (١).

٣- أن حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - مقيد بضوابط تحكمه، ومحدد بعلامات تؤكد صدقه، وآثار تظهر على من اتصف به، وهذه العلامات والمظاهر كثيرة، منها:

(أ) الاقتداء به - صلى الله عليه وسلم، واتباع أقواله وأفعاله، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه. وقد جعل الله اتباع نبيه - صلى الله عليه وسلم - دليلا على حبه سبحانه، فهو من باب أولى دليل على حب النبي - صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١).

(ب) تعظيمه - صلى الله عليه وسلم - وتوقيره، والتأدب بآدابه. وتعظيم النبي - صلى الله عليه وسلم - هو ما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتمام التوقير، وهو من أعظم مظاهر حبه، ومن أكد حقوقه - صلى الله عليه وسلم - على أمته، كما أنه من أعظم واجبات الدين.

(ج) كثرة تذكره - صلى الله عليه وسلم؛ لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

(د) محبة من أحب النبي - صلى الله عليه وسلم - من أهل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار، وعداوة من عاداهم، وبغض من أبغضهم، فمن أحب شيئا أحب من يحبه. قال - عليه الصلاة والسلام: (الله في أصحابي، الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا) (٢) بعدي،

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٥.

(١) الغرض: شدة النزاع نحو الشيء، أو الهدف، أي: لا تتخذوا أصحابي هدفا ترموهم بقبيح الكلام كما يرمى الهدف بالسهم.

يراجع: النهاية في غريب الحديث والأثر ٦٦٤/٣ مادة (غرض)، وتحفة الأحمدي ٢٤٧/١٠، وفيض القدير

.٩٨/٢

فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه^(١).

(هـ) ومن علامات محبته - صلى الله عليه وسلم - أن يحب المرء القرآن الذي أنزل عليه ويجب سنته ويقف عند حدودها، ويجب الداعين إلى سنته^(٢).

وإذا استعرضنا هذه العلامات، وجدنا أن الذين ابتدعوا الاحتفال بالمولد النبوي لم تظهر عليهم أية علامة من هذه العلامات، ولم يتصفوا بشيء منها، بل كانوا يتصفون بضعها. فلم يقتدوا به - صلى الله عليه وسلم - في القول والعمل، ولم يمتثلوا أمره بلزوم السنة، ونهيه عن الإحداث في الدين، بل اطرحوا سنته جانبا، وقدموا ما تھوى أنفسهم وما يشتهونه على ما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم، واشتغلوا بالمعاصي والمذات عن ذكره - صلى الله عليه وسلم^(٣).

٤ - أما كون الاحتفال بالمولد النبوي من باب الذكرى للرسول - عليه الصلاة والسلام. فإننا نقول: إن المسلمين قد فرض على أعيانهم أن يذكروا نبيهم - صلى الله عليه وسلم - في اليوم والليلة خمس مرات على الأقل، وفرض على الكفاية أن يذكروه أيضاً خمس مرات في اليوم والليلة على الأقل، فالأذان يقول المسلمون فيه: أشهد أن محمداً رسول الله، وفي الصلاة في التشهد يقولون: أشهد أن محمداً عبده ورسوله، بل إن كل عبادة يتعبد بها الإنسان فهي ذكرى للرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن المتعبد يجب عليه أن يلاحظ في عبادته شيئين:
الأول: الإخلاص لله عز وجل، وأنه فعل العبادة تقرباً إليه، وامتنالاً لأمره.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب المناقب - باب ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة - ص ٢٠٤٧ برقم (٣٨٦٢)، وأحمد في مسنده ٥٤، ٥٧/٥، والبيهقي في شعب الإيمان ١٩١/٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٨٧/٨، عن عبد الله بن مغفل، وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٢٩٠١).

(٣) حجة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع تأليف عبد الرؤوف محمد عثمان ص ٦٥ وما بعدها، طبع تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، الرياض ١٤١٤ هـ، والبدع الحولية إعداد عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري ص ١٩٢-١٩٣، ط/الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، دار الفضيلة - الرياض.

(١) البدع الحولية ص ١٩٤.

الثاني: المتابعة للرسول - عليه الصلاة والسلام، وأنه فعل العبادة اتباعاً للرسول - صلى الله عليه وسلم، وكأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمامه فيها لتتم هذه العبادة، حتى لو تسوك الإنسان اتباعاً للسنة فهذه ذكرى، ولو قدم رجله اليمنى عند دخول المسجد اتباعاً للسنة فهذه ذكرى، ولو قدم إدخال يده اليمنى في الكم قبل اليسرى اتباعاً للسنة فهذه ذكرى. فالمسلمون في كل أحوالهم يذكرون النبي - صلى الله عليه وسلم، أما الذكرى بهذه الطقوس المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان فإنها تدمر أكثر مما تعمر؛ لأن القلب يجد فراغاً واسعاً عندما تنتهي هذه المناسبة، أو الاحتفال بهذه المناسبة، ولهذا فإنه من حكمة الله أنه ما من بدعة تقام إلا وينهدم من السنة مثلها أو أكثر^(١).

الشبهة الرابعة:

قولهم بأن تخصيص هذه الأيام والليالي بالاحتفالات يفعل على سبيل العادة، فالمولد النبوي والهجرة النبوية يحتفل بهما إحياءاً لذكريات عزيزة؛ ليكون سبباً للخير وموجباً للشكر، ولم يقصد بهذه الاحتفالات التدين، ولم يرد إحداث شيء في الدين.

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

١- إن مسألة الأعياد من المسائل الشرعية التعبدية؛ لأنها من جملة الشرع والمناهج والمناسك التي قال الله فيها: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ (الحج: ٦٨)، وقال: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاً﴾ (المائدة: ٤٨)^(٢)، فدعوى عدم إرادة التدين بإقامة الأعياد والاحتفال بها غير مقبولة، وإذا ثبت ذلك فلا يجوز الابتداع في مسألة الأعياد كغيرها من مسائل الدين، لا بالزيادة ولا بالنقص، ولا يجوز إحداث أعياد غير ما شرعه الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم.

(٢) الشرح المتمع على زاد المستقنع ١١٣/٥.

(١) اقتضاء الصراط ص ٢٠٧.

٢- قولهم بأن هذه الأعياد والاحتفالات تقام على سبيل العادة لا على سبيل التدين مجرد كذب ومحاولة منهم للتغطية على حقيقة ما يقومون به، بل الصحيح أنهم يقيمون تلك الأعياد والاحتفالات على سبيل التدين، ومما يدل على ذلك:

(أ) أن تلك الأعياد تقام باسم الدين وإظهار عظمة الإسلام وأهله، كما قال صاحب كتاب المرأة الصافية وهو يصف موكب الشيخ محمد ناصر الكبرى أثناء الاحتفال بمولده: "... حتى إن بعض رؤساء الدول العربية يوفدون ممثلهم لمشاركة ذلك المظهر العظيم الذي يظهر فيه روح التضامن الإسلامي والوحدة الإسلامية والوئام التام"^(١).

(ب) وجود أيام وليال جعلوها أعيادا ومواسم وأهم ما يفعلون فيها هو تخصيصها بأنواع من العبادات مثل النوافل والصيام والدعاء، كما أنهم يتقربون إلى الله بعبادات أخرى على وجه غير مشروع مثل الذكر الجماعي، والخلط بين قراءة القرآن الكريم وقراءة الأشعار بألحان مختلفة عند الاحتفال بالمولد النبوي وعند زيارة قبور المشايخ، أليس في هذه كلها قصد التعبد والتقرب إلى الله؟.

(ج) وأظهر ما يفند مقولتهم تلك ما يتكرر بينهم ويقوله بعضهم لبعض بعد الانتهاء من هذه الأعياد والاحتفالات، وهو قولهم: تقبل الله منا ومنكم، وهذا أقوى دليل وأوضح حجة على أنها تفعل على سبيل العبادة، فتحتاج إلى دليل ولا دليل لهم.

٣- ولو سلمنا جدلا بأن هذه الأعياد تفعل على سبيل العادة لا على سبيل التدين، إلا أن "العادات الأصل فيها العفو والإباحة، فلا يحظر منها إلا ما حرمه الله"^(٢)، ولما وجد نص صحيح صريح يمنع من اتخاذ أيام وليال أعيادا غير ما ورد في الشرع سواء على سبيل العادة أو على سبيل العبادة علمنا إذن بأن دعوى الاحتفال بهذه الأعياد وإقامتها على سبيل العادة غير مقبولة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: (ما هذان اليومان؟) قالوا: كنا نلعب فيهما في

(٢) المرأة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية ص ٩٨-٩٩.

(١) الفتاوى الكبرى ٥/٤.

الجاهلية، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر)^(١).

فمما يفيد الحديث عدم إقرار النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل المدينة على الاحتفال باليومين اللذين كانوا يحتفلون بهما لكونهما من أعياد غير المسلمين؛ إذ كانت العادة الاحتفال بهما في الجاهلية^(٢).

الفصل السادس

أحكام الميت والقبور

المبحث الأول

الهدي النبوي في أحكام الميت والقبور

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى^(٣): كان هديه - صلى الله عليه وسلم - في الجنائز أكمل الهدي مخالفا لهدي سائر الأمم، مشتملا على الإحسان إلى الميت، ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وعلى إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يعامل به الميت، وكان من هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال والإحسان إلى الميت وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها، ووقوفه ووقوف

(٢) سبق تخرجه ص ٤٣٣.

(٣) شم النسيم ص ١٥.

(١) زاد المعاد ١/٤٧٩-٥٠٨ بتصرف.

أصحابه صفوفًا يحمدون الله ويستغفرون له ويسألون له المغفرة والرحمة والتجاوز عنه، ثم المشي بين يديه إلى أن يودعوه حفرته، ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه.

فأول ذلك: تعاوده في مرضه وتذكيره الآخرة وأمره بالوصية والتوبة وأمر من حضره بتلقيه شهادة أن لا إله إلا الله^(١) لتكون آخر كلامه، ثم النهي عن عادة الأمم التي لا تؤمن بالبعث والنشور من لطم الخدود وشق الثياب^(٢) وحلق الرؤوس ورفع الصوت بالندب والنياحة^(٣).

وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - تعزية أهل الميت، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء^(٤) ويقرأ له القرآن لا عند قبره ولا غيره، وكل هذا بدعة حادثة مكروهة، وكان من هديه: السكون والرضى بقضاء الله والحمد لله والاسترجاع^(٥)، ويبرأ ممن خرق لأجل المصيبة ثيابه أو

(٢) لقوله صلى الله عليه وسلم: (لقتوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنه من كان آخر كلمته لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه) رواه ابن حبان في صحيحه ٢٧٢/٧ عن أبي هريرة، وصححه الألباني في تلخيص أحكام الجنائز برقم (١٣)، وتلقين المحتضر كلمة التوحيد هو أمره أن يقولها، والدليل على ذلك حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من الأنصار فقال: (يا خال! قل لا إله إلا الله)، فقال: أم عم؟ فقال: (لا بل خال)، قال: فخير لي أن أقول لا إله إلا الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، أخرجه أحمد في مسنده ١٥٤/٣ بإسناد صحيح على شرط مسلم، انظر: أحكام الجنائز وبدعها تأليف محمد ناصر الدين الألباني ص ٢٠.

(١) ومما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)، أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز - باب ليس منا من شق الجيوب - ص ١٠١ برقم (١٢٩٤).

(٢) والنياحة من أمر الجاهلية ومن كبائر الذنوب لما رواه أبو مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب). أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجنائز - باب التشديد في النياحة - ص ٨٢٤ برقم (٩٣٤).

(٣) الاجتماع للعزاء ليس من هدي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وصحابته الكرام؛ لأن المقصود بالتعزية ليست التهنية وإنما المقصود بها تقوية الإنسان على الصبر.

(٤) لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٥﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧).

رفع صوته بالنندب والنياحة أو حلق لها شعره^(١)، وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - أن أهل الميت لا يتكفون الطعام للناس بل أمر أن يصنع الناس لهم طعاما يرسلونه إليهم^(٢)، وهذا من أعظم مكارم الأخلاق والشيم والحمل عن أهل الميت؛ فإنهم في شغل بمصائبهم عن إطعام الناس، وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - ترك نعي الميت بل كان ينهى عنه^(٣) و يقول: (هو من عمل الجاهلية)، وقد كره حذيفة رضي الله عنه أن يعلم به أهله الناس إذا مات وقال: أخاف أن يكون من النعي.

(٥) روي في براءة النبي صلى الله عليه وسلم ممن يفعل هذه الأمور حديث أبي بردة بن أبي موسى قال: (وجع أبو موسى وجعا فغشي عليه، ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: أنا بريء مما برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاققة)، أخرجه البخاري برقم (١٢٩٦)، ومسلم برقم (١٠٤).

(٦) كون أهل الميت يتكفون صنعة الطعام لضيفة الواردين للعزاء بدعة نتج عن بدعة أخرى ألا وهي جلوس أهل الميت واجتماعهم لقبول التعزية من الناس، ولو صبروا وحمدوا الله وشكروه على ما قدر وسألوه الإعانة على تحمل المصيبة ثم انصرفوا في قضاء حوائجهم ما وجدوا من يجتمع عندهم حتى يضطروا إلى تجهيز الطعام لضيفاتهم، ولما تركوا ما عليه السلف من عدم انتظار من يأتي لتعزية المصاب تحول الأمر إلى ما نراه اليوم، والذي ينبغي لأهل الميت الانصراف إلى حوائجه ويعزيه من يقابله من إخوته أو جيرانه سواء في الطريق أو في المسجد أو في السوق، ولا يصنع الطعام لمعزيه؛ لأن ذلك بدعة ومنكر ومن أمر الجاهلية وإنما "السنة أن يصنع أقرباء الميت وجيرانه لأهل الميت طعاما يشبعهم، لحديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اصنعوا لأهل جعفر طعاما، فقد أتاهم أمر يشغلهم) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه " أحكام الجنائز وبدعها للألباني ص ٢١١.

(١) ثبت عن حذيفة بن اليمان أنه كان إذا مات له الميت قال: لا تؤذونا به أحدا، إني أخاف أن يكون نعيًا، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي، أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه وأحمد. قال الحافظ ابن حجر في الفتح عند حديثه عن نعي الميت: "قال ابن العربي: يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات، الأولى: إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح، فهذا السنة. الثانية: دعوة الحفل للمفاخرة، فهذه تكره. الثالثة: الإعلام بنوع آخر كالنياحة ونحو ذلك، فهذا يجرم". وهذه الحالة الثالثة هي المقصودة بالنعي المنهي عنه عند العلماء وهو نعي الجاهلية الذي إذا توفي الرجل ركب رجل دابة ثم صاح في الناس على أبواب البيوت والأسواق أنعى فلانا، أما إعلان الوفاة إذا لم يقتنر به ما يشبه نعي الجاهلية فهذا جائز، بل قد يجب إذا لم يكن عند الميت من يقوم بحقه من الغسل والتكفين والصلاة عليه ونحو ذلك؛ فقد ثبت عن أبي هريرة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلى، فصف بهم وكبر أربعاً)، والحديث أخرجه الشيخان وغيرهما. انظر: فتح الباري ١٥١/٣، أحكام الجنائز وبدعها للألباني ص ٤٤-٤٥.

وسن الخشوع للميت والبكاء الذي لا صوت معه وحزن القلب، وكان يفعل ذلك ويقول: (تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب)^(١)، وسن لأتمته الحمد والاسترجاع والرضى عن الله، ولم يكن ذلك منافيا لدمع العين وحزن القلب؛ ولذلك كان أرضى الخلق عن الله في قضائه وأعظمهم له حمدا، وبكى مع ذلك يوم موت ابنه إبراهيم رافة منه، ورحمة للولد، ورقة عليه، والقلب ممتلى بالرضى عن الله عز وجل وشكره، واللسان مشغول بذكره وحمده.

وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - الإسراع بتجهيز الميت إلى الله وتطهيره وتنظيفه وتطيبه وتكفينه في الثياب البيض ثم يؤتى به إليه فيصل عليه، وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - تسجية الميت إذا مات وتغميض عينيه وتغطية وجهه وبدنه^(٢)، وكان ربما يقبل الميت كما قبل عثمان بن مظعون وبكى، وكذلك الصديق أكب عليه فقبله بعد موته - صلى الله عليه وسلم.

وكان يأمر بغسل الميت ثلاثا أو خمسا أو أكثر بحسب ما يراه الغاسل ويأمر بالكافور في الغسلة الأخيرة، وكان لا يغسل الشهداء قتلى المعركة، وذكر الإمام أحمد أنه نهى عن تغسيلهم، وكان ينزع عنهم الجلود والحديد ويدفنهم في ثيابهم ولم يصل عليهم، وكان إذا مات المحرم أمر أن يغسل بماء وسدر ويكفن في ثوبيه وهما ثوبا إحرامه: إزاره ورداؤه، وينهى عن تطيبه وتغطية رأسه، وكان يأمر من ولي الميت أن يحسن كفنه ويكفنه في البياض وينهى عن المغالاة في الكفن، وكان إذا قصر الكفن عن ستر جميع البدن غطى رأسه وجعل على رجله من العشب.

وكان إذا قدم إليه ميت يصلي عليه سأل: (هل عليه دين أم لا؟)، فإن لم يكن عليه دين صلى عليه، وإن كان عليه دين لم يصل عليه وأذن لأصحابه أن يصلوا عليه؛ فإن صلاته شفاعا، وشفاعته موجبة، والعبد مرتهن بدينه ولا يدخل الجنة حتى يقضى عنه، فلما فتح الله عليه كان يصلي على المدين ويتحمل دينه ويدع ماله لورثته^(٣)، ومقصود الصلاة على الجنائز:

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إنا بك لمخزون، ومسلم برقم (٢٣١٥) عن أنس بن مالك.

(١) هذه كلها من حقوق الميت على الحاضرين بعد وفاته، نص على ذلك الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في أحكام الجنائز وبدعها ص ٢٢.

(٢) مما يدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدين

هو الدعاء للميت؛ لذلك حفظ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ونقل عنه ما لم ينقل من قراءة الفاتحة والصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم .

وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - إذا فاتته الصلاة على الجنازة صلى على القبر، فصلى مرة على قبر بعد ليلة، ومرة بعد ثلاث، ومرة بعد شهر، ولم يوقت في ذلك وقتاً، ومنع منها مالك وأبو حنيفة رحمهما الله إلا للولي إذا كان غائباً، وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقوم عند رأس الرجل ووسط المرأة.

وكان - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى على ميت تبعه إلى المقابر ماشياً أمامه، وهذه كانت سنة خلفائه الراشدين من بعده، وسن لمن تبعها إن كان راكباً أن يكون وراءها، وإن كان ماشياً أن يكون قريباً منها إما خلفها أو أمامها أو عن يمينها أو عن شمالها، وكان يأمر بالإسراع بها حتى إن كانوا ليرملون بها رملاً، وأما ديبب الناس اليوم خطوة خطوة فبدعة مكروهة مخالفة للسنة ومتضمنة للتشبه بأهل الكتاب واليهود، وكان أبو بكر يرفع السوط على من يفعل ذلك ويقول: لقد رأيتنا ونحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نرمل رملاً، وكان يمشي إذا تبع الجنازة ويقول: (لم أكن لأركب والملائكة يمشون)^(١)، فإذا انصرف عنها فرمى مشياً وربما ركب.

ولم يكن من هديه وسنته - صلى الله عليه وسلم - الصلاة على كل ميت غائب، فقد مات خلق كثير من المسلمين وهم غيب فلم يصل عليهم، وصح عنه أنه صلى على النجاشي صلواته على الميت، فاختلف الناس في ذلك على ثلاثة طرق، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصواب أن الغائب إن مات ببلد لم يصل عليه فيه صلي عليه صلاة الغائب كما صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - على النجاشي؛ لأنه مات بين الكفار ولم يصل عليه، وإن صلي عليه حيث مات لم يصل عليه صلاة الغائب؛ لأن الفرض قد سقط بصلاة المسلمين عليه، والنبي -

فيسأل: (هل ترك لدينه من قضاء؟) فإن حدث أنه ترك وفاء صلى عليه، وإلا قال: (صلوا على صاحبكم)، فلما فتح الله عليه الفتوح قال: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالا فهو لورثته) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٦١٩).

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الجنائز - باب الركوب في الجنازة - ص ١٤٦٢ برقم (٣١٧٧)، والحاكم في المستدرک ٥٠٧/١، والبيهقي في السنن الكبرى عن ثوبان، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

صلى الله عليه وسلم - صلى على الغائب وتركه، وفعله وتركه سنة، وهذا له موضع، وهذا له موضع، والله أعلم.

وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - ألا يدفن الميت عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا حين يقوم قائم الظهر، وكان من هديه للحد وتعميق القبر وتوسيعه من عند رأس الميت ورجليه، ويذكر عنه أنه كان إذا وضع الميت في القبر قال: (بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله)^(١) وفي رواية: (بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله)، ويذكر عنه أيضا أنه كان يثثوا التراب على قبر الميت إذا دفن من قبل رأسه ثلاثا، وكان إذا فرغ من دفن الميت قام على قبره هو وأصحابه وسأل له التثيت وأمرهم أن يسألوا له التثيت^(٢)، ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر ولا يلقن الميت^(٣) كما يفعله الناس اليوم.

ولم يكن من هديه - صلى الله عليه وسلم - تغطية القبور ولا بناؤها بآجر ولا بحجر ولبن ولا تطيينها ولا بناء القباب عليها^(٤)، فكل هذا بدعة مكروهة مخالفة لهديه - صلى الله عليه وسلم، وقد بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن ألا يدع تمثالا إلا طمسه ولا قبرا

(٢) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الجنائز - باب ما جاء ما يقول إذا أدخل الميت القبر - ص ١٧٥٢ برقم (١٠٤٦)، وابن ماجه في سننه - كتاب الجنائز - باب ما جاء في إدخال الميت القبر - ص ٢٥٦٩ برقم (١٥٥٠)، وأحمد في مسنده ٢٧/٢، وابن حبان في صحيحه ٣٧٥/٧، والطبراني في المعجم الأوسط ٢٢٨/٧ عن ابن عمر، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٨٩٢٧).

(١) ثبت عن عثمان بن عفان أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: (استغفروا لأحبيكم، وسلوا له التثيت، فإنه الآن يسأل) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٣٢٢١)، والحاكم في المستدرک ٥٢٦/١، والبيهقي في السنن الكبرى ٥٦/٤، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) لم يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ القرآن على روح الأموات، ولم يكن يلقن الميت كما عرف عند الناس اليوم؛ لأن الحديث الوارد في ذلك لم يصح، ويجوز الجلوس عند القبر أثناء الدفن بقصد تذكير الحاضرين بالموت وما بعده لحديث البراء بن عازب الطويل، انظر: الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات للألوسي ص ٩١، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/الرابعة، المكتب الإسلامي - بيروت، وأحكام الجنائز وبدعها ص ١٩٧-١٩٨.

(٣) لا يجوز البناء على القبور لأنه بدعة، وهو أيضا من باب الغلو في تعظيم من دفن في ذلك القبر؛ فيكون من الوسائل المؤدية إلى الشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما بناء المساجد على القبور وتسمى مشاهد فهذا غير سائغ بل جميع الأمة ينهون عن ذلك" مجموع الفتاوى ٣١٨/٢٤، ويستحب رفع القبر عن الأرض قدر شبر أو قريبا منه لما رواه جابر بن عبد الله (أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى ونصب عليه اللبن نصبا ورفع قبره من الأرض نحو من شبر) أخرجه ابن حبان والبيهقي.

مشرفاً إلا سواه، فسنته - صلى الله عليه وسلم - تسوية هذه القبور المشرفة كلها، ونهى أن يخصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه^(١)، وكانت قبور أصحابه لا مشرفة ولا لاطئة، وهكذا كان قبره الكريم وقبر صاحبيه، فقبره - صلى الله عليه وسلم - مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مطين، وهكذا كان قبر صاحبيه، وكان يعلم قبر من يريد تعرف قبره بصخرة.

ونهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها، واشتد نهي في ذلك حتى لعن فاعله^(٢)، ونهى عن الصلاة إلى القبور، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً، ولعن زوارات القبور، وكان هديه ألا تهان القبور وتوطأ، وألا يجلس عليها ويتكأ عليها ولا تعظم بحيث تتخذ مساجد فيصلى عندها وإليها وتتخذ أعياداً وأوثاناً.

أما هديه - صلى الله عليه وسلم - في زيارة القبور فهو أنه كان إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم، وهذه هي الزيارة التي سنها لأُمَّته وشرعها لهم، وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية)^(٣).

وكان هديه أن يقول ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت من الدعاء والترحم والاستغفار، فأبى المشركون إلا دعاء الميت، والإشراك به، والإقسام على الله به، وسؤاله الحوائج، والاستعانة به، والتوجه إليه، بعكس هديه - صلى الله عليه وسلم - فإنه هدي

(٤) على الرغم من اختلاف العلماء في هذه المسألة على قولين إلا أن الراجح هو تحريم الكتابة على القبر؛ لأن هذا هو الذي دل عليه الدليل مثل حديث جابر بن عبد الله قال: (نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تخصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن توطأ) وفي رواية: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب على القبر شيء) أخرجه والترمذي برقم (١٠٥٢) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه برقم (١٥٦٣) عن جابر. وانظر: أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية ص ١٧٣-١٧٩.

(١) اتخاذ القبور مساجد حرام، وردت فيه أحاديث صحيحة صريحة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد..) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٤٤١)، ومسلم في صحيحه برقم (٥٢٩) عن عائشة، وقوله عليه الصلاة والسلام: (أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٣٤١)، ومسلم في صحيحه برقم (٥٢٨) عن عائشة.

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٥.

توحيد وإحسان إلى الميت، وهدى هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت، وهم ثلاثة أقسام: إما أن يدعوا الميت أو يدعوا به أو عنده، ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد، ومن تأمل هدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه تبين له الفرق بين الأمرين.

وكان في أول الإسلام قد نهي عن زيارة القبور صيانة لجانب التوحيد وقطعا للتعلق بالأموال وسدا لذريعة الشرك التي أصلها تعظيم القبور وعبادتها كما قال ابن عباس، فلما تمكن التوحيد من قلوبهم، واضمحل الشرك، واستقر الدين، أذن في زيارة يحصل بها مزيد الإيمان وتذكير ما خلق العبد له من دار البقاء، فأذن حينئذ فيها، فكان نهيها للمصلحة وإذنه فيها للمصلحة.

وأما النساء فإن هذه المصلحة وإن كانت مطلوبة منهن لكن ما يقارن زيارتهن من المفساد التي يعلمها الخاص والعام من فتنة الأحياء وإيذاء الأموات، والفساد الذي لا سبيل إلى دفعه إلا بمنعهن منها أعظم مفسدة من مصلحة يسيرة تحصل لهن بالزيارة، والشريعة مبناها على تحريم الفعل إذا كانت مفسدته أرجح من مصلحته، ورجحان هذه المفسدة لا خفاء به، فمنعهن من الزيارة من محاسن الشريعة^(١).

وقد روى البيهقي وغيره من حديث محمد بن الحنفية عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في جنازة فرأى نسوة جلوسا فقال: ما يجلسكن؟ فقلن: الجنازة، فقال: (أتحملن فيمن يحمل؟) قلن: لا، قال: (فتدلين فيمن يدلي؟)، قلن: لا، قال: (فتغسلن فيمن يغسل؟)، قلن: لا، قال: (فارجعن مأزورات غير مأجورات)^(٢)، وفي رواية: (فتحشين فيمن يحشو)^(٣) ولم يذكر الغسل.

(١) زيارة القبور للنساء محرمة تحريما مطلقا للأحاديث الواردة في لعن زوارات القبور، فقد جاء في ذلك ثلاثة أحاديث، الأول: حديث أبي هريرة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور) أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان، الثاني: حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان، الثالث: حديث حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور) أخرجه ابن ماجه والحاكم والبيهقي والإمام أحمد.

(٢) رواه البيهقي في سننه ٧٧/٤ عن علي بن أبي طالب، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٩/٣ برقم (٤١٢٤).

(٣) هذه الرواية عند البيهقي في السنن الكبرى ٧٧/٤، ومصنف عبد الرزاق ٤٥٦/٣.

فهذا يدل على أن اتباعهن الجنازة وزر لا أجر لهن فيه؛ إذ لا مصلحة لهن ولا للميت في اتباعهن لها، بل فيه مفسدة للحي والميت.

المبحث الثاني

الانحراف في أحكام الميت والقبور حكمه وصوره

صور الانحراف في أحكام الميت والقبور لدى مسلمي نيجيريا:

إن مما يدعو إلى الأسى والأسف معاً ما يقوم به أهل الميت في نيجيريا بعد وفاة صاحبهم من إحداث البدع واقتراف المنكرات بشتى أنواعها مما يلحق الضرر بالميت بدلاً من نفعه، وكأن هؤلاء الناس في شأن البدع التي يخترعونها عموا عن الهدى النبوي الذي هو أكمل هدى وخير ما يتبعه المرء المسلم في حياته وعند وفاته.

فقد كان أصل بعض هذه البدع من العادات والتقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد، بينما كان بعضها من أفعال أذعياء العلم ليشبعوا رغباتهم ويلبوا حاجاتهم؛ فوضعوا للمسلمين من البدع ما أماتوا به السنن.

هكذا بدلت السنن بالبدع حتى عند الموت الذي هو النهاية الحتمية لكل مخلوق، فأخذ الناس يتبعون ما اشتهر بينهم بأنه هو الطريق الصحيح مع أنه لا يخفى على كل ذي لب خلو هذه الأمور المتبعة من فوائد دنيوية أو أخروية. وليتهم اتبعوا هدى المصطفى الكريم الحافل بالإحسان إلى الميت ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، والمشمول على إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يعامل به الميت، وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه.

وإني لأقول في هذا الصدد: إنه من بين المسائل التي تناولتها سابقا في هذا البحث ليست هناك مسألة أحدث مسلمو نيجيريا فيها البدع مثل ما أحدثوا في أمور الميت والقبور، والسبب في ذلك خاف على كثير من الناس ولعل الأقرب هو اتباع العادات والتقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد؛ إذ قد تقرر أن بعض القبائل النيجيرية قبل دخولها في الإسلام لها طقوس جاهلية تعملها إذا توفي لها ملك أو شخصية كبيرة في المجتمع، ولعل بعض هذه الطقوس هي التي أدخلت في الدين الحنيف جهلا منهم، وقد يكون منشأ هذه البدع هي تقليد بعض المسلمين من يختلطون بهم من النصارى والوثنيين في مجتمعاتهم، وكلا السببين وارد حسب علمي.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري تحت عنوان: (الجنائز كالوليمة في بلاد يوريا): "وهي من رواسب الجاهلية الأولى التي تسربت إلى الأوساط الإسلامية من جراء احتكاكهم واختلاطهم بالوثنيين والنصارى؛ لأن أهل الأديان الثلاثة كانوا يتداخلون فيما بينهم في الأسرة الواحدة، ويختلطون في السوق والعمل والبلد والشارع، وحاصله أن تشييع المسافر عادة متأصلة في نفوس أهل بلاد يوريا كاستقباله بموكب عظيم حسب مكانته الاجتماعية. وكان موتى ملوك يوريا القدماء يشيعون إلى مقابرهم في مواكب وحفلات، كما يقام لهم ذلك في حياتهم ومراسم توليتهم مثل ما في تقاليد الفراعنة المصريين، وإذا مات ملك من الملوك هيا خلفه أو ابنه له عددا من ضحايا الأبقار والأغنام لتكون له زادا إلى العالم الثاني. وذلك أيضا يشبه ما كانت العرب تفعله في الجاهلية من العقر حيث إنهم كانوا ينحرون على قبور الموتى ويقولون إنه كان يعقرها للأضياف في حياته..."^(١).

ومهما يكن فالانحراف في أحكام الميت والقبور يمكن تقسيمه إلى قسمين، وتحت كل قسم من هذين القسمين صور متعددة، أسردها في هذا المبحث سردا مع بيان أحكامها ثم أفصل القول فيما عظمت خطورتها في محو ما يقابلها من سنن المصطفى لدى كثير من مسلمي نيجيريا.

القسم الأول: انحرافات تحدث من وقت وفاة الميت إلى دفنه، وهي صور

وأشكال شتى، منها:

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ٧٠.

١- الذكر عند غسل الميت حيث إن الغاسل إذا بدأ في غسل الميت يذكر لكل عضو يغسله ذكرا من الأذكار، وهذا من البدع المحدثه لعدم وروده فيما نقل عن السلف الصالح من هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- فيما يتعلق بالميت.

٢- إصدار الصيحة العظيمة عند إخراج الميت إلى المقبرة، يسمونها وداعا للميت وقيامها بحقه، وهي أيضا من البدع المنكرة؛ لأنها تعد من النياحة على الميت، والنياحة كما سبق ذكرها من كبائر الذنوب لقوله- صلى الله عليه وسلم: (أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)^(١).

يضاف إلى ذلك ما يحدث أثناء هذا الصياح في الغالب من اختلاط الرجال بالنساء، ولا شك أن هذا منكر عظيم ومخالفة للسنة المطهرة.

٣- الذكر حالة حمل الجنابة بالتهليل والتكبير والتسبيح وقراءة القرآن وغير ذلك، وهو أيضا من البدع المحدثه لعدم وروده عن السلف.

٤- تعليق الصحيفة على الميت يكتب فيها آيات قرآنية أو أسماء الله تعالى أو أسماء الأنبياء أو أسماء الأولياء أو غير ذلك، تسمى بصحيفة العهد، تجعل على صدر الميت في القبر.

٥- دفن الأموات في البيوت ونحوها دون المقابر، وهو مكروه؛ لأنه خلاف السنة، وقد كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يدفن أصحابه في البقيع^(٢)، وكان الناس منذ عهده- صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا يدفنون الموتى في المقابر، يضاف إلى ذلك ما يفوز به المدفون في المقابر من الأموات من الدعاء والترحم عليهم من قبل من يزورهم أو يمر عليهم فيحصل لهم خير وبركة بسبب ذلك.

قال ابن عبد البر: "قد أجمع المسلمون كافة بعد كافة على جواز نقل موتاهم من دورهم إلى قبورهم، فمن ذلك البقيع مقبرة المدينة، ولكل مدينة جبانة^(٣) يتدفن فيها أهلها"^(١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب التشديد في النياحة- ص ٨٢٤ برقم (٩٣٤) عن أبي مالك الأشعري.

(١) قال النووي في المجموع ٢/٤٣٥: "وحديث الدفن في البقيع صحيح متواتر معروف".
(٢) الجبانة: الصحراء، وتسمى بها المقابر؛ لأنها تكون في الصحراء تسمية للشيء بموضعه. انظر: النهاية في غريب الأثر ٦٧٣/١، المصباح المنير ص ٨٤ (مادة ج ب ن).

أما دفنه- صلى الله عليه وسلم- في بيته في حجرة عائشة رضي الله عنها فإن ذلك من خصوصياته- عليه الصلاة والسلام، يدل على ذلك حديث عائشة قالت: لما قبض رسول الله- صلى الله عليه وسلم- اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- شيئاً ما نسيته قال: (ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه)، ادفنوه في موضع فراشه^(٢).

قال ابن عبد البر: "والحديث المأثور (ما دفن نبي إلا حيث قبض) دليل ووجه على تخصيص الأنبياء بذلك"^(٣).

ولا فتوتني الإشارة إلى أن هذه الصورة تكثر عند مسلمي جنوب نيجيريا وشرقها دون شمالها.

القسم الثاني: انحرافات تحدث من بعد الدفن، ومنها:

١- غسل الأطراف من أثر الميت حين الرجوع من الدفن قبل دخول البيت، وهو بدعة لعدم وجود ما يدل على فعله عن السلف الصالح.

٢- اجتماع أهل الميت في بيت واحد من أجل قبول العزاء:

من الصور التي تندرج تحت هذا القسم ما اعتاده بعض مسلمي نيجيريا من اجتماع أهل الميت في بيت واحد من أجل قبول العزاء حيث إنهم يُعدون العدة، ويصفون الكراسي، ويشعلون الأضواء، وتكون حالتهم كأنهم في ليلة الزفاف.

٣- صنع أهل الميت الطعام للوافدين لتعزيتهم، يبدأ ذلك من يوم وفاة الميت إلى اليوم الثالث أو السابع على التوالي على حسب رغبات خلف الميت من أبنائه وأقربائه، وتنتج هذه الصورة بناء على وجود الصورة التي قبلها.

(٣) الاستذكار للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ٥٨/٣، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط/الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية- بيروت.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الجنائز- باب [أين تدفن الأنبياء]- ص١٧٤٨ برقم (١٠١٨) عن عائشة، وقال: هذا حديث غريب، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه، وصححه الألباني في تلخيص أحكام الجنائز ص٥٧. تلخيص أحكام الجنائز للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/الثالثة ١٤١٠هـ، مكتبة المعارف- الرياض. وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه فرواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً.

(١) الاستذكار ٥٨/٣.

٤ - جلسة الدعاء للميت:

ويقترن بالصورتين السابقتين ما يسمى بالفداء وهو جمع عدد كبير من الناس يعملون التهليلات للميت، وهو يعتبر جلسة الدعاء للميت، يشارك فيها العلماء ويقدم لهم مبالغ مالية يقسمونها فيما بينهم في نهاية الجلسة. والعادة أن هذه الجلسة تعقد في اليوم الثالث بعد وفاة الميت، وقد تؤجل إلى اليوم السابع.

٥ - إقامة الحفلات كالتشريف النهائي للميت:

تقام الحفلات الكبيرة بعد الدفن كالتشريف النهائي للميت، وهي المسمى بذكرى الأربعين أو الذكرى السنوية؛ ذلك أنه يحدد لها اليوم الأربعون أو السنة بعد وفاة الميت. وكل هذه الصور التي ذكرتها يشهد الواقع بشيوعها وانتشارها قديما وحديثا بين مسلمي نيجيريا، بل هي فتنة من الفتن التي عمت وأعمت ولا يزال يعاني من نتائجها السيئة^(١) أبناء المسلمين في نيجيريا إلى يومنا هذا.

وقد وفق الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله أيما توفيق إذ أصاب وصف هذه الصورة من الانحرافات إصابة شافية مستوفاة حيث قال: "اجتماع الدعاء للميت يوم سابع الوفاة: ذلك أن المسلم إذا مات عن بنين كانوا يحضرون شهودا ويحضر الإمام وجماعته لتجهيزه والصلاة عليه ودفنه، ثم يجلسون للتعزية وللوعظ والتذكير بأن هذا سيكون حتما عاقبة كل أحد...، ثم يقولون: استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل وسلوا له التثبيت وتصدقوا عليه، ومن هنا يقوم أفراد العائلة والأسرة والمعارف والأصدقاء بتقديم ما ييسر لكل واحد إلى الإمام وجماعته، فيأمر الإمام الجماعة بقراءة يس، أو تبارك أو شيء من القرآن أو القرآن كله أو الذكر بعدد من كلمة الشهادة ويهبون ثوبها وثواب الصدقات إلى الميت، فيوزع هذه الصدقات على الفقراء في المجلس^(٢)، هكذا بدأ الأمر بالتدرج.

(١) المقصود بهذه المعاناة أنه لما تفاقم الأمر وأصبحت إقامة ذكرى الأربعين والذكرى السنوية منتشرة بين جميع الناس باختلاف طبقاتهم، أخذ من قدر عليه رزقه من الآباء المسلمين يفضلون إنفاق كل ما لديهم لإقامة هذه الحفلات لموتاهم، بدل صرف هذه الأموال في شؤون حياتهم وما هو أنفع لهم في دنياهم وأخراهم.

(٢) تلك هي الحالة في بداية الأمر، أما الآن فإنهم لا يوزعون شيئا منه على أي مسكين؛ لأن هذه الجلسات أصبحت مصدرا مهما لهم للتكسب؛ إذ قد يجدون في جلسة واحدة ما يزيد على عشرة آلاف ريال سعودي وخاصة إذا كان خلف الميت من أبنائه وأقربائه من الأثرياء.

ثم يصنع أقارب الميت الطعام كل يوم يرسلون به إلى الفقراء في المساجد والزوايا والمدارس حتى اليوم السابع، فيعود الإمام وجماعته للدعاء للميت.

هذه هي الحالة الشائعة في بلاد يوربا وما يجاورها من بلاد غرب إفريقيا، ثم انقلب الأمر من سيئ إلى أسوأ حيث تسربت إليه الجاهلية الأولى المنتشرة بين الكفار قبل انتشار الإسلام^(١).

ثم مضى في وصف تلك الحفلات المسماة بذكرى الأربعين أو الذكرى السنوية والغرض من وراء إقامتها فقال: "فيجب أن يبذل كل غال ونفيس لإقامة الحفلات له (أي للملك المتوفى) إلى أقصى حد؛ لأن ذلك هو التشريف النهائي له، وكانت هذه الحفلات أولاً مقتصرة على الملوك والأثرياء والعظماء، ثم امتدت إلى أفراد الناس في كل قبيلة وأسرة لكسب السمعة والشرف لها.

وكل من مات وخلف ابناً أو أخاً فعلى هذا الخلف أن يقيم لجنائزته حفلات التشريف النهائي، وكل من مات عنه والداه ولم يسبقهما بالموت فله أن يخرج على قومه ويباهيهم بالفرح والزينة، ويطعم الطعام ويسقي الشراب.

وكان الأمر متوقفاً على قدر ثراء الخلف ثم تجاوز ذلك إلى حد المباراة والمنافسة والمغالاة حيث ينفق كل ذي سعة من سعته، أو من تركة الميت الراحل، ومن كان ذا عسرة فعليه أن يستدين ويرهن للدين كل ما يملك من ديار وعقار حتى يستطيع أن يغسل عن نفسه وأسرته عار العجز عن إقامة التشريف النهائي لميته الراحل، وعار عجزه عن الشكر على أنه خلف والديه، وإذا استطاع ذلك شتمخ بأنفه بين أقرانه واختال في مشيته وطرب ورقص، وتغنى بمدحته المغنون، وذبح الذبائح، ووزع الأطعمة والأشربة على المدعوين^(٢).

هذا هو الواقع المرير الذي يعيشه بعض مسلمي نيجيريا، فمثل هؤلاء مثل الذي يجرح نفسه بالسكين ويضحك، ألم يكن يشعر بالألم؟ ويا عجبا لكثير من المسلمين لم يأخذوا من العادات إلا زياتها وتنتها وتقليد سفلة أهلها!!.

(٣) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ٦٩-٧٠.

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ٧١-٧٢.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصورة من الانحرافات - أعني الاجتماع للدعاء وإقامة الحفلات - لم تقتصر على منطقة دون أخرى من المناطق النيجيرية، إلا أن أشكالها والأغراض وراء فعلها قد تختلف من قبيلة إلى أخرى.

ومما يؤكد ذلك كلام الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله حيث قال: "وشر ما في البدعة أنها تنتشر بسرعة حتى إنه بدأت مثل هذه العادة تجتاز حدود بلاد يوربا^(١) إلى بلاد هوسا، حيث قرأت أخيراً للدكتور علي أبي بكر في كتابه (الثقافة العربية في نيجيريا) أنه جرت مناظرات ومناقشات وردود بين علماء مدينة (كانو) حول الموضوع"^(٢).

ومع انتشار هذه الصورة من الانحرافات المتعلقة بالميت والقبور وشيوعها وكثرة الواقعين فيها إلا أنه وجد في المقابل من يتصدى لها بالرد والمخاربة من العلماء المصلحين، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ آدم عبد الله الألوري الذي عد هذه الظاهرة من العادات والتقاليد الجاهلية، والشيخ عبد الباقي محمد^(٣)، والشيخ مرتضى عبد السلام^(٤)، وكلهم من

(٢) رأي الشيخ آدم أن هذه الظاهرة منشأها بلاد يوربا بسبب اختلاطهم بالكفار من النصارى والوثنيين، أو بسبب نقل المسلمين تلك العادات الجاهلية إلى الإسلام، لكنني في شك كبير في صحة ما ذهب إليه فضيلته؛ ذلك لأن الشيخ عثمان بن فودي الفلاني قائد الدعوة الصكتية التي عاصمتها مدينة صوكوتو في شمال نيجيريا حالياً قد عد هذه الظاهرة ضمن البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أمر الجنائز والمقابر، انظر: إحياء السنة وإخماد البدعة ص ١٢٥. والحق أن الاجتماع لقبول التعزية وجلسة الدعاء للميت وصنع أهل الميت الطعام للحاضرين ظاهرة منتشرة في المجتمع النيجيري ككل، إلا أنه قد يختلف وقت القيام بتلك الأمور والغرض من فعلها من قبيلة لأخرى. والله تعالى أعلم.

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ٧٢.

(٢) هو الشيخ عبد الباقي محمد ولد في مدينة (إيوو) إحدى مدن جنوب نيجيريا، بدأ مشواره حياته بنشاط دعوي اجتماعي في مطلع الخمسينات من القرن الماضي من خلال جمعية "الإصلاح الديني" والتي رأسها وشغل منصب المرشد والزعيم الروحي لها، جاهد في مقاومة البدع والانحرافات، من خلال محاربة الدجالين وأصحاب الأفكار المنحرفة ممن يسترزقون بالدين، فحارب بعض السلوكيات مثل تعليق الحجب والتمايم بادعاء أهميتها في الحفاظ والوقاية، ونهى عن قراءة الكف والخط في الرمل، وكذلك الاحتفال بالمآتم: الأربعين والذكرى السنوية للأموات واتخاذ قراءة القرآن في منازل الأغنياء والأمراء للتكسب، وحرّم فرض ذبائح بمواصفات معينة على قراءة أجزاء من القرآن التي أصبحت عادة منتشرة، يعكف الآن على عتبة العقد الثامن من عمره، يقول عنه الداعية النيجيري محي الدين بللو: "لا يمكن أن ينسى أبداً أو يغفل عنه عند الحديث عن رجال أثروا في نيجيريا أو في بلاد يوربا".

(٣) هو الشيخ مرتضى عبد السلام بن زبير بن هارون مؤسس ومدير المعهد العربي النيجيري في مدينة إبادان أشهر المدارس العربية في جنوب البلاد، من علماء السنة المخارين للبدع والعادات الجاهلية المنتشرة في نيجيريا، كان جل

علماء جنوب نيجيريا، وكذلك الشيخ عثمان بن فودي الفلاني، والشيخ محمد الثاني بن الحسن الكافنغي^(١)، وهما من علماء شمال نيجيريا.

والغريب أن ممن يحارب هذه البدع في المجتمع النيجيري مشايخ الطائفة التجانية، على الرغم من أنهم معروفون باشتغالهم بأعمالٍ قليلها مشروع وكثيرها مبتدع، كما أن عندهم من الانحرافات العقدية ما لا يعلمه إلا خالقهم جل وعلا، إلا أنهم في هذه المسألة تمسكوا بجانب الصواب ويحاربون تلك البدعة محاربة شرسة، ويهجمون من يقفون وراءها هجوما سافرا، فلا غرابة فإن الرب جل وعلا لم يخلق شرا محضا.

والحق الذي أيدته الأدلة أن اجتماع أهل الميت لقبول العزاء وعقدهم جلسة الدعاء بعد الدفن أو قبله وصنعهم الطعام للمعزّين سواء من يوم وفاة صاحبهم إلى اليوم السابع أو بإقامة الحفلة في اليوم الأربعين أو بعد السنة كلها ليست من عمل السلف الصالح، وليست مشروعة، بل هي من البدع الشنيعة التي ينبغي للمرء أن يتجنبها.

فالتعزية ليس المقصود بها التهئة، وإنما المقصود بها تقوية الإنسان على الصبر؛ ولذلك لا ينبغي للمصابين أن يجلسوا وينتظروا من يقدم عليهم للعزاء؛ لأن ذلك ليس من هدي المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - وهدي صحابته الكرام عليهم رضوان الله، وإنما المشروع أن ينصرفوا لأداء مهمتهم من عمل أو دراسة أو تجارة، والذي رأهم أو قابلهم يعزيهم أثناء اللقاء سواء في المساجد أو في الطرقات، "يعزيهم بما يظن أنه يسليهم، ويكف من حزنهم، ويحملهم على الرضا والصبر، مما يثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - إن كان يعلمه ويستحضره، وإلا فبما تيسر له من الكلام الحسن الذي يحقق الغرض ولا يخالف الشرع"^(٢)، وقد ذكر العلماء^(٣) أن خير ما يعزى به المصاب ما أمر به النبي - صلى الله عليه وسلم - رسول ابنته

كتاباتة قصائد شعرية، توفي سنة ١٤٢٨ هـ، انظر: مرآة الناظرين في تعريف الآصال من العلماء في بلد إبادن تأليف مرتضى أبوبكر المعروف بابن المعلم ص ٩٦، ط/الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، دار الطباعة المحمدية - الأزهر، القاهرة.

(٤) هو الشيخ محمد الثاني بن الحسن الكافنغي من مدينة كانو، كان تجاني الطريقة ومن أشهر المدافعين بالكتابة عن الطريقة التجانية، له مؤلفات منها: "المنح الحميدة في الرد على فاسد العقيدة"، كتبه ردا على كتاب العالم السني الشيخ أبي بكر محمود غومي "العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة".

(١) أحكام الجنائز وبدعها للشيخ الحدّث محمد ناصر الدين الألباني ص ٢٠٦.

(٢) منهم الإمام النووي في كتابه المجموع ٢٦٩/٥ حيث قال بعد ذكره هذا الحديث: "وهذا الحديث أحسن ما يعزى

الذي أرسلته بخبر ابن لها كان في سياق الموت حيث قال - صلى الله عليه وسلم: (إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى فلتصبر، ولتحتسب)^(١).

وكذلك الجلسة التي تعقد للدعاء للميت بعد الدفن حيث يستأجر القراء لقراءة القرآن على روحه فإنه من الأمور التي قد لبست على كثير من مسلمي نيجيريا حتى أظهرت لهم الباطل في صورة الحق^(٢)؛ ولذلك لا بد من بسط القول في المسألة لتوضيح ما فيها من حقيقة البدعة تعليماً وتحذيراً، فأقول: الذي ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقف على قبر الميت قليلاً إذا فرغ من دفنه للدعاء له بالمغفرة والثبات، وكان يقول: (استغفروا لأحيكم، واسألوا له الثبوت، فإنه الآن يسأل)^(٣)، كما ثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه كان يزور القبور ويدعو لأهلها، ويعلم أصحابه دعاء زيارة القبور، كما يعلمهم السورة من القرآن، ولم يثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يجلس للدعاء بعد صلاة الجنائز، يقرأ في تلك الجلسة القرآن الكريم بعضه أو كله أو الأذكار أو غير ذلك، لا في يوم وفاة الميت ولا اليوم الثالث ولا السابع، ولم يكن ذلك كله من سنته، ولا سنة أصحابه، ولو حصل ذلك منه أو منهم لنقل إلينا كما نقل الدعاء للميت عند الصلاة عليه، وبعد دفنه، وعند زيارة قبره.

"فقرأة القرآن بالإيجار لا ثواب فيها؛ لأن هؤلاء القراء لم يقرؤوه تعبدًا لله تعالى وإنما قرأوا من أجل الأجرة، والعبادات إذا فعلت من أجل الأجرة لا يكون فيها الثواب؛ إذ إرادة الإنسان بعمله الدنيا مما يبطله، وإنما تنفع قراءة القرآن إذا كان القصد منها التقرب إلى الله تعالى، وكانت القراءة على الصفة المشروعة.

فالواجب على المسلم أن يترك مثل هذا العمل، وإذا أراد أن ينفع الأموات فإنه ينفعهم بما وردت به الأدلة من الترحم عليهم والاستغفار لهم والدعاء لهم والتصدق عنهم والحج أو

به".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه)... - ص ١٠٠ برقم (١٢٨٤)، ومسلم في صحيحه - كتاب الجنائز - باب البكاء على الميت - ص ٨٢٢ برقم (٩٢٣) عن أسامة بن زيد.

(١) ذلك أن بعض الجماعات التي تنتمي إلى أهل السنة والجماعة قد جانبوا الصواب في هذه المسألة فكانوا يجلسون في اليوم الثالث بعد وفاة الميت للدعاء له ظناً منهم أن ذلك من السنة، وليس لهم مستند فيما ذهبوا إليه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الجنائز - باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف - ص ١٤٦٥ برقم (٣٢٢١) عن عثمان بن عفان، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٩٤٧).

العمرة عنهم، هذه هي الأمور التي وردت الأدلة بأنها تنفع المسلمين أحياء وأمواتا، أما فعل شيء لم يكن عليه دليل من الشرع فهذا يعتبر من البدع المخالفة"^(١).

وصنع أهل الميت الطعام للمعزين وإقامة الحفلات لهم ولمن حضر من الأقارب أمر "لا أصل له، بل هو بدعة ومنكر ومن عادات الجاهلية، هذا بالإضافة إلى أن بذل الأموال فيما لا يقرب إلى الله أو لا ينتفع به المرء في دنياه من الأمور التي تعتبر سفها، ويعتبر بذل المال فيها إضاعة له، وقد نهي النبي - صلى الله عليه وسلم - عن إضاعة المال"^(٢)^(٣).

قال الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي: (كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد الدفن من النياحة)^(٤)، والنياحة من كبائر الذنوب؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لعن النائحة في قوله - عليه الصلاة والسلام: (أربع في أمي من الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)، وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة عليها سراويل من قطران ودرع من جرب)^(٥).

وقال النووي في المجموع: "وأما الجلوس للتعزية، فنص الشافعي والمصنف [أي الشيرازي] وسائر الأصحاب على كراهته، قالوا: يعني بالجلوس لها أن يجتمع أهل الميت في بيت فيقصدهم من أراد التعزية، قالوا: بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم فمن صادفهم عزاهم، ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها"^(٦).

(٣) البدع والمحدثات وما لا أصل له جمع وإعداد حمود بن عبد الله المطر ٣١١-٣١٢، ط/الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع - الرياض.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاستقراض والديون - باب ما ينهى عن إضاعة المال - ص ١٨٨ برقم (٢٤٠٨) عن المغيرة بن شعبة، ومسلم في صحيحه - كتاب الأفضية - باب النهي عن كثرة المسائل... - ص ٩٨٢ برقم (١٧١٥) عن أبي هريرة.

(٢) مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٧/٤١١-٤١٢، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان دار ابن الهيثم - القاهرة.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب الجنائز - باب ما جاء في النهي عن الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام - ص ٢٥٧٣ برقم (١٦١٢)، وأحمد في مسنده ٢/٢٠٤، والطبراني في المعجم الكبير ٢/٣٠٧ عن جرير بن عبد الله البجلي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٤) سبق تخريجه ص ٤٨١.

(٥) المجموع شرح المهذب تأليف أبي زكرياء محي الدين يحيى بن شرف النووي ٥/٢٧٠ - ٢٧١، دار الفكر - بيروت ١٩٩٧م.

وبناء على ذلك فإنه يحرم^(١) الجلوس للتعزية وصنع أهل الميت الطعام للناس؛ لأنهما مخالفان للسنة، والمشروع أن ينصرف أهل الميت إلى مهمتهم وأن يصنع جيرانهم وأقربائهم طعاما يشبعهم يبعثون به إليهم لأنهم مشغولون بالمصيبة؛ لحديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي - صلى الله عليه وسلم: (اصنعوا لآل جعفر طعاما، فقد أتاهم أمر يشغلهم، أو أتاهم ما يشغلهم)^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأما صنعة الطعام لأهل الميت فمستحبة كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم: (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم ما يشغلهم)"^(٣).

٦- البناء على القبور وتخصيصها وتظليلها:

لم يكن المسلمون في جنوب نيجيريا يبنون على القبور ولا يظللونها على الرغم من كثرة دفن موتاهم في البيوت لكنهم كانوا يحيطون القبر بجدار من الجص لا يزيد ارتفاعه على شبر، بينما كان البعض منهم يخصصونه ويتركون موضع ثلاثة أقدام على ظاهره، وكذلك الشأن في شمال نيجيريا فإنهم لم يكونوا يبنون على القبور ولا يخصصونها ولا يظللونها؛ إذ المتبع عندهم أساسا هو سنة الدفن في المقبرة إلا ما وجد عند الطائفة القادرية فإنهم يبنون على قبور مشايخهم ويظللونها ويضعون الستار عليها.

يقول الشيخ محمد بن ناصر العبودي واصفا ما شاهده عند زيارته لدولة نيجيريا ومروره بقبر الشيخ عثمان بن فودي للتسليم عليه والدعاء له: "قصد بنا الدليل مكانا آخر هو قبر

(١) أنسب حكم لهذه الأمور أن يكون محرما لأنها بدعة ويقترن بها محدثات أخرى مثل لطم الحدود وشق الجيوب وحزن وتسخط على قدر الله وتذكر الميت حتى تبقى المصيبة في قلوب أهله لمدة طويلة وكلها من البدع، وكل بدعة ضلالة. انظر: الأذكار للنووي ٣٥٢/١، كتاب الكبائر للذهبي ص ١٨٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الجنائز - باب صنعة الطعام لأهل الميت - ص ١٤٥٩ برقم (٣١٣٢)، والترمذي في سننه - كتاب الجنائز - باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت - ص ١٧٤٦ برقم (٩٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح وقد كان بعض أهل العلم يستحب أن يوجه إلى أهل الميت شيء لشغلهم بالمصيبة وهو قول الشافعي، وابن ماجه في سننه - كتاب الجنائز - باب ما جاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت - ص ٢٥٧٣ برقم (١٦١٠)، وأحمد في مسنده ٢٠٥/١ عن عبد الله بن جعفر، وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ١٣٨/٢ بعد ذكره لرواته عن عبد الله بن جعفر: وصححه ابن السكن، ورواه أحمد والطبراني وابن ماجه من حديث أسماء بنت عميس وهي والدة عبد الله بن جعفر.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٨١/٢٤.

الشيخ، وهو داخل غرفة ليست بالكبيرة، مرفوع بمقدار قامة الرجل، وعليه ستارة من القماش الأزرق كتب عليه بالعربية: (هذا مقام القطب الرباني المجدد الشيخ عثمان بن فودي رضي الله عنه) ^(١).

ذلك هو قبر الشيخ عثمان بن فودي، وعلى نفس النمط دفن الشيخ محمد بن ناصر الكبرى في مدينة "كانو" والشيخ آدم عبد الله الألوري في مدينة "لاغوس" وقد مررت بالمكانين أثناء جولتي في ربوع البلاد لجمع المواد العلمية لهذا البحث.

وكل هذه الأمور التي تفعل عند القبور من تخصيص وتظليل ووضع الستور والزينات والقباب، والبناء عليها لا تجوز؛ لأنها من باب الغلو في تعظيم من دفنوا في تلك القبور، فتكون من وسائل الشرك، وقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - الأمة من هذه الأمور كلها في غير ما حديث، منها:

أ- حديث جابر قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يخصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه ^(٢).

ب- حديث عائشة، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله) ^(٣).

ج- حديث أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ^(٤).

(١) قصة سفر في نيجيريا ٩٩/٢-١٠٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجنائز - باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه - ص ٨٣٠ برقم (٩٧٠) عن جابر.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الصلاة - باب الصلاة في البيعة - ص ٣٧ برقم (٤٣٤)، ومسلم في صحيحه - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهي عن بناء المسجد على القبور... - ص ٧٦٠ برقم (٥٢٨) عن عائشة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجنائز - باب الأمر بتسوية القبور - ص ٨٣٠ برقم (٩٦٩) عن أبي الهياج الأسدي.

قال الشوكاني في شرح هذا الحديث: "ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا القبر والمشاهد المعمورة على القبور وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فاعل ذلك كما سيأتي، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها: اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا، وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإننا لله وإننا إليه راجعون"^(١).

وعلى هذا، فالبناء على القبور محرم سواء كان المبني مسجدا أو بيتا أو قبة لعموم أحاديث النهي عن البناء على القبور.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة علماء الطوائف بالنهي عنه متابعة للأحاديث"^(٢).

٧- أداء بعض العبادات عند القبور مثل الصلاة والدعاء وقراءة القرآن والأذكار وغير ذلك، مثل ما يفعله الطائفة القادرية عند قبور مشايخهم.

قال عبد الجبار بن محمد الناصر المختار كبر: "إن أحدا منا لا يقوم بعبادة مثله من الخلق حيا كان أو ميتا، لكننا نكبرُ احتراماً وتقديراً لكل من شهد الواقع له بالصلاح، في حياته وبعد مماته فهما عندنا سواء، والذي نقوم به تجاه الصالحين الأموات هو الزيارة، وغايتها القصوى الدعاء لهم، وطلب الدعاء منهم، والاعتبار بهم، وليس العبادة كما يفترى أتباع السلفية"^(٣).

وما أغرب هذا الكلام!! وهل هناك صرف عبادة لغير الله أعظم من طلب الدعاء من الموتى والاستغاثة بهم؟ ويا عجبا لهم! إنه ارتياد للتيه فرارا من آفاق اليقين والنور، وهكذا شأن

(١) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٩١/٤، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم ط/الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٢٩.

(٣) عصا موسى بين حبال السحرة: كتاب يرد على مجسمة هذا العصر (التمسلفة) تأليف عبد الجبار بن محمد الناصر المختار كبر القادري ص ١٣.

الكثير منهم لا يطيب لهم عيش، ولا يهنأ لهم بال إلا إذا افتروا على السلفيين وكذبوا عليهم، كذبا مكشوفاً حيناً ومغطى حيناً آخر والله المستعان.

وزيارة القبور لأداء بعض العبادات عندها من الزيارات غير المشروعة، فإذا كانت العبادات التي فعلت عند القبور قصد بها الموتى كدعائهم والاستغاثة بهم أو الذبح والنذر لهم فهذا منكر عظيم وشرك أكبر، أما إذا كانت العبادات موجهة إلى الباري جل وعلا لكنها فعلت عند القبور فتلك بدعة ومن وسائل الشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد اتفق أئمة المسلمين على أن الصلاة في المشاهد ليس مأموراً بها، لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب، ولا في الصلاة في المشاهد التي على القبور ونحوها فضيلة على سائر البقاع، فضلاً عن المساجد، باتفاق أئمة المسلمين، فمن اعتقد أن الصلاة عندها فيها فضل على الصلاة على غيرها أو أنها أفضل من الصلاة في بعض المساجد فقد فارق جماعة المسلمين، ومرق من الدين"^(١).

ولقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن اتخاذ القبور أماكن للعبادة وخاصة الصلاة، فمن ذلك:

أ- حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها)^(٢).

ب- حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام)^(٣)، ومثله حديث أنس قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه

(١) مجموع الفتاوى ٣١٨/٢٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجنائز - باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه - ص ٨٣٠ برقم (٩٧٢)، والنسائي في سننه - كتاب القبلة - باب النهي عن الصلاة إلى القبر - ص ٢١٣٦ برقم (٧٦٠)، وأحمد في مسنده ١٣٥/٤ عن أبي مرثد الغنوي.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الصلاة - باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام - ص ١٦٧١ برقم (٣١٧)، وابن ماجه في سننه - كتاب المساجد والجماعات - باب المواضع التي تكره فيها الصلاة - ص ٢٥٢١ برقم (٧٤٥)، وابن حبان في صحيحه ٩٢/٦ برقم (٢٣٢١)، والحاكم في المستدرک ٣٨٠/١ عن أبي سعيد الخدري، وقال الحاكم: هذه الأسانيد (يعني إسناد هذا الحديث والذي قبله) كلها صحيحة على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

وسلم- عن الصلاة بين القبور^(١).

وأداء العبادات مثل الصلاة وغيرها في المقابر يترتب عليه مفسد عظيمة، منها التشبه بالأمم الضالة من اليهود والنصارى والمشركين ممن يعظمون القبور^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ووجه الدلالة أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهي عن اتخاذ عيدا، فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان، ثم قرن ذلك بقوله- صلى الله عليه وسلم: (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا)^(٣) أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور، وهذا عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم"^(٤).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب: أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس، وهؤلاء من جنس عباد الأصنام"^(٥).

وقال العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "وفي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال: القبر القبر^(٦)، وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة ما نهاهم عنه نبههم- صلى الله عليه وسلم- من الصلاة عند القبور"^(٧).

وقال العلامة حافظ الحكمي: "وأما عبادة الله عند القبور كالصلاة عندها والعكوف عليها فهو أشد وأغلظ؛ لأنه ذريعة مفضية إلى عبادة المقبور نفسه"^(٨).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٨٩/٦ برقم (٢٣١٨)، وأبو يعلى في مسنده ١٧٤/٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٣/٢: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية تأليف الدكتور عبد الله بن عمر بن محمد السحبياني ص ٣٣٩، ط/الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- الدمام.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٦٦.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٢٣.

(٥) إغاثة اللهفان ١/٢١٧.

(٦) سبق تخريجه ص ٣٥٦.

(٧) تيسير العزيز الحميد ص ٢٤٩.

(٨) معارج القبول ٢/٦٥٦.

فهذه الأدلة الكثيرة والصريحة في النهي عن فعل أية عبادة عند المقابر وخاصة الصلاة تبين أن هذا الفعل محرم ولا يجوز.

أما الزيارة المشروعة فهي التي يقصد بها الدعاء للأموات والترحم عليهم وتذكر الموت والإعداد للآخرة، لقوله - صلى الله عليه وسلم: (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة)^(١)، وقد سن ذلك بفعله أيضا حيث كان يزور القبور، وهكذا صحابته الكرام رضوان الله عليهم، إلا أن زيارتهم للأغراض المذكورة سابقا.

قال الصنعاني في سبل السلام بعد أن ذكر أحاديث الإذن بزيارة القبور: "والكل دال على مشروعية زيارة القبور وبيان الحكمة فيها وأنها للاعتبار، فإنه في لفظ حديث ابن مسعود (فإنها عبرة وذكرى للآخرة والتزهيد في الدنيا)^(٢)، فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعا^(٣). شرعا^(٣).

ومما يدعى به عند زيارة القبور أو المرور عليها قوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث عائشة: (السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون)^(٤).

وزيارة النساء للقبور مسألة اختلف فيها العلماء، فمنهم من كرهاها^(٥)، ومنهم من أباحها إذا لم تشتمل على محذور^(٦)، ومنهم من حرّمها^(١)، والراجح الذي تقتضيه الأدلة من

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجنائز - باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه - ص ٨٣١ برقم (٩٧٦)، وأبو داود في سننه - كتاب الجنائز - باب في زيارة القبور - ص ١٤٦٦ برقم (٣٢٣٤)، والنسائي في سننه - كتاب الجنائز - باب زيارة قبر المشرك - ص ٢٢٢٠ برقم (٢٠٣٦)، وابن ماجه في سننه - كتاب الجنائز - باب ما جاء في زيارة القبور - ص ٢٥٧٠ برقم (١٥٦٩) عن أبي هريرة، وهذا اللفظ لابن ماجه. (٣) أخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب الجنائز - باب ما جاء في زيارة القبور - ص ٢٥٧٠ برقم (١٥٧١)، والبيهقي في شعب الإيمان ١٥/٧، والحاكم في المستدرک ٥٣١/١ عن ابن مسعود، ولم أجده بهذا اللفظ وإنما ورد بلفظ: (كنت نيتهكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة).

(٤) سبل السلام ٧٣/١.

(٥) سبق تخريجه ص ١٣٥.

(١) وهو رواية عن الإمام أحمد، انظر: المغني في فقه الإمام أحمد الشيباني لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبي محمد ٤٣٠/٢، وحاشية ابن القيم على سنن أبي داود للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ٤٢/٩، ط/الثانية ١٤١٥ هـ دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) ذهب إلى القول بالجواز الإمام أحمد في رواية عنه انظر: المغني لابن قدامة ٤٣٠/٢، والشوكاني في نيل الأوطار

أقوال أهل العلم أن زيارة النساء للقبور حرام؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج^(٢)، فهذا دليل على أنها من كبائر الذنوب لأنه ترتبت عليها اللعنة، والذنب إذا ترتبت عليه اللعنة صار من كبائر الذنوب، "فاللعن على الفعل من أدل الدلائل على تحريمه"^(٣)، "وأيضاً فإن الصلاة على الجنائز تؤكد من زيارة القبور ومع هذا فقد ثبت في الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى النساء عن اتباع الجنائز^(٤) وفي ذلك تفويت صلاحهن على الميت، فإذا لم يستحب لهن اتباعها لما فيها من الصلاة والثواب فكيف بالزيارة؟"^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إذا كان النساء منهيات عما جنسه فرض على الكفاية ومصلحته أعظم إذا قام به الرجال فما ليس بفرض على أحد أولى"^(٦).

حكم هذه الصور:

فهذه الصور المذكورة للانحرافات المتعلقة بالميت قد أشار إليها الشيخ عثمان بن فودي الفلاني رحمه الله في معرض ذكره للبدع التي أحدثها الناس في أمر الجنائز والمقابر وحكم عليها جميعاً بأنها من البدع، وهي في حقيقة الأمر من البدع الشنيعة لعدم ورود تلك الأفعال في هدي

٤/١٦٥، والحافظ ابن حجر في فتح الباري، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني في أحكام الجنائز وبدوها ٢٢٩-٢٣٧.

(٣) منهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣٤٣/٢٤-٣٥٦، وابن القيم الجوزية في حاشيته ٤٣/٩-٤٥.
(٤) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الجنائز- باب في زيارة النساء القبور- ص ١٤٦٦ برقم (٣٢٣٦)، والترمذي في سننه- كتاب الصلاة- باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً- ص ١٦٧١ برقم (٣٢٠) وقال: حديث ابن عباس حديث حسن، والنسائي في سننه- كتاب الجنائز- باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور- ص ٢٢٢١ برقم (٢٠٤٥) عن عبد الله بن عباس.

(٥) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود للعلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ٤٣/٩، ط/ الثانية ١٥٤١٥هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجنائز- باب اتباع النساء الجنائز- ص ٩٩ برقم (١٢٧٨)، ومسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب نهى النساء عن اتباع الجنائز- ص ٨٢٥ برقم (٩٣٨) عن أم عطية.

(٧) مجموع الفتاوى ٣٤٥/٢٤.

(٨) المرجع السابق ٣٤٧/٢٤.

النبي الكريم في التعامل مع الميت، وقد قال - صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(١)، وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٢).

وعلى الرغم من أن الصور المذكورة كلها من البدع إلا أن أحكام بعضها تختلف عن بعض، فمن تلك البدع ما هي شركية تخرج صاحبها من الملة كأداء بعض العبادات عند القبر يقصد بها صاحب القبر، ومنها ما هي محرمة وليست من الشرك، ومنها ما هي مكروهة، ومع هذا كله فالجدير بالمرء المسلم اجتناب هذه الأعمال التي حكم عليها بالبدع لكونها تخالف السنة التي هي الدين وقد قال رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه: (... وإياكم ومحدثات الأمور، فإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)^(٣).

فالبدع كلها مردودة ليس منها شيء مقبولاً، وكلها قبيحة ليس فيها حسن، وكلها ضلال ليس فيها هدى، وكلها أوزار ليس فيها أجر، وكلها باطل ليس فيها حق^(٤).

ولذلك فأبي فعل من الأفعال المذكورة فيما يتعلق بالميت والقبور لا يجوز للمسلم فعله بنية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى إلا أن يتحرى فيه شريعة الله؛ لأن الأصل في العبادات المنع والحظر^(٥) إلا ما قام الدليل على مشروعيته.

وإذا كان أصل ذلك العمل من العادات والتقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد فإنه يعرض على الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة فإن وافقها فهو مقبول لا لأنه عادة ولكن لأنه وافق هذه الأصول، وإن خالفها فيجب أن يرفض.

وبناء على هذا فجميع صور الانحرافات التي ذكرتها في هذا المبحث فيما يتعلق بالميت والقبور تعد من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان ولم ينقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا صحابته الكرام عليهم رضوان الله، فيجب تجنبها واتباع هدي النبي - صلى الله عليه

(١) سبق تخريجه ص ٤٣.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٣.

(٣) سبق تخريجه ص ٧٥.

(٤) معارج القبول ٣/١٤١٩.

(٥) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم الجوزية ١/٣٤٤، أحكام أهل الذمة للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن القيم الجوزية ٢/٧١٥، تحقيق يوسف أحمد البكري، شاكر توفيق العاروري، ط/الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار ابن حزم - الدمام رمادي للنشر - بيروت.

وسلم- وهدى صحابته الكرام رضي الله عنهم في التعامل مع الميت والقبور؛ لأن الخير كله في اتباعهم وسلوك سبيلهم كما قال الله جل وعلا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، فالاعتصام بالكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة نجاة كل نجاة.

ولما كانت أصول هذه الانحرافات كلها هي اتباع العادات والتقاليد فلا ينبغي إذن للمنتسبين للعلم الشرعي من العلماء وطلبة العلم في نيجيريا أن يخضعوا لتلك العادات وأن يقولوا: كيف ننكر على آبائنا وأمهاتنا وإخواننا أمورا قد تعودوا عليها، بل يفهمونهم خطورة هذا التقليد مساهمة منهم في إصلاح أوضاع المسلمين وتطهيرها مما يخالف الشرع المطهر؛ لأنهم إذا تساهلوا في الإنكار أو تغافلوا ما صلح شيء، وإنما تبقى الأمور على ما هي عليها أو تزداد فسادا حتى تتأصل تلك البدع في النفوس وتصبح جزءا من عقيدة كثير من أهل الجهل، وكأن قد.

الفصل السابع

الولاء والبراء

المبحث الأول

تعريف الولاء والبراء لغة واصطلاحا، ومنزلهما من الشرع، وعلاقتها بتوحيد الألوهية

أولاً: تعريف الولاء والبراء لغة واصطلاحاً:

الولاء في اللغة: المحبة، والنصرة، والقرب أو الدنو، والولي: المحب، والصديق، والنصير، وهو ضد العدو، والموالاة والولاية: ضد المعاداة^(١).

والولاء في الاصطلاح هو: محبة المؤمنين، ونصرتهم، والنصح لهم، وإعانتهم، والرحمة بهم، وما يلحق بذلك من حقوق المؤمنين^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الواجب على كل مسلم أن يكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته تابعا لأمر الله ورسوله؛ فيحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالي من يوالي الله ورسوله، ويعادي من يعادي الله ورسوله"^(٣).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١): أي يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وشبك بين أصابعه^(٤)، وفي الصحيح أيضاً (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمل والسهر)^(٥) [٦].

(١) انظر: القاموس المحيط ص ١٧٣٢، ولسان العرب ٤٠٥/١٥، ومختار الصحاح ص ٧٤٠، ومعجم مقاييس اللغة ص ١٠٦٤ - ١٠٦٥، والمصباح المنير ص ٥٥٢، والنهاية في غريب الأثر ٥١٠/٥.

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية ص ٥٤٣، وانظر: تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٩، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ص ٥١-٥٢، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى ط/الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الفضيلة للنشر والتوزيع - الرياض، ودار ابن حزم - بيروت.

(٣) مجموع الفتاوى ٩٤/٣٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المظالم - باب نصر مظلوم - ص ١٩٢ برقم (٢٤٤٦)، ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والأدب - باب تراحم المؤمنين وتعطفهم وتعاضدهم - ص ١١٣٠ برقم (٢٥٨٥) عن أبي موسى.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم - ص ٥٠٩ برقم (٦٠١١)، ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والأدب - باب تراحم المؤمنين وتعطفهم وتعاضدهم - ص ١١٣٠ برقم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير.

(٢) تفسير ابن كثير ١٣١٥/٢.

البراء في اللغة: التباعد عن الشيء ومفارقتة، والتخلص منه، يقال: تبرأت من كذا، فأنا منه براء، وبريء منه، وفي لسان العرب: "قال ابن الأعرابي برئ إذا تخلص، وبرئ إذا تنزّه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (التوبة: ١) أي: إعذار وإنذار"^(١).

والبراء في الاصطلاح هو: بغض أعداء الله من المنافقين وعموم الكفار، وعداوتهم، والبعد عنهم، وجهاد الحريين منهم بحسب القدرة^(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (المتحنة: ٤)، قال: "يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم.. ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾" إلى أن قال: "وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دتم على كفركم فحن أبدا ننبأ منكم ونبغضكم"^(٣).

ثانيا: منزلة عقيدة الولاء والبراء من الشرع:

إنه بعد محبة الله ورسوله تجب محبة أولياء الله ومعاداة أعدائه، وهذا هو المقصود بالولاء والبراء اللذان هما أصل من أصول العقيدة الإسلامية، فيجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم^(٤).

(٣) لسان العرب ٣١/١، وانظر: معجم مقاييس اللغة ص ١١١، والمفردات ص ٥١ مادة (برأ).

(٤) تسهيل العقيدة ص ٥٥٢، وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨١٨ تفسير الآية (٤) من سورة

المتحنة، والفتاوى السعدية للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٢٢، ط/الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، عالم

الكتب للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

(٥) تفسير ابن كثير ٤/٢٨٢٤.

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ص ٣٠٧،

ولعقيدة الولاء والبراء منزلة عظيمة في الشرع المطهر، يتضح ذلك من خلال النقاط

التالية:

أ- أن هذه العقيدة أصل عظيم من أصول الإيمان، يكفينا حجة على ذلك قول الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه - في الحديث الشريف: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "كان رأس الإيمان الحب في الله والبغض في الله، وكان من أحب لله وأبغض لله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان"^(٢).

ب- كثرة ما ورد فيها من الأدلة والبراهين: ففي كتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم - عليه الصلاة والسلام - أدلة كثيرة توجب على المسلم موالاته عباد الله المؤمنين، وتوجب عليه البراء من أعدائه بجميع أصنافهم، وتحرم عليه موالاتهم، وهذه الأدلة كثيرة موفورة في المصدرين المذكورين حتى قال بعض أهل العلم: "أما معاداة الكفار والمشركين، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده"^(٣).

فمن الأدلة على وجوب موالاته المؤمنين قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١).

ط/الأولى ١٤٢٤ هـ دون بيانات أخرى، وانظر: محاضرات في العقيدة والدعوة للدكتور صالح بن فوزان الفوزان

٢٢١/١، تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض، ط/الأولى ١٤٢٢ هـ.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٨٠/٧، مسند الطيالسي تأليف سليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي ١٠١/١، دار المعرفة - بيروت، دون بيانات أخرى، أخرجه عن البراء بن عازب، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٠٣٠).

(٣) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ص ٩، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.

(١) سبيل النجاة والفكك من موالات المرتدين وأهل الإشراك تأليف الشيخ حمد بن علي بن عتيق ص ٢٦، طبعة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ط/السابعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٥٥-٥٦).
﴿ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥-٥٦).

ومن الأدلة على وجوب البراء من الكافرين وتحريم موالاتهم قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ (المتحنة: ٤).

وقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (المتحنة: ١).

ج- ما ذكره بعض أهل العلم بأن هذه العقيدة من مقتضيات كلمة التوحيد: وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هي أفضل الكلمة، وأفضل الذكر، وهي كلمة الإخلاص؛ "وذلك لما اشتملت عليه من توحيد الله الذي هو أفضل الأعمال وأساس الملة، فمن قالها بإخلاص ويقين، وعمل بمقتضاها ولوازمها، واستقام على ذلك فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"^(١).

فمن والى عباد الله المؤمنين وعادى أعداءه من المنافقين والمشركين والكافرين فإنه قد أتى بشيء مما يقتضيه معنى كلمة التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله، وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول لأصحابه: (قولوا: أصبحنا

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٨٥.

على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين^(١)»^(٢).

د- أن الإخلال ببعض صورها مما يخرج المرء من الدين ويدخله في دائرة الكفر، فهناك بعض صور موالاتة الكفار هي من نواقض الإسلام وأسباب الردة مثل مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين بغضا لدين الإسلام^(٣)، وكذلك مودتهم لأجل دينهم وسلوكهم، والرضا بأعمالهم، وتمني انتصارهم على المسلمين^(٤)، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ (المائدة: ٥١).

ثالثا: علاقة هذه العقيدة بتوحيد الألوهية:

إن العبادة التي تُوجَّه إلى الله تعالى لا بد أن تتضمن المحبة وإلا لا تكون عبادة؛ إذ "مناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل، ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر"^(٥)، وعقيدة الولاء والبراء بمعناها الاصطلاحية هي محبة المؤمنين ونصرتهم من أجل إيمانهم وبغض أعداء الله من المنافقين وعموم الكفار وعدم نصرتهم. إذن، فإن هذه العقيدة بركنيها: الحب والنصرة، جمع بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، وأي عمل يتعبد الله به لا يقبل من العبد إلا إذا أفرد به وجه الله تعالى، وإذا كان الأمر كذلك فالولاء والبراء من الأعمال التي يجب على المسلم إخلاصها بكل ما تعنيه لله سبحانه وتعالى، وهذا هو توحيد الألوهية.

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٤/٦ برقم (٩٨٣١)، والدارمي في سننه ٣٧٨/٢ برقم (٢٦٨٨)، وأحمد في مسنده ٤٠٦/٣، عن عبد الرحمن بن أبيزى عن أبيه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٩٨٩).

(٢) مجموع الفتاوى ٣٢/٢٨.

(٣) عدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الناقض الثامن من نواقض الإسلام، انظر: دروس في شرح نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب ألقاها الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ص ١٥٨، أخرجه محمد بن فهد الحصين ط/الثانية ٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض.

(٤) انظر: مجموعة التوحيد المعروف ب (مجموعة التوحيد النجدية) ص ٢٤٠، طبعة الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، والولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف تأليف محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ص ٢٣٢.

(١) معارج القبول ٥٤١/٢.

إن ولاء المسلم لله تعالى يستلزم ولاءه لرسول الله؛ إذ "هو المبلغ عن الله، وأمينه على وحيه، والمرسل من قبل ربه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الجهل إلى العلم، فكان واجبا على المسلم أن يوالي هذا الرسول الهادي إلى صراط الله المستقيم"^(١).

وكما يستلزم ولاء المسلم لله تعالى ولاءه لرسول الله كذلك يستلزم ولاءه لعباد الله المؤمنين؛ لأنه لما "أحب الله وأحب رسوله حري به أن يحب كل من أحب الله وأحب رسوله من المؤمنين"^(٢).

ومحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومحبة عباد الله المؤمنين كلتاها تابعة لمحبة الله تعالى؛ لأنه لا أحد يحب لذاته إلا الله جل وعلا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "لهذا فرق الله ورسوله بين من أحب مخلوقا لله وبين من أحب مخلوقا مع الله، فالأول يكون الله هو محبوبه ومعبوده الذي هو منتهى حبه وعبادته لا يجب معه غيره لكنه لما علم أن الله يحب أنبياءه وعباده الصالحين أحبهم لأجله، وكذلك لما علم أن الله يحب فعل المأمور وترك المحظور أحب ذلك فكان حبه لما يحبه تابعا لمحبة الله وفرعا عليه وداخلا فيه"^(٣).

وقال في موضع آخر: "فالنبي - صلى الله عليه وسلم - محبته تابعة لمحبة الله وأبو بكر أحبهم إلى الله تعالى فهو أحبهم إلى رسوله"^(٤).

وإذا كانت محبة رسول الله ومحبة عباد الله المؤمنين كلتاها تابعة لمحبة الله عز وجل، فهاتان المحبتان من العبادات القلبية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إذا كان كذلك فجميع تلك المحبات والإرادات والأفعال والحركات هي عبادة لله رب الأرض والسماوات"، ثم قال: "وإذا كان كذلك فأصل

(٢) حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة تأليف سيد سعيد عبد الغني ص ٤١، تقديم الشيخ عبد الله العبد الرحمن البسام والشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع والشيخ سعيد بن مسفر القحطاني ط/الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م دار ابن حزم - الرياض.

(٣) حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة ص ٤٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٦٥/١٠.

(١) منهاج السنة النبوية تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٣٧٦/٧.

المحبة المحمودة التي أمر الله بها وخلق خلقه لأجلها هي ما في عبادته وحده لا شريك له؛ إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل^(١).

وقال الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله: "العبادة التي خلق الله لها الخلق، وأخذ بها عليهم الميثاق، وأرسل بها رسله وأنزل كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار، هي اسم جامع لكل ما يحب ويرضى... من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فالظاهرة كالتلفظ بالشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة...، والباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وخشية الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والرغبة والرغبة إليه، والاستعانة به، والحب والبغض في الله والموالات والمعاداة فيه، وغير ذلك"^(٢).

فمن خلال ما سبق اتضح جليا أن المحبة من العبادات القلبية التي يجب إفراد الله تعالى بها إذا أراد العبد بعبادته وجه الله والدار الآخرة، ومن محبة الله تعالى محبة عباده المؤمنين لأن الأولى متضمنة للثانية، وهذه الثانية- محبة المؤمنين- هي مفهوم عقيدة الولاء والبراء، ومن أحب لله وأبغض لله ووالى لله وعادى لله فقد أفرد الله بهذه العبادات، وإفراد الله بفعل العبد هو حقيقة مفهوم توحيد الألوهية؛ فهذا ظهرت العلاقة بين هذه العقيدة وتوحيد الألوهية. والله تعالى أعلم.

أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء:

الولاء والبراء أصل عظيم من أصول الإيمان، فيجب على المسلم أن يحرم على نفسه ما حرمه الله عليه من موالات الكفار أعداء العقيدة الإسلامية، كما يجب عليه موالات المؤمنين ومحبتهم والرحمة بهم طبقا لمقتضى أمر ربه في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۗ﴾ (المائدة: ٥٥، ٥٦).

(٢) قاعدة في المحبة ص ١٠.

(٣) معارج القبول ٥٤١/٢.

فالمؤمنون يحبون بعضهم بعضا ويستغفر بعضهم لبعض وإن اختلفت أنسابهم وتباعدت أوطانهم وتغايرت أزمانهم لأنهم إخوة في الدين والعقيدة^(١)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

لكن هذا الحب لا يكون على درجة واحدة حيال من يُحِبُّ؛ وذلك لوجود التفاوت بين الخلائق في امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، "فلا يجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق في الإيمان والدين، والحب والبغض، والموالات والمعاداة"^(٢).

فلهذا صار الناس عند أهل السنة والجماعة - وهم الوسط بين الفرق - في نظرهم العادلة بحسب الحب والبغض، والولاء والبراء، ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من يحب محبة خالصة لا معاداة معها:

وهم الذين آمنوا بالله ورسوله، وقاموا بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علما وعملا واعتقادا، وأخلصوا أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم لله، وانقادوا لأوامره وانتهاوا عما نهى عنه ورسوله، وأحبوا في الله، ووالوا في الله وأبغضوا في الله، وعادوا في الله، وقدموا قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قول كل أحد كائنا من كان^(٣).

الصنف الثاني: من يبغض ويعادى بغضا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاتة

معهما:

وهم الذين كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، ولم يؤمنوا بالقدر خيره وشره وأنه كله بقضاء الله وقدره، وأنكروا البعث بعد الموت، أو من ترك أحد أركان الإسلام الخمسة، أو أشرك بالله في عبادته أحدا من الأنبياء والأولياء والصالحين، وصرف لهم نوعا من أنواع العبادة كالحب والدعاء، والخوف والرجاء، والتعظيم والتوكل...، أو ألحد في أسماء الله وصفاته

(١) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ص ٢٢٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٢٩.

(٣) إرشاد الطالب إلى أهم المطالب ومنهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع للشيخ سليمان بن

سحمان ص ١٣-١٤، مطبعة المنار بمصر ١٣٤٠ هـ دون بيانات أخرى.

واتبع غير سبيل المؤمنين، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المضلة، وكذلك كل من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو أحدها^(١).

الصف الثالث: من يحب من وجه ويغض من وجه:

وهم المسلمون الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، فيحبون ويوالون على قدر ما معهم من الخير، ويغضون ويعادون على قدر ما معهم من الشر^(٢)، "فتجتمع فيهم المحبة والعداوة، وهم عصاة المؤمنين، يحبون لما فيهم من الإيمان ويغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك.

ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم، فلا يجوز السكوت على معاصيهم، بل ينكر عليهم ويؤمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وتقام عليهم الحدود والتعزيرات حتى يكفوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم، ولكن لا يغضون بغضا خالصا ويتبرأ منهم كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يحبون ويوالون حبا وموالاة خالصين كما تقوله المرجئة، بل يعتدل في شأنهم على ما ذكرنا، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة"^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعادات والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم"^(٤).

وقال في موضع آخر: "ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطي من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي كما يقوله

(١) إرشاد الطالب لابن سحمان ص ١٩.

(٢) إرشاد الطالب ص ١٤.

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ص ٣١٨-٣١٩، ومحاضرات في العقيدة والدعوة ١٢٣٧-٢٣٨.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٠٨-٢٠٩.

الخوارج والمعتزلة، ولا يجعل الأنبياء والصدّيقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق في الإيمان والدين، والحب والبغض، والموالاتة والمعاداة"^(١).

المبحث الثاني

الانحراف في باب الولاء والبراء حكمه وصوره

صور الانحراف في الولاء والبراء لدى مسلمي نيجيريا:

يجدر بي - وأنا أشرع في استعراض صور الانحراف في باب الولاء والبراء لدى مسلمي نيجيريا- أن أحدد المناطق النيجيرية التي يقع مسلموها في هذا الانحراف، وأبين أسباب ذلك.

(٢) المرجع السابق ٢٨/٢٨-٢٢٩.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله في معرض كلامه عن الوليمة التي تقام تشريفاً للميت بعد دفنه: "... هي من رواسب الجاهلية الأولى التي تسربت إلى الأوساط الإسلامية من جراء احتكاكهم واختلاطهم بالوثنيين والنصارى؛ لأن أهل الأديان الثلاثة كانوا يتداخلون فيما بينهم في الأسرة الواحدة، ويختلطون في السوق والعمل والبلد والشارع"^(١).

هذا هو الواقع الذي يعيشه المسلمون في منطقة جنوب غرب نيجيريا التي تقطنها قبيلة "يوربا" ومنطقة جنوب شرق البلاد وهي مقر قبيلة "إيبو"، وبسبب احتكاك هؤلاء المسلمين بالكفار من النصارى والوثنيين - كما ظهر في كلام الشيخ الألوري - تحدث تلك الانحرافات التي سأذكر صورها وشيكا نتيجة تأثرهم بأولئك القوم.

أما شمال البلاد موطن قبيلة "الهوسا" فلا يكاد يحدث هذا الانحراف عند المسلمين هناك وذلك لقلّة عدد الكفار الذي لا يشكل نسبة واحد في المائة من سكان المنطقة؛ كل ذلك بفضل الله جل وعلا ثم بجهود الشيخ عثمان بن فودي^(٢) رحمه الله وأنصاره وأحفاده من بعده.

وعلى الرغم من كثرة صور الانحراف في باب الولاء والبراء ببعض المناطق النيجيرية وقتلتها في البعض الآخر إلا أنها تستحق العناية والدراسة لأوضح خطورتها للمسلمين تعليماً وتحذيراً، فأقول:

الصورة الأولى:

تولي الكفار واتخاذهم أعواناً، والتقرب إليهم من أجل حظوظ الدنيا على حساب الدين، وذلك باللجوء إلى الكفار من النصارى والوثنيين عند الشدائد حيث إن بعض المسلمين يتجه إلى قساوسة النصارى إذا أصابه المرض أو أصاب أحد أقاربه بحثاً عن العلاج، وكذلك عندما نزلت بأحد منهم نازلة من نوازل الدهر مثل كساد التجارة وغير ذلك، وقد يقتضي ذلك منهم دخول الكنائس مع الكفار، ولا يعلم إلا الله ذلك العدد الهائل الذي قد اعتنق الدين النصراني من المسلمين بهذه الطريقة؛ لأن المعروف لدى هؤلاء القساوسة أنهم يعلنون عبر وسائل إعلامية مختلفة أن إلههم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام تجري على يديه المعجزات

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ٧٠.

(٢) الشيخ عثمان بن فودي تقدم الكلام عنه وعن جهوده مفصلاً في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه في الباب الأول من هذا البحث.

في كل لحظة؛ فيغتر بهذه الدعاوى تلك الفئة التي لا نصيب لها من الإسلام إلا اسمه ولا تعرف من القرآن حتى رسمه، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ^ط وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ^ع ﴾ (الرعد: ١٧).

ذكر بعض الأقوال التي تشهد لوجود هذه الصورة:

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري: "... من هنا أخذ علمائنا الأفارقة جواز كتابة آيات القرآن وتعليقه حتى للكافر المنتجس الجنب، فتغالوا فيه وجاوزوا الحد الذي لم ينزل الله به سلطانا، فأبطلوا تلك المنفعة إذ لم يراعوا حقها، فيجب على الدعاة أن ينبهوا عليها، فلا يجوز حمل القرآن أو كتابة شيء منه للكافر الذي لم يؤمن بالله" ^(١).

الصورة الثانية:

حبة الكافر من قبيلة الشخص أكثر من محبته للمسلم من غير قبيلته، وهذه الصورة في الحقيقة تعود إلى سوء أحوال كثير من مسلمي نيجيريا وفساد قلوبهم وأخلاقهم بسبب بعدهم عن التربية الإسلامية التي هي قوام حياة المسلمين وسبب سعادتهم ورفقيهم، حيث قد تأصلت في نفوس الكثير منهم النعرات القبلية؛ فأعمت قلوبهم عن معرفة معاني الأخوة الإسلامية الصادقة وتطبيقها في واقع حياتهم.

ولا أكون مبالغا إذا قلت بأن هذه الصورة لم يسلم منها أية منطقة من المناطق التي وجد فيها المسلمون في أنحاء نيجيريا، ولعل أكثر تلك المناطق تضررا بالعصبيية القبيلة عبر التاريخ شمال البلاد وجنوبها، حيث قد أدت هذه المشكلة إلى حدوث الاقتتال بين مسلمي قبيلة يوريا ومسلمي قبيلة الهوسا مرات عديدة.

ولهذه الصورة انعكاسات سلبية خطيرة على أوضاع المسلمين السياسية والاجتماعية، وذلك أنها تؤدي ببعض المسلمين إلى التصويت لصالح النصارى من قبيلتهم ويفضلونهم على المسلمين من قبائل أخرى أثناء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية وغيرها، كما هي تهدد في نفس الوقت وحدة الكلمة وتوحيد الصف بين مسلمي يوريا والهوسا.

ذكر بعض الأقوال التي تشهد لوجود هذه الصورة:

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١٢٠.

قال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله: "ومن آثار الجاهلية التي لا تزال قوية في نيجيريا المسلمة هي التفرقة العنصرية بين القبائل المسلمة، فترى البرناوين يرون أنفسهم أحسن قبائل نيجيريا، ثم يأتي الفلاتيون يعتقدون أنهم سادة أهل البلاد، فيجب أن يعضوا عليها بالنواجذ مهما غلا الثمن، ثم ترى قبائل هوسا أنهم أحسن من قبائل يوريا، ولم تستطع الروح الإسلامية حتى الآن أن تنزع من قلوبهم هذه العصبية حتى في المجال الديني"^(١).

الصورة الثالثة:

مشاركة الكفار في أعيادهم:

يوجد من مسلمي نيجيريا من قبيلة يوريا وقبيلة إيبو الذين يشتركون مع الوثنيين في إقامة أعيادهم ويعتبرون تلك المشاركة من العادات والتقاليد التي لا تتعارض مع الدين الحنيف الذي ينتمون إليه، كما يوجد فيهم من يشاركون النصارى في إقامة عيد ميلاد المسيح وعيد رأس السنة الميلادية وغير ذلك من أعيادهم.

وإني في حقيقة الأمر لا أرى هؤلاء الذين يشاركون الكفار في أعيادهم تلك إلا أناسا بلغ بهم الجهل في الدين إلى الدرجة أنهم لا يميزون بين أبي ذر وأبي لهب، ومع ذلك يدعون صحة انتسابهم إلى الدين الإسلامي، وما انتسابهم إلا مجرد دعاوى لا حقيقة لها؛ فالإسلام بريء من أعمالهم كل البراءة.

الصورة الرابعة:

تفضيل الكفار على المسلمين عند الترشيح لبعض الوظائف الحكومية اعتقادا بأنهم أحسن وأتقن عملا من المسلمين، وإيثارهم على المسلمين كذلك عند تأجير الشقق والمحلات التجارية بدعوى أن هؤلاء الكفار يدفعون مبالغ أكثر مما يدفعه المسلمون.

حكم هذه الصور:

الصورة الأولى:

تولي الكفار واتخاذهم أعوانا والتقرب إليهم من أجل حظوظ الدنيا على حساب الدين، وهي محرمة وذلك لما يأتي:

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ٤٩، الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص ١٠٠-١٠٣.

١- أن الله سبحانه وتعالى قد نهى المسلمين في عدة مواضع في كتابه العزيز عن اتخاذ أعداءه وأعداء الدين أعوانا وأنصارا، كما ذكر أن من فعل ذلك قد برئ من الله وبرئ الله منه، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ (آل عمران: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿يَتَّخِذُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ٥١).

٢- أن الطريقة الأولى التي ذكرتها من طريقي تولي المسلمين للكفار هي في الحقيقة مما يؤدي إلى إعانة الكفار على دينهم الباطل والتعاون معهم في تكثير سوادهم؛ وذلك أن هؤلاء ضعاف الإيمان من أذعياء العلم من المسلمين كانوا يعملون التمايم من القرآن وغير القرآن لأعوانهم النصارى لتكثير عدد أتباعهم المرتادين لكنائسهم، وهذا عين التعاون على الإثم الذي نهينا عنه، ونصر الكفر وأهله، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢).

٣- أن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، فأحسان النصارى إلى هؤلاء ضعاف الإيمان الذين يدعون لهم بتقديم مبالغ مالية لهم يزيل شيئا فشيئا ذلك البغض الذي يجب أن يدين به المسلم ربه حيال أعداء الدين من الكفرة والمنافقين، فيمحو في نفوس المسلمين تلك العقيدة التي هي أوثق عرى الإيمان.

٤- ما ذكرته في الطريقة الثانية من طريقي تولي المسلمين للكفار، فإنها تؤدي إلى خروج المسلم من الدين الحنيف بطريقة غير مباشرة، فيدخل في ديانة الكفرة الضالين وقد حذر الله جل شأنه عباده المؤمنين من اتباع سبيل الكفار بقوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠)، فلا حجة للمسلم الذي يلجأ إلى الكفار عند الشدائد؛ لأن ذلك نابع من عدم اقتناعه بصحة الدين الإسلامى؛ ولذلك راح يطلب الإعانة

من لا دين لهم أصلاً، كما أن المجالات التي أجاز لنا الشرع الاستعانة بالكفار فيها هي الأمور الدنيوية مثل الطب والتجارة وليست مجال الدين^(١).

الصورة الثانية:

حبة الكافر من قبيلة الشخص أكثر من محبته للمسلم من غير قبيلته، وهي أيضاً محرمة لما يأتي:

١- من مفهوم عقيدة الولاء والبراء أنه يجب على المسلم أن يبغض أهل الإشراك ويعاديهم، فأعداء الله من الكفار والمشركين والملحدين والمرتدين كلهم من الفئة التي يجب أن تبغض وتعادى بغضا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وقال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (المائدة: ٨٠، ٨١).

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله: "قد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أنه يجب على المسلمين أن يعادوا الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين، ويحذروا مودتهم واتخاذهم أولياء"^(٢).

وقال الشيخ محمد حسن بن مخلوف^(٣) رحمه الله: "اتفق السلف على عدم جواز إظهار التودد والمحبة للظلمة والفسقة، وكل من عصى الله تعالى من المسلمين بمعصية متعدية كالقتل والسرقة والغضب، فما بالك بغير المسلم"^(٤).

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٤/١١٤.

(٢) مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٣/١٠٢٨.

(٣) هو محمد حسن بن محمد مخلوف العدوي المصري المالكي الأزهرى، فقيه عارف بالتفسير والأدب، أول من بدأ في إنشاء مكتبة الأزهر وتنظيمها، تخرج في الأزهر ودرس فيه، فأنشأ مكتبته ونظمها، من مؤلفاته: المدخل المنير في مقدمة علم التفسير، القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين، توفي سنة ١٣٥٥ هـ.

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عند جوابه عن السؤال: ما حكم مودة الكفار وتفضيلهم على المسلمين؟ قال: "لا شك أن الذي يواد الكفار أكثر من المسلمين قد فعل محرماً عظيماً، فإنه يجب أن يحب المسلمين، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، أما أن يود أعداء الله أكثر من المسلمين فهذا خطر عظيم، وحرام عليه، بل لا يجوز أن يودهم ولو أقل من المسلمين"^(٢)، ثم استدل بآية المجادلة السابقة.

وعلى هذا فيجب على المسلم بغض جميع الكفار والبعد عنهم؛ وذلك لأن الكفار يجادون الله تعالى ويبارزونهم بأعظم المعاصي يجعل شريك معه في عبادته أو بادعاء أن له صاحبة أو ولد أو بغير ذلك مما فيه تنقص لله تعالى^(٣).

٢- لا يجوز بسبب من الأسباب أن يكره المسلم أخاه المسلم، فلا ينبغي أن يتعصب امرؤ مسلم لقبيلته فيؤدي به إلى كراهية أخيه في الدين أو معاداته؛ لأن الأخوة الإسلامية فوق كل أخوة، والمؤمنون كلهم إخوة، وبعضهم أولياء بعض، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١).

وقد أكد الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه - هذه الأخوة وذكر بعض ما يجرم على المسلم أن يسيء به إلى أخيه المسلم في قوله: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا) ويشير إلى صدره ثلاث مرات (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)^(٤).

انظر: الأعلام ٩٦/٦، معجم المؤلفين ٢٣١/٩.

(٣) القول المبين في حكم المعاملة بين الأجنبي والمسلمين تأليف الشيخ أبي الفتوح محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي الأزهري ص ٤٨، ط/الأولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده - مصر.

(٤) مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٤/٣.

(٥) تسهيل العقيدة الإسلامية ص ٥٦٧-٥٦٨.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والأدب - باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره... - ص ١١٢٧ برقم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة.

كما توعده بالنار كل مسلم قتل أخاه أو حاول قتله في قوله - عليه الصلاة والسلام:
(إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)^(١).

فيتضح من خلال تلك النصوص أنه يحرم على المسلم أن يكره أخاه المسلم أو يعاديه إلا إذا كان من العصاة فيبغض بقدر ما يرتكبه من الذنوب، فلا مجال للعصبية القبلية في قلوب من يفهمون معاني الأخوة الإسلامية وقد قال رسول الهدى - عليه الصلاة والسلام عنها:
(دعوها فإنها منتنة)^(٢).

الصورة الثالثة:

مشاركة الكفار في أعيادهم، هي أيضا من مظاهر موالاتة الكفار وهي محرمة:

١- لما ذكره بعض المفسرين أن كلمة "الزور" في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ (الفرقان: ٧٢) معناها أعياد المشركين، أي: من صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد المشركين^(٣).

٢- أن تلك المشاركة فيها إقرار لهم على دينهم الباطل ورضا به وإعانة عليه، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة: ٢).

٣- أن مشاركتهم في أعيادهم دينية كانت أو دنيوية أو جعل تلك الأيام التي يتعيّدون فيها أيام عيد لنا من أوضح دليل على طاعتهم والتشبه بهم، وقد نهينا عن ذلك كله، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلنَّبِيِّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ ۗ ﴾ (الأحزاب: ١)، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الديات - باب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٣٢) - ص ٥٧٣ برقم (٦٨٧٥)، ومسلم في صحيحه - كتاب الفتن وأشراف الساعة - ص ١١٧٨ برقم (٢٨٨٨) عن أبي بكر.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب ﴿ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ (المنافقون: ٨) - ص ٤٢١ برقم ٤٩٠٧، ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والأدب - باب نصر الأخ ظلما أو مظلوما - ص ١١٣٠ برقم (٢٥٨٤) عن جابر بن عبد الله.
(١) انظر: تفسير القرطبي، وتفسير البغوي للآية.

ورسوله بهذا فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأخرى"^(١)، وقال- عليه الصلاة والسلام: (من تشبه بقوم فهو منهم)^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهرا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين"^(٣).

فحرام على المسلم أن يشارك النصارى أو الوثنيين في أعيادهم، ولا يخالطهم فيها، ولا يهنئهم بمناسبةها؛ لأن ذلك كله من الأحداث المشين والمعرض لأمة الإسلام للمحو والنزوال، وآثار ذلك في الوقت الحاضر ظاهرة جليلة لا تحتاج إلى تدليل ولا تبين.

الصورة الرابعة:

تفضيل الكفار على المسلمين لا يجوز؛ لأنه من الإثم:

١- قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عند جوابه عن السؤال: ما حكم مودة الكفار وتفضيلهم على المسلمين؟ فأجاب قائلا: "... وكذلك أيضا من أثنى عليهم ومدحهم وفضلهم على المسلمين في العمل وغيره، فإنه قد فعل إثما، وأساء الظن بإخوانه المسلمين، وأحسن بمن ليسوا أهلا لإحسان الظن، والواجب على المؤمن أن يقدم المسلمين على غيرهم في جميع الشؤون، في الأعمال وفي غيرها، وإذا حصل من المسلمين تقصير فالواجب عليه أن ينصحهم ويحذرهم ويبين لهم مغبة الظلم، لعل الله أن يهديهم على يده"^(٤).

٢- كون الكافر يقدم مبلغا ماليا يفوق ما يقدمه المسلم لا يعتبر مبررا لتفضيل الكافر الضال على المسلم الموحد لمن كان مؤمنا صادق الإيمان وعارفا بأصول العقيدة الإسلامية؛ فمهما عظم ما قدمه هذا الكافر من عرض الدنيا "فإنما هو نزر قليل من الخير في جانب كثير من الشر الذي يأتي من قبله، ولو لم يكن هناك شر آخر من الكافر سوى إنكار حق الله تعالى

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢٢٢٢.

(٣) سبق ترجمته ص ٢٩٧.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ١/١٢.

(١) مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٣/١٥.

الذي هو أعظم الحقوق لكفى، فقد أشرك الكافر بالله وكفر نعمه، ومهما عمل من الخير فإن ذلك نزر قليل مغمور في جانب سيئاته وكفره وظلمه، فلا خير فيه أصلاً إلا أن يؤمن بالله^(١).
٣- يضاف إلى ذلك البلاء العظيم الذي يجلبه الكافر إذا استأجر شقة للسكن أو محلاً للتجارة عند المسلم، فكم سمعنا شكاوى من أرباب البيوت الذين أجروا بيوتهم للنصارى، حيث حوّل هؤلاء النصارى تلك الشقق إلى كنائس لهم يؤدون فيها طقوس ديانتهم، كما أنهم لا يتورعون عن التجارة بالخمور وغيرها من المحرمات في المحلات التي يستأجرونها، وكون المسلم يتساهل مع الكفار بهذه الطريقة يعتبر من الكفر بنعم الله عليه ويدخله فيمن يعين على الإثم الذي نهى الله عنه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في مسألة إجارة دار المسلم لأهل الذمة: "أما إجارة داره لأهل الذمة فقال الخلال: باب الرجل يؤاجر داره للذمي أو يبيعه منه ثم ذكر عن المروزي أن أبا عبد الله سئل عن رجل باع داره من ذمي وفيها محاريب؟ فاستعظم ذلك وقال: نصراني؟ لا تباع، يضرب فيها الناقوس وينصب فيها الصلبان. وقال: لا تباع من الكافر وشدد في ذلك. وعن أبي الحارث أن أبا عبد الله سئل عن الرجل يبيع داره وقد جاءه نصراني فأرغبه وزاده في ثمن الدار، ترى أن يبيع منه وهو نصراني أو يهودي أو مجوسي؟ قال: لا أرى له ذلك يبيع داره من كافر يكفر فيها؟ يبيعها من مسلم أحب إلي، فهذا نص على المنع^(٢).

إن هذه الصور المذكورة لموالات الكفار لدى مسلمي نيجيريا هي "مما يفسد على المسلم اعتقاده ويذبذب توحيده، ويعرض إسلامه للخطر وإيمانه للزوال، فإنه لا يجتمع لمسلم واحد في قلبه ولاء لله وولاء للشيطان، ولا ولاء للقرآن وولاء لأحكام الجاهلية، ولا ولاء للرسول - صلى الله عليه وسلم - وولاء للجبث والطاغوت، ولا ولاء للمؤمنين وولاء للكفار والمشركين والملحدين.

فلا يجتمع نقيضان للمسلم في قلبه، فإما قلب مسلم، كله ولاء لله ولدينه ولكتابه ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - ولعباده المؤمنين، وإما قلب كافر كله ولاء للشيطان والكفرة

(٢) المرجع السابق ٢٣/٣-٢٤ بتصرف يسير.

(١) أحكام أهل الذمة ٥٧٧/١.

والمشركين والمنافقين الطواغيت، فوجب على المسلم أن يحذر من أن تنزلق قدمه في إحدى هذه المهالك سواء المخرج منها من الملة أو ما ينقص الإيمان أو يחדش التوحيد أو يذبذب العقيدة. فبعد أن بين الله تعالى الموالاتة التي يجب أن يكون عليها المسلم بيانا لا غموض معه بأنها تكون لله ولرسوله وللمؤمنين وذلك في قوله جل شأنه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (المائدة: ٥٥)، فمن صرف هذه الموالاتة لغير المؤمنين من الكفار والمشركين والملحدين وغيرهم ممن عادى الله ورسوله وعباده المؤمنين فقد خرج على أمر الله، وعرض نفسه للهلاك وسوء المصير. فكيف يوالي المسلم من عادى الله؟ وكيف يناصر المسلم من حارب دين الله؟ وكيف يجب المسلم من أبغض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكفر به؟! بل لا بد من المعاداة والبراء وعدم الموالاتة، وإلا فهي الخيانة لله ولدينه، ولرسوله، وللمؤمنين" (١).

مظاهر موالاتة المؤمنين ومظاهر موالاتة الكفار:

ولكي يكون المسلم على علم ودراية بعقيدة الولاء والبراء، ويتعبد الله بها على الوجه الصحيح ينبغي عليه أن يعرف مظاهر موالاتة المؤمنين فيمثلها ويلم بمظاهر موالاتة الكفار أعداء الدين فيجتنبها.

فإن ولاء المؤمن لأخيه المؤمن أمر أوجبه الله جل وعلا على عباده المؤمنين، وهو أصل من أصول العقيدة الإسلامية، فيجب على المؤمن أن يحب إخوته المؤمنين أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، لا لإحسانهم إليه ولكن لأمر الله سبحانه وتعالى بذلك لأنهم إخوة، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠)، ومن مقتضى تلك الأخوة إذا كانت صادقة هذه المحبة بكل ما تعنيه من معنى.

فبموالاتة المؤمن لأخيه "المؤمن يكتمل الصف، ويجمع الشمل، ويوحد الهدف، وتتجمع القوى، ويظهر الدين، وترفع الراية، ويقهر العدو، فلا بد من هذه الموالاتة بين المسلمين لينشر الدين، وتعلو راية التوحيد، ويحمى حماه" (٢).

(١) حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٢.

وإذا امتنع المؤمن عن موالاته إخوانه المؤمنين لسبب من الأسباب، بل وإلى أعداء الله وأعداء الدين من الكفار بمختلف أصنافهم، فإن النتيجة الحتمية ستكون خلاف ما ذكرنا دون أدنى شك.

ومظاهر موالاته المؤمنين قد بينها كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - أشد بيان وأوضحه، ومنها^(١):

١- محبة جميع المؤمنين في جميع الأماكن والأزمان ومن أي جنسية كانوا من أجل إيمانهم وطاعتهم لله تعالى.

٢- مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم وديناهم.

٣- التألم لألمهم والسرور بسرورهم.

٤- النصح لهم ومحبة الخير لهم وعدم غشهم وخديعتهم.

٥- احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقصهم وعيبهم.

٦- أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء، بخلاف أهل النفاق الذين يكونون مع المؤمنين في حالة اليسر والرخاء، ويتخلون عنهم في حال الشدة.

٧- الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكافرين.

٨- زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع معهم.

٩- احترام حقوقهم، فلا يبيع على بيعهم، ولا يسوم على سومهم، ولا يخطب على خطبتهم، ولا يتعرض لما سبقوا إليه من المباحات.

١٠- الرفق بضعفائهم.

١١- الدعاء لهم والاستغفار لهم.

أما مظاهر موالاته الكفار فمنها^(٢):

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ٣١٣-٣١٥، ومحاضرات في العقيدة والدعوة ١/ ٢٣٠-٢٣٤، وتسهيل العقيدة الإسلامية ص ٥٥٥-٥٥٩.

(١) مجموعة التوحيد المعروف بـ (مجموعة التوحيد النجدية) ص ٢٤٠-٢٤١، والولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف ص ٢٣٢-٢٤٢.

١- الرضى بكفر الكافرين، وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة.

٢- التولي العام واتخاذهم أعوانا وأنصارا وأولياء، أو الدخول في دينهم.

٣- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله.

٤- مودتهم ومحبتهم.

٥- الركون إليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾

(هود: ١١٣).

٦- مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين، قال تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ

فَيْدِّهِنُونَ ﴾ (القلم: ٩).

٧- اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين.

٨- طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ

ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (الكهف: ٢٨).

٩- مجالستهم، والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله.

١٠- مظاهرة الكفار على المسلمين وإعانتهم ومناصرتهم عليهم والذب عنهم، وهذا

من نواقض الإسلام وأسباب الردة^(١)، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾

(المائدة: ٥١).

١١- السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم، وعدم الانتقال منها إلى بلاد

المسلمين لأجل الفرار بالدين.

١٢- التشبه بهم فيما هو من خصائصهم.

١٣- مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبةها أو حضور

إقامتها^(٢).

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ٣١٠، محاضرات في العقيدة والدعوة ١/٢٢٤.

(٢) المرجعان السابقان الأول ص ٣١١-٣١٢، والثاني ١/٢٢٧.

١٤ - مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد^(١).

ما يجوز أو يجب التعامل به مع الكفار مما لا يدخل في موالاتهم:

إن الوسطية من خصائص ديننا الإسلامي، فلا إفراط فيه ولا تفريط، لا في العبادات التي هي شأن العبد بينه وبين خالقه ولا في المعاملات التي هي من الأمور المشتركة بين المسلم وبين غيره من بني الإنسان، فالإسلام يحكم بالعدل والإنصاف في تلك الأمور كلها، فقد بين في شرائعه الحدود التي ينبغي أن يقف عندها المسلم في تعامله مع غير المسلم كيلا يجر على نفسه شرا ربما يؤدي إلى هلاك دينه ودينه، كما بين في الجانب الآخر ذلك الحد الذي يمكنه التعامل فيه مع غير المسلم كيلا يفوت على نفسه تلك الفوائد التي يكتسبها من خلال تعامله معه مما لا ضرر فيه على نفسه ودينه، فالإنسان كائن اجتماعي، (والمسلم يألف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)^(٢).

وبناء على هذا، فإنه بعد ذكر صور موالات الكفار وبيان وجوب اجتناب المسلم عنها، وصور موالات المؤمنين وبيان وجوب تمسك المسلم بها يحسن بي أن أوضح تلك الجوانب التي يجوز أو يجب فيها تعامل المسلم مع الكفار مما لا يدخل في موالاتهم؛ وذلك لإبراز وسطية الدين الحنيف من جهة حيث إنه لم ينه عن معاملة الكفار بالحسنى مع أنهم أعداء الله وأعداء الملة، وكشف كيد المغترين بالأفكار الغربية من جهة أخرى الذين يظهرون الباطل في صورة الحق فيحيزون اتخاذ الكفار أولياء باسم سماحة الإسلام مع أهل الكتاب.

والأصل في المعاملة بالحسنى مع الكفار قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: ٨).

(٣) المرجعان السابقان الأول ص ٣١٢، والثاني ٢٢٧/١.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٠٠/٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٧٠/٦، والحاكم في المستدرک ٧٣/١، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٣٦/١٠ عن أبي هريرة، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٥/٨: رواه أحمد والبخاري وأحمد رجال الصحيح.

وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية، وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم؛ لأن الله عز وجل عم بقوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُوهُمْ مِّن دِينِكُمْ﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ؛ لأن بر المؤمن أحدا من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح"^(١).

والأمور التي يتعامل بها المسلم مع الكفار منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، أو مباح.

فالأمر الذي يجب على المسلم أن يتعامل بها مع الكفار هي^(٢):

- ١- حماية الذميين^(٣) والمستأمنين^(٤) ما داموا في بلاد الإسلام، وحماية المستأمن إذا خرج من بلاد المسلمين حتى يصل إلى بلد يأمن فيه.
- ٢- العدل عند الحكم فيهم، وعند الحكم بينهم وبين المسلمين، وبين بعضهم بعضا عند وجودهم تحت حكم المسلمين.
- ٣- دعوتهم إلى الإسلام، فإن دعوة الكفار فرض كفاية على المسلمين؛ وذلك لإخراجهم من الظلمات إلى النور، فقد عاد النبي - صلى الله عليه وسلم - غلاما يهوديا في مرضه ودعاه إلى الدخول في الإسلام فأسلم^(٥).

(٢) تفسير الطبري ١٢/٦٢.

(١) تسهيل العقيدة الإسلامية ص ٥٩٥-٦٠٤.

(٢) الذمي: هو المعاهد من الكفار إذا أومن على ماله ودمه بالجزية. انظر: أنيس الفقهاء ١/١٨٢.

(٣) المستأمن: هو الذي يدخل دار الإسلام بأمان لتجارة ونحوها بنية العودة إلى بلاده. انظر: الفقه على المذاهب الأربعة ٤/٤٠٠، المطلاع على أبواب الفقه ص ٢٢١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي فمات هل هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ - ص ١٠٦ برقم (١٣٥٦) عن أنس بن مالك.

٤- يحرم إكراه اليهود والنصارى والمجوس على تغيير أديانهم، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

٥- يحرم على المسلم أن يعتدي على أحد من الكفار غير الحربيين في بدنه بضرب أو قتل أو غيرهما لما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما)^(١)، وللحديث: (من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة)^(٢).

٦- يحرم على المسلم أن يغش أحدا من الكفار غير الحربيين في البيع أو الشراء، أو أن يأخذ شيئا من أموالهم بغير حق.

٧- يحرم على المسلم أن يسيء إلى أحد من الكفار غير الحربيين بالقول، ويحرم الكذب عليهم، لعموم قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣).

٨- يجب إحسان الجوار لمن كان له جار من الكفار غير الحربيين بكف الأذى عنه، ويستحب أن يحسن إليه بالصدقة عليه إن كان فقيرا^(٣)، وأن يهدي إليه، وأن ينصح له فيما ينفعه لعموم قوله- صلى الله عليه وسلم: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)^(٤).

٩- يجب على المسلم أن يرد السلام على الكافر^(٥)، إذا سلم الكافر على المسلم سلاما بينا واضحا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجزية والموادعة- باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم- ص ٢٥٦ برقم (٣١٦٦) عن عبد الله بن عمرو.

(٦) أخرجه النسائي في سننه- كتاب القسامة والقود والديات- باب تعظيم قتل المعاهد- ص ٢٣٩٥ برقم (٤٧٥٣)، وأحمد في مسنده ٢٣٧/٤ عن رجل من أصحاب النبي، وصححه الألباني في غاية المرام برقم (٤٥٠).

(١) من المشروع أن يتصدق المسلم على جاره الكافر وغيره من الكفار غير المحاربين من غير الزكاة، انظر: فتاوى الشيخ ابن باز ١٠٤٠/٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب- باب الوصاءة بالجار- ص ٥٠٩ برقم (٦٠١٥)، ومسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والأدب- باب الوصية بالجار والإحسان إليه- ص ١١٣٦ برقم (٢٦٢٥) عن ابن عمر.

(٣) انظر: فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز ١٠٤١/٣.

(النساء: ٨٦). أما إذا لم يكن بيننا واضحا فإن المسلم يقول: "وعليك". وكذلك لو كان سلامه واضحا يقول فيه: "السام عليكم" يعني الموت، فإنه يجاب بـ "وعليك" لقوله - صلى الله عليه وسلم: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم)^{(١)(٢)}، قال الإمام ابن القيم:

"العدل في التحية يقتضي أن يرد عليه نظير سلامه"^(٣)، لكن لا يجوز أن يبدأ الكافر بالسلام عليه لقوله - صلى الله عليه وسلم: (لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام)^(٤).

أما الأمور التي يباح أو يستحب للمسلم أن يتعامل بها مع الكفار، فمنها^(٥):

١ - يجوز استعاملهم واستئجارهم في الأعمال التي ليس فيها ولاية على مسلم، وليس فيها نوع استعلاء من الكافر على المسلم، فقد استأجر النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن أريقط في الهجرة^(٦)، واستعمل يهود خيبر في أرضها ليزرعوها ولهم نصف ما يخرج منها^(٧)، منها^(٧)، أما الأعمال التي فيها ولاية على المسلمين أو فيها اطلاع على أخبارهم فلا يجوز توليتهم إياها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاستئذان - باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام؟ - ص ٥٢٧ برقم (٦٢٥٨)، ومسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم - ص ١٠٦٣ برقم (٢١٦٣) عن أنس بن مالك.

(٥) مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٣/٣٧.

(١) أحكام أهل الذمة ١/٤٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم - ص ١٠٦٤ برقم (٢١٦٧) عن أبي هريرة.

(٣) تسهيل العقيدة الإسلامية ص ٦٠٤ - ٦١٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الإجارة - باب استئجار المشركين عند الضرورة أو إذا لم يوجد أهل الإسلام - ص ١٧٥ برقم (٢٢٦٣) عن عائشة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الإجارة - باب إذا استأجر أرضا فمات أحدهما - ص ١٧٧ برقم (٢٢٨٥)، ومسلم في صحيحه - كتاب المساقاة والمزارعة - باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع - ص ٩٤٧ برقم (١٥٥١) عن ابن عمر.

٢- يستحب للمسلم الإحسان إلى المحتاج من الكفار، كالصدقة على الفقير المعوز منهم، وكإسعاف مريضهم لعموم قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٥)، ولعموم حديث: (في كل كبد رطبة أجر)^(١).

٣- تستحب صلة القريب الكافر كالوالدين والأخ بالهدية والزيارة ونحوهما، لكن لا يتخذه المسلم جليسا وبالأخص إذا خشيت فتنته وتأثيره على دين المسلم، قال تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ (الإسراء: ٢٦)، وقال تعالى في حق الوالدين: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۗ ﴾ (لقمان: ١٥).

٤- يجوز برهم بالهدية ونحوها لترغيبهم في الإسلام، أو في حال دعوتهم، أو لكف شرهم عن المسلمين، أو مكافأة لهم على مسألتهم للمسلمين وعدم اعتدائهم عليهم، ليستمروا على ذلك، أو لما يشبه هذه الأمور من المصالح الشرعية.

٥- يستحب إكرام الكافر عند نزوله ضيفا على المسلم لعموم قوله- صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)^(٢)، كما يجوز أن ينزل المسلم ضيفا على الكافر لحديث أبي سعيد الخدري في الرقى^(٣)، لكن لا يجوز إجابة المسلم لدعوته لما في ذلك من المادة له.

٦- يجوز الأكل العارض معهم من غير أن يتخذ المسلم الكافر صاحبا وجليسا وأكילה، فيجوز أن يأكل مع الكافر في وليمة عامة أو وليمة عارضة، وأن يأكل مع خادمه الكافر^(٤)، أو في حال كون الكافر ضيفا عند المسلم، أو إذا نزل المسلم ضيفا عند الكافر، من

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المساقاة- باب فضل سقي الماء- ص ١٨٥ برقم (٢٣٦٣)، ومسلم في

صحيحه- كتاب السلام- باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها- ١٠٧٦ برقم (٢٢٤٤) عن أبي هريرة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب- باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره- ص ٥٠٩ برقم

(٦٠١٨)، ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب الحث على إكرام الجار والضيف ولنزوم الصمت إلا عن

الخير وكون ذلك كله من الإيمان- ص ٦٨٨ برقم (٤٧) عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٣٩.

(٣) انظر: مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز ١٠٥٤/٣.

من غير قصد التحبب إليه بذلك، ومن غير قصد للاستئناس به، أما إن جالسه بقصد التحبب إليه من غير تحقيق مصلحة شرعية أو جالسه للاستئناس به فذلك محرم وكبيرة من كبائر الذنوب.

٧- يجوز التعامل معهم في الأمور الدنيوية التي هي مباحة في دين الإسلام، فقد عامل النبي - صلى الله عليه وسلم - اليهود، وبايعهم، واشترى منهم.

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اشترى من يهودي طعاما إلى أجل، ورهنه درعا له من حديد^(١).

٨- يجوز للمسلم أن يتزوج بالكافرة الكتابية فقط إذا كانت عفيفة عند الأمن من ضررها على الدين والنفس والأولاد، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة:٥)، والمحصنات هن العفيفات عن الزنا^(٢)، وإن كان الأولى للمسلم أن لا يتزوج بكافرة؛ لأن ذلك أسلم له ولذريته، لأنه ربما مال إليها قلبه ففتنته، وربما كان بينهما ولد فيميل إليها^(٣).

٩- يجوز للمسلمين أن يستعينوا بالكفار في صد عدوان على المسلمين، وهذا هو الصحيح في المسألة^(٤)، وذلك بشرطين:

١- الاضطرار إلى إعادتهم بأن يكون في المسلمين قلة، وتدعو الحاجة إلى إعادتهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب البيوع - باب شراء النبي صلى الله عليه وسلم بالنسيئة - ص ١٦١-١٦٢ برقم (٢٠٦٨)، ومسلم في صحيحه - كتاب المساقاة والمزارعة - باب الرهن وجوازه في الحضرة كالسفر - ص ٩٥٧ برقم (١٦٠٣) عن عائشة، وينظر: القول المبين ص ٤٤-٤٧، وفتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز ١٠٣٩/٣-١٠٤٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير للآية.

(٣) الشرح الكبير ٥٠٧/٧.

(٤) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة ٢٣٠/١.

٢- الأمن من مكرهم وضررهم، بأن يكونوا ممن يوثق بهم في أمر المسلمين.
قال الإمام ابن القيم رحمه الله في ذكر فوائد صلح الحديبية: "منها: أن الاستعانة
بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة"^(١).

وقال الشيخ محمد حسنين مخلوف: "ذكر بعضهم أنه يجوز الاستعانة بغير المسلم في
الجهاد بشرط الحاجة والوثوق به، أما بدونهما فلا يجوز"^(٢).

١٠- يجوز للمسلم أن يذهب إلى الطبيب الكافر للعلاج إذا وثق به، قال شيخ
الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "جاز أن يستطب المسلم الكافر إذا كان ثقة، نص على ذلك
الأئمة كأحمد وغيره؛ إذ ذلك من قبول خبرهم فيما يعلمونه من أمر الدنيا وائتمان لهم على
ذلك، وهو جائز إذا لم يكن فيه مفسدة راجحة مثل ولايته على المسلمين وعلوه عليهم ونحو
ذلك"^(٣).

١١- يجوز دفع الزكاة إلى المؤلفة قلوبهم من الكفار، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَلْصَقْتُ
لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ ﴾ (التوبة: ٦٠)^(٤).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في كلامه عن معاملة المسلم لغير المسلم: "أما
الزكاة فلا مانع من دفعها للمؤلفة قلوبهم من الكفار"^(٥)، ثم ذكر الآية السابقة.

١٢- يجوز للمسلم أن يشارك الكافر في التجارة، لما روي عن عبد الرحمن بن أبي بكر
رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم جاء رجل مشرك مشعان^(٦)

(٥) زاد المعاد ٣/٢٦٧.

(٦) القول المبين ص ٥١، وينظر: مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز ٣/١٠٦٠، محاضرات في العقيدة والدعوة
١/٢٣٠.

(١) مجموع الفتاوى ٤/١١٤.

(٢) انظر: تفسير هذه الآية في تفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير.

(٣) مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز ٣/١٠٤١.

(٤) هو المنتفش الشعر الشائر الرأس، يقال: شَعَرَ مُشَعَانٌ، ورجل مُشَعَانٌ، ومُشَعَانُ الرَّأْسِ، تقول العرب: رأيت فلانا
مشعان الرأس إذا رأيت شعثاً مُنتَفِشَ الرَّأْسِ مُعَبَّرًا أشعث. انظر: النهاية في غريب الأثر ٢/١١٧٢، لسان العرب

١٣/٢٣٩ (مادة شعن).

طويل بغنم يسوقها، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (أبيعا أم عطية؟) أو قال: (أم هبة؟). قال: لا، بل بيع، فاشترى منه شاة^(١).

لكن تلك المشاركة يشترط فيها أن يلي المسلم أمرها أو يشرف عليها؛ لئلا يقع في تعامل محرم عند إشراف غير المسلم على هذه التجارة وتصريفه لها.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "قال إسحاق بن إبراهيم: سمعت أبا عبد الله وسئل عن الرجل يشارك اليهودي والنصراني، قال: يشاركهم ولكن يلي هو البيع والشراء؛ وذلك أنهم يأكلون الربا ويستحلون الأموال"^(٢).

١٣- يجوز قبول الهدية من الكافر إذا لم يكن فيها إذلال للمسلم ولا موالة منه للكافر. ففي صحيح البخاري عن أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - تبوك وأهدى ملك أيلة للنبي - صلى الله عليه وسلم - بغلة بيضاء، وكساه بردا، وكتب له ببحرهم^(٣). وفي الصحيحين عن أنس أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -^(٤).

قال الشيخ محمد حسن بن مخلوف رحمه الله: "الاستعانة بغير المسلمين فيما فيه مصلحة دينية أو دنيوية للمسلمين إن كانت بأموالهم ولم تشبها شائبة الإذلال والولاية منهم المنهي عنهما شرعا فلا خلاف في جوازها، وقد قبل الرسول - صلى الله عليه وسلم - هدايا من غير المسلمين، واستشفع في أموالهم"^(٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب البيوع - باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب - ص ١٧٢ برقم (٢٢١٦)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٠٥٦) عن عبد الرحمن بن أبي بكر.

(١) أحكام أهل الذمة ١/٥٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجزية والموادعة - باب إذا وادع الإمام ملك القرية هل يكون ذلك لبقيتهم؟ - ص ٢٥٥ برقم (٣١٦١) عن أبي حميد الساعدي.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها - باب قبول الهدية من المشركين - ص ٢٠٦ برقم (٢٦١٦)، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل سعد بن معاذ - ص ١١١١ برقم (٢٤٦٩) عن أنس بن مالك.

(٤) القول المبين ص ٤٤.

الفصل الثامن العبادات القلبية

تمهيد

في معنى العبادة والمقصود بالعبادات القلبية

معنى العبادة لغة:

العبادة: مصدر عبد، يعبد، عبادة أي أطاع.
قال الجوهري^(١): "أصل العِبُودِيَّةِ الخُضُوعُ والذُّلُّ. والتعبيدُ: التذليلُ، يقال: طريقٌ مُعَبَّدٌ.
والعِبَادَةُ: الطاعةُ. والتَّعَبُّدُ: التَّنَسُّكُ"^(٢).

فالعبادة في اللغة هي: الطاعة، والخضوع، والتذلل.

معنى العبادة شرعا:

تطلق العبادة في الشرع على شيئين:
الأول: التعبد: بمعنى التذلل لله عز وجل، بفعل أوامره واجتناب نواهيه، محبة وتعظيمًا.

(١) هو إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي أبو نصر، كان إماما في اللغة والأدب وخطه يضرب به المثل في الجودة، أصله من بلاد الترك من "فاراب"، من مصنفاته: تاج اللغة وصحاح العربية، كتاب المقدمة في النحو، توفي سنة ٣٩٣هـ، وقيل: ٤٠٠هـ.

انظر: معجم المؤلفين ٢/٢٦٧، معجم الأدباء ٢/٢٠٥.

(٢) الصحاح للجوهري، وانظر: القاموس المحيط ص ٣٧٨، ومعجم مقاييس اللغة ص ٧٠١-٧٠٢، والمفردات في غريب القرآن ص ٣٢٢، ولسان العرب ٣/٢٧٣.

ويمكن أن تعرّف بأنها: امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه. فهي أداء الواجبات التي أوجبهها الله قولاً أو فعلاً، باطنا أو ظاهراً، وترك المحرمات التي حرمها الله قولاً أو فعلاً، ظاهراً أو باطناً^(١).

الثاني: المتعبّد به أو القرية. وهو الذي قال فيه شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله بأنه: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"^(٢).

مثال ذلك: الصلاة فعلها عبادة، وهو التعبّد، وهي في نفسها عبادة، وهي المتعبّد به. والعبادة هي الحكمة العظيمة والغاية الحميدة التي خلق الله الجن والإنس لأجلها^(٣)، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)؛ ولذلك كان أول أمر في القرآن هو الأمر بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك وهو قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢١).

ويشترط لأي عمل يقوم به العبد لكي يكون عبادة مقبولة لدى الرب جل وعلا شرطان:

الأول: الإخلاص

الثاني: المتابعة^(٤).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: "لا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وكذلك المتابعة، كما قال الفضيل بن عياض^(٥) رحمه الله في قوله تعالى: ﴿

(٣) أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم، إعداد د. سهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي ص ١٦٧، ط/الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، طبعة عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(١) مجموع الفتاوى ١٤٩/١٠، ٢٨٢/١٥.

(٢) انظر: المرجع السابق ١٩/١٠.

(٣) انظر: تجريد التوحيد المفيد للعلامة أحمد بن علي المقرئ المصري الشافعي ص ٧٨، اعتنى به علي بن محمد العمران ط/الثانية ١٤٢٤هـ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة المكرمة.

(٤) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي المروزي أبو علي، الإمام الزاهد، كان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث، توفي سنة ١٨٧هـ.

انظر: العبر في خبر من غير ٢٩٨/١، طبقات الحفاظ ١١٠/١، سير أعلام النبلاء ٤٢١/٨.

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿ (الملك: ٢)، قال: أخلصه وأصوبه. قيل: يا أبا علي! ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة" (١).

وعلى هذا، فكل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعله لله عبادة، فإذا صرف العبد من تلك العبادة شيئا لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث به رسوله من قوله: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ (الزمر: ١٤) (٢).

ولتحقيق الشرط الثاني الذي هو المتابعة فلا بد أن تكون العبادة مبنها على التوفيق والاتباع لا على الهوى والابتداع (٣)، فلا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب في دين الله، وما سوى ذلك فضلال عن سبيله؛ ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) (٤) (٥)، ومن تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقد أنها واجبة أو مستحبة فهو ضال مبتدع (٦).

المقصود بالعبادات القلبية:

العبادات القلبية يقصد بها أعمال القلوب، وهي الأعمال التي يتعلق أداؤها بالقلب دون سائر الجوارح (٧).

وقد فضّلت استخدام هذا المصطلح (العبادات القلبية) بدلا من (الأعمال القلبية) رغبة في إيجاد التناسب بين محاور البحث الثلاثة: العبادات القولية وهي أعمال اللسان، والعبادات العملية وهي أعمال الجوارح، والعبادات القلبية وهي أعمال القلوب.

(٥) فتح المجيد ص ٤٣٥، وانظر: معارج القبول ٢/٥٤٣، ٥٤٦.

(١) فتح المجيد ص ١٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١/١٤١.

(٣) سبق تخرجه ص ٤٣.

(٤) مجموع الفتاوى ١/٤١.

(٥) المرجع السابق ١/١٦٠.

(٦) أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم ص ١٥٤.

والعبادات القلبية كلها من الإيمان^(١)، سواء ما كان منها شروطا للشهادتين مثل اليقين، والإخلاص، والانقياد، والقبول، أو ما كان أركاناً للعبادة وهي المحبة، والخوف، والرجاء. وعمل القلب أبلغ من قول اللسان وعمل الجوارح؛ لأنه هو الأساس، قال العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله: "اعلم أنه لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب"^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والأعمال، وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها"^(٣).

وقال أيضاً: "الدين القائم بالقلب من الإيمان علماً وحالاً هو الأصل، والأعمال الظاهرة هي الفروع، وهي كمال الإيمان"^(٤).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "إن الله على العبد عبوديتين: عبودية باطنة وعبودية ظاهرة، فله على قلبه عبودية، وعلى لسانه وجوارحه عبودية،... فعمل القلب هو روح العبودية ولبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح"^(٥).

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "عمل القلب هو المقصود الأعظم"^(٦).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى ٥٣٧/٧.

(١) معارج القبول ٥٤١/٢.

(٢) التحفة العراقية في الأعمال القلبية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ص ٣٠٨، تحقيق ودراسة الدكتور يحيى بن محمد بن عبد الله الهنيدي ط/الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م مكتبة الرشد- الرياض.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥٥/١٠.

(٤) بدائع الفوائد ٧١٠/٣.

(٥) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ٢٥/٦، ط/الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م (دون بيانات أخرى).

المبحث الأول

معاني العبادات القلبية ووجوب إفراد الله تعالى بها

أولاً: المحبة

معنى المحبة لغة:

المحبة هي الاسم من الحب، وكلاهما مأخوذ من مادة (ح ب ب) التي تدور في اللغة على خمسة معان:

الأول: الصفاء والبياض. ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حَبَبُ الأسنان.

الثاني: العلوّ والظهور. ومنه: حَبَّ الماء وحُبَّابه. وهو ما يعلوه عند المطر الشديد.

الثالث: اللزوم والثبات. ومنه حَبَّ البعير وأحب، إذا برك ولم يتم.

الرابع: اللب. ومنه: حبة القلب، لِبَّته وداخله. ومنه: الحَبُّ جمع حبة. فإن الحب أصل

الشجر ومادة ثباته.

الخامس: الحفظ والإمساك. ومنه: حَبُّ الماء للوعاء الذي يحفظ فيه وبمسكه.

وهذه المعاني الخمسة هي من لوازم المحبة: فإنها صفاء المودة، وهيجان إرادات القلب للمحبوب، وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد، وثبوت إرادات القلب للمحبوب، ولزومها لزوما لا تفارقه، وإعطاء المحب محبوبه لبَّه، وأشرف ما عنده، وهو قلبه، ولا اجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه.

فاجتمعت فيها المعاني الخمسة^(١).

معنى المحبة شرعاً:

قال ابن القيم رحمه الله: "لا تحب المحبة بجد أوضح منها، فالحدود لا تزيد إلا خفاء

وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة.

(١) مدارج السالكين ٩/٣ - ١٠، وانظر: معجم مقاييس اللغة ص ٢٣١، ولسان العرب ٢٨٩/١ - ٢٩٠، والقاموس

المحيط ص ٩٠.

وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهداها، وثمراتها، وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات،

بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، وملكه للعبارة"^(١).

أقسام المحبة:

تنقسم المحبة إلى قسمين رئيسين^(٢):

القسم الأول: محبة مشتركة، وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: محبة طبيعية مشتركة كمحبة الجائع للطعام والظمان للماء، وغير ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم.

النوع الثاني: محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده ونحوها، وهذه أيضا لا تستلزم التعظيم.

النوع الثالث: محبة إجلال، كمحبة الولد لوالده غير المشرك والكافر، فالولد يجب والده محبة إجلال وتكريم واحترام؛ لأنه والده المحسن إليه والمربي له^(٣).

النوع الرابع: محبة أنس وإلف، وهي محبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضا.

وهذه الأنواع الثلاثة هي المحبة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركا في محبة الله سبحانه؛ ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب أصحابه وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنهم أجمعين.

القسم الثاني: المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده، فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلا، ومتى أحب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله، وهي التي سوى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها.

(١) مدارج السالكين ٩/٣.

(٢) طريق المحررتين وباب السعادتین للعلامة محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله ٤٤١/١-٤٤٢، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر ط/الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م دار ابن القيم- الدمام.

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ٣٧/٢.

ثانياً: الخوف

معنى الخوف لغة:

قال ابن فارس: "الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفرع. يقال: خفت الشيء خوفاً وخيفة"^(١).

وقال الجوهري: "خَافَ الرجلُ يَخَافُ خَوْفاً وَخَيْفَةً وَخَافَةً، فهو خَائِفٌ... والأمر منه خَافٌ، بفتح الخاء"^(٢).

فالخوف لغة معناه: الذعر والفرع.

معنى الخوف شرعاً:

الخوف هو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل^(٣).

وقيل: هو توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة^(٤).

وقيل: الخوف هو الذعر، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى^(٥).

(١) معجم مقاييس اللغة ص ٣١٧، وانظر: القاموس المحيط ص ١٠٤٥ مادة (خوف).

(٢) الصحاح في اللغة للجوهري مادة (خوف).

(٣) مختصر منهاج القاصدين للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ص ٣٨٥، خرج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط، ط/الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مكتبة دار البيان - دمشق، مكتبة المؤيد - الطائف.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (خوف) ص ١٦٦، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ٥٧٦/٢، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ١٣٨٥هـ، والفروق اللغوية تأليف أبي هلال العسكري ص ٢٣٨، ط/الثانية ١٩٧٧م، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

(٥) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٥٦، إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان إشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية ط/الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م دار الثريا للنشر والتوزيع - الرياض.

والخوف هو أن يخاف العبد أن يعاقبه الله تعالى إما في الدنيا أو في الآخرة بسبب ترك مأمور أو فعل محظور، ويكون محمودا إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله، أما إذا أدى بالعبد إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، فهو إذن مذموم.

قال ابن القيم رحمه الله: [الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط. قال أبو عثمان: "صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا". وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: "الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله" (١).

ألفاظ تقارب الخوف في المعنى:

للخوف ألفاظ متقاربة له في المعنى، لكنها ليست مترادفة، وهذه الألفاظ هي: الخشية، والرغبة، والوجل، والهيبة، والإشفاق (٢).

أما الخشية فهي خوف مقرون بمعرفة، فإن لم تكن معرفة فهو خوف مجرد، فهي إذن أخص من الخوف؛ ولذا كان العلماء أخشى الناس لله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: ٢٨)، وكما قال النبي - صلى الله عليه وسلم: (فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية) (٣). فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية.

وأما الرغبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

(١) مدارج السالكين ١/٥١٤.

(٢) مدارج السالكين ١/٥١٢-٥١٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأدب - باب من لم يواجه الناس بالعتاب - ص ٥١٥ برقم (٦١٠١)، ومسلم في صحيحه - كتاب الفضائل - باب علمه صل الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته - ص ١٠٩١ برقم (٢٣٥٦) عن عائشة.

وأما الوجل فهو الخوف مع رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (المؤمنون: ٦٠).

وأما الهيبة فهو خوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة. وأما الإشفاق فهو رقة الخوف، وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه، فنسبته إلى الخوف كنسبة الرأفة إلى الرحمة فإنها ألطف الرحمة وأرقها^(١)، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِمَّنْ أَلْسَاعَةَ مَشْفِقُونَ ﴾ (الأنبياء: ٤٩).

أقسام الخوف:

ينقسم الخوف إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم، وهو ما يسمى بخوف السر، وهذا لا يصلح إلا لله عز وجل، فمن أشرك فيه مع الله غيره فهو مشرك شركا أكبر يخرج من الملة. مثل أن يخاف الإنسان من غير الله من الأصنام أو الأموات، أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم، أو يخاف الشياطين والجن، يخاف من كل هذه الأشياء لئلا تضره أو ليسلم من شرورها^(٢).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله بعد ذكر هذا القسم: "وهذا الخوف لا يكون العبد مسلما إلا بإخلاصه لله تعالى، وإفراده بذلك دون من سواه"^(٣).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: "اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة، وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته، فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنة، وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه، كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله

(١) مدارج السالكين ١/٥١٨.

(٢) فتح المجيد ص ٣٩٥، وتيسير العزيز الحميد ص ٣٦٣، والقول المفيد ٢/٦٨، وإعانة المستفيد ٢/٤٩.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٣٦٣.

من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لأنه أشرك في هذه العبادة- التي هي من أعظم واجبات القلب- غير الله مع الله" (١).

القسم الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر خوفا من الناس. فهذا القسم من الخوف محرم ومذموم، وهو نوع من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد (٢).

فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: (لا يحقر أحدكم نفسه) قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: (يرى أمرا لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس. فيقول الله: فيأبى كنت أحق أن تخشى) (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "السعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم الله، فترجو الله فيهم، ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفا من الله لا منهم" (٤).

القسم الثالث: الخوف الطبيعي والجبلي، وهو الخوف فيما أسبابه ظاهرة، كالخوف من عدو أو سبع، أو حية، أو هدم، أو غرق، ونحو ذلك.

وهذا الخوف ليس بعبادة، ولا ينافي الإيمان، ولا يؤذم عليه صاحبه، وهو الذي ذكره الله عن موسى- عليه الصلاة والسلام- في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص: ٢١).

وهذا الخوف ليس بعبادة وليس تركا لواجب، فلا يلام عليه الإنسان، ولا يؤاخذ إذا انعقدت أسبابه، أما إذا كان وهما أو له سبب ضعيف فهو مذموم؛ لأن صاحبه جبان.

ثالثا: الرجاء:

(٤) القول السديد في مقاصد التوحيد ضمن مجموعة من رسائل الشيخ السعدي ص ٤٧-٤٨.

(١) فتح المجيد ص ٣٩٦، وتيسير العزيز الحميد ص ٣٦٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه- كتاب الفتن- باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- ٢٧١٨ برقم (٤٠٠٨)، والإمام أحمد ٣٠/٣، ٤٧ عن أبي سعيد الخدري، وذكره الألباني في ضعيف ابن ماجه.

(٣) مجموع الفتاوى ٥١/١.

معنى الرجاء لغة:

الرجاء بالمد مصدر قولهم: رجوت فلانا أَرْجُوهُ.

وهو مأخوذ من مادة (رج و) التي تدل على الأمل الذي هو نقيض اليأس. يقال: رجوت فلانا رجواً، ورجاءً، ورجاوةً، ومرجأةً، ورجاءةً. ويقال: ما أتيتك إلا رجاًوةً الحَيْر. و تَرْجَاهُ وارتجَاهُ ورجَاهُ تَرْجِيَةً كله بمعنى^(١).

ويأتي الرجاء بمعان غير الأمل الذي هو نقيض اليأس، قال الفيروزآبادي: "وقد ورد الرجاء في القرآن على ستة أوجه:

أولها: بمعنى الخوف ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (نوح: ١٣).

ومنه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ (النبأ: ٢٧).

الثاني: بمعنى الطمع ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ﴾ (الإسراء: ٥٧).

الثالث: بمعنى توقع الثواب ﴿ يَرْجُونَ تَجْرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (فاطر: ٢٩).

الرابع: الرجا المقصور؛ بمعنى الطرف ﴿ وَالْمَلِكُ عَلَيَّ أَرْجَائِيهَا ﴾ (الحاقة: ١٧).

الخامس: الرجا المهموز ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ (الأعراف: ١١١)، أي: احبسه.

السادس: بمعنى الترك والتأخير ﴿ تُرْجَى مَن تَشَاءُ مِنْهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٥١)، أي:

تؤخر^(٢).

معنى الرجاء شرعا:

قال ابن القيم رحمه الله: "الرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويطيب لها السير.

وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى^(٣).

(١) انظر: مختار الصحاح ص ٢٦٧، ولسان العرب ٣٠٩/١٤، والصحاح في اللغة مادة (رج و).

(٢) بصائر ذوي التمييز ٥٠/٣.

(٣) مدارج السالكين ٣٥/٢.

والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل، وصرفه لغير الله تعالى شرك، إما أصغر، وإما أكبر، بحسب ما يقوم بقلب الراجي، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)^(١).

أنواع الرجاء:

الرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم.

يقول ابن القيم رحمه الله: "الرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان ونوع غرور مذموم. فالأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه. ورجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه. والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني، والرجاء الكاذب"^(٢).

فيعلم من هذا أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم^(٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوَلَّيْتِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢١٨).

وقد علق ابن أبي العز الحنفي رحمه الله على هذه الآية فقال: "فتأمل كيف جعل رجاءهم مع إيمانهم بهذه الطاعات! فالرجاء إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله تعالى شرعه وقدرته، وثوابه وكرامته. ولو أن رجلا له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يحرثها ولم يبيدها، ورجا أنه يأتي من مغلها مثل ما يأتي من حرث وزرع وتعاهد الأرض؛ لعدده الناس من أسفه السفهاء! وكذا لو رجا وحسن ظنه أن يجيئه ولد من غير جماع! أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب العلم وحرص تام! وأمثال ذلك،

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٥٨.

(٢) مدارج السالكين ٣٦/٢.

(٣) شرح ثلاثة الأصول ص ٥٨.

فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاءه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة، ولا تقرب إلى الله تعالى بامثال أوامره واجتناب نواهيه"^(١).

ولذلك فرق ابن القيم بين الرجاء والتمني وقال: "الفرق بينه وبين التمني، أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجهد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل"^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "المقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع، فهذا في غرور"^(٣).

وعلى هذا، فلا يصح الرجاء إلا مع العمل. وعلامة صحة الرجاء حسن الطاعة. والرجاء هو حسن الظن بالله عز وجل، وحسن الظن إن حمل على العمل، وحث عليه، وساق إليه؛ فهو صحيح، وإن دعا إلى ترك العمل والانهمك في المعاصي؛ فهو غرور. فمن كان رجاءه هاد إلى الطاعة، وزاجر له عن المعصية فهو رجاء صحيح"^(٤).

التلازم بين المحبة والخوف والرجاء:

المحبة والخوف والرجاء هي أعمال القلوب الثلاثة التي ترتكز عليها العبادة، وكل واحد منها مستلزم للآخر.

فعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء، فكل محب راج خائف. فهو أرجا ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه، وكذلك خوفه أشد الخوف.

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٣٢٥، ط/الرابعة ١٣٩١ هـ المكتب الإسلامي - بيروت، وانظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ص ٢٤، دار الكتب العلمية - بيروت، دون بيانات أخرى.

(٢) مدارج السالكين ٢/٣٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١١/٣٦٤.

(٤) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٢٤.

والخوف والرجاء أيضا متلازمان. فكل خائف راج، وكل راج خائف. فالخوف بلا رجاء
يأس وقنوط، والرجاء بلا خوف أمن من مكر الله، وكلاهما من كبائر الذنوب؛ لأن القنوط من
رحمة الله سوء ظن بالله. ومن أمن من مكر الله ساءت تصرفاته^(١).

قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۗ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾
(الأعراف: ٩٩).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ ۖ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (الحجر: ٥٦).

فلا يجوز لمن خاف أن يقنط من رحمة الله، بل يكون خائفا راجيا، يعمل بطاعة الله
ويخاف عقابه، ويرجو رحمته وثوابه.

والرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنا، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك
لكان قنوطا ويأسا. وليس الخوف ضد الرجاء، بل هو رفيق له ملازم له. فالرجاء قائد، والخوف
سائق. والرجاء والخوف يستلزمان المحبة ويرجعان إليها^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإذا كانت المحبة أصل كل عمل ديني، فالخوف
والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع إليها، فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يجبه لا فيما
يبغضه، والخائف يفر من الخوف لينال المحبوب"^(٣).

وقد مدح الله في كتابه من جمعوا بين الخوف والرجاء، فقال سبحانه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ

ءِ إِنَاءَ أَلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا تَحَذِرُ ۚ الْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ ﴾ (الزمر: ٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والخشية أبدا متضمنة للرجاء، ولولا ذلك
لكانت قنوطا، كما أن الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنا، فأهل الخوف لله والرجاء
له هم أهل العلم الذين مدحهم الله"^(٤).

(١) أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم ص ٢٣٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٦.

(٣) التحفة العراقية ص ٣٩٩.

(٤) الإيمان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ص ٢١، علق عليه جماعة من العلماء المكتبة القيمة
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، دون بيانات أخرى.

ووصف الله أنبياءه والصالحين من عباده أنهم كانوا يجمعون بين الخوف والرجاء، فيدعونه رغبا ورهبا، ويرجون رحمته ويخافون عذابه. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا^ط وَكَانُوا لَنَا خَشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠). والرغب هو جانب الرجاء. والرهب هو جانب الخوف.

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ^ج﴾ (الإسراء: ٥٧).

فعلم بهذه الأدلة وغيرها أنه يجب على المسلم أن يكون دائما في جميع أحواله خائفا راجيا، يخاف عذاب الله ويرجو ثوابه. يخاف على المسيئين من أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- ويرجو للمحسنين. ولا خوف نافع بدون رجاء، ولا رجاء بدون خوف.

رابعا: التوكل

معنى التوكل لغة:

التوكل على الشيء الاعتماد عليه.

وأصل التوكل من مادة (و ك ل)، يقال: وَكَّلَ بِاللَّهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَاتَّكَلَّ: اسْتَسَلَّمَ إِلَيْهِ. ويقال: وَكَلْتُ أَمْرِي إِلَىٰ فُلَانٍ أَيْ: أَلْجَأْتُهُ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدْتُ فِيهِ عَلَيْهِ. وَوَكَّلَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا اسْتَكْفَاهُ أَمْرَهُ ثِقَةً بِكِفَايَتِهِ أَوْ عَجْزًا عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ نَفْسِهِ. وَالتَّوَكَّلُ: إِظْهَارُ الْعَجْزِ وَالاعْتِمَادُ عَلَى الْغَيْرِ^(١).

معنى التوكل شرعا:

التوكل هو الاعتماد الصادق بالقلب على الله تعالى والثقة به في تحصيل ما ينفع العبد ودفع ما يضره في دينه ودنياه مع قيامه بالأسباب المأمور بها.

(١) انظر: لسان العرب ٧٣٤/١١، والقاموس المحيط ص ١٣٨١، ومختار الصحاح ص ٧٤٠، والصحاح في اللغة، ومعجم مقاييس اللغة ص ١٠٦٣، مادة (وكل).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "حقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار، من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع سواه"^(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: "حقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة. فمتى استدام العبد هذا العلم، وهذا الاعتماد والثقة، فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له، ووعدده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله، وتعلق به، وكل إليه وخاب أمه"^(٢).

منزلة التوكل من الدين والإيمان:

التوكل على الله من أجمع أنواع العبادة وأعظمها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، فإنه إذا اعتمد العبد على الله في جميع أمور الدين والدنيوية، دون كل من سواه، صح إخلاصه ومعاملته مع الله تعالى. وهو من أعظم منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله^(٣).

وهو أيضا أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس؛ فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل^(٤).

وتظهر منزلة التوكل من الدين والإيمان في كون الرب سبحانه وتعالى جعله شرطا للإيمان ولازما من لوازمه ومقتضياته، وجعله أيضا دليلا على صحة الإسلام، كما أمر به في آيات

(١) جامع العلوم والحكم ٤٩٧/٢.

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد (ضمن مجموعة رسائل الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٤٩).

(٣) فتح المجيد ص ٤٠٧.

(٤) طريق المحجرتين ص ٣٨٩.

كثيرة في كتابه العزيز، حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات، كما أن الإخلاص لله واجب، وحب الله ورسوله واجب، وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة، ونهى عن التوكل على غير الله"^(١).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى؛ لأنه من أفضل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد، بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين... ولذلك أمر الله به في غير آية من القرآن أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة، بل جعله شرطاً في الإيمان والإسلام، ومفهوم ذلك انتفاء الإيمان والإسلام عند انتفائه"^(٢).

أقسام التوكل:

يحسن بي وأنا أشرع في الكلام عن أقسام التوكل أن أذكر بعض التعريفات الأخرى للتوكل عند العلماء.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "الصواب في حد التوكل الثقة بالله تعالى والاعتماد في الأمور عليه، وتفويض كل ذلك إليه بعد استفراغ الوسع في السعي فيما بالعبد الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه على ما أمر به من السعي فيه"^(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: "التوكل عمل القلب وعبوديته اعتماداً على الله وثقة به والتجاء إليه وتفويضاً إليه، ورضاً بما يقضيه له لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه، مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها"^(٤).

وقال أيضاً رحمه الله: "وحقيقة التوكل القيام بالأسباب والاعتماد بالقلب على المسبب"^(٥).

(١) الإيمان ص ١٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٧٠-٣٧١.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ٩/٤٠٨، ضبط نصه وعقب عليه أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط/الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض.

(٤) الروح ص ٢٥٤.

(٥) مدارج السالكين ٣/٤٩٩.

وقال عبد العزيز البخاري^(١) رحمه الله: "هو تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه مع رعاية الأسباب"^(٢).

إذا تأملنا فيما سبق ذكره من تعريفات العلماء للتوكل نرى أن هناك شيئا مشتركا في تلك التعريفات كلها وهو التعبير بـ (اعتماد القلب على الله)، وفي هذا دليل على أن التوكل بمعناه الشرعي هو الاعتماد بالقلب على الرب جل وعلا مع الأخذ بالأسباب، وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي إذن تقسيم التوكل إلى: التوكل على الله، والتوكل على غير الله، بل التوكل بمعناه الشرعي هو التوكل على الله وحده، وهو عبادة قلبية محضة، يجب إفراد الله تعالى بها، أما إذا صرف لغير الله فله حالات تختلف حكمها باختلاف ما في قلب الإنسان المتوكل تجاه ما توكل عليه.

"ذلك أن حقيقة التوكل لا يصلح إلا لله جل وعلا؛ لأنه تفويض الأمر إلى من بيده الأمر، والمخلوق ليس بيده الأمر، فالتجاء القلب ورغب القلب وطمع القلب في تحصيل المطلوب إنما يكون ذلك ممن يملكه وهو الله جل وعلا، أما المخلوق فلا يقدر على شيء استقلالاً وإنما هو سبب، فإذا كان سببا فإنه لا يجوز التوكل عليه؛ لأن التوكل عمل القلب وإنما يجعله سببا بأن يجعله شفيعا، أو واسطة، ونحو ذلك، فهذا لا يعني أنه متوكل عليه، فيجعل المخلوق سببا فيما أقدره الله عليه ولكن يفوض أمر النفع بهذا السبب إلى الله جل وعلا، فيتوكل على الله ويأتي بالسبب الذي هو الانتفاع من هذا المخلوق بما جعل الله جل وعلا له من الانتفاع أو من القدرة ونحو ذلك"^(٣).

فالتوكل على الله عبادة قلبية محضة، وهو الاعتماد المطلق على الله تعالى، بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضرر؛ فيعتمد عليه اعتمادا كاملا، مع شعوره بافتقاره إليه.

(٢) هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري الحنفي علاء الدين، فقيه أصولي، من مصنفاته: كشف الأسرار في شرح أصول البزدوي، توفي سنة ٧٣٠هـ.

انظر: معجم المؤلفين ٥/٢٤٢.

(٣) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدري تأليف علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري ١/٣٣، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد دروس ألقاها الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ص ٣٧٦، ط/الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار التوحيد - الرياض.

وإفراد الله جل وعلا بالتوكل واجب، وإذا صرف لغير الله فله ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من جلب منفعة أو

دفع مضرة، كأن يتوكل على المخلوق في مغفرة الذنوب، وتحصيل الخيرات الأخروية، أو يتوكل على المخلوق في تحصيل ولد أو تحصيل الوظيفة، فيتوكل عليه بقلبه، وهو لا يقدر على ذلك الشيء، فهذه عبادة صرفت لغير الله وهو شرك أكبر به جل وعلا مناف لأصل التوحيد^(١).

الحالة الثانية: أن يتوكل على المخلوق الحي الحاضر فيما أقدره الله عليه من رزق أو

دفع أذى، وهذا شرك خفي، وشرك أصغر؛ لقوة تعلق القلب بهذا المخلوق واعتماده عليه، مثال ذلك اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه، فتجد واحدا من هؤلاء يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار، كما تلاحظ في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر، فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب، بل جعله فوق السبب.

ولهذا قال طائفة من أهل العلم: لا يجوز أن يقول الإنسان: توكلت على الله ثم عليك؛

لأن المخلوق ليس له نصيب من التوكل، فإن التوكل إنما هو تفويض الأمر والالتجاء بالقلب إلى من بيده الأمر وهو الله جل وعلا، والمخلوق لا يستحق شيئا من ذلك.

أما لو اعتقد أن هذا الإنسان سبب، وأن الله تعالى هو الذي أقدره على هذا الشيء

وأجراه على يديه، فهذا لا بأس به، إذا كان لهذا الإنسان أثر صحيح في حصول المراد.

فالتوكل حقيقته في الشرع تجمع عبادة قلبية عظيمة، وهي تفويض الأمر إلى الله جل

وعلا، والالتجاء إليه، والعلم بأنه لا أمر إلا أمره، ولا شيء إلا بما قدره وأذن به كونا، ثم فعل

السبب الذي أوجب الله فعله أو أمر بفعله، فترك فعل الأسباب ينافي حقيقة التوكل الشرعية،

كما أن الاعتماد على السبب وترك تفويض الأمر إلى الله ينافي حقيقة التوكل الشرعية، فالمتوكل

في الشرع هو من عمل السبب، وفوض الأمر إلى الله في الانتفاع بالسبب، وفي حدوث المسبب

من ذلك السبب، وفي توفيق الله وإعانتته، فإنه لا حول ولا قوة إلا به جل وعلا^(٢).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص ٣٧٥، وانظر: تيسير العزيز الحميد ص ٣٧٢.

(٢) انظر: القول المفيد ٨٩/٢، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد ص ٣٧٤-٣٧٦، وأعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها

عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم ص ٤٠٠.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "اعلم أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا تغيير في وجه العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع"^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: "التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها"^(٢).

وقال أيضا: "إنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيد، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك، فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن ههنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب، وهذا حق، لكن رفضها عن القلب، لا عن الجوارح، فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب، وتعلق الجوارح بها، فيكون منقطعاً منها متصلاً بها"^(٣).

الحالة الثالثة: الاعتماد على الغير في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، فهذا جائز، وهو الذي سمي بالوكالة، وقد دل على جوازها الكتاب والسنة والإجماع، قال يعقوب عليه السلام:
﴿يَبْنِيْ أَدْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف: ٨٧)، ووكل النبي - صلى الله عليه وسلم - علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن ينحر ما بقي من المائة بعد أن نحر - صلى الله عليه وسلم - بيده الشريفة ثلاثاً وستين^(٤).

(٢) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٢٣١، ومنهاج السنة النبوية ٨/٨٠، وبغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ص ٢٦٢، تحقيق الدكتور موسى سليمان الدويش، ط/الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة العلوم والحكم.

(٣) مدارج السالكين ٢/١٢٠.

(٤) المرجع السابق ٢/١٢٠.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الحج - باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم - ص ٨٨٠ برقم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله.

لكن لا يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه، بل يتوكل على الله سبحانه وتعالى في تيسير أمره الذي يطلبه، إما بنفسه أو بنائيه، ولهذا لا يقال: توكلت على فلان، وإنما يقال: وكلت فلانا^(١).

خامسا: الاستعانة

معنى الاستعانة لغة:

الاستعانة هي: طلب العون، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ١٥٣)^(٢).

والعون: الظهير على الأمر، والجمع الأعوان. ويقال: استعنته واستعنت به فأعاني وعاونني. وفي الدعاء: (ربّ أعني ولا تعن عليّ)^(٣). وتعاون القوم إذا أعان بعضهم بعضا^(٤).
معنى الاستعانة اصطلاحا:

الاستعانة هي: طلب ما يتمكن به العبد من الفعل ويوجب السير عليه^(٥). وهي أقسام:

القسم الأول: الاستعانة بالله عز وجل، وهي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك^(٦).

(٢) انظر: رسالة في تحقيق التوكل لابن تيمية، مطبوعة ضمن جامع الرسائل ٨٩/١، تحقيق محمد رشاد سالم، دون بيانات أخرى، وتيسير العزيز الحميد ص ٣٧٢، وشرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٥٩.

(٣) المفردات ص ٣٥٦ (مادة عون).

(٤) من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الوتر- باب ما يقول الرجل إذا سلم- ص ١٣٣٤ برقم (١٥١٠)، والترمذي في سننه- كتاب الدعوات- باب [رب أعني ولا تعن عليّ...]- ص ٢٠١٧ برقم (٣٥٥١)، وابن ماجه في سننه- كتاب الدعاء- باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم- ص ٢٧٠٥ برقم (٣٨٣٠)، وابن حبان في صحيحه ٢٢٧/٣ برقم (٩٤٧)، وابن أبي شيبة في المصنف ٥٠/٦ عن ابن عباس، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وذكره الألباني في صحيح أبي داود برقم (١٣٣٧).

(٥) انظر: الصحاح، ولسان العرب ٢٩٨/١٣، والمصباح المنير ص ٣٥٧ (مادة عون).

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تأليف محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي أبي الفضل ٨٧/١، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(١) تفسير السعدي ص ٢٥.

وهذه الاستعانة تجمع أصليين كما اتضح في تعريفها، هما: الثقة بالله والاعتماد عليه^(١). وهي الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض أمره إليه، واعتقاد كفايته. وهذه لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى؛ لأنها عبادة، ودليلها قوله جل وعلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والاستعانة منها ما لا يصح إلا لله وهي المشار إليها بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، فإنه لا يعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا الله، وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢)"^(٢).

القسم الثاني: الاستعانة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه، فهذه على حسب المستعان عليه، فإن كانت الاستعانة على بر فهي جائزة للمستعين مشروعاً للمعين، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢)، وقال تعالى عن ذي القرنين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ (الكهف: ٩٥).

وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّونَ﴾ (المائدة: ٢).

أما إن كانت الاستعانة على أمر مباح فهي جائزة للمستعين والمعين أيضاً، ويشاب المعين على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير، ومن ثم تكون في حقه مشروعاً، لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥).

القسم الثالث: الاستعانة بالمخلوق الحي الغائب فيما يقدر عليه لو كان حاضراً، كأن ينادي الغريق رجلاً غائباً عنه يستعين به لمباشرة إنقاذه من الغرق. والاستعانة بالأموال مطلقاً فيما هم قادرين عليه لو كانوا أحياء، كأن ينادي امرؤً يحترق بيئته الأموات يستعين بهم

(٢) مدارج السالكين ١/٧٥.

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة ١/٤٢٢.

ليساعدوه على إطفاء الحريق. والاستعانة بالمخلوق أيا كان فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، كأن يطلب إنسان من مخلوق مثله أن يوسّع له في رزقه أو يشفي مريضه أو ينزل المطر. هذا القسم من الاستعانة شرك أكبر يخرج من الملة؛ وذلك أن المستعين في الحالات الثلاث يعتقد أن المخلوق المستعان به يعلم الغيب، وله قدرة غيبية يتصرف بها في الكون، وأن للأموال تصرف بعد موتهم، فهو في تلك الحالات كلها قد أشرك مع الله غيره في ربوبيته التي هي حق خالص له سبحانه وتعالى.

القسم الرابع: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى، وهذه مشروعة بأمر

الله في قوله جل وعلا: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٥)^(١).

سادسا: الخضوع:

معنى الخضوع لغة:

الخضوع من (خضع)، يقال: خَضَعَ، يَخْضَعُ، خَضَعًا، وخضوعًا، أي: تطامن، وتواضع، وتذلل، وسكن^(٢).

إذن فالخضوع في اللغة معناه: التطامن، والتواضع، والتذلل، والسكون.

والخضوع والخشوع بمعنى واحد، قال الفيومي: "خشع، خشوعًا: إذا خضع"^(٣). وقال

الراغب الأصفهاني في شرح معنى الخضوع: "الخضوع هو الخشوع"^(٤).

وقال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي: "ومن أنواع العبادة الخضوع، وهو والخشوع

والتذلل بمعنى"^(٥).

وقيل: الخشوعُ بمعنى الخُضوعِ، إلاَّ أنَّ الخُضوعَ في البدنِ وهو الإقرارُ بالاستخدامِ،

والخُشوعُ في البدنِ والصَّوتِ والبَصَرِ^(٦).

(١) انظر: معجم ألفاظ العقيدة تأليف أبي عبد الله عامر عبد الله فالخ ص ٢٤-٢٦.

(٢) انظر: مختار الصحاح ص ١٩٦، ولسان العرب ٧٢/٨، وتاج العروس ص ٥١٨٨ مادة (خضع).

(١) المصباح المنير ص ١٤٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ١٥٦، وانظر: تاج العروس ص ٥١٨٦،

(٣) معارج القبول ٢/٥٦٠.

(٤) كتاب العين تأليف أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ١١٢/١، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور

إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال دون بيانات أخرى.

قال في تحفة الأحوذى: [التخشع السكون والتذلل، وقيل: الخشوع قريب المعنى من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في البصر والبدن والصوت، وقيل: الخضوع في الظاهر والخشوع في الباطن، والأظهر أنهما بمعنى، لقوله - عليه الصلاة والسلام: (لو خشع قلبه لخشعت جوارحه)^(١)].^(٢)

قلت: الذي يظهر لي أن الخشوع والخضوع بمعنى واحد كما دل عليه كلام العلماء من اللغويين وغيرهم، وعلى ذلك سأبين التعريف الاصطلاحي.

معنى الخضوع شرعا:

الخضوع هو الخشوع، وهو الذل والتطامن لعظمة الله تعالى بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي^(٣).

وقيل: هو الخضوع لله تعالى والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح^(٤).

والخضوع نوع من أنواع العبادة يجب إخلاصه لله سبحانه وتعالى، فلا خضوع ولا تذلل بأي وجه من الوجوه لشيء آخر غيره مهما عظم ذلك الشيء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أما الخضوع والقنوت بالقلوب، والاعتراف بالربوبية والعبودية، فهذا لا يكون على الإطلاق إلا لله سبحانه وتعالى وحده^(٥). ذلك أن العبادة معناها الذل والخضوع، يقال: طريق معبد، أي: مذلل، بل الدين كله يتضمن معنى الخضوع والذل، يقال: دنته فدان، أي: ذلته فذل، ويقال: يدين الله ويدين لله، أي: يعبد الله ويطيعه ويخضع له، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له^(٦)."

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨٦/٢، موقوفا على سعيد بن المسيب، وضعفه الألباني في تخريج أحاديث كتاب الإيمان لابن تيمية، ص ٢٧.

(٦) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي تأليف الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا ٣٢٧/٢.

(٧) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٥٩.

(٨) مجموع الفتاوى ٣١/٢٨.

(٩) مجموع الفتاوى ٣٦٠/٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ١٥٢/١٠.

قال القرطبي: "أصل العبادة الخضوع والتذلل"^(١)، "وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى"^(٢).

وقال المناوي: "وما شرعت العبادة إلا للخضوع للباري والافتقار إليه"^(٣).

وبالخضوع الكامل لرب العزة جل وعلا تتحقق الرفعة وعلو المنزلة للعبد في الدارين؛ لأن "العبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارا إليه وخضوعا له، كان أقرب إليه وأعز له وأعظم لقدره، فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله"^(٤).

ولعظيم منزلة الخضوع من الدين كان أقرب ما يكون العبد من ربه حينما يحقق كمال الخضوع له جل وعلا وغاية ذلك في سجوده حيث يضع أعز وأكرم ما في جسمه على الأرض لله تعالى في أقصى خضوعه وتذله، قال تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

(العلق: ١٩)، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء)^{(٥)(٦)}.

قال المناوي^(٧) في شرحه لحديث وصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - لثوبان رضي الله عنه: " (عليك بكثرة السجود)^(٨): أي: الزمها بأن تطيل السجود أكثر من بقية أركان الصلاة؛ لما فيه من إظهار الافتقار والتزام الخضوع والذلة بين يدي ملك الملوك، (فإنك لا

(٣) تفسير القرطبي ١/١٥٧.

(٤) فتح المجيد ص ٤١.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبد الرؤوف المناوي ٣/٥٤٠.

(٦) مجموع الفتاوى ١/٣٩.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب ما يقال في الركوع والسجود - ص ٧٥٤ برقم (٤٨٢) عن أبي هريرة.

(٨) انظر: مجموع الفتاوى ٢١/٢٨٤.

(١) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري زين الدين، من كبار العلماء بالدين والفنون، له عدة مصنفات منها: فيض القديرو شرح الشمائل للترمذي، توفي سنة ١٠٣١هـ.

انظر: الأعلام ٦/٢٠٤، معجم المؤلفين ١٠/١٦٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب فضل السجود والحث عليه - ص ٧٥٤ برقم (٤٨٨) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة) أي: منزلة عالية في الآخرة، فلا يزال العبد يترقى بالمداومة على السجود درجة فدرجة حتى يفوز بالقدح المعلى من القرب الإلهي^(١).

وحصول المسلم على هذه الثمار الطيبة لم يقتصر على إظهار الخضوع للرب في حالة السجود فحسب بل كل حالة أظهر فيها العبد خضوعه وتذللته وتضرعه له تعالى كان فيها أقرب إليه وأدعى لأن تستجاب دعوته.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: (وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقم أن يستجاب لكم)^(٢).

وقال النووي في كلامه في الركوع، باب النذب إلى وضع الأيدي على الركب في الركوع: "أصل الركوع في اللغة: الخضوع والذلة، وسمي الركوع الشرعي ركوعاً؛ لما فيه من صورة الذلة والخضوع والاستسلام"^(٣).

وفي حالة رفع اليدين أثناء الدعاء، [قال المهلب: "رفع اليدين في الاستسقاء وغيره مستحب؛ لأنه خضوع وتذلل، وتضرع إلى الله تعالى، وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (إن الله تعالى حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين)^(٤)].^(٥)

فالمقصود من خلال ما سبق عرضه من الدلائل أن غاية ما يتمناه العبد هو رضوان الله؛ إذ به تجتمع له سعادة الدنيا والآخرة، لكن تلك السعادة لن تتحقق له إلا بكمال خضوعه وخشوعه وتذللته لرب الأرباب.

(٣) فيض القدير ٤/٣٣٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود - ص ٧٥٣ برقم (٤٧٩) عن ابن عباس.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٥/٢١٠.

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الوتر - باب الدعاء - ص ١٣٣٣ برقم (١٤٨٨)، والترمذي في سننه - كتاب الدعوات - باب [(إن الله حيي كريم)] - ص ٢٠١٨ برقم (٣٥٥٦)، وابن ماجه في سننه - كتاب الدعاء - باب رفع اليدين في الدعاء - ص ٢٧٠٧ برقم (٣٨٦٥)، وابن حبان ٣/١٦٠ برقم (٨٧٦) عن سلمان الفارسي، قال الترمذي: حديث حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٢٦٣٨).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/٢١٠.

فيجب صرف أي شكل من أشكال هذا الخضوع لله وحده لا شريك له، سواء كان بالقلب أو بالجوارح، فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك ولو نطق بالشهادتين؛ إذ لم يعمل بما تقتضيانه من التوحيد والإخلاص.

المبحث الثاني

الانحراف في العبادات القلبية حكمه وصوره

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه التحفة العراقية: "فهذه كلمات مختصرات في أعمال القلوب... وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين، مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين له، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له، وما يتبع ذلك"^(١).

(١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص ٢٨٩.

ويقول في موضع آخر: "جماع الأمر أن كل قول وعمل فلا بد له من ظاهر وباطن، فظاهر القول لفظ اللسان وباطنه ما يقوم من حقائقه ومعانيه بالجنان، وظاهر العمل حركات الأبدان، وباطنه ما يقوم بالقلب من حقائقه ومقاصد الإنسان"^(١).

فيمثل هذه وغيرها من أقوال العلماء تعرف منزلة أعمال القلوب، وهي أعمال تتعلق بالقلب، ويؤديها العبد عن طريقه.

والقلب أعظم ما يمتلكه المرء؛ إذ إنه ملك الجوارح وسيدها المطاع، وهو موجّه الأوامر؛ ولذا فإن من أخطر أنواع الاستعباد أن يستعبد قلب المرء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن؛ فإن من استعبد بدنه واسترق لا يبالي إذا كان قلبه مستريحا من ذلك مطمئنا، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص. وأما إذا كان القلب الذي هو الملك رقيقا مستعبدا متيما لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية لما استعبد القلب"^(٢).

وإنه لحجة دامغة وبرهان قاطع على أن القلب قد أسر واستعبد لغير الله إذا أخذ المرء يصرف تلك الأعمال المتعلقة بالقلب، التي حقها أن يخلص لله تعالى، إذا أخذ يصرفها لغير الله. فتكون النتيجة أن العبودية التي هي أشرف مقام العبد وأعظم ما يصرف لله سبحانه وتعالى أن يجعل لغيره ظلما.

ومن أعظم ما ابتلي به مسلمو نيجيريا أن هذه الأعمال القلبية التي سبق بيان منزلتها الجليلة من الدين والإيمان قد أخفق الكثير منهم في أدائها لمستحقها الذي هو الباري جل جلاله.

وتجب الإشارة في هذا الصدد- وأنا أشرع في ذكر صور تلك الانحرافات- إلى ذلك التأثير القوي الذي حققته الأجهزة الإعلامية: المسموع منها والمرئي في توجيه مسلمي نيجيريا إلى صرف العبادات القلبية لغير الله، حيث توجد برامج عديدة منظّمة، من محاضرات وأفلام، يسعى من خلالها إلى إعادة تلك العادات والتقاليد الجاهلية الأولى التي كان عليها الأجداد قبل الإسلام.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٦٢/١٣.

(٣) المرجع السابق ١٨٦/١٠.

وقد كان هذا النشاط في أول الأمر قليلا ثم كثر... ضيقا ثم اتسع... عفويا ثم طفق يأخذ صفة الكيد والتدبير والفساد المتعمد، والهدف في ذلك كله إعادة المسلمين إلى تقاليد أجدادهم الوثنية، وإقناعهم بأنها مجرد عادات ولا تمت للدين بالصلة، وإبعادهم عن العقيدة الإسلامية السليمة التي لا توجد بينها وبين تلك العادات أدنى توافق.

صور الانحراف في العبادات القلبية:

فالانحراف في العبادات القلبية لدى مسلمي نيجيريا له صورة واحدة، وهي صرف هذه العبادات لغير الله تعالى، إلا أن ما يصرف له هذه العبادات من المخلوق أنواع، وهي:

أ- شياطين الإنس والجن:

فإنه يوجد بين مسلمي نيجيريا أناس يستعينون بشياطين الإنس والجن، ويخضعون لهم ويتوكلون عليهم، ويحبونهم ويرجون منهم جلب المنافع مثل الغنى والرفعة والجاه والمكانة، كما يخافونهم لئلا يضروهم أو ليدفعوا عنهم الضرر بشتى أنواعه مثل المرض والفقر والموت وغير ذلك. والمقصود بشياطين الإنس هم أناس من شتى فئات المجتمع، فيهم الرجال والنساء ولربما النساء أكثر، ينتمون إلى جمعيات سرية وثنية، شغلهم الشاغل الإضرار بالناس وإحداث الكدر في حياتهم، حتى لا يطيب لهم عيش ولا يهنأ لهم قرار. ودأب هؤلاء الشياطين أنهم يتحركون في ظلمة الليل، ويجمعون في الغابات أو الأماكن الخفية حيث لا يراهم أحد، ويستخدمون في أعمالهم الخبيثة قوى وثنية خفية لا تميز حتى بين أقرب الناس إليهم في الإضرار.

والذي ينتمي إلى هذه الفئة يسمى بـ (oso أوسو) أو (aje أجي) في لغة اليوريا، ويسمى بـ (bori بوري) أو (gori غوري) في لغة الهوسا، كما يسمى بـ (ozo أوزو) في لغة إيبو.

وعلى الرغم من كون هذه الجمعيات وثنية محضة وأغراضها خبيثة ولا يسعى المنتمون إليها لتحقيق أدنى خير على أيديهم إلا أنه وجد عدد من مسلمي نيجيريا ينتمون إلى هذه الجمعيات بالإضافة إلى الذين يتوجهون إلى أعضائها بشتى أنواع العبادات القلبية وغير القلبية دون أن ينتموا إليهم.

أما صرف هذه العبادات لشياطين الجن، فإن أغلب الذين يقعون في هذا الانحراف هم المنتسبون إلى الدراسات الإسلامية من خلال تلك الأدعية المبتدعة التي يتناقلونها فيما بينهم، ولها أمثلة كثيرة.

ذكر بعض الأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال في (عون العلماء الصالحين) في دعاءٍ للشفاء من الأمراض، وفيه: "يا فطغيطائل يا زرزيائل يا دمدميائل يا ملكيائل يا تاييائل يا تبييائل يا عجيبيائل، أجب يا روقيائل - صم بكم عمي فهم لا يرجعون..."^(١).

ويلاحظ في هذا الدعاء الاستعانة بالجن بمناداة أسمائهم.

وقال في موضع آخر في دعاء يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر: "يكون ذلك اليوم من أصعب أيام السنة كلها، فيستحب أن يصلى في ذلك اليوم أربع ركعات، ويقرأ في كل ركعة منها بعد الفاتحة سورة..."^(٢).

ففي هذا المثال تطير واضح بأيام السنة، وهو نوع من الانحراف في التوكل.

وقال صاحب (دعاء الغاية المقصودة الكبرى) في الاستعانة بما يسمى خدام السورة والروحانية: "أقسمت عليكم معاشر الأرواح الروحانية الطاهرة الزكية، خدام هذه السورة الشريفة العظيمة، بحقها عليكم، وطاعتها لديكم، وبما تلوته فيها من الآيات والذكر الحكيم، أن تطيعوا أمري وتقوموا بقضاء حوائجي، من تسخير القلوب وإذهاها في محبتي، وجلب الأرزاق من سائر الجهات والأطباق، وإنفاذ كلمتي وإعلائها"^(٣).

وقال الشيخ أبو بكر محمود غومي رحمه الله في ذكر أنواع السحر التي يتعاطاها من أسماهم بعلماء السوء في نيجيريا، حيث قال: "الثاني: الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن، وطلب الاتصال بها، ومن الأساليب التي يستعملونها الرقى والدخن والبخور والتجريد، ويسمى هذا النوع من السحر بالعزائم. وكذلك عمل التسخير وهو كثير عند الناس اليوم"^(٤).

ب- السحرة والمشعوذون والكهنة:

(١) عون العلماء الصالحين ص ١٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٦.

(٣) دعاء الغاية المقصودة ص ٣٠، وانظر: ص ٤٧، ٥٦، ٦٢، ٦٥.

(٤) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص ٣١-٣٢.

لقد شهد الواقع أن السحرة والمشعوذين والكهنة من أخطر الناس على المجتمع النيجيري؛ ذلك بسبب كثرة افتتاهم للناس بالقوى الخبيثة التي أورثهم إياها سيدهم إبليس عليه لعنة الله. وقد صار من ديدن هؤلاء أنهم يلحقون الضرر بالكثير دون أخطاء تذكر ممن يلحقون الضرر بهم؛ لكي يتعب هؤلاء المتضررون ولا يجدون حلولا لمشاكلهم إلا بالفرار إلى أولئك المشعوذين، وكل ذلك بإذن الله. قال تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ١٠٢).

فمن هذا المنطلق صار الكثير من ضعاف الإيمان واليقين من مسلمي نيجيريا يؤمنون إيماناً عميقاً بتلك القوى الشيطانية ويستسلمون لها. فتجد واحداً من هؤلاء المغلوبين على أمرهم يثق بقوى السحر والشعوذة إلى الدرجة أنه يثني عليها ويطمئن لها. وقد حدثني غير واحد ممن أجريت الحوار معه من علماء السنة في نيجيريا أن بعض هؤلاء الذين يتوكلون على السحر والشعوذة ويستعينون بهما إذا خرج من بيته بنية السفر ونسي ما أعطاه المشعوذ من التمام مما يزعم أنه يحفظه من الشر ثم تذكر، فإنه يعود ليأخذ تلك التميمة معه؛ لما في اعتقاده أنه ما دام أن تلك التميمة معه فإنه لا تصيبه أية مصيبة من حادثة سيارة أو غيرها. وقد تطرق إلى هذه النقطة واسترسل فيها الداعية النيجيري الموقِّع الشيخ عيسى أكنديلي^(١) في شريط له بعنوان "السحر وعلاجه" الإصدار الأول والثاني. ذكر في هذا الشريط المفيد أنواع السحر المنتشرة في الأوساط النيجيرية، ثم أعقبها بأنواع من العلاج الشرعي بشكل مفصل؛ ليستفيد منها المسلمون وليوقنوا بأن العلاج الشافي موجود في كتاب الله الذي بين أيديهم وسنة رسوله الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - لمن آمن بهما.

(١) هو الشيخ الحاج عيسى أكنديلي صلاح الدين، من مواليد مدينة "إبادن" إحدى مدن جنوب نيجيريا، وهو من حملة لواء الدعوة السلفية في جنوب نيجيريا، وينتسب إلى جماعة التضامن المسلمين، الجمعية الإسلامية الوحيدة التي تضم أكبر عدد من خريجي جامعات المملكة العربية السعودية في جنوب - غرب البلاد، وقد احتل منصب أمير الجماعة مدة من الزمن، وهو في العقد الخامس من عمره حفظه الله، من كتاباته فيما يخص علاج السحر كتيب بعنوان: الوقاية والشفاء بالكتاب والسنة، وكان يساعد المصابين بأضرار السحرة والمشعوذين والجن بقراءة الرقية الشرعية عليهم دون مقابل.

ولا يفوتني في هذا الصدد أن أذكر تلك المساهمة البالغة التي تُعد للأجهزة الإعلامية حيث تنظم برامج عديدة تعرض من خلالها قوى عملاء الشيطان من السحرة والمشعوذين، كل ذلك باسم العلاج بالأدوية الشعبية. كما وجد برامج أخرى هي عبارة عن محاضرات وأفلام فيها حكايات عن أناس أصيبوا بأضرار شتى من مرض أو فقر أو غيرهما ولم يستطيعوا التخلص منها إلا بعد اتصاهم بمؤلاء السحرة والمشعوذين.

وكانت النتيجة في هذا الأمر كله الانحراف وراء الانحراف، حيث بدأ بعض المسلمين يصادقون عدو الله إبليس سرا ويعادونه علانية، فتجد واحدا منهم يصلي ويصوم ويحج، لكن إذا أصيب بشيء تكرهه نفسه سرعان ما يتوجه إلى ساحر أو مشعوذ يستعين به، ويتوكل عليه، ويخاف منه، ويرجوه، ويخضع له.

ومما يلحق بهذه الصورة من الانحراف أن الناس بعد مشاهدتهم لتلك الأفلام الهادفة تأثروا بها؛ فتجد شخصا منهم إذا أصيب هو أو أحد أقاربه بمرض عادي مثل الصداع والحمى سرعان ما يتهم جاره أو زميله في العمل بأنه هو الذي سحره أو أصابه بالعين؛ فأصبح الكثير يتوجهون إلى السحرة والمشعوذين والكهنة لعلاج أمراض عادية ينبغي أن تعالج بطريقة طبية. والله المستعان.

وللأثرياء والوجهاء باع طويل في صرف العبادات للسحرة والمشعوذين؛ ذلك أن الكثير منهم ليس لديه معرفة حقيقية بمفهوم عقيدة الإسلام وشريعته، فمنهم من لا يعرف شيئا عن أذكار الصباح والمساء ناهيك عن التزامه بها، وغالب ما يعرف أن يتخذ لنفسه زعيما روحيا من طلبة الدراسات الإسلامية الذي يقرأ بعض سور القرآن في بيته مرة في الأسبوع، وإذا أصابته نائبة من نوائب الدهر فسرعان ما تجده يلجأ إلى الساحر أو المشعوذ، فتوكله عليه، واستعانت به، وخوفه ورجاؤه له، وخضوعه وشكره له كذلك.

كما يوجد من أولئك الأثرياء والوجهاء من يتخذ لنفسه وقاية من الفتن والمصائب حفاظا على شرفه ومكانته وماله، فينفذ ما أملاه عليه شيطانه الساحر أو المشعوذ من النذر والذبح وتقريب القرابين لغير الله.

ذكر بعض الأقوال التي تشهد لوجود هذه الصورة:

قال الشيخ أبو بكر محمود غومي رحمه الله بعد ذكر أنواع السحر المنتشرة في المجتمع النيجيري: "فهذه الأنواع كلها من السحر للطافة في مداركها، وقد استغلها علماء السوء وخدعوا بها الناس؛ فأكلوا أموالهم بالباطل باسم الدين فضلوا وأضلوا وخسروا الناس مرتين، فسلبوا الدين والدنيا. أعادنا الله من اتباع الشياطين والهوى، ووقفنا باتباع الكتاب والسنة"^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصورة من الانحراف في العبادات القلبية موجودة بشكل واضح في جنوب نيجيريا وشرقها، أما شمالها فإنها أخف فيه قليلا من المناطق الأخرى؛ وذلك بفضل الله أولا ثم بجهود العلماء الذين لا يحصون عددا في نشر الوعي الديني بين مسلمي شمال البلاد.

ج- أنبياء الله وغيرهم من الأولياء والصالحين، الأحياء منهم والأموات:

فإنه يوجد بين مسلمي نيجيريا الذين بلغ بهم توقيير أولياء الله والصالحين وتعظيمهم إلى حد صرف بعض أنواع العبادة لهم، والذين يُقدِّمون على هذا الفعل الشنيع هم الجهال. ولربما يحصل ذلك دون رضا من هؤلاء الصالحين ودون تصرف يوحى بأنهم وضعوا أنفسهم في تلك المكانة، وهذا هو الواجب من طرفهم إذا كانوا فعلا من أولياء الرحمن، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٧٩).

لكن المتحمسين من جهال المسلمين هم الذين يقدمون على تعظيم هؤلاء الصالحين فوق مكانتهم بغرض الاستفادة من علاقتهم بالله سبحانه وتعالى على حسب زعم المشركين الأوائل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣)؛ فينتهي بهم هذا الزعم الخبيث إلى أن يجبو هؤلاء الصالحين مثل محبتهم لله، ويستعينوا بهم ويتوكلوا عليهم ويخضعوا لهم.

أما المتصوفة فما أكثر ما ساهموا به في هذا الأمر شيوخيهم ومريدهم بدافع من أهوائهم المعوجة، ومصالحهم الذاتية، وأغراضهم الخبيثة. فكم من تائه عن الله، وكم من جاهل يبحث عن الهداية والصراط السوي فوق في أيدي هؤلاء فأضلوه، وكم من عابد بغير ما أنزل الله.

(١) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص ٣٤.

فالمتصوفة يصرفون العبادات القلبية لمشايخهم الأحياء والأموات، حيث إنهم يحبونهم مثل حبهم لله، ويخافونهم مثل خوفهم لله أو أشد، ودليل ذلك أنه لو طلب من أحدهم أن يحلف بالله فإنه يحلف به ولو كان كاذبا، وإذا طلب منه الحلف بشيخه الميت لا يستطيع أن يقدم على ذلك لما علم من سويداء قلبه أنه كاذب، وأنه إذا حلف بهذا الشيخ فسيلحق به الضر من جراء ذلك.

وكذلك يستعينون بمشايخهم أحياء وأمواتا، ويتوكلون عليهم، ويخضعون لهم، ويرجونهم. والسبب الرئيس في جرأة القوم على صرف هذه العبادات التي هي حق خالص لله تعالى لغير مستحقها هو تلك المنزلة المرموقة التي وضع فيها المتصوفة مشايخهم، فوَقَّروهم وعظَّموهم وغلَّووا في تعظيمهم.

وهناك فئة أخرى من فئات المسلمين في المجتمع النيجيري يصرفون هذه العبادات للأنبياء والأولياء والصالحين، وهم المنتسبون إلى الدراسات الإسلامية من الطلبة وأساتذتهم أذعياء العلم، وكانوا يشاركون في صرف هذه العبادات لغير الله من خلال الأدعية التي يسألون بها قضاء الحوائج، وكذلك الأبيات الشعرية التي يحفظونها ويرددونها دون أدنى محاولة للتمييز بين التي تحمل المعاني الصحيحة والتي مضامينها هي عين الإشراك بالله سبحانه وتعالى بصرف الحقوق الخاصة به لما سواه من المخلوقين، والذي يغلب على الظن أن هؤلاء قد أتوا من قبل الخلل في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال؛ إذ إن أساتذتهم الذين يتلقون عنهم العلوم الإسلامية أكثرهم من المتصوفة أو المتأثرين بهم، ومهما يكن فما دام أن الأصل مريض فسيكون الفرع الذي نشأ منه أيضا مريضا.

ذكر بعض الأقوال والأمثلة التي تشهد لوجود هذه الصورة:

يقول الشيخ أبو بكر محمود غومي رحمه الله في كلامه عن شطحات المتصوفة النيجيريين: "ومن البدع المذمومة التي تؤدي إلى الكفر تركية النفس، وتعيين أشخاص على مراتب دينية بقولهم: القطب، أو الغوث، يقصدون به الشخص المعين عندهم، وينسبون إليه التصرفات الكونية، ويحذرون عن مخالفته ولو خالف هو الشريعة الغراء المطهرة، ويقولون إنه يعلم علم الباطن ويعمل به، ويسلب إيمان من يشاء ويثبت إيمان من أحب، ويعلم الغيب"، ثم

قال: "فهذه الدعاوى كلها باطلة وكاذبة، من عمل الدجالين في الدين الإسلامي، ودخيلة فيه وصلت إليه من رهبان النصارى وأحبار اليهود"^(١).

وفي كتاب المرأة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية لمؤلفه قريب الله بن محمد الناصر الكبرى الكنوي^(٢)، قال في ذكر آداب المريء مع شيخه وإخوته: "أما الآداب الباطنة فمنها:

١- التسليم لشيخه والطاعة في كل النصائح والأوامر كتسليم المريء لطبيبه ومراعاة أقواله في معالجته وتوصياته.

٢- أن لا يعترض على شيخه؛ لأنه في ذلك الباب عليم ومتخصص ومجتهد، ومخالفته تقطع الروابط الروحية التي بينهما، وقال بعض العارفين: من قال لشيخه لم؟ لم يفلح أبدا إلا إن كان ذلك في نطاق العلم فإنه لا بأس بالمناقشة لتحصل الفائدة"^(٣).

هكذا يقولون لكن الأمر يختلف في الواقع العملي، فإن شيخ الطريقة عند المتصوفة الغلاة إله أصغر لمريديه وأتباعه، إذا تكلم بإصدار أمر يسرعون في تنفيذ أمره فكأنه نزل الوحي من السماء؛ ولذلك تجدهم بينون الأضرحة والمقامات لمشايخهم إذا ماتوا ولا يكتفون بدفنهم مثل غيرهم في مقابر المسلمين، ويصرف لغير الله من العبادات عند تلك المقامات والأضرحة ما الله به عليم.

وقال صاحب كتيب (عون العلماء الصالحين) في دعاء الخوف: "اللهم إني أخافك وأخاف من يخافك ولا أخاف من لا يخافك، أكفني شر من لا يخافك بحق من يخافك، يا ذا الجلال والإكرام"^(٤).

(١) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة ص ٤٤.

(٢) هو قريب الله بن الشيخ محمد الناصر الكبرى الكنوي القادري، نجل الشيخ محمد الناصر الكبرى زعيم الطريقة القادرية في نيجيريا، له نشاط قوي في نشر الطريقة القادرية من خلال كتاباته، وهو خليفة والده حاليا في دار القادرية بمدينة (كانو) شمال نيجيريا، من مؤلفاته: المرأة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية، الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة صوكوتو العاصمة العلية، وهو في العقد السادس من عمره.

(١) المرأة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية تأليف قريب الله بن محمد الناصر الكبرى الكنوي ص ٥٩، دون أية بيانات.

(٢) عون العلماء الصالحين ص ٤٢.

فالتصريح بالخوف من غير الله واضح في هذا الدعاء المتكلف، ومقصوده بقوله:
"وأخاف من يخافك": أنه يخاف الأولياء والصالحين.

وفي بردة المديح المباركة للبوصيري، يقول وهو يمدح النبي الكريم- عليه الصلاة والسلام:
إن لم يكن في معادي آخذا بيدي فضلا وإلا فقل يا زلة القدم.
يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم^(١).

وفي (دعاء الفوز العظيم): "... وصل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على سيدنا محمد
الذي تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغبات وحسن الخواتم،
ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، وعلى آله وصحبه في كل لحظة ونفس بعدد كل معلوم لك"^(٢).
وفي (عون العلماء الراتب): "من ضاقت به السبل فليقم في الثلث الأخير من ليلة
الجمعة إلى جمعة أخرى وهو يقول ألف مرة في خشوع وخضوع وبكاء، ثم لينظر الأمر، يقول:
الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، ضاقت حيلتي أدركني أغثني"^(٣).

ويقول قريب الله الكبرى الكنوي القادري: "ولنا- أي معاشر القادرية- كيفية في
التوسل بالشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه،... يا الشيخ عبد القادر الجيلاني أنا في
حماك وتحت نظرك ورعايتك، فوجه عنايتك إلى حاجتي هذه، واشفع لي في قضائها عند الله
تعالى، وارفع قصتي إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم، فأنت وسيلتنا إلى الله ودخيلنا إلى
رسول الله- صلى الله عليه وسلم"^(٤).

ويلاحظ في هذه الأمثلة صرف العبادات القلبية مثل الرجاء والتوكل والتذلل والخضوع
للأنبياء والأولياء والصالحين. وأمثلة هذه الصورة كثيرة جدا في كتب مشايخ التجانية والقادرية
في نيجيريا، وكذلك كتيبات الأدعية المتكلفة التي ألفها بعض أذعياء العلم ظنا منهم أنهم
يجسنون صنعا بوضع ما ينفع المسلمين في دعاء ربهم على حسب زعمهم.

حكم هذه الصور:

(٣) بردة المديح المباركة للبوصيري ص ٣٤-٣٥، وكان بعض المنتسبين للدراسات الإسلامية يخصصون هذه الآيات
وأمثالها مما يحمل معاني الاستغاثة والتذلل والتوكل، يخصصونها للدعاء وطلب قضاء الحوائج.

(١) دعاء الفوز العظيم ص ٣٠.

(٢) عون الإمام الراتب ص ١٢.

(٣) المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقام العالية ص ١٤١-١٤٢.

كل ما سبق ذكره من مظاهر صرف العبادات القلبية لغير الله لدى بعض مسلمي
نيجيريا فهو شرك؛ وذلك لما يأتي:

١- ما ورد من الأدلة على أن هذه العبادات من حقوق الله الخاصة، وأنه يجب على
العبد إفراد الله بها وأن صرف شيء منها لغير الله شرك، فلكل واحد من هذه العبادات دلائل
عدة على هذه الحقيقة.

ففي المحبة:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ^ط
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٦٥).

"وقوله تعالى: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ ^ط أي: يساؤونهم بالله في المحبة والتعظيم، ولهذا
يقولون لأندادهم وهم في النار: ﴿ تَأَلَّهَ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء: ٩٧، ٩٨)"^(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في تعليقه على الآية
بعد ذكرها: "دلت الآية على أن من أحب شيئاً كحب الله فقد اتخذه نداً لله وذلك هو الشرك
الأكبر، كما دلت على وجوب إفراد الله بالمحبة الخاصة التي هي توحيد الإلهية"^(٢).

وما روي في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)^(٣).
قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله وهو يذكر فوائد هذا الحديث: "إذا كان هذا
شأن محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فما الظن بمحبة الله؟"^(٤).

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥١.

(٢) المرجع السابق ص ٣٥١.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٦٧.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٥.

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في ذكر مناسبة الحديث للباب: "إذا كان لا يكمل الإيمان حتى يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - أحب إلى الإنسان من نفسه والناس أجمعين؛ فمحبة الله أولى وأعظم"^(١).

وفي الخوف:

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ (البقرة: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِي﴾ (البقرة: ١٥٠)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ (المائدة: ٤٤).

ومنها أن إخلاص الخوف لله هو طريقة المقرّبين من عباده، من الأنبياء والملائكة والأولياء والصالحين؛ ولذلك مدحهم وأثنى عليهم به، فقال تعالى عن أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا^ط وَكَانُوا لَنَا خَشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

وقال تعالى عن الملائكة: ﴿تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل: ٥٠)، وقال أيضا: ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٨).

وقال سبحانه عن عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢١).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "الخوف عبودية القلب، فلا تصلح إلا لله"^(٢).

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد ٥٣/٢.

(١) طريق المحرّتين ص ٤٣٧.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥)، قال: "هذا نهي من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله تعالى، فلا يخافون إلا إياه. وهذا هو الإخلاص الذي أمر به عباده، ورضيه منهم، فإذا أخلصوا له الخوف، وجميع العبادة؛ أعطاهم ما يرجون، وأمنهم من مخاوف الدنيا والآخرة"^(١).

وفي التوكل:

قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (هود: ١٢٣).

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (النمل: ٧٩).

وقوله جل شأنه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (الفرقان: ٥٨).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ومنها أن أفراد الله تعالى بالتوكل من أهم صفات خواص عباده من الأنبياء والأولياء والصالحين، قال تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣). قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في شرحه للباب الذي عقد بهذه الآية: "أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى، فإن تقدم المعمول يفيد الحصر أي: وعلى الله فتوكلوا لا على غيره"^(٢).

وفي الاستعانة:

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، قال الحافظ ابن

كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: "قال قتادة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: يأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم"^(٣).

(١) فتح المجيد ص ٣٩٦.

(٢) المرجع السابق ص ٤٠٧.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٥٢.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

﴿الفاحة: ٥﴾، فإن هذه الاستعانة التي يختص بها الله تبارك و تعالى لم يثبتها لغيره أبدا كما أن العبادة له لم يثبتها لغيره أبدا" (١).

وفي سنن الترمذي، من وصايا النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عمه عبد الله بن

عباس رضي الله عنهما، وفيه: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) (٢).

"وهو خطاب شامل لجميع الأمة، وفي مضمون ذلك الأمر الواقع في جواب الشرط

نهي لنا عن الاستعانة بغير الله عز وجل؛ لأنه لا خالق للعباد وأفعالهم غيره تعالى، فإذا كان المخلوق لا يقدر على فعل نفسه إلا بما أقدره الله تعالى عليه فكيف يجوز أن تُطلب الإعانة منه على فعل غيره، والعاقل يفهم ذلك بادئ بدء" (٣).

ومنها أن الاستعانة بالله وحده هي طريقة عباده الأنبياء والمرسلين، قال تعالى عن

موسى - عليه السلام: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾ (الأعراف: ١٢٨).

وكان صلى الله عليه وسلم يطلب الإعانة من الله وحده على طاعته وعبادته، وقد

أوصى بذلك الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه قائلا: (أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) (٤).

وفي الخضوع والتذلل:

قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٩).

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة ٤٣٨/١.

(٢) سبق ترجمته ص ١١٣.

(٣) معارج القبول ٧٥/١-٧٦.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الوتر - باب في الاستغفار - ص ١٣٣٥ برقم (١٥٢٢)، والنسائي في سننه - كتاب السهو - باب نوع آخر من الدعاء - ص ٢١٧٢ برقم (١٣٠٣)، والحاكم في المستدرک ٤٠٧/١ عن معاذ بن جبل، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٥٩٦).

وفي صحيح مسلم من حديث أذكار النبي - صلى الله عليه وسلم - في الركوع، وفيه:
(خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصيبي)^(١).

ففي هذه النصوص وغيرها من نصوص الكتاب والسنة دلالة على أن الخضوع والتذلل لله تعالى من سنن خواص عباده، وقد أثنى عليهم بهما.

وبالخضوع والتذلل والتضرع يسألونه ويطلبون منه حاجاتهم، مثال ذلك أن عيسى - عليه السلام - كان إذا أراد أن يفعل شيئاً من المعجزات التي يجريها الله على يديه من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وخلق الطير من الطين، تضرع إلى الله ورغب إليه بخضوع وتذلل حتى يقضي الله حاجته^(٢).

وإذا أجرى الله على أيدي أنبيائه شيئاً من المعجزات، أو أعان أوليائه بشيء من الكرامات فإن ذلك كله يزيدهم خضوعاً وتذلاً وخشوعاً له جل وعلا.

قال الكلاباذي^(٣): "أما الأولياء فإنهم إذا ظهر لهم من كرامات الله شيء ازدادوا لله تذلاً وخضوعاً وخشية واستكانة وإزراء بنفوسهم وإيجاباً لحق الله عليهم؛ فيكون ذلك زيادة لهم في أمورهم، وقوة على مجاهداتهم، وشكراً لله تعالى على ما أعطاهم"^(٤).

٢- أن الله تعالى قد جعل عدداً من هذه الأعمال القلبية من شروط الإيمان ولوازمه، وفي ذلك دليل على انتفاء الإيمان بانتفائها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٥).

فقد جعل الخوف منه شرطاً في تحقيق الإيمان، ولازماً من لوازمه، ودليلاً على صحته، في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥)، وقد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل - ص ٨٠٠ برقم (٧٧١) عن علي بن أبي طالب.

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام تأليف محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي ص ١٣٤، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي ١٣٩٨هـ.

(٣) محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري أبو بكر، محدث، مشارك في بعض العلوم، من آثاره: التعرف لمذهب التصوف، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، توفي سنة ٣٨٠هـ.

انظر: الإعلام ٢٩٥/٥، معجم المؤلفين ٢١٢/٨.

(٤) التعرف لمذهب التصوف تأليف محمد الكلاباذي أبو بكر ص ٧٣، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠هـ.

بوب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لهذه الآية بابا في كتاب التوحيد، وذكر في مسائله أن إخلاص الخوف لله من الفرائض^(١).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في شرحه لهذه الآية: "فأمر تعالى بإخلاص هذا الخوف له، وأخبر أن ذلك شرط في الإيمان، فمن لم يأت به لم يأت بالإيمان الواجب، ففيه أن إخلاص الخوف لله من الفرائض"^(٢).

كما جعل التوكل عليه شرطا للإيمان ولازما من لوازمه ومقتضياته، فقال جل وعلا: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣). وهذا شرط وجوب لا شرط كمال. ففقدان التوكل ينافي أصل الإيمان، فلا إيمان لمن لا توكل له. قال ابن القيم رحمه الله: "فجعل التوكل شرطا في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل"^(٣).

وجعله أيضا دليلا على صحة الإسلام، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَبْقُومُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٨٤)، ومفهوم ذلك انتفاء الإسلام عند انتفاء التوكل، بل أكد ذلك بتكرير الشرط^(٤).

وكذلك المحبة فإن الله سبحانه جعل محبته هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان.

٣- أن مما قد فرغ منه أن لا خير يحصل ولا شر يدفع من خلال توجه المرء بهذه العبادات إلى هؤلاء المخلوقين، فكيف يجب ويخاف ويرجى ويتذلل له ويستعان به ويتوكل على من لا قدرة له ليحلب الخير لنفسه أو يدفع الشر عنها ناهيك عن غيره؟ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبًا مِّثْلَ مَا سَتَمِعُوا لَهُ رَجًّا إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ

(١) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ٦/٦٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٦٤.

(٣) طريق المحررتين ص ٣٨٦، ومدارج السالكين ٢/١٢٩.

(٤) انظر: طريق المحررتين ص ٣٨٦.

أَجْتَمَعُوا لَهُ^ط وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ^ج ضَعُفَ الطَّلَبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿الحج: ٧٣﴾.

وإذا ثبت أن لم يكن في الوجود من يعطي، أو يمنع، أو يضر، أو ينفع، أو يسعد، أو يُشقي، إلا الله سبحانه وتعالى كان من غير المعقول ولا المقبول أن يطلب المرء هذا الخير من غير الله تعالى محبا وخائفا ومتوكلا وخاضعا لذلك الغير. فمن أحب غير الله تعالى، وخافه، ورجاه، وذل له كما يحب الله ويخافه ويرجوه، فهو مشرك، وما أشد غباوته إذن، وما أظهر سفاهته!!

أما الموحدون الذين يخلصون هذه العبادات للرب جل وعلا فإنه قد وعدهم بالأجر العظيم والثواب الجزيل في هذه الدنيا وفي الدار الآخرة كل ذلك من ثمرات هذا الانقياد له والخلوص من الشرك وأهله. فالرجاء له فوائد وثمرات، من أهمها:

- أ- إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه.
 - ب- أن الرجاء يجلب محبة العبد لله، فإنه كلما اشتد رجاءه، وحصل له ما يرجوه ازداد حبا لله تعالى، وشكرا له ورضا به وعنه.
 - ج- أنه يوجب له المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها، والتعلق بها؛ فإن الراجي متعلق بأسماء الله الحسنى، متعبد بها، داع بها^(١).
- وكذلك التوكل على الله له فوائد وثمراته، منها:

أ- كفاية الله للعبد، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ^ج﴾ (الطلاق: ٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: [إني

(١) انظر: مدارج السالكين ٢/٥٠-٥٢.

لأعرف كلمة (وقال عثمان: آية) لو أخذ الناس كلهم بما لكفتمهم) قالوا: يا رسول الله آية آية؟ قال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: ٢) [١].

قال ابن القيم رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣): "أي: كافي، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه... قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ولم يقل: فله كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه، وحسبه، وواقيه، فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله، وكادته السموات والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجاً، وكفاه، ونصره" [٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت، فتتنحى له الشياطين، فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقيت؟) [٣].

ب- أن التوكل على الله من أعظم الأسباب في جلب الخير ودفع الشر في الدنيا والآخرة.

وعلى رأس الخيرات التي تجلب بالتوكل على الله تعالى دخول الجنة، فإن من فضائل التوكل أنه من الأسباب التي تدخل العبد الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما قال النبي - صلى

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب الزهد - باب الورع والتقوى - ص ٢٧٣٣ برقم (٤٢٢٠)، والدارمي في سننه ٣٩٢/٢ برقم (٢٧٢٥)، وأحمد في المسند ١٧٨/٥، وابن حبان في صحيحه ٥٣/١٥ برقم (٦٦٦٩)، والحاكم في المستدرک ٥٣٤/٢ برقم (٣٨١٩) عن أبي ذر، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره الألباني في ضعيف ابن ماجه.

(٢) التفسير القيم للإمام ابن القيم (تفسير سورة الفلق) ص ٥٨٧، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، ط/الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الرائد العربي - بيروت، وبدائع الفوائد ٤٦٤/٢ - ٤٦٥.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأدب - باب ما يقول إذا خرج من بيته - ص ١٥٩٦ برقم (٥٠٩٥)، وابن حبان في صحيحه ١٠٤/٣ برقم (٨٢٢) عن أنس بن مالك، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٥٠٠).

الله عليه وسلم: (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب)، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: (هم الذين لا يكتنون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى رهم يتوكلون)^(١).

ومن تلك الخيرات أيضا تيسير الرزق، قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماسا، وتروح بطانا)^(٢).

ومن أكبر المضار الذي يدفعه التوكل ويبعده عن العبد الشرك بالله، ففي السنن وغيرها: (الطيرة شرك، الطيرة شرك). قال ابن مسعود: وما منّا إلا^(٣) ولكن الله يُذهبه بالتوكل^(٤).

ج- أن التوكل يورث محبة الله سبحانه وتعالى للعبد، يقول جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَحِبُّهُ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

د- الرضا بقضاء الله وقدره، والرضا بقضاء الله من أعظم فوائد التوكل على الله؛ وذلك أن العبد إذا توكل على الله حق توكله رضي بما يفعله وكيله الذي هو الله جل وعلا،

وهذا معنى قول النبي- صلى الله عليه وسلم- في آخر دعاء الاستخارة: (واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به)^{(١)(٢)}.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الطب- باب من اكنوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو- ص ٤٨٨ برقم (٥٧٠٥)، ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب- ص ٧١٧ برقم (٢١٨) عن عمران بن حصين.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الزهد- باب في التوكل على الله- ص ١٨٨٧ برقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه في سننه- كتاب الزهد- باب التوكل واليقين- ص ٢٧٣٠ برقم (٤١٦٤)، وأحمد في المسند ٣٠/١، وابن حبان في صحيحه ٥٠٩/٢، والحاكم في المستدرک ٣٥٤/٤، كلهم عن عمر بن الخطاب. وقال الترمذي: حديث صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) قال ابن الأثير: أي إلا وقد يعثره التطير، وتسبق إلى قلبه الكراهة. فحذف اختصاراً واعتماداً على فهم السامع. النهاية في غريب الأثر ٣/٣٣٤.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب الكهانة والتطير- باب في الطيرة- ص ١٥١٠ برقم (٣٩١٠)، وابن ماجه في سننه- كتاب الطب- باب من كان يعجبه الفال ويكره الطيرة- ص ٢٦٨٩ برقم (٣٥٣٨)، وأحمد في مسنده ٣٨٩/١، وابن حبان في صحيحه ٤٩١/١٣ برقم (٦١٢٢) عن عبد الله بن مسعود، وصححه الألباني في صحيح الترهيب والترهيب برقم (٣٠٩٨).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "اعلم أن ثمرة التوكل الرضا بالقضاء، فمن وكل أمره إلى الله، ورضي بما يقضيه له، ويختاره، فقد حقق التوكل؛ ولذلك كان الحسن والفضيل وغيرهما يفسرون التوكل على الله بالرضا"^(٣).

هـ- أن التوكل على الله به يتخلص المرء من الشدائد، ويتغلب على ضروب الخن، وينتصر على الأعداء، كما قال تعالى في شأن نبيه موسى عليه السلام وقومه: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة: ٢٣).

٤- أن الشرك في العبادة وهو صرف أمثال هذه العبادات لغير الله هو الذي كفر الله به المشركين، وأباح به دمائهم وأموالهم ونساءهم، وأبعد عنهم غفرانه لهم لأجله، كما توعدهم عليه بالنار في الآخرة، وذلك في غير ما آية في كتابه العزيز، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (النساء: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢).

فكل ما شرع الله تعالى لعباده من العبادات القلبية وغير القلبية ليعبدوه بها تقربا إليه وتزلفا من دعاء ومحبة وخوف وإنابة وتوكل وخضوع، كل هذه العبادات وغيرها مما شرعه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله- صلى الله عليه وسلم- فعله لغير الله وابتغاء مرضاة به غير مرضاة الله شرك في عبادة الله تعالى يتنافى مع عقيدة المؤمن القائمة على أساس التوحيد، الدالة عليه كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الدعوات- باب الدعاء عند الاستخارة- ص ٥٣٦ برقم (٦٣٨٢) عن جابر بن عبد الله.

(٢) انظر: مدارج السالكين ١٢٢/٢.

(٣) جامع العلوم والحكم ٥٠٨/٢.

(٤) انظر: عقيدة المؤمن تأليف الشيخ أبي بكر جابر الجزائري ص ٧٥-٧٦، ط/الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة.

فالتوجه بعبادة الخوف أو الرجاء أو المحبة أو التوكل أو الخضوع أو الإنابة إلى شياطين الإنس والجن، أو السحرة والمشعوذين، أو الأولياء والصالحين أحياء وأمواتا شرك في الألوهية لا يغفر الله لمن أقدم عليه؛ لأن هذه العبادات من حقوق الله الخاصة، فيجب على العبد إفراده بها، كما يحرم عليه صرفها لغيره.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه... ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب، أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو"^(١).

وقال الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي رحمه الله: "إن الله سبحانه وتعالى خصص بعض أعمال التعظيم لنفسه وهي التي تسمى عبادة، كالسجود والركوع والوقوف بخشوع وتواضع... كل هذه الأعمال علّمها رب العالمين عباده وأفردها لنفسه، فمن أتى بها لشيخ طريقة، أو نبي، أو جني، أو لقبر محقق أو مزور، أو لنصب، أو لمكان عبادة عكف فيها أحد الصالحين على العبادة والذكر والرياضة... إلى غير ذلك من الأعمال والالتزامات، فقد تحقق عليه الشرك، ويسمى إشراكاً في العبادة، سواء اعتقد أن هذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها، وأنها جديرة بذلك، أو اعتقد أن رضا الله في تعظيم هذه الأشياء، وأن الله يفرج الكرب ببركة هذا التعظيم"^(٢).

وقد وجه إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية سؤال له علاقة بهذا الموضوع، وهذا نصه:

"السؤال: ما حكم المناذير وهو دعاء الجن والشياطين على شخص ما ليعملا به عملاً مكروهاً، كأن يقال: خذوه اذهبوا به، انفروا به بقصد أو بغير قصد، وما حكم من دعا بهذا القول، حيث سمعت قول أحدهم: أنه من دعا الجن لم تقبل له صلاة ولا صيام ولا يقبر في مقابر المسلمين ولا تتبع جنازته ولا يصلى عليه إذا مات؟

(٢) طريق المحرّتين ص ٩٩.

(٣) رسالة التوحيد للدهلوي ص ٣٧-٤٠.

الجواب: الاستعانة بالجن واللجوء إليهم في قضاء الحاجات من الإضرار بأحد أو نفعه

- شرك في العبادة؛ لأنه نوع من الاستمتاع بالجنى بإجابته سؤاله وقضائه حوائجه في نظير استمتاع الجنى بتعظيم الإنسي له ولجوئه إليه واستعانته به في تحقيق رغبته، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْرَتْمْ مِّنَ الْإِنْسِ ^ط وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّبُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ (الأنعام: ١٢٨، ١٢٩)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (الجن: ٦)، فاستعانة الإنسي بالجنى في إنزال ضرر بغيره واستعاذته به في حفظه من شر من يخاف شره كله شرك.

ومن كان هذا شأنه فلا صلاة له ولا صيام؛ لقوله تعالى: ﴿ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر: ٦٥)، ومن عرف عنه ذلك لا يصلى عليه إذا مات، ولا تتبع جنازته، ولا يدفن في مقابر المسلمين" (١).

وأمر الشرك خطير وضرره جسيم، يؤدي بصاحبه إلى نار جهنم خالدا فيها إن لم يتب منه قبل موته، وقد وردت في النهي عنه والتحذير منه أدلة كثيرة في الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك) (٢).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/١٦٢-١٦٣ فتوى رقم (٤٣٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأدب - باب قتل الولد خشية أن يأكل معه - ٥٠٨ برقم (٦٠٠١)، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان كون الشرك أقيح الذنوب وبيان أعظمها بعده - ص ٦٩٣ برقم (٨٦) عن عبد الله بن مسعود.

وإذا اتضح هذا، فكل من لم يطمس الله بصيرته يعلم أن الحق الذي لا شك فيه هو اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه. ففي اتباع الكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة نجات كل نجات.

أما تلك الانحرافات المنتشرة في المجتمع النيجيري مما جرى عليه الناس، وقد فيه صغيرهم كبيرهم، وآخرهم أولهم، حتى عدوها من الدين المنزل فلا حجة لهم في اتباع ذلك من شيء، إن هي إلا جهالة عمياء، وضلالة خرقاء، لا يرتاب أحد من أهل العلم والإيمان في أنها من المحرمات التي حذر منها الإسلام.

وبعد هذا التفريق بين سبيل الهدى والسبل الموصلة إلى الغواية [فمن استهواه الشيطان فصرفه عن دعاء الله إلى دعاء غيره من الأنبياء وسائر الصالحين أو الجن والشياطين لحفظه من شرٍ يخشاه على نفسه أو على خواصه وأقربائه، فقد أشرك مع الله إلهًا آخر يرجو نفعه ويخشى بأسه ويركن إليه في تحقيق رغباته وحاجاته، ومأواه جهنم وبئس المصير، ومع ذلك لا يستطيعون أن يدفعوا عنه ضرًا أو يقضوا له حاجة أو يحققوا له غاية، قال سبحانه: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ (الإسراء: ٥٦)، وقال عز وجل: ﴿ أَمَّنْ تَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ (النمل: ٦٢) [١].

وإذا كان المتوجه بعبادته إلى غير الله يرجع بخفي حنين دائما فلماذا صرف العبادات من بعض مسلمي نيجيريا إلى هؤلاء المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا؟ والله يريد إكرام النفس المسلمة وتحريرها من عبودية المخلوق وإخراجها من الظلمات إلى النور. وإذا كنا نريد الهداية والسعادة الحقيقيتين فلا مطمع فيهما من غير طريق شرع الله الدال على أنهما لا تحصَّان إلا بإخلاص العبودية للمولى جل وعلا.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١/١٦٦-١٦٧.

الباب الرابع

أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا وعلاجه

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

الفصل الثاني: وسائل علاج الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا وأساليبه

الفصل الأول

أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

المبحث الأول

الجهل

تعريف الجهل في اللغة والاصطلاح:

الجهل في اللغة: نقيض العلم. يقال: جهل فلان جهلاً، وجهالة، وجهل عليه. وتجاهل:

أي أظهر الجهل. واستجهله: عدّه جاهلاً. والتجهيل: أن تنسبه إلى الجهل، وجهل فلان حقاً

فلان، وجَهْلَ فلان عَلَيَّ، وجَهْلَ بهذا الأمر، والجَهْالَة أن تفعل فعلاً بغير العِلْم. ورجل جاهِلٌ، والجمع: جُهْلٌ، وجُهْلٌ، وجُهْلٌ، وجُهْالٌ، وجُهْلاء^(١).

وفي الاصطلاح، عرف الجهل بعدة تعريفات، منها:

- ١- أن الجهل خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل.
- ٢- أنه اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.
- ٣- أنه فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً^(٢).

أنواع الجهل:

الجهل نوعان:

النوع الأول: الجهل البسيط: وهو عدم العلم عما من شأنه أن يعلم.

النوع الثاني: الجهل المركب: وهو اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، أو إدراك الشيء على خلاف هيئته في الواقع؛ لأنه مركب من عدم العلم بالشيء ومن الاعتقاد الذي هو غير مطابق لما في الخارج^(٣).

فمن سئل: هل تجوز الصلاة بالتييم عند عدم الماء؟ فقال: لا، كان ذلك جهلاً مركباً من عدم العلم بالحكم، ومن الفتيا بالحكم الباطل، وإن قال: لا أعلم، كان ذلك جهلاً بسيطاً^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً، فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً"^(٥).

(١) انظر: لسان العرب ١٢٩/١١، والقاموس المحيط ص ١٢٦٧، ومختار الصحاح ص ١١٩، مادة (جهل).

(٢) المفردات ص ١٠٩.

(٣) كتاب التعريفات ص ٨٠، وشرح الكوكب المنير ٧٧/١، وحاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع تأليف حسن العطار ٢١١/١، ط/الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير أو المختصر المبتكر في أصول الفقه تأليف العلامة محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي المعروف بابن النجار ٧٧/١، تحقيق الدكتور محمد الزحيلي، والدكتور نزيه حماد، دار الفكر - دمشق ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧٧.

خطورة الجهل بالدين وآثاره السيئة:

تكمن خطورة الجهل بالدين وآثاره السيئة في النقاط التالية:

١- أن الجهل بالدين وبأحكامه آفة خطيرة، وداء عظيم، يحجب عن معرفة الحق، ويبعد عن سنن الهدى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "أما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم؛ فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أو لهواه وميل نفسه إليها، ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجودها أو لبغض نفسه لها. وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل وإلا فلو كان عالما علما نافعا بأن فعل هذا يضره ضررا راجحا لم يفعله؛ فإن هذا خاصية العاقل؛ ولهذا إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضره ضررا راجحا كالسقوط من مكان عال أو في نهر يغرقه أو المرور بجانب حائط مائل أو دخول نار متأججة أو رمي ماله في البحر ونحو ذلك لم يفعله؛ لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه، ومن لم يعلم أن هذا يضره كالصبي والمجنون والساهي والغافل فقد يفعل ذلك. ومن أقدم على ما يضره مع علمه بما فيه من الضرر عليه فلظنه أن منفعته راجحة"^(١).

٢- أنه يؤدي إلى الضلال، ويوقع في البدع المتعددة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ما أحدث في الإسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهو من البدع المحدثه في الإسلام من فعل من لم يعرف شريعة الإسلام وما بعث الله بها محمدا من كمال التوحيد وإخلاص الدين لله وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم؛ ولهذا تجدد من كان أبعد عن التوحيد وإخلاص الدين لله ومعرفة دين الإسلام هم أكثر تعظيما لمواضع الشرك أما العارفون بسنة رسول الله وحديثه فهم أولى بالتوحيد وإخلاص الدين لله، وأهل الجهل بذلك أقرب إلى الشرك والبدع"^(٢).

٣- أنه عامل أساس من عوامل الانحرافات التي يقع فيها المسلمون عامة وهو سبب لكثير من مصائب الناس في دينهم، يسرعون به إلى أنواع من الضلالة.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/٢٨٧-٢٨٨.

(١) مجموع الفتاوى ١٧/٤٩٧.

وهو الذي جعل أصحاب موسى بعد إذ نجاهم الله تعالى يطلبون من موسى أن يجعل لهم إلهًا كما للمشركين آلهة.

وقد ذكر الله تعالى ذلك عنهم حيث قال: ﴿ وَجَبَّوْنَا بِبَنِي إِرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٨).

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية: "نظيره قول جهال الأعراب وقد رأوا شجرة خضراء للكفار تسمى ذات أنواط يعظمونها في كل سنة يوما: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال - عليه الصلاة والسلام: (الله أكبر، قلتهم - والذي نفسي بيده - كما قال قوم موسى ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾، لتركبن سنن من قبلكم حدو القذة بالقذة حتى إنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)^(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسير الآية: ﴿ قَالُوا ﴾ من جهلهم وسفههم لنبيهم موسى بعد ما أراهم الله من الآيات ما أراهم: ﴿ يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ أي: اشرع لنا أن نتخذ أصناما آلهة، كما اتخذها هؤلاء.

ف ﴿ قَالَ ﴾ لهم موسى: ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾، وأي جهل أعظم من جهل من جهل ربه وخالفه وأراد أن يسوي به غيره، ممن لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا، ولا حياة، ولا نشورا؟!^(٢).

وقد تناول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حديث أبي واقد الليثي بالشرح فقال فيه: "وهذا دليل على آفة الجهل، وأن الإنسان قد يقع في الشرك بسبب الجهل، وفيه الحث على تعلم العقيدة ومعرفتها والتبصر فيها خشية أن يقع الإنسان في مثل ما وقع فيه هؤلاء"^(٣).

(٢) سبق تخرجه ص ٢٥٤.

(١) تفسير السعدي ص ٢٧٩.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١/١٥٩.

٤- أن الجهل إذا ساد في مجتمع من المجتمعات يصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة.

فالجهل داء خطير على الفرد والمجتمع، وإنه من أخطر الأمور أن يكون الإنسان جاهلا بدينه، تكمن المخاطر في أن الجاهل بدينه يسهل عليه التأثر بالشبهات؛ فيغدو عبئا ثقيلا على كاهل الأمة، بل يكون سببا من أسباب ضياعها.

ومما قد ثبتت بالتجربة وشهد له الواقع عبر العصور والأزمنة أن الشيطان اللعين لم يجد طريقا إلى قلوب العباد مثلما وجد الجاهل طريقا ممهّدة وأبوابا مشرعة إليها، لا يتحصن منه شيء فيها.

ولما كان الجهل من أشد الأضرار على الأفراد ومن أقوى عوامل انحطاط الأمم، ومن أعظم أسباب الوقوع في المحرمات بشتى أنواعها من كفرٍ وبدعٍ ومعاصٍ، كان الوقوف في وجهه متعينا على دين الإسلام الذي يرشد أتباعه دائما إلى كل خير ويحذرهم من كل شر.

ولم يذم الجاهل دينٌ وقُلٌّ من شأن أهله، ومدح العلم وأثنى على العلماء مثلما فعل الدين الإسلامي، وقد كانت أولى الإيحاءات السماوية الموجهة إلى نبي الإسلام- صلى الله عليه وسلم- فيها الدعوة إلى طلب العلم والترغيب فيه.

أهم الجوانب التي يجهلها مسلمو نيجيريا من الدين:

١- الجهل باللغة العربية وأساليبها:

إنه من الحقيقة غير القابلة للجدل أن الله عز وجل قد أنزل القرآن الكريم عربيا، وأجراه

في ألفاظه ومعانيه وأساليبه على لسان العرب، وقد أخبر بذلك في غير ما آية، فقال تعالى: ﴿

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (يوسف: ٢)، وقال تعالى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾

(الزمر: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٢٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ

﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء: ١٩٣-١٩٥)، وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ

يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بِشَرِّ لِسَانٍ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ
عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿ (النحل: ١٠٣).

وإذا كان القرآن قد نزل عربيا على رسول عربي، فيفهم من ذلك أن الكتاب والسنة اللذين هما مصادر التلقي لا يفهمان إلا إذا فهم اللسان العربي، وكذلك لا تفهم الشريعة ولن تستخرج أصولها وقواعدها من هذين الوحيين إلا بمعرفة اللغة العربية وإدراك ألفاظها ومعانيها وأساليبها، وإلى هذا يدل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ (الرعد: ٣٧).

وبناء على ما سبق بيانه فيجب على الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولا وفروعا أن لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عالما بلسان العرب، بالغاً فيه مبلغاً يصير فهمه عربياً في الجملة، وإن لم يبلغ ما بلغته العرب، أو ما بلغه أئمة اللغة المتقدمون^(١).

[وإذا أشكل عليه في الكتاب أو في السنة لفظ أو معنى فلا يقدم على القول فيه دون أن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية، فقد يكون إماماً فيها ولكنه يخفى عليه الأمر في بعض الأوقات، فالأولى في حقه الاحتياط؛ إذ قد يذهب على العربي المحض بعض المعاني الخاصة حتى يسأل عنها، وقد نقل شيء من هذا عن الصحابة - وهم العرب - فكيف بغيرهم.

وها هو حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: "كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها أنا ابتدأتها"^(٢) [٣]

والشرط الأول من شروط الاجتهاد هو معرفة اللغة العربية، فعلى المجتهد أن يعرف اللغة العربية على وجه يتمكن به من فهم خطاب العرب، ومعاني مفردات كلامهم وأساليبهم في التعبير، إما بالسليقة وإما بالتعلم بأن يتعلم علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وأدب ومعان وبيان، وإنما كان تعلم اللغة العربية على هذا الوجه ضرورياً للمجتهد، لأن نصوص الشريعة وردت بلسان العرب فلا يمكن فهمها واستفادة الأحكام منها إلا بمعرفة اللسان العربي على نحو جيد، لا سيما وأن نصوص الكتاب والسنة وردت في غاية البلاغة والفصاحة والبيان، فلا يمكن فهمها حق الفهم وتذوق معانيها وإدراك ما تدل عليه إلا بمعرفة اللغة العربية

(١) مثل الخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائي، والفراء.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/٢٥٧.

(٣) الاعتصام للشاطبي ص ٥٠٣-٥٠٤.

والإحاطة بأساليبها في التعبير وأسرارها البلاغية والبيانية، وما تومئ إليه كلماتها وعباراتها... وبقدر تضلع المجتهد في معرفة اللسان العربي تكون قدرته على فهم النصوص وإدراك معانيها القريبة والبعيدة.. ولكن لا يشترط في المجتهد أن يعرف اللغة معرفة أئمتها والمشهورين فيها، وإنما يكفيها منها القدر اللازم لفهم النصوص الشرعية فهما سليما، يمكنه من معرفة المراد منها^(١).
وكما اشترط على الناظر في الشريعة والمتكلم فيها بصفة عامة أن يفهم اللغة العربية فهما دقيقا وكذلك ألزم من ينظر في جزئياتها أن يكون له إلمام بهذا الجانب، فإنه لا يسع العالم الذي يفسر كتاب الله مثلا أن يجهل اللغة العربية بأساليبها ومعانيها وألفاظها، أو يكون ضعيفا فيها. "وقد بين العلماء أنواع العلوم التي يجب توافرها في المفسر فقالوا: هي اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة..."^(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"^(٣).

ورغم تأكيد العلماء على أهمية فهم اللغة العربية فهما جيدا للمتكلم في الشريعة وعلومها إلا أنه يُستغرب من طريقة بعض الفئات من المهتمين بالدعوة والفتيا ونشر العلم في المجتمع النيجيري حيث إنهم لا يعيرون طلب العلم الشرعي أي اهتمام ولا دراسة اللغة العربية أدنى عناية، بل يكتفون فيما يعينهم على القيام بالعمل الدعوي بالقراءة في كتب مترجمة إلى اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية، دون علمهم بأن العلوم الشرعية لا تؤخذ مجردة من الكتب وإن كانت من أمهات المصادر، وكيف بالكتب المترجمة إلى لغات أجنبية التي لا تروي غليلا ولا تشفي عليلا. ومع هذا كله فإن هؤلاء يضعون أنفسهم في مكان الصدارة والريادة عند القيام بالدعوة والفتيا، وإن هذا لشيء يدعو إلى العجب والاستغراب حقا.

(٣) الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٤٠٠، ط/الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن تأليف محمد عبد العظيم الزرقاني ٣٨/٢، تحقيق مكتب البحوث والدراسات ط/الأولى ١٩٩٦، دار الفكر - بيروت.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٧.

تلك الفئة التي أتحدث عنها هم الطلبة المسلمون الذين يدرسون العلوم العصرية في الجامعات الوطنية، ومما تحمد عليه هذه الفئة مع ما هم فيه من الجهل محبتهم للدعوة إلى الله في محيطهم وبذل كل غال ونفيس في سبيل ذلك، يضاف إلى ذلك تلك الحماسة المفرطة التي لا تعرف التنازل عند مطالبتهم الحكومة بحقوق المسلمين.

وجهلهم باللغة العربية هو الذي يسبب لهم الجهل بالفقه وأصوله، والقرآن وعلومه، والسنة وعلومها، وبالتالي يجهلون مقاصد الشريعة؛ إذ كل هذه العلوم لا يمكن التبحر فيها ومعرفتها بالدقة إلا بفهم اللسان العربي، ولذلك تجد هذه الفئة تقتصر على قراءة تلك المختصرات المترجمة إلى اللغات الأجنبية.

ومن المفيد الإشارة إلى أن جهل هؤلاء الناس باللغة العربية وأساليبها خطأ تتولد عنه أخطاء أخرى جسيمة، وأنواع من المعاصي التي أولها قطر وآخرها طوفان. فتجد فيهم الجراءة على التبديع ثم التفسيق ثم التكفير، كل ذلك نتيجة تمسكهم ببعض النصوص التي يرونها صحيحة ويستندون إليها في الحكم على بعض المسائل، ويصنفون كل من خالفهم في وجهات النظر ذاك التصنيف، فلا تجد في الغالب ما يخرج من أفواههم إلا كلمات ذات معان صماء، ولا ما يصدر من أذهانهم إلا أفكار جامدة مجردة.

ولذلك حدث التنافر، وتأصلت الكراهية في النفوس بين هذه الفئة وبين المنتسبين للعلم الشرعي من الطلبة والعلماء، فإذا اتفق لواحد من المنتسبين للعلم الشرعي أن يلتقي بواحد من تلك الفئة في مجلس من المجالس، وأراد الثاني أن يتحدث في الشريعة بإصدار حكم أو تناول مسألة علمية بالشرح، فإن الأول يقول له: ليس هذا بعشك فادرُجي، فيحصل سوء التفاهم، ويرمي بعضهم بعضا بالكلام.

إن الدعوة الإسلامية تضار حين يقوم بها أولئك القاصرون الذين لا يعرفون من العلوم الشرعية شيئا، وجل ما يحفظونه مرويات تتضمن الغث والسمين، وتعرقل سير الدعوة، بل تلقي ظلمات على المجتمع الإسلامي كله.

فالواجب على المسلم الحريص على معرفة الحق والوصول إليه والعمل به أن يجتهد في طلب العلم، ويسلك الطريق الصحيح لتحصيله؛ لأن الدعوة عطاء وإنفاق، ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة كيف يعطي غيره، وفاقد الشيء لا يعطيه، ومن لا يملك نصاب الزكاة كيف يزكي؟

ولست أريد في هذا الصدد وضع مجموعة معينة تحت مجهر الفحص؛ فأصحح هذا وأخطئ ذاك، ولكن الذي يهمني هنا أن ندرك المخرج من هذه الورطة، والنجاة من هذا البلاء؛ فنصح المقصر في طلب العلم الشرعي بما فيه من أدوات فهمه أن يجتهد في طلبه ويخلص النية في تحصيله والعمل به، كما نرشد الذي قد اكتسب ما يكفيه من هذا العلم للقيام بالدعوة أن يسعى لامتلاك أدوات تعينه ليوصل هذه المعلومات إلى المحتاجين إليها. وإذا فعلنا هذا فستوحد الجهود ونكون معا في سبيل الدعوة إلى دين الحق.

إن الذين تتفتح أذهانهم ليسمعوا مثل هذا الكلام سيستفيدون منه، ويدركون معناه، أما الذين قلوبهم صخرية يمر عليها الماء فينساب سريعا دون أن تتأثر به فإنهم لن يتأثروا بهذه المعاني الناطقة، والله تعالى أسأل أن يوفقني لقول الحق والعمل به.

٢- الجهل بمقاصد الشريعة^(١):

إن معرفة مقاصد الشريعة العامة أمر ضروري لفهم النصوص الشرعية على الوجه الصحيح، ولاستنباط الأحكام من أدلتها على وجه مقبول، فلا يكفي أن يعرف المجتهد وجوه دلالات الألفاظ على المعاني، بل لا بد له من معرفة أسرار التشريع والأغراض العامة التي قصدها الشارع من تشريعه الأحكام المختلفة حتى يستطيع أن يفهم النصوص ويفسرهما تفسيراً سليماً، ويستنبط الأحكام في ضوء هذه المقاصد العامة.

وقد ثبت بالاستقراء وتتبع الأحكام المختلفة في الشريعة أن القصد الأصلي لها هو تحقيق مصالح العباد وحفظ هذه المصالح ودفع الضرر عنهم، إلا أن هذه المصالح ليست هي ما يراه الإنسان مصلحة له ونفعا حسب هواه، وإنما المصلحة ما كانت مصلحة في ميزان الشرع لا في ميزان الأهواء والشهوات.

ومقصد الشريعة- كما سبق ذكره- تحقيق مصالح العباد بالإيجاد لها أولاً، ثم بحفظها ثانياً. وهذه المصالح هي- حسب الاستقراء- ثلاثة أنواع: الضروريات، والحاجيات، والتحسينات.

(١) لمسألة مقاصد الشريعة ينظر: الموافقات في أصول الفقه تأليف إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي الغرناطي المالكي ٨/٢ وما بعدها، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة- بيروت، الوجيز في أصول الفقه تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان ص ٣٧٥ وما بعدها.

النوع الأول: الضروريات: ويقصد بها المصالح التي تتوقف عليها حياة الناس وقيام المجتمع واستقراره، بحيث إذا فاتت اختل نظام الحياة وعمت أمورهم الفوضى والاضطراب ولحقهم الشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة.

وهذه الضروريات هي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. وهذه المصالح راعتها الشرائع جميعا، وإن اختلفت في طرق رعايتها والمحافظة عليها، والشريعة الإسلامية - وهي خاتمة الشرائع - راعتها على أتم وجوه الرعاية، فشرعت الأحكام لإيجادها أولا، والمحافظة عليها ثانيا.

النوع الثاني: الحاجيات: وهي الأمور التي يحتاج إليها الناس لرفع الحرج والمشقة عنهم، وإذا فاتت لا يختل نظام الحياة ولكن يلحق الناس المشقة والعنت والضيق. والحاجيات كلها ترجع إلى رفع الحرج عن الناس، وقد جاءت الشريعة بالأحكام المختلفة لتحقيق هذا الغرض.

وقد دل على مراعاة الشريعة للمصالح الحاجية النصوص العامة مثل قوله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (المائدة: ٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج: ٧٨)، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥).

النوع الثالث: التحسينيات: وهي التي تجعل أحوال الناس تجري على مقتضى الآداب العالية والخلق القويم، وإذا فاتت لا يختل نظام الحياة، ولا يلحق الناس المشقة والحرج، ولكن تصير حياتهم على خلاف ما تقتضيه المروءة ومكارم الأخلاق والفطر السليمة، وقد راعت الشريعة هذه المصالح التحسينية في العبادات والمعاملات والعادات والعقوبات.

والمصالح بأنواعها الثلاثة ليست سواء في الأهمية، فأولها بالرعاية: الضروريات، ثم الحاجيات، ثم التحسينيات، وعلى هذا فما شرع من أحكام للأولى أهم مما شرع للثانية، وما شرع للثانية أهم مما شرع للثالثة، ويترتب على هذا وجوب رعايتها بهذا الترتيب، بمعنى أنه لا يجوز العناية بالحاجيات إذا كانت مراعاتها تخل بالضروريات، ولا يجوز مراعاة التحسينيات إذا كان في ذلك إخلال بالضروريات والحاجيات. وبناء على هذه الضوابط يباح كشف العورة، وإن كان سترها مطلوبا، إذا كان كشفها يستدعيه إجراء الفحص والعلاج؛ لأن ستر العورة

تحسيني، والعلاج لحفظ النفس ضروري. ويباح تناول الخبائث كالميتة حفظا للنفس؛ لأن حفظها ضروري.

والجهل بمقاصد الشريعة يُضل ولا يهدي، وقد يؤدي إلى القضاء على الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة لحفظها، وخير مثال لهذا الكلام ما رواه أبو داود وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشججه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر بذلك فقال: (قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، وإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب شك موسى على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده)^(١).

ولو فهم هؤلاء مقاصد الشريعة وعرفوا أنه في العبادات شرعت الرخص دفعا للحرَج لما أفتوا الرجل بمثل ما أفتوه به مما أدى إلى وفاته، فقد أباح الشارع التيمم عند فقد الماء، كما أباح الفطر للمريض والمسافر، وغير ذلك من الحاجيات التي يحتاجها الناس لرفع الحرَج والمشقة عنهم.

وقد عد الإمام الشاطبي الجهل بمقاصد الشريعة سببا رئيسا لوقوع الخلاف الحاصل بين الفرق.

وكم سبب الجهل بمقاصد الشريعة التفرق والتباغض والتدابر، بل التخاصم والتقاتل بين مسلمي نيجيريا، وهم أبناء دولة واحدة ووطن واحد، وقبل ذلك كله يعبدون ربا واحدا، وقبلتهم واحدة، ودينهم واحد.

وهذا المرض الخطير أعني الجهل بمقاصد الشريعة هو الذي يؤدي بكثير من الجماعات الإسلامية في نيجيريا إلى التفرق والتنافر حتى أصبحت عملية جمع الكلمة وتضافر الجهود غير ممكنة، هذا على الرغم من أن هذه الجمعيات تسير على منهج واحد. ولو فهم المسؤولون في جماعة إسلامية معينة مقصد الشارع الحكيم في السعي إلى اجتماع كلمة المسلمين، والتأكيد على أهميته من خلال نصوص الكتاب والسنة، لو فهموا هذا الأمر كله ما تركوا وابتعدوا عن

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الطهارة - باب المجدور يتيمم - ص ١٢٤٨ برقم (٣٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٢٧/١ عن جابر، قال الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٥): حسن، دون قوله: (إنما كان يكفيه..).

إخوتهم في جماعة أخرى بحجة أن أتباعهم من النساء ما كن يلبسن الجوارب والقفازين. ولو عرف الأخ المسلم الذي من الله عليه بالالتزام حقيقة ما بعث الله به رسوله - صلى الله عليه وسلم - ما كفر أخاه الذي يراه أقل منه التزاما بحجة أنه يخلق اللحية أو يسبل ثوبه، أو يلبس القميص والبنطلون الذين اعتبرهما بعض الدعاة من لباس غير المسلمين.

٣- الجهل بالسنة، ويشمل:

(أ) الجهل بالتمييز بين الأحاديث المقبولة والمردودة:

ويعني ذلك الجهل بعلم مصطلح الحديث الذي يتم به معرفة الأحاديث الصحيحة والتفريق بينها وبين الأحاديث الضعيفة والموضوعة. وما من شك بأن الجهل بهذه المادة يشكل خطرا كبيرا على مصدر من مصادر التشريع الإسلامي الذي هو السنة حيث إن الذين يجهلون هذا العلم يعتمدون على الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحكم على الأمور المحدثه بأنها سنن.

وقد اعتمد الجهال على هذه الأحاديث فاخترعوا للناس بدعا وضلالات ورغبوهم في العمل بها، مثل ما فعلوا في إحداث أذكار وأدعية لبعض الشهور، وأنواع من النوافل التي ما أنزل الله بها من سلطان، فعلوا ذلك إرادة للخير وبغية الأجور الوافرة، ونيل الدرجات العالية. كما تمسكوا بأحاديث أخرى مكذوبة مختلقة، وضعها أشباه عباد الأصنام مما يناقض دين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به، كحديث: إذا أعيتمكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور^(١)، وحديث: لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه^(٢)، وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام، شجعوا عوام الناس على العمل بها حتى ارتكبوا أمورا تقارب الشرك أو هي شرك بعينه. وما أتى هؤلاء إلا من قبل جهلهم بالسنة.

وعلم مصطلح الحديث لم يكن مشهورا بين طلبة الدراسات الإسلامية في نيجيريا حتى بدأت عملية إنشاء المدارس العربية والإسلامية النظامية؛ ولذلك تجد هؤلاء في تلك العصور يأخذون كل ما هب ودب ونسب إلى سيد العجم والعرب مما يقرؤونه في كتب المواعظ والرقائق

(١) قال شيخ الإسلام: هو كذب باتفاق أهل العلم، لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم أحد من علماء الحديث.

انظر: مجموع الفتاوى ٢٩٣/١١، ومنهاج السنة النبوية ٤٨٣/١، والرد على البكري ٥٧٧/٢..

(٢) قال شيخ الإسلام: هو من كلام أهل الشرك والبهتان، لم يروه أحد من علماء المسلمين. انظر: مجموع الفتاوى

٥١٣/١١، ١٤٦/١٩، ٣٣٥/٢٤.

والكتب الفقهية والخطب المؤلفة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة. ولجهلهم بعلم مصطلح الحديث لم يكونوا يرجعون إلى المصادر الأصيلة للتأكد من درجة تلك الأحاديث؛ إذ لا يعرفون أصلاً أن هناك أحاديث صحيحة وحسنة وضعيفة وأن هناك أخرى مختلقة مكذوبة بما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم، بل كل ما نسب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو عندهم حديث بغض النظر عن مدى صحة تلك النسبة.

وقد أجمع العلماء على عدم الأخذ بالأحاديث الموضوعة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعدم نسبتها إليه لأنها كذب عليه - صلى الله عليه وسلم، ومما ورد في هذا الشأن قوله - صلى الله عليه وسلم: (من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار)^(١)، وفي الرواية: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)^(٢)، وقوله - صلى الله عليه وسلم: (لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليج النار)^(٣).

وقد شدد العلماء النكير على ذلك فقال الشيخ أبو محمد الجويني^(٤): "يكفر من تعمد الكذب على الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولو لم يستحله، والجمهور على أنه لا يكفر بذلك، ولكنه يفسق وترد رواياته كلها، ويطلب الاحتجاج بجمعها"^(٥).

أما الحديث الضعيف فقد أجمعوا على عدم الاحتجاج والعمل به في الأحكام، أما العمل به في فضائل الأعمال وفي الترغيب والترهيب فيجوز بثلاثة شروط:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم - ص ١٢ برقم (١٠٧) عن عبد الله بن الزبير.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم - ص ١٢ برقم (١١٠)، ومسلم في صحيحه - في مقدمة الكتاب - باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ص ٦٧٤ برقم (٣) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم - ص ١٢ برقم (١٠٦) عن علي بن أبي طالب.

(٤) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد أبو المعالي الجويني إمام الحرمين، الفقيه الشافعي ضياء الدين، رئيس الشافعية وأحد الأئمة الأعلام، كان من أذكى العالم وأحد أوعية العلم، جاور بمكة أربع سنين يدرس ويفتي ومن ثم قيل له إمام الحرمين، من مصنفاته: الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية، الشامل في أصول الدين، توفي سنة ٤٧٨هـ.

انظر: العبر في خبر من غير ٢٩٣/٣، الوافي بالوفيات ١١٦/١٩، طبقات الشافعية ٢٥٥/١.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، المقدمة - باب تغليظ الكذب على رسول الله ٦٩/١.

الأول: أن يكون الضعف غير شديد؛ فيخرج من انفراد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه.

الثاني: أن يندرج تحت أصل معمول به، كالأحاديث الضعيفة في فضائل بعض الأذكار؛ لأن الأذكار في الجملة معمول به.

الثالث: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط^(١).

(ب) الجهل بمكانة السنة من التشريع:

الجهل بمكانة السنة من التشريع بإنكار ما عدا القرآن جملة وتفصيلاً أو إنكار أخبار الأحاد لم يكن يعرف بين مسلمي نيجيريا منذ دخول الإسلام فيها، وإنما جهل من جهل السنة من جهة عدم التمييز بين المقبولة منها والمردودة، وحب التمسك بكل ما نسب إلى رسول الهدى - صلى الله عليه وسلم - دون تمحيص.

تلك هي الحال التي عرف بها مسلمو نيجيريا في موقفهم تجاه السنة إلا أنه ظهرت في الآونة الأخيرة فئة تسمى نفسها بالقرآنيين، وكلامهم لا اعتبار له؛ إذ إنهم ممن قلت بضاعتهم في العلم الشرعي من طلبة العلوم العصرية في الجامعات الوطنية، إلا أن أخطارهم تكمن في قيامهم بالدعوة والفتيا في محيطهم مما يجلب لهم أتباع مقتنعين بتلك الأفكار السخيفة.

لقد تسربت هذه الآراء الساقطة إلى هذه الفئة من خارج البلاد مثل الهند وباكستان ومصر وليبيا عن طريق تلك المجلات والجرائد التي ترسل إلى هؤلاء الطلاب، وهم في جانبهم لم يكن عندهم علم يبصرهم بالحق ويحصنهم عن التأثر بالشبهات.

وما دام أن هذه الشذمة المنكرة لحجية السنة أخذت الفكرة عن أشباهها ممن نتجت الفكرة عندها فشبهتهم هي نفس شبهات أولئك سواء بسواء. ومن شبهاتهم:

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٢٩٨/١-٢٩٩، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة- الرياض، دون بيانات أخرى. وتوجيه النظر إلى أصول الأثر تأليف طاهر الجزائري الدمشقي ٦٥٣/٢، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ط/الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب.

١- قولهم بأن في القرآن بيانا لكل شيء ولا حاجة معه إلى سواه مستدلين بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩)، وقوله تعالى: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ٣٨).

٢- استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)، قالوا: ولو كانت السنة حجة لتكفل الله بحفظها، ولما حصر الحفظ في القرآن بتقديم الجار والمجرور دل ذلك على أنه وحده هو المحفوظ.

وقد ورد تحذير الرسول - صلى الله عليه وسلم - من هذه البدعة وتنفيده منها، فعن أبي رافع رضي الله عنه، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال والناس حوله: (لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيته عنه فيقول: لا ندرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)^(١).

أما شبهاتهم فيمكن الإجابة عنها كالتالي:

ما استدلوا به من الآيات على أن في القرآن بيانا لكل شيء فلا حاجة معه إلى سواه، فإننا نقول: إن تلك الآيات لا تفيد ما ادعوه؛ لأن بيان الكتاب لكل شيء إنما هو بحسب ما أشار إليه من أصول الأدلة، التي يمكن معها فهم ما أجمله القرآن، ومعرفة حكم ما لم يرد النص القرآني بحكمه صراحة. وأول هذه الأصول السنة النبوية الشريفة.

والمراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ٣٨) هو اللوح المحفوظ^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب السنة - باب في لزوم السنة - ص ١٥٦١ برقم (٤٦٠٥)، والترمذي في سننه - كتاب العلم - باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - ص ١٩٢٠ برقم (٢٦٦٣)، وابن ماجه في سننه - كتاب السنة - باب تعظيم حديث رسول الله والتعليق على من عارضه - ص ٢٤٧٧ برقم (١٣)، والحاكم في المستدرک ١/١٩١، والطبراني في المعجم الكبير ١/٣١٦، عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) تفسير القرطبي ٦/٢٧٠.

والحصر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُدٍ لِحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)،
ليس حقيقيا؛ لأن الله حفظ أشياء غير القرآن، قال تعالى: ﴿ وَلَا يُؤْذِرُهُ حِفْظُهُمَا ﴾
(البقرة: ٢٥٥)، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة: ٦٧)، أي يحفظك.
بل السنة كانت من الذكر الذي تكفل الله بحفظه، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا
يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣، ٤)، قال القرطبي عند تفسير
الآية: "فيها دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل"^(١)، وقال - عليه الصلاة والسلام:
"ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه"^(٢).

أسباب انتشار الجهل بالدين لدى مسلمي نيجيريا:

١- تصدر علماء أهل البدع، وتشجعهم، ومحاولة السيطرة على ساحة الدعوة:
مما يساعد على انتشار الجهل أن علماء أهل البدع يسعون جادّين لتكون لهم الصدارة في الفتيا
ونشر العلم حسب منهجهم والدعوة إلى بدعهم، وعلى رأس هؤلاء المتصوفة الذين يبذلون كل
ما في وسعهم ليظهروا للناس أنه لا يوجد حق إلا ما هم عليه، وفي حقيقة الأمر فإنهم يجدون
نتائج جهودهم؛ إذ الباطل يقوى وينتفش وإن كان باطلا إذا وجد من يقف وراءه ويؤيده، كما
أن الحق يضعف وينكمش وإن كان حقا عند فقدان من يدعمه أو ينصره.

٢- وجود الجماعات المتأثرة بالمبادئ الصوفية تظهر نفسها مظهر الجماعات
السلفية: فجماعة التبليغ والدعوة جماعة متأثرة بالصوفية في منهجها ومبادئها^(٣) ومع ذلك فإن
أتباعها يظهرون أنفسهم بأنهم من أهل السنة الخالص، وقد اغتر كثير من العوام بهذا التظاهر؛
ولذلك تجدهم يشاركون في البرامج التي تنظمها تلك الجماعة.

(١) تفسير القرطبي ١٧/٥٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب السنة - باب في لزوم السنة - ص ١٥٦١ برقم (٤٦٠٤)، وأحمد في مسنده
١٣٠/٤ عن المقدم بن معد يكرب، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٦٣).

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/٣٢٢، إشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور مانع بن
حماد الجهني، ط/الرابعة ١٤٢٠هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض.

ومن مبادئ جماعة التبليغ والدعوة عدم الاهتمام بطلب العلم، فلا يرغبون أتباعهم في شيء قط مثل ترغيبهم في الخروج في سبيل الله، ومضمون هذا الخروج عندهم هو انتقال مجموعة من الرجال من مكان إلى مكان في مهمة دعوة الناس إلى دين الله، يبيتون أثناء ذلك في المساجد، ويقتصرون على تكرار بعض الأحاديث التي يحفظونها وأكثرها ضعيفة أو موضوعة، كما يستخدمون القصص المختلفة لحث الناس على الأعمال الصالحة؛ إذ دعوتهم فقط الترغيب في فضائل الأعمال، أما علماءهم فليسوا من المشهود لهم بالأهلية والكفاءة العلمية إطلاقاً، وقد جر أتباع هذه الجماعة على الإسلام من الولايات ما لا يعلمه إلا الله، فالجاهل لا ينشر إلا الجهل.

وإنه أمر معلوم عند كل من له أدنى إلمام بالتاريخ الإسلامي أن الصوفية من أشد الجماعات عداوة للعلم الشرعي وأكثرها إنكاراً على الذين يطلبونه؛ فكل جماعة تأثرت بها لا بد أن تأخذ بطبعها، فجماعة التبليغ والدعوة، وجماعة نصر الله الفاتح، وجماعة فتح الله قريب، كلها جماعات إسلامية نيجيرية متأثرة بالصوفية وترغب أتباعها عن طلب العلم الشرعي.

قال الإمام ابن الجوزي^(١) رحمه الله: "اعلم أن أول تلبس إبليس على الناس صدهم عن العلم؛ لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء، وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب: أحدها أنه منع جمهورهم من العلم أصلاً وأراهم أنه يحتاج إلى تعب وكلف، فحسن عندهم الراحة، فلبسوا المراقع، وجلسوا على بساط البطالة"^(٢).

٣- انتشار كتب ومؤلفات فيها انحرافات عقديّة بشتى أنواعها: مما ساعد على انتشار الجهل بالدين بين مسلمي نيجيريا انتشار كتب اللغة التي ألفها أناس لا قدر للدين عندهم، وقد كان الكثير من المنتسبين للعلوم الدينية في نيجيريا من قديم الزمان يتعلمون على هذه الكتب التي لا علاقة لها بالعقيدة والشريعة، وأكثرها كتب اللغة والشعر في المدح

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي، جمال الدين أبو الفرج، الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، شيخ وقته وإمام عصره، له مصنفات كثيرة منها: زاد المسير، منهاج الوصول إلى علم الأصول، جامع المسانيد، المنفعة في المذاهب الأربعة، توفي سنة ٥٩٧هـ.

انظر: الوافي بالوفيات ١٨/١٠٩، الأعلام ٣/٣١٦، سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٥.

(٢) تلبس إبليس ص ٣٨٩.

والرثاء والغزل وغير ذلك^(١)، وهي التي يحفظها طلبة العلم الديني ويهتمون بها، وغالبية هذه الكتب وردت من دول المغرب العربي.

٤- قلة الاهتمام والعناية بالتعلم الديني في الصغر: لقد كان للاستعمار السياسي

البعيضي أكبر تأثير في إعراض الطفل المسلم عن تعاليم دينه منذ الصغر في نيجيريا؛ وذلك أن التنصير يتواجد مع الاستعمار حيثما وجد، ولا يدخل واحد منهما في دولة من الدول إلا مقترنا بالثاني.

فقد سعى المستعمرون بكل ما أعطوا من القوة والإمكانات فور دخولهم في نيجيريا إلى تنفير الناس عن الدين الإسلامي وتعاليمه، وطريقتهم في تحقيق ذلك الهدف هو وضع خططٍ مبرمجة لإهانة كل ما هو إسلامي، ثم المضي في تنفيذ تلك الخطط. وقد تمثلت الخطط في توظيف كل من درس شيئاً من العلوم العصرية مع تقدير راتب مميز له، بينما كانوا يهيمشون أبناء المسلمين الذين يتوجهون إلى تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وقد وضعوا قبل ذلك قيوداً تمنع أي طفل مسلم من الالتحاق بمدرسة حكومية إلا بعد تغيير اسمه إلى اسم نصراني، وإذا خاطر والده بإدخاله في المدرسة بعد توفر الشروط فإن الطفل يُمنع نهائياً من أخذ أية خبرة عن الدراسات الإسلامية، وفي النهاية إما أن يتنصر هذا الطفل أو يبقى على دينه ولا يكون له نصيب من الإسلام إلا الاسم.

(١) من هذه الكتب: كتاب مقصورة ابن دريد في فنون الشعر والحكمة والوعظ والأدب والغزل تأليف أبي بكر بن الحسن بن دريد الأزدي، وكتاب نيل الأمان في شرح التهاني تأليف أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، وهو شرح لقصيدته الدالية في مدح شيخه أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي. ومما غلا به في مدح شيخه قوله:

فهو الوحيدُ ومن يكن في دهره لم يلقه فكأنه لم يُوجد

فرْدٌ وليس له نظيرٌ فانتقى جمعٌ وتثنيةٌ لهذا المفرد

هذا غيض من فيض من تلك الكتب المليئة بالانحرافات العقديّة، وما قصيدة البردة للبوصيري بغريب على كل مهتم بعلم العقيدة، وهذه هي الكتب التي يفرح طلبة العلم الديني في نيجيريا بتعلمها ويفاخرون بإتقان حفظها، وبقدر إكثار الطالب من قراءة أمثال هذه الكتب تعلق مكانته بين أقرانه، ولعل هذا السبب راجع إلى عدم انتشار كتب العقيدة الصحيحة، والله تعالى أعلم.

فلما استشعر الآباء ذلك الخطر المغدق بهم كف البعض عن إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية، بينما خاطر الكثير وضحو بأبنائهم للمنصرين، فكان ما كان، وأصبح الكثير من المسلمين المتخصصين في العلوم العصرية مثل الطب والهندسة وغيرها لا نصيب لهم من العلم الديني الذي يعصم الله به صاحبه من الوقوع في البدع، ويميز به بين الحلال والحرام. وما زال الوضع على هذا المنوال إلى يومنا هذا مع تحسن قليل.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري واصفا هذه الحالة المؤسفة: "كانت الحضارة العربية قائمة في جميع البلاد التي قامت فيها الحكومة الإسلامية (يعني في غرب إفريقيا)، ولما جاء المستعمرون والمبشرون غاظهم كل الغيظ أن يلتقوا بالإسلام في غرب إفريقيا ليس دينا متمكنا في النفوس فحسب، ولكنه قوة حاكمة، ودولة قائمة، ... فهدموا بنيان علماء الإسلام بمعاول قساوسة الصليب، وبدلوا الشريعة بالقانون، وطاردوا الفقهاء من الدواوين، وأحلوا محلهم المحامين، وأغروا طلاب اللغة العربية بطلاب اللغة الإنكليزية والفرنسية، حيث تغلغوا في القرى والأرياف، واقتنصوا أبناء الفلاحين وأغروهم بالأموال والأعراض، وأرسلوا من آمن بالصليب منهم إلى أوروبا، ليكملوا بها علومهم وليرجعوا إلى بلادهم زعماء معتبرين لدى الخاص والعام، فاغتر طائفة من أبناء المسلمين بتلك المظاهر فتنصروا، فأصبحوا يركضون في كل حلبة من حلبات الجدد، فبقي المتمسكون بدينهم خارج الحظيرة ضعفاء مساكين متروكين في زوايا الإهمال يعيشون على هامش الحياة، ويأكلون من فتات الموائد. فلا جرم أن يحارب الاستعمار التعليم العربي بالتعليم الأفرنجي بغية تحويل المسلمين عن دينهم، أو تسميم مناهج التعليم الأفرنجي نفسه عليهم، حتى يصير المسلمون أنفسهم حربا على الإسلام وثقافته؛ لترسخ أقدام المستعمرين في بلاد الإسلام، ولتشديد النصرانية على أنقاض الإسلام"^(١).

وما سبق ذكره هو الوضع في جنوب البلاد وشرقها، أما في الشمال فإن الفرصة متاحة والأجواء مهيأة ليأخذ الطفل المسلم تعاليم دينه منذ الصغر، كما يقدر المجتمع هناك المتخصص في العلوم الدينية ويحترمه.

٥- ضعف قيام علماء أهل السنة ببيان الحق للناس، وإنكار البدع المحدثه

والتحذير عنها: قديما قيل: العبرة بالفارس لا بالفرس، هذا هو المثل الذي ينبغي أن يقال

(١) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ١٤٩ - ١٥٠.

ويكرر لعلماء أهل السنة والجماعة في نيجيريا، فقد منّ الله على الكثير منهم بالعلم الشرعي الغزير والمنهج السليم والعقيدة الصحيحة إلا أنه ينقصهم الأسلوب الأمثل للاستفادة من هذه الإمكانيات. وإن الاستمرار مع ضعف الإمكانيات أفضل من إمكانيات قوية غير مسخرة أو غير مستغلة الاستغلال الأمثل.

يمكننا تقسيم علماء أهل السنة في نيجيريا إلى قسمين: قسم من العلماء المحليين الذين لم يكتب لهم السفر خارج البلاد ومع ذلك فقد منّ الله عليهم بالعقيدة الصافية، ونسبتهم ضئيلة جدا مقارنة بذلك الحجم الغفير ممن يطلق عليهم اسم العلماء، أما القسم الثاني فهم خريجو جامعات الدول العربية وخاصة جامعات المملكة العربية السعودية الذين تغربوا عن أوطانهم لنيل العلم الشرعي من منبعه الصافي، فعدد هؤلاء كبير لكن ليس كلهم يعمل في حقل الدعوة وإرشاد الجهال.

فالقسم الأول من هؤلاء العلماء ينقصهم في الغالب معرفة الأولوية في بيان أمور العقيدة، كما يلاحظ عليهم عدم معرفة المسائل العقدية بدقة وإتقان، وبالتالي يساهمون في انتشار الجهل بالعقيدة؛ حيث تجد أحيانا من ينكر بقوة أمورا هي من البدع غير المكفرة ولا يهتم بإنكار ما هو شرك.

أما القسم الثاني وهم خريجو جامعات الدول العربية، فمشكلتهم تكمن في عدم التخطيط لمستقبل الدعوة، وقلة الاستعداد للتضحية في سبيلها. أعني بعدم التخطيط لمستقبل الدعوة أنهم لا يسعون لإجادة اللغات الرسمية في بلدانهم وهي التي تمكنهم من إيصال الدعوة والمعلومات التي حصلوها أثناء الدراسة إلى المشتاقين لها، كما تمكنهم من الوصول إلى السلطة، وهم أحق بها من غيرهم، لأن أوضاع البلاد تدعو إلى تولي أمثالهم السلطة، فالدعوة الإسلامية كتاب يهدي وسيف ينصر^(١). وقصدي بقلة الاستعداد عندهم للتضحية أن الكثير منهم لا يعطي للدعوة ما يكفي من أوقاته إلا إذا قامت جهة معينة بكفالتهم، وإذا رجع إلى بلده بعد أن وفق في تعيينه كالداعية فإنه يفضل البقاء في العاصمة أو في إحدى المدن الكبيرة حيث كثرت المغريات والملاذات، بدلا من التوجه إلى القرى والأرياف والمدن الصغيرة حيث اشتدت الحاجة وقل الدعوة.

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٣٩٣.

ولو أن هؤلاء حملوا أنفسهم على العمل الجاد وقَدَّروا جسامة المهمة الملقاة على عاتقهم في مجال الهداية والإرشاد لأعدوا للأمر عدته، وواجهوا المواقف بما يجب لها من استعداد. ولتعلموا بأن طريق النجاح مليء بالأشواك والعقبات، ولن يكتب لهم النجاح إلا بتوفيق من الباري جل وعلا ثم التسلح للمعركة بما يناسبها، ومن أراد النجاح إذن فعليه طرق الأبواب بقوة وإصرار.

وليس ما نرجوه مستحيلا، فكل شيء ممكن، وقد ثبتت بالتجربة أن عملية إتقان اللغة الإنجليزية مثلا لا يأخذ من المرء أكثر من ستة أشهر إذا صدقت الرغبة وقوي العزم، فالعقل الذي تعلم العربية وأتقنها لن يعجز عن إجادة لغة أخرى أجنبية بإذن الله. كما أناشد إخوتي الدارسين في جامعات الدول العربية أن يهتموا بكل ما يعينهم على القيام بالدعوة إلى الله على الوجه المطلوب في المستقبل مثل المشاركة في دورات مختلفة في تنمية قدرات الدعاة: فدورة في مهارات الاتصال، ودورة في الخطابة والإلقاء، ودورة في التخطيط ورسم الأهداف، ودورة في إدارة وتطوير الجمعيات الخيرية، كلها مطلوب إجادتها للداعية. كما لا يغفل الداعية التخطيط لضمان مصدر الرزق لنفسه بعد الاستعانة بالله عز وجل؛ لئلا يعيش على هامش الحياة ويكون عالية على المدعوين، وذلك أدعى لقبول دعوته وتأثير كلمته. وإذا استعنا بالله وبذلنا الجهود فسنجد بغيثنا- إن شاء الله، فبعد الليل الموحش صباح مشرق جميل. والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

أما إعراض الناس عن سؤال أهل العلم في أمور دينهم مما قد يتصور البعض أنه من أسباب انتشار الجهل لدى مسلمي نيجيريا فليس ذلك بصحيح في نظري.

وقد سبق أن ذكرت حب النيجيريين للدين سواء كان حقا أو باطلا مما يوحي بأن هناك فرصا ذهبية سانحة للدعاة إلى الدين الحق أن يستغلوها. والحق يقال، فإنه لا يوجد داعية يخلص نيته لله تعالى فيما يقوم به مع التضحية وسلوك سبيل الحكمة فيه إلا وجد آذانا صاغية من المدعوين، يجتمعون حوله لسماع دعوته والاستفادة منه بمئات بل بألوف وألوف؛ ولذلك تجد دعاة الضلالة من مبتدعة المسلمين والنصارى الضالين ينتهزون هذه الفرص ولا يتركونها.

فمما يساعد على انتشار الجهل ضعف قيام علماء أهل السنة ببيان الحق للناس، فإنه بسكوت العلماء عن نشر الحق والتحذير من الباطل يرتفع صوت الباطل، ويضعف صوت

الحق، ويظن كثير من الناس أن أصحاب الباطل نتيجة كثرتهم وفشوهم هم أصحاب الحق؛
بدليل ظهورهم وبروزهم.

أنواع الانحرافات التي يسببها الجهل لدى مسلمي نيجيريا:

ولعل المطلع على ما كتبه سابقا في الباب الثاني والثالث عند دراسة المسائل التي تقع
فيها الانحرافات لدى مسلمي نيجيريا يلاحظ أنني لم أقم بإثارة الشبهات في كثير من تلك
المسائل، وما ذاك إلا لأن أكثر ما يؤتى هؤلاء المسلمون هو بسبب جهلهم بالدين، وفي حقيقة
الأمر فإنه ليس هناك شبهات تذكر لديهم في كثير من المسائل وإنما الجهل هو الذي يسبب
لهم الانحراف عن الحق، والإصرار على الأخطاء، ويجعلهم يأخذون بالباطل محسوبا أنه الحق،
فالإنسان دائما عدو ما جهل.

ومن الانحرافات التي يسببها الجهل بالدين عموما وبالمسائل العقديّة خصوصا: دعاء
غير الله، والتوسل البدعي، والحلف بغير الله، والنذر والذبح لغير الله، والتبرك الممنوع، والعلاج
بالسحر والشعوذة وبأشياء أخرى محرمة شرعا، ومشاركة الكفار في أعيادهم وإحداث أعياد
أخرى مبتدعة، وموالاتة الكفار، ومخالفة المنهج الصحيح منهج أهل السنة والجماعة في قراءة
القرآن والذكر والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم، وصرف العبادات القلبية لغير الله،
وغير ذلك من أنواع الانحرافات في العقيدة.

فالجهل عامل رئيس من عوامل وقوع بعض المسلمين في الانحرافات العقديّة، وعلاج
الجهل نشر العلم الشرعي، وهذا راجع إلى أنصار هذا الدين من العلماء الريانيين والدعاة
المصلحين وطلبة العلم المخلصين فإنهم هم الملزمون بتبيان ما يصلح العقائد ويقوم الأفكار فيما
يختص بدين الإسلام.

المبحث الثاني

الغلو

معنى الغلو لغة:

أصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء. يقال: غلا السعر، يغلو، غلاء: وذلك ارتفاعه. وغلا الرجل في الأمر غلوا، وغلانية، وغلانيا: إذا جاوز فيه الحد وأفرط فيه^(١). والغلو في الدين: مجاوزة الحد والتشدد فيه، وعلى هذا المعنى دلت الآية: ﴿يَتَأَهَّلَ أَلْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (المائدة: ٧٧)، والحديث: (إياكم والغلو في الدين)^(٢)، وكذلك الحديث: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)^(٣).

وقيل معناه: البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها، ومن ذلك الحديث: (حامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه)^(٤)، إنما قال ذلك لأن من آدابه وأخلاقه التي أمر بها القصد في الأمور، وخير الأمور أوسطها، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم^(٥).

معنى الغلو شرعا:

الغلو في الشرع هو: تجاوز الحد الشرعي بالزيادة^(٦).

(١) انظر: لسان العرب ١٣١/١٥ مادة (غلا)، ومعجم مقاييس اللغة ص ٧٧٣ مادة (غلوى).

(٢) أخرجه النسائي في سننه - كتاب مناسك الحج - باب التقاط الحصى - ص ٢٢٨٤ برقم (٣٠٥٩)، وابن ماجه في سننه - كتاب المناسك - باب قدر حصى الرمي - ص ٢٦٦٠ برقم (٣٠٢٩)، وأحمد في مسنده ٢١٥/١، وابن حبان في صحيحه ١٨٣/٩، والطبراني في المعجم الكبير ١٥٦/١٢، والبيهقي في السنن الكبرى ١٢٧/٥، عن ابن عباس، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال ابن تيمية: إسناده صحيح على شرط مسلم (اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٠٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٢٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٩٨/٣ عن أنس بن مالك، وحسنه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (٤٠٠٩).

(٤) سبق تخريجه ص ٢٢٦.

(٤) لسان العرب ١٣١/١٥ مادة (غلا).

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٠٦، والاعتصام ص ٢٥١، وتيسير العزيز الحميد ص ٢٣٤، والغلو في الدين في

ويزيد الشيخ سليمان بن عبد الله الأمر وضوحا فيحدد ضابط الغلو فيقول: "وضابطه تعدي ما أمر الله به وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ (طه: ٨١).

فالحق واسطة بين التفريط والإفراط، ومن جانب التفريط والإفراط فقد اهتدى^(١).

ألفاظ تقارب الغلو في المعنى:

هناك ألفاظ تقارب لفظ الغلو في معناه، وهي: التطرف، والتنطع، والتشدد، والتكلف، والتعمق، والعنف. وكل هذه الألفاظ تجتمع مع لفظ الغلو في كونها مجاوزة الحد بالزيادة على المشروع، إلا أنه يلاحظ بأن هناك تقاربا بين لفظي الغلو والتطرف، فكل منها مرادف للآخر. أما الألفاظ الباقية: التنطع، والتشدد، والتكلف، والتعمق، والعنف، فهي بمثابة أوصاف ومظاهر للغلو:

- فالغالي يتسم في أخذه للدين بالشدّة.
- ويتسم في معاملة الآخرين بالعنف.
- ويتسم بالتنطع والتعمق والتكلف في أفعال الدين^(٢).

أنواع الغلو:

يتنوع الغلو باختلاف متعلقه من أفعال العباد، فهو على نوعين: اعتقادي وعملي.

النوع الأول: الغلو الاعتقادي:

والمراد بالغلو الاعتقادي ما كان متعلقا بباب العقائد فهو محصور في الجانب الاعتقادي الذي يكون منتجا للعمل بالجوارح، ويتمثل في مجاوزة حدود الاعتقاد الصحيح إلى غيره من ضروب الانحراف.

حياة المسلمين المعاصرة تأليف الشيخ عبد الرحمن بن محلا اللويحق، ط/الخامسة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ٢٥٥/١.

(٢) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ص ٦٢.

ومن الغلو في الاعتقاد غلو النصارى في عيسى عليه السلام حتى أخرجوه من حيز البشرية إلى مرتبة الألوهية، ومنه غلو الرافضة في علي رضي الله عنه، فطائفة ادعت أنه إله، وطوائف على أنه معصوم.

ومن غلو بعض المتصوفة في الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث ادعوا أنه مخلوق من نور وأن الكون خلق من نوره، وأنه يتصرف في الأكوان، إلى غير ذلك من العقائد الباطلة، ومنه الغلو في الصالحين ومشايخ الصوفية، بادعاء العصمة لهم، واتباعهم في كل ما يقولونه بلا دليل، والاستغاثة بهم وندائهم فيما لا يقدر عليه إلا الله، إلى غير ذلك من العقائد الشركية. والغلو الاعتقادي أشد خطرا وأعظم ضررا من الغلو العملي؛ إذ الغلو الاعتقادي هو الذي يؤدي إلى الإنشقاقات وظهور الفرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم.

النوع الثاني: الغلو العملي:

والمراد بالغلو العملي ما كان متعلقا بباب العمليات فهو محصور في جانب الفعل، سواء أكان قولاً باللسان أم عملاً بالجوارح.

ويقصد بهذا النوع ما كان واقعا في دائرة الأحكام الشرعية الخمسة وهي: الوجوب، والندب، والكراهة، والتحريم، والإباحة، فمن جعل المندوب بمنزلة الواجب، أو المكروه بمنزلة المحرم، أو جعل المباح مكروها أو محرما فقد غلا في الدين الغلو العملي وجانب الصراط المستقيم، فمن أوجب على نفسه قيام الليل كله مثلا فقد غلا؛ لأنه جعل المندوب بمنزلة الواجب، ولأنه جاوز حدود السنة في هذا الجانب. ومثل هذا من حرم ما أحل الله من النكاح وأكل الطيبات زهدا وتعبدًا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "التشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات" (١).

خطورة الغلو:

يكمن خطر الغلو في الدين في النقاط التالية:

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٠٣.

١- الغلو ينفر عامة الناس عن الاستمرار في العبادة؛ لأنه مجاوزة حد الاعتدال المطلوب من المسلم أن يلتزم به، فلا يطيقونه. وهذا الذي أدركه رسول الهدى- صلوات الله وسلامه عليه- فعاتب معاذًا حين شكوا أحد الناس أنه يطيل في الصلاة، فقال له وللمسلمين جميعًا: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)^(١).

٢- أنه يضر بصاحبه ويؤدي به إلى الانقطاع والاستحسار، لأنه أصعب من أن يستمر صاحبه عليه، فيفتقر ويترك.

٣- أن الغالي في الدين يخرج عن كونه مطيعًا لله بعبادته، كمن زاد في الصلاة ركعة، أو صام الدهر مع أيام النهي، أو سعى بين الصفا والمروة عشرا، أو نحو ذلك عمدا.

٤- الغلو يضر بالتوازن المطلوب في شخصية المسلم، ويعني ذلك أنه يضع بعض الحقوق، ولعل هذا هو الذي جعل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول لعبد الله بن عمرو حين بلغه أنه يصوم النهار ويقوم الليل باستمرار: (لا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا...)^(٢).

٥- أن الغلو يجعل صاحبه يتعصب لرأيه ويظل عليه جامدا، ولا يعترف بالرأي الآخر، ويتسرع في الحكم على الآخرين في عقائدهم، وخير مثال على ذلك فرقة الخوارج الذين أدى بهم الغلو إلى تكفير المسلمين واستحلال دمائهم.

٦- الغلو سبب الهلاك لقوله- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- وهو يربط بين الغلو والهلاك: (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(٣)، وقوله- عليه الصلاة والسلام: (هلك المتنطعون)^(٤) قالها ثلاثا^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب العلم- باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا- ص ٨ برقم (٦٩) عن أنس بن مالك.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الصوم- باب حق الجسم في الصوم- ص ١٥٤ برقم (١٩٧٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) سبق ترجمته ص ٢٦٤.

(٤) المتنطعون: أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٤٣٧/١٦.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب العلم- باب هلك المتنطعون- ص ١١٤٢ برقم (٢٦٧٠) عن عبد الله بن مسعود.

٧- أنه سبب للوقوع في الشرك والخروج من الدين بالكلية، فالغلو في محبة الصالحين يؤدي بالناس إلى عبادتهم، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد: "باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين"^(١).

٨- أنه من نزغات الشيطان، وقد أمرنا الله أن نتخذة عدوا، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد"^(٢).

٩- أنه زيادة في الدين، والله تعالى قد أكمل دينه لعباده، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).
أسباب الغلو لدى مسلمي نيجيريا:

يمثل الغلو ظاهرة انحراف خطيرة في تاريخ الأديان السماوية؛ إذ يعد من أكبر أسباب الانحراف بالدين عن الصراط المستقيم. ويبدأ هذا الانحراف يسيرا ثم يتعاضم على مر الأيام حتى يصبح كأنه الأصل.

وها هي النصرانية! كيف كانت على عهد المسيح عليه السلام عقيدة خالصة من شوائب الشرك ودينا قويمًا، ثم أصابها الغلو فانحرف بها عن التوحيد الخالص إلى الشرك المحض، ومن دين سماوي إلى دين وضعي ممزوج بالوثنيات وترهات اليونان وأباطيل اليهود. وهذا الغلو لا ينشأ فجأة من فراغ، ولكنه مرتبط بعدة عوامل وأسباب تؤدي إليه وتظهره^(٣). وهذه الأسباب كثيرة ومتنوعة لكن الذي يهمني في هذا المقام هو ذكر تلك الأسباب التي يؤدي ببعض مسلمي نيجيريا إلى الوقوع في الغلو، ومن ثم الانحراف عن صراط الله المستقيم فيما يتعلق بمسائل توحيد الألوهية، وسأقتصر على أهمها، وهي:

(١) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ٣٩/٦.

(٢) مدارج السالكين ٤٩٦/٢.

(٣) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع تأليف عبد الرؤوف محمد عثمان ص ١٤٧.

١- الجهل بالدين: ويتمثل في جوانب متعددة منها:

القصور في فهم مقاصد الشريعة من التيسير ورفع الحرج عن المكلفين، وهذا يظهر في صنيع المتشددين على أنفسهم في العبادات. فالجهل في هذا الجانب هو الذي دفع بعض البسطاء من مسلمي نيجيريا إلى صيام الأشهر الثلاثة: رجب، شعبان، رمضان، دون انقطاع. وما من شك أن من فعل هذا قد صام أيام النهي مما يخرجه عن كونه مطيعاً لله ورسوله في عبادته.

ومنها الجهل بحدود الشريعة التي يجب على المكلف أن يقف عندها ولا يتعداها، كتحریم المباح أو تحليل الحرام أو إيجاب ما ليس بواجب، فالجهل بالدين في هذا الجانب يوقع بالعوام في الغلو الشيء الكثير، فمسألة الاجتماع للتعزية بعد دفن الميت مما يؤدي إلى صنع أهل الميت الطعام للناس، والتوسل بحق نبينا محمد- عليه الصلاة والسلام، والتبرك بفضل الآباء والأمهات والمشايخ، كلها من البدع المنكرة ومع ذلك فإن عوام المسلمين في نيجيريا يعتبرونها مما ليس به بأس لجهلهم المركب.

وكذلك المتصوفة الذين يرفعون مشايخهم فوق ما يستحقون من المكانة فيعتقدون فيهم علم الغيب والتصرف في الكون، كما يتجاوزون الحد المشروع في مدح رسول الهدى وخير الأنام- صلوات الله وسلامه عليه- فيصفونه بأوصاف الربوبية والألوهية، كل ذلك نتيجة الجهل بحدود الشريعة التي يجب على المكلف أن يقف عندها ولا يتعداها.

ومن الجوانب التي يتمثل فيها الجهل بالدين القصور في فهم النصوص الشرعية، حيث إن بعض مسلمي نيجيريا ينظرون في النصوص الشرعية النظرة الجزئية القاصرة. وينتج من هذه الظاهرة قصور الفهم؛ لأن الحاصل في الأمر هو النظرة إلى أحد جانبي النصوص وإهمال الجانب الآخر والإعراض عنه، ومحاولة التأويل المتعسف للنصوص الشرعية لكي تنطبق مع هوى النفس.

وأظهر فئات مسلمي نيجيريا توجد فيها هذه الصفة هم الطلبة المسلمون في الجامعات النيجيرية أصحاب التخصصات العصرية وكذلك الصوفية بطريقتيها. فبقصور الفهم الناتج من النظرة الجزئية في نصوص الوعد والوعد أعلنت مجموعة من هؤلاء الطلبة البراءة من المجتمع النيجيري بحجة أنه مجتمع عاص وكفروا أفرادهم، فقد أدى غلو هذه المجموعة بهم إلى

هلاکهم حيث حصلت اشتباكات بين الجناح العسكري لهم وبين أفراد شرطة الحكومة، فقتلوا عددا من أفراد الشرطة، فكانت النتيجة أن أرسلت الحكومة فرقة من الجيش التي قتلتهم جميعا ودمر كل ما كانوا يملكون.

أما المتصوفة فإنهم ينظرون في النصوص الشرعية النظرة الجزئية مما يؤدي بهم إلى تعظيم مشايخهم إلى درجة إلحاقهم بما لا يستحقون، فيزعم بعضهم أنه لا ولي لله أعظم من شيخهم، وربما أغلقوا باب الولاية دون سائر الأمة إلا شيخهم، ومنهم من يزعم أن شيخهم مساو للنبي - صلى الله عليه وسلم - إلا أنه لا يأتيه الوحي، وكل هذا باطل محض وبدعة فاحشة، وأي مسلم قدر الله له المرور للسلام على قبر الشيخ عثمان بن فودي في مدينة (سوكوتو) وقبر الشيخ محمد الناصر الكبرى في مدينة (كانو) يرى عجب العجائب ويشهد على حقيقة هذا الكلام الذي قلته.

ومثل ما يفعله الصوفية في مشايخهم يفعلونه في الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث نظروا إلى جانب التعظيم للرسول - عليه الصلاة والسلام - فبدأوا يمدحونه حتى دخل المدح حد الإطراء، وأهملوا جانب التوحيد وسد الذريعة إلى الشرك. وخير شاهد على وقوع المتصوفة في هذا النوع من الانحراف اعتيادهم لقراءة قصيدة البردة للبوصيري أثناء الاحتفال بالمولد النبوي، بل يكاد يكون قراءة هذه القصيدة أهم فقرات برامج المولد عند الكثير، ولا يخفى على من رزقه الله سلامة العقيدة ما في هذه القصيدة من عين الانحراف، مثل قوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألود به سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضررتها ومن علومك علم اللوح والقلم^(١)

إن الحق الذي يدعو إليه الدين الحنيف أنه يجب محبة الأنبياء والأولياء والصالحين وتوقيرهم، ويحرم النيل منهم والتنقص من قدرهم، لكن في نفس الوقت لا يجوز الغلو فيهم برفعهم فوق منازلهم أو وصفهم بأوصاف الألوهية أو الربوبية، فلا غلو ولا إجحاف ولكن العدل والإنصاف.

(١) بردة المديح المباركة تأليف شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري ص ٣٥.

٢- اتباع الهوى:

اتباع الهوى من أكبر أسباب الغلو في الدين، فهناك الكثير من مسلمي نيجيريا يعرفون الحق لكن الهوى المتأصل في نفوسهم هو الذي يصددهم عن قبوله، ولنأخذ مسألة الاحتفال بالمولد النبوي على سبيل المثال فإن أدعياء العلم وكثيرا من المتصوفة يعرفون في سويداء قلوبهم أنه لا دليل على جوازه لا من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم ولا من أقوال السلف الصالح وأفعالهم، لكنهم مع ذلك يحتفلون به ويرغبون الناس في ذلك، ويقررون الحكم بجوازه، سبيلهم إلى تحقيق أغراضهم الخبيثة لي أعناق النصوص والمجادلة بالباطل ليدحضوا به الحق.

٣- حب المال والشهرة:

لقد انحرفت بعض مسلمي نيجيريا مغريات المال والجاه فأوقعتهم في مرض الغلو في الدين. ومن الأمثلة على ذلك ما يقوم به بعض مرتزقة الصوفية المنافحين عن فكرهم الباطل لضمان أرزاقهم من المريدين والدرأويش، ولقد سمعت من أحد مشايخهم - وهو يتكلم في شريط سجل له - قوله: "أنا ولي، وزوجاتي كلهن من الأولياء". فهكذا يظهرون أنفسهم أمام أتباعهم ومريديهم بالكرامات المزيّفة؛ ليؤكدوا أن لهم مكانة مرموقة عند الله، فلا يبقى لهؤلاء الأتباع إلا تقديسهم والغلو فيهم، والهدف وراء ذلك كله حب الزعامة والمال.

فالمريد الذي يعتقد أن شيخه ولي من أولياء الله وأنه يتصرف في الكون لن يقطع لنفسه أمرا أبدا إلا بعد إخبار شيخه الذي يرشده ويعينه في نظره، وكل ذلك لا يكون إلا بمقابل.

٤- رواسب الجاهلية والديانات القديمة:

مما يوقع بعض مسلمي نيجيريا في الغلو ما تأثروا به من عادات الجاهلية وما بقي فيهم من آثار الديانات القديمة، وقد قررت سابقا بأن الوثنية بشتى أنواعها هي الديانة التي كان عليها جميع القبائل النيجيرية قبل الإسلام^(١)، ولكل واحدة من هذه القبائل طريقة خاصة بها في احترام عظمائها وتوقيرهم، إلا أن كلها فيها مجاوزة الحد الشرعي في احترام العظماء والكبار، وفي ذلك يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله: "وكل ما تبقى في نيجيريا اليوم من عادات خلع النعال للتحية أو الانبطاح أو السجود أمام الأكابر أو الملوك إنما هي من رواسب

(١) يراجع تمهيد هذا البحث.

الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان، بل هي من نزوات الشياطين وشهوات السلاطين الذين نصبوا أنفسهم آلهة يعبدون من دون الله"^(١).

فالملوك عند قبيلة يوريا في زمن مضى كانت لهم مكانة عالية في قلوب رعاياهم، فلا يمكن أن يدخل امرؤ على الملك في قصره إلا وهو منبطح على صدره بعد أن خلع طاقيته ونعليه، وبلغ بهم الأمر في تلك الفترة إلى أن أطلقوا على ملك مملكة (أويو) إحدى ممالك قبائل يوريا لقب: (إكو بابا يسي، ألاسي أكيجي أوريسا iku baba yeye, alase ekeji orisa)، ومعناه: (الذي يحيي ويميت، الأمر نائب الإله).

أما أهل شمال نيجيريا فقد نقل عنهم الشيخ آدم عبد الله الأوربي هذه الحكاية الغريبة قائلا: "ومما يضحك- وشر البلية ما يضحك- أن أهل مدينة (ميدغري) عاصمة (برنو) يقصرون التعمم على الشيخ الذي هو السلطان، ولا يتعمم غيره، وإنما يسمح للإمام الخطيب في يوم الجمعة فقط أن يصلي بالناس متعما، وبعد الانتهاء من الصلاة مباشرة يتقدم أحد أتباعه لانتزاع العمامة عن رأسه قبل أن يتوجه إلى السلطان ليسلم عليه بدونها. إن هذا لشيء عجاب!!".

ومن قبيل ذلك تحريم نشر المظلات على الرؤوس أمام الأمير أو أمام داره في شدة الظهيرة ووقت الحجيرة؛ ذلك لأن الأمير وحده هو الذي يتمتع بهذا الحق، ويحتمي بهذه الواقية التي تقيه حر الشمس ولهبها. أما غيره فلا جناح عليه أن يشوي جسمه بلفحات الشمس أو أن يذهب ضحية فيح جهنم.

وقد أخذ هذا في التلاشي والزوال شيئا فشيئا منذ زمن وخصوصا في الأوساط الراقية، وبقي منه النزر اليسير في الأوساط الدنيا، وأكثر من يحافظ عليها هم المسلمون، مع أن هذا ليس من الإسلام في شيء"^(٢).

تلك هي عادات القوم في تعاملهم مع كبارهم وعظمائهم، وقد تأثروا بهذه العادات وسبب لهم ذلك التأثير الغلو في احترام العلماء والمشايخ والأمراء والسلاطين، فيسلم بعض المسلمين في الوقت الحاضر على علمائهم ومشايخهم بمثل السجود أو الركوع أو ما يقاربهما،

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١٥٤.

(٢) الإسلام وتقاليد الجاهلية في نيجيريا ص ١٩.

ويخضعون ويتذللون لهم، كما يقفون على أرجلهم لمدة طويلة احتراما وتوقيرا للأمير أو السلطان وهو جالس، خلافا لما أمر به النبي - صلى الله عليه وسلم - من عدم القيام للشخص بهذه الصورة.

الانحرافات التي يسببها الغلو لدى مسلمي نيجيريا:

الغلو في محبة الأولياء والصالحين، وتجاوز الحد المشروع في احترام الأشخاص سبب يؤدي بالكثير من مسلمي نيجيريا إلى الوقوع في انحرافات عدة، أذكر منها: دعاء الموتى والاستغاثة بهم، الركوع والسجود والتذلل لغير الله، اعتقاد تصرف الأنبياء والصالحين في الكون، اعتقاد علم الغيب في المخلوق، المدح والإطراء الموصل إلى وصف المخلوق بأوصاف لا يستحقها إلا الله تعالى، اعتقاد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أول المخلوقات وأنه خلق من نور الله وأن الكائنات خلقت من نوره، دعوى رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - يقظة والاجتماع به وحضوره مجالسهم، البناء على القبور وتعظيم المشاهد، إحداث أعياد واحتفالات لمواليد الأشخاص، التبرك الممنوع، وغير ذلك من الانحرافات.

المبحث الثالث

التشبه بالكفار

تعريف التشبه:

التشبه لغة: من شبه، وهو أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا^(١). والتشبه: مصدر تَشَبَّهَ، يقال: تشبه بغيره أي ماثله وجاراه في العمل، والتشبيه التمثيل.

التشبه اصطلاحاً: عرفه بعض العلماء بأنه عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبه به، وعلى هيئته وحليته، ونعته، وصفته، وهو عبارة عن تكلف ذلك وتقصده وتعمله^(٢).

وقيل: هو تكلف الإنسان مشابحة غيره في كل ما يتصف به غيره أو بعضه^(٣).

دواعي التشبه بالكفار لدى مسلمي نيجيريا:

١- مجاورة الكفار ومخالطتهم:

إن الجليس يتأثر بجليسه وصاحبه ومن يخالط، سواءً أكان ذلك في الخير أو الشر، وذلك عن طريق المؤانسة والمشابحة، وعليه فإن من الأسباب المؤدية إلى تشبه بعض مسلمي نيجيريا بالكفار المجاورة والمخالطة لهؤلاء الكفار. فالجار يتأثر بجاره كما أن الجليس يتأثر بجليسه؛ ولذلك قال أبو قلابة: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون"^(٤). وقد أصبح بعض مسلمي نيجيريا يتشبهون بالنصارى بسبب مجاورتهم ومخالطتهم فيما هو من خصائصهم، من عاداتهم وعباداتهم وسمتهم وأخلاقهم، كحلق اللحى، وإطالة الشوارب، وفي طريقة اللباس وغير ذلك. وأفضل مثال على حدوث التشبه بالمجاورة والمخالطة ما يقوم به بعض النصارى في أعيادهم حيث

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ص ٥٢٦.

(٢) التشبه المنهني عنه في الفقه الإسلامي تأليف جميل بن حبيب اللويحق ص ٢٩، ط/الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع - جدة.

(٣) حسن التنبه لما ورد في حسن التشبه تأليف نجم الدين أبي المكارم محمد بن محمد بن محمد الغزي دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير إعداد ريمة بنت محمد بن فريح العبد المنعم، إشراف الشيخ ناصر بن عبد الرحمن الجديع ص ١٩، العام الجامعي ١٤١٩هـ.

(٤) سنن الدارمي ١/١٢٠، وشعب الإيمان ٧/٦٠، وحلية الأولياء ٢/٢٨٧.

يطلبون من جيرانهم المسلمين السماح لهم باستصحاب أطفالهم معهم لمشاهدة أعيادهم ومشاركتهم فيها. ولربما يبدو هذا الأمر غريبا لدى القارئ الكريم لكنه يحدث بسبب المجاورة التي تقلل من شأن الدين في نفوس الذين يخالطون الكفار من المسلمين. وقد تقرر أن بني آدم يكتسبون بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة، بل إن الآدمي إذا عاش نوعا من الحيوان اكتسب من بعض أخلاقه^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفرا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرد الإسلام"^(٢).

٢- الجهل بعظمة الدين الإسلامي وعزة أهله:

إن عدم معرفة حقيقة هذا الدين يسبب لبعض مسلمي نيجيريا الشعور بالنقص أمام الكفار ونظام الكفر مما يؤدي بهم في نهاية المطاف إلى تقليد هؤلاء الكفار والتشبه بهم. والفئة التي تصاب بهذه المشكلة من بين مسلمي نيجيريا هم الشباب وخاصة الذين يدرسون في الجامعات والمرحلة الثانوية، والذي يوقع هؤلاء الشباب في تلك المشكلة - في نظري - أنهم لا يأخذون إسلامهم عن قناعة داخلية، وقول القائل: أنا ولدت في الإسلام، وأبواي مسلمان لا محل له في هذه المسألة، بل لا بد لكل مسلم أن يأخذ إسلامه عن قناعة داخلية ويرضى بالإسلام ديناً؛ لأن من رضي بشيء اقتنع به، وإذا اقتنع به لا يمكن أن يتزعزع عنه. ولما كان بعض شبابنا في الجامعات النيجيرية لم يأخذوا إسلامهم عن قناعة داخلية نجد منهم من لا يريد أن يُعرف بأنه مسلم، فيخفي اسمه الحقيقي ويغلب اللقب على الاسم الإسلامي، كما يتعمد ألا يظهر للناس أنه مسلم في طريقة اللباس. فالنتيجة في الغالب أن المنصرين دعاة الكفر والضلالة كانوا لهؤلاء بالمرصاد، وإذا عرض على مثل هذا المتذبذب ديانة النصرانية فسرعان ما يقبل لقوة المهاجم وضعف المقاوم.

٣- التقليد الأعمى:

(١) انظر: اقتضاء الصراط ص ٢٢٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٠.

هذا الداء العضال سبب رئيس لتشبه المسلمين بالكفار. والتقليد الأعمى هو المحاكاة بلا بصيرة ولا نظر في شيء، ويشمل كل ما يسلكه المسلمون - من غير إدراك ولا وعي ولا تمحيص - من اتباع الكفار، والأخذ عنهم، والتشبه بهم في شتى أنواع الحياة، وأنماط السلوك، والأخلاق، وأشكال التبعية في الاعتقاد، والتصور، والفكر، والفلسفة، والسياسة، والاقتصاد، والأدب، والثقافة، والنظم، والتشريع، من غير اعتبار للعقيدة والشريعة الإسلامية ومن غير التزام للمنهج الإسلامي الأصيل^(١).

ومما يعجب منه المسلم الغيور على دينه تشبه بعض مسلمي نيجيريا بالكفار في أمور لا يتوقع أبداً أنه يمكن تقليدهم فيها مما يتعلق بنظام الحياة وأنماط السلوك، بل بلغ بهم الأمر إلى تقليدهم في المعتقدات، ولا ريب أن في ذلك من المفاصد ما يعجز المرء عن حصره. وقد أصبح بعض المسلمين في نيجيريا يقلدون النصارى في نظام الزواج وتسمية المولود كما يقلدون المشركين في عمل الوليمة بعد موت صاحبهم.

٤ - ضعف تبيين التوحيد:

مما يلحق الضرر بالمسلمين في عقيدتهم الجهل، وأشد من ذلك ضرراً إذا انضم إلى انتشار الجهل تقصير العلماء في بيان حقيقة الدين. فالعلماء والدعاة هم أنصار الدين وهم الملزمون بتبيان ما يُصلح العقائد ويقوّم الأفكار والسلوك، وإذا قصرُوا في أداء مهمتهم أو تركوها نهائياً فلا سعادة ترجى لا للدعاة ولا للمدعوين.

والتأمل في تاريخ الأمة الإسلامية عبر العصور يرى الأمة تبدو قوية والسنة في محل ظهور وانتشار حين يوجد من يدعو إلى العقيدة الصحيحة ويقاوم البدع والخرافات، وفي المقابل يغلب الضعف على الأمة حين تكثر البدع دون وجود من يحاربها ويرد على أهلها.

وبناء على ما سبق بيانه فإن القصور في تبيين التوحيد للمسلمين في نيجيريا يعتبر من عوامل تشبه هؤلاء المسلمين بالكافرين في مجتمعهم، وإن مفهوم عقيدة الولاء والبراء لم يكن واضحاً أمام بعض المنتسبين للعلم الشرعي في ذلك المجتمع فكيف بالعوام؛ فنتيجة ذلك أننا نرى الكثير من مسلمي نيجيريا ينصرون النصارى على إخوانهم المسلمين، ويتخذون النصارى

(١) انظر: التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية وتقليدها لغيرها وبيان نتائج ذلك ومواقف الناس منه، إعداد الدكتور ناصر عبد الكريم العقل، إشراف الدكتور محمد عبد الله أبي الفتح البيانوني ص ٥٦، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٣هـ.

بطانة ومستشارين، ويشاركونهم في أعيادهم، ويتخلقون بأخلاقهم دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد، كما يتشبهون بهم فيما هو من خصائصهم، يفعلون كل ذلك جهلا منهم، ولو أدركوا مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأن التشبه يورث المحبة والموالاتة ما أقدموا على هذه الأمور التي يعتبرونها هينة وهي عند الله عظيمة. فخلاصة القول أن العلماء والدعاة - بتقصيرهم في بيان التوحيد - يسهمون في تشبه بعض مسمي نيجيريا بالكفار.

٥- التأثر بالوارد من العلوم والأفكار المنحرفة:

مما يؤسف له أن الغرب النصراني قد خلطوا بين ما ينفعنا وما يضرنا من العلوم قبل السماح لوصولها إلينا نحن المسلمين، وقد فعلوا ذلك عمدا تنفيذا لنتائج الدراسات الطويلة التي أوصلتهم إلى أن المسلمين لن يقهروا أبدا ما لم يُبعدوا عن التمسك بمبادئ دينهم.

ولذلك قدموا العلوم إلى العالم الإسلامي بعد أن دسوا فيها السموم يريدون بذلك مسخ الهوية الإسلامية في نفوس شباب الإسلام وإبعادهم عن حقيقة دينهم وإن لم يخرجوهم منه. وقد أتت ثمار أعمالهم يانعة حيث بلغ الجهل بالدين وفساد الأخلاق بشباب الإسلام إلى أن راجت فيهم شبهة أعدائهم الذين وسوسوا إليهم أن سبب ما طرأ عليهم من الضعف وزوال الملك إنما هو دينهم، فهكذا يهزمون لأنهم يجهلون التاريخ.

وهل يعقل أن يكون ديننا سبب تأخرنا وزوال ملكتنا وهو الذي ساد به سلفنا، وعز به ملكهم، ونشأت بهدايته حضارتهم؟ كلا، لا يمكن أن يكون الدين هو السبب، فالعيب في المسلمين الذين ابتعدوا عن دينهم ومنهج سلفهم وليس في الإسلام في شيء.

والذي أقرره في هذا الصدد أن أكثر ما يرد إلى مجتمعنا النيجيري من السلوك الفاسد والأفكار المنحرفة كان عن طريق العلوم الغربية التي تدرس في المدارس الحكومية والجامعات؛ لأنها خليط بين النافع والضار. فمن خلال هذه العلوم يأخذ الشاب المسلم بعض المذاهب والنظريات الهدامة التي أتت من الغرب، ومن خلال تدريسها يزّين له مثلا أهمية الحصول على عضوية جمعية الروتاري وغيرها من الجمعيات الصهيونية السرية التي تسعى لمحاربة الإسلام والقيم الفاضلة لكن تحت شعار الخدمات الإنسانية، ويجب إليه هذه الجمعية حتى يكون عضوا فيها. والجانب الآخر الذي تأتي منه هذه الأفكار المنحرفة هو وسائل الإعلام المرئية منها والمسموعة والمقروءة، وإني لأذكر أن هناك بعض الجرائد النيجيرية تخصص صفحتين كاملتين في

كل يوم لكتابة كلمات الأغاني التي صدرت جديدة لبعض المغنين المشهورين في أمريكا وغيرها من الدول الأوروبية، كما تعرض بعض المجلات الأزياء الأوروبية والأمريكية بشتى أنواعها، وكذلك أصناف قصص الشعر، حيث تعرض كل هذه الأشياء بطريقة مشوقة لاصطياد الشباب؛ ولذلك تجد الشاب المسلم الذي لم يحصن نفسه بشيء من العلوم الدينية قبل التحاقه بالجامعة تجده يندفع وراء أي ناعق، مخدوعا بالشعارات البراقة، تستهويه الكثرة الكاثرة والجموع الغفيرة، فهو إمعة حين يسير، وجامد حين يقف، وتائه حين يريد الطريق، كل ذلك نتيجة ما يقابله من التيارات المختلفة والتحديات الكبيرة والتوجهات المتنوعة التي لم يستطع فيها التمييز بين ما ينفعه وما يضره.

٦- وسائل الإعلام:

لا يرتاب أحد في أهمية وسائل الإعلام في العصر الحاضر، وهي سلطة نافذة وآية هذا الزمان. ولقد أدرك أعداء الإسلام تأثير هذه الأداة في حياة الناس كافة فأسرعوا إلى السيطرة عليها من جميع الجوانب وصارت في أيديهم يتصرفون فيها كما يشاؤون.

والوسائل الإعلامية بأنواعها المختلفة: المرئية والمسموعة والمقروءة- لكونها في أيدي الكفار- قد أصبحت أداة تدمير وانحراف، تعني بأشياء مادية وترفيهية، ولا تهتم بما يقوم الأخلاق. ولا أكون مبالغا إذا قلت بأن خمسة وتسعين في المائة من برامج الإذاعة والتلفاز في نيجيريا بُثت لنشر الثقافة الغربية وشيء من ضلالات النصارى؛ ولذلك تجد التشبه بالغرب في أزيائهم وعاداتهم قد جرى في أرجاء البلاد جريان الدم في العروق، فأبناء الدنيا يرون في ذلك شرفا ورفعة، والمنتصرون للدين يرونه ذنبا وبدعة.

إن أكثر محطات الإذاعة والتلفاز في نيجيريا تملكها الحكومة، فالبرامج الأساسية فيها غير الأخبار كلها تهتم بنشر الثقافة الغربية من الأغاني ونظام حياة الغرب وأتماط سلوكه، أما البرامج التي تعطى الفرص لشرائها، ورغم أن هذه الفرص سانحة للجميع بغض النظر عن الدين فإن أكثر من يجد التمويل لشرائها هم النصارى والصوفية المرتزقة، أما علماء أهل السنة والجماعة فإن نصيبهم قليل جدا، اللهم إلا في المنطقة الشمالية حيث يوجد تمكين أكثر للإسلام فهناك بُثت بعض البرامج في الإذاعة والتلفاز مثل المحاضرات والدروس يلقيها بعض علماء أهل السنة من المحليين وخريجي جامعات السعودية.

أوجه تشبه مسلمي نيجيريا بالكفار:

إن الحديث عن أوجه تشبه بعض مسلمي نيجيريا بأعداء الدين من النصارى والوثنيين حديث ذو شجون، ورغم أن الذي يعينني في هذا المقام هو الحديث عن الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا بسبب تقليد الكافرين والتشبه بهم إلا أنني سأتطرق - ولو بشيء من الإشارة- إلى جوانب أخرى مشهورة ومهمة في نفس الوقت، فأقول مستعينا بالله:

١- ادعاء المعجزات:

إن من الأمور التي تشبه فيها المسلمون بالكفار مما هو من صميم الدين أن بعضهم لما رأى ما ذاع وانتشر بين النصارى من ادعاء المعجزات أحدث مثل ذلك في الإسلام بحجة أنه سيكون مانعا لضعفاء الإيمان من المسلمين الذين يذهبون إلى قسيس النصارى ليعمل لهم المعجزة حتى تقضى حاجاتهم من شفاء المريض أو رفع الفاقة أو تحصيل الوظيفة أو غير ذلك. وقد صار من الطرق الملتوية التي يسلكها النصارى للدعوة إلى باطلهم أنهم يعلنون عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة أن إلههم المسيح عيسى عليه السلام يعمل المعجزات، وعلى كل من عنده مشكلة أيا كانت أن يأتي ليقابل المسيح فستحل مشكلته. وهكذا أخذ السحرة والمشعوذون المسلمون يسلكون نفس الطريق مبررين مواقفهم بالسعي لإيجاد حلول للمشاكل التي يواجهها المسلمون لكي لا يتجه الضعفاء منهم صوب الكنائس، وهم كذابون فيما يقولون، إنما هدفهم الحقيقي جمع المال من هؤلاء البسطاء بتقديم الحلقة والحيط وغيرهما لهم. والفئة التي تقوم بهذا العمل الشنيع هم أدياء العلم من طلبة الدراسات الإسلامية، دعاهم إلى ذلك الخضوع لشهوات النفس والهوى والشيطان، كما يوجد معهم في هذا المجال بعض الوثنيين الذين دخلوا في الإسلام بألسنتهم ولم يصل إلى قلوبهم.

٢- تحديد بعض الليالي في غير رمضان يجتمعون فيها لصلاة التهجد أو قيام

الليل:

ومن الأمور التي تشبه فيها المسلمون بالكفار مما يتعلق بالعبادة ما أحدثه بعضهم من الاجتماع للتهجد أو قيام الليل، وهو أيضا نتيجة ما لاحظته هؤلاء المتشبهون من النصارى

حيث إن النصارى كانوا يحددون يومين أو ثلاثة من أيام الأسبوع يجتمعون في لياليها، تبدأ عباداتهم غالبا من غروب الشمس ويواصلون إلى قبيل طلوع الفجر، يغنون ويرقصون ويصدرون أصواتا مزعجة عند مناداة ربهم. فقلد هؤلاء الجهال النصارى فجعلوا صلاة الليل التي هي أفضل الصلاة بعد المفروضة مثل الأباطيل التي يزاوها النصارى الضالين في كنائسهم. والذين عرفوا بإحداث هذه البدع الشنيعة هم بعض الجمعيات الإسلامية المنبثقة عن الصوفية أو المتأثرة بها مثل جماعة نصر الله الفاتح، وجماعة فتح الله قريب ونحوهما، وقد كان الهدف الأساسي وراء إنشاء هذه الجمعيات وأمثالها الاجتماع للدعاء لحل مشكلات الأعضاء؛ ولذلك كانت حجتهم في إحداث صلاة الليل بصورة جماعية مرة أو أكثر في الشهر في مقر الجمعية يشارك فيها الأعضاء، كانت حجتهم في إحداثها أنها فرصة للتضرع إلى الله كي تقضى حوائج أعضاء الجمعية. ومما يلاحظ على هذه الجمعيات وأمثالها عدم وجود برنامج يهدف إلى تعليم العقيدة الصحيحة لأعضائها وتربيتهم على المنهج الإسلامي في الحياة.

٣- إحداث ما يسمى بالغناء الإسلامي:

من آثار تشبه مسلمي نيجيريا بالكفار أيضا إحداث ما يسمى بالغناء الإسلامي، ولعله هو أقدم مظاهر التشبه الثلاثة المذكورة في هذا المبحث؛ إذ قد ظهر منذ الستينات الميلادية. وأما شبهات الذين ابتدعوه فهي نفس شبهات الذين أحدثوا المظاهر المتقدمة أنهم يحاولون منع أبناء المسلمين من اعتناق الديانة النصرانية، حيث يقدمون لهم في الإسلام ما يشتاقون إليه ويجذبهم إلى دين النصارى وهو الغناء، كما ذكر هؤلاء المتشبهون أنهم يستخدمون هذا الغناء الذي أحدثوه في الدفاع عن الإسلام ورفع رايته، وقد انتشر هذا المظهر انتشارا كبيرا بين الشباب أول بدايته حتى صار لكل جمعية إسلامية فريق الغناء الإسلامي الخاص بها وكانت لجمعية الطلبة المسلمين نصيب من هذا الشيء رغم قرب منهجها من منهج أهل السنة آنذاك. وقد حصل التغيير بفضل الله ثم بفضل جهود المملكة العربية السعودية في قبول أبناء المسلمين من أنحاء العالم لينهلوا العلم الشرعي من منبعه الصافي ثم يعودوا إلى بلدانهم للدعوة إلى الله، حيث شرعت تلك الفئة التي رجعت من السعودية في تعليم الناس الخير وتبيين الأمور المبتدعة التي يعتبرها الناس من السنن. وهكذا بدأت الظاهرة تختفي ولم يبق عليها اليوم

إلا أهل الأهواء الذين اتخذوه مصادر للرزق يسجلون أشرطة الغناء الإسلامي ويصدرونها من حين لآخر.

هذا شيء من صور تشبه بعض مسلمي نيجيريا بالكفار وقد ضربت صفحا عن ذكر الكثير منها خوفا من الإطالة، ولا شك أن الإسلام ديننا الحنيف لا يقر تلك الضلالات التي تصرف أتباعه عن النافع إلى الضار، وعن الجدد إلى اللهو والهزل. والذي يقره الإسلام أن الخير كل الخير في اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - والشرك كل الشر في تشريع ما لم يشرعه، والتقول عليه بما لم يقله. فدعوى المعجزة لغير الأنبياء، واجتماع أناس كثيرين لصلاة الليل في غير شهر رمضان، وما يسمى بالغناء الإسلامي كلها أباطيل وضلالات لم تعرف عن سلف هذه الأمة، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وتجدر الإشارة إلى أن ما سبق ذكره من صور تشبه بعض مسلمي نيجيريا بالكفار يحصل في جنوب البلاد وشرقها دون شمالها؛ إذ كانت نسبة الكفار ضئيلة من سكان المنطقة الشمالية.

أنواع الانحرافات التي يسببها التشبه بالكفار لدى مسلمي نيجيريا:

وأما أنواع الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية التي يسببها التشبه بالكفار لدى مسلمي نيجيريا فمنها: الغلو في الأنبياء والصالحين، وإحداث الأعياد والاحتفال بالموالد، وإقامة الأضرحة والتبرك بها، والتبرك بدوات الأشخاص وآثارهم، والتوسل بجاه النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيره من الأنبياء، والحلف بغير الله، والتلفظ بأقوال شركية منتشرة في المجتمع، وغير ذلك.

المبحث الرابع

التأثر بالوثنية والجاهلية

المراد بالوثنية والجاهلية:

الوثنية: عبادة الأوثان، جمع وثن، والوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله، لا فرق في ذلك بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطارحين^(١).
وقيل: الوثن كل ما له جُثَّة مَعْمولة من جواهر الأرض أو من الحشَب والحجارة كصورة الآدميِّ تُعْمَل وتُنصَب فتُعْبَد.
أما الصَّنم فهو الصورة بلا جُثَّة. ومنهم من لم يَفَرِّق بين الوثن والصنم وأطلقهما على المعنَّين^(٢).

المراد بالجاهلية:

الجاهلية هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسله، وشرائع الدِّين، والمفاخرة بالأنساب، والكِبَر والتجبر، وغير ذلك^(٣)، نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم.
وكل ما خالف الإسلام، وخرج عن حكمه فهي جاهلية، فهي ليست فترة زمنية مختصة بزمن معين محدود، بل هي ظاهرة اجتماعية يمكن أن توجد في كل زمان ومكان.
فإذا قيل: إن ما قبل مبعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - يمثل عصر الجاهلية، فمعنى ذلك أنه كانت هناك ظاهرة اجتماعية تغلب على المجتمع البشري آنذاك هي: القبلية في علاقات المجتمع، والأناية في علاقات الأفراد، وهذه الظاهرة تتكرر في كل زمان لاحق لبعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل مجتمع تتوافر فيه صفاتها^(٤).
أقسام الجاهلية:

الجاهلية نسبة إلى الجهل، وهو عدم العلم، تنقسم إلى قسمين:

-
- (١) القول السديد ضمن مجموعة من رسائل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٤٠.
 - (٢) النهاية في غريب الأثر ٣٢٨/٥، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم تأليف الإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي؟؟، تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط/السادسة ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض.
 - (٣) النهاية لابن الأثير ٨٥٣/١.
 - (٤) انظر: الجاهلية قديما وحديثا: دراسة في ضوء القرآن والسنة والفكر الإسلامي تأليف أحمد أمين عبد الغفار ص ٢٦٠، شركة الشعاع للنشر - الكويت.

القسم الأول: الجاهلية العامة: وهي ما كان قبل مبعث الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم، وقد انتهت ببعثته.

القسم الثاني: الجاهلية الخاصة: وهي التي تخص بعض الدول، وبعض البلدان، وبعض الأشخاص، وهذه لا تزال باقية.

ففي بيان هذين القسمين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فالناس قبل مبعث الرسول- صلى الله عليه وسلم- كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال، إنما أحدثه لهم الجهل، وإنما يفعلونه جاهلية، وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون، من يهودية ونصرانية، فهو جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة.

فأما بعد بعث الرسول- صلى الله عليه وسلم- فقد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه يكون في جاهلية، وإن كان في دار الإسلام، فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد- صلى الله عليه وسلم؛ فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة، والجاهلية المقيدة قد توجد في بعض الأعمال، وفي كثير من الأشخاص المسلمين، كما قال- صلى الله عليه وسلم: (أربع في أمي من أمر الجاهلية...) ^(١)، وقال لأبي ذر: (إنك امرؤ فيك جاهلية) ^(٢)، ونحو ذلك ^(٣).

وهذه الجاهلية تكون في العقيدة، والعبادة، وتكون في الأحوال الاجتماعية، وتكون في الأخلاق، وتكون في الآداب، كما وردت في النصوص، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠)، وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي

(١) سبق تخرجه ص ٤٨١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأدب- باب ما ينهى من السباب واللعن- ص ٥١١ برقم (٦٠٥٠)، ومسلم في صحيحه- كتاب الأيمان- باب إطعام المملوك مما يأكل والباسه مما يلبس..- ص ٩٦٩ برقم (١٦٦١) عن أبي ذر.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧٨-٧٩.

قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴿ (الفتح: ٢٦)، وقوله جل وعلا: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (آل عمران: ١٥٣).

واستنادا إلى ما سبق من النصوص فالجاهلية تعني مجانبة الحق، والجهل بالله وشرائع دينه، واتباع الهوى، والزيغ والضلالة وفساد الرأي، والطيش والسفه، وهي حالة عامة تتنافى وحالة الإسلام روحا ومعنى، ونمط من أنماط السلوك التي تتجافى وسلوك الإسلام الذي جاء ليحارب الانحراف والفساد والإغراق في الماديات، والميل إلى الشهوات، وتعبد المال، وتفشي روح الثأر والعصبية القبلية، والتنافر والافتتال.

فالجاهلية تعني: الجهل الديني وما يتنافى مع صفات ذي العلم الرشيد أو ما يجافي السلوك الحكيم، كما تعني كل ما كان عليه الجاهليون من مظاهر الشرك والابتعاد عن جادة الدين، وطريق الهدى والرشد^(١). فهي من جهة الزمان انقضت زمانها ببعثة محمد - صلى الله عليه وسلم.

وإنه من الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن الوثنية هي ديانة النيجيريين قبل دخول الإسلام ثم النصرانية، يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري عند كلامه عن الديانات في نيجيريا: "الوثنية بسائر أنواعها هي الديانة الأولى المعروفة بهذه البلاد، ورؤساء الوثنية هم الكهنة"^(٢). وقال الدكتور مصطفى محمد مسعد: "لقد كانت هذه الإمارات (أي إمارات الهوسا) على الوثنية حتى القرن الثامن الهجري (١٤ م)، حين وفدت إليها تيارات إسلامية من الغرب على أيدي فقهاء مالي، ومن الشمال على أيدي فقهاء المغرب"^(٣).

وإذا كان الأمر كما سبق أن قلت فإن المتوقع أن توجد هناك بقايا من الوثنية والجاهلية في قلوب هؤلاء الناس بعد إسلامهم؛ لأن "المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن

(١) الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام تأليف الدكتور يحيى شامي ص ١٢، دار الفكر العربي - بيروت ١٩٩٣ م.

(٢) موجز تاريخ نيجيريا ص ١١٧.

(٣) مذكرة بعنوان: انتشار الإسلام في إفريقيا كتبها الدكتور مصطفى محمد مسعد ص ٢٥، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥/١٤٠٦ هـ.

يكون في قلبه بقية من تلك العادة"^(١)، ولا تزول تلك البقية إلا بعد مدة^(٢)، وهذا الأمر ليس وليد هذا العصر بل قد حدث مثله في زمن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للذين كانوا حدثاء عهد بكفر.

فعن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بالسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر! إنها السنن! قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل، ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٣﴾، لتركن سنن من كان قبلكم)^(٣). قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في شرحه لمسائل الحديث: "قوله: (ونحن حدثاء عهد بكفر)، فكأنه يقول: ما سألناه إلا لأن عندنا بقية من بقايا الجاهلية ... فالإنسان ينبغي أن يتعد عن مواطن الكفر والشرك والفسوق؛ حتى لا يقع في قلبه شيء منها"^(٤).

فحديثو الإسلام من الصحابة يحصل لهم هذا مع أنهم صحابة رسول الله - عليه الصلاة والسلام - والذي أدخلهم في الإسلام هو رسول الهدى ونبي الرحمة - صلوات الله وسلامه عليه - وهم في زمن النبوة، فكيف بالذين بعد زمنهم عن عصر النبوة كل البعد وليسوا من الصحابة، بل دخولهم في الإسلام ليس بدعوة الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين، فليس من ريب أن يتأثر أمثال هؤلاء بالوثنية والجاهلية التي كان عليها آباؤهم قبل الإسلام، وما زالوا يشاهدون من بقي عليها ويزاولها في مجتمعاتهم إلى الوقت الحاضر وخاصة في جنوب البلاد وشرقها.

أسباب تأثر بعض مسلمي نيجيريا بالوثنية والجاهلية:

١ - الجهل:

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٥٢.

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد ٢١٣/١.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٥٤.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢١٣/١.

إن الجهل - كما سبق أن قررت - سبب لكثير من مصائب الناس في دينهم، وهو سبيل نافذ للشيطان الرجيم يستدرج منه العبد حتى يصل به إلى الغواية. فالكثير من مسلمي نيجيريا فيهم الجهل بالدين مما يجعلهم لا يميزون بين الحق والباطل مما يأتون ويذرون، فيشارك بعضهم مثلاً في الأعياد الوثنية ظناً منهم أنها من العادات والتقاليد التي لا تخالف الدين في شيء، بل يفرحون ويتفاخرون بذلك، كما تجد البعض الآخر ينضم إلى الجمعيات السرية التي لا يمكن الانضمام لها إلا بتعهدات لا تتوافق مع منهج الإسلام ومزاولة طقوس شركية مثل الحلف بألهة المشركين، يحصل ذلك منهم بحجة السعي لتحقيق مصالح شخصية وأغراض دنيوية.

٢- وسائل الإعلام:

لوسائل الإعلامية في نيجيريا جهود جبارة في إحياء الوثنية الموروثة والجاهلية الممقوتة، وتقديمها للناس في ثوب جديد، وتشويقهم للعودة إلى ممارستهما. ولا يرتاب عاقل رشيد ممن يشاهدون الأفلام التي تعرض على تلفزيون نيجيريا أو التي تسجل على الأشرطة وتباع داخل البلاد وخارجها أنها عبارة عن برامج مخططة ومدروسة تهدف إلى إحياء الجاهلية الأولى بشكل جديد. ولربما يقدم برنامج معين يظهر في مطلعته كأنه يهدف إلى إيصال رسالة مهمة من تقويم أخلاق فاسدة أو تعديل أفكار معوجة، إلا أنه سرعان ما ينتهي ذلك البرنامج إلى تقرير شيء آخر. والجدير بالذكر أن هذا الكيد المبرمج ليس وراءه إلا النصارى الضالون الذين يرون أنه مما يساعدهم على إدخال المسلم في باطلهم هو إبعاده عن حقيقة دينه أولاً وجعله لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، يستغلون الجهل الذي يزرع تحته كثير من القبائل النيجيرية لا سيما في جنوب البلاد وشرقها.

٣- البيئة المنحرفة التي يعيش فيها المرء:

الإنسان ابن بيئته، فالبيئة لها تأثير قوي على المرء الذي يعيش فيها؛ ولذلك ينبغي للمربي الذي يريد النجاح في تربية ناشئته أن يتخير لهم البيئة الصالحة التي تعزز فيهم التزام أمر

الله وتعين عليه، وتنفرهم من مخالفة أمره ولا تروج لباطل أهل الزيغ، لتأمل معا الإشارة إلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (إبراهيم: ٣٥)، وأي أمنٍ أعظم من أن يعلو صوت التوحيد فلا يسمع صوت سواه، ولا يضر بعد ذلك أن يكون المكان ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ طالما أن كلمة التوحيد ظاهرة وبيئة التربية صافية نقية لا صولة للشيطان فيها ولا جولة.

فالبيئة الصافية الخالية من مظاهر الشرك ومعامله مطلوبة للمرء المسلم كي يحافظ على دينه وعقيدته، أما العيش في مجتمع متفش فيه معالم الزيغ والضلالة والفسق والكفر فإنه لن يسلم من تلك الفتن إلا من أراد الله كرامته وارتضاه للثبات على دينه.

وإني لأذكر أن الوثنيين عباد أرواح الأسلاف في مدينة (إبادن) تعطيهم حكومة الولاية الإجازة الرسمية لمدة ثلاثة أيام للاحتفال بأعيادهم مما يجعلهم يثيرون ضجة كبيرة في المدينة خلال تلك الفترة، فقلما يخرج مسلم من بيته وينجو من مقابلة هؤلاء المشركين في شوارع المدينة بدون رغبة منه. وهكذا يشاهد المسلم في بيئته النيجيرية أمورا أخرى مما يتنافى مع حالة الإسلام عقيدة وشريعة، مثل صاحب سحر تخيل يعرض سحره، أو مشعوذ يتلفظ بكلمات أجنبية ذات معانٍ شركية ويدعو الناس للعلاج عنده، أو غير ذلك.

وما من شك أن المرء الذي يتعرض لهذه الوثنيات والجاهليات دون أن يكون معه شيء من العلم الديني يحرص به نفسه فسرعان ما يستسلم لتلك الضلالات، حتى يزين في قلبه صحة كثير من الأقوال والأفعال الشركية، وهكذا دواليك إلى أن يرتكب أمورا تقارب الشرك أو هي شرك بعينه. والعياذ بالله.

أنواع الانحرافات التي يسببها التأثر بالوثنية والجاهلية لدى مسلمي نيجيريا:

من هذه الانحرافات: دعاء شياطين الإنس والجن، ودعاء الأموات، والتوسل بالأموات والحلف بهم، والحلف ببعض آلهة الكفار ورموزها، والذبح لشياطين الإنس والجن وتقديم القران لهم، والرقية بكلمات أجنبية ذات معانٍ شركية، والعلاج باستخدام الحيوانات الميتة ومحرمات أخرى، والمشاركة في الأعياد الوثنية واعتبارها من العادات والتقاليد، وصرف العبادات القلبية لغير الله، وغير ذلك.

المبحث الخامس
اتباع الهوى

تعريف الهوى لغة واصطلاحاً:

الهوى لغة: من هوي، قال ابن فارس: "الهاء والواو والياء أصل صحيح يدل على خلو وسقوط. والهوى: هوى النفس، فمن المعنيين جميعاً؛ لأنه حال من كل خير، ويهوي بصاحبه في ما لا ينبغي"^(١).

وفي المصباح المنير: "الهوى: مقصور، مصدر هَوَيْتُهُ: إذا أَحْبَبْتَهُ وعلقت به، ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، ثم استعمل في ميل مذموم فيقال: اتبع هواه، وهو من أهل الأهواء"^(٢).

واصطلاحاً: هو ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع^(٣).
واتباع الهوى هو الانحراف عن الحق إلى الباطل لزئغ في القلب وفساد في العقل، وهو طريق كل حائد عن الصراط المستقيم من الضالين، كما أن اتباع الحق والهدى سبيل المؤمنين.
أسباب اتباع الهوى لدى مسلمي نيجيريا:

هناك أسباب عدة لاتباع الهوى لدى مسلمي نيجيريا أذكر أهمها، وهي:

١- الجهل:

الجهل عامل قوي يجعل الإنسان يتبع هواه وكل ما تميل إليه نفسه؛ ذلك أن الشيطان لم يجد طريقاً إلى قلوب العباد مثل الجهل الذي وجدته أبواباً مشرعة إليها، لا يتحصن منه شيء فيها، فإذا وجد الشيطان العبد جاهلاً فإنه يزين له البدع والخرافات ويحسنها حتى تجري في عروقه وتقر في سويداء قلبه، والعبد المسكين ليس عنده علم يبصره بالحق وينير له طريق الهدى أو يجعله يفكر في العواقب.

ولا يزال اتباع الهوى يحجب الحق عن عدد كبير من طوائف المسلمين في نيجيريا بسبب جهلهم في دين الله، فإن الشيطان الرجيم كان من كيدته الاقتراب من العالم ليختبر مدى بصيرته في دين الله، وإذا كان هذا يحصل للعالم فيرد كيد الشيطان بإذن ربه فماذا يرد الجاهل كيدته؟ وهذا مما يدل على أهمية الفقه في الدين وخاصة للداعية، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا

إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ص ١٠١٧-١٠١٨ مادة (هوي).

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ص ٥٢٨ مادة (هوي).

(٣) كتاب التعريفات ص ٢٥٧.

فالجهل هو العامل الرئيس الذي يجعل رؤساء جمعيات الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بشتى أنواعها يتبعون أهواءهم بغير هدى من الله، وكذلك بعض الجماعات الإسلامية التي اتخذت ما يسمى بالغناء الإسلامي رمزا لها، فإن لرؤساء هذه الجماعات والقائمين عليها شهوات ومطامع تستلذها نفوسهم ويسعون لتحقيقها منها: جعل الإسلام في بعض جوانب نظامه دينا يواكب العصر، وربط الإنسان بربه أكثر ليكون مجاب الدعوة - حسب زعمهم - بإحداث أدعية مختلفة وقيام الليل بصورة جماعية، إيجاد فسحة في الدين بالغناء والاحتفال لتثبيت ضعفاء الإيمان من المسلمين على الدين، يحدثون كل هذه الأمور ظنا منهم أنهم يحسنون صنعا، ويقصدون الخير، فكم من مريد للخير لا يصيبه؟

هذا ما يريدون فلما أدرك إبليس أنهم على هذا القدر الكبير من الجهل دخل عليهم منه فزين لهم أعمالهم ذاك وحسنها فاتبعوا أهواءهم.

إن الشريعة قد حذت من تحكيم الهوى، وضبطت الأمور بالنصوص الثابتة، فحرمت البدع في الدين؛ لأنها تقول على الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فكل ما خالف شرع الله وحكمه ودينه فهو هوى وليس بهدى، وإن أدنى انحراف عن الصراط المستقيم يؤدي بصاحبه إلى الضلال.

٢ - ضعف الإيمان:

إنه ما من إنسان إلا ونفسه تميل إلى الشهوات والملذات ويسعى لتحقيق تلك الأغراض لنفسه؛ لأنها مما طبع عليه ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ (آل عمران: ١٤)، أما الميل المفرط وهو الذي يزيد على جلب المصالح له ودفع المضار عنه فهو المذموم^(١)، وهو بمثابة فتنة إذا اتبعه الإنسان في دينه، إلا أن أهل الإيمان يدفعون هذه الفتن عن أنفسهم بقوة الإيمان واليقين. فالإيمان القوي يعين المرء على قبول الحق ويجنبه اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (النور: ٥١)، وقال جل وعلا: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا

(١) انظر: ذم الهوى للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي ص ١٢، تحقيق مصطفى عبد الواحد.

أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْحَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ^{٣٦} وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾
(الأحزاب: ٣٦).

أما ضعيف الإيمان فسرعان ما يتبع هواه ويحقق رغباته ومطامع نفسه بلا قيود ولا حدود.

فتجد أن طلبة الدراسات الإسلامية الذين يشتغلون في السحر والشعوذة بعد معرفتهم لحكمتها إنما يتبعون أهواءهم والذي أوقعهم في اتباع الهوى - إضافة إلى أسباب أخرى - ضعف الإيمان، إذن فإن الإيمان بالله يجب المرء من اتباع الهوى؛ لأن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسوله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع^(١)، فيجب على المؤمن الحق اتباع شريعة الله في أي أمر من الأمور سواء وافق هواه أم خالفه.

٣- حب الدنيا والرغبة في تحصيل الملذات:

إن الأمة عندما تصبح الشهوات فيها هي المتحكمة، وتجعل هدفاً رئيساً لها تحقيق الرفاه المادي، بأي شكل تحقق هذا الرفاه؛ تكون قد دخلت طور الانهيار والاضمحلال من بابه الواسع. قد تعيش سنوات - تطول أو تقصر - في ظل هذا العبث، وقد يزدهر اقتصادها ويتضخم إنتاجها، ويخدعها كل ذلك عن النهاية المحتومة التي ستصير إليها يوماً ما، ولكن ربحها ستذهب، ودولتها ستدول لا محالة، بل إن الأمة التي تفشو فيها مثل هذه المفاهيم تصبح أعبوة لفئة قليلة تميل بها ذات اليمين وذات الشمال.

ولقد رأيت مثالا حيا لسيطرة الشهوات على عقول الناس حتى أصبحوا آلة في يد إبليس يلعب بهم كما يشاء، وذلك في بعض فئات المسلمين في نيجيريا وعلى رأس هذه الفئات الصوفية الذين صاروا يتمسكون بعكس منهج سابقهم، فقد كان سبب ظهور الصوفية أول ظهورها التشدد في العبادة والزهد في الدنيا، إلا أن المتأخرين منهم في هذا العصر أقدموا بكل ما أعطوا من القوة والإمكانات على طلب الدنيا وملذاتها والتهاون بالتكاليف الشرعية، فتجد مشايخهم يؤكدون لأتباعهم ومريديهم بأنهم يملكون النفع والضرر من دون الله؛ ليضمنوا لأنفسهم مصادر الرزق عند هؤلاء السذج، ولا يبقى للأتباع والمريدين إلا أن يتركوا بمشايخهم ويتوسلوا بهم، بل ويخافوهم ويرجوهم من دون الله، ويصرفون لهم غير ذلك من أنواع العبادة.

(١) شرح العقيدة الطحاوية تأليف ابن أبي العز ص ٢٩٤.

ومن الفئات التي يدفعها حب الدنيا إلى اتباع الأهواء والشهوات بعض طلبة الدراسات الإسلامية، ولعدم اعتراف حكومة البلد بشهادات المدارس العربية والإسلامية مما يمنع حاملها من الحصول على الوظيفة لدى الحكومة، ونتيجة ذلك أن البعض منهم يسلك طريق الضلال لتحقيق وجوده في المجتمع، فيتخذ السحر والشعوذة سبيلاً ينال منه دخله اليومي لرعاية شؤونه وشؤون عياله. ومعلوم أن أمثال هؤلاء لم يقدموا على هذه الضلالة بجهل منهم وإنما دفعهم إليها حب الدنيا والرغبة في تحقيق الملذات، وخير شاهد على ذلك أن البعض منهم يقول لزملائه الذين ليسوا معه في طريق الغي: إن الله قد أنشأ لكم سوقاً رائجة (يقصد بذلك كونهم درسوا العلوم الدينية) وما لكم لا تكسبون منها؟

إن المجتمع ليشهد أن هذه الفئات وغيرها من أمثالها ممن دفعهم حب الدنيا إلى ما هم فيه ليقترفون من المعاصي ما الله به عليم، بل يصل بعضها إلى حد الشرك بالله، ولا غرابة فإن طاعة الهوى وسيلة للشرك الأكبر؛ ولذا قال أحد السلف: إنه ما من معصية يعصي بها العبد ربه إلا وسببها طاعة الشيطان أو طاعة الهوى، فغالب الكبائر نابعة من حب الدنيا: فالسرقة، والزنا والحسد، والكذب، والكبر، والرياء، وغيرها من أجل حب الدنيا والتكالب عليها. والحاصل أن ما تقع فيه هذه الفئات من الانحرافات كان بسبب اتباع الهوى الذي جرهم إليه حب الدنيا وإيثار الملذات، ورأس ذلك كله ضعف الوازع الديني. فعلى المسلم أن يسأل ربه السلامة من الهوى، وأن يهديه إلى الحق وإن خالف هواه.

٤ - اغترار أهل الأهواء بكثرة الموافقين لهم على منهجهم الباطل:

بالإضافة إلى أسباب أخرى توقع الإنسان في اتباع الهوى فإن هذا السبب يعتبر من أقوى العوامل المساعدة لصاحب هوى ليطمأدى في اتباع هواه.

لقد تنوعت طوائف المبتدعة أهل الأهواء بين مسلمي نيجيريا وكثير أتباعهم، بينما نرى أتباع المنهج الصحيح منهج أهل السنة والجماعة وكأنهم غرباء، مما يذكر المسلم بحديث المصطفى الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - الذي قال فيه: (يأتي على الناس زمان الصابر

فيهم على دينه كالقابض على الجمر^(١)، وكأن هذا الزمان قد أتى لما يشاهد في مجتمعنا النيجيري، فأهل الباطل يفرحون بما هم عليه و يمرحون لكثرة الموافقين لهم على باطلهم، ولا يخافون من إظهاره مهما تمكنوا إلى ذلك سبيلا، أما أهل الحق فإنهم مع قلة عددهم فكأنهم أتوا بدين جديد، إذا حاولوا إظهار المنهج الرباني العظيم وتطبيق الهدى النبوي القويم فسرعان ما يتهموا بأنهم متشددون، وأن ديننا يسر. وهم يقولون هذا القول لكنه كلمة حق أريد بها الباطل.

إن العبرة في معرفة الحق في الدين ليست بالقلة أو الكثرة، وإنما هي بما دل عليه الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة، فمتى ما وافق المرء ما دلت عليه تلك الأدلة فهو على الحق، ولا يضره عند ذلك قلة السالكين وكثرة المخالفين.

ولما صارت الكثرة في نظر كثير من الناس هي المحكم في الضلالة والهدى، والخطأ والصواب، صارت هي الفارق عندهم بين الأمرين، وصاروا يركنون في تأييد ما هم عليه من مخالفات بالكثرة التي هم عليها^(٢).

٥- الخلل في مصادر التلقي:

وذلك حين يكون صدور المرء عن غير كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فإنه لن يخرج إلا بالآراء الفاسدة والأهواء المضلة.

وإن الأمان من الضلالة - بإذن الله تعالى - هو في التمسك بالحق بالمصادر المتينة التي لا يعتريها نقص ولا نسيان، وهي كتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى:

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾، وقال النبي - صلى الله

عليه وسلم: (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله)^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الفتن - باب الصابر على دينه في الفتن كالقابض على الجمر - ص ١٨٧٩ برقم

(٢٢٦٠) عن أنس بن مالك، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (١٣٩٦٢).

(٢) شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص ٢٣.

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الحج - باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم - ص ٨٨٠

برقم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله.

ولما ظهر في الأمة طوائف ارتضت لأنفسها مصادر في التلقي قدمتها على كتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ظهر الافتراق في الأمة، وتنوعت سبل البدعة فيها واتسعت.

والخلل في مصادر التلقي مرض قديم في أجسام الكثير من مسلمي نيجيريا قدم دخول الإسلام في البلاد مما يؤدي بهم إلى اتباع الأهواء؛ وذلك أن الإسلام حينما انتشر إلى نيجيريا وما حولها لم ينتشر عن طريق علماء أهل السنة الخالص بل كان ذلك الانتشار عن طريق أناس قد تأثروا بمعتقدات الصوفية والأشاعرة ممن وفدوا إلى المنطقة من المغرب العربي ودولة مصر^(١). وما من شك أن تلكما الفرقتين عندهما خلل في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال مما أدى بهم إلى اتباع الهوى فكثرت فيهم الانحراف عن الصراط المستقيم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأصل ضلال من ضل هو بتقدم قياسه على النص المنزل من عند الله، واختياره الهوى على اتباع أمر الله"^(٢).

وعلى ذلك الأصل بنى الكثير من مسلمي نيجيريا منهجهم، حتى الشيخ عثمان بن فودي الذي جاهد وأقام دولة إسلامية حكمت الشريعة الإسلامية في المنطقة قد تقرر أنه كان قادري الطريقة في أصله^(٣).

فالخلل في مصادر التلقي من العوامل المؤدية ببعض علماء نيجيريا إلى اتباع الهوى، وخير مثال على ذلك ما ذكره الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله بعد إيراده لقصة أصحاب الغار في مسألة التوسل حيث قال: "... ثم إن في نفسي من قصة أصحاب الغار أشياء كثيرة"، فذكر أمورا تنبئ عن استغرابه لوقوع القصة كما ورد في الحديث، كما تنبئ عن اعتراضه على مشروعية التوسل بالأعمال الصالحة^(٤).

فكيف يكون في نفس العبد المؤمن شيء تجاه خبر ثبت في كتاب تلقته الأمة جمعاء بالقبول؟ وكيف يعترض المؤمن على مشروعية أمر لم يسق الدليل الذي سيق فيه إلا لإثباته؟ مع أن هناك أدلة أخرى صريحة في كتاب الله على مشروعية هذا الأمر.

(٢) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ٣٩-٤١، ومذكرة انتشار الإسلام في إفريقيا ص ٥.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/١٦٩.

(٤) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ٩٩، ١٠١.

(١) انظر: توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا ص ٩٥.

وإنه لأمر معلوم لدى كل ذي عقل سليم أنه إذا صح الخبر عن الله أو عن رسوله - صلى الله عليه وسلم - فليس للعقل مجال للأخذ أو الرد، بل يجب الإذعان والتسليم حتى وإن لم تدرك العقول كنه تلك الأمور؛ لأن العقول أعجز من أن تحيط بكل شيء، فرحم الله امرء عرف قدر نفسه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٥١)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

وهناك مسائل أخرى مثل الاستغاثة بالأولياء الأحياء والأموات، والأذكار المبتدعة^(١)، وغير ذلك من المسائل التي ظهر فيها جليا تخبط الشيخ، مما يدل دلالة واضحة على أن السبب في ذلك كله الخلل في مصادر التلقي، ولا غرابة فقد ذكر الشيخ بعض من أخذ منهم العلم قائلا: "وكنت لا أنزع العلماء الأفارقة المالكيين، والأشاعرة، والصوفية القادرين والتجانيين، الذين أخذت منهم التربية الإسلامية والعلوم العربية منذ البداية"^(٢).

الانحرافات التي يسببها اتباع الهوى لدى مسلمي نيجيريا:

إن إتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يجبه ورد القول والفعل الذي ييغضه بلا هدى من الله^(٣)، والهوى يصد عن معرفة الحق، وهو مرض في القلب يمنعه ما فطر عليه من صحة الإدراك والحركة، فأصل الشر من تقديم الرأي على النص والهوى على الشرع^(٤)، وقد ألحق هذا الداء العضال أضرارا كبيرة بأناس كثيرين من مسلمي نيجيريا حيث أوقعهم في انحرافات عدة، ومن هذه الانحرافات التي يسببها اتباع الهوى: التوسل بحق النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والتوسل بالأولياء والصالحين، والذبح وتقديم القربان لشياطين الإنس والجن، والتبرك بالقبور، والتبرك بذوات الأولياء والصالحين وآثارهم،

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٧٦-٧٩، ١٠١-١٠٣.

(٣) المرجع السابق ص ٦.

(٤) مجموع الفتاوى ٤/ ١٨٩.

(١) منهاج السنة النبوية ٨/ ٤١١.

والرقية بآيات قرآنية بطرق غير مشروعة، والرقية بكلمات أجنبية ذات معانٍ شركية، والعلاج بالسحر والشعوذة وأشياء أخرى محرمة، والركوع والسجود لغير الله بدعوى التحية والاحترام، والاحتفال بالمولد النبوي ومواليد المشايخ، وغير ذلك كثير.

المبحث السادس

تلبيس أهل الأهواء

معنى التلبيس لغة واصطلاحاً:

التلبيس لغة: من الفعل لَبَسَ، ويدل في أصله على المخالطة والمداخلة، واللَّبَسُ: اختلاط الأمر. واللَّبَاسُ من الملابس أي الاختلاط والاجتماع، وَلَبَسَ عَلَيْهِ الأمر: خَلَطَ، وبابه

ضرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَلْبَسَنَّا عَلَيْهِمْ مَاءً يَلِيُسُونَ﴾ (الأنعام: ٩). واللُبْسَةُ: الشبهة، يقال: في حديثه لبسة بالضم أي شُبْهَةٌ، يعني ليس بواضح. والتلبيس: التخليط والتدليس^(١).
واصطلاحاً: هو إظهار الباطل في صورة الحق^(٢).

ومن التلبيس خلط الحق بالباطل قولاً أو فعلاً^(٣)، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ (البقرة: ٤٢).

إن الصراع بين الحق والباطل قد بدأ من قديم الزمان وهو ماض إلى قيام الساعة، ولقد بدأ منذ أن خلق الله آدم وأسكنه الجنة، وأمر الملائكة بالسجود له وكان من ضمنهم إبليس عليه لعنة الله، فالكل سجد إلا إبليس استكبر وعاند فكان من الكافرين.
فلما أصبح إبليس مطروداً عن رحمة الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون له أتباع، فبدأ يحاول جاهداً أن يبعد بني آدم عن سبيل الهدى والصرط المستقيم، فتراه جاهداً كل الجهد في كل وقت وحين، وكل زمان ومكان، يحاول أن يبعد عباد الله عن المنهج القويم.
وقد حذر الله الناس جميعاً من اتباع هذا الملعون لأنه لا يريد لهم إلا الذلة والمهانة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: ١٦٨)،
١٦٩).

ذلك هو التحذير من الباري جل وعلا لعباده من اتباع الشيطان، أما عباد الله المخلصين فقد أئتمروا أمر ربهم واجتنبوا سبيل الشيطان وجنوده، وأما الذين سبق عليهم القول أنهم سيضِلُّون فقد أعرضوا عن أمر الله عز وجل وتابَعوا أمر الشيطان وأصبحوا من جنوده يعملون له ما يشاء.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ص ٩١٢، وتاج العروس ص ٤١١٩-٤١٢٠، ومختار الصحاح ص ٦١٢، والمصباح المنير ص ٤٤٧ مادة (لبس).

(٢) تلبيس إبليس ص ٥٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، وفتح القدير في تفسير الآية (٤٢) من سورة البقرة.

ومن طرق الشيطان في دعوة حزبه إلى سبيل الغي والردى إظهار الباطل لهم في صورة الحق فيتدرج بهم حتى يجعلهم من حزبه، وهكذا يلبس الشيطان الرجيم على عباد الله أمور دينهم، فيلبس على العلماء علمهم، وعلى العباد، والزهاد، وعوام الناس^(١).

ومن نجح الشيطان اللعين في التلبيس عليهم أهل الأهواء والبدع، ولو لم يكن الشيطان قد نجح في التلبيس عليهم ما تمسكوا في كلامهم بمحض التقليد، ومحض الهوى والتخرص والظنون، وما اختلفوا وأعرضوا وتركوا كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم. وبعد أن استجاب هؤلاء لدعوة الشيطان في تلبيسه عليهم أخذوا يطبقون ذلك على غيرهم فيلبسون على الناس في أمور دينهم.

وتلبس أهل الأهواء أمر خطير على دين المرء؛ لأن صاحب الهوى يعميه هواه ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (الفرقان: ٤٣): "من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلاً ولا يصغي إلى برهان، فهو عابد هواه وجاعله آلهة"^(٢).

وكما أنه يتبع الهوى فيما يأتي ويذر وكذلك يحاول أن يجعل غيره يتبع ما تحواه نفسه، فمثله كمثل فرعون حينما قال لقومه: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٢٩)، يسمي الغي رشداً والضلال هدى، ولا تأثير لتلك التسمية فإن الأسماء لا تغير من الحقائق شيئاً.

والحاصل أن صاحب الهوى كما أنه لا يقيم للسنّة وزناً ولا يرفع بها رأساً ولا يعبأ بها وكذلك حينما يلبس على غيره فإنه يجعله يسلك نفس الطريق، فيوقعه بذلك إلى أصناف من المعاصي وضروب من الذنوب بل قد يصل في بعض الحالات إلى الوقوع في الشرك الأكبر.

(١) تلبس إبليس لابن الجوزي.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي

٢٨٧/٣، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

طرق تلبس أهل الأهواء في نيجيريا:

هذا، والذين يلبسون على الناس أمور دينهم في نيجيريا قسما:

القسم الأول: علماء السوء وأدعياء العلم

القسم الثاني: مشايخ الصوفية

وبناء على هذا التقسيم فتلبس أهل الأهواء على الناس في نيجيريا يكون إذن

بطريقتين:

الطريقة الأولى: تلبس علماء السوء وأدعياء العلم على عامة الناس:

يدور هذا النوع من التلبس حول ضرورة وجود زعيم روحي لكل من ليس له نصيب وافر من العلوم الدينية ومن باب أولى من ليس له أدنى نصيب، وقد أكد هؤلاء الكذّابون على هذا الأمر حتى يكاد يصبح جزءا من عقائد المسلمين بل هو جزء من معتقدات العوام، وقد أقدم هؤلاء على هذا الفعل الشنيع حرصا على ضمان الأرزاق لأنفسهم عند الجهال البسطاء. وهؤلاء الكذّابون هم في حقيقة الأمر علماء السوء لأنهم يتعمدون كتمان ما عندهم من العلم؛ إذ المصلحة لهم في عدم معرفة الناس حقيقة الدين الإسلامي، بل كيف يجدون من يجعلهم زعماء روحانيين يسرع إليهم ليطلبوا الخير له من الله عند الحاجة ويلجأ إليهم ليدعو الله له عند تفريج الكربة. فما من شك أنه إذا أدرك كل فرد من أفراد المسلمين أنه لا وساطة بين العبد وربه في الدين الحنيف لا يبقى أحد يُهرول إلى هؤلاء ليساعده على قضاء حاجته.

تلك هي الحيلة التي فعلها هؤلاء الكذّابون لإبقاء الجهال على جهالتهم من حين أنهم أظهروا أنفسهم في صور العلماء الربانيين الذين إذا دعوا الله استجاب لهم دون توان، بل يتكلم أحدهم أحيانا كأن هناك ميثاقا بينه وبين الله على أن يجيبه كلما دعا أو له حق على الله أن يعطيه سؤله كلما طلب.

أما طرقهم في تحقيق أغراضهم الخبيثة ونيل مصالحهم الذاتية فهي متعددة: فمنهم من يعمل السحر، ويأكل أموال الناس بالباطل، وقد يفتح لنفسه محلا يخصص فيه مكانا للمكتب ويتخذ فيه السكرتير يقطع التذاكر بالمقابل لكل من يريد مقابلة الدجال الخداع، ويقول: إنه يعالج الناس، وكل من أتاه يقدم له الخيوط والعقد أو يعطيه أنواعا من العقاقير المصنوعة غالبا من الأشياء المحرمة، ويقول: هذا تدهن به، وهذا تشربه، وهذا تستنشقه، هكذا يدعي القيام

بالعلاج رحمة بالناس وإنقاذاً لهم مما ألم بهم من الأمراض لكنه في حقيقة الأمر هو ساحر كذاب.

ومنهم من يعمل الشعوذة باستخدام الحيوانات الميتة أو تحضير الجن ويظهر طاعة الجن له على سبيل الجد والحقيقة، ويخدمه الجن بعد أن قد أجابهم إلا ما طلبوا منه، ولا يطلبون من بني آدم إلا الإشراف بالله سبحانه وتعالى.

ومنهم من يتكلم بالأحوال الشيطانية، ويتلفظ بألفاظ لا يتلفظ بها إلا الوثنيون، ومع ذلك يدعي الخشوع ومخاطبة ما يسمى برجال الغيب، وأن له الخوارق التي تقتضي كونه من أولياء الله الخالص، وفي هؤلاء من يساعد النصارى في تكثير رواد الكنائس، بل يعينون المشركين على المسلمين، إلى أمثال ذلك من الأمور التي يضلهم بها الشيطان حيث فعلوا ما هو منهي عنه في الشرع إما محرم أو كفر، وقد زين لهم الشيطان أن أعمالهم هذه من كرامات الأولياء، وهي في الحقيقة من تلبس الشيطان، وهم فعلاً إخوان الشياطين.

هذا الذي ذكرته من الأعمال الشنيعة هو ما يقوم به هؤلاء الدجالون النَّصَّابون الخدّاعون بدعوى إما مساعدة الناس على طلب الخير مثل الحصول على الوظيفة أو الزيادة في الرزق، أو الرفعة في المكانة، وإما رفع البلاء عن الناس وتفريج الكرب عنهم مثل علاج المريض، ورفع الفقر، والمعلوم لدى المسلم الذي أنعم الله عليه بسلامة العقيدة أن هذه الحاجات لا يقدر على قضائها إلا الله سبحانه وتعالى، لكن هؤلاء قد لبسوا على البسطاء حتى اعتقدوا أن قضاءها بأيديهم. ومما يؤسف له أن هؤلاء الكذابين النصابين أكثرهم من المنتسبين للعلوم الدينية الذين لم تكن نواياهم خالصة لوجه الله في طلبهم للعلم بل طلبوه ليأكلوا به وباسم الدين، فاستسلموا إلى الراحة الساكنة ولم يعملوا. إن هؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبس.

فينبغي علينا الاحتراز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء، فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين، إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق. كما يجب علينا أن نكون أكثر حرصاً على الاتباع وعدم الابتداع، وأن نعرف خطر هؤلاء قطاع الطريق إلى الله سبحانه وتعالى. والله الهادي إلى سواء السبيل.

الطريقة الثانية: تلبس مشايخ الصوفية على أتباعهم ومريديهم:

أما مشايخ الصوفية فإن مشكلتهم تكمن في إظهار أنفسهم كآلهة صغرى تعبد من دون الله أمام أتباعهم ومريديهم، وهدفهم في ذلك ضمان الهيبة، والتقدير بل والتقديس ثم ضمان الأرزاق لهم عند أتباعهم ومريديهم.

وقد كان من أساليب الصوفية في إخضاع أتباعهم ومريديهم لهم أنهم يجعلون هؤلاء الأتباع ينظرون إليهم نظرة التقديس وأنهم في منازل مرموقة لا يمكن أن يصل إليها المرید مهما اجتهد في العبادة، وبالتالي يرى المرید شيخه أنه هو كل شيء. وهذا يذكرني برجل من هؤلاء الطريقة المكارين ظهر في مدينة (لاغوس) في نهاية الثمانينات الميلادية اسمه عبد الجبار، وقد أظهر هذا الرجل ما عند الصوفية من الخزعبلات والأباطيل حيث قال في إحدى جلساته أنه كان مرة من المرات في جلسة مع بعض الأنبياء إذ دخل نبي دون أن يؤذن له فطرده هو، وغير ذلك كثير من الأباطيل التي تصدر من الرجل. والله جل شأنه يمهّل ولا يهمل، فقد انتقم لدينه وأنبيائه فأخذ الرجل أخذ عزيز مقتدر، وأخزاه وفضحه بعد ظهوره بفترة وجيزة. ﴿ وَمَنْ يُقْلَ مِنْهُمْ إِنَّيَ إِلَهُ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾

(الأنبياء: ٢٩). وما أكثر أمثال عبد الجبار في نيجيريا في الوقت الحاضر وخاصة في مدينة (لاغوس)، أسأل الله أن يخزيهم في أقرب وقت، ويجعلهم عبرة للمعتبرين.

والحاصل أن مشايخ الصوفية يظهرون أنفسهم في مقام التقديس مما يؤدي بأتباعهم ومريديهم إلى الوقوع في الانحرافات بشتى أنواعها بسبب تقديس المشايخ، ففي حياتهم يتوسل بهم أتباعهم ومريدهم، ويتبركون بدواتهم وآثارهم، ويستعينون بهم فيما لا يقدر عليه أحد إلا الله، ويستغيثون بهم، ويصرفون لهم عدة أنواع العبادة مثل السجود والركوع والخضوع والتذلل، وغير ذلك من العبادات.

وبعد مما تم بينون على قبورهم وقيمون عليها أضرحة، وتُجعل قبورهم مثل أماكن مقدسة تزار للعبادة، فيدعون الله ويذكرونه عند قبورهم، ويقرؤون القرآن ويصلون عندها، كما يفعلون غير ذلك من أنواع العبادة التي لا ينبغي أن تفعل عند القبور لأنها وسائل إلا الشرك الأكبر.

وهناك أحداث أخرى في جانب الأعراض والأمور الأخلاقية تقع بين هؤلاء المشايخ ومريديهم تترفع نفس المؤمن عن ذكرها بل في ذكرها حرم لمروءة المتحدث بها كل ذلك نتيجة

تلبس هؤلاء المشايخ على أتباعهم ومريديهم بالكذب والخداع، وإظهار أمور عجيبة يطلقون عليها اسم الكرامات مثل أداء الصلوات الخمس المفروضة مجتمعة في وقت العشاء بعد الانشغال بملذات الدنيا في أوقاتها المعينة، ومثل زواج أكثر من أربع نسوة. والشياطين تنزل على من يعمل ما يحبه الشيطان من الكذب والفجور حتى تخرجه عن العقل والدين ويصير من المتهوكين الذين يطيعون الشيطان ويعصون الرحمن.

أنواع الانحرافات التي يسببها تلبس أهل الأهواء لدى مسلمي نيجيريا:

أهل الأهواء يظهرون الباطل في صورة الحق فحصل نتيجة ذلك وقوع الكثير من مسلمي نيجيريا في عدة انحرافات، منها: دعاء الأولياء والصالحين والتوسل بهم، والتبرك بأجساد الأولياء والصالحين والمشايخ وآثارهم، والتبرك بالقبور والأضرحة، والعلاج بالسحر والشعوذة والرقى غير الشرعية، وصرف أنواع من العبادات القلبية لغير الله، واختراع الصيغ المبتدعة للصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - مع اعتقاد أنها أفضل من الصيغ الواردة في السنة، وغير ذلك من الانحرافات.

المبحث السابع

الاستعمار السياسي

مما لا يرتاب فيه أي مسلم واع أن الاستعمار عدو الإسلام والمسلمين، فقد كان من ديدن المستعمرين السعي لمحاربة كل ما هو إسلامي في أي بلد دخلوا، ثم إذا قوبلوا بالمواجهة والمحاربة سرعان ما يخططون لتولية الذين يواصلون في تنفيذ مخططاتهم وتحقيق مصالحهم من أبناء تلك البلاد، وهكذا فعلوا في كثير من بلدان العالم الإسلامي.

فقد نجح المستعمرون في إسقاط الدولة الإسلامية التي طبقت الشريعة الإسلامية أقامها الشيخ عثمان بن فودي في السودان الغربي المسمى بـ (نيجيريا) وما حولها ودامت لمدة حوالي

مائة سنة، وبعد احتلال البلاد فترة من الزمن أراد الاستعمار البغيض أن لا تقوم للإسلام قائمة حتى بعد رحيله فعمد إلى أن يصطنع نفعاً من أبناء البلد على عينه، فظهرت في ديار الإسلام الاتجاهات الفكرية الوافدة التي دعت إلى القومية والعنصرية والفتوية، بتشجيع من المستعمر المغتصب الذي سلم العهدة بعد فترة الاحتلال وبعد مقاومته إلى تلامذته ومريديه، وهو متأكد تماماً من مدى حرصهم على أداء دوره، وقيامهم بتنفيذ رسالته بأعظم مما كان يقوم به.

يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله في حديثه عن خلف المستعمرين وأذناهم في نيجيريا: "ثم وجد المستعمرون من المبشرين أبناء البلاد خير خلف لهم فيها، إذا ما انسحبوا من ميدان السياسة فلهم من يخلفهم في مجال التطبيب باسم الصليب، ومن يخلفهم في مجال التعليم باسم المدنية، ومن يخلفهم في مجال الاستعمار باسم التبشير المسيحي، وتلك مجالات لا حجر فيها ولا حرج؛ لذلك كله هان على الاستعمار تسليم البلاد، وإيقاع البعض بالبعض، ثم القيام بنصرة أحد الطرفين على الآخر، ولو بالقوة المسلحة"^(١).

وأما وجه كون الاستعمار سبباً من أسباب وقوع بعض المسلمين في الانحرافات العقديّة فقد تحدث عن ذلك أيضاً الشيخ آدم عبد الله الألوري وذلك بعد ذكره للعادات والتقاليد عند بعض القبائل النيجيرية، قال: "وقد كادت هذه التقاليد تمنحني وتضمحل بالتدرج غير أن الذي زاد الطين بلة تألب الاستعمار والتبشير على القضاء على عين الإسلام وأثره في نيجيريا بإرجاء كل شيء إلى الجاهلية الأولى قبل الإسلام تحت عنوان: "إحياء التقاليد والثقافات الوطنية"، وكلها لا تسلم من آثار الكفر والوثنية، فعلوا هنا كما فعلوا في مصر بإحياء الفرعونية، والعراق بإحياء البابلية... للبرهنة على أن ما قبل الإسلام فن وثقافة ومجد وحضارة، صاروا يبعثونها من مراقدها ويصرفون المليارات من الأموال في سبيل إحيائها في كل مكان"^(٢).

ومن هنا ظهرت الأعمال الشنيعة التي أقدم عليها المستعمرون، ولا غرابة فإنه لا يتوقع من أهل الشر إلا الشر، ولما كانت الديانة الأصلية للقبائل النيجيرية جمعاء هي الوثنية بشتى أنواعها، كما أن أغلب ثقافتها وتقاليدها وثنية الطبع فلا يتوقع أن تكون نتائج إحياء تلك العادات والتقاليد سوى التمسك بالكفر والوثنية والتعبد بهما.

(١) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص ١٥٧.

(٢) نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا ص ١٢٠-١٢١.

فيتين مما سبق من الكلام أن السبل التي سلكها الاستعمار لتسبب الانحراف العقدي بين الشعوب الإفريقية بشكل عام والشعب النيجيري بشكل خاص يمكن حصرها في نقطتين اثنتين:

الأولى: إحياء الوثنية دين الأجداد باسم العادات والتقاليد:

لقد شعر المستعمرون بحية أمل لما رأوا من قلة الثمار لتلك الجهود الجبارة التي بذلها أعوانهم المنصرون والممهدون لهم الطرق؛ ولذلك لم يبق أمامهم إلا البحث بجد عن طرق أخرى يمكنهم سلوكها لكي ينجحوا مما جاءوا لأجله؛ إذ الذي تقرر في أذهانهم أن عدوهم الوحيد هو الإسلام والمسلمون، ولما كان الإسلام قد انتشر بين القبائل فلا بد أن يعملوا لإخراج هؤلاء المسلمين من دينهم أو إبعادهم عن معرفة الدين الصحيح على أقل تقدير، فكانت الخطوة التي خطوها هي محاولة إحياء الوثنيات القديمة دين أجداد القبائل النيجيرية باسم التمسك بالعادات والتقاليد لكيلا تنسى الحضارات.

الثانية: الدعوة إلى التعصب القبلي بين الشعب:

إن من أكبر المشاكل التي استخدمها الاستعمار لتحقيق أغراضه ونيل نواياه ثم خلفها من ورائه بعد رحيله ولم يزل يتمسك به أذنان الاستعمار إثارة النعرات القومية والعصبية القبلية بين الشعوب الإفريقية^(١)؛ وذلك أنه قد وجد حين دخوله في تلك الدول ما عليه القبائل المسلمة من الروابط الاجتماعية نتيجة ما أحدثت لهم أواصر الأخوة الإسلامية الصادقة، ولما أدرك الاستعمار خطورة الموقف وألا سبيل له للتغلب على تلك القبائل واحدة تلو الأخرى إلا بتفريقها عمد إلى سلوك هذا الطريق الخبيث، فدعا إلى أن تحمس كل إنسان لنصرة بني قبيلته مهما كانت الظروف وعدم الالتفات إلى أي دين معلنا بأن القبيلة هي أول شيء يجمع هؤلاء الناس.

ومع الأسف الشديد فقد أصغى الناس إلى تلك الأصوات واستجابوا لذلك النداء فراحوا يتعصبون لقبائلهم على حساب الدين فحدث ما لا يحمد عقباه من الاستنصار بالكفار أعداء الله على المؤمنين أولياء الله، ولا تزال تبقى آثار تلك الفتنة إلى يومنا هذا^(٢).

(١) انظر: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر للأستاذ الدكتور عبد الله عبد الرزاق إبراهيم والأستاذ الدكتور شوقي الجمل ص ٤١٣، دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩٧م.

(٢) وقد ذكرت نتيجة هذه الفتنة أثناء كلامي عن أوجه موالاة المسلمين للكفار في نيجيريا وذلك في الفصل السابع من

أنواع الانحرافات التي يسببها الاستعمار السياسي لدى مسلمي نيجيريا:

لقد أدى الاستعمار البغيض ببعض مسلمي نيجيريا إلى الوقوع في أنواع من الانحرافات من خلال خططه الخبيثة، وعلى رأس هذه الانحرافات موالاة الكفار ومعاداة المؤمنين، كما سبب أنواعا أخرى من الانحرافات العقدية مثل المشاركة في أعياد الكفار، وإحياء ذكرى آلهة الكفار، والركوع لغير الله، كل ذلك باسم إعادة الناس إلى التمسك بعادات الأجداد وتقاليدهم، وفي حقيقة الأمر هو من باب إحياء الوثنية القديمة.

الفصل الثاني

وسائل علاج الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا وأساليبه

المبحث الأول

وسائل علاج الانحراف في توحيد الألوهية

أولا: نشر العلم الشرعي

المقصود بالعلم الشرعي وفضل تعلمه وتعليمه:

المقصود بالعلم الشرعي هو ما أخذ من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه - صلى الله عليه

وسلم، يقول ابن القيم في نونيته:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فلان^(١)
والعلم الشرعي مطلب مهم من المطالب التي ينبغي أن يسعى لها الداعية إلى دين الله؛
لأنه هو القضية الأساسية التي يقوم عليها العمل الدعوي؛ ولهذا قدم على العمل.
ولمكانة هذا العلم وعظيم منزلته وجليل قدره عند الله فقد حث نبيه محمداً - صلى الله
عليه وسلم - على حسن الاستماع إلى هذا العلم الذي نزل به جبريل عليه، وأمره بأخذه بعناية
تامة، وأن يطلب المزيد منه، ولم يطلب المولى عزَّ وجلَّ الاستزادة من شيء إلا من العلم
الشرعي، قال الله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ (القيامة: ١٦-١٩)،
وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي
عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

قال ابن حجر رحمه الله عند شرحه لما بوبه الإمام البخاري: باب فضل العلم: "المراد
بالعلم: العلم الشرعي الذي يُفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته
ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص"^(٢).
وبالعلم يتم تحقيق أهم المهمات وأوجب الواجبات وهو التوحيد، وذلك بتحقيق كلمة
لا إله إلا الله، ولذلك أمر تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يعتني بالعلم فقال تعالى: ﴿
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد: ١٩)،
وقال جل شأنه: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ
أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (إبراهيم: ٥٢)، فقدم العلم على القول والعمل والدعوة؛ لأن تقدم العلم على
العمل ضروري للعامل حتى يعلم ما يريد، ويقصد العمل للوصول إليه، وتكون عبادته
صحيحة مقبولة.

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى ٢/٢٧٩،

تحقيق زهير الشاويش، ط/الثالثة ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١/١٨٨.

وامثالاً لأمر الله له قد سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه السنة وأمر بها جميع أتباعه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (يوسف: ١٠٨).

"والبصيرة هي: المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل"^(١)، وهي العلم الشرعي المؤصل المبني على الدليل من الوحي المنزل من عند الله تعالى، وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم، والفهم لمрад الله تعالى فيما أنزله.

فالدعوة إلى الله على بصيرة أي: "على علم ويقين وبرهان شرعي وعقلي"^(٢) فيما يدعو إلى فعله، وفيما يدعو إلى تركه، وفي أسلوب الدعوة، وفي حال المدعويين، وسلوك الطريق الصحيح في ذلك. وأي دعوة تخلو من هذا الشرط وهو: البصيرة فإنها دعوة مهلهلة أساسها غير متين، سرعان ما ينهار ويتقوض فيختر السقف من فوقه.

ولقد سمى الله تعالى العلم بصيرة؛ لأنه يحصل به الصواب، ويتبين به الحق، وتقوم به الحجة، ويردع به الباطل؛ ولهذا كان أول ما نبي به النبي - صلى الله عليه وسلم - هو قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: ١-٥)، فكانت هذه الآيات الكريمة المباركات أول اتصال بين السماء والأرض في الإسلام، لتبين فضل العلم، وأنه لا نجاح ولا فلاح إلا بالعلم، وهي رحمة رحم الله بها عباده، ونعمة أنعم الله بها عليهم. وفي هذه الآيات أيضاً: التنبيه على أن من عظيم كرم الله تعالى وكبير منته على عباده: أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بهذا العلم، وميزه عن باقي خلقه، قال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١١٣)، وقال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ ﴾

(٢) انظر: فتح القدير ٧٢/٣، وتفسير البغوي ٢٨٤/١، تفسير الآية (١٠٨) من سورة يوسف.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١٤٧٥/٢.

(النحل: ٧٨)، والمقصود: أن أول ما بدأ الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالعلم قبل الدعوة والعمل الصالح المقرب إليه، فجعل العلم أصلاً والعمل تابعا له.

فالعلم الصحيح هو الذي ينير الطريق أمام الداعية، فلا يدعو الناس إلا بمقتضى الحجة والبرهان، وذلك يعينه في معرفة أدواء الناس ومشكلاتهم، ثم يستطيع بعد ذلك أن يرتب الأولويات التي يبدأ بها بناءً على ذلك؛ ولذا فإن أكثر الدعاة تأثيراً في الناس هم أكثرهم تحصيلاً للعلم الشرعي؛ لأن مقدار إصابة الداعية للحق يكون بقدر ما يحمله من العلم الشرعي، ذلك لأن العلم هو سبيل الخير والرشاد والسعادة في الدنيا والآخرة.

فإذا كنا نسعى إلى جمع الكلمة وتوحيد الصفوف وتضافر الجهود فتعليم الناس العلم الشرعي، وتربيتهم على عقيدة السلف، هو أول طريق جمع الكلمة ولم الشتات. ومما يدل على فضل تحصيل العلم الشرعي وتعلمه:

١- أن الله يسهل به طريق المسلم إلى الجنة، لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)^(١).

٢- أنه علامة إرادة الله الخير بالإنسان، لما رواه البخاري عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)^(٢).

٣- أن الله قد عين أهل خشيته بأنهم هم العلماء به^(٣)، وفي ذلك دليل على فضل العلم وعلو شأن أهله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: ٢٨).

٤- أن الله أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالازدياد منه خاصة دون غيره، وفي ذلك دليل على نفاسة العلم وعلو مرتبته^(٤)، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه: ١١٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن - ص ١١٤٧ برقم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين - ص ٨ برقم (٧١)، ومسلم في صحيحه - كتاب الزكاة - باب النهي عن المسألة - ص ٨٤١ برقم (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان.

(٣) فتح القدير ٤/٤٣٥.

(٤) التفسير الكبير تأليف فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي ١٧٣/٢، ط/الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٥- أن الله وعد أهله بالرفع في الدرجات، وذلك في قوله جل شأنه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١).

٦- أن الله سبحانه أظهر كمال حكمته في خلقه آدم عليه السلام بأن أظهر علمه، فلو كان في الإمكان شيء أشرف من العلم لكان إظهار فضله بذلك الشيء^(١)، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٣١).

٧- أن الله سبحانه وتعالى فرق بين العالم والجاهل في المنزلة والقدر، وذلك دليل على فضل العلم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩). وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة لأنه معلم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم ويقتدي بأفعالهم وينتهي إلى رأيهم ترغب الملائكة في خلعتهم وبأجنتحتها تمسحهم يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصايح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة التفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام وهو إمام العمل والعمل تابع له يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء"^(٢).

وقال الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة في رده على بعض العباد حينما كتب إليه يعظه ويحضه على الانفراد والعزلة عن الناس، ويحضه على العمل، فكتب إليه مالك: "إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فربّ رجل فُتِحَ له في الصلاة ولم يُفْتَحَ له في الصوم، وآخر

(٥) التفسير الكبير للرازي ١٦٤/٢.

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٣٩/١، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ط/الرابعة ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي - بيروت، وذكره ابن القيم الجوزية في مدارج السالكين ٢٦٢/٣-٢٦٣.

فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فُتِحَ لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر" (١).

والعلم الذي ندعو إلى تحصيله وبذل الجهد في سبيل طلبه هو ما يراعى فيه الإخلاص، فيطلبه لمولاه وللدعوة إلى دينه تعالى لا لحظه وهواه، فالغافلون عن الإخلاص يرون حسناهم يوم القيامة سيئات. فالموفق من جعل العلم قائده إلى الجنة، فيطلبه لله، ويبدله لله، راجيا أن يزكي الله به باطنه وظاهره، يقول قتادة بن دعامة: "باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حول كامل" (٢).

هذا هو العلم المقصود وليس ذلك الترف الذهني الذي يتخذه أصحابه وسيلة ليكسبوا به نفوذ الجاه، أو كثرة المال، أو مناصب الحياة، إنما هو الذي يتبغي به صاحبه "صلاح نفسه وصلاح الناس" (٣).

فعلى الداعية أن يأخذ بالإخلاص في العلم والعمل، وليطبق قول ابن القيم إذ يقول: "العلماء ثلاثة، عالم استنار بنوره واستنار به الناس فهذا من خلفاء الرسل وورثة الأنبياء، وعالم استنار بنوره ولم يستنر به غيره فهذا إن لم يفرط كان نفعه قاصرا على نفسه فيبينه وبين الأول ما بينهما، وعالم لم يستنر بنوره ولا استنار به غيره فهذا علمه وبال عليه وبسطته للناس فتنة لهم، وبسطة الأول رحمة لهم" (٤)، وليختار النوع الأول، ليكون من ورثة الأنبياء.

أمور يجب مراعاتها لكي تنفع هذه الوسيلة:

١- الاعتناء بنشر العلم الشرعي من مصادره الأصيلة، فإن العناية بكتاب الله الكريم، وما يتعلق به من المعاني والأحكام من أفضل أنواع العلم الشرعي وأجله، لشرف موضوعه؛ لأنه

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٨٥/٧.

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٤١/٢، وابن الجوزي في صفوة الصفوة، صفوة الصفوة لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ٢٥٩/٣، تحقيق محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي، ط/الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار المعرفة - بيروت.

(٢) من قول قتادة السابق.

(٣) مدارج السالكين ٣٠٢/٣.

يتعلق بأشرف كلام، وأعظم كتاب، ثم يلي ذلك في الأفضلية سنة المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - وعلومها وشروحها.

٢- الحرص على تلقي العلم الشرعي بمناهجه وأساليبه الصحيحة من مصادره الأصلية: كتب السلف المستمدة من الكتاب والسنة، فعلى طالب العلم أن يقتصر في كتب التفاسير مثلاً على التفاسير التي اعتنت ببيان ألفاظه واقتصرت على القول الصحيح، مثل تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير البغوي، وابن كثير رحمهم الله .. هؤلاء من علماء أهل السنة، وكذلك من المتأخرين مثل تفسير ابن سعدي، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ويتعد عن التفاسير التي فيها ضلالات وتحريفات.

٣- على الطلبة أخذ هذا العلم وتلقيه من أفواه أهله وهم العلماء أئمة الدين، والمشايخ الذين هم القدوة، وعدم الاتكال على الكتب والصحف، فذلك هو سبيل السلف في أخذ العلم وتلقيه، فسيرة الشيخ وسلوكه جزء من العلم الذي يأخذه عنه التلاميذ، فإذا سلك الشيخ في أخذه وأدائه وتعليمه منهج السلف في الأخذ والفهم والتعليم، وعلم طلابه أدب الطلب قبل العلم، وأدب الاختلاف قبل الخلاف، وأسلوب الحوار قبل الجدل، والانتصار لله لا للنفس، وقبول الحق ولو كان على لسان الخصم وعدم أخذ الناس بالظن، أو البحث عن عثراتهم وعيوبهم، أو تجريحهم بما لا يجرح، وغرس في نفوسهم حب الله وحب رسوله - صلى الله عليه وسلم، واحترام السلف وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها، إلى غير ذلك مما أثر عن سلفنا الصالح، إذا فعل أهل العلم - طلاباً وشيوخاً - ذلك الأمر فسيتغير الحال، وتنجلي الغمة، وتتفق الكلمة وتقوى الأمة، ويعز الله جنده ويمكّن لهم في أرضه.

٤- المبادرة إلى تعليم الناس العقيدة الصافية الصحيحة التي كان عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام، فإنها أحوج ما يحتاج إليه مسلمو نيجيريا والمقصود بالعقيدة: الأحكام الاعتقادية المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، فيجب على المسلمين عمومًا وعلى الدعاة إلى الله تعالى على وجه الخصوص الاعتناء بمعرفة الله تعالى، بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فإن هذه أصول الدين التي يجب العلم بها واعتقادها والعمل بمقتضاها، وهي أساس الأحكام العملية؛ فإنها تتوقف عليها ولا تصح إلا بها.

ولعظيم المنزلة التي يحتلها العقيدة في دين المرء كان تصحيحها والاهتمام بها هي القضية الأولى التي تصدى لها الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، فكان أهم المهمات، وأولى الواجبات التي قاموا بها هي الدعوة إلى تحقيق التوحيد، فيدعون الناس إلى أن يشهدوا ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويُعرّفون الناس برهم الحق ومعبودهم الذي ليس لهم معبود سواه، وينزهونه عن ضد ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

وقد أمضى إمامهم نبينا محمد - عليهم وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - في مكة ثلاث عشرة سنة كلها في الدعوة إلى (لا إله إلا الله)، فكان يدعو إلى أن يعبد الله وحده، ويُترك الشرك به، وتُكسر الأوثان. فالتوحيد إذاً هو أصل الدين وقاعدته التي لا تصلح الحياة البشرية كلها في أصولها وفروعها إلا به، فإن الناس إذا عرفوا الله، وآمنوا به، ووحدوه، سهل عليهم الانقياد لفعل الأوامر واجتناب النواهي رغبة في الثواب، وخشية من العقاب والجزاء. ومعرفة الله تعالى وتحقيق الإيمان به والإخلاص له هو الأصل الأصيل والركن الركين الذي يقوم عليه الدين، فهو كالقاعدة للبناء، وأي بناء لا يقوم على أصل راسخ وأساس محكم فإنه سرعان ما ينهار، فكل من فقد العقيدة الصحيحة الراسخة التي تجعله يخاف الله ويرجوه، ويرغب إليه، ويرهب منه، فيبادر إلى امتثال أوامره، والانكفاف عما نهى الله، ويعبد الله كأنه يراه، ويعتقد أن الله تعالى رقيب عليه، يسمع أقواله، ويرى أفعاله، ويعلم أحواله، وسره وعلايته، وأنه تعالى سيجزيه على ذلك، فإنه لا يبالي بترك فرض أو واجب، ولا يكف عما يعرض له من معصية الله أو ظلم لعباده إذا قدر عليه وأمن من عقوبة السلطان.

٥ - التزام مذهب السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) في تأصيل العقيدة، والتوحيد، والعمل بها، والدعوة إليها، وذلك ببيان العقيدة الإسلامية الصحيحة، والاهتمام بمصادرها تأصيلاً واستدلالاً، وفهماً على نصوص الوحيين، وأقوال الصحابة ومن تبعهم بإحسان، ومن أهل العلم والدين السائرين على طريقة السلف الصالح، رضوان الله عليهم أجمعين.

٦ - ربط الناس بالله سبحانه وتعالى أثناء الدروس العلمية؛ فالمعلم الناجح هو الذي يسعى لفتح أذهان الطلاب وربطهم بخالقهم عن طريق أي مناسبة تعرض له في شرحه وتقريره أياً كانت مادته، وهذا من أساسيات التعليم وأهدافه كما أن هذا من بركة الرجل إن وفق إليه،

قال ابن القيم رحمه الله: "... فإن بركة الرجل تعليمه للخير حيث حل، ونصحه لكل من اجتمع به، قال تعالى إخباراً عن المسيح عليه السلام: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ (مريم: ٣١) أي: معلماً للخير داعياً إلى الله مذكراً به، مرغباً في طاعته. فهذا من بركة الرجل، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة وسحقت بركة لقائه والاجتماع به..."^(١).

٧- حرص القائمين بنشر العلم الشرعي أن يكونوا قدوة؛ لأن العالم يرتفع ويعلو شأنه بعلمه وعمله وإخلاصه ونفعه حين يكون قدوة للذين يتلقون منه العلم.

٨- الاهتمام بالتربية الإسلامية الخالصة، والعناية بالنشء، فلا يكتفى بالشباب أو العاملين في حقل الدعوة حالياً فقط؛ لأن أطفال اليوم رجال الغد، فإذا نشأ أطفالنا على عبادة الله بعد معرفتهم إياه فذلك خير كثير وإنجاز كبير.

٩- حماية هذا العلم الذي ينشر وتحصينه وذلك بحماية طلابه وإبعادهم من المؤثرات الشيطانية المعاصرة التي ظهر منها الفساد في البر والبحر مثل القنوات الفضائية التي تبث الفضائح وكذا شياطين الإنس الذين لا همّ لهم إلا السعي للتخريب والإفساد.

لا بد أن يقتنع كل من يسير على هذا الدرب أن الغرض الأساسي لطلب العلم الشرعي أولاً وآخره هو الدعوة إلى دين الله وإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان، فمن كانت هذه نيته لا يسترزق بعلمه، أما إن قدر الله تعالى أن يكون هذا الطريق هو مصدر رزقه فلا بأس، لكن الأصل أن على كل أحد السعي بنفسه للحصول على قوت يومه بعرق جبينه وكد يمينه ولا يطمع في الاعتماد على المدعويين.

ثانياً: توضيح الدين للناس على الوجه الصحيح وبيان وسطيته

دعوة الإسلام إلى الوسطية وبيان موقفه من الغلو:

دين الله بين الغالي والجافي، وهو وسط بين الإفراط والتفريط. والوسطية إحدى الخصائص العامة للإسلام، وهي إحدى المعالم الأساسية التي ميز الله بها أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - عن غيرها من الأمم، فهي أمة العدل والاعتدال التي تشهد في الدنيا والآخرة على

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية ص ٥، تحقيق عبد الله بن محمد المديفر، ط/الأولى ١٤٢٠هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض.

كل انحراف يمينا وشمالا عن خط الوسط المستقيم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ (البقرة: ١٤٣).

وأما الغلو فهو مجاوزة الحد بالزيادة على المشروع، وهو مذموم كله، وأشدّه ذمًا وإثمًا ما أوصل صاحبه إلى أعظم الظلم، وأقبح القول والعمل، وهو الشرك بالله تعالى.

فلما أدرك الإسلام خطر الغلو في الدين بكل مناحيه ومجالاته- وهو الدين الحريص على سعادة أتباعه دنيا وأخرى- حذرهم عنه كل التحذير لكيلا يسبب لهم الهلاك كما سبب لمن قبلهم من الأمم، فقال رسول الإسلام- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(١).

ولقد تضافرت النصوص الشرعية على ذم الغلو، وتنوعت دلالاتها في تقرير ذلك، أذكر

منها:

١- النهي الصريح عن الغلو:

كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ

إِلَّا الْحَقَّ ۗ ﴾ (النساء: ١٧١).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ۗ ﴾

(المائدة: ٧٧).

ومنه الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله- صلى الله

عليه وسلم- غداة العقبة وهو على راحلته: (هات، القط لي) فلقطت له حصيات هن حصي

الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: (بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من

كان قبلكم الغلو في الدين)^(٢).

٢- ذم الغالين، والتحذير من طريقتهم:

(١) سبق تخريجه ص ٢٦٤.

(٢) الحديث السابق نفسه سبق تخريجه.

كما في ذم أهل الكتاب وما هم فيه من الغلو في الأنبياء والصالحين، كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ عَ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣١).

٣- وسطية هذه الأمة والثناء عليها بها، وفيه دليل على ذم الغلو والتقصير معا:

كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)^(١).

٤- نهي النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بعض مظاهر الغلو التي قيلت أو

فعلت له:

ومن ذلك السجود له، كما في حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (ما هذا؟) قال: يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأسأفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك، قال: (فلا تفعل، فإني لو أمرت شيئا أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها حتى لو سألتها نفسها وهي على قتب لم تمنعه)^(٢).

(١) سبق تخريجه ص ٢٢٦.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩٠.

ومن ذلك تغليظه على من قال له: ما شاء الله وشئت. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال للنبي - صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت. فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم: (أجعلني مع الله عدلا؟ بل ما شاء الله وحده)^(١).

ومن ذلك نهيه - عليه الصلاة والسلام - عن الإطراء، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله)^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال: يا محمد، يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس، عليكم بتقواكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلني الله عز وجل)^(٣).

٥ - ذكر نتائج الغلو السيئة، ووصف عاقبته بأنها وخيمة:

كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (هلك المنتطعون) قالها ثلاثا^(٤). وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو قوله - صلى الله عليه وسلم: (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(٥).

٦ - بيان حقائق الأمور على ما هي عليه، كيلا يغالى بها عن حدها:

ومن ذلك ما أمر الله تعالى نبيه أن يبين للناس من أنه - صلى الله عليه وسلم - لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَكَاشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

(١) سبق تخريجه ص ٢٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ - ص ٢٨١ برقم (٣٤٤٥) عن عبد الله بن عباس.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٥١.

(٤) سبق تخريجه ص ٦٠٧.

(٥) سبق تخريجه ص ٢٦٤.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ (الأنعام: ٥٠).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ ﴿١٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِي ۗ ﴿ (الجن: ٢١-٢٣).

ومن ذلك ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام وأمه، فقال سبحانه: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ ﴾ (المائدة: ٧٥).

ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيِّنِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٩).

٧- منع مظاهر الغلو وقطع كل سبب يؤدي إليه:

ومن ذلك التغليظ في النهي عن اتخاذ القبور مساجد، كما في حديث عائشة وعبد الله بن عباس - رضي الله عنهم - قالوا: لما نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). يجذر ما صنعوا^(١).

ومن ذلك دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - أن لا يجعل قبره وثنا يعبد^(٢). وأمره - صلى الله عليه وسلم - بالصلاة عليه دون أن يكون في ذلك شيء من الغلو، كما في قوله - عليه الصلاة والسلام: (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عبدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)^(١).

(١) سبق تخريجه ص ١١٥.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ١٧٢/١ مرسلا عن عطاء بن يسار، موطأ الإمام مالك - رواية يحيى الليثي للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - مصر، ووصله ابن عبد البر في التمهيد ٤٢/٥ - ٤٣ عن عطاء عن أبي سعيد الخدري، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٧٥٠).

ومن ذلك النهي عن البناء على القبور واتخاذ المساجد والسرج عليها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)^(٢).

٨- فعل الصحابة معه - عليه الصلاة والسلام - ليس فيه شيء من الغلو:

فقد كانوا أشد الناس حبا له، وأكثرهم له احتراما وتوقيرا وانقيادا، ومع ذلك لم ينقل عنهم أنهم كانوا يفعلون شيئا من مظاهر الغلو تجاهه؛ وذلك لما يعلمون من سنته وما جاء به عن ربه تبارك وتعالى من كراهيته لذلك ونهيه عنه.

فقد كان يكرهه - صلى الله عليه وسلم - أن يتمثل له أصحابه قياما، أو يقوموا بين يديه وهو جالس كفعل الأعاجم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك^(٣).

ثالثا: بيان استقلال الإسلام وعزة المسلم

إن التشبه بالكفار قد أصبح رمزا لأناس كثيرين من مسلمي نيجيريا إلى درجة يجد الناظر في حالاتهم صعوبات للتمييز بين المسلمين المهتدين والكافرين الضالين. ولو تساءل متسائل: ما الذي ألصق بهؤلاء هذا العار؟ يجد الإجابة أنه الجهل بروح المنهج الإسلامي وعدم إدراك عظمة هذا الدين وعزة أهله، الأمر الذي لبس عليهم وأظهر لهم الباطل في صورة الحق.

إن المسلم له شخصية مميزة في عقيدته وسلوكه ونظام حياته ومظهره، والله تعالى يريد إكرام النفس المسلمة؛ ولذلك جعل المسلمين متبوعين لا تابعين، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فكيف تطيب نفس المسلم له أن يدع هذه العزة والكرامة ليقلد ويتبع من هو دونه بكثير من جميع الجوانب؟ إنه لشيء عجيب!

وليت أن هذا التشبه وقف عند حد لبس الزي الخاص بالكفار وما أشبه ذلك ولم يتعد إلى ما هو أخطر منه لهان الأمر، لكن التشبه تجاوز ذلك ودخل في صميم الدين

(١) سبق تخريجه ص ٣٦٦.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٩٦.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٥٩.

والشؤون التعبدية. وليس من ريب أن مستند هؤلاء المتشبهين في هذه المسألة واه جدا من جميع المناحي؛ إذ كانت حجتهم أنهم يسعون لقطع سيل وفود أبناء المسلمين إلى اعتناق النصرانية ولذلك أحدثوا في دين الحق طقوسا تشبه ما في الدين الباطل، وأنهم يريدون أن يجعلوا الإسلام دينا يواكب العصر ولذلك قلدوا الكفار وتشبهوا بهم في العادات والسلوك وأنماط الحياة، فما أعجب هذا الفهم المعكوس!

هكذا أوحى الشيطان إلى أوليائه بهذه الفكرة الخبيثة التي وجدت الصدر الرحب لتطبيقها، فمهما تغيرت الأسماء والأشكال فإن الحقائق ثابتة ثبوت الجبال الرواسي؛ إذ الأسماء لا تغير من الحقائق شيئا.

إن أمر الله واضح وطريقه مستقيم يعرفه كل ذي لب، ولا مطمع في هداية أو سعادة أو كمال يأتي من غير طريق شرع الله بحال من الأحوال، والصواب الذي لا يتطرق إليه خطأ أبدا أن الدين كله بالقرآن والسنة وما عليه سلف هذه الأمة. أما ما يدعو إليه هؤلاء المنخدعون فإنه من الأحداث المشينة التي تعرض أمة الإسلام للمحو والزوال، وآثار ذلك ظاهرة في الأمة لا يحتاج إلى تدليل ولا تبين.

دعوة الإسلام إلى اعتزاز المسلم بدينه ونهيه عن التشبه بالكفار:

الدين الإسلامي ليس حريصاً على تمييز المسلمين في المضمون فحسب وإنما حتى في المظهر العام للمسلم في نفسه وللمجتمع الإسلامي في عمومته؛ ولذلك كان النهي عن التشبه بالكفار أحد التكاليف الربانية لهذه العقيدة. وقد حفل الكتاب والسنة بأدلة كثيرة حول هذه القضية؛ لأن التشبه بالكفار في الظاهر يورث التشبه بهم في العقيدة أو مودتهم، ومسايرتهم وموافقتهم على هواهم مما يحدث التميع في حياة المسلم ويجعله إمعة يتبع كل ناعق، والله يريد له العزة والكرامة. وإذا تمعنا في طريقة التربية القرآنية وجدنا أن الإسلام ربي المسلمين على العقيدة الصحيحة فترة طويلة قبل نزول التكاليف، فلما رست جذور هذه الشجرة المباركة في النفوس جاءت التكاليف واحداً إثر الآخر مما جعل المسلمين يترقون في هذا السلم التربوي الإيماني إلى الذروة.

من هنا جاء النهي عن التشبه بالكفار في العهد المدني، وذلك بعد الجهاد من أجل صيانة وحماية المجتمع الإسلامي من كل دخيل، وحرصاً على بناء الشخصية الإسلامية الفريدة،

فكما أن هذه العقيدة فريدة في مضمونها وجوهرها فهي أيضاً فريدة في شكلها ومظهرها؛ لذا وجب على صاحبها أن يكون متميزاً بعد أن أخرجته الله من الظلمات إلى النور. وتحتاج كثيراً من العالم الإسلامي اليوم موجة من التبعية الجارفة في كل شيء، ومن ذلك التشبه بالغرب الكافر من قبل ضعاف الإيمان الذين يرون أن ذلك الفعل هو سبيل التقدم والرقى!^(١).

والتشبه بالكفار له آثار سلبية على الأمة الإسلامية تتلخص في النقاط التالية:

١- أن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاتة في الباطن كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاتة فكيف بالمشابهة في أمور دينية فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاتة أكثر وأشد، والمحبة والموالاتة للكفار تنافي الإيمان كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١).

وقال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (٨) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (المائدة: ٨٠، ٨١).

فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولاية الكفار، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم.

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ كَتَبَ

(١) من مفاهيم عقيدة السلف الصالح الولاء والبراء في الإسلام تأليف محمد بن سعيد القحطاني ص ٣١٩.

فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴿٢٢﴾ (المجادلة: ٢٢). فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد

مؤمن يواد كافرا فمن واد الكفار فليس بمؤمن، فالمشابهة الظاهرة مظنة المودة فتكون محرمة^(١).

٢- أن المشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارعة والتدريج الخفي، والمشاركة في الهدى الظاهر توجب أيضا مناسبة وائتلافا وإن بعد المكان والزمان.

فمشابهة الكفار في الظاهر سبب ومظنة لمشابھتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة بل في نفس الاعتقادات؛ وذلك أن الله تعالى جبل بني آدم بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشئيين المتشابهين وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط^(٢).

٣- أن التشبه بالكفار ينشأ عن شعور المسلم بالنقص وإعجابه بالأمم الكافرة مما قد يؤثر في عقيدته، وهذا أمر مشاهد فإن الذين يعشقون الحياة الغربية فأكثرهم يحمل أفكارا واعتقادات غريبة عن الإسلام، بل قد تكون هدامة تنافي العقيدة الإسلامية الصحيحة، مثل اعتقادهم أن القوانين الغربية متفوقة على الشريعة الإسلامية، واعتقادهم أن الإسلام دين عبادة فحسب، ولا صلة له بحياة الناس وعلاقاتهم.

٤- أن التشبه بالكفار مما يوقع المسلم في معصية ربه إذا كان مما يتدين به؛ ذلك أن جميع ما يتدينون به إما محدث مبتدع وإما منسوخ، فالتشبه بهم فيه تشبه بمن لعنه الله، فكأن المسلم يشاركهم فيما يتميزون به من أسباب سخط الله وعقابه^(٣).

٥- أن التشبه بالكفار مما يفضي إلى القضاء على شعائر الإسلام وإحياء شعائر الكفر؛ وذلك أنه إذا اشتهر التشبه دخل فيه عوام الناس وصار عادة وتناسوا الأصل^(٤).

النصوص الواردة في النهي عن التشبه بالكفار لبيان استقلال الإسلام:

(١) اقتضاء الصراط ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢١٩-٢٢٠.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٨ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٩ بتصرف.

ما ورد من الأدلة في نهي المسلمين عن التشبه بالكافرين كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم، فمن الكتاب:

- ١- قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَدَّةً﴾ (آل عمران: ٢٨).
- ٢- قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١).

- ٣- قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الموالاة والمواودة وإن كانت متعلقة بالقلب لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم، ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا إلى نوع من الموالاة والمواودة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما توجهه الطبيعة وتدل عليه العادة^(١)."

ومن السنة:

- ٤- ما رواه أحمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)^(٢).
- ٥- عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط، فقال

(٣) المرجع السابق ص ٤٩-٥٠.

(١) سبق تخريجه ص ٢٩٧.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى ﴿ أَجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿﴾ إنها لسنن، لتركن سنن من كان قبلكم سنة سنة) (١).

تلك هي أدلة عامة من السنة وهناك أدلة أخرى صريحة في النهي عن التشبه بهم في مسائل فرعية، منها:

٦- ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم) (٢). وفي رواية أخرى عند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود) (٣).

٧- ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (خالقوا المشركين، احفوا الشوارب وأوفوا اللحى) (٤).

٨- ما رواه أبو داود وغيره عن شداد بن أوس عن أبيه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (خالقوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم) (٥).

فالمقصود في إيراد هذه النصوص بيان الأمر بمخالفة اليهود والنصارى والمشركين وأنه أصل من أصول الدين؛ وذلك ليتبين استقلال الدين الإسلامي عن غيره من الأديان الباطلة؛ وليعلم المسلم أن الله سبحانه وتعالى أعزه وأكرمه فجعله في أمة هي خير الأمم، وشرع لأمته أفضل الشرائع، وبعث لهذه الأمة أفضل الكتب، وأرسل لها أفضل الرسل، فأني لمن خصه الله بهذه المزايا أن يتغني العزة في غيره ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون: ٨).

رابعاً: تحذير الناس من الوثنيات وبيان حكم الله فيها

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٤.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٥٩.

(٤) سبق تخريجه ص ٤٥٩.

(٥) سبق تخريجه ص ٤٦٠.

(١) سبق تخريجه ص ٤٦٠.

محاربة الإسلام للوثنية:

من المعلوم من الدين بالضرورة أن رسالة الإسلام هو توحيد الله سبحانه وتعالى والخلوص من الشرك وأهله، ومن أجل هذا الهدف السامي أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ ﴾ (النحل: ٣٦) وقال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر: ٦٥).

ولما كانت الوثنية هي عبادة الآلهة الأخرى من دون الله بشتى أنواعها علم عدم وجود التوافق بين الإسلام والوثنية، فالإسلام يدعو بتعاليمه وشرائعه إلى عبادة الله وحده بينما تدعو الوثنية إلى عبادة غير الله.

فعلى أساس هذا التعارض تؤكد الحنيفية السمحة لأتباعها وكل من ينتمي إليها أن العلاقة بينها وبين الوثنية علاقة عداً ومحاربة وليست علاقة محبة وموالة.

وكما ينهى الإسلام عن الوثنية بجميع أصنافها وكذلك ينهى عن الجاهلية وما كان عليه أهلها من الأخلاق والسلوك، وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة تحذر المسلمين من الوثنية والافتداء بأهلها في أي حال من الأحوال؛ وذلك أن عبادتهم شرك وأعمالهم رجس، كما هناك نصوص أخرى تنفرهم من اتباع كل ما خالف الإسلام مما عليه أهل الجاهلية من العادات والتقاليد وأساليب الحياة وأنماط السلوك.

ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ (الحج: ٣٠).

وقوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ

رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠).

وقوله جل شأنه متحدثاً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ

أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۗ إِنِّي أَرِنكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام: ٧٤).

وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۗ ﴾

(العنكبوت: ١٧).

فتبين مما سبق أن الوثنية يتعارض مع ما يدعو إليه الإسلام، فيتحتم عندئذ على أهل الإسلام الالتزام بما يدعو إليه دينهم عقيدة وعبادة وسلوكاً وأخلاقاً. ومما ينبغي العناية به في هذا الصدد ذكر الأمور التي يمكن أن تساعد المتأثرين بالوثنية أو المتوقع تأثرهم بها على تجنب هذا المرض، فمن تلك الأمور:

١- الاهتمام بالمسلمين الجدد والمساعدة بتعليمهم مبادئ الإسلام:

فينبغي أن يعتني العلماء وطلبة العلم بمن يعتنق الإسلام من غير المسلمين سواء كانت ديانته السابقة هي النصرانية أو الوثنية؛ وذلك أن كلا من هاتين الديانتين لها طقوس تعبدية يمارسها أهلها، ولو دخل نصراني في الإسلام ولم يجد من يسرع إلى تعليمه بأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - ليس إلا رسول الإسلام، ولعله يفكر في دعائه مع الله تعالى كما كان يفعل مع المسيح عيسى عليه السلام في نصرانيته؛ لأن جل من يعتنق الإسلام من النيجيريين الكفار لا يعرف الكثير عن الإسلام.

هذا بالإضافة إلى كون الإنسان يصعب عليه غالباً مغادرة ما تعود عليه لمدة طويلة، فيحسن المساعدة إلى تعليم هؤلاء مبادئ الدين الجديد مع توضيح ما يمكن أن يخرجهم منه ويفقدهم سعادة الدارين. فلو علم المسلم الجديد أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة جملة وتفصيلاً لكفى ذلك قواعد له ترشده في مسيرته الحياتية في دائرة الدين الجديد.

٢- إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الاهتمام بهذه الشعيرة من شعائر الدين الحنيف مما يرفع مكانة المسلمين ويطهر مجتمعهم؛ فأى أثر من آثار الوثنية والجاهلية يمكن أن يتأثر به المسلم في مجتمعه لا شك أنه سيقبل مع وجود الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، يدل على عظمتها أنها من أوصاف الأمة الإسلامية التي استحقت بها الخيرية على الأمم، قال تعالى: ﴿

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ﴾ (آل عمران: ١١٠).

كما أن بني إسرائيل قد استحقوا اللعن بتركهم لهذه الشعيرة، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (المائدة: ٧٨، ٧٩).

فقد لوحظ بأن ما يتأثر به بعض مسلمي نيجيريا من رواسب الوثنية الموروثة والجاهلية الممقوتة كان أكثره في الجانب العقدي مثل دعاء غير الله والذبح لغير الله وتقديس الأشخاص والتبرك بهم والمشاركة في الأعياد الجاهلية، فلو اهتم المسلمون في المجتمع - كل على حسب استطاعته - بتوجيه الجاهل إلى ما ينبغي عليه فعله من أمور دينه والإنكار على من أخطأ وتصويبه لتحسنت الحال.

خامسا: بيان بأن الدين اتباع المشروع

والمشروع ما شرعه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك لا يمكن اتباع ما شرعه الله بوجه من الوجوه إلا بموافقة رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فيما يأتي ويذر.

وأما اتباع الهوى وما تشتهي النفس فإنه من أعظم عوائق اتباع سبيل الهدى وأهم أسباب الانحراف عن الحق، بل إن جميع البدع والمعاصي إنما تنشأ من تقديم الهوى على النص الصحيح؛ وذلك لأن من طبيعة النفس البشرية أنها تميل وترغب فيما تهوى وتحب، ويصعب على صاحبها صرفها عن ذلك وبخاصة إذا كانت قد تعودت عليه ما لم يقوَ إيمانه ويصلب يقينه، بل إن كل من لم يتابع الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويستجب له فيما جاء به فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب واتبع الهوى.

والحقيقة أن اتباع الهوى مرض قلبي خطير به حرفت الأديان وغيرت السنن وذهبت القيم، وتحولت العادات إلى عبادات، والخزعبلات إلى كرامات، والديانات إلى طقوس وضلالات؛ ولذا فإن الانحرافات الناتجة عن متابعة الهوى أشد جرماً وإثماً عند الله لأنه لا يرجى من صاحبه خير ولا يؤمل منه رجوع إلى الحق إلا من رحم ربك، وقليل ما هم، واتباع الهوى خرجت الخواارج ورفضت الروافض، وتشيعت الشيعة، ونبئت الجهمية وظهرت المعتزلة وألحدت المرجئة ونفت القدرية وضلت الجبرية، وتفرقت الأمة حتى صارت شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون. فكم حرف الهوى من شرائع وبدل من ديانات، وأوقع الإنسان في ضلال مبين^(١).

ولما كان اتباع الهوى بهذه الخطورة نجد النصوص قد توافرت في ذمه والتحذير منه.

النصوص الواردة في التحذير من اتباع الهوى:

لقد ذم الله عز وجل اتباع الهوى في آيات كثيرة من كتابه، كما حذر رسول الهدى - صلى الله عليه وسلم - أمتة منه في أحاديثه الشريفة، فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (المؤمنون: ٧١).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ (القصص: ٥٠).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴾ (النجم: ٢٣).

(١) تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار ص ١٣٤.

وقوله تعالى: ﴿ وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴿ (الأعراف: ١٧٥، ١٧٦).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿ (النازعات: ٤٠، ٤١).

ومن السنة:

ما رواه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأبي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مرابادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه)^(١).

وما رواه الترمذي عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله)^(٢).

وما رواه أبو داود عن المقداد بن معد يكرب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه)^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب - ص ٧٠٢ برقم (١٤٤) عن حذيفة بن اليمان.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب صفة القيامة - باب حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت - ١٨٩٩ برقم (٢٤٥٩)، وابن ماجه في سننه - كتاب الزهد - باب ذكر الموت والاستعداد له - ص ٢٧٣٥ برقم (٤٢٦٠)، وأحمد في المسند ١٢٤/٤، والحاكم في المستدرک ٢٨٠/٤ عن شداد بن أوس، قال الترمذي: حديث حسن، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٣) سبق تخريجه ص ٥٩٧.

ومن الآثار الواردة عن السلف:

قول ابن عباس: "كل هوى ضلالة"^(١).

وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحا بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء"^(٢).

وقال الشعبي: "إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار"^(٣).

وقال طاووس: "ما ذكر الله هوى في القرآن إلا عابه"^(٤).

وروي عن الحسن أنه كان يقول: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم"^(٥).

فلم يكن الإسلام يذم الهوى وأهله المتبعين له إلا لتعارضه مع شرعه المطهر؛ ذلك أن الإسلام ديننا الحنيف مبني على أصليين مهمين: أحدهما أن نعبد الله وحده لا شريك له، والثاني أن نعبد الله بما شرعه على لسان رسوله. فالتعبد لله بما شرعه على لسان رسوله هو الذي يعبر عنه بالاتباع، فيجب على المرء المسلم تصديق النبي - عليه الصلاة والسلام - وطاعته، واجتناب ما نهى عنه وعدم مخالفته، كما يجب التحاكم إليه والرضى بقضائه والتسليم له.

فالمتبع دائما يسير وراء متبوعه حسا ومعنى ويقتدي به في أفعاله ويمثل أوامره ويحتمل نواهيه، ويلتزم بطاعته في القول والعمل، ولا ينازعه برأيه وعقله^(٦). وإذا كان الأمر كما قلنا فيجب على من كانت غايته رضا الله والدار الآخرة ألا يسلك طريقا إلا الذي سلكه نبي الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - فلا سبيل يوصل إلى تلك الغاية المقصودة إلا الذي سلكه؛

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة تأليف هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ١٤٦/١. ورواه عبد الرزاق في المصنف ١٢٦/١١ برقم (٢٠١٠٢).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٤٧/١.

(٦) المرجع السابق ١٤٧/١.

(٧) المرجع السابق ١٤٧/١.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٥٠/١.

(٢) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع ص ٣٦.

إذ "الطريق إلى الله عز وجل مسدود على خلق الله تعالى، إلا على المقتفين آثار رسول الله - صلى الله عليه وسلم- والتابعين لسنته"^(١).

ومما ورد من الأدلة على وجوب اتباعه - صلوات الله وسلامه عليه:

١- النصوص الصريحة الآمرة بطاعته واتباعه، ومنها قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال: ٢٠)، وقوله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢).

٢- أن الله تعالى جعل الاهتداء إلى الصراط المستقيم نتيجة لطاعته واتباعه، وذلك في

قوله جل وعلا: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا^٢ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾

(النور: ٥٤).

٣- أن الله جعل طاعته سببا لدخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول

الله - صلى الله عليه وسلم- قال: (كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي). قالوا: يا رسول الله ومن أبي؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي)^(٢).

٤- أن طاعته طاعة لله وعصيانه عصيان لله، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله)^(٣).

٥- نفي الإيمان عن من لا يتحاكم إليه - صلى الله عليه وسلم- ويرضى بقضائه ويسلم

له، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

(٣) تلبس إبليس ص ١٩.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأحكام - باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ - ، ومسلم في صحيحه برقم (١٨٣٥) عن أبي هريرة.

٦- أن من عمل عملاً يخالف طريقه وليس عليه أمره - عليه الصلاة والسلام - فعمله مردود عليه لا يقبل، ففي الحديث: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ^(١)، وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) ^(٢).

فيتبين من خلال الأدلة السابقة أن الدين بالاتباع، وأن الاتباع يكون بموافقة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومتابعته في سنته قولاً وعملاً وتركاً، فالحلال ما أحل والحرام ما حرم والدين ما شرع.

أما اتباع الهوى فهو أخذ القول والفعل الذي يجبه الإنسان ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله ^(٣)، وهو عين ضلال لا هداية فيه، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ (القصص: ٥٠).

سادساً: نشر الحق الواضح وكشف شبهات الملبسين وفضحهم

ما دمنا عرفنا بأن مهمة الملبسين أهل الأهواء هي إظهار الباطل للناس في صورة الحق، فإنه ينبغي على كل مصلح أن يتبع الخطوات التي تؤدي به إلى تخليص الناس من هذه الفتن، فمن تلك الخطوات - حسب فهمي - ما يأتي:

١- تعريف الناس بحقيقة الدين الإسلامي عقيدة وشريعة والتركيز على ذلك:

من المعلوم أن الإنسان إذا كان خالي الذهن من قضية معينة فإن أول ما يتطرق إلى ذهنه هو المحتمل أن يقتنع به ويظهر كحقيقة ثابتة لديه، فما دمنا عرفنا بأن أكثر من يؤثر فيهم أهل الأهواء هم جهال المسلمين، فالواجب إذن من قبل من يريد الإصلاح ويرغب في إنقاذ الناس من قبضة الملبسين هو المسارعة إلى تعليمهم الخير والدين الصحيح؛ ليسبق المتبعين لهوهم، ويكون أول ما يدخل في أذهان الجهال هو الدين الصحيح، يصلهم بيضاء نقية، ثم يترسخ في عقولهم، حتى يكون أي شيء جاء بعده غريباً تنكره الأذهان.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٣.

(٤) سبق تخريجه ص ٤٣.

(٥) مجموع الفتاوى ٤/ ١٨٩.

فينبغي أن يعلم جهال المسلمين معنى الإسلام أنه هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله، كما ينبغي تعليمهم معاني أركان الإسلام ركنا ركنا وعلى رأس تلك الأركان الشهادتان.

فإنه يجب على كل مسلم معرفة معاني شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله؛ لأن فهم هذين الشهادتين يعتبر مما لا يسع المسلم جهله، فإنهما أفضل أركان الإسلام على الإطلاق، وبهما يحقق المسلم فحوى كلمة التوحيد، فيجب فهم هاتين الشهادتين فهما صحيح مع العمل بمقتضاهما.

٢- كشف أهم الشبهات التي يلبس بها أهل الأهواء على الناس:

لم يكن أصحاب الأهواء يلبسون على من يلبسون عليهم إلا من خلال أمور اتخذوها حججا وبراهين وفي حقيقة الأمر هي شبهات مجردة؛ ولذلك أرى أن من أمثل السبل وأنجح الطرق لتخليص المسلمين من فتنة هؤلاء أن تكشف شبهاتهم التي يستندون عليها وينطلقون منها لإظهار الباطل في صورة الحق.

ومن أهم ما يلبس به علماء السوء على جهال المسلمين التأكيد لهم بأن الدعاء لا يستجاب منهم إلا بالواسطة وأن العلماء هم الواسطة بين الناس وبين الله جل وعلا دعاهم إلى القيام بهذا الفعل الشنيع الخضوع لشهوات النفس والهوى والشيطان؛ ولذلك تجد هؤلاء الجهال لا يقطعون بشيء من أمورهم الخاصة إلا بعد إخبار من اتخذوهم زعماء روحانيين واستشارتهم، وإذا حزب هؤلاء الناس أمر ذو بال فإن زعماءهم هم الذين يتولون ذلك عنهم. فينبغي تعليم هؤلاء الجهال بأن الله تعالى لم يشترط وجود واسطة بينه وبين خلقه مهما كان بل على العبد أن يتوجه إلى ربه متى شاء وأين شاء، وحين نقرر ذلك فإننا لا ننكر شرعية طلب المسلم من أخيه أو من يراه أتقى منه أو أكثر منه تعبدا أن يدعو له؛ لأن دعاء المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب مستجاب، إلا أن الأصل توجه المرء إلى ربه بالدعاء لنفسه وليس شرطا تكليف شخص يراه أقرب منه إلى الله بالدعاء له لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ﴾ (البقرة: ١٨٦).

أما الفئة الثانية من أهل الأهواء وهم الصوفية فإن حيلتهم التي ينتفعون منها للتلبس على أتباعهم ومريديهم بل وعامة الناس هي إظهار أنفسهم مظهر من بلغوا أرقى مرتبة في

العلم والعبادة والصلاح والتقوى، والتي لا يمكن أي تابع أو مرید أن يبلغ مثلها؛ ونتيجة ذلك أنك تجد أتباع مشايخ الصوفية ومريديهم يقدسون مشايخهم أيما تقديس، فيتوسلون بذواتهم وجاههم، وتبركون بذواتهم وآثارهم، كل ذلك في حياتهم، وإذا ماتوا لا يزال ذلك التقديس ميمترا، فتجدهم بينون على قبورهم أو يزينونها بطريقة خاصة تجعل من يزورها يشعر بنوع من القداسة وعلو المنزلة للمدفونين في تلك القبور، فيتمسح الجهال بقبورهم وينذرون لهم ويصلون عند قبورهم معتقدين بأن الصلاة عندها أفضل من الصلاة في بيوت الله تعالى.

هذا ملخص ما جره مشايخ الصوفية من الويلات على أتباعهم ومريديهم، يقدمون لهم ما يحصل به العقاب بدل ما ينال به الثواب ولم يدر المساكين قبح ما يرشدونهم إليه بل يظنون بأنهم أرادوا بهم الخير ويدلونهم على التمسك بأسباب نيل سعادة الدين.

ولبيان كيد هؤلاء وإبطال حيلتهم نقول بأنه لا يوجد واحد من أنبياء الله ورسله عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم يأمر أتباعه أو الذين بعث إليهم بعبادته، بل كانوا ينهون أممهم عن التوجه بالعبادة إلى غير الله ويكررون كما قال تعالى عنهم: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، وعلى رأسهم نبينا محمد- صلى الله تعالى عليه وسلم، فهو خير الأنام وأفضل ولد آدم على الإطلاق، وإمام المرسلين وأكرم خلق الله على الله، لكن مع كل هذه المميزات فإنه لم يكن يسمح للناس بدعائه أو الاستغاثة به حفاظا منه على جناب الوحيد كيلا تشوبه أدنى شائبة، بل كان ينهى عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الشرك بالله صغيرا كان أو كبيرا، فينهي عن إطرائه- عليه الصلاة والسلام، ويجذر من اتخاذ قبره عيدا، كما يجذر من اتخاذ القبور مساجد والبناء عليها.

فمنهج- عليه الصلاة والسلام- أنه كلما ارتفعت درجته وعلت مكانته عند ربه كلما ازداد تقربا إليه وتواضعا له، وهكذا ينبغي أن يكون العلماء وكل من انتسب إلى العلم الشرعي حتى يكونوا في الحقيقة ورثة الأنبياء.

والخلاصة أن إلزام الناس باتخاذ زعماء روحانيين يدعون الله لهم ويسألونه لهم حاجتهم وكذلك جعل بعض الناس أنفسهم في موضع القداسة، كل ذلك يخالف دين الله سبحانه وتعالى، وكل ما خالف شرع الله وحكمه ودينه فهو هوى وليس بهدى، وإن أدنى انحراف عن الصراط المستقيم يؤدي بصاحبه إلى الضلال؛ ولذلك تجد الذين يجعلون أنفسهم زعماء روحانيين للناس اضطروا أن يعملوا السحر والشعوذة لأنهم يريدون أن يلبوا حاجات قاصديهم

ويقدموا لهم بغيتهم، وكذلك فعل مشايخ الصوفية تعاطوا السحر والشعوذة لأنهم يرغبون في إظهار الكرامات ليقبل هؤلاء السذج أنهم بالفعل هم أولياء الله ومكانتهم عند الله مرموقة.

سابعاً: كشف خطط المستعمرين وأتباعهم وتحذير المسلمين من التمسك

بالأفكار الواردة من دول الكفر والإلحاد

إذا كنا قد قبلنا بأن الاستعمار سبب من أسباب وقوع بعض مسلمي نيجيريا في الانحراف العقدي من خلال ما تم استعراضه من الأدلة والبراهين يبقى أمامنا البحث عن سبل الخروج من قبضة المستعمرين أعداء الملة المحمدية، فأول علاج ناجع لهذه المشكلة - حسب علمي - هو بيان قبح تلك الطريقة التي يسلكها الاستعمار للوصول إلى أهدافه الخبيثة وتعارضها مع ديننا الإسلامي.

فما من شك بأن التعصب القبلي الذي يؤيده الاستعمار ويدعو إليه قد أدى إلى موالاة الكفار من النصارى والوثنيين واتخاذهم بطانة، والاستنصار بهم على من اعتبروا أعداء من المسلمين، وفي هذا من الفساد الكبير ما هو معلوم؛ لأن الدعوة إلى العصبية من دعوى الجاهلية، وكم جرت دعوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة، وقودها النفوس والأموال والأعراض، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب، والتفريق بين القبائل والشعوب. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي - صلى الله عليه وسلم: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟) وغضب لذلك غضبا شديدا^(١)(٢).

وأما الوثنية التي يحييها الاستعمار ويعيد الناس إليها باسم عادات الأجداد وتقاليدهم التي لا ينبغي أن تنسى فإنها ديانة المشركين، وقد وردت نصوص الكتاب والسنة تحذر المسلمين من أعمال أهل الشرك عقيدة وعبادة وسلوكا، ومن أفضل ما ورد في ذلك التحذير ما وجهه الله سبحانه وتعالى من أوامر صارمة ومكررة لنبيه - صلى الله عليه وسلم - طالبا منه إعلان

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والأدب - باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما - ص ١١٣٠ برقم

(٢٥٨٤) عن جابر بن عبد الله.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٣٢٨-٣٢٩.

البراءة من الشرك وأهله لهؤلاء المشركين، وذلك في قوله جل وعلا: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا
 الْكٰفِرُونَ ﴿١٠٠﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿١٠٢﴾ وَلَا أَنَا
 عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ﴿١٠٣﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿١٠٤﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿١٠٥﴾ (الكافرون: ١-٦).

فدعوة المستعمرين وأتباعهم من أبناء نيجيريا إلى الاهتمام بالعادات والتقاليد القديمة إن
 هي إلا دعوة إلى الوثنية وإن لبسوها ما لبسوها من الغطاء المزخرف، فيجب على كل مسلم
 التنبه لها.

وهناك أمور أخرى ينبغي تنبيه المسلمين لها وخاصة الشباب مما قد يكون من وسائل
 علاج للانحراف العقدي الذي يسببه الاستعمار وأذنابه، منها:

١- الحذر من قبول الأفكار الواردة من دول الكفر والإلحاد؛ إذ قد لعب أعداء الدين
 من خلف المستعمرين بعقول الكثير من شباب المسلمين في نيجيريا فأدخلوهم بالتدرج في
 الجمعيات السرية الكفرية مثل جمعية روتاري اليهودية باسم السلام والإخاء؛ ولذلك ينبغي
 للشباب المسلم أن لا يغتر بتلك الأفكار الوافدة من دول الكفر وإن حملت أسماء براقية وظهرت
 شعاراتها بأقوال مزخرفة.

٢- عدم قبول الأحكام التقريرية والنظريات التي تقدمها المذاهب على أنها حقائق
 علمية مسلمة، وإن تسترت باسم العلم، إلا بعد فحصها ومناقشتها وتحليلها باليقظة التامة^(١).

٣- تحصين الشباب المسلم تحصينا فكريا مبنيًا على العقيدة الصحيحة الخالية من
 شوائب الشرك، وخاصة تلك الفئة من الشباب أصحاب التخصصات العصرية الدارسين في
 الجامعات النيجيرية.

ومن نعم الله التي لا تعد ولا تحصى على الأمة المحمدية أن حذرهم من اتباع دعاة
 الضلال، قال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ

(١) الانحراف في الاعتقاد أسبابه ومظاهره وعلاجه في الإسلام ١/١٥٥، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات
 الإسلامية بمركز الدراسات العليا الإسلامية المسائية، إعداد الطالب سليمان بن محمد سعيد بن إبراهيم العوفي،
 إشراف الدكتور أحمد بن ناصر الحمد، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

هُدَى اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿البقرة: ١٢٠﴾.

كما حذر النبي - عليه الصلاة والسلام - أمته من اتباع هؤلاء المضلين.

فقد روى البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في الجاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم). قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم، وفيه دخن). قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر). قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها). قلت: يا رسول الله صفهم لنا! فقال: (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا). قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلمزم جماعة المسلمين وإمامهم). قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الفتن - باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ومسلم في صحيحه برقم (١٨٤٧) عن حذيفة.

المبحث الثاني

أساليب^(١) علاج الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

أولاً: إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه:

وقد استخدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا الأسلوب في بعض المواقف في تعامله مع المخطئين، ومن أمثلة ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله ما شاء الله وشئت، فقال: (جعلتني لله عدلاً، بل ما شاء الله وحده)^(٢).

وإني لأرى أن هذا الأسلوب يصلح جداً لإرشاد بعض مسلمي نيجيريا إلى الصواب فيما يقعون فيه من التوسل غير المشروع مثل التوسل بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وغيره من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

ثانياً: إنكار موضع الخطأ وقبول الباقي:

يصلح استخدام هذا الأسلوب إذا كان القول أو الفعل الذي صدر من المخطئ ليس كله خطأً، فنقتصر في الإنكار على موضع الخطأ فقط، ولا نعمم كل قوله أو فعله بالتخطئة، وهذا الذي تقتضيه الحكمة في إنكار المنكر.

وقد استخدم المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - هذا الأسلوب في بعض المواقف لإنكار المنكر، مثال ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس، عليكم بتقواكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)^(٣).

(١) استفدت في هذا المبحث من علم الشيخ محمد صالح المنجد في كتابه "الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس"، ط/الأولى ١٤١٧هـ، دار الوطن للنشر - الرياض.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٦٦.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٥١.

مثال آخر ما أخرجه البخاري في صحيحه عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فدخل حين بنى علي فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جواريات لنا يضررن بالدف ويندبن من قتل من أبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: (دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين)^(١).

وفي رواية ابن ماجه: فقال: (أما هذا، فلا تقولوه. ما يعلم ما في غد إلا الله)^(٢).

ومن الحالات التي يصلح فيها استخدام هذا الأسلوب النبوي الرشيد بعض المواقف التي يخطئ فيها المسلمون بالخلط بين أعمال هي من السنة وأخرى بدعة، مثال ذلك بعض المسلمين الذين يجتهدون في ذكر الله تعالى لكن بطريقة جماعية، فيبين لهم أن ذكر الله عمل مشروع ومن أجل العبادات، لكن أداءه بتلك الطريقة يجعله بدعة. ومن الأمثلة على ذلك أيضا ما تقوم به بعض الجمعيات الإسلامية التي تسمى بجمعيات الصلاة على النبي ومهمتها الاجتماع للصلاة على النبي بشكل جماعي وبأعداد محددة وصيغ غير التي وردت في السنة، فننكر على هؤلاء هذه الطريقة التي يسلكونها في الصلاة على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - مع بيان لهم أن أصل فعلهم صحيح ومشروع لأنه عبادة، إلا أن العبادة يشترط في فعلها متابعة سنة المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - وسنة أصحابه عليهم رضوان الله أجمعين.

ولا شك أن مثل هذا الأسلوب يشعر المخطئ بإنصاف وعدل القائم بالإنكار والتصحيح، ويجعل تنبيهه أقرب للقبول في نفس المخطئ، بخلاف بعض المنكرين الذين قد يغضب أحدهم من الخطأ غضبا يجعله يتعدى في الإنكار، يصل به إلى تخطئة ورفض سائر الكلام بما اشتمل عليه من حق وباطل، مما يسبب عدم قبول كلامه وعدم انقياد المخطئ للتصحيح.

ثالثا: إظهار الغضب من الخطأ:

ينبغي للداعية إلى الله أن يكون غضبه لله اقتداء برسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه، وقد قال عنه الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه: ما رأيت رسول الله - صلى

(١) سبق تخريجه ص ١٧١.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٦٥.

الله عليه وسلم- انتقم لنفسه من شيء قط إلا أن ينتهك لله حرمة، فإن انتهكت لله حرمة كان أشد الناس غضبا لله^(١).

فكان غضبه- عليه الصلاة والسلام- دائما إذا انتهكت حرمة الله، وخاصة إذا كان الخطأ له علاقة بالأمور الاعتقادية، ويدل على ذلك أمثلة كثيرة، منها:

ما رواه ابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفتقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: (بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم). قال: فقال عبد الله بن عمرو: ما غببت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ما غببت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه^(٢).

ومنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب فقرأه النبي- صلى الله عليه وسلم- فغضب فقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى- صلى الله عليه وسلم- كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني^(٣)).

وأمثلة هذا كثيرة جدا في أفعاله- عليه الصلاة والسلام- فإنه لا يسكت عن الخطأ، ولا يؤخر البيان عن وقت الحاجة، ويغضب إذا احتاج الموقف إلى ذلك لكن غضبه كله لله إذا انتهكت حرمة جل وعلا، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله.

إن انفعال الداعية المتوازن مع الخطأ عند حدوثه أو رؤيته أو سماعه بحيث يرى ذلك في وجهه ويعرف في صوته وأسلوبه هو علامة حياة في القلب ضد المنكر وعدم السكوت عليه

(١) جزء من حديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٧١/٩، والمعجم الصغير ٢٤٣/٢، عن أنس بن مالك، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٠٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه- كتاب السنة- باب في القدر- ص ٢٤٨٢ برقم (٨٥)، وأحمد في مسنده ١٧٨/٢ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وصححه الألباني في شرح العميدة الطحاوية ص ٢٨٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٨٧/٣، وابن أبي شيبة في المصنف ٣١٢/٥، والبيهقي في شعب الإيمان ١٩٩/١ عن جابر بن عبد الله، حسنه الألباني في إرواء الغليل ٣٤/٦ وقال: "وهذا سند فيه ضعف من أجل مجالد وهو ابن سعيد الهمداني. قال الحافظ في التقریب: ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره" ثم قال: "لكن الحديث قوي فإن له شواهد كثيرة أذكر بعضها" فذكرها.

حتى تقع في قلوب الحاضرين الرهبة من ذلك الخطأ ويعمل الكلام وقت الانفعال في النفوس عمله المؤثر، هذا بخلاف كتم الأمر أو تأخيره فرما يبرد أو يزول أثر التعليق.

رابعاً: هجر المخطئ:

وهذا أسلوب من أساليب الدعوة إلى الخير وتصحيح الخطأ التي تمثل نوعاً من الضغط النفسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي على المهجور ليحس بأن ما فعله أمر غير مرغوب فيه شرعياً واجتماعياً، وأنه أصبح في المجتمع نشازاً ومصدر أذى. فالهجر إذن ليس مقصوداً لذاته وإنما هو إجراء علاجي تاديبى لمنع المخطئ من مقارفة خطئه ومنع العامة من الاقتداء به، فمتى تحققت هذه الغاية بوجود الفيئة منه كف عن هجره، ويفعل من المهجر ما يحقق هذه الغاية بأقرب الطرق وأيسرها، أما إذا كان المهجر لا يحقق شيئاً فإنه لا فائدة منه، بل إذا كان يأتي بما يضاد هذه الغاية حيث يزيد المهجور فساداً فإنه يمتنع من فعله^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإذا كان يحصل بهذا المهجر حصول معروف أو اندفاع منكر فهو مشروع، وإن كان يحصل به من الفساد ما يزيد على فساد الذنب فليس مشروعاً"^(٢).

ومما يحسن التنبيه له في هذا الأسلوب حتى يكون نافعا ومفيداً أن يكون الهاجر والمعرض له مكانة في نفس المهجور، وإلا فلن يكون لهذا الفعل أثر إيجابي عليه بل ربما يشعر أنه قد استراح.

ويصلح مثل هذا الأسلوب غالباً لعوام الناس من المسلمين إذا وقعوا في أخطاء عقديّة؛ لأنهم في الغالب لا تكون عندهم شبهات يحتجون بها بخلاف بعض أهل الأهواء ممن ينتسبون للعلم.

خامساً: الحوار والمناقشة:

(١) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى تأليف الدكتور عبد الله بن رشيد بن محمد الحوشاني ٥٠٦/٢-٥٠٧، ط/ الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيلية.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٢١٦.

ينبغي للدعاة إلى الله سلوك أسلوب الحوار والمناقشة في تصحيح الأخطاء العقديّة عند من يقع فيها وخاصة إذا كان المخطئ ممن عندهم شبهات في المسألة، ويستفاد من خلال الجلوس والمناقشة معه معرفة منشأ المشكلة، فيجاب عن الشبهات لعل الله يفتح قلبه ويهديه إلى الحق والصواب.

وهذا الأسلوب من الأساليب النبوية الرشيدة في تصحيح أخطاء الناس وتغيير الأفكار الخبيثة التي يحملونها، فعن أبي أمامة قال: إن فتى شابا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله! ائذن لي بالزنى. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه! فقال: (ادنه)، فدنا منه قريبا، قال: فجلس. قال: (أتجبه لأمك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم). قال: (أفتجبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله! جعلني الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم). قال: (أتجبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم). قال: (أتجبه لعمتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم). قال: (أتجبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم). قال: فوضع يده عليه وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه). فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.^(١)

فيلاحظ من خلال هذا الأسلوب النبوي الرفيع كيف أزال النبي - عليه الصلاة والسلام - تلك الفكرة الخبيثة عن ذهن الفتى، فأسلوب الحوار والمناقشة مفيد جدا إذا قصد الجانبان الوصول إلى الحق؛ لأنه ينتج من خلاله سبب الوقوع في الانحراف الذي نريد علاجه إما الجهل أو الشبهة، فإذا كان جهلا يعلم الجاهل بالصواب، وإذا كان شبهة تناقش ويجاب عنها.

وقد استعمل هذا الأسلوب كثيرا الشيخ محمود أبو بكر غومي رحمه الله مع مشايخ الصوفية في حياته، ونفع الله به من أراد الله أن يهديه من هؤلاء المبتدعة إلا أن بعضهم لم يزد ذلك إلا عنادا وإعراضا عن الحق، وما زال بعض علماء السنة في نيجيريا إلى الآن يسلكون نفس الطريق مع من انحرف عن الصواب لإبراز الحق لهم وإرشادهم إلى سواء السبيل بالأدلة.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٥٦/٥، والطبراني في المعجم الكبير ١٦٢/٨، ١٨٣ عن أبي أمامة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٠).

سادسا: بيان خطورة الخطأ:

إن العقيدة أساس الدين المتين، والإيمان مبني على أنواع التوحيد الثلاثة، فإذا انهدمت أو ضعفت انهدم البناء العقدي للإسلام أو ضعف وسرى هذا إلى كل المجالات الإسلامية. ومن كان في معتقده فساد فلا بد أن يتأثر عمله وتأثرا سلبيا فيسرى إليه الفساد، لأن العقيدة مرتبطة بالعبادة والسلوك^(١)، وهذا يحتم الاهتمام بالعقيدة حتى لا ينهدم البناء ولا تتأثر الفروع وحتى لا يفسد العمل.

ولما كانت العقيدة بهذه المكانة من الدين يجب الاهتمام بها غاية الاهتمام وبيان خطورة الأخطاء فيها، فقد كان رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - يسد جميع الذرائع المفضية إلى الشرك ويضيق منابعه بيان الخطورة التي تترتب على الأخطاء في العقيدة سواء كانت قولية أو عملية، والأمثلة على هذا لا حصر لها في أحاديثه الشريفة.

فمن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب أسنا، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله - صلى الله عليه وسلم! فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - ونزل القرآن، قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب! ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ^ع ﴿ (التوبة: ٦٥، ٦٦)^(٢).

فينبغي للداعية أن يبين خطورة الأخطاء العقديّة وما يترتب عليها للناس فور وقوعهم فيها لتحذيرهم عنها، وخصوصا ما يتعلق بالأقوال فإنه يكثر فيها الأخطا العقديّة عند الناس.

سابعا: تقديم البديل الصحيح:

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم.

(٢) تفسير الطبري ٤٠٨/٦.

فإنه من تقصير الداعية إذا أنكر على الناس بعض أخطائهم أن يكتفي بالتخطئة وإعلان الحرمة دون تقديم البديل أو بيان ما هو الواجب فعله. ومعلوم من طريقة الشريعة أنها تقدم البدائل عوضاً عن الأشياء المحرمة، فلما حرمت الزنا شرعت النكاح، ولما حرمت الربا أباحت البيع، ولما حرمت الخنزير والميتة وكل ذي ناب ومخلب أباحت الذبائح من بهيمة الأنعام وغيرها وهكذا.

والمؤمن يتأدب بأدب الله تعالى، فينبغي للداعية إلى الله أن يفكر في تقديم البديل كلما وجد بديلاً مناسباً لما ينكره من الخطأ، وذلك أدعى إلى ترك المخطئ خطأه ويتمسك بالبديل الصحيح.

ومن الأمثلة على استخدام النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الأسلوب ما رواه حذيفة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)^(١).

وعن قتيلة امرأة من جهينة أن يهودياً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، ويقولون: ما شاء الله ثم شئت^(٢).
ثامناً: الترغيب والترهيب:

المقصود بهاتين الكلمتين هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة وتخويفهم من عقاب الله والنار، وهو أسلوب قرآني رفيع كثر استعماله في سوره وآياته، فالله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه العزيز قصص الأمم السابقة وتعاملهم مع الأنبياء والرسل الذين أرسلوا إليهم، فيذكر تلك العاقبة الحميدة التي كانت للذين آمنوا واتبعوا المرسلين وما أعد لهم في الآخرة من الأجر الكبير، كما يذكر ما للذين كفروا وأعرضوا عن رسلهم من سوء العاقبة وما ينتظرهم في الدار الآخرة من العذاب الأليم؛ كل ذلك من أجل ترغيب الناس في الخير وتنفيرهم من الشر، والنفوس السوية مجبولة على حب الخير والشوق إلى النور والهدى والإحسان وعلى الخوف والفرح من عذاب جهنم.

(١) سبق تخرجه ص ١٧١.

(٢) سبق تخرجه ص ١٨٣.

ومن الأمثلة على استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ

الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلِّ مِّنْ تَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ (الواقعة: ٢٧-٤٤)، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَنَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ (الغاشية: ١-١٦).

فيصلح استخدام هذا الأسلوب لعلاج الانحراف في مسائل توحيد الألوهية الذي يقع فيه بعض مسلمي نيجيريا، يبين لهم ذلك الخير الكثير الذي يجدونه في اتباع الحق والصواب ترغيباً لهم فيه، كما يبين لهم ذلك الخطر العظيم المصدق بهم إذا تمادوا في الانحراف عن الصواب.

تاسعا: الهدوء في التعامل مع المخطفى:

لقد أعطي رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - حظاً عظيماً في الخلق، قال عنه ربه جل وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾. فبفضل ما أعطي من الخلق العظيم وقد كان يتعامل مع من أخطأ في كثير من الأحيان بطرق لا يمكن أن يسلكها غيره في التعامل مع المخطفى، "فله من الأخلاق أطيبها وأزكاها كالحلم والوقار والسكينة والرحمة والصبر والوفاء وسهولة الجانب ولين العريكة والصدق وسلامة الصدر من الغل والغش والحقد والحسد

والتواضع وخفض الجناح لأهل الإيمان"^(١)، وتمثل هذه الأخلاق الطيبة في تعامله - صلى الله عليه وسلم - مع صحابته الكرام، وخاصة مع من ارتكب خطأ في حضرته. وهذا الأسلوب الحكيم يحدث أثراً بالغاً في نفس المخطئ؛ إذ هو سيعيد النظر في خطئه وما قابله به المصحح له من التيسير وعدم التعسير والتنفير، وذلك أدعى لقبول الحق ورجوع المخطئ إلى دائرة الصواب.

وقد استخدم الرسول - عليه الصلاة والسلام - هذا الأسلوب الحكيم مع ذلك الأعرابي الذي بال في المسجد^(٢)، وذكر ابن حجر رحمه الله بعض الفوائد المستنبطة من الحديث حيث قال: "وفيه الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه، وفيه رأفة النبي - صلى الله عليه وسلم - وحسن خلقه"^(٣).

ويصلح مثل هذا الأسلوب في علاج الأخطاء التي يرتكبها بعض العلماء المحليين والمشايخ الكبار الذين لا يرون الاحترام عند التحية إلا بالانحناء أو القعود أو الجثو على الركبتين، فإذا أحسن الدعاة الجدد في التعامل معهم بالهدوء وحاولوا تغيير هذه العادات بالأدب وطيب المعاملة فسقطت هؤلاء الآباء والمشايخ بأن تلك العادات تخالف ما جاء به الدين الحنيف وأمر به الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

عاشرا: تهيئة النفوس لقبول النصيحة بذكر ما تحبه:

يحسن استخدام هذا الأسلوب إذا كان الشخص المراد نصيحته له محاسن في بعض الجوانب لكنه غفل عن الجانب الذي يراد توجيهه إليه، فيستخدم هذا الأسلوب ليكون تذكراً له وتنبهها إلى الجانب الذي يغفله، وبذكر تلك المحاسن التي يتمتع بها فإن نفسه تنهياً لقبول الموعدة.

وقد استخدم رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه - هذا الأسلوب في حالات كثيرة، منها حينما كان يعرض الإسلام على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله وحده وأن لا

(١) زاد المعاد ١/٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الوضوء - باب صب الماء على البول في المسجد - ص ٢٠ برقم (٢٢٠) عن أبي هريرة.

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١/٤٣١.

يشركوا به شيئاً، وينصروه ويصدقوه، [فأتى كلباً في منازلهم، فكلم بطناً منهم يقال له بنو عبد الله، فجعل يدعوهم حتى إنه ليقول لهم: (يا بني عبد الله! إن الله قد أحسن اسم أبيكم، إني رسوله فاتبعوني حتى أنفذ أمره)]^(١).

ومن تلك الحالات أيضاً ما رواه أبو داود عن معاذ بن جبل أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيده وقال: (يا معاذ والله إني لأحبك) فقال: (أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)^(٢).

والثناء على المرء وذكر ما يحسنه مما يهين نفسه ويجعله مستعداً لقبول ما سيلقى عليه فيما بعد من النصيحة؛ وذلك أن حب الثناء مما جبلت عليه نفوس بني آدم، فما من أحد إلا ويجب أن يحمد على فعله الحسن، بل هناك من يجب أن يحمد على ما لم يفعل كما ذكر القرآن الكريم.

فالانحرافات التي يقع فيها بعض المسلمين فيما يتعلق بقراءة القرآن الكريم وغيره من الأذكار يمكن علاجها باستخدام هذا الأسلوب، حيث إن هؤلاء المسلمين لا يقعون فيما يقعون فيه من هذه الانحرافات إلا من حبههم لكتاب الله ولذكرة جل وعلا في كل وقت وحين، فيذكر هؤلاء بالخير الذي هم عليه بحبههم لكتاب الله والتعلق بذكره، ثم يتم تنبيههم أثناء ذلك وتوجيههم إلى الطريقة الصحيحة لقراءة كتاب الله وعمل الأذكار حتى يؤجر المرء الذائر على عمله.

ومن الجوانب التي يمكن أن يكون هذا الأسلوب خير معين على علاج الانحراف ما يفعله بعض المسلمين من التبرك بذوات الصالحين وآثارهم بدعوى محبتهم لأولئك الصالحين، فتُهَيِّأُ نفوسهم لقبول تصحيح الأخطاء التي وقعوا فيها بذكر الجانب الذي أحسنوا فيه وهو محبتهم للصالحين.

فاستخدام العبارة: "يا أخي! فيك خير وبركة، ولو فعلت كذا وكذا، أو لو تركت ما أنت عليه... لكان خيراً"، استخدام مثل هذه العبارة في إرشاد من غلب فيه جانب الفسق على جانب الإيمان مما يلين قلبه ويرفع نسبة إيمانه ويقلل نسبة فسقه وإن لم يزل نهائياً، فينبغي

(١) السيرة لابن حبان ٩٣/١.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه برقم (١٥٢٢)، والنسائي في سننه برقم (١٣٠٣)، وابن خزيمة في صحيحه ٣٦٩/١، وابن حبان في صحيحه ٣٦٤/٥ عن معاذ بن جبل، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم (١٣٩٢٩).

على الدعاة المصلحين الترحم على المخطئين والمذنبين والتلطف بهم، وعسى أن يهدي الله
الجميع إلى سواء السبيل.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج:
أولاً: في مباحث التمهيد:

(١) وجود بعض العادات والتقاليد التي لم تتوافق مع الإسلام ورثها النيجيريون عن آبائهم وأجدادهم ونقلوها إلى الإسلام دون غرلة؛ فسبب التمسك بتلك العادات بعض صور الانحراف في توحيد الألوهية.

(٢) أن الديانة الوحيدة التي يتدين بها أهل نيجيريا كلهم قبل الإسلام هي الوثنية.

ثانيا: في مباحث الباب الأول:

(١) أن من أهم أعمال الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله أنه بذل كل ما في وسعه في سبيل القضاء على البدع المنتشرة في مجتمعه، وقد جاهد بقلمه، ولسانه، وأخيرا بيده، حتى أقام دولة إسلامية حملت على عاتقها أنقى الدعوات التي ظهرت جنوب الصحراء، وأقربها إلى العقيدة السلفية الصحيحة.

(٢) من أعماله أيضا تقرير بعض مسائل توحيد الألوهية مثل التبرك، والنذر، والذبح، والحلف، والخضوع، على حسب فهمه رحمه الله.

(٣) أن مما يؤخذ على الشيخ عثمان بن فودي أنه كان صوفيا قادري الطريقة، وكان يعتقد في التوسل بالنبي والولي، وكذلك فسر مقام الإحسان بالتصوف.

(٤) لا ينبغي إقرار الشيخ عثمان بن فودي على ما ظهر منه من البدع، ولا إباحة اتباعه على ذلك، وإنما يجب الإنكار عليه فيما يسوغ إنكاره مع مراعاة الأدب في ذلك، ويعذر كما يعذر غيره ممن أخطأوا في اجتهادهم؛ لكون أكثر من تلقى منهم العلم من مشايخ الصوفية وعدم وجود علماء السنة الخالص في مجتمعه في عصره.

(٥) أن من أهم أعمال الشيخ أبي بكر محمود غومي رحمه الله تأليف كتابه "العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة"، تناول فيه بالتفصيل أشهر المسائل العقدية التي يخطئ فيها مشايخ الصوفية في نيجيريا مثل مفهوم الولاية والإيمان، والاعتقاد بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - ينفع ويضر بعد موته ويجوز الاستغاثة به، وأنواع البدع الأخرى التي أحدثوها في باب الذكر مثل الأوراد المحدثه، والرقص أثناء الذكر.

(٦) أن الشيخ أبا بكر محمود غومي من أشهر علماء أهل السنة في نيجيريا، وأكثر العلماء النيجيريين الثلاثة الذين أبرزت جهودهم في هذه الدراسة تمسكا بمنهج السلف الصالح في فهم النصوص وتناول المسائل الاعتقادية.

(٧) أن من أهم أعمال الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله سعيه الجاد لتوحيد صفوف مسلمي نيجيريا، وقد خطى خطوات عدة في سبيل ذلك، كما بذل جهودا لنشر اللغة العربية حتى لقب بالمناضل النيجيري من أجل العروبة، وكذا قرر بعض مسائل توحيد الألوهية مثل الذبح والخضوع والركوع والسجود.

(٨) مما يؤخذ على الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله أنه أساء الفهم في بعض المسائل العقديّة حيث لم ير كفر المستغيث بغير الله إذا لم يعتقد كفرا ولا تأثيرا لغير الله، وكذلك لم ير جواز الاستدلال بحديث الرهط الثلاثة الذين آووا إلى الغار على التوسل بالأعمال الصالحة، كما فسر الشيخ مقام الإحسان بالتصوف.

ثالثا: في مباحث الباب الثاني:

(١) أن الدعاء بنوعيه: دعاء العبادة ودعاء المسألة، من حقوق الله الألوهية، لا ينبغي صرف شيء منها لغيره سبحانه وتعالى، ومن صرف شيئا منها لغير الله فهو مشرك.

(٢) من صور دعاء غير الله لدى بعض مسلمي نيجيريا: دعاء شياطين الإنس والجن، ودعاء الأولياء والصالحين الأحياء، دعاء الملائكة والجن، ودعاء الأموات.

(٣) مما يحتج به المحيزون لدعاء غير الله من مسلمي نيجيريا ادعاء وجود الروحانية خدام سور القرآن الكريم وآياته، كما يحتجون بحصول مطلوبهم إذا دعوا الصالحين، وقد أجمت عن تلكما الشبهتين بما يكفي لإزالتهما.

(٤) التوسل المشروع ثلاثة أنواع: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، والتوسل إلى الله بالعمل الصالح، والتوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح، ولكل نوع من هذه الأنواع أدلة تدل على مشروعيتها من الكتاب والسنة.

(٥) من صور التوسل الممنوع لدى بعض مسلمي نيجيريا: التوسل إلى الله بأسماء وأوصاف لم يصف بها نفسه ولا وصفه بها رسوله، والتوسل إلى الله بذات المخلوق، والتوسل إلى الله بحق مخلوق أو حرمة أو جاهه أو بركته، والتوسل إلى الله بكلمات لا يفهم معناها، والتوسل إلى الله بطلب الدعاء من الأموات.

(٦) أن من التوسل الممنوع ما هو بدعة ومحرم مثل التوسل بكلمات لا يفهم معناها، والتوسل بجاه المخلوق أو حقه أو حرمة، ومنه ما هو من الوسائل المفضية إلى الشرك

مثل التوسل بطلب الدعاء من الميت، ومنه ما هو شرك بعينه مثل التوسل بذات المخلوق إذا قصد به الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ لأن في ذلك حينئذ توجيه الدعاء لغير الله.

(٧) الصواب في حكم الحلف بغير الله أنه محرم وشرك أصغر؛ لأن الأصل في الحلف تعظيم المحلوف به، أما إذا قصد الحالف تعظيم المحلوف به مثل تعظيم الله أو أشد فيكون إذن من الشرك الأكبر.

(٨) من الأشياء التي يحلف بها بعض مسلمي نيجيريا غير الله: النبي - صلى الله عليه وسلم - وقبره الشريف، بعض آلهة الكفار، الأموات وتراب القبور، الأوراق النقدية وغير ذلك.

(٩) إن أصل الذكر ما كان بالقلب إلا أن القول اللساني غلب عليه لكثرة إطلاقه.

(١٠) الأذكار القولية قسمان: المأثور وهو ما جاءت به النصوص، وما ينشئه العبد من الثناء والدعاء، ولكل من هذين القسمين ضوابط تجعله موافقا لمفهوم الذكر الشرعي.

(١١) الأذكار المأثورة إما أن تكون مطلقة وهي التي لم تربط بسبب ولا مناسبة ولا هيئة ولا عدد، وأفضلها القرآن الكريم. وإما أن تكون مقيدة وهي التي قيد لها الشارع ما تقال فيه من الحال والمناسبة والظرف المكاني والزماني وقيد لها العدد والهيئة.

(١٢) من صور الانحراف في الذكر لدى مسلمي نيجيريا: الإتيان بالأذكار الواردة في الشرع بشكل جماعي، وتقييد الأذكار المطلقة بزمان أو مكان أو هيئة أو عدد، وإنشاء أذكار لم ترد في السنة مع تقييدها وترتيب الثواب عليها.

(١٣) المقصود بحلق الذكر أو مجالس الذكر هو كل مجلس يشتمل على ذكر الله بأنواعه المختلفة من تسبيح وتكبير، ومدارسة كتاب الله وتلاوته، وتعلم العلوم الشرعية وتعليمه.

(١٤) لقد حمى النبي - عليه الصلاة والسلام - التوحيد حماية بالغة، وسد كل طريق يمكن أن يكون ذريعة إلى الشرك، فنهى عن إضافة النعم إلى غير الله، والنياحة على الميت، والاستهزاء بالدين، والتصريح بمعارضة تحكيم شرع الله وغير ذلك.

رابعا: في مباحث الباب الثالث:

(١) للسجود حالتان: أن يكون سجود عبادة، أو يكون سجود تشريف وتحية.

- (٢) سجود العبادة هو الذي تضمن غاية الذل والخضوع، ولا يكون إلا لله تعالى.
- (٣) سجود التشريف والتكريم، وعليه يحمل سجود الملائكة لآدم، وسجود يعقوب وأولاده ليوسف عليه السلام، وقد كان مأذونا في الشرائع السابقة، وأصبح محرما في الشريعة المحمدية.
- (٤) كل صورة من صور الانحراف في الركوع والسجود لدى بعض مسلمي نيجيريا هي من بقايا عادات وتقاليد الجاهلية، وقد بينت أن العادات تترك إذا خالفت ما جاءت به الشريعة.
- (٥) من صور النذر لغير الله لدى بعض مسلمي نيجيريا النذر للمشايخ الأحياء، والنذر للأموات، ومن صور الذبح لغير الله الذبح وتقديم القرابين لشياطين الإنس والجن.
- (٦) البركة في اللغة ثبوت الخير ونماؤه، والتبرك هو طلب هذه البركة، والبركة كلها لله تعالى ومنه، وقد أودعها بفضله في بعض الأشياء من الأشخاص والأقوال والأماكن والأزمنة والمطعمات.
- (٧) يشرع أخذ الوقاية والعلاج بالرقى إذا خلت من الشرك مع الضوابط التي وضعها العلماء، ويجوز العلاج بالأدوية المباحة المصنوعة من الطيبات مثل العسل وزيت الزيتون والحبة السوداء وغير ذلك، ويحرم التداوي بالمحرّمات مثل الخمر وغيره.
- (٨) اتفق العلماء على تعليق التمايم إذا كانت من غير القرآن، أما إذا كانت من القرآن فقد اختلفوا في تعليقها، والراجح هو عدم جواز تعليقها حماية لجناب التوحيد، ولقوة أدلة أصحاب هذا القول.
- (٩) من صور العلاج بالسحر والشعوذة لدى بعض مسلمي نيجيريا العلاج بكتابة الطلاسم، وكلمات لا يفهم معناها ولا يعقل، والاستعانة بالأرواح الشيطانية.
- (١٠) العيد المشروع هو كل زمان أو مكان خصه الشرع باجتماع وأعمال تقام فيه، والأعياد المشروعة قسمان: الأعياد الزمانية والأعياد المكانية.
- (١١) الأعياد الزمانية في الإسلام ثلاثة: عيد الأضحى، وعيد الفطر، ويوم الجمعة. والأعياد المكانية هي المسجد الحرام، وعرفات، ومزدلفة، ومنى.

- (١٢) الأعياد الممنوعة منها الأعياد المبتدعة في هذه الأمة، ومنها الأعياد التي تشبه المسلمون فيها بغيرهم. والتي تشبه المسلمون فيها بغيرهم ثلاثة: الأعياد الدينية، والأعياد الاجتماعية، والأعياد القومية.
- (١٣) كان هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجنائز إقامة العبودية لله تعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت، وتجهيزه إلى الله على أحسن الأحوال وأفضلها.
- (١٤) من أشهر صور الانحراف في أمور الميت لدى بعض مسلمي نيجيريا اجتماع أهل الميت في بيت واحد لقبول العزاء، وصنع أهل الميت الطعام للوفدين لتعزيتهم، وإقامة الحفلات كالتشريف النهائي للميت، وقد بينت أن كلها من البدع الشنيعة.
- (١٥) الولاء والبراء أصل عظيم من أصول الإيمان، فيجب على كل مسلم أن يحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالي من يوالي الله ورسوله ويعادي من يعادي الله ورسوله.
- (١٦) من أهم صور موالاة الكفار لدى بعض مسلمي نيجيريا محبة الكافر من قبيلة الشخص أكثر من محبته للمسلم من غير قبيلته، ومشاركة الكفار في أعيادهم، وتفضيل الكافر على المسلم عند الترشيح للوظائف الحكومية.
- (١٧) العبادات القلبية هي الأعمال التي يتعلق أداؤها بالقلب دون سائر الجوارح مثل المحبة والخوف والرجاء والتوكل والتذلل، وهذه العبادات من حقوق الله الخاصة، يجب على العبد إفراد الله بها وصرف شيء منها لغيره شرك.
- (١٨) يوجد بين مسلمي نيجيريا من يصرف هذه العبادات لشياطين الإنس والجن، والسحرة والمشعوذين، والأنبياء والصالحين. وقد بينت أن ذلك كله شرك.

خامسا: في مباحث الباب الرابع:

- (١) أبرز أسباب وقوع مسلمي نيجيريا في الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية: الجهل بالدين، والغلو، والتشبه بالكفار، والتأثر بالوثنية والجاهلية، واتباع الهوى، وتلبس أهل الأهواء، والاستعمار السياسي.

(٢) من الوسائل المهمة لعلاج صور الانحرافات المتعلقة بتوحيد الألوهية لدى بعض مسلمي نيجيريا: نشر العلم الشرعي، وتوضيح الدين للناس على الوجه الصحيح، وبيان استقلال الإسلام وعزة أهله، وتحذير الناس من الوثنيات، وكشف شبهات الملبسين وفضحهم، وتحذير المسلمين من التمسك بالأفكار الواردة من دول الكفر.

(٣) من الأساليب التي ينبغي أن يستخدمها الدعاة لإصلاح الأوضاع في نيجيريا: إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه، إنكار موضع الخطأ وقبول الباقي، هجر المخطئ إذا تحقق نفعه، الحوار والمناقشة، تقديم البديل الصحيح، الترغيب والترهيب، الهدوء في التعامل مع المخطئ، تهيئة النفوس لقبول النصيحة بذكر ما تحبه.

نتائج الاستبانة:

من خلال تحليلي للاستبانة التي وزعتها على مائة شخص فقد استخلصت النتائج التالية:

(١) تفاعل المجيبين عن أسئلة الاستبانة خير دليل على انتشار هذه الانحرافات لدى بعض مسلمي نيجيريا، فقد كان هؤلاء المجيبون ثلاثة أصناف: فمنهم الدعاة العاملون في ساحة الدعوة في نيجيريا، ومنهم طلبة المدارس العربية والإسلامية في نيجيريا، ومنهم الطلبة النيجيريون الدارسون في جامعات الدول العربية.

(٢) من أحسن أوجه استفادتي من الاستبانة ما توفر لي من ذكر المجيبين عن أسئلتها لصور الانحراف في كل مسألة من مسائل البحث كما تحدث تماما في كل منطقة من المناطق النيجيرية، وقد أسهم ذلك بجمع أكبر عدد من صور الانحراف.

سبب الانحراف	عدد اختيار المجيبين له	النسبة المئوية
١ الجهل	٢١٩٠	٣٥,٢%
٢ الغلو	١١٤٦	١٨,٤%

٣	التشبه بالكفار	٥٩٤	٩,٥%
٤	التأثر بالوثنية والجاهلية	٥٦١	٩,٠%
٥	اتباع الهوى	٩٠٦	١٤,٥%
٦	تلبس أهل الأهواء	٦٩٩	١١,٢%
٧	الاستعمار السياسي	١٣٥	٢,٢%
	المجموع	٦٢٣١	١٠٠%

(٣) لقد تبين من خلال آراء المحييين عن أسئلة الاستبانة ووجهات نظرهم بأن الجهل سبب ل (٣٥,٢%) من المخالفات العقيدية التي يقع فيها بعض مسلمي نيجيريا، وأن الغلو سبب ل (١٨,٤%) منها، ثم يليه اتباع الهوى الذي هو سبب ل (١٤,٥%) منها، بينما كان تلبس أهل الأهواء سبب ل (١١,٢%) منها، والتشبه بالكفار سبب ل (٩,٥%) منها، والتأثر بالوثنية والجاهلية سبب ل (٩,٠%) منها، ثم يأتي الاستعمار السياسي وهو سبب ل (٢,٢%) فقط.

المقترحات:

(١) إن من أفضل وأنجح العوامل المعينة على إصلاح الأوضاع في المجتمع النيجيري هو نشر العلم الشرعي وعلى رأسه علم العقيدة. إلا أنه لا بد- لنجاح هذا العامل- من الحرص الشديد على التزام مذهب السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) في تأصيل العقيدة، والعمل بها، والدعوة إليها، وذلك ببيان العقيدة الإسلامية الصحيحة، والاهتمام بمصادرها تأصيلاً واستدلالاً، وفهماً على نصوص الوحيين، وأقوال الصحابة ومن تبعهم بإحسان، ومن أهل العلم والدين السائرين على طريقة السلف الصالح، رضوان الله عليهم أجمعين.

(٢) التواصل العلمي مع علماء أهل السنة والجماعة خارج نيجيريا يحصل ذلك بزيادة المنح الدراسية للشباب النيجيريين للدراسة في جامعات السعودية، ثم إتاحة الفرص للراغبين منهم لمواصلة الدراسات العليا بعد التخرج من الكليات؛ لكي يتخصصوا في مجالات مختلفة من العلوم الشرعية، بل يستحسن فتح المجال للذين عندهم العزيمة الصادقة في

طلب العلم ليجلسوا مع المشايخ ليأخذوا العلم والأدب وسمت هؤلاء العلماء قبل رحالهم إلى أهاليهم.

(٣) إنشاء مكتبات إسلامية عامة، يهدف ذلك إلى إيجاد جو ملائم للباحثين في العلوم الشرعية، كما يهدف إلى تبديل الكتب التي فيها انحرافات وضلالات بكتب علماء أهل السنة والجماعة الربانيين المصلحين، وليجد الناس بغيتهم في كتب الأذكار والأدعية الواردة في الكتاب والسنة ويستغنون بها عن التي فيها دعاء الجن والشياطين.

(٤) تعديل المناهج الدراسية في المدارس العربية والإسلامية النيجيرية بما يتناسب مع أوضاع البلد بحيث نجمع بين المنهج الإسلامي والمناهج المقررة من قبل الحكومة؛ يثمر تدريسها إتقان الطالب للغة الرسمية، ويعطيه نصيبه الكافي في الثقافة العصرية. مما يضمن له فرص الحصول على الوظائف في القطاعات الحكومية وذلك باعتراف الحكومة لشهادته. ورفع مستويات المدرسين علميا وتربويا مما يعطي النتيجة الإيجابية في تربية وتوجيه طلابهم.

(٥) الاهتمام بالوسائل الإعلامية من صحافة وإذاعة وتلفزيون، فكلها وسائل فاعلة ومؤثرة، ومهمة في إيصال المعلومات إلى الآخرين بيسر وسهولة، وكلها عوامل مهمة في صنع الرأي العام في أي مجتمع من المجتمعات. فالحاجة قائمة لإنشاء محطات الإذاعة المحلية (إف. إم.) ومحطات التلفاز التي تخدم الدعوة، يشرف على برامجها أناس من حملة الرسالة الإسلامية أصحاب خلق ودين، كما ينبغي أن يحرص مسلمو نيجيريا على الاستفادة من تقنية المعلومات الحديثة مثل البريد الإلكتروني والشبكة الدولية الانترنت لتعليم الناس الخير الذي يدعو إليه الدين الإسلامي، وتصويب الأخطاء التي يرتكبها المسلمون وخاصة في العقيدة.

وفي ختام هذا البحث أتوجه إلى المولى جل وعلا أن يجعل هذا الجهد المتواضع في ميزان حسناتي، وأن يغفر لي كل ما كان فيه من خلل أو زلل، ويجبر الكسر ويتم النقص. هذا ما علي أن أقول، ومن الله أرجو حسن القبول، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

- ١- فهرس الآيات.
- ٢- فهرس الأحاديث.
- ٣- فهرس الآثار.
- ٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٥- فهرس المصادر والمراجع.
- ٦- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
	١- سورة الفاتحة	
٥٧٠ ، ٥٦٩ ، ٥٥١ ، ٥٤٥	٥	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
	٢- سورة البقرة	

٥٣١	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾
٢٥٨ ، ٢٤٩	٢٢	﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
١٠٥	٢٣	﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
٦٤٩	٣١	﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾
٣٠٢ ، ٢٧٩	٣٤	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾
٥٦٨	٤٠	﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾
٦٣٧	٤٢	﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾
٥٥٢	٤٥	﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾
١٠٤	٦١	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ ﴾
٥٢٤	٨٣	﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾
٥٦٠ ، ٤٠٩ ، ٤٠٧	١٠٢	﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾
٩٧	١١٧	﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٦٧٧ ، ٥١٣	١٢٠	﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ ﴾
٦٥٦ ، ٦٥٥ ، ٢٦٤	١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٥٦٨	١٥٠	﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾
١٨٨	١٥٢	﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾
٥٥٠ ، ٤٢٦	١٥٣	﴿ أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾

٢٢٨	١٥٧	﴿ أُولَئِكَ عَلَيَّمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ ﴾
٥٦٧ ، ٢٨٨	١٦٥	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۖ ﴾
٦٣٨	١٦٨	﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ ﴾
٣٢٤	١٧٣	﴿ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ۖ ﴾
٥٩١ ، ٣٤٤	١٨٥	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾
٦٧٤ ، ١٣٨	١٨٦	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾
٥٥٢ ، ٥٢٥	١٩٥	﴿ وَأَحْسِنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾
٢٤٠	٢٠٠	﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ ﴾
٢٦٩	٢٠٨	﴿ ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً ﴾
٥٤١	٢١٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ﴾
١٧٤	٢٢٥	﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾
٥٩٦	٢٥٥	﴿ وَلَا يُعْذِرُ حِفْظُهُمَا ۚ ﴾
٥٢٣	٢٥٦	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ ﴾
٣٢١ ، ٣١١	٢٧٠	﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّن نَّذْرٍ ﴾

رقم الصفحة

رقمها

الآية

٣- سورة آل عمران

٦٣٠	١٤	﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ ﴾
١٤٧	١٦	﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَّا ﴾
٣٣٤	٢٦	﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

٦٦٣ ، ٥١٢	٢٨	﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾
٤٦٧ ، ١٦٩	٣١	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾
٣١١	٣٥	﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾
١٠٥	٣٨	﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ^ط ﴾
٦٥٨ ، ٥٦٣ ، ٢٦٧ ، ١٣١	٧٩	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ ﴾
٤١١	٨٠	﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
٧٣	٨٥	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾
٣٤١	٩٧	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾
٤٦٢	١٠١	﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ ﴾
٣	١٠٤	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾
٦٦٧	١١٠	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾
٦٧١	١٣٢	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾
٦٢٤	١٥٣	﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ^ط ﴾
٢٤٩	١٥٤	﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾
٥٧٥ ، ٥٦٩	١٥٩	﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ^ع ﴾
<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٢٥٠	١٦٨	﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا ﴾
٥٧٢ ، ٥٦٨	١٧٥	﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
١٨٩	١٩١	﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا ﴾

١٤٧، ١٤٣، ٩٣

١٩٣

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي ﴾

٤ - سورة النساء

٢٤٢	٤١	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾
٥٧٦	٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾
٢٥٢	٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ ﴾
٢٥٢	٥٩	﴿ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾
٢٥٢	٦٠	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾
١٧١	٦٤	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾
٦٧٢، ٢٧٠، ٢٥٢	٦٥	﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ ﴾
٢٢٠	٨٢	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾
٥٢٤	٨٦	﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾
٦٤٨	١١٣	﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾
٤١٤، ١٣٩	١١٥	﴿ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ ﴾
٤٠٣	١٦٠	﴿ فَبُظْلِمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾
٦٥٥، ٢٦٣	١٧١	﴿ يَتَاهَلَّ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾

رقم الصفحة

رقمها

الآية

٥ - سورة المائدة

٥٥١، ٥١٦، ٥١٢، ١١١	٢	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾
٦٠٨، ٤٣٧، ٤٠١، ٣٢٦	٣	﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾

٣٨٤	٤	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾
٥٧١ ، ٥٢٧	٥	﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾
٥٩١	٦	﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾
٥٧٦ ، ٥٧٢ ، ٥٦٩	٢٣	﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
١٤١	٣٥	﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾
٥٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٥٢	٤٤	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾
٢٧٠ ، ٢٥٢	٤٥	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾
٢٧٠ ، ٢٥٢	٤٧	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾
٤٧٠ ، ٤٥٨	٤٨	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾
٦٢٤	٥٠	﴿ أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾
٦٦٣ ، ٦٦١ ، ٥٢١ ، ٥١٢ ، ٥٠٣	٥١	﴿ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾
٥١٨ ، ٥٠٦ ، ٥٠٢	٥٥	﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
٥٩٦	٦٧	﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾
٥٧٨ ، ٥٧٦ ، ٣٢٥	٧٢	﴿ إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾
٦٥٨ ، ٢٦٧	٧٥	﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾
٦٥٥ ، ٦٠٤ ، ٢٦٤	٧٧	﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾
<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٦٦٧	٧٩	﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾
٦٦٢ ، ٥١٣	٨٠	﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
٢٢٠	٨٣	﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ ﴾

٩٩	٨٧	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَتِ﴾
٦٦٦ ، ٤٠١	٩٠	﴿إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ﴾
١٢٢	١١٦	﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾
١٢٤	١١٧	﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾

٦- سورة الأنعام

٦٣٧	٩	﴿وَلَلْبَسَنَّا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾
٥٩٦ ، ٥٩٥	٣٨	﴿مَّا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾
٦٥٨ ، ٢٦٧ ، ١٢٢	٥٠	﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾
٦٦٦	٧٤	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازِرْ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾
١٠٩	٨٨	﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ﴾
١٢٨	٩٠	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾
٣٩٤ ، ٣٢٨ ، ٣١٤	١٢١	﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾
٥٧٨	١٢٨	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَنْمَعَشِرَ الْجِنَّ﴾
٣١٠	١٣٦	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ﴾
٣٢٢ ، ٣١٥	١٦٢	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
-------------------	--------------	--------------

٧- سورة الأعراف

١١٣	٢٩	﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾
١٥٥	٣٣	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾

١٢٢ ، ١١٤	٣٧	﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ ﴾
٢٤١ ، ١٢٥	٥٥	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾
٣٤٠ ، ٣٣٣	٩٦	﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾
٥٤٣	٩٩	﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾
٥٤٠	١١١	﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾
٤٠٧	١١٦	﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُهُمْ ﴾
٥٧٠	١٢٨	﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا ﴾
٥٨٤	١٣٨	﴿ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾
٣٦٣	١٤٠	﴿ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا ﴾
٦٦٩	١٧٦	﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾
١٥٥ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٢٥ ، ١١٣	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾
٦٥٨ ، ٢٦٧ ، ١٢٤	١٨٨	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾
١٠٥	١٩٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ ﴾
٢٤١ ، ٢٠٢ ، ١٩٢ ، ١٨٨	٢٠٥	﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾
٢٧٦	٢٠٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾

رقم الصفحة

رقمها

الآية

٨ - سورة الأنفال

٢٢٠	٢	﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾
٦٧١	٢٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

٧٤	٣٥	﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ ﴾
٢٤٠	٤٥	﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾
١١١	٧٢	﴿ وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾

٩- سورة التوبة

٥٠٠	١	﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾
٦٥٦ ، ٢٦٤	٣٠	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾
٦٥٦ ، ٢٦٤	٣١	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهَيْبِنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾
٥٢٨	٦٠	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾
١٧٤	٦٢	﴿ تَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ ﴾
٦٨٤ ، ٢٦٨ ، ٢٥١	٦٦	﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾
٥١٥ ، ٥٠٢ ، ٤٩٩	٧١	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾
٤٩٨	١٠٠	﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾
٢٢٧	١٠٣	﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾
٣٠٧	١٢٨	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

١٠- سورة يونس

٩١	١٨	﴿ هَتُّؤَلَاءِ شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾
<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
١٠٦	٢٥	﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾
٥٧٢	٨٤	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمِ إِنِ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ ﴾
٤١٧ ، ١٢٢ ، ١١٣	١٠٦	﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ ﴾

١١ - سورة هود

٥٢٠	١١٣	﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ ﴾
٥٦٩	١٢٣	﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

١٢ - سورة يوسف

٥٨٦	٢	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾
١٠٦	٣٣	﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾
٥٤٩	٨٧	﴿ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾
١٤٩	٩٧	﴿ قَالُوا يَا بَابَانَ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾
٣٠٣ ، ٣٠٢ ، ٢٧٩	١٠٠	﴿ وَرَفَعَ أَبُويهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾
٦٤٧ ، ٦٣٠	١٠٨	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾

١٣ - سورة الرعد

١٣٧ ، ١٢٢ ، ٩١	١٤	﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾
٢٧٦	١٥	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٥١٠ ، ٧٠	١٧	﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾
٥٦٨	٢١	﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾
١٣٧	٢٦	﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٣٩١	٣١	﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾
٥٨٦	٣٧	﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾
٢٨٠	٣٨	﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۝ ﴾ ٣٩ ٤٤٤

١٤ - سورة إبراهيم

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ۝ ﴾ ٣٥ ٦٢٧

﴿ هَذَا بَلَدٌ بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ۝ ﴾ ٥٢ ٦٤٧

١٥ - سورة الحجر

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ ﴾ ٩ ٥٩٦

﴿ وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ - إِلَّا الضَّالُّونَ ۝ ﴾ ٥٦ ٥٤٣

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّجِدِينَ ۝ ﴾ ٩٨ ٢٧٣

١٦ - سورة النحل

﴿ لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ۝ ﴾ ٢٠ ١٢٣ ، ١١٤

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ۝ ﴾ ٣٦ ٦٦٥ ، ٦٥٢ ، ١٧٦ ، ١٠٨

﴿ وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۝ ﴾ ٣٨ ١٧٤

﴿ تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ۝ ﴾ ٥٠ ٥٦٨

﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۝ ﴾ ٥٣ ٢٥٣

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۝ ﴾ ٦٦ ٣٤٧

﴿ تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ۝ ﴾ ٦٩ ٤٠٤ ، ٣٤٩

الآية رقمها رقم الصفحة

﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۝ ﴾ ٧٨ ٦٤٨

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ۝ ﴾ ٨٣ ٢٥٨ ، ٢٤٩

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ۝ ﴾ ٨٩ ٥٩٥

﴿ وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ ١٠٣ ٥٨٦

١٧- سورة الإسراء

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ ١ ٣٤٣

﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾ ١١ ١٦٤، ٧٤

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ ﴾ ١٨ ٤٢٨

﴿ وَآتَاكَ إِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ ٢٦ ٥٢٥

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ٣٦ ١٥٥

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ ﴾ ٤٣ ٨٤

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ ﴾ ٥٢ ١٠٦

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ ﴾ ٥٦ ٥٧٩، ١٣٧، ١٠٥

﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ ٥٧ ٥٤٤، ٥٤٠، ٥٣

﴿ وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ ٨٢ ٤٢٣، ٤٢١، ٣٩١

﴿ وَيَحْزُرُونَ لِلَّذِينَ يَبْكُونَ ﴾ ١٠٩ ٥٧٠

﴿ وَأَتَّبَعْنَا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ ١١٠ ٢٠٢

١٨- سورة الكهف

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾ ٢٨ ٥٢١

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ ﴾ ٥٢ ١٠٦

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ ٩٥ ٥٥١

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ١٠٤ ٢٧٣

﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ١١٠ ٥٤١

١٩ - سورة مريم

﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ ٣ ٢٤١

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ ٤ ١٤٨

﴿ فَأِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي ﴾ ٢٦ ٣١١

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ ٣١ ٦٥٣

٢٠ - سورة طه

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ١٤ ٢٤٠ ، ١٨٨

﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ ٨١ ٦٠٥

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ١١٤ ٦٤٩ ، ٦٤٦

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ ١٢٣ ٦٣٤ ، ٣٣٩

٢١ - سورة الأنبياء

﴿ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ ٢٨ ٥٦٨

﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِّنْ دُونِهِ ﴾ ٢٩ ٦٤١

﴿ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ ٤٩ ٥٣٨

الآية رقمها رقم الصفحة

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا ﴾ ٧١ ٣٤٣

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ ﴾ ٧٦ ١١٥

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾ ٨٣ ١٤٥ ، ١١٥

١١٦	٨٧	﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ﴾
١٤٥	٨٩	﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾
٥٦٨ ، ٥٤٤ ، ٥٣٧	٩٠	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾
٢٢ - سورة الحج		
١٢٣	١٢	﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ ﴾
٢٧٦	١٨	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾
٣١١	٢٩	﴿ وَلِيُوقُوا نَذْرَهُمْ وَيُطِئُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾
٦٦٦ ، ٢٢٥	٣٠	﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ ﴾
٤٤٠ ، ٢٢٥	٣٢	﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾
٤٣٢	٣٤	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ﴾
٤٥٨	٦٧	﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾
٤٧٠	٦٨	﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾
٥٧٣	٧٣	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ﴾
٢٨٦ ، ٢٧٦	٧٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾
٥٩١	٧٨	﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٢٣ - سورة المؤمنون		
٤٠٥ ، ٣٤٧	٢٠	﴿ وَشَجَرَةَ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾
٥٣٧	٦٠	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ ﴾ ٧١ ٦٦٩

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ ١١٧ ٥٣ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٦

٢٤ - سورة النور

﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ ٣٥ ٣٤٧

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ ﴾ ٣٧ ١٩٠

﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ رَفَقَةً حِسَابَهُ ﴾ ٣٩ ٢٧٤

﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ ٤٨ ٢٧٠

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ٥١ ٦٣٥ ، ٦٣١

﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ٥٤ ٦٧١

﴿ وَلَيَذَلِّنَهُمْ مَنْ بَعْدَ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ ٥٥ ٣٠٠

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ ٦٣ ٤٦٦

٢٥ - سورة الفرقان

﴿ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾ ٢٣ ٤٦٥

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ ٤١ ٢٥٢

﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ ٤٣ ٦٣٨

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ ٥٨ ٥٦٩

الآية رقمها رقم الصفحة

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ ٦٤ ٢٧٧

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ ٧٢ ٥١٦ ، ٤٥٨

٢٦ - سورة الشعراء

١٢٣	٧٢	﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾
٥٦٧ ، ٢٨٨	٩٧	﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾
٥٨٦	١٩٣	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾
١١٣	٢١٣	﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾
٤١٨ ، ٤٠٧ ، ٣٩٦	٢٢١	﴿ هَلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلُ الشَّيْطِينُ ﴾

٢٧- سورة النمل

٥٧٩ ، ١٣٧	٦٢	﴿ أَمَّنْ تَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾
١٢٢	٦٥	﴿ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ ﴾
٥٦٩	٧٩	﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾
٢١٣	٩١	﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ﴾

٢٨- سورة القصص

١١١	١٥	﴿ فَاسْتَعْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ﴾
٥٣٩	٢١	﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾
٦٧٣ ، ٦٦٩	٥٠	﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾
١٢٧	٨٨	﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾

رقم الصفحة

رقمها

الآية

٢٩- سورة العنكبوت

٦٦٦	١٧	﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ﴾
-----	----	--

٣١- سورة لقمان

١٢٢	١٣	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
٥٢٦	١٥	﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾
٢٥٧	٢٠	﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾
٩٤، ٥٥	٢٢	﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾

٣٣ - سورة الأحزاب

٥١٦	١	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾
٢٨٩	٦	﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾
٦٢٤	٣٣	﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾
٦٣٥، ٦٣١	٣٦	﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾
١٩٢، ١٨٩	٤١	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾
٥٤٠	٥١	﴿تُرْجَىٰ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ﴾
٤٦٨، ٢٣٠، ٢٢٧	٥٦	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾
٤٢٨	٥٨	﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

٣٥ - سورة فاطر

١٣٧	٢	﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾
٢٥٧	٣	﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٦٣٧	٦	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾
١٣٧، ١١٤	١٣	﴿مَا يَبْلُغُونَ مِنْ قَطْمِيرٍ﴾

١٣١	١٤	﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾
٦٤٩ ، ٥٣٧	٢٨	﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾
٥٤٠ ، ٣٣٩ ، ٢١٣	٢٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾

٣٦- سورة يس

٣١٤	٧٢	﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوعُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾
-----	----	--

٣٨- سورة ص

٢٢٠	٢٩	﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ ﴾
-----	----	--

٣٩- سورة الزمر

٥٦٣	٣	﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾
١٥٨ ، ١٣٦	٣	﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾
٦٥٠ ، ٥٤٣	٩	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾
٥٣٢	١٤	﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾
٥٨٦	٢٨	﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾
٦٦٥ ، ٥٧٨	٦٥	﴿ لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾

٤٠- سورة غافر

١٢٣	٢٠	﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾
٦٣٩	٢٩	﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾
١١٣ ، ١٠٨	٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

٤١- سورة فصلت

٣٠٢ ، ٢٨٦ ، ٢٧٦	٣٧	﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾
-----------------	----	--

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ ٤٤ ٤٢١

٤٢ - سورة الشورى

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ١١ ٢٨٨

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ ﴾ ٢١ ٤٦٣ ، ٣٧٦ ، ١٦٢ ، ١٢٨ ، ٧٤

٤٣ - سورة الزخرف

﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ ٤٥ ٢٧٨

﴿ لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ ٦٥ ١٠٩

٤٤ - سورة الدخان

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ ﴾ ٣ ٣٤٤

٤٥ - سورة الجاثية

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ ٢٣ ٦٦٩

٤٦ - سورة الأحقاف

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ٥ ١٣١ ، ٥٤

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ ٩ ٩٧

٤٧ - سورة محمد

﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ ﴾ ١٩ ٦٤٧

رقم الصفحة

رقمها

الآية

٢٥٩

٢٨

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهَ ﴾

٤٨ - سورة الفتح

٦٢٤	٢٦	﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ﴾
٢٧٦	٢٩	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾

٤٩ - سورة الحجرات

٥١٩، ٥١٥	١٠	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾
١٤٦	١٧	﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾

٥٠ - سورة ق

١٣٨	١٦	﴿ وَخَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾
-----	----	---

٥١ - سورة الذاريات

٥٣١	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
-----	----	--

٥٣ - سورة النجم

٥٩٧	٤-٣	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾
-----	-----	---

٦٦٩	٢٣	﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾
-----	----	---

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
-------------------	--------------	--------------

١٦١	٣٩	﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾
-----	----	---

٥٦- سورة الواقعة

٦٨٦	٢٧	﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾
٢٥٨ ، ٢٤٨	٨٢	﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾

٥٨- سورة المجادلة

٦٤٩	١١	﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾
٦٦٣ ، ٦٦٢ ، ٥١٣ ، ٤٦٢	٢٢	﴿ لَا تَحِدُوا قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

٥٩- سورة الحشر

٥٠٦	١٠	﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
١٩٢	١٩	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ﴾

٦٠- سورة الممتحنة

٥٠٢	١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾
٥٠٢ ، ٥٠٠	٤	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾
٥٢٢	٨	﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ ﴾

رقم الصفحة

رقمها

الآية

٦٢- سورة الجمعة

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ١٠ ٢٤٠

٦٤ - سورة التغابن

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ١١ ٢٥٩

٦٥ - سورة الطلاق

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ٢ ٥٧٤

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ٣ ٥٧٤ ، ٥٧٣

٦٧ - سورة الملك

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ٢ ٥٣١

٦٨ - سورة القلم

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ٤ ٦٨٦

﴿ وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيَدَّهِنُونَ ﴾ ٩ ٥٢١

﴿ وَلَا تَطَّعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ ١٠ ١٧٤

﴿ خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهْقُهُمْ ذَلَّةٌ ﴾ ٤٣ ٢٧٧

رقم الصفحة

رقمها

الآية

٦٩ - سورة الحاقة

﴿وَأَلْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ ١٧ ٥٤٠

٧١- سورة نوح

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ١٣ ٥٤٠

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ ٢٣ ٣٦٨

٧٢- سورة الجن

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ﴾ ٦ ٥٧٨

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾ ١٨ ١١٣، ٨٥

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ٢١ ٦٥٨، ٢٦٧

٧٣- سورة المزمل

﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ٤ ٢١٣، ٢١٥

٧٥- سورة القيامة

﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١٦ ٦٤٦

٧٦- سورة الإنسان

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ ٧ ٣٢١، ٣٢١

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ﴾ ٢٦ ٢٨٦

رقم الصفحة

رقمها

الآية

٧٨- سورة النبأ

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ٢٧ ٥٤٠

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ٤٠

٨٦ - سورة الطارق

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴾ ١٣ ، ١٤

٨٨ - سورة الغاشية

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَشِيَّةِ ﴾ ١

٨٩ - سورة الفجر

﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ ١ ، ٢

٩٤ - سورة الشرح

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ ٨

٩٦ - سورة العلق

﴿ أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ١

﴿ كَلَّا لَا تَطِعَهُ وَأَسْجُدَ وَقْتَرَب ﴾ ١٩

٩٨ - سورة البينة

﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾ ٥

١٠٨ - سورة الكوثر

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَّر ﴾ ٢

١٠٩ - سورة الكافرون

﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ١-٢

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ٦

فهرس الأحاديث الواردة في البحث

٦٧٦	أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم
٤٥٩	أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم
٥٢٨	أبيعا أم عطية؟ (لرجل مشرك)
٣٦٧	أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟
٢٦٠	اثنان في الناس هما بهم كفر
٤١٠	اجتنبوا السبع الموبقات
٦٧٩ ، ٦٥٧ ، ٢٦٦	أجعلني مع الله عدلا
٣٤٣	أحب البلاد إلى الله مساجدها
٢٥٠	احرص على ما ينفعك واستعن بالله
٩٥ ، ٩٤ ، ٥٦	الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه
٣٤٨	إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة
٥١٥	إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
٥٧٤	إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله
٥٧٠ ، ١٣٧ ، ١٢٥ ، ١١٣	إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله
٥٢٤	إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم
١٤٢	إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
٢٠٨	إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
٢٩٠	أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟
٦٢٣ ، ٤٨٩ ، ٤٨١	أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن
٢٦٠	أربع في أمي من أمر الجاهلية
٤٩٣	الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام
٥٢٥	استأجر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أريقط في الهجرة
<u>الصفحة</u>	<u>طرف الحديث</u>
٣٩٧	استرقوا لها فإن بها النظرة
٥٢٥	استعمل النبي صلى الله عليه وسلم يهود خيبر في أرضها ليزرعوها

٤٨٨	استغفروا لأخيك، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل
٤٠٤	اسقه عسلا (لرجل استطلق بطن أخيه)
٢٥٨	أصبح من الناس شاکر ومنهم کافر
٥٠٣	أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص
٤٩٠	اصنعوا لأهل جعفر طعاما، فقد أتاهم أمر يشغلهم
٤٢١، ٣٩٤، ٣٨٩، ٣٨٠	اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك
١٨٦	أفلح وأبيه إن صدق
٢١٤	اقروا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه
٥٥٤	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
٣٠٩	أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد
٤٩١	ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٠٥	ألا إن كلکم مناج ربه فلا يؤذین بعضکم بعضا
١٩٣	ألا أنبئکم بخیر أعمالکم، وأزکاها عند ملیکمکم
٦٧٠، ٥٩٧	ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه
١٧٧	ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله
١٣٤	ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم
٣٠٥	أما صاحبکم فقد غامر
٦٨٠، ٢٦٥	أما هذا فلا تقولوه، ما يعلم ما في غد إلا الله
٦٨١	أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟
٣٠٠	أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن ننطلق إلى أرض النجاشي
٤٣٣	أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم في العيدين أن نلبس
٥٢٩	أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم

الصفحة

٣٩٤، ٣٨٩، ٣٨٧، ٣٨٠، ١٨٩

٢٤٨

طرف الحديث

إن الرقى والتائم والتولة شرك

إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله

١٢٨	إن العلماء ورثة الأنبياء
٣٠٨	إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا
٢٩٨	إن الله تجاوز عن أمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه
٥٥٦	إن الله تعالى حيي كريم
٣٧٣ ، ٣٥٨	إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه
٧٣	إن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله
٤٦	إن الله خلق الداء والدواء فتداووا ولا تتداووا بحرام
٥٨	أن الله قال: قد فعلت
٤٥٨ ، ٤٣٦ ، ٤٣٥ ، ٤٣٣	إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر
١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٧٧ ، ١٧٦	إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم
٣٨٥	أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام أجره
٢٠٤	أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر
٣٣٨	أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب من عمر لا ينساه من دعائه
٢٤٢	أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن مسعود: (اقرأ عَلَيَّ)
٣٨٠	أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة
٤٩٦	أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى النساء عن اتباع الجنائز
٦٦٤ ، ٤٥٩	إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم
٢١٥	أن أم سلمة نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٧٩	أن تجعل لله ندا وهو خلقك
٣٩٧	أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! اشتكيت؟
١٧٠	أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم
٥٢٧	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل
	طرف الحديث
٢٠٧	إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه
٢٢٣	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بلالاً يقرأ من كل سورة آية

٣٨١	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات
٣٨٣	إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طعن في السن
٢١٠	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأعرابي وهو يدعو
٣٧٩	أن ضمادا قدم مكة كان من أزد شنوءة
٢٥٩	إن عظم الجزاء مع عظم البلاء
٦٨٣	إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! ائذن لي بالزنى
٢٠٤	إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد
١٤٥	إن لله تسعة وتسعين اسما
٣٠٥	إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء
٤٨٧	إن لله ما أخذ، وله ما أعطى
٦٥٦، ٢٦٤، ٢٢٦	إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم
٣٤٨	إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم
١٣٤، ١١٤	إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء
٣٦٥	إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء
٦٠٤	إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق
٤٣٧	إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين (في يوم الجمعة)
٦٨٥، ٢٦٦، ١٨٣	أن يهوديا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إنكم تنددون
٢٦١	أنا بريء مما برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٩٠	أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني
١٦٥	انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت
٦٢٣	إنك امرؤ فيك جاهلية (لأبي ذر)
١٢٤	إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك
<u>الصفحة</u>	<u>طرف الحديث</u>
٤٦٤	إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى
١٨٩	إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة

٢٦٥	إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله
٤٠٢، ٣٩٦	إنها داء وليست بدواء (في السؤال عن الخمر)
٣٥٦	إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل
٥٧٤	إني لأعرف كلمة (وقال عثمان: آية) لو أخذ الناس كلهم بها لكفتهم
٥٧٠	أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول
٤٩١	أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا
٦٥٧، ٦٥٥، ٦٠٧، ٦٠٤، ٢٦٤	إياكم والغلو في الدين
٣٩٨	باسم الله، تربة أرضنا، بريقه بعضنا
٢٣١	البخيل الذي من ذكرتُ عنده فلم يصل عليّ
٤٧٦	بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله
٦٨١	بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض
٣٠٨	بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
٤٧٤	تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب
٣٤٦	تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين
٣٤٦	تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي
٦٧٠	تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا
٣٤٦	تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس
٣٦٢، ٣٣٥	حي على الطهور المبارك والبركة من الله
٦٦٤، ٤٦٠	خالفوا المشركين، وفروا للحى
٦٦٥، ٤٦٠	خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم
٥٧١	خشع لك سمعي وبصري وخي وعظمي وعصي
٣٨٥	خير ما تداويتم به الحجامة
<u>الصفحة</u>	<u>طرف الحديث</u>
٣٤٥	خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة
٣٢٤، ٣١٦	دخل رجل الجنة في ذباب ودخل النار رجل في ذباب

١٦٤ ، ١٤٦	دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا هو برجل
١٦٨ ، ١٠٨	الدعاء هو العبادة
٥١٥	دعوها فإنها منتنة
٦٨٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ١٧١	دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين
٥٥٠	ربّ أعني ولا تعن عليّ
٣٠٣ ، ٢٩٣ ، ٤٧	الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له؟
٤٩٥	زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة
٢١٧	زينوا القرآن بأصواتكم
٣٩٦	سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس عن الكهان فقال: (ليس بشيء)
٤٩٥ ، ٤٧٨ ، ١٣٥	السلام عليكم أهل الديار
٤٣١	شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٤٢	صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه
٣٩٨	ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل
٣٨٣	الطهور شطر الإيمان
٥٧٥	الطيرة شرك، الطيرة شرك
٥٢٣	عاد النبي صلى الله عليه وسلم غلاما يهوديا في مرضه
٥٥٥	عليك بكثرة السجود (في حديث ثوبان)
٤٢٣ ، ٣٨٤	عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن
٣٨٥	عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء
٥٢٩	غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم تبوك وأهدى ملك أيلة
٦٦٤ ، ٤٥٩	غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود
٣٧٠	فأتيت المدينة فنزلت بقباء، فولدته بقباء (حديث أسماء بنت أبي بكر)
<u>الصفحة</u>	<u>طرف الحديث</u>
٤٧٩	فارجعن مأزورات غير مأجورات
٤٩٧ ، ٢٢٩ ، ٧٥	فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

٣٦٧	فكان يصنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما
٦٥٦ ، ٢٩٠	فلا تفعلوا، فإني لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لغير الله
٥٣٧	فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية
٣٦٦	فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة
٥٢٥	في كل كبد رطبة أجر
٣٤٥	فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي
٦٨٧	قام أعرابي فبال في المسجد
٥٩٢	قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا
٣٤١	قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟
٢٧٧	قلت يا نبي الله أخبرني عن الصلاة
٢٣٣	قلنا: يا رسول الله! هذا التسليم فكيف نصلي عليك
٢٦٥	قولوا بقولكم أو بعض قولكم
٢٣٣	قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
٢٣٣	قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته
٢٣٢	قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
٢٣٣	قيل: يا رسول الله! أما السلام عليك فقد عرفناه
٦٧٨	كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير
١١٦	كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى
٣٣٠	كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر نحر جزورا
٢٩٠	كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يستنون عليه
٣٣٧	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة
٣٨١	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات

الصفحة

٢٠٣

كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم على قدر ما يسمعه من في الحجرة

٦٧٢

كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي

٤٠٦	كل لعمرى من أكل برقية باطل
٤٠٢	كل مسكر خمر، وكل خمر حرام
٣٨٤ ، ٣٤٧	كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة
٣٠٥	كنا نتمنى أن يأتي الأعرابي العاقل فيسأل النبي صلى الله عليه وسلم
٤٨٩	كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد الدفن من النياحة
٩٩	كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء
١٦٤	كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل قائم يصلي
٦٧٠	الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
٥٩٦	لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته
٥٢٥	لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام
٦٥٨	لا تجعل قبري وثنا يعبد
٦٥٩ ، ٤٩٤ ، ٤٣٨ ، ٤٣١ ، ٣٦٦	لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا
٣٥٦	لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها
٥١٥	لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
١٨٢	لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد
١٧٧	لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم
٤٤٠ ، ٣٤٣	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
٤٩٣	لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها
٦٥٧	لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم
٣٦١	لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد
٦٠٧	لا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا
٦٨٥ ، ٢٦٦ ، ١٧١	لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان

الصفحة

طرف الحديث

٥٩٤	لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلح النار
٢٢٥	لا ضرر، ولا ضرار

٣٢٦ ، ٨٧	لا عقور في الإسلام
٣٢٦	لا فرع ولا عتيرة
٣٢٤	لا نذر إلا فيما ابتغي به وجه الله عز وجل
٥٦٧ ، ٤٦٧	لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده
٥٣٩	لا يحقر أحدكم نفسه
١٩٢	لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله
٦٦٤ ، ٦٢٥ ، ٥٨٤ ، ٤٥٩ ، ٣٦٢ ، ٢٥٤	لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر
٣٣١ ، ٣٢٤ ، ٣١٦	لعن الله من ذبح لغير الله
٦٥٩ ، ٤٩٦	لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور
٦٥٨ ، ٣٦٥ ، ١٣٤ ، ١١٥	لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
٤٧٦	لم أكن لأركب والملائكة يمشون
٦٥٩ ، ٣٥٩	لم يكن شخص أحب إليهم من النبي صلى الله عليه وسلم
٤٦٨	الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي
٣٤٢	اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة
٣٤٠	اللهم إن إبراهيم عبدك وخليك ونبيك
١٤٤	اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني
٣٤٣	اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا
٣٤٢	اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا
١٥٠	اللهم حوالينا ولا علينا
٣٩٧ ، ٣٤٠	اللهم رب الناس أذهب الباس
١٤٦	اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل
٢٢٧	اللهم صل على أهل أبي أوفى
<u>الصفحة</u>	<u>طرف الحديث</u>
١٣٧	اللهم لا مانع لما أعطيت
٥٧٥	لو أنكم توكلتم على الله حق توكله

٣٤٨	ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن
٢٦٠، ٢٥١	ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب
٤٩٩	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا
٣٨٢	المؤمن يأكل في معي واحد
٤٢٢، ٤٠٠، ٣٩٤، ٣٧٩	ما أرى بأسا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه
٣٤٥	ما العمل في أيام العشر أفضل منها في هذه
٤٢٣	ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء
٤٢٣	ما أنزل الله عز وجل داء إلا أنزل له دواء
٣٦٩، ٣٦٧	ما تصنعين يا أم سليم؟
٦٨١	ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقم لنفسه من شيء قط
٥٢٤	ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه
٤٨٢	ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه
٣٨٣	ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه
٤٣٧	ما من أيام العمل الصالح فيهنّ أحب إلى الله من هذه الأيام العشر
٢٩٥	ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان
٣٤٩	متى كنت ههنا؟ (لأبي ذر)
١٩٢	مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت
٥٠٠	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
٥٢٢	المسلم يألف ولا يخير فيمن لا يألف ولا يؤلف
٤١٣	من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة
٤١٣	من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول
٢٩٧	من أحب أن يتمثل له الرجال قياما
	طرف الحديث
الصفحة	
٣٠٤	من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه
٦٧٢، ٤٩٧، ٢٢٩، ٢٠١، ١٦٢، ٤٣	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد

٣٨٢	من أصبح معافى في جسده، آمنا في سربه
٦٧٢	من أطاعني فقد أطاع الله
٦٦٤، ٢٩٧، ٤٥٩، ٥١٦	من تشبه بقوم فهو منهم
٣٨٧	من تعلق تميمه فلا أتم الله له
١٨٣	من حلف بالأمانة فليس منا
١٨٦، ١٨٤، ١٨٢، ٤٤	من حلف بغير الله فقد أشرك
١٨٢	من حلف فقال في حلفه: واللوات والعزى فليقل: لا إله إلا الله
٩٨	من دل على خير فله مثل أجر فاعله
٣	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده
٢٣٤	من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت
٦٤٩	من سلك طريقا يلتمس فيه علما
٣٤٤	من صام رمضان إيمانا واحتسابا
٢٣٠	من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات
٢٣٠	من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا
٢٣٠، ٢٢٨	من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا
٣٨٧، ٤٦	من علق تميمه فقد أشرك
٦٧٢، ٥٣٢، ٤٩٧، ٤٦٤، ٢٢٩، ٢٠١، ١٦٢، ٤٣	من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد
٤٤٨	من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا
٥٢٣	من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة
٥٢٣	من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة
١٥١	من قرأ القرآن فليسأل الله به
٢١٤	من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة
٥٢٦	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
	طرف الحديث
الصفحة	
٥٩٤	من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار
٥٩٤	من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار

٣١١	من نذر أن يطيع الله فليطعه
٢٣١	من نسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة
٦٤٩	من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
٣٩٥ ، ٣٢٥	نذر رجل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا ببوانة
٣٨٢	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ
٤٨٩	نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن إضاعة المال
٣٩٧	نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع لأجل التداوي
٤٠٢ ، ٣٩٦	نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الدواء الخبيث
٤٩١	نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر
٤٠١	نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذي مخلب من الطير
٤٠١	نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذي ناب من السباع
٤٩٤	نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة بين القبور
٢٥٨	هل تدرون ماذا قال ربكم؟
٦٥٧ ، ٦٠٧	هلك المتنطعون قالها ثلاثا
٣٣٧	ههنا أبو طلحة
٥٧٦	واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به (في حديث الاستخارة)
٢١٠ ، ١٤٧ ، ١٤٣	والذي نفسي بيده، لقد سألت الله باسمه الأعظم
٣٤١	والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله
٥٥٥	وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء
٣٦٦ ، ٣٣٧	وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما
٦٣٤	وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به
٥٥٠	وكل النبي صلى الله عليه وسلم عليا في هديه في حجة الوداع أن ينحر
<u>الصفحة</u>	<u>طرف الحديث</u>
٣٤٣	وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
٥٢٦ ، ٤٠٦ ، ٣٩٨ ، ٣٣٩	وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم

٢٥١	ويحك قطعت عنق صاحبك
٢٤١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٢	يا أيها الناس! اربعوا على أنفسكم
٦٧٩ ، ٦٥٧ ، ٢٦٥ ، ٢٥١	يا أيها الناس! عليكم بتقواكم ولا يستهوينكم الشيطان
٣٧٤	يا رسول الله إني أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي (حديث عتبان بن مالك)
٣١٢	يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف
٣٨٧	يا رويفع لعل الحياة ستطول بك بعدي
٦٨٨	يا معاذ والله إني لأحبك
٦٣٣	يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه
١٥٠	يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا
٥٧٥	يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب
٦٠٧	يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا
٢١٤	يقال لصاحب القرآن: اقرا وارتنق ورتل
٢١٣	يقول الرب عز وجل: من شغله القرآن وذكرني عن مسألتي
٣٤٦	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا
٤٤٠	يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام

فهرس الآثار

الصفحة

القائل

طرف الأثر

٢٩٥	قتادة	أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله؟
٤٣٣		أن ابن عمر كان يلبس أحسن ثيابه في العيدين -
٤٦	ابن مسعود	إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم
١٦٦، ١٥٠	أنس بن مالك	أن عمر كان إذا قحطوا استسقى بالعباس
٢٤٩	ابن عباس	الأنداد هو الشرك، أخفى من ديب النمل
٦٧٠	الشعبي	إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار
٣٥٨	عمر بن الخطاب	إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم
٦٥١	قتادة بن دعامة	باب من العلم يحفظه الرجل
٦٥٠	معاذ بن جبل	تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية
٣٧٢	المعمر بن سويد	خرجنا مع عمر في حجة حجها فقراً بنا
٤١١	قتادة لسعيد بن المسيب	رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته
٤٩٤، ٣٦٥، ٣٥٦	عمر	القبر، القبر
٦٧٠	ابن عباس	كل هوى ضلالة
٢٠٩	عمر بن يحيى	كم من مرید للخير لن يصيبه
٥٨٧	ابن عباس	كنت لا أدري ما فاطر السموات
٦١٤	أبو قلابة	لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم
٦٧١	الحسن البصري	لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم
١٨٦، ١٨٣، ٤٥	ابن مسعود	لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي
٣٦٥	أبو العالية	لما افتتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرا
٣٨٨	عائشة	ليست التميمة ما تعلق به بعد البلاء
٦٧٠	طاووس	ما ذكر الله هوى في القرآن إلا عابه
٦٧٠	ابن عمر	ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحا
<u>الصفحة</u>	<u>القائل</u>	<u>طرف الأثر</u>
٤٠٢	عائشة	من تداوى بالخمير فلا شفاه الله
٢١٥	ابن مسعود	هدأ كهذا الشعر

٥٧٥

ابن مسعود

وما منا إلا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل

١٦٤، ٧٤

مالك بن أنس

وما يدريك لعلها كفر

فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة

العلم

مسلسل

١١٩	(١) إبراهيم انياس
٥٩٨	(٢) ابن الجوزي
٤٦١	(٣) ابن الحاج
٢٣١	(٤) ابن العربي
١٣٤	(٥) ابن القيم
٥٢	(٦) ابن تيمية
١٤١	(٧) ابن جرير الطبري
٥٥	(٨) ابن حجر
٢٧٩	(٩) ابن حزم
١٩٩	(١٠) ابن رجب الحنبلي
١٨٠	(١١) ابن عبد البر
٣٣١	(١٢) ابن عطية
٩٨	(١٣) ابن فارس
٣٣٣	(١٤) ابن فارس
٥٥	(١٥) ابن كثير
٢٣٩	(١٦) أبو بكر الجزولي
٥٩٤	(١٧) أبو محمد الجويني
١٦٠	(١٨) أحمد التجاني
٦٤	(١٩) أحمد بللو
١٠٥	(٢٠) أحمد بن محمد الصاوي
٧٩	(٢١) آدم نمعجي الكنوي
٣٢٨	(٢٢) البرهاري
<u>الصفحة</u>	<u>مسلسل</u> <u>العلم</u>
٣٥	(٢٣) جبريل بن عمر
١٠٤	(٢٤) الجرجاني

٥٣٠	الجوهري	(٢٥)
١٥٣	الحاج عبد العزيز بن أحمد بالوغن	(٢٦)
٣٤	الحاج محمد بن راجي	(٢٧)
٣٩٤	حافظ بن أحمد الحكمي	(٢٨)
٢٣١	الحليمي	(٢٩)
١١٢	حمد بن ناصر بن معمر	(٣٠)
١٠٥	الراغب الأصفهاني	(٣١)
١١	الزجاجي	(٣٢)
٢٣٢	الزخشي	(٣٣)
١١٧	سليمان بن عبد الله	(٣٤)
٩٨	الشاطبي	(٣٥)
٩٥	شكيب أرسلان	(٣٦)
٢٠٤	شمس الحق العظيم آبادي	(٣٧)
٥٥	الشوكاني	(٣٨)
٧٩	صالح بن محمد الأول	(٣٩)
١٣٩	صنع الله الحلبي	(٤٠)
٢٣١	الطحاوي	(٤١)
٧٩	عبد الباقي بن حبيب الله	(٤٢)
٤٨٦	عبد الباقي محمد	(٤٣)
١٦٦	عبد الجبار بن محمد الناصر كبرى	(٤٤)
٤٠٠	عبد الرحمن بن حسن	(٤٥)
١١٦	عبد الرحمن بن ناصر السعدي	(٤٦)
	<u>الصفحة</u>	<u>مسلسل</u> <u>العلم</u>
٥٤٧		(٤٧) عبد العزيز البخاري
٥٠		(٤٨) عبد القادر الجيلاني

٣٢١	(٤٩) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن
١٧	(٥٠) عقبة بن نافع
٧٩	(٥١) عمر أحمد الإمام الأبيجي
٥٦١	(٥٢) عيسى أكنديلي
٥٣١	(٥٣) الفضيل بن عياض
٢٨٧	(٥٤) القاضي عياض
١٨٨	(٥٥) القرطبي
٥٦٤	(٥٦) قريب الله
٥٧١	(٥٧) الكلاباذي
٤٨٦	(٥٨) محمد الثاني بن الحسن الكافنغي
٦٥	(٥٩) محمد الثاني عمر
٤٨	(٦٠) محمد بلو
٣٤	(٦١) محمد ثنبو بن عبد الله
٥١٤	(٦٢) محمد حسنين مخلوف
٣٥١	(٦٣) مدثر عبد الرؤوف
٤٨٦	(٦٤) مرتضى عبد السلام
٦٤	(٦٥) مرتضى محمد
٣٥١	(٦٦) مشهود رمضان جبريل
٥٥٥	(٦٧) المناوي
٥٦	(٦٨) النووي
١٥٤	(٦٩) يعقوب عبد الله الألوري

فهرس المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العامة:

- ١- أبرز مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي والقضايا التي تناولتها للدكتور زين العابدين عبد الحميد السراج (ضمن بحوث الندوة العالمية ص ٣٦٩).
- ٢- أحزاب وأوراد القطب الرباني والعارف الصمداني أحمد التجاني ص ١٠، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني - القاهرة.
- ٣- أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام للشيخ محمد بن نجيت المطيعي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- ٤- أحكام الجنائز وبدعها للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، مكتبة المعارف - الرياض.
- ٥- أحكام الرقى والتمائم تأليف الدكتور فهد بن ضويان بن عوض السحيمي، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، مكتبة أضواء السلف - الرياض.
- ٦- أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية تأليف الدكتور عبد الله بن عمر بن محمد السحيباني، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - الدمام.
- ٧- أحكام أهل الذمة للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ٧١٥/٢، تحقيق يوسف أحمد البكري، شاعر توفيق العاروري، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، دار ابن حزم - الدمام رمادي للنشر - بيروت.
- ٨- إخماد البدعة وإحياء السنة للشيخ عثمان بن فودي، مطبعة الزاوية التيجالية - القاهرة ١٣٧٧ هـ.
- ٩- إرشاد الطالب إلى أهم المطالب ومنهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع تأليف الشيخ سليمان بن سحمان، مطبعة المنار بمصر ١٣٤٠ هـ.
- ١٠- أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا للشيخ مصطفى زغلول السنوسي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، شركة تكنو برس الحديثة - بيروت.
- ١١- اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ١٢- أشعة العقول والنقول على أضواء القنديل والفضول تكملة على هامش كتاب الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، للشيخ آدم عبد الله الألوري، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م، مطبعة

الثقافة الإسلامية لاغوس - نيجيريا.

- ١٣- أصل قبائل يوربا والقبائل المجاورة للشيخ آدم عبد الله الألوري، الطبعة الثانية، مطابع الزهراء للإعلام العربي - القاهرة.
- ١٤- إصلاح المساجد من البدع والعيوائد تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي، خرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ١٥- أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل تأليف محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق القاضي حسين بن أحمد السياغي والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ١٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، اعتنى بها الشيخ صلاح الدين العلاليلي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٧- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ١٨- إعجاز الطب النبوي في عالم اليوم للدكتور السيد الجميلي، تقديم الدكتور حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ميدان العتبة.
- ١٩- إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل - بيروت ١٩٧٣م.
- ٢٠- أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم، إعداد الدكتور سهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، طبعة عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٢١- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان تأليف محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، دار المعرفة - بيروت.
- ٢٢- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة.
- ٢٣- الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ، الطبعة الخامسة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م،

- دار المعرفة- بيروت.
- ٢٤- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي تأليف علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق جماعة من العلماء، الطبعة الأولى ١٤٠٤م، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ٢٥- الإحكام في أصول الأحكام تأليف علي بن محمد الأمدي، تحقيق الدكتور سيد الجميلي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي- بيروت.
- ٢٦- الأدب المفرد تأليف محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، دار البشائر الإسلامية- بيروت.
- ٢٧- الأذكار لجمعية يسر الله النيجيرية ص٣٧، مطبعة أيوأولا بو التجارية- (إبادن) نيجيريا.
- ٢٨- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- ٢٩- الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس بقلم الشيخ محمد بن صالح المنجد، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار الوطن للنشر- الرياض.
- ٣٠- الاستذكار للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ٣١- الاستذكار للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ٣٢- الاستقامة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة النبوية.
- ٣٣- الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، مطابع المختار الإسلامي.
- ٣٤- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني للشيخ آدم عبد الله الألوري، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، دون بيانات أخرى.
- ٣٥- الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا للشيخ آدم عبد الله الألوري، دون بيانات أخرى.

- ٣٦- الإسلام وتقاليد الجاهلية للشيخ آدم عبد الله الألوري، مطبعة المدني - القاهرة.
- ٣٧- الأشباه والنظائر تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٨- الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، علق عليه وأخرج أحاديثه محمود طعمه حلبي، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ، دار المعرفة بيروت.
- ٣٩- الاعتصام للعلامة الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، علق عليه وأخرج أحاديثه محمود طعمه حلبي، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م دار المعرفة - بيروت.
- ٤٠- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام تأليف محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي ١٣٩٨ هـ.
- ٤١- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م، دار العلم للملايين - بيروت.
- ٤٢- الأعياد المشروعة والأعياد الممنوعة رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد، إعداد حافظ بن موسى محمد الحكمي، إشراف الدكتور رشيد بن حسن محمد الألمي ١٤٢٠/١٤٢١ هـ.
- ٤٣- الانحراف في الاعتقاد أسبابه ومظاهره وعلاجه في الإسلام، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية بمركز الدراسات العليا الإسلامية المسائية، إعداد الطالب سليمان بن محمد سعيد بن إبراهيم العوفي، إشراف الدكتور أحمد بن ناصر الحمد، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٤٤- الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف ضمن رسائل الجزائري الثالثة: ست عشرة رسالة في مواضع دينية وإصلاحية مختلفة تأليف الشيخ أبي بكر جابر الجزائري، عنى بنشرها وتصحيحها مكتبة الكليات الأزهرية.
- ٤٥- الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات للألوسي، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي - بيروت.

- ٤٦ - الإيمان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی، علق علیه جماعة من العلماء، المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.
- ٤٧ - البحر الرائق شرح كنز الدقائق تأليف زين الدين بن نجيم الحنفي، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت.
- ٤٨ - البحر الزخار تأليف أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم - بيروت، المدينة.
- ٤٩ - البداية والنهاية تأليف الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء، مكتبة المعارف - بيروت.
- ٥٠ - البداية والنهاية تأليف الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء، مكتبة المعارف - بيروت.
- ٥١ - البدع الحولية إعداد عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار الفضيلة - الرياض.
- ٥٢ - البدع والمحدثات وما لا أصل له جمع وإعداد حمود بن عبد الله المطر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع - الرياض.
- ٥٣ - البدعة ضوابطها وأثرها السيئ في الأمة للدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
- ٥٤ - البركة تأليف أبي حذيفة إبراهيم بن محمد، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار الصحابة للتراث - طنطا.
- ٥٥ - التبرك المشروع والتبرك الممنوع للدكتور علي بن نفيح العلياني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الوطن للنشر - الرياض.
- ٥٦ - التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مكتبة الرشد - الرياض.
- ٥٧ - التبصرة في أصول الفقه إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي أبو إسحاق، تحقيق الدكتور محمد حسن هيتو، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الفكر - دمشق.
- ٥٨ - التبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكرياء يحيى بن شرف الدين النووي، دار الهجرة

- للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٤٠٩ هـ.
- ٥٩ - التحذير من البدع للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ١٣٩٦ هـ.
- ٦٠ - التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٧٢ م.
- ٦١ - التحفة العراقية في الأعمال القلبية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق ودراسة الدكتور يحيى بن محمد بن عبد الله الهنيدي، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، مكتبة الرشد - الرياض.
- ٦٢ - التداوي بالأعشاب والنباتات قديما وحديثا جمع وتنسيق أحمد شمس الدين، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٦٣ - التسهيل لعلوم التنزيل تأليف العلامة المفسر محمد بن أحمد بن جزى الكلبي، صححه محمد سالم هاشم الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٦٤ - التشبه المنهني عنه في الفقه الإسلامي تأليف جميل بن حبيب اللويحق، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع - جدة.
- ٦٥ - التعرف لمذهب التصوف تأليف محمد الكلاباذي أبي بكر، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠ هـ.
- ٦٦ - التفسير القيم للإمام ابن القيم جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، دار الرائد العربي - بيروت.
- ٦٧ - التفسير الكبير تأليف فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٦٨ - التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية وتقليدها غيرها وبيان نتائج ذلك ومواقف الناس منه، إعداد الدكتور ناصر عبد الكريم العقل، إشراف الدكتور محمد عبد الله أبي الفبح البيانوني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٣ هـ.
- ٧٠ - التلقين في الفقه المالكي تأليف أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي، تحقيق محمد ثالث سعيد الغاني، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، المكتبة التجارية - مكة المكرمة.
- ٧١ - التمهيد لشرح كتاب التوحيد دروس ألقاها الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، دار التوحيد - الرياض.

- ٧٢- التمهييد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، ١٣٨٧هـ.
- ٧٣- التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نسقه وآلف بين نصوصه محمد عيد العباسي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض.
- ٧٤- التوصل إلى حقيقة التوسل للشيخ محمد نسيب الرفاعي، الطبعة الثانية، المكتبة المكية.
- ٧٥- الثقافة العربية في نيجيريا من عام ١٧٥٠م إلى ١٩٦٠م عام الاستقلال تأليف الدكتور علي أبو بكر، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.
- ٧٦- الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب تأليف محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، غراس للنشر والتوزيع.
- ٧٧- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق سالم مصطفى البدري الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ٧٨- الجاهلية قديما وحديثا: دراسة في ضوء القرآن والسنة والفكر الإسلامي تأليف أحمد أمين عبد الغفار، شركة الشعاع للنشر- الكويت.
- ٧٩- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ٨٠- الجواهر المضوية في طبقات الحنفية تأليف عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبي محمد، مير محمد كتب خانه- كراتشي.
- ٨١- الحلف والأيمان: دراسة عقدية للدكتور يوسف بن محمد السعيد، بحث في مجلة جامعة الإمام العدد ٣٩، رجب ١٤٢٣هـ.
- ٨٢- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية لأبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مكتبة الرشد- الرياض.
- ٨٣- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب تأليف إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ٨٤- الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة وحكم التفريغ لها واتخاذها حرفة تأليف

- الدكتور علي بن نفيح العلياني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الوطن للنشر.
- ٨٥- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله المشهور بابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ٨٦- الروض الداني - المعجم الصغير تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان.
- ٨٧- الروض المربع شرح زاد المستقنع تأليف منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ١٣٩٠هـ.
- ٨٨- السلسلة الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف - الرياض.
- ٨٩- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٩٠- الشرح الممتع على زاد المستقنع للعلامة محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، طبع بإشراف مؤسسة الشهي محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي - الرياض.
- ٩١- الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام تأليف الدكتور يحيى شامي، دار الفكر العربي - بيروت ١٩٩٣م.
- ٩٢- الشيخ إبراهيم انياس السنغالي حياته وآراؤه وتعاليمه وكتاب كاشف الإلباس وتحقيق السر الأكبر: دراسة وتعليقا، تأليف محمد الطاهر ميغري جامعة بايروو بمدينة كانو نيجيريا، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- ٩٣- الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبه وشخصيته ووصيته تأليف الشيخ مشهود رمضان جبريل الأميري الكيتوي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، مكتبة الله نور - لاغوس نيجيريا.
- ٩٤- الصفدية تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبي العباس ٢٦٥/١، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ٩٥- الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة لابن القيم، تحقيق الأستاذ الدكتور علي بن

- محمد الدخيل الله، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ، دار العاصمة- الرياض.
- ٩٦- الطب النبوي للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، تحقيق ودراسة وتعليق الدكتور السيد الجميلي، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م دار الكتاب العربي- بيروت.
- ٩٧- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري، دار صادر- بيروت.
- ٩٨- العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة للشيخ أبي بكر محمود غومي، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت ١٣٩٢ هـ.
- ٩٩- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة تأليف الشيخ عبد الرحمن بن محلا اللويحق، الطبعة الخامسة ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.
- ١٠٠- الفتاوى السعدية للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.
- ١٠١- الفتاوى الكبرى لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق حسنين محمد مخلوف، الطبعة الأولى ١٣٨٦، دار المعرفة- بيروت.
- ١٠٢- الفتاوى المتعلقة بالطب وأحكام المرضى إشراف الشيخ صالح بن فوزان الفوزان الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض.
- ١٠٣- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م، دار الفضيلة للنشر والتوزيع- الرياض، ودار ابن حزم- بيروت.
- ١٠٤- الفروسية للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م، دار الأندلس- السعودية.
- ١٠٥- الفروق اللغوية تأليف أبي هلال العسكري، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م، دار الآفاق الجديدة- بيروت.
- ١٠٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي- القاهرة.

- ١٠٧- الفوائد لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م دار الكتب العلمية- بيروت.
- ١٠٨- القاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.
- ١٠٩- القاموس المحيط تأليف محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة- بيروت.
- ١١٠- القول السديد في مقاصد التوحيد (ضمن مجموعة من رسائل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي)، دار اشيليا للنشر والتوزيع- الرياض.
- ١١١- القول المبين في حكم المعاملة بين الأجنب والمسلمين تأليف الشيخ أبي الفتوح محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي الأزهري، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده- مصر.
- ١١٢- القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي- الدمام.
- ١١٣- الكافي في فقه الإمام المجلد أحمد بن حنبل للعلامة عبد الله بن قدامة المقدسي أبي محمد، المكتب الاسلامي- بيروت.
- ١١٤- الكتب الستة طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- ١١٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ١١٦- المجاهد الكبير في غرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فودي مع تحقيق كتابه نصيحة أهل الزمان تأليف الشيخ أمين الدين أبي بكر، مطابع المختار الإسلامي.
- ١١٧- المجموع شرح المهذب تأليف أبي زكرياء محي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر- بيروت ١٩٩٧م.
- ١١٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تأليف أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م،

دار الكتب العلمية- بيروت.

١١٩- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل تأليف عبد القادر بن بدران الدمشقي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة-بيروت.

١٢٠- المدخل تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، دار الفكر ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٢١- المرأة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية تأليف قريب الله بن محمد الناصر الكبرى القادري.

١٢٢- المستدرک علی الصحیحین تألیف محمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية- بيروت.

١٢٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف الشيخ العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، اعتنى به عادل مرشد، مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد- لبنان.

١٢٤- المصنف في الأحاديث والآثار تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد- الرياض.

١٢٥- المطلع على أبواب الفقه تأليف محمد بن أبي الفتح البعلبي الحنبلي أبي عبد الله، تحقيق محمد بشير الأدلي، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٢٦- المعجم الأوسط تأليف أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة ١٤١٥هـ.

١٢٧- المعجم الكبير تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق حمدي ابن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م، مكتبة العلوم والحكم - الموصل.

١٢٨- المعجم الوسيط إخراج مجموعة من المؤلفين الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، دار الدعوة- استنبول.

١٢٩- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني تأليف عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الطبعة الأولى ١٤٠٥، دار الفكر- بيروت.

- ١٣٠- المفردات في غريب القرآن للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، دار المعرفة- بيروت.
- ١٣١- المهذب في فقه الإمام الشافعي تأليف إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبي إسحاق، دار الفكر- بيروت.
- ١٣٢- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار تأليف تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ، حققها وكتب مقدمتها ووضع فهرسها الدكتور أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
- ١٣٣- الموافقات في أصول الفقه تأليف إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة- بيروت.
- ١٣٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور مانع بن حماد الجهني، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع- الرياض.
- ١٣٥- النبوات لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المطبعة السلفية- القاهرة ١٣٨٦هـ.
- ١٣٦- الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية تأليف محمد تقي الدين الهلالي ص ١٠٦، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م (دون بيانات أخرى).
- ١٣٧- الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- ١٣٨- الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة.
- ١٣٩- الولاء والبراء في الإسلام مفاهيم عقيدة السلف تأليف محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقدم الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الأولى، دار طيبة- الرياض.
- ١٤٠- إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور تأليف محمد بلو بن عثمان بن فودي، دار ومطابع الشعب- القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- ١٤١- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء تأليف قاسم بن عبد الله بن

- أمير علي القونوي، تحقيق الدكتور أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، الطبعة الأولى
 ١٤٠٦هـ، دار الوفاء- جدة.
- ١٤٢- بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وغيره، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ،
 مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة.
- ١٤٣- بداية المجتهد ونهاية المقتصد تأليف محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، دار
 الفكر- بيروت.
- ١٤٣- بردة المديح المباركة ويليها القصيدة المضربة والقصيدة المحمدية تأليف شرف الدين أبي
 عبد الله محمد البوصيري، دون بيانات أخرى.
- ١٤٤- بستان العارفين للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي، اعتنى به وعلق عليه محمد
 الحجار، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، دار البشائر الإسلامية- بيروت.
- ١٤٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب
 الفيروزآبادي، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية:
 لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة ١٣٨٥هـ.
- ١٤٦- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن
 تيمية الحراني، تحقيق الدكتور موسى سليمان الدويش، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة
 العلوم والحكم.
- ١٤٧- بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار تأليف العلامة عبد
 الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق هشام بن محمد سعيد آل برغش، الطبعة الأولى
 ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، دار الوطن للنشر- الرياض.
- ١٤٨- بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية للشيخ عثمان بن
 فودي، مطابع أحباب- كادونا نيجيريا، دون بيانات أخرى.
- ١٤٩- تاج العروس من جواهر القاموس تأليف محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة
 من المحققين، دار الهداية.
- ١٥٠- تاج اللغة وصحاح العربية المسمى الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري
 الفارابي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ١٥١- تاريخ ابن خلدون تأليف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار إحياء التراث العربي-

بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

- ١٥٢- تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر للأستاذ الدكتور عبد الله عبد الرزاق إبراهيم والأستاذ الدكتور شوقي الجمل، دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩٧م.
- ١٥٣- تجريد التوحيد المفيد للعلامة أحمد بن علي المقرئ المصري الشافعي، اعتنى به علي بن محمد العمران، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة المكرمة.
- ١٥٤- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ١٥٥- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٥٦- تخرىج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عاجلها الإسلام للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ١٥٧- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
- ١٥٨- تذكرة الحفاظ تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٥٩- تربية الأطفال في الإسلام تأليف رأفت فريد سويلم تقدم الشيخ محمد حسين يعقوب، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار ابن الجوزي - القاهرة.
- ١٦٠- تسهيل العقيدة الإسلامية تأليف الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، دار الصمعي - الرياض.
- ١٦١- تصحيح الدعاء تأليف الشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض.
- ١٦٢- تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، قدم له عبد القادر الأرنؤوط الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض.
- ١٦٣- تلبس إبليس تأليف عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق الدكتور السيد الجميلي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الكتاب العربي - بيروت.

- ١٦٤- تلخيص أحكام الجنائز للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ، مكتبة المعارف- الرياض.
- ١٦٥- تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير تأليف أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
- ١٦٦- تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد علي عجال الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة.
- ١٦٧- تمام المنة في التعليق على فقه السنة تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة- ١٤٠٩هـ، المكتبة الإسلامية، دار الراية للنشر.
- ١٦٨- تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر محمد أديب كلكل، المطبعة التعاونية- دمشق، دون بيانات أخرى.
- ١٦٩- تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار تأليف الدكتور صالح بن سعد السحيمي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م دار ابن حزم للنشر والتوزيع- الرياض.
- ١٧٠- توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري، الطبعة الأولى ١٢٩٩هـ- ١٩٧٩م، مطبعة الأمانة- القاهرة.
- ١٧١- توجيه النظر إلى أصول الأثر تأليف طاهر الجزائري الدمشقي، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب.
- ١٧٢- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.
- ١٧٣- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، اعتنى به أبو بكر عبد الكريم حامد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ١٧٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار ابن حزم- بيروت.

- ١٧٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، حققه وعلق على حواشيه محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار المعارف- بمصر.
- ١٧٦- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم للإمام عبد الرحمن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب، تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره، الطبعة السابعة ١٤٢٣هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت.
- ١٧٧- جواهر المعاني وبلوغ الأماني تأليف علي حراز بن العربي براد المغربي الفاسي، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- ١٧٨- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ١٧٩- حاشية السندي على النسائي تأليف نور الدين بن عبد الهادي أبي الحسن السندي، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب.
- ١٨٠- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين تأليف أحمد بن محمد الصاوي المصري، ضبطه محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ١٨١- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع تأليف حسن العطار، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ١٨٢- حركات التنصير في نيجيريا ورد الفعل الإسلامي إعداد إسماعيل أكنمو محمد الأول، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية والدعوة بالمعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، للعام الجامعي ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- ١٨٣- حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي: الاستراتيجية- المنهجية- الأهداف للبروفيسر أحمد محمد كاني (ضمن سلسلة بحوث الندوة).
- ١٨٥- حسن التنبه لما ورد في حسن التشبه تأليف نجم الدين أبي المكارم محمد بن محمد بن محمد الغزي دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير إعداد ريمة بنت محمد بن فريح العبد المنعم،

- إشراف الشيخ ناصر بن عبد الرحمن الجديع، العام الجامعي ١٤١٩ هـ.
- ١٨٦- حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة تأليف سيد سعيد عبد الغني، تقديم الشيخ عبد الله العبد الرحمن البسام والشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع والشيخ سعيد بن مسفر القحطاني، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، دار ابن حزم - الرياض.
- ١٨٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٨٨- حماية الرسول حمى التوحيد تأليف الدكتور محمد بن عبد الله زريان الغامدي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
- ١٨٩- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض ١٣٩١ هـ.
- ١٩٠- دراسات في التصوف تأليف إحسان إلهي ظهير، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، إدارة ترجمان السنة - لاهور باكستان.
- ١٩١- دروس في شرح نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب ألقاها الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، أخرجها محمد بن فهد الحصين، الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض.
- ١٩٢- دعاء الغاية المقصودة بموافقة الاستجابة تأليف الحاج عبد العزيز أحمد بالوغن الألوري، دون بيانات أخرى.
- ١٩٣- دعاء الفوز العظيم، دون بيانات أخرى.
- ١٩٤- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي: دراسة تاريخية مقارنة إعداد محمد بن علي بن محمد السكاكر ص ١٩٢-١٩٣، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.
- ١٩٥- دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم تأليف محمد بن أبي بكر الجزولي السملالي، المكتبة الثقافية - بيروت.
- ١٩٦- ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع إعداد عبد الرحمن محمود خليفة ص ٦٤، ط/الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، دار طيبة الخضراء - مكة المكرمة.
- ١٩٧- ذم الهوى للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي، تحقيق مصطفى عبد

الواحد، دون بيانات أخرى.

١٩٨- رحلتي إلى الديار الإسلامية القسم الأول: إفريقيا المسلمة تأليف محمد محمود الصواف، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، دار القرآن الكريم والدار السعودية للنشر والتوزيع.

١٩٩- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الله بن محمد المديفر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض.

٢٠٠- رسالة التوحيد للعلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، نقله إلى العربية وعلق عليه أبو الحسن علي الحسيني الندوي، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، المكتبة التجارية لدار العلوم ندوة العلماء- لكهنؤ الهند.

٢٠١- رسالة بعنوان: "من هنا نشأت وهكذا تعلمت حتى تخرجت" للشيخ آدم عبد الله الألوري، بمناسبة عيد الأربعين عاما من تأسيس المركز العربي الإسلامي أغيني نيجيريا، مطبعة الثقافة الإسلامية- لاغوس ١٤١١هـ.

٢٠٢- رسالة بعنوان: "ولما بلغت" للشيخ عثمان بن فودي (مخطوط).

٢٠٣- رسالة صغيرة بعنوان: الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ محمد بن صالح العثيمين، أشرف على تصحيحه وطبعه إبراهيم بن عبد العزيز الشثري.

٢٠٤- رسالة في تحقيق التوكل لابن تيمية، مطبوعة ضمن جامع الرسائل، تحقيق محمد رشاد سالم، دون بيانات أخرى.

٢٠٥- رسالة في قنوت الأشياء تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، الإدارة العامة للطبع والترجمة- الرياض.

٢٠٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تأليف محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٠٧- روضة الطالبين وعمدة المفتين تأليف الإمام يحيى بن شرف بن مري النووي، الطبعة الثانية ١٤٠٥، المكتب الإسلامي- بيروت.

٢٠٨- روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.

٢٠٩- روضة الناظر وجنة المناظر تأليف عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق الدكتور

عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

٢١٠- زاد المسير في علم التفسير تأليف الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٢١١- زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢١٢- سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراف تأليف الشيخ حمد بن علي ابن عتيق، طبعة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، الطبعة السابعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢١٣- سلسلة أعياد ومناسبات أبدلنا الله خيرا منها: شم النسيم بقلم عمرو عبد المنعم، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دار الصحابة للتراث - طنطا.

٢١٤- سلسلة شرح الرسائل للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشح بقلم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، أشرف على طبعه عبد السلام بن عبد الله السليمان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢١٥- سنن البيهقي الكبرى تأليف أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢١٦- سنن الدارقطني تأليف علي بن عمر أبي الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٢١٧- سنن الدارمي للإمام عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمري وغيره والأحاديث مزيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها، الطبعة الأولى ١٤٠٧، دار الكتاب العربي - بيروت.

٢١٨- سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبي عبد الله، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢١٩- سيرة الشيخ عثمان دان فوديو مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته،

للأستاذ عبد اللطيف سعيد، ضمن سلسلة بحوث الندوة العالمية التي عقدتها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة احتفاءً بذكرى الشيخ عثمان بن فودي، الخرطوم ٢٦- ٢٨ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ (١٩-٢١ نوفمبر ١٩٩٥م)، إصدار جامعة إفريقيا العالمية ومنظمة الإيسيسكو ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٢٠- شبهات المبتدعة في توحيد العبادة: عرض ونقد، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية أصول الدين بالرياض، إعداد عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل، إشراف الدكتور راشد بن حمد الطيار، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٢٢١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب تأليف عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار بن كثير- دمشق.

٢٢٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم تأليف الإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الطبعة السادسة ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض.

٢٢٣- شرح الأربعين النووية للشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، دار الثريا للنشر والتوزيع- الرياض.

٢٢٤- شرح السنة للحسن بن علي بن خلف البرهاري أبي محمد، تحقيق الدكتور محمد سعيد سالم القحطاني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار ابن القيم- الدمام.

٢٢٥- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.

٢٢٦- شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير أو المختصر المبتكر في أصول الفقه تأليف العلامة محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق الدكتور محمد الزحيلي، والدكتور نزيه حماد، دار الفكر- دمشق ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٢٧- شرح النووي على صحيح مسلم للإمام أبي زكرياء يحيى بن شرف بن مري النووي،

- الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٢٨- شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، إشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار الثريا للنشر والتوزيع - الرياض.
- ٢٢٩- شرح صحيح البخاري لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ضبط نضه وعقب عليه أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض.
- ٢٣٠- شرح معاني الآثار تأليف أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبي جعفر الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٣١- شرح مقصورة ابن دريد في فنون الشعر والحكمة والوعظ والأدب والغزل تأليف أبي بكر بن الحسن بن دريد الأزدي، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباني وأولاده - القاهرة.
- ٢٣٢- شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى تأليف منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، الطبعة الثانية ١٩٩٦م، دار عالم الكتب - بيروت.
- ٢٣٣- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تأليف محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٢٣٤- صحيح ابن خزيمة تأليف محمد بن إسحاق بن خزيمة أبي بكر السلمي النيسابوري، الأحاديث مذيلة بأحكام الأعظمي والألباني عليها، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- ٢٣٥- صحيح الترغيب والترهيب تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، مكتبة المعارف - الرياض.
- ٢٣٦- صحيح سنن ابن ماجه تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- ٢٣٧- صحيح سنن أبي داود باختصار محمد ناصر الدين الألباني، اختصر أسانيدہ وعلق عليه وفهرسه زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج - بيروت، ١٤٠٩هـ -

١٩٨٩م.

٢٣٨- صحيح سنن الترمذي تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج- بيروت،

١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٣٩- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

٢٤٠- صفة الصفوة لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق محمود فاخوري- د. محمد رواس قلعه جي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، دار المعرفة- بيروت.

٢٤١- ضعيف الترغيب والترهيب تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض.

٢٤٢- ضعيف سنن أبي داود ضعف أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٢٤٣- ضعيف سنن الترمذي ضعف أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢٤٤- طبقات الحفاظ تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أب الفضل، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٤٥- طبقات الحنابلة تأليف محمد بن أبي يعلى أبي الحسين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة- بيروت.

٢٤٦- طبقات الشافعية تأليف أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، عالم الكتب- بيروت.

٢٤٧- طريق المهجرتين وباب السعادتين للعلامة محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، دار ابن القيم- الدمام.

٢٤٨- ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، المكتب الإسلامي- بيروت.

٢٤٩- عالم السحر والشعوذة للدكتور عمر سليمان الأشقر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-

- ١٩٨٩م، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع- الكويت ودار النفائس للنشر والتوزيع- الكويت.
- ٢٥٠- عصا موسى بين حبال السحرة: كتاب يرد على مجسمة هذا العصر (التمسلفة) تأليف عبد الجبار بن محمد الناصر المختار كبر القادري.
- ٢٥١- عقيدة المؤمن تأليف الشيخ أبي بكر جابر الجزائري، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة.
- ٢٥٢- علم أصول البدع: دراسة تكميلية مهمة في علم أصول الفقه تأليف علي بن حسين ابن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، دار الراجعية للنشر والتوزيع- الرياض.
- ٢٥٣- علماء الدعوة تأليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبعة المدني ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.
- ٢٥٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ٢٥٥- عون العلماء الصالحين جمع وترتيب الحاج يعقوب بن عبد الله الأثري، دون بيانات أخرى.
- ٢٥٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية- بيروت.
- ٢٥٧- عيد اليوبيل بدعة في الإسلام (نشأته وحكمه) للعلامة بكر بن عبد الله أبي زيد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، دار الحرمين للطباعة- القاهرة.
- ٢٥٨- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة- ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.
- ٢٥٩- غريب الحديث تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله ابن حمادي، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ٢٦٠- غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروي أبي عبيد، تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد

- خان، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢٦١- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض.
- ٢٦٢- فتاوى مهمة لعموم الأمة للشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق إبراهيم الفارس، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار العاصمة - الرياض.
- ٢٦٣- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، تصوير طبق الأصل على الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٩هـ.
- ٢٦٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني وعليه تعليقات العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز والشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، اعتنى به أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار طيبة - الرياض.
- ٢٦٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني، دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ.
- ٢٦٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي، تحقيق مجموعة من العلماء، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية.
- ٢٦٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تصحيح أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٦٨- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق الدكتور الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية - الرياض.
- ٢٦٩- فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبيان معناها وكيفية وشيء مما ألف فيها تأليف عبد المحسن بن حمد العباد، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

- ٢٧٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى- مصر.
- ٢٧١- قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي- القاهرة.
- ٢٧٢- قصة سفر في نيجيريا للشيخ محمد بن ناصر العبودي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مطابع الفرزدق التجارية- الرياض.
- ٢٧٣- قضايا السنة النبوية والاهتمام بها في لغة الهوسا، بحث قدمه محمد الثاني عمر في ندوة عقدت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- ٢٧٤- كتاب التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٦هـ.
- ٢٧٥- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد ابن عبد الوهاب)، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م (دون بيانات أخرى).
- ٢٧٦- كتاب الحوادث والبدع للإمام أبي بكر محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي المعروف بابن زندقة، تحقيق بشير محمد عيون، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، مكتبة المؤيد- الطائف.
- ٢٧٧- كتاب العين تأليف أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ٢٧٨- كتاب نيل الأمان في شرح التهاني تأليف أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، وهو شرح لقصيدته الدالية في مدح شيخه أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي، دون بيانات أخرى.
- ٢٧٩- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدري تأليف علاء الدين عبد العزيز ابن أحمد البخاري، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- ٢٨٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون تأليف مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- ٢٨١- كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني تأليف أبي الحسن المالكي، تحقيق يوسف

- الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر- بيروت ١٤١٢هـ.
- ٢٨٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال تأليف علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة- بيروت ١٩٨٩م.
- ٢٨٣- كيف نتأدب مع المصحف كتابة قراءة تعلمنا استماعا تأليف محمد رجب فرجاني، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع- القاهرة.
- ٢٨٤- لسان العرب تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، دار صادر- بيروت.
- ٢٨٥- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف تأليف الإمام الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، دار ابن حزم- بيروت، مؤسسة الريان- بيروت.
- ٢٨٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تأليف نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر- بيروت ١٤١٢هـ.
- ٢٨٧- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- ٢٨٨- مجموع رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار ابن الهيثم- القاهرة.
- ٢٨٩- مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز إعداد وتقديم الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار والشيخ أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله لن باز، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار الوطن- الرياض.
- ٢٩٠- مجموعة التوحيد المعروف بـ (مجموعة التوحيد النجدية)، طبعة الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- ٢٩١- محاضرات في العقيدة والدعوة بقلم الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ٢٩٢- محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع تأليف عبد الرؤوف محمد عثمان، طبع تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة

- العربية السعودية، الرياض ١٤١٤ هـ.
- ٢٩٣- محمد بلو الشاعر (ضمن سلسلة بحوث الندوة).
- ٢٩٤- مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، طبعة جديدة ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت.
- ٢٩٥- مختصر شعب الإيمان للبيهقي تأليف عمر بن عبد الرحمن القزويني أبي المعالي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ، دار ابن كثير- دمشق.
- ٢٩٦- مختصر منهاج القاصدين للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، خرج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م، مكتبة دار البيان- دمشق، مكتبة المؤيد- الطائف.
- ٢٩٧- مخطوطات الفوذين: بيبليوجرافية وصفية مختارة للأستاذ عبد القيوم عبد الحلیم الحسن، (ضمن بحوث الندوة العالمية).
- ٢٩٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣ م، دار الكتاب العربي- بيروت.
- ٢٩٩- مذكرة بعنوان: انتشار الإسلام في إفريقيا إعداد الدكتور مصطفى محمد مسعد، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥/١٤٠٦ هـ.
- ٣٠٠- مرآة الناظرين في تعريف الأصول من العلماء في بلد إبادن تأليف مرتضى أبي بكر المعروف بابن المعلم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م، دار الطباعة المحمدية- الأزهر، القاهرة.
- ٣٠١- مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تحقيق محمود شكري الألوسي، مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ١٣٩٦ هـ.
- ٣٠٢- مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م، دار المأمون للتراث- دمشق.
- ٣٠٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل تأليف الإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، الأحاديث مزيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، مؤسسة قرطبة- القاهرة.
- ٣٠٤- مسند الشافعي تأليف الإمام محمد بن إدريس الشافعي أبي عبد الله، دار الكتب

العلمية - بيروت.

٣٠٥- مسند الطيالسي تأليف سليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة - بيروت.

٣٠٦- مشاهير علماء نجد وغيرهم تأليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض.

٣٠٧- مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني تأليف الشيخ محمد الخضر الشنقيطي، جمعها وعلق عليها الشيخ إبراهيم القطان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار البشير - عمان.

٣٠٨- مشكاة المصابيح تأليف محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي - بيروت.

٣٠٩- مصنف عبد الرزاق تأليف أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٣١٠- مصنف عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٣١١- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار ابن الجوزي - الدمام.

٣١٢- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للعلامة حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار ابن القيم - الدمام.

٣١٣- معالم التنزيل في التفسير والتأويل تأليف الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، دار الفكر - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣١٤- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣١٥- معجم ألفاظ العقيدة تأليف عامر عبد الله فالج، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مكتبة العبيكان - الرياض.

٣١٦- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية تأليف عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى -

- بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٣١٧- معجم مقاييس اللغة تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، اعتنى به الدكتور محمد عوض مرعب والأنسة فاطمة محمد أصلان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٣١٨- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج تأليف محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر - بيروت.
- ٣١٩- مكانة الشيخ عثمان فودي بين رجال الفكر والدعوة والدولة في الإسلام للدكتور حسن مكّي محمد أحمد (ضمن بحوث الندوة).
- ٣٢٠- مكونات الفكر السياسي عند الشيخ عثمان بن فودي للدكتور بهيجة الشاذلي (ضمن بحوث الندوة ص ٨٢).
- ٣٢١- مناهل العرفان في علوم القرآن تأليف محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، الطبعة الأولى ١٩٩٦، دار الفكر - بيروت.
- ٣٢٢- منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل محمد عليش، دار الفكر - بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٣٢٣- منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس تأليف العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الهداية للطبع والنشر والترجمة - الرياض.
- ٣٢٤- منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مؤسسة قرطبة.
- ٣٢٥- منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى تأليف الدكتور عبد الله بن رشيد بن محمد الحوشاني، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، مركز الدراسات والإعلام - دار إشبيلية.
- ٣٢٦- موجز تاريخ نيجيريا للشيخ آدم عبد الله الألوري، الطبعة الأولى ١٩٦٥م، دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ٣٢٧- موطأ الإمام مالك - رواية يحيى الليثي للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - مصر.

- ٣٢٨- نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوريا تأليف الشيخ آدم عبد الله الألوري، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، مكتبة وهبة- القاهرة.
- ٣٢٩- نصب الراية لأحاديث الهداية تأليف عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، تحقيق محمد يوسف البنوري، دار الحديث - مصر ١٣٥٧هـ، ومع الكتاب حاشية بغية الأملعي في تخريج الزيلعي.
- ٣٣٠- نور الأبواب تأليف الشيخ عثمان بن فودي الفلاني، مطابع أحباب- كادونا نيجيريا، دون بيانات أخرى.
- ٣٣١- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٣٣٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة- لبنان.

ثانيا : الدوريات :

- ١- جريدة عكاظ، جريدة يومية تصدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر بالرياض.
- ٢- قراءات إفريقية مجلة ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة الإفريقية تصدر عن المنتدى الإسلامي.
- ٣- مجلة الأزهر، مجلة شهرية جامعة تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي.
- ٤- مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.
- ٥- مجلة الكوثر، مجلة ثقافية تربوية متنوعة تصدر عن جمعية العون المباشر بالكويت.
- ٦- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة.

ثالثا : مصادر أجنبية:

1- Tarihin Shehu Dan Fodio by Mustapha Dandume

- 2- Ise Iyanu Sheikh Ibrohim Nias (rta) lati owo Mudathir A. Rouf (Ikire).
- 3- Top Secret About Christianity, Ogbonism and other Fetish Religions And Superlative of Islam by Sheikh Dr. Booniyameen Alalaye Banire, Al-bayan Islamic Press Ent. Agege Lagos, Nigeria.
- 4- Encarta Encyclopedia Deluxe 2004 (CD).
- 5- Where I Stand: Sheikh Abubakar Gumi with Ismail Abubakar Tsiga, Spectrum Books Limited, Ibadan. Oweri. Kaduna. Lagos, Nigeria.
- 6- Polamical Literature For And Against Sufism.
- 7- Akomolede Ijinle Yoruba (3) Adebisi Aromolaran Ati Oyebamiji Mustapha, Macmillan Nigeria Publishers Limited, Lagos, Ibadan.
- 8- Igbo Traditional Life, Culture and Literature. Edited with an Introduction by M.J.C.Echeruo & E.N.Obiechina. Preface by S.O.Anozie.
- 9- Religion In An African City by Geoffrey Parrinder, D.D. Negro University Press.

فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
المقدمة	
أسباب اختيار الموضوع	٢
خطة البحث	٣
منهجي في البحث	٧
شكر ودعاء	٨
التمهيد	
أولاً: شرح مفردات البحث	١١
توحيد الألوهية	١١
نيجيريا	١٢
مسلمو نيجيريا	١٣
ثانياً: لمحة تاريخية عن نيجيريا قبل دخول الإسلام وبعده	١٥
توطئة	١٥
أ) نيجيريا قبل دخول الإسلام	١٥
أصل التسمية	١٥
قبائل نيجيريا وأصولها	١٦
عادات أهل نيجيريا وتقاليدهم	١٩
معتقدات أهل نيجيريا ودياناتهم	٢١
الوثنية والجمعيات السرية	٢٣
ب) نيجيريا بعد دخول الإسلام	٢٥

٢٥	متى دخل الإسلام في نيجيريا؟
٢٧	وضع البلاد بعد دخول الإسلام

الصفحة

الموضوع

الباب الأول

جهود العلماء النيجيريين في تقرير توحيد الألوهية

٣٢	الفصل الأول: الشيخ عثمان بن فودي
.....	المبحث الأول: حياته الشخصية والعلمية

٣٢

٣٢	أ) حياته الشخصية
٣٢	نسبه ومولده
٣٢	موطنه ونشأته
٣٣	أولاده
٣٣	وفاته
٣٣	ب) حياته العلمية
٣٣	طلبه للعلم
٣٤	شيوخه
٣٥	تلاميذه
٣٦	أعماله ومكانته العلمية
٣٩	المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه
	أ) أبرز الوسائل والأساليب التي استخدمها في
٣٩	تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه
٣٩	١- التدريس والوعظ والإرشاد
٣٩	٢- التأليف والتصنيف

٤٠	٣- المناظرات والمناقشات
٤٠	٤- إنشاء الجمعية أو الجماعة
٤١	ب) أهم مسائل توحيد الألوهية التي قررها ودافع عنها
٤١	١- التبرك
<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٤٣	٢- الذبح
٤٤	٣- النذر
٤٤	٤- الحلف
٤٥	٥- البناء على القبور
٤٥	٦- الرقى والتمايم
٤٦	٧- التطير
٤٧	٨- الخضوع
٤٨	ما يؤخذ على الشيخ عثمان بن فودي
٦١	الفصل الثاني: الشيخ أبو بكر محمود غومي
٦١	المبحث الأول: حياته الشخصية والعلمية
٦١	أ) حياته الشخصية
٦١	نسبه ومولده
٦١	موطنه ونشأته
٦١	أولاده
٦٢	وفاته
٦٢	ب) حياته العلمية
٦٢	طلبه للعلم
٦٣	شيوخه
٦٣	تلاميذه
٦٣	أعماله ومكانته العلمية

المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه ٦٨

أ) أبرز الوسائل والأساليب التي استخدمها في تقرير

توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه ٦٨

١- التأليف والتصنيف ٦٨

الصفحة

الموضوع

٢- التدريس وإلقاء المحاضرات ٦٩

٣- رئاسة الجمعية بالتوجيه والإرشاد ٧٠

٤- المناظرات والمناقشات ٧١

٥- الكتابة في المجلة ٧٢

ب) أهم مسائل توحيد الألوهية التي قررها ودافع عنها ٧٢

١- معنى الشهادتين وأهمها أساس الدين ٧٣

٢- فضائل كلمة التوحيد ٧٣

٣- الدعاء ٧٤

٤- الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ٧٥

الفصل الثالث: الشيخ آدم عبد الله الألوري ٧٦

المبحث الأول: حياته الشخصية والعلمية ٧٦

أ) حياته الشخصية ٧٦

نسبه ومولده ٧٦

موطنه ونشأته ٧٦

أولاده ٧٧

وفاته ٧٧

ب) حياته العلمية ٧٨

طلبه للعلم ٧٨

شيوخه ٧٩

تلاميذه ٨٠

أعماله ومكانته العلمية ٨٠

المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحراف فيه ٨٣

أ) أبرز الوسائل والأساليب التي استخدمها في

تقرير توحيد الألوهية ومحاربة الانحرافات فيه ٨٣

الصفحة

الموضوع

١- التأليف ٨٣

٢- الدروس والوعظ والإرشاد ٨٣

ب) أهم مسائل توحيد الألوهية التي قررها الشيخ آدم ودافع عنها ٨٤

١- التأله ٨٤

٢- الركوع والسجود ٨٥

٣- الخضوع ٨٦

٤- الذبح ٨٧

٥- الرقى والتمايم والتولة ٨٩

ما يؤخذ على الشيخ آدم عبد الله الألوري ٨٩

الباب الثاني

العبادات القولية في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

تمهيد: في تعريف البدعة وتقسيمها إلى حقيقية وإضافية ٩٧

الفصل الأول: الدعاء ١٠٤

المبحث الأول: معنى الدعاء ومنزلته من توحيد العبادة ١٠٤

الأدلة الواردة في التحذير من دعاء غير الله ١١٢

الدعاء في نيجيريا ١١٧

المبحث الثاني: دعاء غير الله لدى مسلمي نيجيريا حكمه وصوره

شبه وردود	١٣٥
الفصل الثاني: التوسل	١٤٠
المبحث الأول: تعريف التوسل وصلته بتوحيد الألوهية	١٤٠
المبحث الثاني: أنواع التوسل المشروع	١٤٤
التوسل لدى مسلمي نيجيريا	١٥١
الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث: التوسل الممنوع لدى مسلمي نيجيريا حكمه وصوره	١٥٢
شبه وردود	١٦٨
الفصل الثالث: الحلف	١٧٤
المبحث الأول: تعريف الحلف لغة واصطلاحاً وصلته بتوحيد الألوهية	١٧٤
أدلة النهي عن الحلف بغير الله	١٧٥
المبحث الثاني: الحلف بغير الله لدى مسلمي نيجيريا حكمه وصوره	١٧٨
الفصل الرابع: بقية العبادات القولية	١٨٨
المبحث الأول: الذكر	١٨٨
المطلب الأول: منهج أهل السنة والجماعة في الذكر	١٨٨
النصوص الواردة في فضل ذكر الله تعالى والحث عليه	١٩٢
المطلب الثاني: الانحراف في الذكر حكمه وصوره	١٩٦
المقصود بخلق الذكر أو مجالس الذكر	١٩٨
الجهر أو الإسرار بالذكر	٢٠٢
شبه وردود	٢٠٧
المبحث الثاني: قراءة القرآن	٢١٣
المطلب الأول: فضل قراءة القرآن وآداب القراءة	٢١٣
المطلب الثاني: الانحراف في قراءة القرآن حكمه وصوره	٢١٧

حكم الوليمة عند ختم حفظ القرآن الكريم أو قراءته	٢٢٤
المبحث الثالث: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم	
	٢٢٧

المطلب الأول: معنى الصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم وفضلها وكيفيتها	٢٢٧
نصوص وردت في فضل الصلاة على النبي	
صلى الله عليه وسلم والحث عليها والأمر بها	٢٣٠
أفضل كفيات الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم	٢٣٤
<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>

المطلب الثاني: الانحراف في الصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم حكمه وصوره	٢٣٦
الفصل الخامس: أقوال شركية منتشرة	٢٤٧
المبحث الأول: نهي النبي صلى الله عليه وسلم	
عن الألفاظ التي تقدح في التوحيد	٢٤٧
النصوص الواردة في النهي عن التلفظ	
بالألفاظ الشركية أو التي توصل إلى الشرك	٢٤٨
المبحث الثاني: الألفاظ التي تقدح في التوحيد حكمها وأمثلتها	٢٥٣

الباب الثالث

العبادات العملية في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا

الفصل الأول: الركوع والسجود والقيام	٢٧٣
المبحث الأول: وجوب إفراد الله تعالى بالركوع والسجود والقيام	٢٧٣
المبحث الثاني: الركوع والسجود والقيام لغير الله حكمها وصورها	٢٨٢
معنى الانحناء لغة	٢٩٢

حالات القيام وأحكامها	٢٩٦
شبه وردود	٣٠٠
الفصل الثاني: النذر والذبح	٣١٠
المبحث الأول: وجوب إفراد الله تعالى بالنذر والذبح	٣١٠
الأدلة الدالة على أن النذر عبادة، وأن صرفها لغير الله شرك	٣١١
أدلة وجوب إفراد الله بالذبح، وأن صرفه لغير الله شرك	٣١٥
ما يحمد عليه مسلمو نيجيريا فيما يتعلق بالنذر والذبح	٣١٧
المبحث الثاني: النذر والذبح لغير الله حكمهما وصورهما	٣١٨
الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث: التبرك	٣٣٣
المبحث الأول: بيان التبرك المشروع وأنواعه	٣٣٣
أنواع الأشياء التي يشرع التبرك بها	٣٣٥
النوع الأول: المشروع من التبرك بالأشخاص	٣٣٦
النوع الثاني: المشروع من التبرك بالأقوال والأفعال	٣٣٩
النوع الثالث: المشروع من التبرك بالبقاع	٣٤٠
النوع الرابع: المشروع من التبرك بالأزمنة	٣٤٤
النوع الخامس: المشروع من التبرك بالمطعومات	٣٤٧
المبحث الثاني: التبرك الممنوع حكمه وصوره	٣٥٠
شبه وردود	٣٦٤
الفصل الرابع: رقية المريض وعلاجه	٣٧٩
المبحث الأول: الهدى النبوي في الرقية وعلاج المريض بالأدوية المباحة	٣٧٩
الأدلة على جواز الرقية	٣٨٠
معنى التمام وأقسامها	٣٨٦
المبحث الثاني: الانحراف في الرقى وعلاج المريض بالأدوية المباحة	٣٩٠
المبحث الثالث: العلاج بالسحر والشعوذة	٤٠٧

٤١٠	النشرة معناها وأنواعها
٤١٤	معنى الشعوذة
٤١٤	صور العلاج بالسحر والشعوذة لدى مسلمي نيجيريا
٤٢٤	حكم التفرغ للرقية واتخاذها حرفة
٤٢٩	الفصل الخامس: الأعياد
٤٢٩	المبحث الأول: الأعياد المشروعة وأدلتها
٤٣١	ضابط العيد المشروع والعيد الممنوع
٤٣٢	مكانة العيد في الإسلام

الصفحة

الموضوع

٤٣٦	أقسام الأعياد المشروعة وأدلتها
٤٤٠	ما وافق به مسلمو نيجيريا منهج أهل السنة والجماعة في الأعياد
٤٤٣	المبحث الثاني: صور الأعياد الممنوعة وأحكامها
٤٦٣	شبه وردود
٤٧٢	الفصل السادس: أحكام الميت والقبور
٤٧٢	المبحث الأول: الهدى النبوي في أحكام الميت والقبور
٤٨٠	المبحث الثاني: الانحراف في أحكام الميت والقبور حكمه وصوره
٤٩٩	الفصل السابع: الولاء والبراء
	المبحث الأول: تعريف الولاء والبراء لغة واصطلاحاً، ومنزلتهما من الشرع، وعلاقتهما بتوحيد الألوهية
٤٩٩	
٥٠٦	أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء
٥٠٩	المبحث الثاني: الانحراف في باب الولاء والبراء حكمه وصوره
٥١٩	مظاهر موالاتة المؤمنين ومظاهر موالاتة الكفار
٥٢١	ما يجوز أو يجب التعامل به مع الكفار مما لا يدخل في موالاتهم
٥٣٠	الفصل الثامن: العبادات القلبية
٥٣٠	تمهيد: في معنى العبادة والمقصود بالعبادات القلبية

المبحث الأول: معاني العبادات القلبية ووجوب أفراد الله تعالى بها	٥٣٤
أولاً: المحبة	٥٣٤
ثانياً: الخوف	٥٣٦
ثالثاً: الرجاء	٥٣٩
رابعاً: التوكل	٥٤٤
خامساً: الاستعانة	٥٥٠
سادساً: الخضوع	٥٥٢

الصفحة

الموضوع

المبحث الثاني: الانحراف في العبادات القلبية لدى

مسلمي نيجيريا حكمه وصوره	٥٥٧
--------------------------	-----

الباب الرابع

أسباب الانحراف في توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا وعلاجه

الفصل الأول: أسباب الانحراف في توحيد الألوهية	٥٨٢
المبحث الأول: الجهل	٥٨٢
خطورة الجهل بالدين وآثاره السيئة	٥٨٣
أهم الجوانب التي يجهلها مسلمو نيجيريا من الدين	٥٨٦
أسباب انتشار الجهل بالدين لدى مسلمي نيجيريا	٥٩٧
أنواع الانحرافات التي يسببها الجهل لدى مسلمي نيجيريا	٦٠٣
المبحث الثاني: الغلو	٦٠٤
خطورة الغلو	٦٠٦

أسباب الغلو لدى مسلمي نيجيريا	٦٠٨
الانحرافات التي يسببها الغلو لدى مسلمي نيجيريا	٦١٣
المبحث الثالث: التشبه بالكفار	
	٦١٤
دواعي التشبه بالكفار لدى مسلمي نيجيريا	٦١٤
أوجه تشبه مسلمي نيجيريا بالكفار	٦١٩
أنواع الانحرافات التي يسببها التشبه بالكفار لدى مسلمي نيجيريا	٦٢١
المبحث الرابع: التأثير بالوثنية والجاهلية	٦٢٢
أسباب تأثر بعض مسلمي نيجيريا بالوثنية والجاهلية	٦٢٦
أنواع الانحرافات التي يسببها التأثير بالوثنية والجاهلية لدى مسلمي نيجيريا	٦٢٧
الموضوع	
الصفحة	
المبحث الخامس: اتباع الهوى	
	٦٢٩
أسباب اتباع الهوى لدى مسلمي نيجيريا	٦٢٩
الانحرافات التي يسببها اتباع الهوى لدى مسلمي نيجيريا	٦٣٥
المبحث السادس: تلبس أهل الأهواء	
	٦٣٧
طرق تلبس أهل الأهواء في نيجيريا	٦٣٩
أنواع الانحرافات التي يسببها تلبس أهل الأهواء لدى مسلمي نيجيريا	٦٤٢
المبحث السابع: الاستعمار السياسي	
	٦٤٣
طرق الاستعمار في تسبب الانحراف العقدي	٦٤٤
الأولى: إحياء الوثنية دين الأجداد باسم العادات والتقاليد	٦٤٤

٦٤٤	الثانية: الدعوة إلى التعصب القبلي بين الشعب
	أنواع الانحرافات التي يسببها الاستعمار
٦٤٥	السياسي لدى مسلمي نيجيريا
٦٤٦	الفصل الثاني: وسائل علاج الانحراف في توحيد الألوهية وأساليبه
٦٤٦	المبحث الأول: وسائل علاج الانحراف في توحيد الألوهية
٦٤٦	أولاً: نشر العلم الشرعي
٦٥٤	ثانياً: توضيح الدين للناس على الوجه الصحيح وبيان وسطيته
٦٥٩	ثالثاً: بيان استقلال الإسلام وعزة المسلم
٦٦٥	رابعاً: تحذير الناس من الوثنيات وبيان حكم الله فيها
٦٦٨	خامساً: بيان أن الدين اتباع المشروع
٦٧٣	سادساً: نشر الحق الواضح وكشف شبهات الملحسين وفضحهم
	سابعاً: كشف خطط المستعمرين وأتباعهم وتحذير المسلمين
٦٧٥	من التمسك بالأفكار الواردة من دول الكفر والإلحاد

الصفحة

الموضوع

المبحث الثاني: أساليب علاج الانحراف في توحيد الألوهية

٦٧٩

٦٧٩	أولاً: إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه
٦٧٩	ثانياً: إنكار موضع الخطأ وقبول الباقي
٦٨٠	ثالثاً: إظهار الغضب من الخطأ
٦٨٢	رابعاً: هجر المخطئ
٦٨٣	خامساً: الحوار والمناقشة
٦٨٤	سادساً: بيان خطورة الخطأ
٦٨٥	سابعاً: تقديم البديل الصحيح
٦٨٥	ثامناً: الترغيب والترهيب

٦٨٦ تاسعا: الهدوء في التعامل مع المخطئ

٦٨٧ عاشرًا: تهيئة النفوس لقبول النصيحة بذكر ما تحبه

٦٩٠ الخاتمة

الفهارس العامة:

٧٠٠ فهرس الآيات

٧٢٣ فهرس الأحاديث

٧٣٦ فهرس الآثار

٧٣٨ فهرس الأعلام المترجم لهم

٧٤١ فهرس المصادر والمراجع

٧٧٣ فهرس الموضوعات